يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ ـ جمادى الثانية ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '90 N° 134

الهدية الغالية ١٧
«لا تعذبني أيها التمساح» (مأساة واقعية) ٢٨
هل نخسر حرب المخدرات؟ ٤٠
هبوط الحرارة قاتل رهيب ٥٢
هالوين! ٥٦
حب من أول نغم ٥٨
الطيبون الثلاثة ٦٢
مدينة البخار ٦٦
رامبالدي، ساحر السينما ٧٢
القيادة الشتائية ٨٠
بلاد الهنود الحمر ٨٤
أمثولات حسابية ٩٠
فن الأكل في المطاعم ٩٧
بيتنا الجميل ١٠٢
الذكاء عند القطط ١٠٦
كان أبي مدمناً ١١١

الزواج: أصغوا الى القلب ٢٤

مدمرة كندية تنقذ ناقلة يابانية ١١٣
كتاب الشهر: الضحيّة ١١٩
شجرة المانوليا ٤

حديقة افكار ٣ ـ صور من الحياة ٢٣ ـ الضحك خير دواء ٣٩
الطب ٦٥ ـ دائرة المعارف ٩٥ ـ تاملات معاصرة ١٤٤

أوسع المجلات انتشارا في العالم



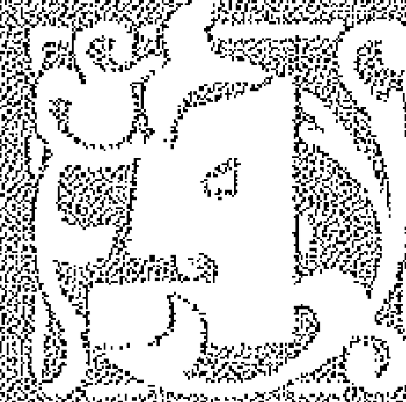
بوش: مهتمون بلبنان وفلسطين
(ص ٩)

نحافة بلا تجويع!
(ص ٣٤)

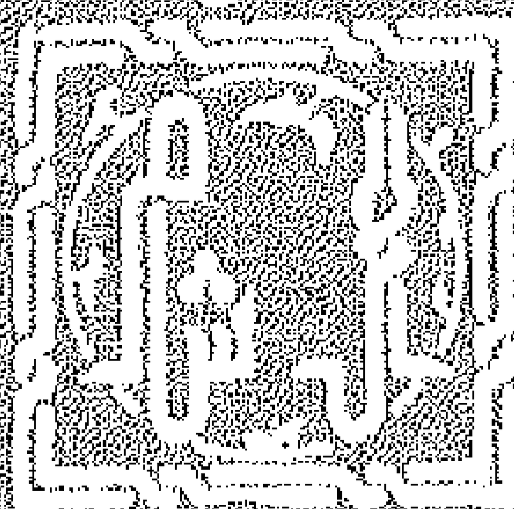
كاسباروف نجم الشطرنج
(ص ٤٦)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . صمم على أحدث طراز لكي يوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ..... ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٩٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة. لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني. جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة «ايبراك» للمنشورات الدولية ـ بيروت.

رئيس مجلس الادارة ـ المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح ـ باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي ـ لبنان.

الهاتف: ٤٩١٦٣٠ ـ ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت ـ لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ ـ ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ. شركة الطبع والنشر اللبنانية.

الطباعة. المطبعة العربية، المدينة الصناعية ـ البوشرية، المتن الشمالي ـ لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

January '90 N° 134 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير كنيث غيلمور. مدير التحرير. فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية. الى العربية

لبنان ٥٠٠ل ـ سورية ٢٠ل ـ الأردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٠ر ـ مصر ١،٥ج ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٥٠٠د ـ ج.ع.اليمنية ٧ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ قبرص ٧٥ب
تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٧د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

حديقة أفكار

☐ كلمة لطيفة واحدة تبعث الدفء في ثلاثة أشهر شتائية.

مثل ياباني

☐ يمكنك أن تشد الماضي الى صدرك بإحكام بحيث تعجز ذراعاك المتشبثتان به عن معانقة الحاضر.

ي.غ.

☐ الاجتهاد أسرع من العبقرية.

والتر بيبمان، صحافي وكاتب امريكي

☐ مَنْ يوافقك الراي في كل ما تقوله هو أمّا ساهٍ عنك وإماً ينوي بيعك شيئاً ما.

ب.ه.

☐ الامنية هي رغبة من دون محاولة.

ت.أ.

☐ تصبح الأم جدة حقيقية يوم تكفّ عن ملاحظة الأفعال الرهيبة التي يأتيها اولادها، لانها تكون مأخوذة بالأفعال الرائعة التي يأتيها أحفادها.

ل.و.

☐ يستند التسامح الى اللياقة والاحترام، والشكّ في أن الآخر قد يكون على حق.

ك.م.

☐ من يستطيع أن يفعل وهو في الستين ما كان يفعله وهو في العشرين لم يكن ينجز الكثير آنذاك.

ج.ث.

منذ عقدين ونيف تسهر على منزلنا وتشاركنا في السراء والضراء

ورد الربيع فالأغراس في الساحة تنبت وتتفرع وتبرعم وتزهر. وانا، كسيدة لهذه الساحة، اجهز الأرض واستأصل الحشيش الضار منها واسمّدها. انني اعرف اي اشجار وازهار يجب ان أقلّم ولذلك فالمهمة سهلة وسريعة. ولكنني كلّما واجهت شجرة المنوليا ترددت. وعلى رغم معرفتي ان التقليم جيد للشجرة فلم احتمل قطع اي عسلوج من عساليجها او اي ورقة من اوراقها لأنها كانت تشاهدني ايام السراء والضراء طوال عشرين عاماً ونيف.

اشتريت شجرة المنوليا وهي صغيرة مفروشة في صندوق وسعه واحد وثلاثون سنتيمتراً. آنذاك كنت وزوجي حديثي الزواج، نقيم في مبنى مستأجر، منخفض، رطب، مظلم. وضعت المنوليا في مدخل المنزل. وعندما كانت الشمس تسكب اشعتها على الأوراق الريانة الخضراء كانت تلك الأوراق تمتلىء حيوية فينفتح لها قلبي.

بعد سنة اشترينا، زوجي وانا، بما وفرناه من مال طوال سنوات عدة منذ خطبتنا، منزلاً قرب المدرسة التي ادرّس فيها. هذا المنزل كان صغيراً، قديماً، مؤلفاً من طبقتين وعليّة حولناها مكتباً منزلياً. نافذة هذه العلية تطل على سقف المطبخ الاسمنتي في الطبقة الثانية. وقد بدا لنا انه من الخسارة ترك هذا السقف فارغاً، ففتحنا باباً في جدار العليّة ووسعنا النافذة فأصبح السقف فناء للمكتب ثم حديقة لنا.

شجرة العائلة. الحديقة وافرة الأزاهير والأغراس، وملكتها شجرة المنوليا. قيل لنا ان المنوليا ذات ضغط قوي على التربة لذلك واصلت الاحتفاظ

شَجَرَةُ المنوليا



بها في اناء منعاً للأضرار بالبناء اثناء نموها، ولكنها تغذت بالندى وبأشعة الشمس فنمت بسرعة واصبحت قوية نضرة وارفع مني طولاً.

بعد ولادة ابنتنا البكر، كنا في حرارة الصيف نجلس تحت شجرة المنوليا نداعب ابنتنا كما نداعب لعبة صغيرة. والمنوليا تحرّك اوراقها ابتهاجاً مهواةً تبّردنا.

عندما تكون طفلتنا نائمة وكل شيء هادىء، نجلس زوجي وانا في مكتبنا المنزلي نقرأ ونكتب مستمتعين بالسكون بعيدين من الضجة والنشاط. اما شجرة المنوليا فتبعث الينا بشذا خفيف يجعل رائحة الكتب والحبر اكثر نقاء وبهجة.

احياناً كنت اطفىء الضوء في المكتب واراقب المنوليا وضوء القمر يتداعبان. اوراق المنوليا ترفرف وتدور من جانب الى آخر ونور القمر الماكر يسقط على الأرض كأنه اخطأ هدفه.

كنا، زوجي وانا، نتحدث كثيراً تحت شجرة المنوليا وأغلب حديثنا كان عن طفولتنا. والدا زوجي ربيّا سبع بنات وثلاثة بنين. وكانا يؤمّنان المعيشة من غلة ارض صغيرة واحياناً لم يكن لدى الأسرة ما يكفي لتأكل. اما زوجي، وهو البكر، فبعد تخرجه في مدرسة تكميلية غادر مسقط رأسه شوسان في وسط تايوان وذهب شمالاً الى تايبيه، حيث وجد عملاً في صيدلية. وعندما التحق بالمدرسة الثانوية ثم بالجامعة كان يعمل بعض الوقت ليعين نفسه. وحينما بدأت الأمور تتحسن قُتِل ابوه في حادث سيارة وكان على زوجي ان يضطلع بحمل العائلة.

بعد زواجنا احضر امه وشقيقيه وشقيقاته الى تايبيه ليعيشوا معنا. وسرعان ما اصبح المنزل الصغير منزلاً نشطاً كما بدأت فيه مشاكل كثيرة. سبع اخوات واخوان، اشخاص كثيرون وآراء كثيرة كذلك. وللتعامل بنجاح مع هذا كله يحتاج المرء الى شجاعة وحصافة ولذلك شعرت كأنني أعيش يومياً في معركة.

كان على زوجي ان يؤدي خدمة العَلَم، وقيامي وحيدة بإعالة عائلة بمثل هذا الحجم كان هماً عليّ، مادياً ونفسياً. الأيام ايام بؤس وملاذي الحديقة الصغيرة فوق سطح المطبخ. وطالما جلست تحت شجرة المنوليا اغص بالبكاء. لم يكن جذعها قوياً حينذاك لأستند اليه وإنما كانت تنشر اريجها وبهدوء تمنحني مؤاساتها.

الوقت أفضل موجّه للحياة، يحكم على أدوارنا عبر السنين. تحت ادارته مثلت ادوار الزوجة والأم واخت الزوج والمعلمة، وشجرة المنوليا مستمعتي الحاضرة الوفية والمراقبة لكل تفاصيل عملي. وعندما عاد زوجي من خدمته للعلم كان شقيقاه وشقيقاته جميعاً تزوجوا واحداً تلو الآخر. واصبح لنا بنون. وتغيرت صفوف التلاميذ الذين كنت ادرّسهم.

رأت شجرة المنوليا كل ذلك، شاهدت الوالدَين يكدّان طوال ليال لا يعرفان

فيها النوم يربيان اطفالهما، شاهدت الأطفال يكبرون من سن الطفولة، سن الثرثرة والحبو، الى سن المراهقة، شاهدت المعلمة تقرأ بنشاط فروض التلاميذ. شاهدت الشفقة في عيني الحماة كما لاحظت الشعر الأشيب فوق صدغي كنتها.

كنا، زوجي وانا، نجتاز عهد صبانا المبهج القوي الى السن المتوسطة من العمر. اما منزلنا فكانت المياه تتسرّب اليه وأنابيب المجارير مسدودة.

حلم جديد. كانت لنا احلام سعيدة ببيت مستقبلي، ولكننا رأينا ايضاً ان فراق بيتنا القديم امر صعب. وقبل ان ننتقل لم اجد بداً من التمهل قليلاً في حديقة سقف المطبخ اقلّم الأضاليا واقطف براعم الالاماندا وأنظف أوراق اللبلاب مثل ام تسوّي ياقة ابنها الذي سيغادر البيت وقلبها غاص بالحزن والاستسلام. كنا سننتقل الى شقة صغيرة بالإيجار ولا نستطيع اصطحاب كل هذه الأغراس معنا ما عدا شجرة المنوليا، فالتخلي عن المنوليا هو تخلٍ عن صديق قديم.

كنت ازور غالباً بيتنا الصغير حتى جاء يوم حوله هادم المباني حجاراً صغيرة. اما الأغراس المطمورة بالحطام فنقلت بعيداً في الشاحنات. في وقت قصير شُيد مكان بيتنا هذا بناء جديد قادنا زوجي وانا الى حلم.

شغلنا بالمنزل الجديد الى حد ان اهملنا غالباً المنوليا، فلا نرويّها الا عندما ننشق اريجها. وان تتفتح أوراقها بعد الري فهي تبدو عليلة جافة عارية.

سارت اعمال البناء بهدوء، والبيت كان متناسقاً، رحباً مريحاً. وكل فرد في الأسرة غدا سعيداً ومنفعلاً خصوصاً حماتي التي سبق لها ان اصيبت بصدمة ولم تعد قادرة على المشي الا بصعوبة. اننا، بعد العيش كل هذه السنوات في اكواخ من طين وخيزران، وفي شقق مستأجرة، واحياء مكتظة، اصبح عندنا اخيراً منزل مصون لأولادنا.

في يوم سعيد انتقلنا الى بيتنا الجديد ومعنا المنوليا الهزيلة. وذات صباح مشمس نقلناها من انائها الى حفرة في الأرض شاءها زوجي عميقة وواسعة بحيث تتمكن جذور المنوليا من الامتداد والاسترخاء قدر المستطاع.

اخيراً كان للمنوليا مأوى مريح وحياة جديدة. تفرعت، ونبتت وأورقت أوراقاً خضراء نقية. وبعد ان نترك نحن هذه الدنيا ستبقى المنوليا هنا تتبع نشاط الأسرة، وتشاركها في الأفراح والأحزان، في السراء والضراء، وتسهر على بيتنا وأولادنا جيلاً بعد جيل.

نشوان وو - يواه ■

المؤلفة من مواليد ١٩٤١، وهي مربية وقصصية معروفة في تايوان. نالت اخيراً جائزة جريدة «تايوان يونايتد ديلي نيوز» على مجموعة قصص قصيرة.

أسلوب للحياة ...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل ...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن ...

أسلوب للحياة ...



سيتيزن
CITIZEN

Reader's Digest
المختار

يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠
جمادى الثانية ١٤١٠

السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

بوش لـ«المختار»: لبنان وفلسطين محط آمالنا

مقابلة خاصة أجراها رؤساء تحرير ٢٢ طبعة من طبعات الـ «ريدرز دايجست» حول العالم مع الرئيس الأمريكي جورج بوش في البيت الأبيض

س. هل من تطورات تعلقون عليها الأمل بالنسبة إلى السلام في الشرق الأوسط؟

ج. مدّني بالأمل شعور رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق شامير بوجوب انتخاب سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ممثلين لهم للتفاوض مع إسرائيل. ومدتني بالأمل خطة الرئيس المصري حسني مبارك ذات النقاط العشر حول طريقة التوصل إلى هذه الانتخابات. وأرى سبباً للتفاؤل في مبادرة الجامعة العربية إلى تأليف اللجنة الثلاثية التي تسعى إلى تسوية سياسية في لبنان.[1]

ولكن أريد أن أقول إني أرى في مسألة لبنان قضية شخصية ومحبطة بالنسبة إليّ، لأني قبل سنوات كنت

(١) أجري الحديث منتصف اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩.



في اللقاء مع الرئيس بوش، يبدو من اليمين رؤساء تحرير الطبعات الامريكية اللاتينية، جنوب افريقيا، (الرئيس بوش)، الكورية، الآسيوية، الدانمركية، الايطالية، الكندية، البرتغالية، الامريكية، النروجية، والعربية.

أذهب إلى هناك، ولدي في لبنان أصدقاء. وكنت أراهم يعيشون بسلام في ذلك البلد الذي كان يعتبر بقعة توتر في العالم حتى في تلك الآونة. أما الآن، في معمعة سفك الدم وقتل الأطفال والقصف والحصارات، فإن الوضع لا يطاق!

أود لو تسود الشجاعة في لبنان لمعالجة موضوع الإصلاحات السياسية الضرورية. أنظروا إلى ما يحدث في هنغاريا وبولونيا. فبحق السماء ألا يتعين على أبناء لبنان الأذكياء، وإنْ تعددت مذاهبهم، أن يجتمعوا ويفعلوا ما يلزم لتحقيق الإصلاح السياسي في بلدهم؟ وأعتقد أن المملكة العربية السعودية تستحق أن يعزى إليها الفضل الكبير في جمع السياسيين اللبنانيين عندها ومحاولتها تحريك بعض الأمور.

وأؤمن كذلك بأن على جميع القوى الغريبة ـ الإسرائيلية والسورية ـ أن تخرج من لبنان.

كل من يتذكر لبنان لا يسعه الإقتناع بأن هذا البلد لا يمكنه العودة إلى ما كان، واحة سلام وسط عالم متوتر. ولا أعتقد بوجوب التوصل إلى تسوية نهائية

لمسألة الضفة الغربية كي يحل السلام في لبنان. لذلك علينا أن نضغط ونعمل ما في وسعنا لتشجيع اللبنانيين.

طبعاً، نريد من الذين يعرفون شيئاً عن رهائننا أن يساعدوا. لقد أثارنا أن يعذَّب الكولونيل هيغنز، وهو أمريكي كان يخدم في صفوف الأمم المتحدة، وأن تُعرض صورته في محاولة لإصابة العالم بصدمة. لن ننسى ذلك. ونحتاج إلى المساعدة من كل مواطن حسن النية، أينما كان أو كانت، في أن يسعى على الأقل إلى إعادة رفات هذا الرجل إلى عائلته.

الشرق والمخدرات

س. ما هي التطورات الأولية الأكثر إقلاقاً لكم، وأيُّها تعلقون عليه أكبر الآمال؟

ج. إن أكثر ما يقلقني هو حرب المخدرات، وواقع استمرار تدفق المخدرات إلى هذا البلد، واستمرار تعاطينا إياها بمعدل غير معقول، وأن رجالات شجعاناً، كالرئيس الكولومبي فيرجيليو باركو، يحاولون مقدار جهدهم لكنهم لا يستطيعون وقف هذا المد وحدهم. من المحبط أن مشكلة المخدرات ما زالت رهيبة جداً، ليس هنا فحسب، بل في العالم كله.

أما ما نعلق عليه أملاً كبيراً فهو المتغيرات الرائعة والسريعة التي تَحْدُث في أوروبا الشرقية وداخل الاتحاد السوفييتي. وكان ذلك، إلى حد بعيد، مباغتاً. ولست على يقين من أن مراقبين كثيرين توقعوا هذا التغير السريع في ألمانيا الشرقية. ولست على يقين من أنني، أنا نفسي، توقعت خسارة الحزب الشيوعي في الانتخابات في هنغاريا (المجر) ولا خطى الاصلاح السريعة في بولونيا.

س. استكمالاً لما قلت، هل يتَّضح أن الشيوعية، كفلسفة، قد ماتت، أو أنها في طور الموت؟ ولماذا؟

ج. نعم، لأنها ليست فلسفة جيدة، وقد أخفقت في أنحاء العالم. وليس في وسع أولئك الذين ما زالوا يتمسكون بالآمال أن يشيروا إلى أي نجاح لهذه الفلسفة. والبلدان التي جرَّبتها انتهت إلى وضع سيىء جداً. والسبب في فشلها هو أنها تعطي الدولة قوة على الشعب، بينما القوة يجب أن تكون في يد الشعب فعلاً. والشيوعية سقطت إقتصادياً على نحو واضح، ومن الصعب ثباتها سياسياً لأن الشعب يرغب في الحرية. ونحن نرى ذلك في عالمنا حيث الديكتاتوريون يسقطون سواء أكانوا يمينيين أم يساريين.

س. ومع ذلك، تفيد التقارير أن غورباتشيف يربح حرب الدعاية في أوروبا. فما رأيك في ذلك؟

ج. يبدو أن الديموقراطية والحرية هما اللتان تنتصران، إذا كان هذا ما يعوزه لكي «يربح»، فحسن. أنا لا أشعر بأني متورط في نزاع شخصي مع السيد

غورباتشيف. فكل شيء يصب في خانتنا، خانة دول حلف شمال الأطلسي. نحن من انتصرت مفاهيمنا للحرية والديموقراطية. وإذا أراد أحدهم القول: «هذا نصر لغورباتشيف،» فهذا رائع. لنتركه يمضي في انتصاره، إذا كان المقصد هو هذا. ولن يسبب لي ذلك حرقة في المعدة.

ما أرغب فيه هو أن أرى الـ«بريسترويكا»[2] تنجح، وأن أتعاون مع الاتحاد السوفييتي وأرى هذا التعاون ينجح حقاً ولكن ليس على حساب المبادىء التي تربط الولايات المتحدة بدول العالم الحر.

لذلك، حين يردد الناس أن الرئيس غورباتشيف بارع في الدعاية والعلاقات العامة، فإني أحيِّي ذلك. وهذا يدل على أنه شخصية جذابة وشعبية. إننا نحيِّي إصلاحاته وانفتاحه. لقد سمح السوفييت بهجرة مزيد من اليهود، وأرخوا قبضتهم عن بلدان أوروبا الشرقية، وزادوا من تعاونهم مع الولايات المتحدة. إنه توجه مشجع جداً وآمل أن يستمر.

س. هل تعتبرون إعادة توحيد ألمانيا هدفاً مرغوباً فيه؟

ج. هذه مسألة يقررها الألمان. وإعادة توحيد ألمانيا هي من أهداف حلف شمال الأطلسي منذ أمد بعيد. وهو أمر لا يجوز أن تحاول الولايات المتحدة فرضه أو توجيهه في أي شكل، ولكن من المؤكد أيضاً أنه ليس شيئاً نخشاه.

س. كيف يستطيع الغرب الركون إلى نيّات الاتحاد السوفييتي ما دام مستمراً في تمويل الحركات الثورية في كوبا ونيكاراغوا في أمريكا الوسطى، وتسليح الحكومة القائمة في افغانستان بكثافة، وزيادة قدراته العسكرية الهائلة؟

ج. يجب أن نتعامل معه وعيوننا مفتوحة، وأن نحافظ على قوة دفاعاتنا من غير أن نستكين إلى شعور خاطىء بالرضى فيما يباشر الاتحاد السوفييتي إنجاز التغييرات الضرورية لتخفيف التوتر. وسأعطيكم مثلاً، لقد أبدى السوفييت قلقاً من مساعدتنا للثوار الأفغان. فقلنا: «مهلاً. إنكم تواصلون دفق أطنان من المعدات إلى أفغانستان.» وهكذا، فإننا نُبقي عيوننا مفتوحة.

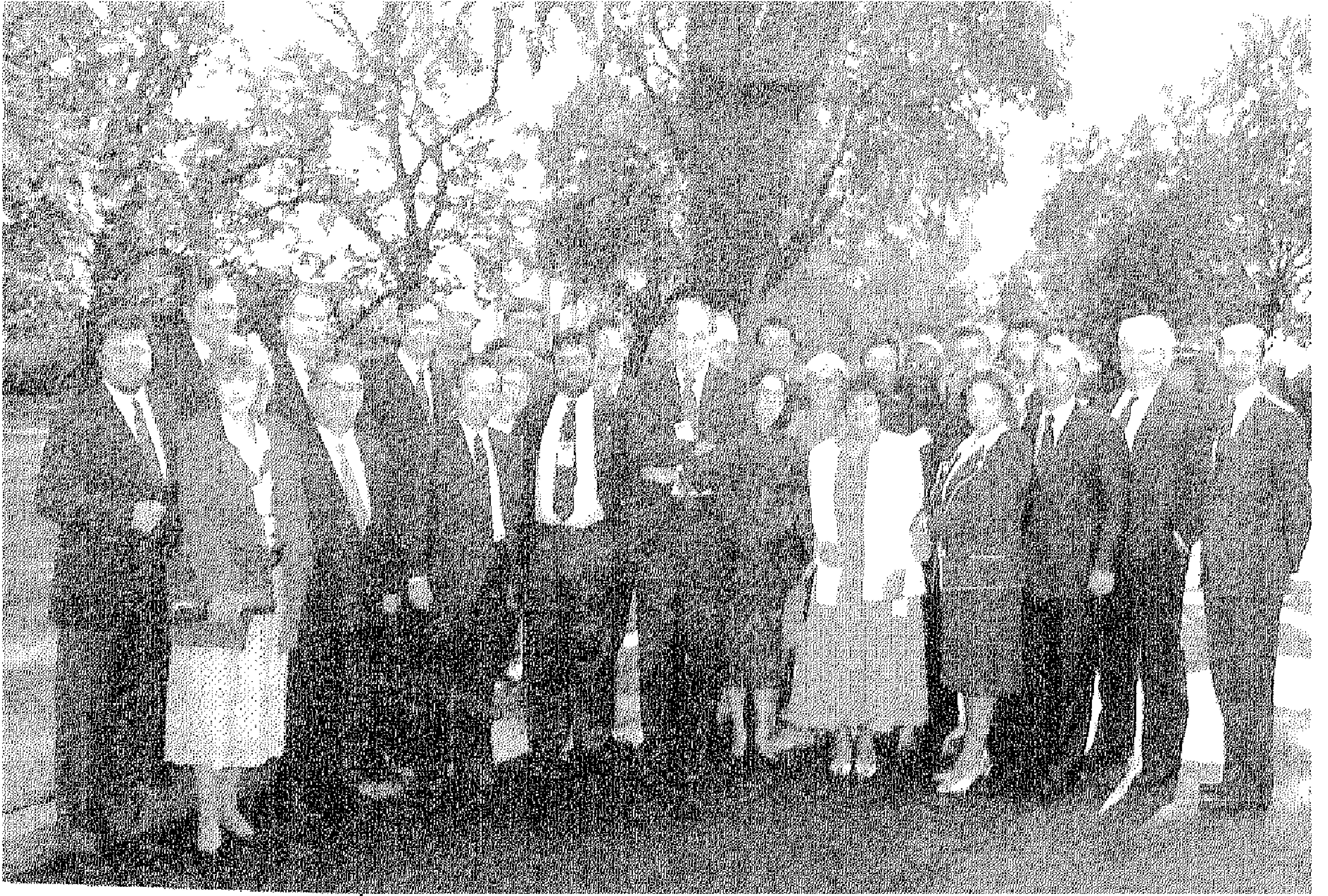
لذا أكافح من أجل الحفاظ على مستويات معقولة للنفقات الدفاعية. يقول المبالغون في التفاؤل أن لا حاجة إلى دفاع قوي اليوم. أما أنا فأقول: «مهلاً. الاتحاد السوفييتي يطور أسلحته الاستراتيجية، فلا تقولوا لي يجب ألا نفعل هذا فيما هم يفعلون.»

وفي الوقت نفسه، نحن على استعداد للتفاوض سعياً إلى اتفاق حقيقي من أجل خفض هذه الأسلحة.

إنه لرائع أن يكون لدينا هذا الشعور الودي نحو الـ«غلاسنوست»[3]

(٢) هي سياسة الاصلاح التي ينتهجها الرئيس غورباتشيف.

(٣) هي سياسة الانفتاح والشفافية التي ينتهجها الرئيس غورباتشيف.



رؤساء التحرير في صورة تذكارية في حديقة البيت الأبيض يتوسطهم رئيس تحرير الطبعة الامريكية السيد كينيث غيلمور.

والـ «بريسترويكـا»، لكننا نتعـامل مـع خصم قـوي جداً ينفق عـلى الـدفـاع موازنة غير متكافئـة مع دخلـه القومي الاجمالي.

إني لا أرغب في أن أرى الـولايات المتحدة وأصدقاءها الأوروبيين مستكينين للـرضى. إني لقلق مـن زيـادة تـدفق الأسلحة إلى نيكاراغوا وكوبا وسواهما، بحجم أكبر من السابق. وسنُبقي عيوننا مفتـوحة، ونتـابع المفـاوضـات، ونلـزم الحيطة والحذر.

أوروبا المتحدة

س. فيما المجموعة الأوروبية تتجه نحو الوحدة الاقتصادية سنة ١٩٩٢، يـرى بعض الأمـريكيـين في أوروبـا الحصينة مؤشراً خطراً. هل أنت من هذا الرأي؟

ج. لا، ولكن من الجوهري أن نتجه جميعاً نحو تجارة أكثر حرية وانصافاً. ما زالت لدينا بعض الصعوبات مع عدد من بلـدان أوروبا، افـرادياً، كمـا لهـا صعوبات معنا. والزراعة مثال جيد على ذلك. يقول الأوروبيون: «تحدثوا معنا في أي موضوع باستثناء الزراعة.» حسناً، نريد أن نتحدث عن إعاناتهم الحكومية للمزارع، التي نعتقد أنهـا تعزز عـدم الإنصاف التجاري.

ولدينا كذلك ما نعمله في بلدنا لنتأكد من أننا شريك تجاري عادل. وإذا عملنا جميعاً لتحقيق هذا الهدف، فلن يبقى ما يقلقنا في العالم. أنا لا أرى حاجة إلى الخوف من السوق الأوروبية.

س. تفرض الولايات المتحدة قيودا قاسية على استيراد منتجات أجنبية كالمواد الغذائية والنسيج والسيارات والالكترونيات. فهل ترون ثمة خطراً أن تفجر الحماية الامريكية حرباً تجارية قد تكون كارثة على العالم؟

ج. لا. إنني أرى أن إجراءات الحماية التي تتخذها شعوب أخرى هي ما يثير حرباً تجارية، لا إجراءاتنا. لا أحد بتولياً حين يتعلق الأمر برسوم الحماية. كل واحد حامل قليلاً. وأعترف بأننا كذلك. ولكني أعتقد حقاً أننا الأكثر حرية وعدلاً وانفتاحاً من الجميع.

وما نحاول القيام به من خلال اتفاق التجارة الحرة مع كندا ومن خلال «الاتفاق العام للتعريفات والتجارة» الذي يضم مجموعة من ٩٦ دولة ويسوس تجارة العالم، هو أن نقول: «أصغوا جيداً، لدينا جميعاً بعض الحماية، وبعضنا في حال أسوأ من غيره. ولكن لا داعي إلى التسمية. لنبحث عما نستطيع فعله للقضاء على الحواجز القائمة.» ومن الخطأ اعتبارنا نحن الطرف الشرير في كل هذا.

الصين والديون

س. بعد مجزرة الطلاب الصينيين في ساحة تيانانمن صرّح وزير الخارجية الأمريكي السيد جايمس بايكر أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تقيم علاقات طبيعية مع الصين ما لم تول حكومة بيكين مزيداً من الاحترام لحقوق الإنسان والحريات السياسية. فما هي بالتحديد الخطوات التي يجدر بالحكومة الصينية اتباعها؟

ج. الصين، طبعاً، حساسة فوق العادة بالنسبة إلى ما تدعوه تدخلا في شؤونها الداخلية. لكننا الولايات المتحدة، ولنا مبادئنا، ولنا إيماننا بالحرية والديموقراطية. أود أن أرى الصين تعترف بما حدث وأن تحرص على ألا يتكرر ذلك.

حالياً، الصين غير راغبة في هذا. وبدلاً من ذلك تلوم الولايات المتحدة. الجميع يلوم الولايات المتحدة، وليس في ذلك جديد بارز. غير أني الرئيس الذي يعتقد أنه يفهم الصين على نحو أفضل من كثيرين، لأني عشت هناك كسفير في العامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥. وأكنّ للشعب الصيني عاطفة قوية، كما أكنّ الشعور إياه لبعض القادة الصينيين. لكنهم يتحدثون عن المسّ بمشاعر الشعب الصيني. حسناً، عليهم التفكير في مشاعر الشعب الأمريكي. كثيرون منّا آلمتهم هذه الأحداث وتلك الإجراءات التعسفية ضد الحريات التي نسلّم بها في هذا البلد.

لن أحاول الآن تحديد برنامج من نقطتين أو ثلاث نقاط تتحسن بموجبه

علاقاتنا مع الصين. لقد بيَّنت للصين بمنتهى الوضوح أني لا أود أن أقدم على أي عمل قد يؤذي الشعب الصيني اقتصادياً. فالصين بدأت تحركاً نحو نظام شبه رأسمالي، وأريد أن أراها تتابع هذه المسيرة. وأنا على استعداد للتمهل كل ما يلزم من وقت لإعادة علاقتنا إلى مسارها.

س. إن الديون الخارجية الضخمة لبلدان أمريكا اللاتينية هي قنبلة سياسية واقتصادية موقوتة. هل هناك طريقة لنزع فتيل هذه القنبلة؟

ج. نعم. إن «خطة برادي» التي وضعها وزير الخزانة نيكولاس برادي هي استراتيجيتنا لتخفيف هذا العبء. وتعمل الخطة بتشجيع المصارف على المفاوضة حول خفض الديوان وتوفير أموال جديدة في آن. وقد كانت المكسيك أول بلد يوقع اتفاقاً بموجب هذه الخطة، وهي الآن في وضع أفضل. واني لأعزو الفضل إلى الرئيس كارلوس ساليناس لاتخاذه قرارات صعبة جداً. فهو سار خطوة نحو رفع الهيمنة عن نظام النقل، فانخفضت الأسعار. وكان تحرك سابقاً ضد المديرين الفاسدين في «بيمكس»، وهي شركة النفط الاحتكارية التي تديرها الدولة. وفيما يواصل هذا الرجل خطاه الشجاعة، يستجيب الاقتصاد وتعود رؤوس الأموال إلى المكسيك.

لذلك أشجع بلداناً أخرى على تجربة «خطة برادي»، كما أحثّ المصرفيين الأمريكيين على المرونة. ويبدو الآن أن بعض هؤلاء يسود التراجع عن «خطة برادي.» لهؤلاء المصرفيين الأمريكيين، ولأصحاب المصارف الخاصة في جميع البلدان الممثلة حول هذه الطاولة، أقول: «لا تتراجعوا عن أسس خطة برادي، لأنها توفر معادلة مفعمة بالأمل.»

قضايا البيئة

س. تُظهر استطلاعات الرأي في أنحاء العالم اهتماماً عميقاً بموضوع البيئة. من ناحية عملية، كيف ستتمكن دول العالم، وخصوصاً دول العالم الثالث الفقيرة، من دفع تكاليف تنظيف البيئة وحمايتها؟

ج. في المقام الأول، يجب أن تُعقد النيّة بحيث ترغب كل البلدان في القيام بعمل ما في شأن البيئة. نحن لم نتوصل بعد إلى الاتفاق مع بعض دول العالم الثالث حول الرغبة في مثل هذا العمل، وذلك لأسباب يفهمها الجميع. يقول البعض: «مهلاً. لقد حقَّقتم تقدمكم الصناعي، والآن تحدثوننا حول الأوزون وقضايا من هذا القبيل، بينما نحن ما زلنا في حاجة إلى وظائف وإلى تنمية.»

لذا يجب أن نبذل جهداً تربوياً وارشادياً واسع النطاق. وأنا متفائل في هذا الصدد، وأعتقد أنكم تقدرون الحاجة الماسة إلى بعض أجوبة دولية. الأمم المتحدة ناشطة في هذا الميدان.

أما من ناحية التكاليف بالنسبة إلى العالم الثالث، فلننظر إلى البرازيل. هناك

مشكلة في البرازيل، وهي دولة كبيرة. لقد تحدثنا إلى البرازيليين حول ما أرصدوه للبيئة. قالوا بكبرياء السيادة: «من أنتم لتقرروا ما نفعل بغابة المطر؟» وتحدثت طويلاً مع الرئيس البرازيلي هوزيه سارني قبل وقت قريب، وأعتقد أنه يدرك أن ليس من دولة ستحاول تحدّي سلطته، وأن الادخار للبيئة لن يكون مكلفاً لأي بلد نام.

وهكذا يجب علينا أن نقوِّم الوضع على أساس كل بلد على حدة. ونحن على استعداد للمشاركة في قدراتنا التكنولوجية الهائلة من دون أن نجبر الناس على دفع ثمنها. وأنا متفائل بأننا سنعمل بطريقة أفضل لخير البيئة.

س. سؤال أخير. لو تسنّت لكم فرصة الاجتماع إلى طلاب سوفييت والتحدث إليهم لمدة نصف ساعة، فماذا ستكون رسالتكم اليهم؟

ج. سأقول لهم أن يبقوا في الاتحاد السوفييتي وأن يعملوا للتغيير، لأنهم خارجون من حقبة شهدت فشل النظام الاستبدادي. سيشعرون بذلك تلقائياً في أي حال. وسأقول لهم أيضاً: «كرئيس للولايات المتحدة، اسمحوا لي بأن أخبركم أن ليس لدى أي شخص هنا مصداقية قد تكون سبباً في شن الولايات المتحدة هجوماً عسكرياً ضد الاتحاد السوفييتي. لذلك لا تَدَعوا قادتكم ـ وذكرى الخسائر البشرية السوفييتية ما زالت عالقة في أذهانهم ـ يقنعونكم بأن ثمة خطراً من الولايات المتحدة الأمريكية.

«وافهموا أن هذا الرئيس سيتحدث إلى كل مسؤول سوفييتي يلتقيه لإقناعه بهذه الحقيقة، سواء أكان السيد غورباتشيف أم وزير دفاعه ديمتري يازوف، أم مستشاره لشؤون الدفاع سرجي أخروميف. ليس هناك ما يخيفكم ـ أنتم الطلاب السوفييت ـ من الولايات المتحدة. أدخلوا ذلك في رؤوسكم. وهو يعني أن عليكم أن تضغطوا لتحرير جزء أكبر من دخلكم القومي الاجمالي من قطاع الدفاع، ليصب في قناة الاصلاح الاقتصادي. فكونوا جزءاً من التغيير في بلدكم. ساعدوا التحرك نحو الديموقراطية. قد لا تريدون تسميتها كذلك، لكنها هي.»

تنشر هذه المقابلة متزامنة في ١٥ لغة في الطبعات الدولية للـ«ريدرز دايجست»

أسياد القرار

قررت احدى الشركات زيادة الفاعلية في ادارتها عبر حلقات تدريب. فسُمع احد المديرين التنفيذيين يقول «عليّ أن احضر غداً حلقة دراسية حول اتخاذ القرار. لكنني لا أعرف ان كنت سأقرأ الليلة ما كتب حول الموضوع».

س.ج.ر.

الهدية الغالية

طفلة تحتضر
وأملها الوحيد معقود على النِقي المستخرج من عظم واهبة كريمة

كانت ولادة بروك مفاجأة لآل وارد في رالي بولاية كارولينا الشمالية. فقد كانت الأم مرغريت في السابعة والثلاثين من عمرها آنذاك وتعمل موظفة استقبال لدى طبيب أسنان، وكان الأب مايك في الثانية والأربعين ويعمل مديراً لأحد المتاجر الكبرى، وكان لهما ابنان في سن المراهقة عندما ولدت «هدية الحب الصغيرة» يوم عيد ڤالنتين[1] عام ١٩٨١.

نطقت بروك باكراً واستعملت مفردات تتجاوز عمرها وتكشفت عن ذهن فضولي. ولكن بعد مرور أسابيع قليلة على الاحتفال بعامها الثالث وهن نشاطها وتداعت قوتها وباتت تعاني أعراضاً دائمة شبيهة بالانفلونزا. وسرعان ما أكد الأطباء أن بروك مصابة بلوكيميا لمفوية[2] حادة وهو مرض تتكاثر فيه خلايا الدم البيضاء غير الناضجة على نحو يتعذر ضبطه.

إن النِقي، أي مخ العظم، مركَّز في فجواتٍ داخل العظام. والنِقي هو مركز انتاج خلايا الدم في الجسم. وفي حال عدم السيطرة على اللوكيميا التي أصابت بروك فإنها ستجتاح خلايا الدم الطبيعية.

بات محتماً على بروك ووالدتها التوجه كل شهر، طوال السنتين التاليتين، الى مستشفى نورث كارولينا التذكاري في تشابل هيل لمتابعة علاج كيميائي.

وأظهرت بروك شجاعة كبيرة في مواجهة هذه المحنة. وكان أسفها الكبير فقدان خصل شعرها الأشقر الكثيف. ونادراً ما كانت تتكلم عن مرضها، إلا أنها سألت والدتها ذات مرة: «إذا حصل لي مكروه، فهل سترزقين بابنة أخرى؟»

(١) هو عيد العشاق ويحتفل به في ١٤ فبراير (شباط).

(٢) Acute lymphatic leukemia. واللوكيميا، اي ابيضاض الدم، هي نوع من سرطان الدم.

آجابت مرغريت هامسة: «لا، أنتِ الابنة الوحيدة التي أريد.»

إبرة في كومة تبن. تحسنت حال بروك في مارس (آذار) ١٩٨٦ واستمرت في تحسنها حتى سبتمبر (أيلول). ثم كانت الانتكاسة، وتضاءل الأمل في الشفاء. وخضعت العائلة لفحوص بقصد تحديد الفرد الذي يتمتع بأنسجة تتلاءم وأنسجة بروك. لكن أياً من أفراد العائلة لم يفِ بالحاجة.

وهكذا ترتب على بروك أن تعاني مرحلة ثانية من العلاج الكيميائي.

ودخلت في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ سنتها الابتدائية الأولى. وبعد أيام قليلة تعرضت لانتكاسة جديدة وبرزت حاجتها الى زرع لِنقي العظم. الا أن امكان العثور على نسيج ملائم تماماً كان ضعيفاً بنسبة واحد في كل عشرين ألف نسمة.

وقال طبيب في تشابل هيل لآل وارد: «لا تتفاءلوا كثيراً. إننا كمن يبحث عن إبرة في كومة تبن.»

«سنبحث عن هذه الابرة،» ردت مرغريت.

وقع اختيار آل وارد على مركز فريد هاتشنسون للأبحاث السرطانية في سياتل بولاية واشنطن من أجل إجراء عملية الزرع. ومعروف عن هذا المركز أنه الأكثر خبرة في مجال زرع نِقي العظم في الولايات المتحدة. وهو فضلاً عن شهرته في هذا المجال، يقع على مسافة نصف ساعة بالسيارة من ايفريت، مسقط رأس مايك، حيث يمكنهم البقاء مع ذويه أو النزول لدى شقيقته المتزوجة غايل ستابل.

وصل آل وارد الى سياتل في الخامس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني). وأعلن الأطباء في مركز هاتشنسون أن السرطان ينمو بسرعة في جسم بروك. وأدركت مرغريت وزوجها أن أيام ابنتهما باتت معدودة. وأخذت العائلة تصلي راجية العثور على واهب قبل فوات الاوان.

كان انقاذ بروك معقوداً على «السجل الوطني لواهبي نِقي العظم» الذي بدأ العمل فيه في الأول من سبتمبر (أيلول) كنتيجةٍ لصراع فتاة صغيرة اخرى ضد اللوكيميا. هذه الفتاة، لورا غريفز، دخلت التاريخ عام ١٩٧٩ يوم أصبحت أول متقبل لزرع نِقي عظم وهبه شخص لا يمت اليها بصلة قرابة ولكن تجددت إصابتها بالسرطان وتوفيت عام ١٩٨١ عن اثني عشر عاماً.

وعزم والد لورا، روبرت غريفز، على أن تكون وفاة ابنته مثمرة. وغريفز بيطري ومربي أبقار من فورت كولنز. وهو تلقى نداءات لا تحصى من أناس يائسين تناهى اليهم خبر عملية الزرع التي أخضعت لها لورا وناشدوه مساعدتهم على إيجاد واهبين. فأدرك غريفز الحاجة الملحة الى شبكة وطنية لواهبي نِقي العظم، فحضّ جهات معينة على المساعدة، كمركز هاتشنسون ومركز سان بول لخدمات الدم والدكتور جون

هانسن والدكتور جيف ماكالو والسناتور بول لاكسالت. وقد أثمرت جهودهم في النهاية فأنشأت الحكومة الأمريكية «السجل الوطني.»

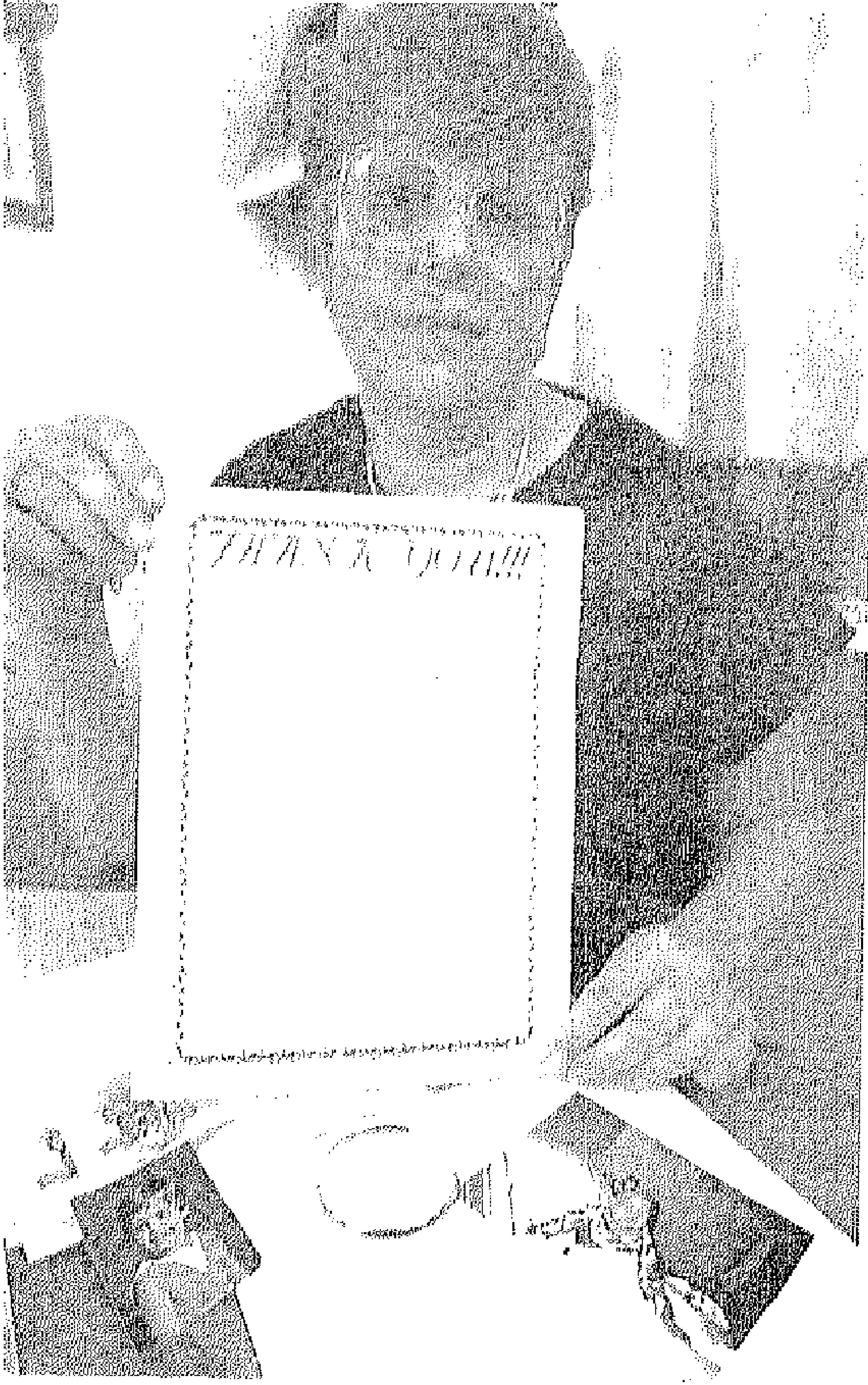
انفصل عن المركز الرئيسي في سان بول، بولاية منيسوتا، سبعة عشر مركزاً لزرع نِقي العظم. وانتشرت هذه المراكز في أنحاء الولايات المتحدة. وتولت ادمغة الكترونية وصلها بخمسين سجلاً محليا تحوي لوائح بسبعة عشر ألف واهب.

لكن هذا السجل لم يفلح بعد في إيجاد التلاؤم الكفيل بانقاذ حياة مريض.

أرسلت ميشال تسلر، المنسّقة في مركز هتشنسون، معلومات عن أنسجة بروك الى مركز سان بول حيث وجد الدماغ الالكتروني ملائماً كاملاً لأنسجتها: ديان والترز من ملووكي. لقد عُثر على «الابرة» في كومة التبن، لكن الوقت ينفد.

«أسرعي، أرجوك!» توسلت تسلر الى غايل باس المشرفة على برنامج واهبي النِقي في مركز الدم في ملووكي.

«أريد أن أهب.» ديان والترز جدّة لأربعة أحفاد، لطيفة الحديث في التاسعة والأربعين من عمرها، وهبت كميات من دمها خلال سنوات، ثم تطوعت كواهبة لنِقي العظم. وقد توفي زوجها قبل عشر سنين وكان مصاباً بالسرطان. وغالباً ما فكرت في مقدار امتنانها لو قدّم أحدهم شيئاً يمنح زوجها فرصة للحياة.



ديان والترز تمسك برسالة الشكر التي تلقتها من آل وارد.

اطلعت ديان على طريقة إجراء العملية في مركز ملووكي. فعرفت أن النِقي سيسحب من وركها بواسطة إبرة. وسوف تتكرر عملية السحب، فالمريض في حاجة الى كمية كبيرة. وتقتضي هذه العملية إخضاع ديان لتخدير عمومي.

سألت والترز: «من المتلقي؟»

قيل لها: «فتاة في السادسة من عمرها.» وهذا كل ما أمكن إطلاعها عليه.

فقالت والترز: «أريد أن أهب.»

بدأت بروك عملية التكثيف التي تسبق الزرع. فخضعت خلال يومين لعلاج كيميائي مكثف بغية قتل الخلايا السرطانية، أتبع بعلاج بالأشعة طوال سبعة أيام للقضاء على كل النِقي في جسمها.

كان الوقت داهماً والوضع خطراً. فبروك في حاجة الى عملية الزرع ضمن أربع وعشرين ساعة من علاجها الأخير بالأشعة، والا فإن البقية الباقية من خلايا النِقي ستتكاثر وتولّد مناعة كافية لرفض النِقي الجديد.

خلال فترة التكثيف فقدت بروك الكثير من مناعتها وباتت عرضة للالتهابات الجرثومية. وحُظّر على أي كان دخول غرفتها من دون قناع. وحاولت بروك الحفاظ على شجاعتها، وأصرت على الا يبكي أحد في حضورها. وذات يوم لاحظت أن أمها تقاوم الدموع فناشدتها: «لا أريد بكاءً يا أمي.» فمسحت مرغريت عينيها.

أجري آخر علاج بالأشعة يوم الاثنين في الرابع عشر من ديسمبر (كانون الأول). وفي هذا اليوم عينه، على بعد ٣٢٠٠ كيلومتر، دخلت ديان والترز مركز ملووكي الطبي. سوف تهب نِقي عظمها في الغد.

استلقت ديان على السرير. وتراءت لها فتاة تشبه حفيدتها سارة. وتصورت أن النِقي الذي سيؤخذ منها سينقذ حياة هذه الطفلة، فبدأت تشعر برابط قوي مع صغيرة لا تعرفها.

رحلة الحياة. استيقظت سيندي كوك نهار الثلاثاء في السادسة صباحاً لتفاجأ بأعنف عاصفة ثلجية عرفتها المدينة منذ ٣٠ سنة. وسيندي مساعدة في مركز الدم، وقد نيط بها نقل نِقي والترز الى سياتل.

بلغت سرعة الرياح في ذاك الصباح ١٠٠ كيلومتر في الساعة. فتساءلت سيندي: ترى هل سنتمكن من الطيران اليوم؟ واتصلت بالمطار فأعلمت بإرجاء جميع الرحلات.

في منتصف الصباح أنهى الأطباء استخراج النِقي من جسم والترز. فوضعت كوك أكياس النايلون الثلاثة التي تحوي المادة الحمراء اللزجة في صندوق تبريد بلاستيكي واتصلت بالدكتور باتريك بيتي في سياتل. فسألها هذا: «هل من طريقة تمكنك من القدوم اليوم؟» ومعلوم أن النِقي يبدأ بالتلف بعد مرور ٢٤ ساعة على استخراجه من الجسم.

فأجابت كوك: «لا أعرف كيف، لكنني سأفعل.»

وفي الحادية عشرة والنصف أُبلغت كوك أن المطار أقفل وأن أقرب موعد لمعاودة الرحلات سيكون في السادسة من صباح الأربعاء.

ناشدها بيتي: «عليكِ أن تأتي بالأكياس اليوم.»

أخيراً، بعد جهد، عثر مركز الدم في ملووكي على طائرة صغيرة مخصصة للحالات الطبية، لكن المطار ظل مقفلاً.

وطلب مركز الدم مساعدة من وليم أودونيل المسؤول الاداري في مدينة ملووكي، فكلّف فريق إزالة الثلوج العودة الى المطار. وتكفّل مكتب الشريف نقل سيندي كوك والصندوق المبرد الى المطار.

وفي الرابعة بعد الظهر فتح مدرج واحد وتوقف سقوط الثلوج. لكن الرياح حولت الثلج الساقط غيوماً متلبدة.

قاد الطيار تيم ستراند (٢٥ عاماً) الطائرة الى المدرج على رغم المخاطر. وخلال ثوان أقلعت الطائرة وحلّقت في الفضاء. تلك كانت الرحلة الوحيدة ذلك اليوم. وهبط ستراند في مطار مينيابوليس الذي لم يكن مقفلاً. وهناك ركبت كوك طائرة تجارية الى سياتل.

حطت الطائرة في سياتل في التاسعة والدقيقة العاشرة ليلاً. وكانت ميشيل تسلر في انتظار سيندي كوك، وأسرعتا معاً الى المستشفى. وعندما سلمتا النِقي الموهوب الى المختبر توجهتا الى غرفة بروك حيث عانقت سيندي مرغريت وأجهشتا بالبكاء.

كلّف آل وارد سيندي كوك اهداء الواهبة سواراً ذهبياً حفرت عليه عبارة: «مع خالص حبي، بروك ١٥/١٢/٧٨.» وارفقت بالهدية صورة لبروك ورسالة نابعة من القلب: «لا نعلم كم كان صعباً عليك أن تصبحي واهبة، أو ما هي ظروفك. كل ما نعلمه أننا شاكرون. وأنك حنونة ومحبة. نتمنى لك حياة مليئة بمثل الفرح الذي منحتِه.»



بروك وارد في منزلها في كارولينا الشمالية بعدما أجريت لها عملية زرع النِقي.

في الثالثة الا ربعاً صباحاً، أي بعد مرور ثماني عشرة ساعة على استخراج النِقي من عظم والترز، أدخل جسم بروك بواسطة أنبوب وريدي. فأصبحت أول شخص يجد واهباً ضمن «السجل الوطني.»

قالت مرغريت: «لقد بذل البشر كل ما في وسعهم. والأمر الآن في يد الله تعالى.»

بعد فترة طويلة ابتسمت بروك للمرة الأولى منذ أيام وقالت: «ماما، بدأت أشعر بتحسن.»

التغطية الاعلامية التي رافقت عملية الزرع أطلعت الواهبة ديان والترز على اسم بروك كاملاً، كما أطلعت آل وارد على إسمها. وباتت والترز تشعر بجاذب أقوى الى بروك، فكانت تتصل بالمستشفى بانتظام للاطمئنان الى صحتها.

أخبار صاعقة. إن الشفاء من عملية زرع النِقي صعب ويستغرق وقتاً طويلاً. فنبذ الجسم للنِقي الغريب، والالتهاب، وعجز النِقي الجديد عن العمل حسناً، فضلاً عن التأثيرات السامة الناجمة عن الأشعة والعلاج الكيميائي، كلها احتمالات مميتة تتربص بالمريض. وتشير الاحصاءات الى أن مريضاً من كل خمسة يهلك من جرائها.

سارت الأمور على ما يرام خلال بضعة أيام. ولكن قبيل الميلاد انتفخ جسم بروك وبلغت حرارتها أربعين درجة مئوية. وأظهرت الفحوص أن كبدها لا تعمل بانتظام. ثم بدأت تسعل دماً. وتضخم قلبها الى ضعفي حجمه الطبيعي نتيجة تجمع السوائل في رئتيها. وتعطلت كليتاها أيضاً فاقتضى اخضاعها للديلزة[٣].

قبل الميلاد بثلاثة أيام تلقى آل وارد أخباراً صاعقة: «يجب نقل بروك الى غرفة العناية الفائقة.»

لقد شاهد والدا بروك مرضى أجريت لهم عملية زرع ونقلوا الى وحدة «العناية الفائقة»، لكن أحداً منهم لم يخرج حياً.

صباح الميلاد أبدت بروك دلالة على أنها قد تنجو، إذ غدت عيناها أكثر اشراقاً وعادت اليها روحها المرحة. وبعد أيام قليلة انخفضت حرارتها وعاد قلبها الى حجمه الطبيعي وتحررت رئتاها من السوائل.

يوم رأس السنة ١٩٨٨، بعدما حصلت مرغريت على التطمينات الضرورية، اتصلت بملووكي وقالت: «سيدة والترز، لم أشأ الاتصال بك قبل الحصول على أخبار طيبة. ولقد تحسنت حال بروك بسبب الهدية الرائعة التي قدمتها اليها.»

وشكرتها ديان على السوار وأضافت: «لكن الهدية الاجمل كانت الصورة. انها مع صور أحفادي.»

بعد أسبوعين ونصف أسبوع على عملية الزرع لاحظ الأطباء أن النِقي الجديد بدأ ينتج خلايا دم بيضاء. كانت هذه أول اشارة واضحة الى أن عملية الزرع نجحت.

واستمر تعداد كريات الدم في التحسن. وبدأت بروك تركب دراجة بثلاث عجلات في ممرات المستشفى. وفي التاسع والعشرين من يناير (كانون الثاني) بعد مرور ٦١ يوماً سرِّحت من المستشفى. ولا تزال بروك تستعيد عافيتها. ويزداد الأمل في شفائها التام يوماً بعد يوم.

وما زالت ديان والترز على اتصال دائم بآل وارد. وهم يتطلعون بشوق كبير الى لقائها. وفي فورت كولينز بولاية كولورادو يقول روبرت غريفز فرحاً: «انه لأمر سار جداً ألا يذهب موت لورا سدى. وهذه لم تكن سوى بداية للسجل. وكلما ازداد عدد الواهبين زادت فرص ملاءمة الأنسجة وزاد عدد المرضى الذن ينقذون.»

جون بيكانن ■

(٣) dialysis أي «غسل» الكليتين.

صور من الحياة

قبلة مصالحة

أذهب مع زوجي إلى السينما مساء كل خميس. وذات خميس تخاصمنا، لكنّي لم أشأ أن أفوّت مشوار السينما. فجهزّت نفسي وجلست في مقعد السيارة الخلفي مظهرة أنني ما زلت غاضبة. وانطلق زوجي بالسيارة. وبعد دقائق أوقفنا شرطي ظن أن زوجي سائق «تاكسي» وقال: «سأنظم فيك محضر مخالفة لنقلك ركاباً من دون رخصة.» فأخبره زوجي أنني زوجته. ففكّر الشرطي لحظة ثم قال: «أصدّقك إن جلست السيدة في المقعد الأمامي وقبّلتك.»
فقبلت العرض بسرور وسط ابتسام الجميع.

أ.س.

امتحان سهل

اشتكت ابنة عمي عندما أتت إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع من صعوبة الامتحانات الجامعية، وأثار قلقها خصوصاً امتحان كانت ستجريه في الأسبوع المقبل. فوعظتها أمّها كالعادة قائلة: «حاولي أن تدرسي هذه المرّة.» عملت ابنة عمّي بنصيحة والدتها فواظبت على الدرس خلال ثلاثة أيام. وعندما عادت إلى المنزل في نهاية الأسبوع التالي، سألتها أمها عن الامتحان فأجابت: «ماما، لست أدري لماذا أزعجت نفسي بالدرس. لقد كان أسهل امتحان قدمته في حياتي!»

د.م.ت.

النكتة المنقذة

بعدما بلغت منتصف عقدي الخامس بدأت أهتم بلياقتي البدنية فتسجّلت في صف للرياضة الحيهوائية. واضطربت عندما دخلت القاعة لأجدها ملأى بنساء أصغر سناً مني، فقرّرت أن أتغلب على عصبيتي بالنكتة وقلت للمدرِّبة: «أنا هنا لأمارس تمارين ما بعد الولادة.» فتفحصتني بنظرها وسألتني: «كم يبلغ عمر طفلك؟»
فأجبتها ضاحكة: «ستة وعشرين عاماً!»

ج.ب.

ألسنة الأطفال

بعد سنوات من عملي سائقاً لحافلة مدرسية أخبرت الأولاد أني سأترك العمل قريباً لأقود شاحنة فاكهة وخضر. فسألني بعضهم لماذا أغيّر عملي. وكنت على وشك أن أعدِّد الأسباب المنطقية، كالمخصصات والأجر الأفضل، عندما نَدَه ولد صغير من المقاعد الخلفية: «أنا أعرف لماذا، الخس والطماطم لا تثرثر كالأولاد.»

ك.ف.



الحب لا يكفي

أفكار مفيدة من طبيب نفساني قد تعيد الوئام بينكما

ليس الرجل وزوجته نسختين متطابقتين. والفوارق التي تميز واحدهما عن الآخر تحملهما على الشجار. لنأخذ، مثلاً، أقوال سامية ورامي.

سامية: «أتشاجر مع رامي حول كل الأمور. بالأمس جرى بيننا شجار قوي حول فتح النافذة ليلاً.»

رامي: «هي تفتحها وأنا أغلقها، فتفتحها مجدداً. إنني لا أطيق النسيم البارد، فهو يزيد حدة الربو لدي.»

سامية: «إنه يدلل نفسه كطفل.»

سألت رامي هل يعلم لماذا تريد سامية ابقاء النافذة مفتوحة.

رامي: «إنها من غلاة أنصار الهواء النقي.»

سامية: «أنا لا أطيق الهواء الفاسد.»

ومثل سامية ورامي هناك أزواج كثيرون يزجون بأنفسهم في أوضاع تستحيل فيها التسوية. إنهم يتخذون موقفاً عنيداً معتبرين أن وجهات نظرهم معقولة بينما وجهات نظر شركائهم غير منطقية. ومتى بدأوا الجدل حاول كل واحد منهم تسجيل نقاط لمصلحته. وبصرف النظر عمن يربح، فإن القضية الحقيقية نادراً ما تسوى.

في مسألة سامية ورامي، تكلمنا مطولاً إلى أن وافقا أخيراً على فتح نافذة الحمّام (المفتوح على غرفة النوم). وهكذا تتنشق سامية هواء نقياً ويتقي رامي النسيم البارد. كانت تلك تسوية سهلة، لكنهما لم يتنبها إليها وحدهما لالتهائهما بتوجيه الملاحظات والانتقادات وبأنانيتهما العنيدة.

إن ما تعلمته سامية وزوجها رامي يمكن تطبيقه على أي شجار زوجي، كبيراً كان أم صغيراً. وعلى كل من الزوجين، عوض الافتراض آلياً أن الشريك على خطأ أو اتهامه بالأنانية أو بالعناد، أن يبذل جهداً صادقاً لتحقيق أربع غايات: أولاً، إيضاح ما يريده كل من الزوجين. ثانياً، تحديد تفاصيل الفوارق. ثالثاً، التباحث في الحلول الممكنة. رابعاً، اختيار الحل الذي يرضي الجهتين.

هناك نوعان من الشجارات الزوجية. في النوع الأول، لا تكون لدى الزوجين خلافات حقيقية، إلا أن أساليبهما في الكلام والاصغاء تكون ملأى بالمشوشات التي تشوه مقاصدهما.

مثلاً، تلاحظ سامية أن رامي تعب:

سامية: «هل تريد زيارة آل نعوس هذا المساء؟»

رامي: «حسناً.»

سامية: «هل تريد الذهاب حقاً؟»

رامي (منزعجاً): «قلت حسناً.»

سامية (مستاءة): «إن كنت حقاً لا تريد الذهاب، فيمكننا البقاء في البيت.»

رامي: «لماذا تخلقين لي المتاعب؟»

سامية (ساخطة): «كنت أحاول أن أراعي شعورك، وأنت تريد مشاجرة.»

اعتادت سامية استدراج رامي إلى قرار ما بملاحظات غير مباشرة وإذا لم يفهم رامي تلميحاتها، كانت تعمد غالباً إلى اسقاط الموضوع أو تشعر بالإهانة. أما رامي فكان يشعر بأنها تتلاعب به من طريق طرحها أسئلة تستدعي إجابة بلا أو بنعم.

في وسع سامية أن تتجنب هذا النزاع بطرحها سؤالاً «مكشوفاً» مثل: «ماذا تحب أن تفعل الليلة؟» فإذا أجاب: «لا أعلم»، أمكنها تجربة سؤال يشتمل على عدة أجوبة يختار منها واحداً، مثل: «هل تريد الخروج أم البقاء في البيت؟» فإذا اختار الخروج، فيمكنها أن تسأله: «هل تريد زيارة أحد أم تفضل أن نكون وحدنا؟» باتباعها هذا الخط، تبين لزوجها بوضوح أكثر أن نيتها هي ارضاؤه، فلا تبدو كأنها تتلاعب به.

أما النوع الثاني من النزاع، أو عدم الانسجام، فيتضمن صراعاً حقيقياً. وهو قد يتعلق بتربية الأطفال أو بالمال أو بتوزيع الاعمال أو بالعطلات أو بالجنس. التسوية هنا قد تكون صعبة، ولكن يمكن التوصل إليها. والطريقة الفضلى، في نظري، هي تحديد مصادر المتاعب وازالتها. وهذه الطريقة مفيدة جداً عند اندلاع الجدل، إلا أن أزواجاً كثيرين يحافظون على «السلام» في

علاقاتهم باتباع هذه الطريقة بانتظام لمنع «الإنفجارات.»

يخرج بعضهم مرة في الأسبوع لتناول الطعام خارج البيت ويتحدثون عن أمورهم خلال وجبة مريحة في مطعم.

ومهما يكن اختياركم، فعليكم اتباع الإرشادات الآتية:

للمتحدثين

اختصروا الكلام. التزموا الأمور الأساسية. وأنصحكم بـ«قاعدة الجملتين» فهي تساعد على التقليل من شأن الملاحظات العدائية المعاكسة.

كونوا دقيقين. عوض أن تقولي: «أتمنى لو كنت أكثر ترتيباً» قولي: «ليتك تعلق المنشفة بعد استعمالها.»

لا تطلقوا العنان للإهانات والاتهامات والملامة. من الأفضل اتباع «قاعدة اللاخطأ» فتقولون مثلاً. «ثمة مشكلة، فلنر كيف يمكننا حلها.»

تجنبوا النعوت. إن تعابير مثل «قذر» أو «أناني» هي أحكام عامة، وقد تكون استفزازية فتدمر محاولة تحديد مصدر المشكلة.

تجنبوا المطْلَقات. فهي لا تستمطر إلا الردود المعاكسة، فأي شريك يفعل أمراً معيناً على الدوام أو لا يفعله أبداً؟

صوغوا عباراتكم بطريقة إيجابية. عوض التذمر: «إنك لا تساعدني في غسل الصحون،» قولي: «أكون شاكرة لو ساعدتني في غسل الصحون.»

لا تحاولوا تحليل دوافع الشريك. فقد تأتي استنتاجاتكم خاطئة مما يغضب الشريك.

للمستمعين

تغاضوا عن العبارات السلبية. عندما يكون الشريك غاضباً أو مجروح المشاعر، فقد يصوغ المشكلة بعبارات اتهامية مبالغ فيها. حاولوا أن تركزوا على سبب الغضب، وتجاهلوا عبارات الملامة.

تحققوا من فهمكم شكوى الشريك. في بعض الأحيان تكون الشكوى واضحة كالمرآة بالنسبة إلى المشتكي، ولكنها لا تكون كذلك بالنسبة إلى المشتكى عليه، أعيدوا صوغ جوهر الشكوى. قولي مثلاً: «أعتقد أنك تعني أنك لن تصبر على تدخلات والدتي بعد الآن.» فإذا رد زوجك بعبارات غامضة وعامة مثل «إنك لا تفين أبداً بوعودك،» فاسأليه عن التفاصيل.

فتشوا عن نقاط توافق. إذا كان الشريك محقاً في تذمره فقولوا له: «إنني أدرك أن عودتي إلى البيت في ساعة متقدمة تقلقك وتضايقك.»

أوضحوا دوافعكم. إذا كنتم تعتقدون أن الشريك أساء فهمكم، اشرحوا له وضعكم من دون أن تعتذروا أو تتخذوا موقفاً دفاعياً.

لا تخافوا الاعتذار. يتضمن الحب تعبيراً عن الأسف عندما نؤذي الشريك.

مع تكشف الحقائق في جلسات حل

المشاكل، ستحرزون تقدماً أفضل إن ركزتم على ما ترغبون في التوصل إليه عوض التركيز على ما يرتكبه الشريك من خطأ. وعموماً، من المحتمل أن تحصلوا على مشاركة الشريك إن ترجمتم شكواكم مطالب. مثلاً، عبارة «إنك لا تحادثني هذه الأيام» يمكن ترجمتها: «هل تعتقد أن في وسعنا تدبر بعض الوقت كي نتحدث قليلاً، أو نخرج لتناول العشاء في مطعم؟»

عندما تطلبون شيئاً تجنبوا عبارات الإنتقاد والإثارة. تقول إحدى النساء لزوجها بازدراء: «أريدك أن تنقل النفايات إلى الخارج كل صباح، هذا إذا كان في وسعك الاستغناء عن بضع دقائق من برنامجك الحافل.» مثل هذه الملاحظات تحبط غاياتكم.

حاولوا استعمال العبارات التي تتضمن «أنا» بدل العبارات التي تتضمن «أنت» فالقول: «إنني أغضب عندما تفعل ذلك،» هو أقل اتهامية من «إنك تغضبني دائماً عندما تفعل ذلك.»

أحد أخطار التركيز على الخلاف هو أنه يؤدي إلى إغفال العوامل الإيجابية في الزواج. ففي جلسات تحديد مصادر المشاكل أرصدوا وقتاً لتلخيص بعض الأمور الجيدة.

غالباً ما أسأل الأزواج أن يدونوا أسبوعياً ملاحظاتهم حول ما أداه الشريك من أعمال تفرحهم. وفي إحدى الجلسات قالت عايدة عارضة ملاحظاتها: «حدثني مروان فيما كنت أطوي الغسيل، مما جعل مهمتي سهلة جداً. واقترح القيام بنزهة أدخلت البهجة إلى قلبي. وعندما عدت إلى البيت ذات مساء منزعجة من أمر حصل لي في العمل، أظهر تعاطفه، لكنه لم يحاول أن ينصّ عليّ ماذا أفعل.»

كذلك كانت قائمة مروان عادية، لكنها في الأهمية ذاتها: «أخذت عايدة بذلتي إلى المصبغة، ليلة الثلثاء كنت متعباً بعد مشاكل في المكتب. فاقترحت عليّ تناول العشاء خارج المنزل والذهاب إلى السينما، مما أنساني حقاً هموم العمل.»

كانت تلك التفاتات بسيطة، لكنها عنت كثيراً لكل منهما. وكما قالت عايدة: «لقد كانت بمثابة هدايا.»

في العلاقات الناجحة يتعلم الزوجان تقبل خصوصيات الشريك. وفي الحقيقة، يتوصل الزوجان في العلاقات الطويلة الأمد إلى تشابه في العادات والاختيار، وإن ظل كل منهما محتفظاً بفرديته وبذكرياته الخاصة.

د. هارون بك ■

أم الطبيب

يوم تخرّج زوجي في معهد الطب أهدته أمه ساعة ذهبية جميلة نقشت عليها هذه العبارة: «عسى أن يكون جميع مرضاك مصابين بوسواس المرض.»

د.م.

ماساة واقعية

«لاتعذبني أيّها التمساح»

خرجت المرأة من فكي التمساح غير مصدقة أنها لا تزال حية

الرحلات على الاقدام امر تتمتع بـه فال بلوموود ويناسب عملها كمحاضرة في الفلسفة البيئية في جامعة مكاري في سدني باوستراليا. اثناء سيرها تستطيع ان تتامل البيئة على نحو اكثر بهجة وتـاثيرا. كانت تحزم امتعتها وتخيم خارجا طوال اربعة ايام ليل نهار. انها تحب الوحدة، وتهوى رائحة الشجر وزقزقة العصافير متاثرة بما في الدنيا من طاقة وقوة.

في فبراير (شباط) ١٩٨٥ سافرت فال (٤٣ عاما) الى المتنزه الوطني في كاكادو في المنطقة الشمالية. هذا المتنزه يؤوي اكثر من ثلث انواع الطيور الاوسترالية. وفال كانت تعلل النفس بدراسة طيوره المائية.

تدبرت امر اقامتها في عربة مقطورة ضمن القاعدة الكشفية في المتنزه، على ضفاف نهر «ايست اليغيتور». وقد اقترح عليها صديق يعمل في المنطقة ان تستعير الزورق الصغير المصنوع من الياف زجاجية والبالغ طوله سبعة امتار ونصف متر والراسي قرب الموقع الكشفي. فهو يتيح لها الوصول الى



المناطق الموحلة التي يصعب بلوغها على الأقدام. وقيل لها انها ستكون في أمان طالما هي تتجنب الجدول الرئيسي وتياره القوي.

كان يومها الثاني الموافق ١٩ فبراير (شباط) ملبداً بالغيوم وقد هطل فيه مطر خفيف. قرابة الحادية عشرة صباحاً انزلت ڤال الزورق الى الماء وسرعان ما شعرت بأنها قلقة كأنما هناك، في مكان ما، شيء يهددها. فجذفت بحذر عكس مجرى النهر في الماء الراكدة عند اسفله. واذا بالريح تتحرك بسرعة ويسقط مطر غزير جعلها تقف بين الحين والحين لتفرغ الزورق من الماء. وهي عادت الى القاعدة الكشفية قبل الموعد المنشود بكثير.

كماشة التمساح. حين وصلت ڤال الى منعطف لفت نظرها ما يشبه قطعة خشبية عائمة مع التيار. فقالت في نفسها: ان هذه القطعة لم تكن هناك سابقاً. وفجأة ادركت ان «للقطعة الخشبية» عينين صفراوين. انها الآن، في مواجهة تمساح، وربما كان هذا الحيوان يراقبها منذ بعض الوقت وهي، بحسها الباطني، دارية بحضوره.

حاولت ان تجذف بعيداً عن التمساح ولكنها مهما فعلت فالتمساح والزورق يبدوان متواطئين. قالت في نفسها: «التيار يجب ان يحملني» ولم يَدُر في خلدها ان التمساح يعترض طريقها.

وإذا بضربة شديدة هائلة تصيب جانب الزورق فتجمد ڤال وتحدّث نفسها: «لا، ان هذا لن يحدث، فالتماسيح لا تهاجم القوارب.»

ولكن ذلك كان امراً حقيقياً، فثمة تمساح يضرب زورقها بعنف.

كان على ڤال ان تأخذ قراراً في اقل من ثانية، فإلى يمينها ضفة رملية يجب ان تقطعها والى يسارها ضفة موحلة ذات انحدار علوه بضعة امتار، وبقربها تنبت من الماء شجرتان اغصانهما منخفضة ومتمددة.

اما التمساح فظل يضرب الزورق الضربة تلو الضربة. حاولت ڤال الاّ تدع الرعب يستولي عليها وجذفت بقوة نحو الضفة الموحلة. وحين بلغتها كان التمساح لا يزال الى جانبها وعيناه الصفراوان تحدقان اليها وهما تقدحان شرراً، فصرخت بصوت عال: «اذهب». ثم وقفت واخذت تلوح بيديها كأنما التمساح كان كلباً عاصياً. اما العينان الصفراوان فظلتا تحدقان اليها من دون ان تطرفا.

كانت ڤال ترتعد خوفاً وهي غير مصدقة ان هذا يمكن ان يحصل لها. اما التمساح فشد ذاته وحدّب ظهره كأنما هو يستعد لمهاجمتها فقفزت هي الى شجرة.

ادركت الغصن الأول وقبل ان تتمكن من الارتفاع الى الأعلى خرج التمساح بسرعة البرق من الماء وامسكها بين ساقيها واطبق فكيه على حوضها ككماشة جبارة حادة.

«**انني سأموت.**» اقتلع التمساح ڤال عن الشجرة، وهي عاجزة عن جبه قوته وغاص بها في الماء وبدأ ما يعرف بأدوار الموت ساعياً الى انهاك فريسته وارباكها.

غدت ڤال كدمية بالية مدقوقة في آلة للغسل، وظنت ان كل تنفس سيكون نهايتها. لم يكن ثمة كثير من الألم انما كان هناك رعب.

قالت في نفسها: «انني سأموت فأنا عاجزة ازاء قوة كهذه.»

وبعد وقت بدا لها ما يشبه الأبدية، توقفت عن الدوران إذ إن التمساح راح يشد بها الى أسفل بغية اغراقها. لكنها ادركت، وهي في ذهول، ان رأسها لا يزال فوق سطح الماء بحيث تستطيع التنفس. وبينما هي تكافح من اجل تنشق الهواء رأت في متناولها غصناً بارزاً من شجرة فأمسكت به بقوة لا تتوافر لغير شخص غارق.

ربما اربك التمساح كون فريسته لا تزال حية نشطة فأطلقها. وإذ انفتح فكاه رمت ڤال بنفسها في اتجاه الغصن واختبأت وراء الشجرة تفادياً للخطر. ولكنها سرعان ما كررت غلطتها وصعدت الى الشجرة.

قفز التمساح مرة اخرى من الماء.

ومرة اخرى ايضاً كان رشاش الحركة وبريق الأسنان الحادة، وجرش الفكين تنصب كلها على جسم ڤال ولكن هذه المرة على القسم الأعلى من فخذها الأيسر. ومرة جديدة انحبس نفس ڤال، فتوسلت الى التمساح: «رجاء لا تدحرجني ثانية.» ولكنه فعل، وفي حلقه هرير.

تحسست ڤال رأسه وصولاً الى عينيه واغرزت اصابعها في تجويفين جلديين، ولكن لم تكن ثمة استجابة فأدركت ان اصابعها كانت في منخري التمساح.

انها لدورة ثانية. قالت في نفسها: «يا الهي دعه ينهيني بسرعة.»

مرة اخرى لمست ذراعها غصن شجرة فأمسكت به بكل ما تبقى لها من قوة. اما التمساح فتملكه الذهول واطلقها ثانية ولكن تمهيداً للإمساك بها ثانية. فدفعت بنفسها في اتجاه الغصن واخذت تدور حول الشجرة. وتفادت هذه المرة محاولة الصعود الى الشجرة فألقت بنفسها على الضفة ولكن هذه كانت منحدرة والطين زلقاً فتزحلقت الى الوراء مرتين، اما في المرة الثالثة فأغرزت اصابعها في الطين واندفعت صعوداً. لم تكن لديها اي فكرة عن مكان التمساح، وهل هو وراءها ام في الماء. ولم تجسر على التطلع الى ما حولها. فقد بلغت اعلى الضفة وهي تعاني الماً شديداً ولكنها حية!

لقد شعرت بابتهاج كبير، فهي افلتت من التمساح خلافاً لكل توقعاتها.

لم تدم نشوة الفرح طويلاً، إذ كان عليها ان تعود الى القاعدة الكشفية، ومن دون الزورق لا بد لها من عبور المستنقع وبعض الروافد على قدميها. ولكن الماء، بالنسبة اليها، موضع رعب.

الصراع من أجل الحياة. عرفت ڤال ان اصاباتها بالغة ولم تكن تقوى على نزع سروالها القصير الممزق لترى تماماً كم هي سيئة حالها، فاستعملت قميصها وصديريتها ضمادة وضاغطة شرايين. من فخذها الأيسر تتدلى قطعة كبيرة، فالتمساح شق العضلات والأعصاب، وبعجيبة أخطأت عضته شريان الفخذ.

انطلقت ڤال وهي تضغط على اسنانها. ذات مرة تمنت الموت اما الآن فتصميمها على الحياة هو الغالب. كل خطوة كانت مؤلمة بالنسبة اليها، ولكن كل تلك السنوات من المشي كانت هناك لتساعدها. فراحت تضع قدماً امام قدم على مسافة ما قائلة في نفسها: «ركزي يا ڤال ركزي.»

هطل المطر بغزارة غسلت الدماء عن رجليها. وكان هناك نور اخضر رمادي مخيف يفجّر كل شيء والحرارة ثلاثون درجة. وڤال تشعر ببرد وغثيان وترتعد رعباً وتأثراً من الصدمة.

خشيت ان تموت ولا يدري احد بما حدث لها. ان البقاء على قيد الحياة بعد صراع مرير مع تمساح ثم الموت هناك في الطين لهو مزاح قاس.

واذ اخذ النهار بالأفول بدأ يتزايد شعور ڤال بالدوار والخوف. فرجلها اليسرى تضطرم ألماً. وكان عليها ان تعبر الجداول مرتين وظلت تتهادى بجانب تلك الجداول حتى وجدت اغصاناً مدلاة تستطيع التمسك بها.

وادركت انها لن تتمكن من الرجوع بنفسها الى القاعدة الكشفية لأنها تقع عبر الماء، ولكنها كلما اقتربت منها زاد حظها في العثور عليها وانقاذها.

فبدأت تزحف وهي تقول في نفسها: «ركزي يا ڤال انت تستطيعين ان تفعلي ذلك، وتعلمين انك تستطيعين.»

بلغت حافة المستنقع، ولا تزال تفصلها عن القاعدة الكشفية فسحة واسعة من الماء. وهي لا تستطيع الذهاب ابعد مما فعلت، فاستقرت في مكان ما واضطجعت تنتظر هبوط الظلام اما فرص بقائها على قيد الحياة فكانت في مهب الريح.

النجدة، النجدة! هبط الظلام على القاعدة ولاحظ الكشاف غريغ ميلز ان لا ضوء في مقطورة ڤال. فتملكه القلق فقرع الباب فلم يسمع جواباً. فتساءل: «اين يمكن ڤال ان تكون في ليلة كهذه؟ ان الساعة تجاوزت الثامنة وكان على ڤال ان تعود قبل ساعات.»

تفقد ميلز مرسى السفن فلم يجد الزورق.

أما ڤال فتوقعت، وهي تتألم، ان تفقد وعيها ولكن ذلك لم يحصل، انما أصابها بعض الهذيان مما جعلها تقتنع بأن التمساح موجود في مكان ما حولها. سمعت كلاباً برية تعوي قربها فقالت في نفسها: «انها لا تؤذي شخصاً متعافياً ولكن ماذا في شأن الضعيف الذي ينزف دماً؟»

شاهدت عبر الماء ضوءًا وسمعت صوتاً بعيداً لمحرك فرفعت نفسها على كوعها وصرخت بكل قوتها عبر الماء القاتم: «النجدة، النجدة!»

ظن ميلز وهو على دراجته انه سمع صوتاً، صراخاً بشرياً، فرفع رأسه وأصغى. فإذا به يسمع الصوت ذاته ثانية وهو آت من مسافة بعيدة. وبدا له بوضوح انه صوت بشري، فنادى قائلاً: «ابق حيث انت، اننا قادمون اليك.» ثم صرخ عالياً طالباً النجدة.

لم تستطع ڤال ان تفهم لماذا اختفى الضوء، فقد يئست وهي ترى ذلك الخفق الضئيل من الأمل يتوارى. وبينما هي مضطجعة كانت افواج من البرغش تضايقها. وكان الخط الفاصل بين الحقيقة والوهم غامضاً. تُرى هل سمعت حركة قارب واصواتاً، فصرخت: «النجدة يا الهي النجدة!»

بحث الكشافون عن ڤال في قنوات المياه الضحلة، وبعد قرابة نصف ساعة سطع نورهم الكشاف المنساب بين جذوع الأشجار على المرأة الجريح المرتعبة. وصدموا عندما شاهدوا جراح ڤال وسمعوا قصتها.

نقلت ڤال الى المستشفى حيث بقيت شهراً كاملاً. كانت اصاباتها شاملة، كما اصيبت بالتهاب جرثومي مضن ناتج اما من طين المستنقع او من اسنان التمساح. ونقلت بعد ذلك الى مستشفى آخر في سدني من اجل اجراء ترقيع للجلد واجراء جراحة اضافية.

بقيت ڤال مدة خائفة الاّ تتمكن من المشي الطبيعي. ولكن الجراحة الماهرة وعزمها الشخصي ساعداها على بلوغ شفاء عجيب. انها تقول: «ثمة ندوب في جسمي وهذه ليست جميلة، كما لا تزال لدي مشاكل رئيسية في عضلات فخذي الأيسر، وما عدا ذلك فاصاباتي كلها شُفيت.»

ماذا عن الندوب النفسية؟

تجيب: «استعدتُ في ذهني مراراً وتكراراً ما قاسيته من التمساح ولكنني اظن انني ممسكة بزمام امري. ان سر التعامل مع الذكريات السيئة هو الاّ نخاف مواجهتها.»

وماذا عن التمساح الذي ربما لا يزال يسبح الى اليوم في مكان ما في «كاكادو نيشونال بارك»؟

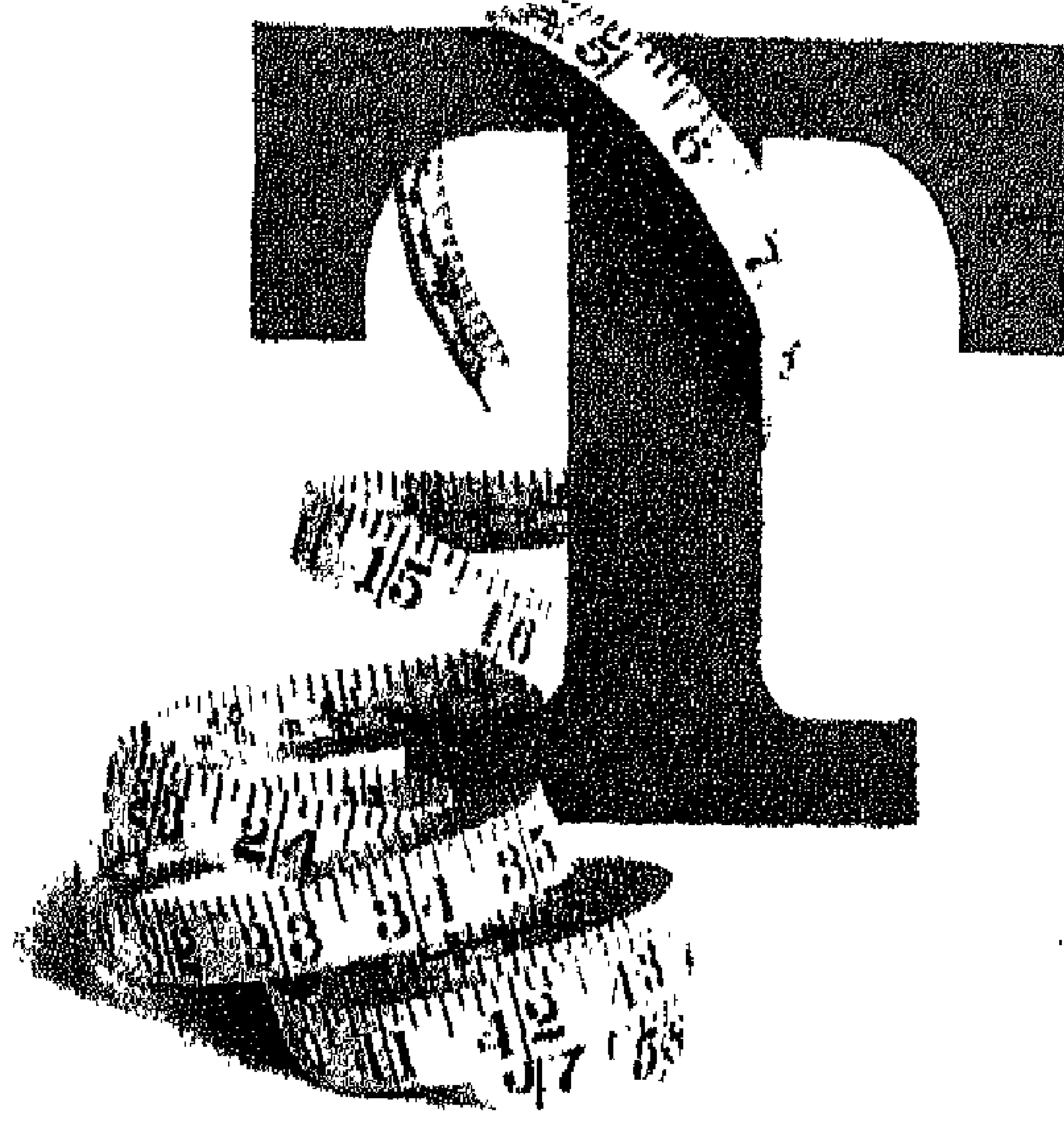
قالت ڤال بلوموود: «كنت دخيلة على منطقته واني اتمنى له التوفيق.»

هيو ادواردز ■

الموضة والاناقة

الفرق بين الموضة والأناقة ان الاولى تقول: «انا ايضاً» بينما تقول الثانية: «انا فقط.»

ل.ب.



نحافة بلا تجويع

حين عرضتُ نظام حمية «العامل T» على المتطوعين في الأبحاث في جامعة فاندربلت، قوبلتُ بوجوه مشككة. فهم لم يصدّقوا أن في إمكانهم انقاص وزنهم بمجرد إبدال المغذّيات التي يتناولونها - الكربوهيدرات المركّبة بدل الدهون - مع السماح لأنفسهم بأن يأكلوا مقدار ما يشتهون. ولكن، كما يقول المثل، التجربة خير برهان.

كان وزني في مرتبة الوسط ضمن النطاق «المرغوب فيه» في جداول الوزن. لكني أحجمت عن التوصية باتباع حمية لم أختبرها بنفسي. ولذا اختبرتها، ونقص وزني ثلاثة كيلوغرامات خلال سبعة أسابيع بمجرد تركيبة حميتي،

فيما نقص وزن آخرين ٣٤ كيلوغراماً خلال سنة.

البوحدة الحرارية، أو الكالوري، هي وحدة حرارية. صح؟

خطأ! إن الكالوري هي وحدة طاقة فعلاً، لكن الأبحاث الحديثة تشير الى أن الجسم لا يعالج الطاقة المستمدة من المغذيات المختلفة بطريقة واحدة. إن الوحدات الحرارية الدهنية هي المسبب الرئيسي للوزن الزائد، لا وحدات البروتيين والكربوهيدرات.

والبروتيين، عادة، ليس عاملاً رئيسياً في ضبط الوزن. وفائض الكربوهيدرات لا يتحول دهناً في الجسم ما لم نفرط في الأكل لمدة طويلة. أما الدهن فله قصة أخرى. إذ أن للجسم فاعلية كبيرة في دمج دهن الطعام في مخزونات دهن الجسم. فإذا أكلت فائضاً من الدهون، وإن كمية أكثر قليلاً مما يلزم، فإن ٩٧ في المئة من الوحدات الحرارية الدهنية قد تختزن حيث لا تريدها أن تكون. يقول أستاذ الكيمياء الحياتية ج.ب. فلات في كلية الطب بجامعة مساتشوستس، ان مفتاح خفض الوزن هو، ببساطة، تناول كمية من الدهن أقل مما يحرقه جسمك يومياً.

وإذا أبدلت الدهن بالكربوهيدرات فقد تحصل على افادة بطريقة ثانية. فحين تأكل كربوهيدرات مركّبة، مثل قطعة خبز من القمح الكامل، يعمل الجسم بجهد أكبر لاستخراج الطاقة، فيخسر بعض الوحدات الحرارية في شكل حرارة. وهذا هو «التأثير الحراري» الذي أدعوه «العامل T.»[١]

ان نظام «العامل T» حمية مغذية يسهل اتباعها ولا تتطلب مأكولات ذات طاقة حرارية منخفضة. وليس عليك أن تهتم بالوحدات الحرارية. أنت في صدد ابدال الأغذية الغنية بالدهن بأخرى فقيرة بالدهن، وعليك في البداية أن تحتسب كمية الدهن بالغرامات الى أن تعرف من أين يأتي الدهن في غذائك. نحن نعرف أن الزبدة والجيلاتي (آيس كريم) والمايونيز أطعمة دهنية، لكن معظمنا لا يعرف أن بين ٥٠ و٧٥ في المئة من الطاقة الحرارية في كثير من منتجات اللحم والحليب وفي الوجبات السريعة والصلصة ومرق اللحم والحلوى، هي طاقات حرارية دهنية.

تدل دراساتنا في فاندربلت على أن المرأة المتوسطة البدانة تستهلك ما بين ٨٠ غراماً و١٠٠ غرام من الدهن يومياً ويستهلك الرجل المتوسط البدانة ٢٠ غراماً أكثر.

أما قاعدة «العامل T» لخفض الوزن فتحدد بين ٢٠ و٤٠ غراماً من الدهن يومياً للنساء، وبين ٣٠ و٦٠ غراماً للرجال. ففي إمكان الرجال أكل كمية من دهن أكثر من النساء لحاجتهم الزائدة الى الطاقة.

ولا تحدد حمية «العامل T» الا كمية الدهن. ومتى استهلكت حصتك من الدهن ففي امكانك تناول ما تشتهيه من

(١) Thermic effect or T-Factor

أطعمة تحتوي على كربوهيدرات مركبة، كالحبوب والفواكه والخضر. ولكن من الحكمة ألا يتدنى استهلاك الدهن الى أقل من الكمية المحددة، لأن الدهن مصدر طبيعي لبعض المغذّيات الضرورية. كما أنه يعطي الطعام نكهة لذيذة. فإذا لم تستهلك بعض الدهن فقد تجوع في وقت أسرع فتفرط في الأكل. لا تحرم نفسك. تمتع بحمية «العامل T.»

طريقة العمل. عندما بدأت عدّ غرامات الدهن دهشت لاكتشافي أني استهلك ١٠٠ غرام يومياً. والذنب يقع على الجبنة والمايونيز. كنت آكل بين ١٢٠ و١٧٠ غراماً من الجبنة الصفراء يومياً، أي ٣٨ غراماً من الدهن. أما المايونيز (٤ غرامات من الدهن في ملعقة صغيرة) فقد دأبت على أكله طوال حياتي.

بدأت عملية الابدال بالجبنة البيضاء القليلة الدسم (حلّوم) وخفضت استهلاك المايونيز بمعدل الثلثين. وحرصت حين أتناول الجبنة الصفراء على الا تزيد كمية الدهن على ٦٠ غراماً في اليوم. لم يكن من الصعب خفض ٤٠ غراماً من الدهن في الجبنة والمايونيز. وبما أني لم أكن بديناً فقد كان نقص وزني بطيئاً. وعندما نقص وزني ثلاثة كيلوغرامات استقر على هذا المستوى.

وهنا طريقة العمل بحمية «العاملT»:

ابدأ بجمع معلومات عن عدد غرامات الدهن في الأطعمة المختلفة لتكوّن مختزناً عقلياً. دقق في ملصقات الأطعمة التي تأكلها والتي تبيّن عادة كميات الدهن في الحصة الواحدة، وأحياناً كمية الدهن المشبع وغير المشبع.[٢]

أما خفض الدهون الحيوانية ففيه فوائد جمة إضافية، لأن هذه الدهون مشبعة الى حد عالٍ وتزيد مستوى الكولستيرول الذي هو أحد أسباب مرض القلب.

دوّن في مذكرتك استهلاكك من الدهن بالغرامات، حتى تغدو ملمّاً بمحتويات الدهن في أطعمتك العاديّة. وما هي الا بضعة أسابيع حتى تكون استوعبت هذه المعلومات الجديدة في ذاكرتك.

تحتوي غالبية الفواكه والخضر على غرام من الدهن، أو أقل، في كوب واحد. وتحتوي رقائق الذرة (كورن فليكس) عادة على غرام من الدهن في الحصة. وفطور عادي من فاكهة أو عصير، ورقائق ذرة مع حليب مقشود، وقهوة، يحوي ما بين غرام وثلاثة غرامات من الدهن. أما اللبن القليل الدسم المزوج بالفاكهة أو بمشتقات الحبوب فيحتوي على أربعة غرامات دهناً أو أقلّ.

أما وجبات الغداء، ففيها مشكلة إذا كانت دائماً خارج البيت. فسلطة سمك التنّ أو الدجاج أو المحار في المطاعم تحوي ما بين ١٠ غرامات و٢٠ غراماً من الدهن في حصة من نصف كوب، بفضل المايونيز. أما السلطة العادية

(٢) Saturated and polyunsaturated fats

فتحوي ما بين ٦ و٩ غرامات من الدهن في ملعقة صغيرة من الزوائد (زيت وجبنة).

وأما الحساء الخفيف، بالعدس والرز والخضر، فيشكل غداءً لذيذاً ومغذّياً وشبه خالٍ من الدهون. والتن المعلّب بالماء يحتوي على غرام من الدهن في حصة من ٨٥ غراماً، واذا كان معلّباً بالزيت فيحتوي على ٧ غرامات. والخبز المقطّع للسندويشات يحتوي على نحو غرام من الدهن في كل شريحة. ولحم الدجاج أو الديك الرومي (الحبش) يحتوي على غرام من الدهن في كل ٣٠ غراماً. ولحم البقر يحتوي على ٦ غرامات.

قابل محتوى هذه الوجبات بـ ٥٦ غراماً في «غداء سريع» نموذجي مؤلف من قطعة «تشيزبرغر»[٣] تزن ١٢٠ غراماً (٣٣ غراماً دهناً) وبطاطا مقلية (١٢ غراماً دهناً) وشوكولاتة مثلجة (١٣ غراماً دهناً).

وإذا كان العشاء وجبتك الرئيسية فلا تستهلك أكثر من نصف كمية الدهن المحددة خلال الفطور والغداء، تاركاً النصف الآخر لوجبة العشاء.

«انه سهل!» حين تخطط الطبق الرئيسي تذكر أن قطع اللحم المدهنة تحوي ضعفي، أو ثلاثة أضعاف، كمية الدهن في قطع اللحم الهبر. وكل ما هو مقلي قد يحتوي على ثلاثة أضعاف كمية الدهن. واليك كميات الدهن في أصناف اللحم الهبر (في كل أونصة أي نحو ٣٠ غراماً) من الشرائح المطهيّة: لحم مشوي (٣ غرامات)، صدر دجاج مسلوخ (غرام واحد)، فخذ دجاج مسلوخ (غرامان). ومعظم السمك الأبيض يحوي قرابة غرام في كل ٤ أونصات.

أضف كل ما تريد من الخضر والبطاطا والرز والحبوب الأخرى والمعكرونة (من دون دهن مضاف) والفاكهة. ان عشاء من سمك أو دجاج أو خالياً من اللحم، يترك مجالاً لتناول أونصة من الجبنة الصفراء مع الفاكهة، أو «مكافأة» من ٩ غرامات دهناً. ولوجبة خفيفة في المساء جرّب الفشار (بوب كورن) من دون زبدة.

والآن، كم ستفقد من وزنك باتباع هذه الحمية؟

في دراسة سريرية في جامعة فاندربلت تطوعت مجموعة نساء متوسطات العمر يزيد وزنهن ٢٧ كيلوغراماً على المعدل، فاتبعن حمية «العامل T» مع ممارسة تمرين خفيف كالمشي لمدة ٤٥ دقيقة يومياً. فنقص وزنهن بمعدل ٣ كيلوغرامات في الأسابيع الثلاثة الأولى، ثم نصف كيلوغرام كل أسبوع لاحقاً. ونقص وزن بعضهن أكثر من ٧ كيلوغرامات في الأسابيع الخمسة الأولى. ومع خفض استهلاكهن للدهن توصّلن الى تناول عدد أقل من الوحدات الحرارية، وكمية أكبر من الطعام في آن. ولم يعرفن الجوع مطلقاً.

(٣) اي همبرغر مع جبنة.

تلك كانت دراسة مضبوطة ومراقبة بدقة. ولكن كيف يعمل نظام الحمية في عالم الواقع؟

بعد الاستماع الى محاضراتي في التغذية والبدانة، عزمت ثماني شابات وشاب واحد تراوح أعمارهم بين ١٩ و٢٢ عاماً على احتساب غرامات الدهن التي يتناولونها واتباع برنامج حمية «العامل T» لمدة أقلها أسبوعان، كجزء من مشروع صحي دراسي في جامعة فاندربلت. فكان معدل نقص الوزن لدى الشابات نصف كيلوغرام أسبوعياً خلال المشروع المحدد لأسبوعين. وعندما عاينت المجموعة من دون اعلام سابق في نهاية الفصل الدراسي بعد عشرة أسابيع، وجدت جميع أفرادها ملتزمين نظام حمية «العامل T» وقد حققت الشابات نقص الوزن الذي سعين اليه (٢،٥ كيلوغرام لكل شابة) وحافظن على هذا النقص. ونقص وزن الشاب ٥ كيلوغرامات في شهر واحد وحافظ على هذا النقص لاحقاً.

فكيف تسنّى لهؤلاء الطلاب الجامعيين التزام حمية «العامل T» حتى وهم عائشون في حرم الجامعة؟

جاء الجواب على لسان إحدى الشابات التي لاحظت: «انه سهل ويعطي نتيجة.»

د. مارتن كاتان■

الكاتب أستاذ مادة علم النفس ومدير «برنامج ضبط الوزن» في جامعة فاندربلت بولاية تنيسي.



قانون ظالم

عندما دخلت زوجتي المستشفى قبل سنوات للخضوع لعملية جراحية، كان محظوراً على الاولاد دون ١٢ سنة زيارة المرضى. وبدا أن ابنتنا البكر، وعمرها ١١ سنة، تفهّمت الامر، لكنّ اختها ابنة السنوات الست استصعبت تقبّله، ولم نكتشف سبب كآبتها الدائمة الا حين سمعناها تتحدث الى والدتها عبر الهاتف للمرة الأولى. فعندما قالت لها وداعاً صرخت والدموع تنهمر من عينيها: «سوف أراك عندما أبلغ الثانية عشرة، يا ماما!»

ا.م.ب.

يُعجب معظم الناس بالخاسر المرح، شرط ان يكون شخصاً غيرهم.

ا.ل.

الضحك خير دواء

شركة للشحادة

وقف رجل يستعطي عند زاوية الشارع حاملا في كل يد قبعة. فتوقف أحد المارة وألقى قطعة نقود في إحدى القبعتين ثم سأله: «لماذا تحمل القبعة الثانية؟» فرد الرجل: «ازدهرت أعمالي أخيراً فقررت أن افتح مكتباً فرعياً».

ل.و.

«رأسي كبير يا أمي!»

قال الصبي لأمه باكياً: «كل الأولاد يسخرون مني ويقولون إن رأسي كبير.» فخففت أمه عنه قائلة: «لا تعرهم اهتمامك، فرأسك جميل جداً. الآن كفّ عن البكاء واذهب إلى الدكان واشترِ لي خمسة كيلوغرامات بطاطا.»

ـ اين سلّة التسوّق؟

«استعارتها جارتنا. استعمل قبعتك.»

ج.ا.

لا معلّق... ولا مطلّق

كانت طائرة الركاب معلقة فوق المحيط الأطلسي عندما أذاع القبطان: «انتبهوا، أيها الركاب. لقد تعطل أحد محركات الطائرة، لكننا نستطيع بلوغ لندن بالمحركات الثلاثة الباقية. ولكن سينجم عن ذلك تأخر ساعة عن ميعاد الوصول.»

وبعد ساعة أعلن القبطان مجدَّداً: «أسف، لقد فقدنا محركاً آخر. ما زلنا نستطيع اكمال الرحلة بالاثنين الباقيين، ولكن أخشى أن نتأخّر ساعتين في الوصول.»

ولم يمضِ وقت طويل حتى سمع الركّاب صوت القبطان من جديد: «احزروا ماذا. لقد تعطل المحرك الثالث، ولكنْ رجاءً تأكدوا أن محركاً واحداً يكفينا للطيران، وإن كنا سنصل الى لندن متأخرين ثلاث ساعات.»

وهنا ثار أحد الركاب فصرخ: «وأيم الحق، اذا فقدنا محركاً آخر فسنظل معلّقين هنا طوال الليل!»

ن.س.م.

وميض ذكاء

قاد سمير سيارته عائداً من مرآب السيارات ومعه زميله نبيل. وبعد قليل قال سمير: سأنعطف الى اليمين، فهلا اخرجتَ رأسك من النافذة وأخبرتني ما اذا كان ضوء الاشارة يعمل؟»

أطلّ نبيل برأسه من النافذة وقال: «انه يعمل، لا، نعم، لا، نعم، لا، نعم...»

ب.س.م.

تقرير خاص

هل نخسرُ حَرْبَ المخدّرات؟

تعكس الطريقة الامريكية لمكافحة المخدرات الفوضى التي تدار بها الحرب ضد المهربين والمروجين في العالم

□ ما ان استكشف الرادار الامريكي في جزر الباهاما طائرة صغيرة مثيرة للريبة تتجه شمالاً حتى طاردتها الجمارك الامريكية ووحدة اعتراض تابعة لادارة مكافحة المخدرات. وما هي إلا لحظات حتى رمت الطائرة في عرض البحر حزمة بدت كأنها تحوي مخدرات، ثم تابعت طيرانها. ولمّا لم يتفق الرأي بين الجمارك ووحدة الاعتراض حول من يلازم الحزمة ومن يطارد الطائرة، انسلّ الطيار هارباً، ومر قارب التقط الرزمة وانطلق.

□ قبض ضباط المخدرات في مدينة نيويورك على سانتياغو مارتينز بعدما تسلم أحد الباعة رزمة هيرويين صغيرة من بين ٢٣ رزمة كان يخبئها هذا داخل كنزته الفضفاضة. ولما كانت هذه المرة السادسة يقبض فيها على مارتينز، فقد طلب المدعي العام سجنه سنة كاملة، لكنه سجن لمدة ٦٠ يوماً فقط. وخلال عشرة أشهر تلت اطلاقه أوقف أربع مرات اخرى بتهمة حيازة مخدرات.

□ بعدما سُجن مهرب الكوكايين ماكس مرملستاين في ميامي حيث يركز نشاطاته، تدبَّر امر تسليم شحنة كوكايين وزنها ٥٥٠ كيلوغراماً كان خبأها في أحد المستودعات. ولم يكلفه ذلك سوى قطعة نقدية وضعها في هاتف السجن.

إن استخلصت من الوقائع أن الولايات المتحدة تُحقق القليل بما يُدعى حرباً ضد المخدرات، فأنت على حق. فالبلاد تصرف مليارات الدولارات لمعالجة هذه المعضلة، يتبدد معظمها في

ضروب من الفوضى والضعف والتنافس وسوء الادارة.

وأعلنت ادارة الرئيس بوش استراتيجيتها التي طال انتظارها، ودعت الى موقف يتصف بالصرامة على كل مستويات الحكم. ولكن من أجل ربح حرب المخدرات يتعين على الولايات المتحدة أن تعدِّل النقائص الخمس التي أفسدت جهودها السابقة. إزاء ذلك عليها:

١. التوقف عن اعطاء الاعتبار الاول لحقوق المجرمين. لقد سيطرت مافيا المخدرات في العام ١٩٨٨ على مجمع للأبنية العامة في روكويل غاردنز بشيكاغو. فابتزّت السكان المرهَبين، وتبادلت اطلاق النار على الارصفة، وأدارت سوقاً مشرَّعة الابواب للمخدرات. وفي سبتمبر (أيلول) من السنة نفسها أطلقت سلطات الاسكان في شيكاغو «عملية كنس وتنظيف» بقصد ايقاف تدفُّق المخدرات من طريق «منع دخول مَن لا ينتمي الى المكان.» وكان على الزوار أن يُبرزوا هوياتهم، وسُمح للمقيمين فقط بالدخول بين منتصف الليل والتاسعة صباحاً. وبعد «كنس» مبنى واحد فقط انخفض معدل الجريمة في المجمَّع السكني بنسبة ٣٢ في المئة، وغمر السكان فرح عامر. لكنَّ «الاتحاد الامريكي للحريات المدنية» أقام دعوى بحجة أن العملية انتهكت حريات السكان المدنية. فاضطرت السلطات الى أن تتخلى عن اجراءات منع التجول والتدقيق في الهويات.

وبنتيجة هذا الامر انتقلت حرب المخدرات الى الشوارع وباحات المدارس والمكاتب والمصانع والمجمعات السكنية. ومع ذلك غالباً ما تُتَّهم السلطات بانتهاك الحقوق المدنية والحريات اذ تحاول أن تكون حازمة في ساحات القتال هذه. والتحديات، التي تعود الى عشرات السنين من أحكام غير واقعية أصدرتها المحاكم الاتحادية، تعني أنَّ السلطات المحلية، وإن شاءت القيام بمهماتها، فهي في معظم الأحيان عاجزة عن ذلك.

تعوق أعمالَ الشرطة على امتداد الولايات المتحدة قاعدة حصريّة تمنع تقديم البيّنة الحاسمة عندما ينتهك مسؤولوها، حتى عن غير قصد، الاصول المتبعة في التقصّي والاعتقال. وحتى عندما يستحصل رجال الشرطة على مذكرات تفتيش، يبقى في وسع المدعى عليهم التهرُّب من العقاب.

في خريف ١٩٨٨ فتشت الشرطة حجرة صغيرة لتظهير الافلام، واكتشفت كيلوغراماً من الكوكايين ثمنه ٣٤ ألف دولار، وأحد عشر مسدساً اضافة الى كاتم للصوت. فأوقف مظهِّر الافلام على الفور. وكانت الشرطة حصلت على الاذن بالتفتيش بعد تقديم قرائن شاملة تثبت توقعاتها. غير أن قاضياً آخر أعلن بطلان الحجة واعتبر التفتيش انتهاكاً لحقوق المظهِّر، فأطلق.

ويتمتع الاحداث بحقوق اضافية.

فلقد قضت المحاكم في نيويورك بأن للمذنبين الاحداث الحق في المحاكمة ضمن مهلة لا تتعدى التسعين يوماً. فاذا كانت النيابة العامة غير جاهزة لتقديم البراهين الحسية، ترفض المحكمة النظر في الدعوى، وإن تسبب المدعّى عليه نفسه في التأخير.

وفي العاصمة واشنطن، الموبوءة بالمخدرات، حيث طاولت جرائم القتل ٢٧ طفلاً في العام ١٩٨٩، صوّت مجلس المدينة مرتين لمصلحة فرض حظر تجوّل على الشبان دون ١٧ سنة. لكن الاتحاد الامريكي للحريات المدنية أقام دعوى أسقطت الحظر.

يقول ستيفن ماركمان، المدعي العام الاتحادي في مدينة ديترويت: «الفكرة القائلة بأن الدستور الامريكي معادٍ للحرب ضد الجريمة هي سوء تفسير له». فالمسؤولون المنتخبون يجب أن يكونوا أحراراً في ممارسة سلطتهم الشرعية من أجل حماية الذين يمثّلونهم.

٢. **زيادة عدد السجون.** عندما سألَتْ «مجلة القانون الوطني» المدعين العامين في الولايات المتحدة عن مشكلتهم الاولى في محاربة المخدرات، جاء الجواب: ضيق السجون.

من أسباب ذلك أن المحاكم الاتحادية بدأت في السبعينات تطبيق النصوص الدستورية في ما خص منع «العقاب القاسي وغير العادي» بالنسبة الى اوضاع السجون، مثل حجم الزنزانة ونوعية الطعام والعناية الطبية والتسهيلات الاستجمامية والهيئات المسؤولة والمؤن. وقد خفضت هذه المعايير المفروضة من المحاكم عدد الاسرَّة المتاحة. ويخضع ٣٥ سجناً اتحادياً وعدد لا يحصى من السجون المحلية، لأمر قضائي يحثها على تخفيض حشر السجناء.

استجابة لاوامر كهذه يجري إطلاق أعداد ضخمة من السجناء. وليس أدل على ذلك من قصة الرجل الذي قبضت عليه شرطة فيلادلفيا في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ بجرائم السرقة والاعتداء الفاحش، وأُطلق بكفالة. وما لبث أن أوقف مجدَّداً بعد شهر بجرم حيازة كوكايين «مع التصميم على توزيعه»، لكنه أطلق بكفالة مالية. وقد تجاهل مواعيد المحاكمة فتوارى حتى مايو (أيار) ١٩٨٨ حين قبض عليه من جديد بتهمة ترويج الكوكايين. ومرة أخرى أطلق من دون كفالة فور احتجازه بسبب شدة الازدحام في السجن. وفي السنة التالية أوقف ثلاث مرات لبيعه الكوكايين وأُطلق لعدم توافر مكان له في السجن. ولم يسجن الا بعد توقيفه للمرة السابعة في يونيو (حزيران) ١٩٨٩.

لكنّ على البلاد أن تنفق على السجون ما تقتضيه الحاجة. فالسجون الاتحادية تضم أعداداً من النزلاء تفوق بنسبة ٦٠ في المئة قدرتها على الاستيعاب، لذا باشرت الحكومة الاتحادية بناء عشرة سجون جديدة. كما طلب الرئيس بوش

تخصيص مبلغ ١،٥ مليار دولار لبناء ٢٤ ألف زنزانة.

بيد أن بناء سجون جديدة يحتاج الى نحو ثلاث سنوات. لذلك لجأت الادارة الحكومية الى بديل رخيص هو «معسكرات تدريب مجندي البحرية» الواقعة غالباً ضمن القواعد العسكرية المتوقّع اقفالها، حيث يتلقى الجانحون الاحداث «صدمة الحجز.»

على سبيل المثال، يقضي برنامج الانضباط الصارم في معسكر المسيسيبي باستيقاظ الجانحين في الخامسة فجراً، وتنظيف الثكن والقيام بالتمرينات ورفع العلم. ويُقسم نهارهم بين التعليم المدرسي والتدريب العسكري الصارم. ان معسكر التدريب غير مكلف وآمن وفعّال في خفض نسبة الارتداد الى الجريمة.

٣. محاربة المخدرات في منابعها.

تعتبر حقول «الكوكا» في وادي هوالاّغا الأعلى في البيرو مصدر نصف الكوكايين المهرَّب الى الولايات المتحدة. فالحقول هناك محددة المواقع والوصول اليها سهل. ومنذ ١٩٨٧ تجري الولايات المتحدة والبيرو اختبارات على مبيدات أعشاب بهدف القضاء على هذه المحاصيل. ولكنْ في ربيع ١٩٨٩ تحالف الثوار مع تجار المخدرات وعمدوا الى اغتيال عدد كبير من رجال الشرطة المحلية، مما اضطر رئيس البيرو آلان غارسيا الى تقليص برنامج المكافحة.

تأتي معظم المخدرات المستهلَكة في الولايات المتحدة من أماكن أخرى من العالم، وينتجها اشخاص معروفون في أماكن محددة. لكن الاخطار والتعقيدات الديبلوماسية التي تحوق بالحرب الدولية ضد المخدرات تجعل بعض الرسميين يترددون في خوض غمارها.

وليس أدل على ذلك من نتائج «عملية بلاست فورناس» (الفرن المتفجر) التي نُفذت في العام ١٩٨٦ في منطقة تشابار في بوليفيا، حيث كان ينمو ربع انتاج العالم من الكوكايين. فقد طَلَبتْ الحكومة البوليفية ارسال قوات وطوافات أمريكية للمساعدة في تحديد مواقع حقول الكوكايين واتلافها.

أثناء «عملية بلاست فورناس» أقفلت سوق «الكوكا» عملياً في بوليفيا، كما يقول توماس كيلي، المدير المساعد في جهاز المخدرات بالولايات المتحدة. ومع ذلك، يحتمل ألا تتكرر العملية، لأن استخدام أمريكية فجّر اتّهامات مفادها أن الولايات المتحدة انتهكت سيادة بوليفيا.

لكنَّ قضية السيادة يجب أن تكون دافعاً لتخطيط عملية جديدة مدروسة بعناية، لا أن تكون سبباً للرفض. وبدل القيام بعمليات تترك مجالاً للتأويل كعملية «بلاست فورناس،» يتعين على الولايات المتحدة أن تجد طرائق لتكرر مثل هذه العملية من دون المس باستقرار المنطقة، كما يقول المساعد السابق لوزير الخارجية إليوت أبرامز.

والأكثر إلحاحاً هو وضع خطة فاعلة لمناطق مثل وادي هوالاغا. وكل سياسة لا تتضمن خططاً محددة لاتلاف محاصيل محددة هي تهرُّب من المسؤولية وليست استراتيجية.

٤. تحديد المسؤوليات. في العام ١٩٨٩ كان عملاء الجمارك الامريكيين في مندوشينو بكاليفورنيا يتربصون بسفينة تحمل عشرة أطنان من الماريوانا الكولومبية. وكان مخبر يتحدث بالراديو الى السفينة، من على الشاطىء، ويحاول اقناع ربّانها باعتماد مكان «مناسب» لتفريغ البضاعة. لكن وحدة من خفر السواحل، لم تكن على علم بالعملية، سمعت مصادفة رسائل الراديو وقاطعتها. ففرت السفينة وتبخّرت خطة ايقاعها في الشرك.

كذلك تغلب الفوضى على أساليب معالجة السلطات الاتحادية لقضايا المخدرات. فقد كشف تحقيق أجراه الكونغرس أن الولايات المتحدة لم تنفق على الاطلاق مبلغ ٧٧٧ مليون دولار اعتمدته السلطات الاتحادية لبرامج ارشاد المدمنين وعلاجهم واعادة تأهيلهم. والسبب أن قواعد الانفاق كانت محددة على نحو جعل تطبيقها أمراً غير عملي.

وأسوأ من ذلك تحوُّل ٥٨ وكالة حكومية تعمل في مكافحة المخدرات مستنقعاً للخصومة وسوء الادارة والازدواجية والتبذير. وبقيت الحال كذلك إلى ان صدر في العام ١٩٨٨ قانون جديد يعتمد منسِّقاً عاماً لسياسة المخدرات الاتحادية. عندئذ عيّن الرئيس بوش وليم ج. بينيت وهو وزير سابق للتربية، ليكون ما سمي «امبراطور المخدرات.»

واذا كان على «الامبراطور» أن يمارس الرقابة التي ينطوي لقبه عليها، فانه سوف يحتاج الى دعم قوي من بوش والى تدخُّل أقل من الكونغرس حيث يشرف نحو ٧٠ لجنة رئيسية وفرعية على مكافحة المخدرات. فالمسؤولية يجب أن تتولاّها هيئة موحدة في كل مجلس اشتراعي. ولا يمكن ربح حرب المخدرات اذا تصرّف كل جندي كقائد.

٥. وضع اللوم في موضعه. يبدأ الناس تعاطي المخدرات لاسباب متعدِّدة. لكنّ الحقيقة المرَّة هي أن كل فرد مسؤول عن أعماله، أكان لجهة بدئها أم لجهة التخلّي عنها. ومسؤولو الولايات المتحدة لم يتفهموا هذه الحقيقة. يقول الدكتور تشارلز ر. شوستر مدير «المعهد الوطني لاساءة استعمال المخدرات»: نحن ننظر الى الادمان نظرتنا الى مرض مزمن، مثل التهاب المفاصل أو السكري، اكثر مما هو مشكلة قابلة للعلاج». ومن نتائج هذه النظرة أن الادمان يُعتبر في بعض الحالات «إعاقة» استناداً الى القانون الذي يحمي المعاق من التمييز الوظيفي.

إن الطريقة التي تُحمِّل الافراد مسؤولياتهم هي جعلهم يدفعون الثمن. وعمليا، هذا الثمن ليس باهظاً. ففي مدينة نيويورك، مثلاً، يقتصر الحكم على معظم المدانين باقتناء المخدرات بحجزهم «احتياطاً» ليوم أو يومين ريثما يصدر قرار الاتهام في شأنهم.

من جهة أخرى، أطلقت مدينة فينيكس بولاية أريزونا في العام ١٩٨٩ برنامجاً متشدداً شعاره «تعاطَ المخدرات تُسجن» مع دروس للامة بأسرها. يقول الملازم جون بوكانان العامل في وحدة المخدرات الاقليمية: «نحن لا نكتفي بمصادرة المخدرات وكتابة التقارير، بل نقود المذنبين الى السجن ونغلق بابه بعنف وراءهم.»

تُصادَر السيارات التي تباع فيها المخدرات أو تُستهلك المخدرات. وفي بادىء الامر يُخيَّر المدعى عليهم بين المحاكمة وسنة من العلاج على حسابهم الخاص (في حدود ٢٠٠٠ دولار). ويتضمن العلاج اختبارات اجبارية لسبر المناعة ضد المخدرات.

كان بن دالاس (اسم مستعار) مدمناً المخدرات منذ ١٢ سنة حطّم خلالها زواجين وأودى بوضعه المالي الى الحضيض. لكنّ توقيفه في فينيكس وضع حدًّا لادمانه؛ فهو لم يرغب في دخول السجن. يقول: «خُيِّرت بين الانقطاع عن المخدرات والذهاب الى السجن، فاخترت الانقطاع.»

في الحرب ضد المخدرات ليس العدو حالة كيميائية أو وطنية أو اجتماعية، بل هو كل فرد يبيع المخدر أو يستهلكه. أو يتغاضى عنه. وان مليارات الدولارات المقتطعة من الضرائب لانتشال البائسين من بؤرة المخدرات تُعتبر مسروقةً من جيوب المواطنين بفعل تجار المخدرات ومروجيها وكل مواطن يشمّ الكوكايين.

ان الحاجة ماسة الى قوة الشكيمة وصدق العزيمة والغضب الاخلاقي لجبه هذا العدو. ويتعين التزام هذه المبادىء على جميع الاصعدة، من مواطنين وقضاة ومسؤولين في جميع المستويات. والا فلا فائدة من صرف الملايين.

راكيل فليك ■

تحذير!

احتاج صديق لي الى جراحة كانت ستُجرى على يد ابنه الطبيب الجرّاح. وإذ هو ممدّد فوق طاولة العمليات في انتظار البنج العمومي، التفت الى ابنه قائلاً: «سمير، لكي نضع النقاط على الحروف، هناك أمر أودّ أن تعرفه: اذا اصابني أي مكروه، فإنّ امك ستنتقل للعيش معك.»

ك.ف.

كاسباروف نجمُ الشطرنج

سريع الانفعال صريح عدواني لقد حوّل هذا الرجل «لعبة الملوك» رياضة قتالية تجذب الملايين



«انا محارب»، يقول هذا الرجل القوي البنية الوسيم القسمات الذي يرتدي بزة التدريب الكحلية ويضيف «ميدان القتال ورائي في السابعة من عمري. يداي ملطختان بالدم».

يمشي الهوينا، متمايل الكتفين كسائر الرجال الذين يتمتعون بصدر عريض وعضلات مفتولة. اما خطواته فسريعة كانها سلسلة تفجرات طاقة غاضبة. ولكن، خلافا لظهره، غاري كاسباروف ليس ملاكما ولا لاعب هوكي ولا مبارزا. ولعل الرياضة التي يمارسها اكثر وحشية، على طريقتها، من هذه الرياضات. انه بطل العالم في الشطرنج.

يقول كاسباروف: «عندما تخسر تموت». لم يسبق ان وُصف الالم المتأتي من الشطرنج بهذه الدقة. في هذه المعركة الفذة التي تدور رحاها في حلبة خيالية من اربعة وستين مربعا سوداً وبيضاً، يتحكم اللاعبان باثنتين وثلاثين قطعة جميلة بين شاه وفرزان وفيل وفرس ورخ وبيذق. وتبدأ المعركة

ILLUSTRATION JAMES BARKLEY

المعقدة ولا تنتهي إلا بالقضاء على الخصم. هنا يعصر اللاعب ذكاءه وإبداعه وقوة شخصيته في مواجهة خصمه. وعندما تنتهي اللعبة يتحطم غرور الخاسر الذي كشف عن ذهن وشخصية دون المستوى.

إن لعبة الشطرنج مصنفة كرياضة في الاتحاد السوفييتي. وكاسباروف أشهر اللاعبين، فالناس في الاتحاد السوفييتي وخارجه تعشق هذا اللاعب الشاب البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وتُطلب تواقيعه بالملايين، وترسل اليه المعجبات عروض زواج مغرية. وخلافاً لسائر ابطال الشطرنج الذين يعكسون صورة عن صمت المفكرين، فإن كاسباروف صريح وسريع الانفعال. لقد طغى عليه هاجس النصر منذ طفولته وكان يتفادى حملات التهجم قبل ظهورها، وينقض على اعدائه لا يثنيه شيء عن هدفه الأوحد. وباحتراس، ينعم النظر في الافق في انتظار تحد جديد.

هوس الشطرنج. ولد غاري وينساتين (أخذ لاحقاً شهرة أمّه) في الثالث عشر من ابريل (نيسان) ١٩٦٣ في مدينة باكو عاصمة جمهورية اذربيدجان على بحر قزوين. وكان أبوه كيم مهندساً وأمه كلارا مهندسة. وظهرت موهبة غاري الخارقة قبيل بلوغه عامه السادس، اذ تمكن من حل لغز شطرنج معقد اقتطعه والده من صحيفة وطرحه بعدما عجز عن حله.

أراده والداه موسيقياً. لكنهما فقدا الامل في ذلك، فأدخلاه صفوفاً للشطرنج في «قصر الرواد الصغار» في باكو. إلا أن تفوقه على أترابه وضعه باكراً في مباريات مع الكبار. وهكذا انتهت طفولته في السن السابعة أو الثامنة. وبعدما سجل «غاريك» الصغير إنتصاراً ساحقاً على خصومه المحليين، تسلّق سلم مرتبات الشطرنج الوطنية السوفييتية. وجمع من دون عناء بين الدراسة وممارسة الشطرنج، لأن ما يتمتع به من ذكاء ساعده على التعمق واستظهار الكتب بما يشبه فاعلية الدماغ الالكتروني.

استحوذ الشطرنج على تفكير غاري. وذات يوم، وكان في التاسعة من عمره، أدخل المستشفى لاستئصال الزائدة الدودية. وتملك الهلع ذويه عندما عاده عمه في غرفته ولم يجده في سريره. عندئذ قادته ممرضة إلى مكتب مجاور للغرفة حيث كان «غاريك» يخوض عشر جولات ضد عشرة أطباء في آن.

في السن العاشرة إشترك غاري في مباريات وطنية. وفي الحادية عشرة صنّف سابعاً في فئة الابطال السوفييت الصغار. وهنا لفت انتباه الصحافة الغربية للمرة الأولى. وكتب ليونارد باردن في صحيفة «ذي مانشستر غارديان»: «لدينا مرشح مفضّل للفوز في بطولة العالم سنة ١٩٩٠. إنه غاري وينستاين من باكو، وعمره أحد عشر عاماً» وقد صحّ تخمين باردن مبكراً

خمس سنوات. والسرعة التي حقق بها غاري هذه المكانة في عالم الشطرنج القاسي، ونجاحه المتواصل، يتطلبان شخصية فذة. لكن الواقع أن غاري كان يملك سلاحاً سرياً ماضياً هو علاقة مميزة بوالدته.

جاذبية قرصان. ترملت كارلا وهي في الثانية والثلاثين من عمرها، وكان غاري في السابعة. فقررت أن تنذر نفسها لابنها ولعبقريته. في البدء كان دخلها متواضعاً، فكانت تستدين المال لتكون إلى جانبه خلال المباريات السوفييتية الكبرى وعندما أصبح غاري أحد أشهر لاعبي الاتحاد السوفييتي أخذت ترافقه في رحلاته الخارجية كلما منحت تأشيرة خروج. ومتى تعذر عليها الأمر كانت تبقى على اتصال هاتفي دائم به. وما زال غاري، إلى اليوم، يحرص على الاتصال بها كل ليلة تقريباً. ويقول: «إنها أفضل صديق لي، فنحن متفقان تماماً.»

على مرّ السنين كان دعم كلارا حافزاً عجيباً لابنها. ولعل أقصى ما بلغه كان في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ عندما انتزع بطولة العالم بعد مباراة مرهقة «مزدوجة» على أناتولي كاربوف، البطل المتوج و«حبيب» هيئة الشطرنج السوفييتية المحافظة.

أنهى انتصار كاسباروف على كاربوف عهد الطغيان الجماعي في الشطرنج الموروث من أيام ستالين. وبانتصار غاري باتت «هيئة الشطرنج السوفييتية» في وضع حرج ازاء هذا البطل المتفرد. ومنذ ذلك الوقت وهي تحاول ايجاد طريقه للتعامل مع هذا الذئب المستوحد المزعج الذي يرفض التزام القواعد التي احترمها اسلافه.

إن حيوية كاسباروف في اللعب وقوة شخصيته تجعلان منه بطلاً دولياً. وهو رأسمالي بالفطرة، باع توقيعه لسلع تجارية - رقعة شطرنج الكترونية، ومياه معدنية انكليزية، وساعة سويسرية ذهبية باهظة الثمن - رافعاً دخله السنوي إلى أكثر من مليون ونصف مليون دولار. ويقول مدير أعماله البريطاني أندرو بيج: «لا أدري ما إذا عرفت اللعبة بطلاً جذاباً من قبل. كل ما أعرفه هو أن غاري جذاب، والشباب يحبونه لأنهم يجدون فيه ما يذكر بالقراصنة. إنه محارب مغامر فعلاً.»

تيار جديد. أصبح الشطرنج بفضل كاسباروف احترافياً كرياضات المدرَّجات. غير أن التقليديين في «هيئة الشطرنج السوفييتية» وفي «الاتحاد العالمي للشطرنج» تملكهم غضب شديد عندما استغل غاري حضور أعظم لاعبي العالم في «أولمبياد الشطرنج» الذي أقيم في دبي (دولة الامارات العربية) في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ لتأسيس «اتحاد الاساتذة الكبار» وهو مجموعة مستقلة تماماً. ويشكل هذا الاتحاد تهديداً مباشراً لـ «الاتحاد العالمي

للشطرنج» المفترض أن يكون محايداً، لكنه في الواقع خاضع للسوفييت. وجمع كاسباروف من بعض الشركات الغربية مبلغ مئتي ألف دولار لافتتاح دورة كأس العالم في بروكسل في ابريل (نيسان) ١٩٨٨. ويتوقع كاسباروف أن تمنح جوائز بقيمة ٩٠٠ ألف دولار في مباريات بطولة العالم (١٩٨٩ ـ ١٩٩٠).

لكن المال وحده لا يفسر هذه الظاهرة التي تدعى كاسباروف. فغاري ناقد جارح لسلطات الشطرنج في بلاده وينوي إصلاح عالم الشطرنج بكامله: «أريد ترويج الشطرنج في أنحاء العالم، لذا علينا أن نؤسس وحدة إحترافية حقيقية تضم كل الذين يلعبون لكسب معيشتهم. يجب إسقاط مافيا «الاتحاد العالمي» و«هيئة الشطرنج السوفييتية.» إن عالم الشطرنج التقليدي يهابني لأنني أمثل تياراً جديداً، ويعلم أن هذا التيار قد يتحول عاصفة.»

غير أن هذا التيار الجديد لم يكن ليرى النور لولا النصف الأول من المباراة على بطولة العالم التي بدأت في موسكو في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤. حتى ذلك الوقت اكتفى كاسباروف بالطاعة، لكن محاولة «الاتحاد العالمي للشطرنج» و«هيئة الشطرنج السوفييتية» انتزاع البطولة منه حوّلته منشقاً حقيقياً.

لقد تمكن هذا اللاعب البالغ من العمر واحداً وعشرين عاماً من الفوز على خصومه في جولات التصفية والوصول إلى الدور النهائي. ولم يعد يحول بينه وبين التاج سوى هذه المباراة الوحيدة. لكنه لم يعلم أن من المفترض فيه ألا يربح. لقد كان للسوفييت بطل أعدوه لبلوغ القمة، وهو أناتولي كاربوف العضو في «اللجنة المركزية لمنظمة الشباب.» وكاربوف في الثالثة والاربعين، بارد كآلة. ولا يتمتع بمظهر جذاب، لكنه روسي قح.

خسارة مشبوهة. استغرقت المواجهة أكثر من خمسة أشهر وباتت أطول مباراة للبطولة في تاريخ الشطرنج. بدأ كاسباروف اللعب بطاقة تفاؤلية مميزة، غير أن عبقرية كاربوف الدفاعية الشبيهة بنسج العنكبوت مكنته من التقدم أشواطاً على خصمه، ففاز في أربع مباريات خلال أقل من شهر. وبعد سبعة أسابيع لم يتبقَّ لكاربوف سوى مباراة واحدة لتحقيق الانتصارات الستة المطلوبة للفوز باللقب.

لم يسبق أن صمد لاعب بعد خسارة خمس جولات متلاحقة وغياب أي انتصار. لكن كاسباروف بدأ الآن ما وصفه المعلّق على مباريات الشطرنج البريطاني ريموند كين بأنه «أروع دفاع تعويضي حققه لاعب في أي رياضة عرفها التاريخ المدوّن.» لقد تبنى بحكمة تقنية كاربوف الدفاعية التي مكنته من انتزاع نصر تلو آخر، وبدأ البطل ينهار. وفي ديسمبر (كانون الاول) فاز كاسباروف للمرة الاولى.

استمر فوز كاسباروف حتى آخر يناير (كانون الثاني) عندما ربح جولة أخرى. وفي الجولة التالية التي أقيمت في أوائل فبراير (شباط) فاز كاسباروف بخمس نقط في مقابل ثلاث لخصمه. وبدا واضحاً أن كاربوف تعب وأصبح مشوش الذهن. فساد الهلع أعضاء «اتحاد الشطرنج السوفييتي» واتصل بفلورنسيو كامبومانس رئيس «الاتحاد العالمي للشطرنج» الذي أسرع إلى موسكو وألغى المباراة وعيّن لها موعداً آخر في سبتمبر (أيلول) التالي.

وثار كاسباروف. وأوردت الصحافة العالمية استياء عالم الشطرنج من تلك المناورة. وبات كاسباروف حامل رسالة هي تدمير «مافيا» الشطرنج وانتزاع السلطة على بطولة العالم من «الاتحاد العالمي للشطرنج.» وهو قال: «اكتشفت أن الشطرنج كبقية أنواع الرياضة عندنا، يتأثر كلياً بالسياسة.»

بطل العالم. في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ عزم كاسباروف على تعويض الاساءة، واعتبر الجولة الثانية من مباراته ضد كاربوف ثأراً شخصياً. هذه المرة فاز بسهولة بعد ثمانية أسابيع، وهلل له مؤيدوه الذين احتشدوا في قاعة تشايكوفسكي في موسكو وهم يهتفون: «غاري! غاري!» مما حدا أحد منظمي المباراة على اعتلاء المنصة والصياح: «سكوت! أذكركم بأنها مباراة شطرنج لا كرة قدم.»

حافظ كاسباروف على هدوئه حتى بلغ المنزل الذي شغله مع والدته ومدربيه خلال فترة المباراة. هناك راح يذرع الغرف لمدة ربع ساعة متباهياً بانتصاره. وهو أخبرني بروية: «ان داخلي طاقة هائلة أشعر بها تهدر في اللحظات الحرجة، تماماً كالوهج الذري. أما كاربوف فعلى النقيض تماماً، إنه جبل من جليد.»

بعد ثمانية أشهر، امتحن غاري طاقته المتوقدة ثانية ضد «جبل الجليد.» فربح المباراة بفارق ضئيل جداً. وبعد سنة واجه خصمه الجليدي مرة أخرى. في هذه المباراة سجل كاسباروف اللحظة المثيرة الفريدة في تاريخ الشطرنج.

أقيمت مباراة بطولة العالم للعام ١٩٨٧ في اشبيلية باسبانيا وحددت بأربع وعشرين جولة موقّتة، على أن تسجّل نقطة واحدة لكل انتصار ونصف نقطة لكل تعادل. ويحق لكل لاعب ساعتان ونصف ساعة لتأدية النقلات الاربعين الأولى. بعد ذلك يرجأ اكمال المباراة إلى اليوم التالي. واللاعب الذي يسجل ١٢،٥ نقطة يعتبر فائزاً. وإذا تعادل اللاعبان بنتيجة ١٢ ـ ١٢، فإن كاسباروف، المتوج بطلاً حالياً آنذاك، يحتفظ باللقب العالمي.

طوال أكثر من شهرين «تقاتل» البطلان وراوحا بين مدّ وجزر في تعادل ظاهري. وبعد انقضاء اثنتين وعشرين جولة كانت النتيجة ١١ ـ ١١ وثلاثة إنتصارات لكل لاعب وستة عشر تعادلاً.

وبات في امكان كاسباروف تأمين انتصاره بمجرد الفوز في الجولتين المتبقيتين. لكنه ارتبك وخسر في الجولة التالية، وأصبحت النتيجة ١٢ ـ ١١ لصلحة كاربوف الذي كان بات يحتاج إلى نصف علامة لاسترجاع البطولة. وتعين على كاسباروف أن ينتصر بعد ظهر اليوم التالي.

ورسم غاري خطة. يقول بيج مدير أعمال كاسباروف: «غاري أعظم لاعب هجوم في العالم، لكنه بدأ المباراة بلعب هادىء متروّ. وقبع متربصاً بأصغر فرصة، حتّى اذا ما سنحت انبرى يسدد الضربات.» ووجد مبتغاه في النقلة الثالثة والثلاثين عندما حرّك كاربوف فرساً بخطوة ركيكة مكّنت كاسباروف من الرد بقوة بواسطة الفرزان (الملكة) في حين لم يتبقّ لكاربوف إلا ثوان معدودة.

تدبّر كاربوف أمر التأجيل وهو تحت تأثير الصدمة. وفي اليوم التالي، التاسع عشر من ديسمبر (كانون الأول)، أعلن انسحابه في النقلة الرابعة والستين. وضجّت القاعة بالهتافات واستمر التصفيق المتناغم عشرين دقيقة.

مرّة أخرى حقق غاري المستحيل.

إن موهبة كاسباروف وسحره وتفانيه في سبيل إبعاد الشطرنج عن السياسة وجعله رياضة في متناول الجميع، عناصر جعلته بطلاً فريداً في تاريخ اللعبة. ووضعه كشخص عظيم الشأن أمّن له مسكناً رحباً في موسكو، لكنه كثيراً ما يعود إلى باكو لزيارة أمه كلما سنحت له الفرصة. فهناك يمكنه الاسترخاء ولعب كرة المضرب وكرة القدم والغطس وخوض سباقات السباحة الطويلة والمشي السريع.

وبعد تمضية بضعة أسابيع راحة في باكو يعود إليه توهجه فيطير إلى قاعات المباريات المنتشرة في أنحاء العالم. وهو اليوم يستعد لمباريات بطولة العالم التي ستقام في ليون بفرنسا في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٠. ويرجحّ الخبراء أن منافسه سيكون كاربوف مرة أخرى. يقول غاري: «علي أن أستمر في الفوز، لأنني لا أساوي شيئاً من دون لقبي. أعرف أنني أقاوم النظام بكامله، وقد تجدون كلامي وقحاً، لكنني دائماً أفي بوعودي.»

إن قلة من ملايين المعجبين تشكك في كلامه.

رودولف شلمنسكي ■

مفارقة

ترى لماذا لا تظهر على المستشارين الحاليين علامات الثراء الذي يعدون بتحقيقه لك؟

د.ل.

هبوط الحرارة قاتل رهيب

قد تتعرض للخطر بسبب هبوط الحرارة في جسمك

حفزت فاجعة رياضية الباحثين على اجراء دراسة، هي الأكمل، في شأن تأثير الطقس البارد على الجسم البشري. ففي العام ١٩٦٤ اقيمت مسابقة جماعة الـ «فور إينز» لقطع مسافة ٧٢ كيلومترا على الأقدام في امتداد الأرض البريطانية السبخة الوعرة في طقس مروّع، انهمر فيه المطر بغزارة وبلغت درجة الحرارة حدود التجمّد كما عصفت الرياح بسرعة ٤٧ كيلومترا في الساعة. وعلى رغم ان المتسابقين، وعددهم ٢٤٠ كانوا في قمة لياقتهم البدنية، فقد صمد ٢٢ منهم فقط. وعانى اربعة آخرون حالات خطرة وقضى ثلاثة نتيجة توقف القلب.

وحسب الأطباء، كان بعض المتسابقين يرتدي اقل من نصف الثياب التي يحتاج اليها واكل ٢٠ في المئة مما يقتضيه السباق والأحوال السائدة. وادى ذلك الى شعور المشتركين ببعض الهبوط في الحرارة(١) - اي نقص في الحرارة في صميم الجسم يحتمل أن يكون قاتلاً.

الوف الناس يموتون سنوياً او يصابون بالشلل لعدم تقديرهم الكافي اخطار الطقس البارد. ولا تحتاج الأعضاء الداخلية الى حرارة ادنى من

(١) Hypothermia

الصفر (اقل من ١٨ درجة مئوية تقريباً) حتى تفقد حرارتها. يقول الدكتور كاميرون سي. بانغز وهو خبير في اضرار الطقس البارد في اوريغون بولاية اوريغون الأمريكية: «تحصل حوادث كثيرة في طقس بارد معتدل. والمعرّضون، خصوصاً، هم الأولاد الصغار بسبب سرعة هبوط حرارة اجسامهم التي تفوق سرعة هبوطها لدى الراشدين كذلك المسنّون الذين يفتقرون غالباً الى التغذية الصحيحة او يتناولون ادوية تبدل استجابة الجسم للحرارة والناس ذوو الغدد الدرقيّة الخاملة ومتّبعو الحمية، يضاف اليهم استثنائياً النحاف ومدمنو الكحول.

وفي ما يأتي ست خطوات في امكانك القيام بها لتفادي اخطار هبوط الحرارة:

تناولوا كفاية من الطعام. ان متّبعي الحمية والزائدي النحافة يعانون غالباً هبوط حرارة في درجات يستطيع سواهم ان يقاوموه. والسبب هو ان ليس لديهم العازل الذي توفره الخلايا الدهنية. والى ذلك فإن أجسادهم تحتوي كمية أقلّ من «الوقود» اما من الطعام واما من الدهن، لتحويلها حرارة. ويقترح الخبراء ان تتزودوا وجبات خفيفة ذات طاقة حرارية مرتفعة في حال ترقب بقائكم طويلاً خارج منازلكم.

تفادوا الزموهة. ان تفادي الزموهة[٢]، او جفاف الماء، مهم. خصوصاً اثناء التمرين. فنقصان السائل نتيجة العرق واستنشاق الهواء الجاف قد يخفّضان حجم الدم على نحو مهم. ويقول الدكتور جيمس أ. ولكنسون منقّح كتاب «الدواء لتسلق الجبال»: «لا يستطيع الدماغ والقلب تأدية وظيفتيهما على الوجه الصحيح من دون الدم المشبع بالأوكسيجين.» ونصيحة: «اشربوا زائداً من السوائل قبل انطلاقكم في نشاط خلويّ طويل في الهواء الطلق واصطحبوا شراباً ساخناً.»

تجنّبوا الكحول. إن القليل من الشراب يعطي وهما بالدفء لأنه يوسّع الأوعية الدموية ويأتي بدفع من الدم الى الجلد. ولكن هذا يأخذ الدم من الأعضاء الداخلية مما يخفض سرعة حرارة الجسم.

اعرفوا تأثير الأدوية. ان بعض الأدوية كتلك التي تضبط ضغط الدم وتقاوم الكآبة، وبعض أدوية القلب، تؤثر على استجابة الجسم لتغيرات الحرارة الخارجية. إن ملصقات التحذير غير ملزمة دائماً. فاسألوا طبيبكم عن الأخطار الكامنة في وصفة تعطى لكم.

ارتدوا ملابس ملائمة. كثيرون من المخيّمين يصابون بهبوط في الحرارة اثناء الصيف. يقول الدكتور بانغز: «انهم ينطلقون بملابس خفيفة في وقت

(٢) Dehydration

تهبط الحرارة في ليالي الصيف الى ما بين ٥ و١٠ درجات مئوية. والحل: وضّبوا ملابس كافية وموقداً لتسخين السوائل «تحسباً للحاجة اليها.»

وتذكّروا ان الملابس الخفيفة تشبه القشرة الرقيقة الخارجية وهي قادرة على منع الريح من الاختراق. والملابس الفضفاضة المتعددة الطبقات تضبط طبقات من الهواء مما يوفر عازلاً إضافياً وتتيح لكم ان تزيدوا ملابسكم او تخففوها كلما تغيرت الأحوال.

وهناك اربعة امكنة يجب إيلاؤها اهتماماً خاصاً: ١. الرأس والرقبة. يتأتى منهما ثلث النقص في حرارة الجسم، لذلك من الواجب تأمين قبعة ولفاع. ٢. اليدان. يقترح الخبراء قفازات واقية ضد الماء لليدين لتأمين «غلاف» من الهواء الدافىء. ٣. القدمان. يوصي الخبراء لهما بأحذية واسعة مع جوارب صوفية مكتنزة ضد الماء. ٤. الخصر: يجب حمايته بملابس تحتية دافئة ومريحة باعتدال، وملابس خارجية واقية ضد الريح.

حافظوا على الجفاف. حين يتبخر الماء يعجّل في تبريد جسمكم من طريق امتصاص الحرارة. حاولوا تقليل العرق بارتدائكم ملابس خفيفة والعمل ببطء. ارتدوا ملابس خارجية تطرد الماء وتتيح لأجسامكم ان «تتنفّس.» فإذا كنتم مبللين او تشعرون بالبرد فتجنّبوا الريح ذلك بأن «قشعريرة الريح قاتلة» حسب الدكتور تشارلز س. هوستن وهو خبير في امراض طبقات الجو العليا. ان هذه التدابير الوقائية تساعدكم كثيراً في تفادي هبوط الحرارة، ولكن يحدث احياناً ان يقرع البرد ناقوس الخطر. وكثيرون منا خبروا الإشارات الأولية لهبوط الحرارة داخل الجسم مثل الارتجاف وهو طريقة الجسم في زيادة سرعة الأيض وتوليد الحرارة، والتبويل المتكرر نتيجة زيادة نشاط الكلى. وليس في اي من هذه الأعراض ما هو خطير، ولكن كليهما يتطلبان ملابس اكثر وسوائل ساخنة ووقاية ضد عناصر الطبيعة.

وإذا استمر التعرّض للبرد فستظهر عندئذ أعراض هبوط «معتدل» للحرارة تتمثل في الانذهال وغلاظة في الحركة وموقف سلبي غريب. يقول الدكتور بانغز: «نموذجياً، اذا بدت على احد اعضاء فريق تزلج اعراض هبوط معتدل في الحرارة فإنه يتخلّف ويبدو عليه الارتباك ويفقد اهتمامه بنشاط الفريق. فهؤلاء الضحايا يحتاجون الى مساعدة عاجلة. فانقلوهم الى اماكن اكثر دفئاً، وابدلوا بالثياب الجافة ثيابهم المبلّلة، وزودوهم زجاجات ماء ساخن وضمادات او حجاراً مدّفأة وقدموا اليهم سوائل ساخنة او دعوهم ينامون في اكياس للنوم مع اشخاص آخرين.

ان احدى الإشارات الرئيسية الى هبوط الحرارة العميق هي توقف الارتجاف وفقدان الوعي. حينذاك

تحتاج الضحية الى عناية طبيـة. وعلى سبيل التحذيـر: تنصح معظم المـراجع الطبية بعدم محاولة اعادة تدفئة الفاقد للوعي. وان افضل السبل هي نقله الى مستشفى باسرع، والطف ما يمكن.

وواضـح ان فقدان حـرارة الجسم الداخلية هو حالة يجب الا ينظر اليها باستخفاف. وهناك حالياً فئات كثيرة من الناس تمارس نشاطات تواجه فيها خطر هبـوط الحـرارة ـ مثـل المتسلقـين، الصيّـادين، صـائـدي السمـك، راكبي الدراجات، المهرولين، المتنزهين بالزوارق، السباحين، وهواة المشي مسافات طويلة وحتى المتقدمين في السن الذين يغفون على المقاعد في المتنزّهات.

إذاً، مـا هي افضل الطـرق لتفادي فقدان حرارة الجسم.

يجيب الـدكتور ولكـرسون: «كـونوا ملمّين بالحالة واتخـذوا الخطوات التي ينصح بها الخبـراء لكي تحولـوا دون حدوثها.»

ستانلي ل. انغلبارت ■



اغراء الجواهر

كنت أتسكع يوماً في شارع تجاري عندما استوقفتني امرأة وسألتني: «أليس في هذا الشارع متجر للحلي والمجوهرات؟»
فأجبت: بلى، سيري الى الامام في خط مستقيم، فهو أول محل بعد التقاطع.»
شكرتني ومشت في الوجهة المعاكسة. فناديتها: «اعذريني، ألم تفهمي شرحي؟»
قالت: «بلى، لكنني لا أريد المرور امامه كي لا اقع في تجربة!»

أ.ك.

مقاييس النجاح

في نهاية السنة الدراسية يعلن الاستاذ أن العلامة النهائية ستقرر في ضوء مقالة يكتبها كل طالب وتراوح بين خمس صفحات وسبع.
فسأل أحد الطلاب: «وهل ننجح اذا كتبنا ثلاث صفحات فقط؟»
أجاب الاستاذ: «قد تنجح اذا وفيت الموضوع حقه من البحث في ثلاث صفحات.»
حيئنذ رفع طالب آخر يده وساله: «وماذا اذا عالجناه بركاكة في ثماني صفحات؟»

س.أ.م.

الذوّاقة شَره يستعين بالقاموس.

م.ف.

هالوين!

ماذا يحدث في ليلة الرعب هذه ؟

أحب عشية عيد «هالوين»* والتفرج على الأولاد الصاخبين في ثيابهم التنكرية. ولكن حين يطرقون بابي وأفتح لهم لا أسمع من صخبهم شيئاً.

هذا ما يحدث في بيتنا على الأقل. يقف الأولاد هناك صامتين، غير واعين أنني فتحت الباب. إنهم عميان كالخفافيش، لأن عيونهم ليست متراصفة مع ثقوب أقنعتهم.

ثقوب النظر غير المتراصفة عادة قديمة تمارس في هذه المناسبة، وتعود على الأقل إلى فترة طفولتي. وأذكر في هذه المناسبة كيف كنت أتهادى ذهاباً وإياباً وأنا متنكر في زي شبح وعاجز عن رؤية أي شيء سوى ملاءة السرير. لذلك كنت أصطدم بالأشجار أو أسقط في الغدران، وكانت ذروة انجازاتي الشبحية ما حققته عام ١٩٥٤ عندما اصطدمت بمؤخر حصان.

أولاد اليوم لا يرتدون الملاءات، بل أزياء جاهزة ووجوهاً تمثل شخصيات وحيوانات مختلفة. ولكن يسرني أن ثقوب النظر لا تزال غير متراصفة مع العيون.

لذلك، عندما أفتح الباب عشية الـ«هالوين»، أواجه ثلاثة أبطال خياليين أو أربعة يبدون مثيرين للرعب ولكن لا يتجاوز طول الواحد منهم تسعين



(*) هو عيد تقليدي يحتفل به خصوصاً في الولايات المتحدة وكندا عشية ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) فيدور الأولاد في الشوارع مرتدين ثياباً تنكرية.

... MIAMI HERALD (OCTOBER 23, '88).

سنتيمتراً ويديرون وجوههم في اتجاهات مختلفة. يقفون هناك صامتين بضع ثوانٍ ثم يهسّ في الظلمة وراءهم صوت شخص بالغ: «أعطونا حلواناً أو نحتالَ عليكم!»

إنه صوت أبي العجوز الطيب الذي يفضل أن يكون في البيت يشاهد التلفاز، لكنه يشعر أن من واجبه مرافقة الأولاد في هذه المناسبة ليتأكد من أن أناساً مثلي لا يضعون شفرات حلاقة في قطع الحلوى.

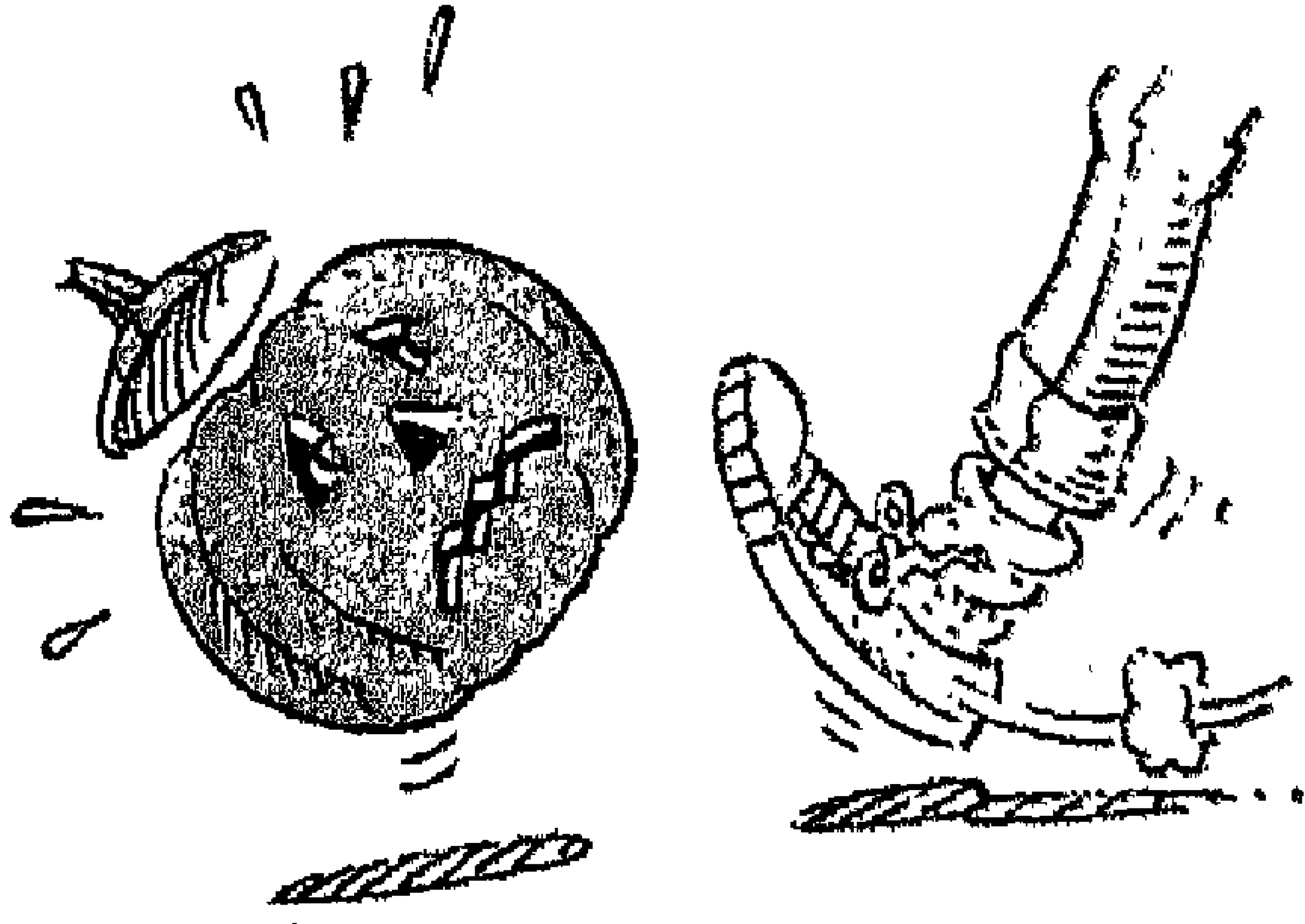
وأشعر بأن أبي يراقبني بريبة من مكان ما. وأتساءل: ماذا لو كان مسلحاً؟ لذلك أنا حذر جداً في طريقة تقديمي الحلوى.

أقول: «حسناً يا أولاد، ما رأيكم في بعض الحلوى اللذيذة التي لا تزال في رزمتها الأصلية ولم يعبث بها أحد بعد؟»

وإذ يتنبه المتنكرون إلى صوتي، يترنحون صوبي مثقلين بأكياس تحوي من الشوكولاتة ما يكفي حاجات الأمة حتى القرن المقبل.

وثمة تقليد آخر في عيد الـ «هالوين» هو تجويف اليقطينة، وهذه مهمة من نصيبي دائماً.

بعد أن أنتهي من نحت وجه بشري في اليقطينة، أضعها على الشرفة الأمامية لتوفر ساعات من المتعة لطالبي الحلوى



في تلك العشية، سوى أنهم لا يستطيعون رؤيتها، فضلاً عن أنها سرعان ما تسقط وتتهشم على أيدي الفتيان الأكبر سناً الذين يمارسون الحِيَل.

والحيل هي في الحقيقة تلك النشاطات التي كانت تفرحك جداً عندما كنت مراهقاً، أما اليوم وقد أصبحت صاحب أملاك فإنها تجعلك تتمنى لو كان لديك سياج مكهرب. إنها تقليد قديم آخر يمارس في هذه المناسبة. وفي صباي مارست ألوفاً من هذه الحيل.

ويحلو لي أن أتخيل أن هناك قاضياً غامضاً غير منظور يسجل كل ما نفعله في صبانا ثم يستغل عشية الـ«هالوين» لتسديد الحساب. وأراهن على أن أشباح جميع ضحاياي السابقة ستسر جداً بهذا المشهد، مشهدي وأنا أحاكم. هذا إذا افترضنا أنهم يرون من خلال ثقوب النظر.

ديف باري ■

من زيّنه جمال النفس يلحظ أعظم جمال العالم. ف.س.

حبٌّ من أول نغم

انقلاب غريب في الأقدار جمع الموسيقي بكمانه السحرية

خلال القرن الثامن عشر عاش في قرية تولز البافارية صانع كمان يدعى يوهان يايس. كان بارعاً في تحويل قطع الخشب آلات نفيسة تملأ العالم جمالاً ومتعة عبر الأجيال.

وذات يوم من العام ١٧٣٩ أحضر حفار خشب الى يايس قطعة سميكة قصيرة من خشب القيقب وقال: «يا يوهان، هذه القطعة صلبة جداً ولا أستطيع أن أصنع منها شيئاً، فربما أمكنك أنت استعمالها في صنع إحدى الكمانات.»

كان نشر الخشبة الصلبة عملاً شاقاً بالنسبة الى يايس، لكن غرابة لونها ألهمته. وبعد أيام استخلص من صميمها كتلة مستطيلة ذات دوائر برتقالية ساطعة. وبواسطة المسحاج والسكين صنع منها، بعد عناء كبير أرقّ وأقسى ظهير صنعه لكمان.

أكمل يايس صنع الآلة التي فحص نغمها. وقال لحفار الخشب: «هذه الكمان التي صنعتها من صميم خشبتك الصلبة تخبىء في صوتها سحراً. سيكونون سعداء أولئك الفنانون الذين سيُنْطِقون هذه الآلة.»

هكذا بدأت الحكاية.

حادث السلَّم. في العام ١٩١٤، بعد ما يقارب ١٧٥ سنة، قضى حظي السعيد بأن أشرك ابتكار يايس في حياتي. كنت في الثامنة عشرة من العمر وقائداً مساعداً للفرقة الموسيقية في دار الأوبرا في كونيغسبرغ في بروسيا الشرقية. واحتجت إلى كمان جيدة

للمعزوفات المنفردة، فاخترت واحدة أصغر قليلاً من الكمانات المعروضة لدى الوكلاء. وقد شدني اليها أولاً لونها الصديء الزاهي. وقرأت داخلها منقوشة باهتة: «يوهان يايس، تولز، صانع عود وكمان، ١٧٣٩.» دوزنت الآلة وبدأت أعزف لبيتهوفن «إف مايجور رومانس.»

وكان حب من النغمة الأولى. يا له من نغم متألق صاف ونادر. وصرخ قلبي: «آه، يا جميلتي الصغيرة. إننا نستخلص أفضل ما في كلينا.» واشتريتها من فوري ودعوتها «يايسي.»

خلال أشهر وجيزة جعلت «يايسي» عروضي تتألق. ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى. أمضت «يايسي» أربع سنوات ملقية بصمت في خزانة في قريتي تروسو بمقاطعة بوهيميا.

وبعد انتهاء الحرب أسرعت الى القرية لأحرّر كماني. واذ عادت الأضواء الى قصور الموسيقى المتألقة عشت و«يايسي» أحسن أيامنا. رنينها وغناها انتزعا لي هتافات الاستحسان. وعشقتها. هي نطقت بجميع الأشياء التي عيِيَتْ عنها الكمانات الأخرى.

في احدى الليالي كنت عائداً من حفلة موسيقية. واذ ارتقيت درجات السلم المظلمة إلى غرفتي رحت أتلّمس جيوبي باحثاً عن مفاتيحي. فسقطت «يايسي» من علبتها وتهاوت على درجات السلم المرمرية. أضأت النور الكهربائي وأنا أكاد أشل خاشياً ما سأجد.

وبينما أنا أبحث انطفأت الإضاءة الموقوتة. وبيدين مرتجفتين أشعلت عود ثقاب، ثم آخر فآخر. وفي الضوء الخافت ظهرت ملامح كمان في أسفل السلم. أسرعت الى ما كنت أخشى أن يكون بقايا مبعثرة.

لم أصدق ما رأيت. لقد نجت «يايسي» من انزلاقتها على درجات السلم ذات الأطراف المرمرية القاسية، اذ تدحرجت إلى أسفل على أوتارها اللدنة الواقية. تثلّمت زاويتاها العلويتان الانيقتان، لكنها لم تكن في حاجة الى اصلاح بل الى طلاء جديد.

بقي نغمها جيداً كما كان، وأثبتت ذلك بعد أيام في عرض لكونشرتو الكمان لمندلسون. واستجاب الجمهور بصيحات الاستحسان وكان أحد النقاد سخياً مع «يايسي» أكثر منه معي اذ كتب: «قدمت الكمان عرضاً متألقاً بصفاء البلور اذ صدحت أوتارها تحت نقر قوس جوزف توتزاور. وسيتلبث نغمها الرائع طويلاً في ذاكرتنا.»

الخيانة. كانت آلة يوهان السحرية مقتنى عظيماً عندما بدأت دراستي الموسيقية مع الأساتذة المتمرسين في المعهد الموسيقي في ليبزيغ. وصباح أحد الأيام الممطرة كنت أعبر تقاطعاً عريضاً على دراجتي في طريقي إلى المعهد. ورحت أتلوى بين الشاحنات والعربات المسرعة. فإذا بالدراجة تنزلق فجأة وتقع علبة الكمان من تحت ذراعي وتسقط

كماني النفيسة على الحصى المبتلّ، فتدوسها شاحنة ضخمة. وتعرجت بين السيارات الى موقع الكارثة.

رأيت «يايسي» ملقاة على بطنها تماماً كما وجدتها في أسفل السلم، وكأن عجلات الشاحنة لم تمسها. شكرت ربي ومسحت الوحل عن الكمان ثم أسرعت إلى البيت لأفحصها بدقة أكثر.

بقي نغمها على نحو لا يصدق مثلما كان في السابق تقريباً. لكنني أقول «تقريباً.» فقد بدأت أشعر بأنها فقدت تألقها، ونما هذا الشعور مع الوقت. قد يكون عمود الصوت انزاح قيد شعرة عن موضعه الأصلي. حاولت لأسابيع أن أعدّله لكني لم أقتنع بالنتيجة، أو ربما كنت أتخيل أن في النغم ضعفاً. أعتقد أنني اعتبرت مواهب «يايسي» النادرة أمراً مسلماً به. كما أنني، بصراحة، فتنت بكمان «فوبوم» فرنسية بديعة لها نغم أعظم كثيراً من نغم «يايسي.» ظللت أشهراً أقاوم ضميري. وفي النهاية خنت «يايسي» اذ قايضتها بالفرنسية الغاوية.

وكانت تلك غلطة العمر. فقد كان نغم الـ «فوبوم» القوي يكلّ حين أعزف عليها ساعات متواصلة لكن علتها الأساسية كانت أنها لم «تتحدث» معي. وهرعت عائداً إلى تاجر الآلات الموسيقية في ليبزيغ فقال لي: «أعتذر. لقد اشتراها سيد تشيكوسلوفاكي الأسبوع الماضي. وهو دفع ثمنها نقداً وامتنع عن إعطاء إسمه وعنوانه.»

لعنت مزاجي الخائن، ولكن لم يكن هناك وقت للبحث عن «يايسي» فقد استولت تشيكوسلوفاكيا على الأرض النمسوية حيث ولدت. وعصيت الخدمة في الجيش التشيكوسلوفاكي، وهاجرت الى الولايات المتحدة وأنا في السادسة والعشرين، مضحياً بسمعتي وشهرتي في وطني لأصبح شخصاً مغموراً في أرض غريبة.

سافرت عبر البلد الجديد الواسع إلى أن أودعني القطار مدينة لورانس في نبراسكا. وهناك استقبلني عمي جوزف كيلبرت الذي هاجر إلى أمريكا قبل ستين عاماً. وتدبر لي هو وأصدقاؤه بعض العقود الموسيقية، وعدت الى العزف على الـ «فوبوم» الصديقة على رغم كل شيء. لكن أفكاري ظلت معلّقة بـ«يايسي» الضائعة.

الأميرة النائمة. مرّت السنوات وبلغت الثالثة والثلاثين فتزوجت وانتقلت شرقاً لأكون أكثر قرباً من نيويورك وفرصها الموسيقية. كانت البلاد الجديدة طيبة معنا، فازدهرت عروضي الموسيقية ومهنتي في التعليم. وفي النهاية استطعت شراء كمان «غوارنيريوس» التي تلبي كل ما يبتغيه فنان. ولكن حتى هذه الآلة لم تنسِني الكمان الأكثر اشباعاً في أيام شبابي.

وكنت في الخامسة والستين من العمر عندما كتب الي موسيقي من نبراسكا كنت نسيته تماماً يسألني خدمة. فقد ذكّرني أنه، قبل خمسة وعشرين عاماً،

سألني أين يجد كماناً متفوقة في أوروبا، وأنني حينذاك زكيت له أسماء بعض الوكلاء. وهو وجد ما بحث عنه، لكنه الآن عجوز ومريض ولم يعد قادراً على العزف، لذلك يريدني أن أبحث له عن مشترٍ يقدر قيمة كمانه.

وإذ كنت منهمكاً في أعمالي ترددت. ولكن كيف أرفض التماس موسيقي مريض؟

يوم وصل الصندوق الخشبي من نبراسكا كان فكري مشغولاً ببعض التلامذة الجدد وبجداول الحفلات. واذ بدأت أنزع التغليف عن الكمان حبست أنفاسي عندما لاحظت زاويتين مثلمتين. وقلبت الكمان. ومن خلال غشاوة دموعي طالعني بريقها الخمري يشع من قيقب يوهان يايس الساحر. الكمان التي جلبها الموسيقي من أوروبا إلى نبراسكا هي عزيزتي «يايسي.» لقد وجدت طريقها إلي عبر البحار والقارات بعد أكثر من ثلاثين عاماً.

شعرت كأنني الأمير الذي يكاد يقبّل الأميرة النائمة. وصرخ قلبي لها: لكم اشتقت اليك. وأسندتها الى كتفي وعزفت. ووعدتها بأننا لن نفترق ثانية.

كان ذلك قبل ٣٦ عاماً. وأنا الآن في الثانية والتسعين. وأحياناً يرتجف القوس في يدي. ولقد بعت كمان «غوارنيريوس» العظيمة، محبوبة الجماهير، لكنني ما زلت أعزف على «يايسي» في غرفتي في غرينفيل بولاية نورث كارولينا حيث أعيش مع ابنتي وأحفادي. لم تخذلني «يايسي» أبداً، فهي تغفل نغماتي الخرقاء وتنقي أفضل مقاطعي.

ليس في «يايسي» أيّ خدش ما عدا الزاويتين المثلمتين. وقد بات نغمها أرخم مما كان. وأقول لها: «لا شك في أنك عشت حياة فاتنة.» وأنا أيضاً عشت حياة فاتنة في رفقتها وأنسها.

جوزف توتزاور وآلن رانكن ■

تابع الكاتب العزف على كمانه العزيزة يومياً حتى وافته المنية في يونيو (حزيران) ١٩٨٩.

الممرضة الظالمة

عندما ذهب أحد اصدقائي لاجراء فحص طبي سألته الممرضة كم يبلغ وزنه، فزمّ بطنه وأجاب: «٧٣ كيلوغراماً.» فأُخبِر حالاً انه يزن بالحري ٧٥ كيلوغراماً.

ثم سألته عن طول قامته، فانتصب جيداً وأجاب: «١٧٨ سنتيمتراً.» فأُفيد انه بالغ في تطويل قامته ٣ سنتيمترات!

اخيراً سألته الممرضة عن ضغط دمه الطبيعي. فتفرّس فيها ملياً وقال: «كيف يمكن أن يكون طبيعياً وقد أتيت الى هنا رجلاً طويلاً اهيف فحوّلتِني انساناً قصيراً سميناً؟

ب.ه.

هناك امرأة في مكان ما من سويسرا تتذكر «الأناس الطيِّبين» الذين ساعدوها



الطيّبون الثلاثة

صعد شابان وفتاة الى القطار المتوجه نحو لوسرن في سويسرا. كان واضحاً أنهم أتوا لتوهم من جبل تيتلي لأن الفتاة كانت ترتدي قميصاً أصفر جديداً كتبت عليه كلمة «تيتلي» وتحتها مباشرة «٣٢٠٠ متر، ١٠٥٠٠ قدم.»

جلس الثلاثة في المقعد المواجه لمقعدنا. كانت الفتاة ناحلة وجذابة على رغم كتلة من الشعر المجعد الأشقر بدت محروقة نتيجة عملية «تمويج» منزلية سيئة وبدا أحد الشابين كأنه شقيقها.

تناول الشاب الآخر سماعتي رأس من الحقيبة التي كانت على ظهره، وشدهما الى أذنيه وأدار جهاز الستيريو عالياً.

ثمة نزعة لدى المسافرين خارج بلادهم الى اعتبار سوء تصرف مواطنيهم اهانة شخصية لهم. وقد ابتهل صوت

خفيض في أعماقي: يا رب، اجعلهم من التابعية الانكليزية أو الألمانية.

وضعت الفتاة اصبع علكة (لبان) في فمها وابتسمت لي قائلة: «هاي، ماذا تقول؟»

فتأكد لي أنهم أمريكيون.

بعد دقائق انحنيت نحو ذي المسماعين قائلاً: «أهي افتتاحية أوبرا؟» كان أملي أن يفهم الملاحظة ويخفض صوت الجهاز. لكنه نظر الي بعينين فارغتين: «هه؟»

هزت الفتاة رأسها وقالت لي: «لا، انه لا يهوى الأغاني الكلاسيكية.»

بعد خمس عشرة دقيقة شعرت زوجتي جويس، وهي اختصاصية بقياس قوة السمع عند الأطفال، بأنها مضطرة الى أن تقول شيئاً. فربتت ركبة الشاب. فأزاح هذا المسماعين عن أذنيه ونظر اليها.

بدأت تكلمه: «إذا تابعت...»

لكنه أومأ برأسه علامة عجزه عن سماعها وانحنى نحوها. فرفعت نبرة صوتها: «إذا تابعت الاستماع الى هذه الموسيقى العالية فسوف تتلف قوقعتي أذنيك!»

«ماذا؟» سألها بصوت أعلى وأطفأ الجهاز. فصرخت جويس في السكون المفاجىء: «سوف تتلف قوقعتي أذنيك.»

أضحكت كلماتها ذات الشعر الجعد وشقيقها. أما ذو المسماعين فأومأ برأسه من غير أن يجيب. فتابعت زوجتي: «إنك سوف تؤذي سمعك.»

فعلت وجه ذي المسماعين نظرة متسائلة وقال: «الحق معك، شكراً.» ثم نزع المسماعين عن أذنيه وعلقهما حول رقبته، وأدار الجهاز. فانسابت الموسيقى ناعمة بالنسبة اليه ولكن أكثر صخباً بالنسبة الينا.

قلت له: «يا صاحبي، ليتك تخفض الصوت قليلاً.»

فأجابني: «لا أستطيع ذلك، فالزر مكسور.»

ووصلنا الى لوسرن على أنغام الروك الصاخبة.

قرب محطة السكة الحديد كان علينا استعمال سلم كهربائية متحركة. وفي أسفل السلم رأينا الشابين والفتاة مجدداً. كانوا ينتظرون بصبر صعود امرأة مسنة ضخمة الى السلم قبلهم. وكان واضحاً أنها خائفة من ارتقاء الدرجة المعدنية المتحركة. كانت تهتز وتحرك رجلها محاولة توقيت خطوتها الأولى على الدرجة المتحركة. وأخيراً اغتنمت الفرصة.

للحظات قليلة بدا كل شيء منتظماً. ولكن بعد حين أخذت المرأة تتمايل. حاول الرفقاء الثلاثة امساكها فأخفقوا. ولم يلبثوا أن رفعوها وراحوا يركضون على السلم المتحركة حاملين المرأة المرتعبة الى بر الأمان.

كان ثمة جرح ينزف فوق عينها اليسرى، وكلما لمسته بوشاحها زاد النزف. ظلت تعتذر من الشبان الثلاثة على الورطة التي زجتهم فيها عندما

حاولوا مساعدتها. وقد دهشنا لهذا الثلاثي الذي حصر فيها كل اهتمامه.

مضت ذات الشعر الجعد تضغط الجرح. وفي النهاية شدت رأس المرأة الى صدرها محاولة وقف النزف. وجمع الشابان حاجات المرأة ثم ساعداها في الوصول الى الشارع.

راقبناهم وهم يتجادلون بألمانية مبسطة مع سائق سيارة أجرة. لم يسمح السائق بدخول المرأة سيارته. ولكنه اتصل لاسلكياً طالباً المساعدة.

بعد لحظات وصلت سيارة اسعاف. وناشدت المرأة الشبان ألا يدخلوها السيارة نظراً الى منظرها المزري، لكن الشبان لم يكترثوا، بل ساعدوها على وضع حاجاتها بالقرب منها وهمّ المسعف بإغلاق الباب.

صاحت المرأة بإنكليزية ركيكة: «انتظروا، أنتم أيها الناس الطيبون، وداعاً، وشكراً.» بدت كأنها تريد أن تقول المزيد، لكن المسعف أغلق الباب وانطلقت سيارة الاسعاف بعيداً.

هناك جسر خلف محطة السكة الحديد يؤدي الى منطقة خلابة في المدينة. وعبره تقودك خطواتك من الشارع المرصوف بالحصى الى نهر روس. وكثيراً ما ذهبت وزوجتي الى هناك في رحلات سابقة لمشاهدة البجع عند الغسق.

كان الشابان والفتاة سبقونا الى المكان، وجلسوا على حافة النهر يتسامرون ويضحكون ويغسلون قطع ثياب في المياه. جلسنا في مقعدنا المفضل بالقرب من زوجين سويسريين. كانا يتحدثان بنبرة خفيضة، فجأة التفت الي الرجل وقال: «كنت أكلم زوجتي عن جسارة شباب اليوم. فهؤلاء قطعوا المحيط وأتوا الى احدى أقدم مدن العالم وأنبلها لكي يغسلوا ثيابهم في النهر.»

فبادرته جويس محاولة الحفاظ على رباطة جأشها: «سيدي، قبل لحظات ساعد هؤلاء الشبان سيدة عجوزاً سقطت على السلم الكهربائية. وأظنهم يحاولون غسل الدم عن ثيابهم قبل أن يجف.»

حوّلت المرأة نظرها محرَجة، وهز زوجها رأسه ووضع حشوة في غليونه ورصّها. ثم قال: «أحياناً تكون الانطباعات الأولى خادعة، أليس كذلك؟»

نعم، الانطباعات الأولى خادعة أحياناً.

بوب أوسوليفان ■

قناعة

أسرّت امرأة الى صديقتها: «لست راغبة في رجل كامل، بل في رجل يجمع في شخصه النقائص التي احبها.»

ب.أ.

أضواء من عالم الطب

قدم اصطناعية

تعد الاقدام الاصطناعية المطوّرة حديثاً بتغييرات هائلة في حياة مبتوري الأقدام.

وإحدى أحدث هذه البدائل «قدم سابوليش»*، ولأخمصها شكل قوس قدم الانسان، وهي تقلّد وظائفها بامتصاص الصدمة العمودية وتحويلها طاقة.

فهذه القدم المجوفة المصنوعة من مواد «العصر الفضائي» المرنة هي من أخف الأقدام، وتدفع صاحبها قُدُماً عندما يمشي أو يركض.

وقد استعمل روجر شارتر، وهو مبتور القدمين، «اقدام سابوليش» للركض مسافة تزيد على ٦٠ متراً بالاسلوب العادي.

وتقول لورا ماكلور وهي عداءة اشتركت في الالعاب الاولمبية للمعاقين التي أقيمت في سيول في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨: «أشعر بها كأنها قدم حقيقية، لا كأنني اجرّها.»

صمم هذه القدم جون سابوليش، وهو يرئس مركزاً للأطراف الاصطناعية في أوكلاهوما سيتي. وينتظر وضع هذه القدم في متناول جميع المعنيين في أوائل السنة ١٩٩٠. وستتوافر في طراز يناسب احتذاء «الكعب» العالي.

(*) Sabolich foot

صحيفة «ميديكال تريبيون»

عقاران يوقفان التدخين

هناك عقاران، واحد ضد الإنهيار العصبي وآخر ضد ارتفاع ضغط الدم، قد يساعدان المدخنين على مقاومة التدخين.

أجري الاختبار في جامعة تنيسي في ممفيس على ٢٥ من المدخنين الذين أخفقوا في الإقلاع عن تدخين علبتي سجائر يومياً. ولبضعة أسابيع تناول ١٢ منهم العقار «دوكسيبن» المقاوم للإنهيار فيما تناول الـ١٣ الآخرون حبوباً مموّهة لا عقار فيها. وبعد ٥٦ يوماً توقف ٩ من الذين تناولوا «دوكسيبن» عن التدخين بالمقارنة مع واحد من الذين تناولوا الحبوب المموهة. وقد أفاد متناولو «دوكسيبن» عن تدن في التوتر العصبي والقلق والتوق الشديد إلى النيكوتين.

وفي دراسة ثانية عمد الدكتور ألكسندر غلاسمان من جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك، إلى إعطاء عدد من غُلاة المدخنين إما عقار «كلونيدين» الذي يستخدم لمعالجة الارتفاع المفرط في ضغط الدم، وأما حبوباً مموهة. وبعد أربعة أسابيع كان ٦١ في المئة من الذين تناولوا الكلونيدين، توقفوا عن التدخين، فيما توقف ٢٦ في المئة فقط من الذين تناولوا الحبوب المموهة.

مجلة «فيزيشانز ويكلي»

مدينة البخار

جولة في روتوروا «البقعة الساخنة» في نيوزيلندا

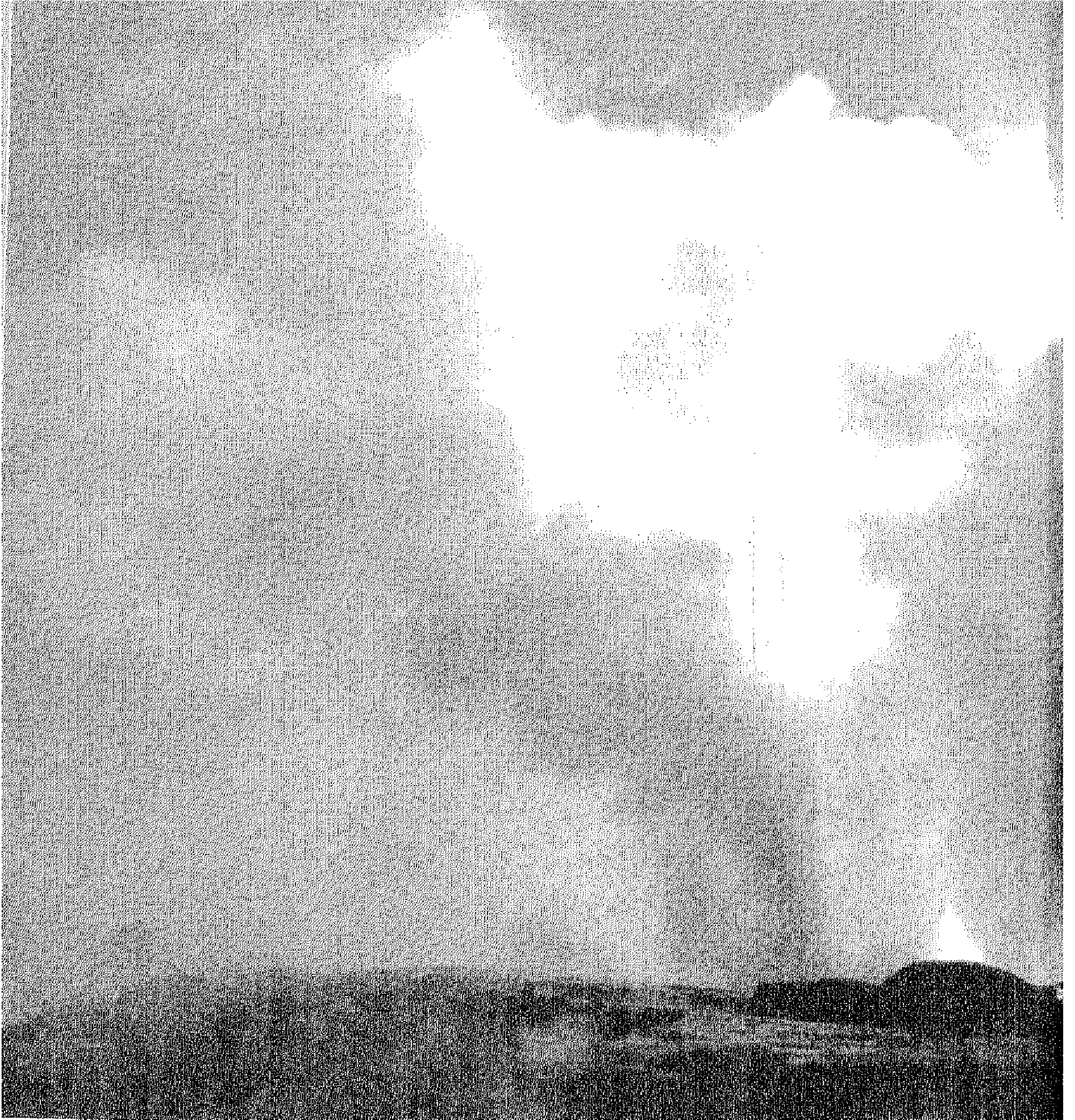


يضحك جون غالاند وهو يناولني مضارب الكرة في حقل أريكيكاباكابا للغولف ويقول: «يفد الناس إلى هذا المكان معتقدين أنهم يعرفون كل ما تخبِّئه لعبة الغولف من مفاجآت. أنصحك بأن تتزوَّد بضع كرات إضافية.»

وقفت قرب الثقب التاسع، يلفُّني بخار كبريتيّ ينخر الانف. وتيقنت ان ادنى دفع للكرة سيرسلها إلى مجموعة من البحيرات المعدنية او إلى برك طينية ملتهبة تتفقّع كعصيدة كثيفة.

فخاخ الغولف الشيطانية، والشلالات الحارة، والجرف الغالية، وينابيع المياه الحارة، مشاهد مألوفة في روتوروا، «البقعة الساخنة» الحراريّة في

PHOTOS: OTTO ROGGE/A.N.T. PHOTO LIBRARY



نيوزيلندة. الأبخرة التي تجد متنفسا في الشوارع ليلاً، وبرك الوحل التي تجد موئلاً فوق في حديقة منزل ما، تُقابَل بلامبالاة من سكان روتوروا الذين تآلفوا قسراً والأتون الملتهب تحت مدينتهم. وقد عبَّر الكاتب البريطاني الساخر جورج برنارد شو عن هذا الواقع بعد زيارته المنطقة عام ١٩٢٤: «سرَّني أن أدنو إلى مسافة قريبة جدا من هيدس، وأعود منها سالماً.

يقع هذا الأتون، وهو من المناطق الحرارية التي لا يصعب الوصول إليها، في الطرف الجنوبي من بحيرة روتوروا على بعد ٢٢٠ كيلو متراً جنوب شرق أوكلاند. ويحيط بهذه المنطقة الحرارية المخيفة سياج من الأشجار والبحيرات

والغابات، ومراع تنتثر في جنباتها قطعان الغنم. وهي تذكر على الدوام بأن نيوزيلندة بأسرها واقعة فوق وهن في قشرة الأرض.

ويعيش سكان روتوروا الخمسون ألفاً في نطاق «متفجّر» يمتد نحو الداخل مسافة ٢٤٠ كيلو متراً من وايت آيلند الداخنة في خليج بلنتي ليكوّن شريطاً من البراكين الحيَّة يتوّج متنزه تونجاريرو الوطني المهيب. ويحتضن المدينة والبحيرة بخار ينبعث من فوهة بركان يبلغ عرضها ١٦ كيلو متراً، تفجرَّت قبل ١٤٠ ألف سنة.

وتقع أنشط عجائب روتوروا على مسافة ساعة في السيارة من المدينة. وتتركز في أربع مناطق حرارية وسط منطقة جرداء كسطح القمر، حيث يُطلِق عالَم ما تحت الأرض دفقاً خصباً من الغرائب البركانية. ولا تقتصر الأنشطة الحرارية على المحميات الطبيعية. فمصارف مياه الطرق وسط المدينة تنفث أبخرة، والأرض حارة الملمس في بعض الأمكنة. ويتابع الروتوريون ألعاب الكروكيت فوق مرجات الحدائق العامة المشذبة بعناية، غير عائبين بغيوم الأبخرة المنبعثة من الاجمات ومساكب الأزهار. ويصف أحد السكان القدامى مدينته بأنها «أسخن المناطق العقارية في البلاد.»

قصص مثيرة. على رغم بعد المكان، يتوافد الأوروبيون إلى هذه المياه المعدنية منذ العام ١٨٧٨، حين خيَّم راهب إيرلندي على مقربة من ينبوع عرف باسم «بركة الراهب» وأعلن شفاءه من داء الروماتيزم. واليوم تنتشر أحواض الاستحمام العامة والخاصة في أنحاء المدينة، وتفيد المستشفيات المحلية من المياه المعدنية في علاج أمراض التهاب المفاصل والروماتيزم. غير أن المستحمين يفدون عادة لمجرد الاسترخاء في هذه المياه.

وينتفع سكان روتوروا من هذا الواقع بطرق أخرى، إذ تسحب المواسير في أقنية منازلهم البخار للتدفئة وتسخين أحواض السباحة. وتفيد الصناعات المحلية من البخار الطبيعي في توليد الطاقة وإنبات زهر الاوركيديا في مستوعبات دافئة.

ولئن تكمن طاقة الأرض الحرارية قابلة للاستخدام، فمن غير الممكن التكهن بمجرياتها. وقد أتحفني السكان بقصص مثيرة عن «جنوح» عالم ما تحت الأرض: مِنْ تحول المياه الباردة في الحنفيات ساخنة، إلى تسرُّب البخار فجأة عبر الألواح الخشبية التي تغطي أرض حجرة الجلوس. ولاحظ موظف في مكتب السياحة ارتفاع الحرارة في مكتبه إلى درجة غيرمريحة خلال أسابيع وأخيراً تمزَّقت أرض الحجرة لتكشف بركة وحل في حال غليان. عند ذلك رُدمت أرض الحجرة بطبقة من الإسمنت، وهو العلاج الناجع لمثل هذه الحال، فعاد العمل إلى طبيعته.



مستوطنة ماورية صغيرة في محمية واكاريواريوا الحرارية.

(تحت) نصب هندسي من الخشب المنحوت وتلميذ مكب على حرفته الدقيقة، دليلان على احياء التراث الماوري.





وذات يوم عاد زوجان إلى منزلهما على شاطىء البحيرة ليجدا فُوّهتين بركانيتين قد تكوّنتا في مرأبهما.

ومن الظواهر البركانية الاكثر مقْتاً في روتوروا الرائحة الكريهة للغاز الطبيعي: كبريتيد الهيدروجين. والغريب ان حدة الرائحة تزول بعد ساعات قليلة، لكن الأبخرة تبقى مسببا للتاكل. يقول احد السكان: «أدعو عامل الصيانة كل ثلاثة أشهر لمعالجة آثار الصدأ.» وحين تنبعج سيارةٍ ما تتسارع عملية التآكل. وتفقد الفضّيات بريقها بين ليلة وضحاها.

ويتطلب استمرار الاعمال اليومية إجراءات غير عاديّة. فلقد زُوّد مدخل مركز الهاتف في روتوروا عازلاً متطوراً للهواء، وتتم تصفية هواء المبنى بواسطة فحم مقوّى لعزل كبريتيد الهيدروجين الكفيل باتلاف ملايين الأسلاك النحاسية

PHOTOS: OTTO ROGGE/A.N.T. PHOTO LIBRARY, JAMES HUTCHISON AND MARGO PFEIFF

خلال أيام. يقول المتحدث الرسمي لشركة «تيليكوم» ماكس تومسون: «أسوأ ما في الأمر أن الغاز يحوِّل بعض المواد البلاستيكية سوداء. وبما أن أسلاكنا مرمَّزة باللون، فإن تعرضها للغاز قد يؤدِّي إلى كوارث.»

والغريب أن لا رائحة لكبريتيد الهيدروجين حين يبلغ حدَّه السام، فيتحول قاتلاً صامتاً. وهو تسبب في وفاة ثمانية أشخاص منذ العام ١٩٦٠. وفي العام ١٩٨٧ تسببت الأبخرة السامة في وفاة عروسين شابين كانا نائمين في فندق قصداه لتمضية شهر العسل. وقد غدت هذه الحوادث نادرة جداً في هذه الأيام لفرض تأمين تهوئة فاعلة في جميع الأبنية.

حقل ألغام. تجتاح روتوروا أيضاً موجة عارمة لإحياء التراث الماوري* ويظهر ذلك جلياً في معهدالفنون والصناعات الحرفية حيث يكبّ الحرفيون على حياكة أردية وعصابات رأس وحصر وحقائب وسلال. وينهمك متدربون في سن المراهقة على تعلُّم استعمال المطارق الخشبية والأزاميل لنحت وجوه خشبية مرعبة.

ويدير المعهد محمية واكاريواريوا الحرارية المجاورة. ولدى دخولي محمية «واكا» لازمت بحذر وسط الممر الذي يخترق «حقل ألغام» مثيراً من ٥٠٠ ينبوع حار، منها ما هو صاف يغلي برفق ومنها ما هو موحل يقرقر كالمرجل.

وحين تهتزّ الأرض تتجه الأنظار نحو غايسر فلات حيث تنبعث من بوهوتو، وهو أكبر الينابيع الحارة في نيوزيلندة، نافورة من المياه البيضاء الحارقة ترتفع ٣٠ متراً.

وفي قرية الماوري، داخل المحمية الحرارية، تحتجب وراء سحب البخار الذي ينقشع من وقت إلى آخر صفوف من مدافن بيضاء تبعث الرهبة. ويحاذر حفارو القبور نبش الأرض إلى عمق يتجاوز ١٥ سنتيمتراً، لئلا يؤدي ذلك إلى تدفق البخار والنار والكبريت. ولقد درج سكان قرية واكا على الإفادة من الينابيع الساخنة في الاستحمام الجماعي على مدى قرون. يقول إرويرا ويكيريوي (٨٢ عاماً): «حوض الاستحمام هو المكان الذي تبدأ فيه حياة القرية كل يوم.» أجيال من الأطفال الماوريين لعبوا في الجداول الباردة التي تعبر الوادي، محاذرين أن تنزلق أقدامهم في الأوحال الشديدة الحرارة في القعر. وما زالت نساء الماوري يضعن الطعام في سلال، يغطسنها في «برك الطبخ» الطبيعية، أو في صناديق بُنيت فوق منافذ البخار. وفي فندق روتوروا الدولي أتناول وجبة من اللحوم والأسماك والبطاطا طبخت على مهل، على البخار، في حفرة حرارية خارج الفندق.

وعلى رغم ما تراه العين المجردة من نشاط حراري قوي، يُبدي العلماء قلقاً

(*) الشعب الماوري هو شعب نيوزيلندة الأصلي.

من أن البخار قد ينفد من روتوروا. فالينابيع المعدنية والبرك الحرارية تعلو وتخبو على الدوام. ولكن حين خبا ينبوع رئيسي في منطقة واكا عام ١٩٧٩، عزا العلماء ذلك إلى الإفراط في استغلال الحفر البخارية، في وقت ظن كثيرون أن للبخار معيناً لا ينضب.

وبهدف حماية هذه المنطقة التي تدر ١١٠ ملايين دولار سنوياً إيرادات سياحية، منع مجلس مقاطعة روتوروا الحفريات الجديدة ضمن شعاع طوله ١٫٥ كيلو متر إنطلاقاً من مركز ينبوع بوهوتو الحار. كما أعدَّت دائرة الأبحاث العلمية والصناعية عام ١٩٨٥ دراسة حددت فيها عدد الحفر في روتوروا.

يقول بيتر وود وهو خبير جيولوجي يعمل لدى دائرة الأبحاث العلمية والصناعية: «دلَّت الاحصاءات على أن ربع الطاقة المخزنة في نطاق ويراكي الحراري يهدر عبر ٤٠٠ حفرة خاصة وغير مراقبة، بحيث أن بعضها لا يعمل بالفاعلية الملائمة. ويهدر ٩٠ في المئة من الطاقة. لذلك صدر قرار بسد جميع الحفر التي تقع ضمن الشعاع المحدد.»

وفي طليعة العاملين على حفظ طاقة الأرض الحرارية علماء دائرة الأبحاث العلمية والصناعية في روتوروا الذين يؤمنون بأن العجائب الحرارية ستبقى نشطة إذا تُرك المخزون الحراري ليسترد عافيته. ويقول بيتر وود: «إن ينابيع واكا هي آخر الينابيع الحرارية المتبقية في نيوزيلندة. ومن واجبنا أن نحافظ على هذه الظاهرة النادرة والرائعة للأجيال القادمة.»

جايمس هاتشيسون
ومارغو بفيف ■



جدات وحفيدات

يحلو لجدتي أن تستعيد ذكريات حياتها الزوجية المبكرة وتربيتها ١١ ولداً. وذات يوم اخبرتني انها كانت دائماً تحيك بالصنارة ثلاثة ازواج من الجوارب الصوفية القصيرة لكل ولد في كل شتاء. ولعلمي بما قاسته في حياتها وبمقدار ما قامت به من اعمال روتينية اخرى، سألتها كيف كانت تجد متَّسعًا من الوقت لكل ذلك.

فاجابت: «الواقع، يا عزيزتي، لم يكن الامر دائماً بهذا السوء. فاحياناً لم اكن اغزل الصوف بل اشتريه مغزولاً من المتاجر.»

إ.ب.

المتمرس هو شخص يمكنه ان يخبرك عن شيء ما اكثر مما ترغبُ في معرفته.

س.ت.

رامبالدي
ساحِرُ السّينما

انه مبتكر «إي تي»
ذلك الغريب الآتي من الفضاء
الذي ملك قلوب الصغار والكبار
وحطّم الارقام القياسية

واجه المخرج السينمائي المبدع ستيفن سبيلبرغ في فبراير (شباط) ١٩٨١ مشكلة في اختيار «ممثل» لدور علمي - خرافي. كان في حاجة الى كائن غريب ذي حضور مقنع وقادر على تأدية دور بطولي في احد الافلام. للوهلة الاولى يجب ان يكون مخيفاً وقادراً في الوقت نفسه على الفوز بحب الاطفال، والمطلوب اكثر من اي شيء آخر ان ينضح هذا

الكائن بالحياة. وبعد ثمانية أشهر وجد المنتج نفسه أمام نموذج أولي بلغت كلفته ٨٠٠ ألف دولار، لكنه لم يجسّد ما ارتسم في مخيلته.

لجأ سبيلبرغ الى كارلو رامبالدي الذي سبق أن ابتكر له كائناً غريباً متحركاً لفيلمه الناجح «لقاءات قريبة من النوع الثالث.»[١] وفي غضون أيام قليلة سلّمه رامبالدي رسوماً تمهيدية لكائن يشع بالعاطفة الانسانية لكنه لا يمت الى الانسان بصلة. فعرف سبيلبرغ للحال أنه في طريقه الى تجسيد الكائن الفضائي الرائع الذي رسم صورته في خياله.

وظهر «إي تي» وفتن العالم، ورسّخ هذا الكائن الغريب الودود شهرة رامبالدي كعملاق في حقله وكساحر حوّل فتات المعدن والمطاط كائنات «حية» وحقيقية استحوذت على عاطفة جمهور السينما في أنحاء العالم.

عام ١٩٨٥ نال الرجل الناحل ذو الشعر الادكن جائزة «السيد دي غاسبيري» التي تمنح سنوياً لـ «الشخصيات الايطالية الفذة» تكريماً لعمله في حقل السينما. وأغدقت هوليوود المديح على «سيد النماذج السينمائية» فمنحته ثلاث جوائز «أوسكار».

فضول وفن. ولد كارلو عام ١٩٢٥ في فيغارانو ميناردا وهي بلدة زراعية صغيرة قرب فيرارا في شمال ايطاليا. وبدأ منذ صغره صنع قوالب من الطين في أشكال عصافير وحيوانات وأشخاص في حين كان أترابه يصنعون فطائر من طين. وعندما بلغ الخامسة ابتكر مجموعة دمى متحركة لتسلية أخيه الأصغر وأولاد آخرين.

برز ميله إلى الاشغال الميكانيكية في حانوت والده فالنتينو لرأب الدراجات. بدأ كارلو مساعدة والده وهو في السادسة. وكان دائماً يلاحقه بالأسئلة ويشغله بالرد عليها وكلها تتمحور حول عمل الآلات. وصنع في أوقات فراغه طائرات من طين ونماذج أخرى. وبدأ يرسم.

عندما شبّ قرر امتهان الفن. وعلى رغم معارضة ذويه أصر على دخول «معهد فنسنزو مونتي التقني» في فيرار لدراسة الهندسة، وكان آنذاك في الثالثة عشرة. وفي العام ١٩٤٣ غيرت الحرب العالمية الثانية حياته، اذ استدعي الى الخدمة العسكرية وأمضى سنتين في الجيش.

وبعدما وضعت الحرب أوزارها عاد رامبالدي إلى المعهد وأكب بشغف على دروسه وتخرج عام ١٩٤٧. وفي شهر أكتوبر (تشرين الاول) من ذلك العام دخل أكاديمية الفنون الجميلة في مدينة بولونيا حيث هذّب أسلوبه في الرسم ونمّى موهبته في النقش وبدأ يلحم فنّه بمهارته التقنية.

شغف كارلو أيضاً بعلم التشريح. كانت الرسوم البيانية والأشكال

(١) *Close Encounters of the Third Kind*

النموذجية التي يدرّس عليها جسم الانسان قطعت أشواطاً من التقدم، لكن كارلو تساءل عن مدى إمكان فهم تركيبة الجسم من دون معرفة طريقة تحركه. وكثيراً ما كان يسهو لدقائق محدقاً الى أصابعه يفتحها ويطبقها ويتخيل نظام الاعصاب والاوتار التي تصل الاصابع بمصدر القوة العضلية في الساعد. وسرعان ما يدرك أن في جسم الانسان أجوبة عن جميع أسئلته حول ميكانيكية الرافعة والتوازن. وشدّه توق عظيم الى تجربة وسائل ايضاح جديدة، فشرع في ابتكار منحوتات متحركة، ومنها تمثال فولاذي بلغ طوله ثلاثة أمتار وله شكل «S» وزوده طاقة كهربائية فبات يتلوى ويتحرك كعمود فقري.

تنّين «حقيقي». بعد تخرجه عام ١٩٥١ أمضى كارلو ست سنوات يرسم وينحت وينقش. ولما أصبح في الثلاثين انتقل الى روما حيث شجعه أصدقاؤه على توجيه خبرته الى السينما. وسمع يوماً أن شركة أفلام تبحث عن فنان قادر على ابتكار تنين متحرك، فقرر التقدم.

كان الفيلم بعنوان «أسطورة سغفريدو»[٢] وقد احتاج المخرج جياكومو جنتيلومو الى تنين متحرك يبلغ طوله خمسة عشر متراً ويبدو حقيقياً وأدرك كارلو أنه يستطيع تكييف نقطة الارتكاز في تمثاله المتحرك واستعمالها في هذا الكائن.

(٢) *La Leggenda di Sigfrido*





(من اليمين): رامبالدي مع الكائن الفضائي الذي ابتكره لفيلم «لقاءات قريبة من النوع الثالث». المسخ ذو الفم المزدوج في «الغريب»، نموذج رامبالدي لمدينة المستقبل، جيسيكا لانج مستريحة في يد العملاق «كينغ كونغ»، رامبالدي يحمل الاوسكار الذي ناله عن فيلم «إي تي».

بنى كارلو المسخ مستعملاً الخشب والقنب. وصممه بحيث يمكن تشغيل جهاز الاسلاك من داخل التنين للتحكم بحركاته. ثم درّب كارلو العمال الثمانية الذين سيقبعون داخل الوحش لتحريك رأسه المخيف كما قد يفعل تنين حقيقي.

يوم عرض التنين أمام المخرج جرت الأمور على ما يرام، إلى أن سُمعت اصوات شجار من بطن التنين، وصوت يشتكي: «انتبه يا هذا!» وآخر يصيح: «تقدموا! تقدموا!»

نكّس جنتيلومو رأسه وقال: «يبدو أن التنين يعاني اضطرابات في المعدة». ثم ضحك، وضحك معه كارلو وأعضاء الفريق الواقفون معهما. كان التنين ناجحاً، في أنظار رواد السينما أيضاً.

عام ١٩٦١ كان دينو دي لورنتيس يصور فيلم «بارابا»[٣] الملحمي. فكلّف كارلو صنع نموذجين رئيسيين: الأول محارب ميكانيكي ترهسه عربة خيل فيتلوى داخل شبكة كما لو كان حياً ينازع. والثاني، وهو الاصعب، بديلة ميكانيكية للممثلة سيلفانا مانغانو تنحني ذليلة عندما ترجم بالحجار، وتغطي وجهها بذراعها.

كرّس رمبالدي خبرة السنين التي أمضاها في دراسة حركات الانسان لتلبية هذين التحديَيْن. واستنبط طرقاً وأساليب مكنت تماثيله التي تعمل كهربائياً وتضبط عن بعد من تأدية جميع الحركات المطلوبة.

(٣) Barabba





«كينـغ كونـغ.» بعد النجاح الذي حققه «بارابا» أنشأ كارلو محترفه الخاص في منطقة مونتيفردي في روما. وسرعان ما بدأ يوظف صانعي نماذج ونحاتين وميكانيكيين لمساعدته. ودأب خلال نحو عشرين عاماً على العمل لصانعي الافلام الفرنسيين والبريطانيين والامريكيين والايطاليين الذين يزورونه.

في تلك الاثناء، عام ١٩٥٧، تزوج برونا باسو التي كانت متحمسة جداً لعمله ومؤمنة بأحلامه. فأمنت له «فريق أنصار» اذ توسعت العائلة لتشمل الابنين فيتوريو وأليساندرو والابنة دانييلا.

كبرت «ترسانة» رامبالدي التقنية مع كل فيلم. ومع كل ابتكار ـ من الحصانين الهزيلين على ذلك الطوف في فيلم «جولييتا»[٤] للمخرج الايطالي فيديريكو فيليني الى الدمى التي تمشي وتعضّ في «باربارِيلا»[٥] للفرنسي روجيه فاديم ـ يكيِّف جهاز الاسلاك المرنة التي تضبط الحركات الميكانيكية. ويتولى تقنيون مهرة تشغيل ضوابط رافعة تشدّ سلكا أو ترخيه لاحداث حركات مرنة «طبيعية» في عضلات النموذج وأوتاره.

عام ١٩٧٦ طلب المنتج دي لورنتيس من رامبالدي المجيء الى الولايات المتحدة للمساعدة في مشروع عودة مسخ هائل الضخامة هو «كينغ كونغ»، العملاق التي ابتُكر عام ١٩٣٣. عرف رامبالدي أن هذا المشروع قد يستغرق ست سنوات من العمل المضني ويكلف نحو مئتي مليون دولار. لذا قرّر تصميم أحجام مختلفة من «كينغ كونغ» وأجزاء منه توهم بأنه وحش عملاق. فالمشاهد التي تُظهر الممثلة جسيكا لانج حين يلتقطها القرد، مثلاً، تتطلب ساعداً وذراعاً عملاقتين. ومشهد موت «كينغ كونغ» يتطلب رأساً ضخماً. أما مشاهد السفينة فتتطلب غوريلا عملاقة كاملة مستلقية أرضاً.

من جهة أخرى، يمكن إلباس رجل بزة في شكل غوريلا ووضعه بجانب نماذج لأبنية صغيرة الحجم. والمطلوب هنا إضفاء تعابير «عاطفية» على وجه «كونغ» لا تتعارض وطبيعته الحيوانية. لتنفيذ هذه الخدعة توجه رامبالدي الى حدائق الحيوان بحثاً عن قرد يتمتع بالوجه والشكل المناسبين لاستيحاء النموذج. فعثر في حديقة سان دييغو بكاليفورنيا على غوريلا «جميلة». وأمضى ساعات طوالاً يَدْرسها ويصورها.

إنطلاقاً من هذا القرد صمم كارلو أربعة رؤوس لـ «كونغ». واحتوى كل رأس على تقنيات مغايرة تؤدي تعابير مختلفة: الهدوء، والفضول، والضجر، والغضب. والرجل الذي يرتدي بزة القرد سيعتمر الرؤوس التي يضبط أداءها فريق تقنيي الاسلاك التابع لرامبالدي.

عُرض «كينغ كونغ» في صالات السينما بالولايات المتحدة خلال موسم

(٤) *Giulietta Degli Spiriti*
(٥) *Barbarella*

الميلاد عام ١٩٧٦، فلم يلقَ استحسان النقاد. لكن خبراء صناعة الافلام افتتنوا بجهاز الاسلاك الذي استعمله كارلو وتخطوا التعليقات اللاذعة. ونال رامبالدي عام ١٩٧٧ جائزة «أوسكار».

غريبان من الفضاء. انتقل رامبالدي وعائلته الى لوس انجلس وأسس محترفاً في احدى الضواحي. وابتكر الكائن المروّع المزدوج الفم الذي ظهر في فيلم رعب عن الفضاء الخارجي بعنوان «الغريب»[٦] واذ اختار المخرج ريدلي سكوت عرض لقطات محكمة عن كثب وأخرى قصيرة لا تتعدى جزءاً من ثانية لأعمال «الغريب» فقد استحال على الحضور رؤية المسخ الميكانيكي كاملاً. وتفهّم كارلو الاسباب الحكيمة التي حدت المخرج على الاكتفاء بمشاهد خاطفة لهذا القاتل الآتي من كوكب آخر والذي لا يقهر. قال: «يمكنك أن تشعر بحضور هذا المسخ وإن كنت لا تراه. هكذا تبلغ منتهى التشويق الذي يثير في نفوس الحاضرين شعوراً حقيقياً بالخوف. عندما ترى ما يردعك تستطيع السيطرة على خوفك، ولا ينتصر الخوف إلا عندما تعجز عن ذلك.» وهو نال جائزة «أوسكار» ثانية عن هذا الفيلم.

لكن هذا الكائن لم يحظَ بحب رامبالدي قَط، فهو يقول: «لا أحب أن اصنع مسوخاً لاثارة الرعب فقط، أفضل أن أصنع مسوخاً تكون مخيفة ومحببة في آن.»

ثم كان «إي تي»[٧] هذا الغريب الصغير الذي صادق مجموعة من الاطفال كان يتدفق عاطفة حتى وهو بَعد مجرد كلمات على ورق. يتذكر كارلو: «لقد جعلت شكل وجه «إي تي» شبيهاً بوجه طفل ليوحي البراءة إلى المشاهدين». وألهمه سبيلبرغ حين أعطاه صورة مركبة جمعت عيون المخترع ألبرت أينشتاين والشاعر كارل ساندبرغ والروائي إرنست همنغواي، آملاً أن يلفح «إي تي» في احتواء ما تمتع به هؤلاء العظماء من ذكاء وحساسية وجسارة. كما اقترح على رامبالدي إعادة تصميم مؤخرة الكائن الفضائي: «إجعله يتهادى مثل دونالد داك.»

ورامبالدي يختبر دائماً على الشاشة النماذج الأولية المكتملة والملونة لمبتكراته، للتأكد من أن مظهرها سينقل جيداً بواسطة الكاميرا. أما في حال «إي تي» فقد قرر رامبالدي أن اختبار الشاشة لا يكفي، «إي تي» يجب أن يروق الاطفال.

طلب كارلو من ابنته دانييلا، وكانت آنذاك في الحادية عشرة، أن تصطحب مجموعة من أصحابها إلى محترفه. لكن الاولاد لم يكترثوا للنموذج بل هزوا أكتافهم بلامبالاة وقهقهوا اذ رأوا فيه ضرباً من القباحة، مما أقلق كارلو. هل المشكلة في التصميم؟ أم ان دانييلا

(٦) *Allen*

(٧) *E.T.*

وأصحابها لم يروا «إي تي» الحقيقي المتحرك؟ لذلك قرر مباشرة بناء النموذج.

صنع رامبالدي ومساعدوه أربعة نماذج لـ «إي تي» تتماشى ومتطلبات مشاهد محددة. واشتمل النموذج الرئيسي على خمس وثمانين حركة مضبوطة الكترونياً، بما فيها حركات دقيقة كتوسيع بؤبؤي العينين في المشهد الذي يختبر فيه «إي تي» مفعول ست علب جعة. وتضمن النموذج الثاني جهازاً من أربعين وحدة حركة، في حين اقتصر جهاز النموذج الثالث على عشرين وحدة. أما النموذج الرابع الذي منح «إي تي» القدرة على المشي فكان في الواقع مجرد بزة يرتديها أحد الممثلين.

وضعت أحشاء «إي تي» الميكانيكية في جسم قوامه هيكل «عظمي» من الالمنيوم والفولاذ يغطيه غلاف عضلي متعدد الطبقات من الزجاج الليفي (فاييرغلاس) والبلاستيك والمطاط. أما جلد «إيٍ تي» فمن مواد بلاستيكية ناعمة الملمس صنعت وفق تركيبة خاصة يتقنها رامبالدي وحده.

الشكوك التي ساورت كارلو حول تقبل الأولاد لـ «إي تي» وتعلقهم به تبخرت حين رأى تأثيره على دانييلا وأصحابها. فحركاته اللطيفة وملامحه العطوفة أزالت كل النواقص، وعشق الاولاد هذا الكائن الصغير.

حقق «إي تي» أرباحاً مذهلة في أنحاء العالم وبلغت ايراداته ٧٢٠ مليون دولار، كما حصد نحو مليار دولار حصيلة بيع اشرطة الفيديو التي أنزلت إلى الاسواق عام ١٩٨٨. وهو احرز المرتبة الاولى في ايرادات شبابيك التذاكر في تاريخ السينما. ونال عنه رامبالدي جائزة «أوسكار» أخرى.

في السنوات اللاحقة ركز رامبالدي على هدف جديد هو بناء «حديقة خيالية مستقبلية» تبلغ مساحتها ١٨٠ هكتاراً وكلفتها ٢٥٠ مليون دولار، بالقرب من الشاطىء الادرياتيكي على بعد ١٣٠ كيلومتراً من البندقية. وتسكن الحديقة مئات النماذج المتحركة التي صنعها.

وفي محترف رامبالدي نماذج لبدائل شهيرة وأخرى مغمورة من صنعه. وهناك صور للممثل الايطالي مارشيلو ماستروياني، ولفهد يثب على ولد من شجرة في غابة، ولامرأة شقراء جميلة تقطع شارعاً مزدحماً. ولكن لمَ اختلطت هذه الصور بمسوخ رامبالدي الخرافية؟

يقول رامبالدي مبتسماً: «ما من شيء حقيقي هنا، لا الشقراء الجميلة ولا الفهد ولا الممثل ولا الولد.» كلها ابتكارات رامبالدي.

هذا الساحر يخدع حتى ممثلي تلك الادوار.

ستيسي جينل سميث ■

يلاقي الجبان قدره وهو في مخبأه. ي.س.ل.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

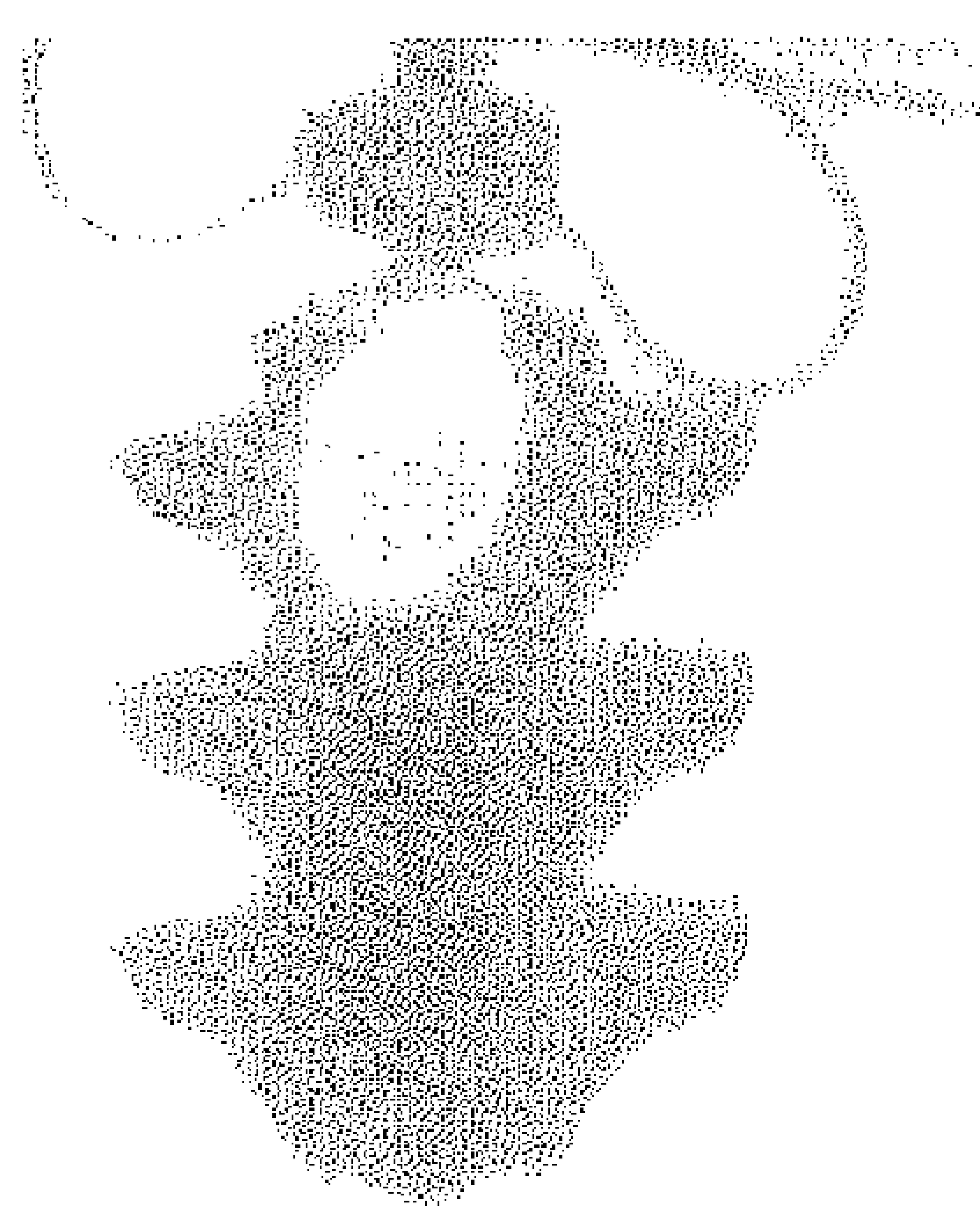
هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

رياضة
تاريخ
فنون
جغرافيا
ادب
علوم

هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت: ٩٣٦٢٧٠ (٠٩) - تلكس: AJAKKA LE ٤٥٤٠٠
الد ـ ـ في لبنا : شركة تا Playl ne ت: ١٤٤٦٧



القيادة الشتائية

إرشادات خبير لقيادة شتائية سليمة

قيادة السيارة في الشتاء خطرة، إذ ليس في الإمكان التكهن بما سيستجدّ: ضباب كثيف يلف هامة إحدى التلال، بسطة من جليد مخفية تحت الثلج الذائب تهدد سيارتك بالإنزلاق. توقف السيارة التي تتقدمك فجأة في الطريق المكسوة بالثلج.

القاعدة الأولى لضبط السيارة في الطريق الزلقة هي أن تقودها بنعومة، لأن حركات «التنحج» تفسد انسياب السيارة والتصاق إطاراتها بالأرض لذلك فإن كل دورة مقود وكل دوسة للكابح ولدواسة الوقود يجب أن تتم بحركة لطيفة وتدريجيا ما أمكن. تخيل أن في حضنك فنجان قهوة ساخنا وحاول ألا تدعه ينسكب.

والقاعدة الثانية هي أن تبقى متيقظا. فكلما زاد خطر الإنزلاق، تطلع أبعد إلى الأمام. اختبر أحوال الطريق بضغط الكابح بلطف، ولا تستخف

بسرعتك. وعلى وجه العموم، حافظ على ضعفي المسافة المعتادة لكبح سيارتك في الطريق المبلّلة، وثلاثة أضعافها في الطريق الثلجية، وأطول من ذلك في حالات الجليد.

الإنزلاق والتوقف. المشكلة الكبرى التي تواجهها في الشتاء هي خطر الإنزلاق. والإنزلاق لا يحدث تلقائياً، بل هناك ما يسببه، كأن تلف المنعطف بسرعةوتدوس الكابح أو دواسة الوقود بشدة، فتفقد العجلات التصاقها بالأرض ولا تبقى لك سيطرة على الوضع.

إن استعادة التوازن بعد الإنزلاق أمر سهل. خفف الضغط عن دواسة الوقود، ارفع قدمك عن الكابح، واتجه بالسيارة إلى حيث تريد. وتلفّت إلى جانبيك لتعرف ماذا عليك أن تتجنبه على حافة الطريق.

هناك نوعان من الإنزلاق. النوع الأول هو إنزلاق العجلتين الأماميتين. فغالباً ما تضغط الكابح خلال اللفّ، لكن السيارة تتابع الإندفاع في خط مستقيم. الحل: لا تلفّ المقود أكثر، وتجنب ضغط الكابح، ولا تسرع، فتستعيد الإطارات تمسّكها بالطريق.

والنوع الثاني هو انزلاق العجلتين الخلفيتين. تفقد هاتان العجلتان تمسكهما فينزلق مؤخر السيارة جانبياً وتلفّ السيارة زيادة على المتوقع. فإذا لم يتمّ تصحيح الوضع دارت السيارة على ذاتها. والحل هو في العمل بسرعة: خفف عن دواسة الوقود، تجنب ضغط الكابح، وقُد السيارة إلى الجهة التي تريد. وحين تستعيد الإطارات تمسكها أدِر إلى الجهة الأخرى ما يكفي لتحاشي الإنزلاق المضاد. ثم زد السرعة بلطف مما يساعد في تثبيت السيارة.

تذكر في الطرق المبتلة أو المغطاة بالجليد أن كوابحك قد تكون أخطر عدو لك. إن العجلات المكبوحة (خطأ شائع لدى الجميع) لا تؤمن لك الضبط. إذا لم تستطع التوقّف في الوقت المناسب، فأفضل أن تدور بتمهل حول شيء ما، من أن تنزلق عليه.

حين يقتضي التوقّف سريعاً، اضغط دواسة الكابح بلطف. فإذا كُبحت العجلات وشرعت في الإنزلاق، ارفع قدمك عن الكابح إلى أن تكر العجلات، ثم عاود الضغط تدريجاً. كرر هذه العملية بحسب الضرورة، إنما حذار أن «تضخ» دواسة الكابح بذعر، فذلك يحول دون تمسك العجلات بالطريق.

إحدى الطرق التقنية لتجنب الذعر الذي قد ينجم عند التوقف المفاجيء هي ما يسميه معلم القيادة المحترفة والمسابق المرموق بيرتل روس، «إنذار الكابح»: اضغط بمقدار ما يكفي لإزالة الرخاوة في دواسة الكابح حين يكون هناك ما يدل غلى ضرورة توقفك، كارتقاء تلة ضبابية أو الاقتراب من تقاطع طرق. وينصح روس: «لا تنتظر، فحين يشير حدسك إلى بروز وضع خطر محتمل

استخدم حالاً إنذار الكابح فيما أنت تقوّم الوضع بدقة. ثم زد من ضغط الكابح إذا لزم الأمر.»

«العلقة.» للقيادة صعوداً في طريق زلقة انتظر إذا أمكن ريثما ينقطع السير، لكي تتفادى التمهّل أو التوقف في أثناء صعودك. قد بسرعة لتوليد قوّة دافعة. وكلما ازدادت درجة الإنحدار وأنت متجه صعوداً خفف تغذية الوقود لكي تتفادى دوران العجلات في مواضعها.

حاول عدم التوقف اظلاقاً في الطرق الجليدية، حتى المنبسطة منها، لأن من الصعب جداً معاودة الإنطلاق. وإذا لم يكن من بد من التوقف، فاعتمد السرعة الثانية[1] لدى معاودة الإنطلاق، وتحسّس دواسة الوقود لكي تؤمن أفضل قوة سحب.

الإطارات الصالحة هي في منتهى الأهمية. فالإطارات الشعاعية[2] الصالحة لكل الفصول هي جيدة لكن تلك المكتنزة المخصصة للوحل والثلج هي أفضل كثيراً. جهّز بها عجلات السيارة الأربع إذا أمكن. وإذا تيسر لك أثنان فقط فتأكد من تجهيز العجلتين الأماميتين في السيارات ذات الإندفاع الأمامي.

وقد تجد نفسك يوماً في مأزق حتى وأن جهّزت سيارتك بإطارات خاصة بالقيادة الشتائية وتبعت الطرق التقنية. فإذا حدث أن توقفت وعلقت، تثبّت من خلو الطريق أمام العجلتين الأماميتين من أي عائق، وأنهما موجهتان باستقامة إلى الأمام. أوقف كل التجهيزات الثانوية وأنزل زجاج النافذة لكي تصغي إلى دوران العجلات. أنقل القوة إلى ترس السرعة الخلفية، ثم انطلق على مهل إلى الوراء. وبعد ذلك انتقل إلى ترس السرعة الثانية وسر على مهل إلى الأمام. دع السيارة تترجح جيئة وذهاباً وعدِّل تغذية الوقود لتناسب هذا الترجح.

لا تسيء استخدام ناقل الحركة بنقله بسرعة إلى الوراء وإلى الأمام، وتفادَ دوران العجلات بسرعة مفرطة لأن ذلك يغرزها في عمق أكثر ويصقل الأرض. وإذا لم يؤدِّ ترجح سيارتك فائدة فضع قطعة بساط قديمة أو رملاً أو نثاراً تحت عجلتي الإندفاع (عليك أن تحتفظ بهذه الأشياء التي تساعد على السحب في صندوق سيارتك دائماً). أما محاولة الإنطلاق بتنفيس عجلتي الإندفاع قليلاً للحصول على «قوة سحب أفضل» فقد تخلق مشاكل أكثر من تلك التي تحلها. وقد تتسبب في قيادة غير متوازنة وتلف الإطارات. وربما فاتك أن تعيد نفخ الإطارات مما يؤدي إلى تلفها.

وهناك خرافة أخرى أن زيادة ثقل الحمولة في صندوق السيارة ذات الإندفاع الخلفي يزيد عوامل السلامة. إن الحمولة قد تزيد قوة جر العجلتين الخلفيتين مما يحول دون «علقة» في الطريق، إنما هناك مشكلة عليك

(١) Second gear
(٢) Radials

مـواجهتهـا أثنـاء السـير، ففي حـال الإنـزلاق تتحـول السيـارة المثقلـة في الصندوق الخلفي إلى ما يشبـه رقّاص سـاعة، فتنـدفـع يمنـة ويسرة مهـددة بالجنوح خارج الطريق.

دقّق في تقارير الأحوال الجويّة قبل انطلاقك في رحلة طويلة. واعتمد الطريق البديلة التي تنـاسبك. تجنب الـورطات المحتملة بمعاينة سيارتك وضبطها بدقة: شفـرات المسّاحـات والسـائـل المنظف واشارات الطوارىء والمصابيح الأمامية والخلفية والإطارات. ليكن خزان وقودك أبـداً نصـف مـلآن عـلى الأقـل إذا اضطـررت إلى قضاء ليلـة فينزل عـلى الطـريق. جهز نفسـك بعـدة طـوارىء أسـاسية: عـدة الاسعـافـات الأوليـة، اشارات ضوئية أو نارية، ثياب دافئة، بطـانيات، رمـل، رفش، صندوق عـدة، مشعـل كهربـائي، أسـلاك لـ«تـذكـير» البطارية، وطعام غير قابل للتلف، تحسباً لأي طارىء قد يقع.

غاري فتزنبرغ ■

«الى سيدي، مع حبي!»

وقف ادوارد ل.فلوم، رئيس شركة فلوريدا للفولاذ ومديرها التنفيذي، يحاضر حول القيادة والادارة في نادي معهد الادارة التابع لجامعة هارفارد في مدينة كمبريدج بولاية مساشوستس. ومن اجل ايضاح احدى النقاط، وهي امكان التعلُّم من اولئك الـذين نحاول تعليمهم، روى هذه القصة:

كنت مرة متضايقاً فعلاً من ابنتي التي كانت آنذاك في ربيعها الثاني او الثالث، فقررت ان اقاصصها وفق عادة قديمة معتمدة في الجيش. فعندما تحدثت اليّ طالبتُها بان تبدأ كل جملة وتنهيها بكلمة «سيـدي»: «سيدي، هـل اقدر ان اخـرج والعب، سيدي؟» «سيدي، الصبيان يزعجونني، سيدي!»

بعد ذلك كان عليّ ان اذهب الى الصيدلية، فدعوتُ ابنتي الى مرافقتي (بشرط أن تجلس على مقعد السيارة الخلفي، بالطبع). وفي منتصف الطريق شعرت بيد صغيرة تلامس رقبتي وسمعت هذا التصريح: «سيدي، انا احبك، سيدي». كان لكلامها وقع السحر في نفسي! وسرعان ما كسرت روتين الجيش، وتعلمت امثولة اخرى.

ف.س.د.

حفيد رائع

سألت تلاميذي مرة أن يقدموا الي تقريراً قصيراً عن عمل حسن أنجزوه. وجاءني أفضل تقرير من فتى كتب: «ذهبت مع جدي الى الصيد، وأصغيت اليه طوال النهار من دون أن أقاطعه مرة واحدة، قائلاً: لقد سبق، يا جدي، أن أخبرتني بذلك.»

ب.س.

نظرة الى الهموم الاقتصادية للقبائل الهندية في الولايات المتحدة

بلاد الهنود الحمر

الأراضي القاحلة التي كانت موطناً لقبيلة «آك ـ شين» الهندية تتألق اليوم باخضرار زاهٍ أكثر مما كانت في أيام الأجداد. لقد ظل أبناء القبيلة طوال قرون يزرعون الصحارى المنبسطة جنوب غرب الولايات المتحدة، حتى العام ١٩٤٧ عندما تولّى «مكتب الشؤون الهندية» ادارة أراضيهم.

قرر المكتب تأجير قطع الأرض الصالحة للزراعة في المحمية الهندية بولاية أريزونا الى مزارعين غير هنود، وباتت ايرادات قبيلة «آك ـ شين» من أراضيها عشرة آلاف دولار سنوياً في أفضل الحالات. وكان أبناء القبيلة، وعددهم بضع مئات، يعيشون في أكواخ مبنية بالطين وقضبان السكك الحديد، من دون كهرباء ولا مياه جارية. ولافتقارهم الى مجالات العمل وفقدانهم كل سيطرة على أراضيهم أذعن معظمهم لقسمتهم في عيشة الفقر.

...باستثناء عائلة واحدة. ففي بداية الستينات طلبت ليونا كاكار واخوتها من «مكتب الشؤون الهندية» ألاّ يجدد الإيجارات كي يتسنى للقبيلة مباشرة أعمال زراعية لمصلحتها.

فنصحهم موظف محلي: «لا يمكنكم تأدية هذه الأعمال. فالزراعة محفوفة بالأخطار هنا، ولسوف تفشلون!»

تجاهل ريتشارد كارليل النصيحة، وهو شقيق كاكار الأكبر. وحصل على قرض واستعار معدات زراعية. واستخدم مزارعاً محليًّا غير هندي كمدير. وزرعت القبيلة ٨٠٠ هكتار قطناً وحبوباً. وبعد سنتين بدأت العملية تعطي أُكُلَها. ووظِّف نصف الأرباح في الأعمال الزراعية وصُرف النصف الباقي على اقامة مساكن جديدة لأبناء القبيلة.

في تلك الأثناء اتصلت كاكار بموظفي الانعاش وشؤون البطالة في المكتب طالبة: «إذا أتاكم أي فرد من قبيلتنا، أعيدوه الينا اذا كان يستطيع العمل، وسنجد له وظيفة.» وسرعان ما تلاشى اتكال القبيلة على الحكومة.

اليوم باتت أرباح الزراعة تفوق

مليوناً ونصف مليون من الدولارات في السنة، وغدا العمل متاحاً لكل فرد يطلبه في القبيلة. وتفخر معظم العائلات بمنازلها الحديثة. تقول ليونا كاكار: «لو أصغينا الى مكتب الشؤون الهندية لبقينا على الهامش.»

في أنحاء «بلاد الهنود» تبرز واحات ازدهار، وهي حصيلة ثورة في المواقف. فمواطنو أمريكا الأصليون هم في صدد اعلان استقلالهم الاقتصادي.

□ قبيلة «شوكتاو» في ميسيسيبي حوّلت محميتها منطقة مشاريع اقتصادية قائمة على نشاط الأفراد لا على الموارد الطبيعية. فبقيادة «الزعيم» فيليب مارتين، جذب الشوكتاو الى حماهم مصنعاً الكترونيًا ومعملاً لتجميع قطع السيارات ومشغلاً لانتاج بطاقات المعايدة. وهكذا تأمّنت أكثر من ١٤٠٠ وظيفة لشعب عاش طويلاً من إعانات الانعاش الاجتماعي.

□ في ليديار بولاية كونيتيكت يدير أبناء قبيلة «ماشانتوكت بيكوت» أعمالاً كثيرة، من ضمنها مطعم وورشة حصى ورمل. والأرباح الناجمة من هذه المؤسسات تتيح للقبيلة أن تشغّل كل أبنائها وتصون طرقها وتملك محطة إطفاء.

□ هضاب أوكلاهوما الشمالية الشرقية موطن لثانية كبرى قبائل البلاد، وهي أمة «الشيروكي» المنيعة التي يقارب عدد أفرادها المئة ألف. في العام ١٩٧٥ كان ٩٠ في المئة من مجموع دخل القبيلة يأتي من الحكومة. واليوم أصبح ٦٠ في المئة من دخل الشيروكي صادراً عن أعمالها ومواردها الخاصة. وفي العام ١٩٨٨ جنت شركة «صناعات أمة الشيروكي» ٢٤ مليون دولار بصنعها تجهيزات عسكرية. وتعتبر «جنرال ديناميكس» أولى الشركات المتعاقدة معها، وينوّه مسؤولون فيها بأن الشركة الهندية تصنع «منتجات عالية النوعية، مع سرعة في التسليم.»

يأس مرير. المحزن أنّ واحات الرخاء هذه محاطة بصحراء من الحرمان. فمعظم الهنود علقوا في فخ «حضارة» الارتهان للانعاش الإجتماعي. واستناداً الى احصاء ١٩٨٠، يبلغ عدد الهنود الحمر في الولايات المتحدة مليوناً ونصف مليون، يعيش نحو نصفهم داخل ٣٠٤ محميات أو في جوارها. ويعيش أكثر من ثلثهم في فقر مدقع. وتزيد البطالة في محميات كثيرة على ٦٥ في المئة. ويخلو ربع بيوت الهنود من أنابيب مياه داخلية. وتتفشى في بيئاتهم آفات الإدمان والجريمة والانتحار.

ويحدث كل ذلك، على رغم ثلاثة مليارات دولار من الأموال الحكومية الاتحادية التي تتدفق سنوياً على محميات الهنود. وعلى سبيل المثال، تلقت قبيلة «نافاهو» أكثر من ٢٥٠ مليون دولار من «مكتب الشؤون الهندية» في العام ١٩٨٨. ولولا هذه الأموال لانهارت محمية النافاهو المنتشرة في أراضي أربع

ولايات في الجنوب الغربي فوق مساحة تبلغ ٦٥ ألف كيلومتر مربع. فالدخل السنوي الفردي في هذه القبيلة التي تعتبر كبرى القبائل في الولايات المتحدة، يبلغ نحو ٢٤٠٠ دولار. ونصف أبنائها (ومجموعهم ٢٠٠ ألف) عاطلون عن العمل، ومعظم العاملين انما هم موظفون في الحكومة القبلية أو في الدوائر المحلية لمكتب الشؤون الهندية.

ويلاحظ ان أراضي النافاهو عامرة بالموارد. وتشير التقديرات الى أن المحمية تختزن نحو ٤٠ مليون طن من الاورانيوم وأربعة مليارات طن من الفحم الحجري وملايين من براميل النفط. لكنّ معظم هذه الأراضي الغنية بالموارد ما زالت غير مستثمَرة، ومراعيها تُستغَلّ بافراط، وشعبها بائس ويائس. وما يضاعف مشاكل النافاهو وجود حكومة قبلية مبالغة في بيروقراطيتها، ينخرها الفساد.

ليس مأزق النافاهو فريداً في نوعه. فكل الأراضي القبلية مجتمعةً تحوي نحو ٢٥ مليار طن من احتياط الفحم الحجري السطحي (١٥ في المئة من مخزون الولايات المتحدة) فضلاً عن ثروة تُقدَّر بمليارات الدولارات من الأورانيوم والنفط والغاز والخشب.

اذاً، لماذا تظل غالبية القبائل الهندية من الفئات الأكثر فقراً في الولايات المتحدة؟ يقع اللوم، جزئياً، على سياسة الحكومة الاتحادية التي تخللتها مجموعة مفارقات وتناقضات.

وعود... وعود. في العام ١٨٦٨ أبرمت المعاهدة الـ ٣٧٠ الأخيرة بين قبائل الهنود والحكومة الاتحادية ومع أن النزاعات المسلحة استمرت عقدين آخرين، فإن معظم الهنود استقروا مكرهين في المحميات التي عُيِّنت لهم، وهي أراض مشمولة برعاية السلطات الاتحادية التي وعدت بحمايتها وتعزيزها.

ثم اعتمد الكونغرس الأمريكي في العام ١٨٨٧ سياسة دمج الهنود في المجتمع الأمريكي. وعلى رغم أن قانون التحصيص العام لم يُنفَّذ على نطاق واسع فقد دعا الى إزالة الملكية القبلية الجماعية للأرض. فكل عائلة هندية ستوهب قطعة أرض تراوح مساحتها بين ١٦ و٦٥ هكتاراً، ولسوف تشجِّع القبائلُ على اعتماد الزراعة نمطاً للعيش. لكنّ معظم الهنود افتقروا الى رؤوس الأموال او الى الخبرة الزراعية، وتعيّن على كثيرين منهم أن يبيعوا أرضهم كي يتسنى لهم البقاء أحياء. وغيرهم انتُزعت منهم ملكيتهم بالخداع.

في العام ١٩٣٤ صدر قانون إعادة تنظيم الهنود الذي أبطل سياسة التحصيص. لكن مقتنيات الهنود من الأراضي كانت آنذاك تقلّصت من ٥٥ مليون هكتار الى اقل من ٢٠ مليوناً.

وغيّر الكونغرس سياسته مرة أخرى عام ١٩٥٣ عندما صوّت على إنهاء العلاقة الخاصة بين الحكومة والقبائل. فنُقل آلاف الهنود الى المناطق المدنية في

محاولة لحل مشاكل المحميات الاقتصادية عبر خفض عدد سكانها. وهذه الخطة منيت أيضاً بالفشل.

وسرعان ما نُقضت سياسة «التخلّي» في الستينات لمصلحة نظام يعتمد برامج الانعاش الاجتماعي، التي زادت كثيراً ارتهان الهنود للاعانات الحكومية. إذ سرعان ما علق معظم المحميات في مشاريع باهظة النفقات وضئيلة المردود، تترجح بين مصانع الأثاث المفلسة والفنادق المهجورة، وقد فرضتها واشنطن على القبائل.

ومنذ أواخر السبعينات استثمرت الحكومة الاتحادية ٣٠ مليار دولار لانتشال المحميات من براثن الفقر. وفيما توافرت بعض الخدمات الضرورية، أخفقت عدة مشاريع وسياسات لأنها كانت مفروضة من فوق، من أصحاب السلطة البيروقراطية. أما الاستثمارات التي حصدت نجاحاً فهي تلك التي تولّتها القبائل ذاتها.

مشاريع قبلية. على امتداد نهر كولومبيا في ولاية أوريغون عاش أبناء قبيلتي «واسكو» و«وورم سبرينغز» على صيد سمك السلمون والتجارة حتى العام ١٨٥٧، عندما اقتلعتهم الحكومة بالقوة من بيئتهم النهرية وزربتهم في منطقة جبلية قاحلة من أراضيهم تبعد ١٤٥ كيلومتراً جنوباً. وانضمت اليهم لاحقاً زمرة من هنود الـ «بايوت» وعاشوا جميعاً في شظف على الزراعة.

وفي ١٩٣٨ انتظموا ضمن «القبائل المتحدة.»

جيف ساندز هندي من قبيلة «واسكو» يشغل الآن منصب المدير العام وهو مسؤول عن السلامة العامة. ترعرع في المحمية خلال الأربعينات والخمسينات، ويتذكر الأكواخ المتداعية والمفتقرة الى المياه الداخلية والكهرباء.

لكنّ حياة «القبائل المتحدة» تغيرت على نحو جذري خلال جيل واحد. فقد اشترك أفرادها (٣٠٠٠ نسمة) في مؤسسة عام ١٩٦٧ اشترت منشرة (وفي ما بعد بنت مصنعاً للخشب الرقائقي) وجنت مواردها من أشجار الغابات. وبقيادة مدير الأعمال كينيث سميث، وهو ثاني خرّيج جامعي بين أفراد قبيلته، استثمرت عائدات الأخشاب لبناء منتَجع ترفيهي يضم ١٦٠ غرفة، وانشاء شركة لبناء المنازل.

في العام ١٩٧٩ ركّبت القبيلة مولّداً كهربائيًّا على سد في نهر ديشوت، فغدت أول قبيلة تحصل على اجازة اتحادية لانتاج الطاقة. واليوم تبيع القبيلة كهرباء بقيمة ٤ ملايين دولار سنوياً الى شركة «باسيفيك أند لايت.»

وتستخدم المؤسسات القبلية ١٢٠٠ موظف، وهناك عمل لكل مقيم قادر على العمل. وفي العام ١٩٨٨ فاقت العائدات ٦٥ مليون دولار. ويقول ساندرز بفخر: «نحن الآن نتحكم بمصيرنا.»

وثمة قبيلة أخرى جديرة بالفخر هي قبيلة «أباتشي.» فقبل نحو قرن استسلم

زعيم الأباتشي الشهير جيرونيمو الى الجيش الاتحادي مسجّلاً نهاية المقاومة المسلحة لقبائل الهنود. واليوم يحافظ المتحدّرون من جيرونيمو على استقلالهم القوي في مساحة تقارب ١٩٠٠ كيلومتر مربع في جبال ساكرامنتو بجنوب ولاية نيومكسيكو.

تقول ويدا هيرونيمو ميلر حفيدة الزعيم الأسطوري ومديرة البرامج القبلية للأطفال والأولاد: «نحن على طريق التقدم، مع محافظتنا على تراثنا.» وخلال سنيها الستين التي قضتها في محمية «مسكاليرو» للأباتشي كانت شاهدة على كفاح القبيلة للتعويل على نفسها واطّراح نير الفقر بالدفاع عن استقلالها من صانعي السياسة الاتحادية.

بدأ الحظ يبتسم للأباتشي مع انتخاب وندل شينو رئيساً للقبيلة في ١٩٥٣. فقد سار شينو على خطى الزعماء الأقوياء مثل جيرونيمو وكوتشيز، فتوسّل فخار شعبه واستقلاله ليحفزه على تقرير مصيره الاقتصادي. وخلال الستينات ناضل شينو ضد بيروقراطية «مكتب الشؤون الهندية» وتوجيهاته في مسائل مثل طرق استخدام الاعتمادات المالية في التربية والخدمات الاجتماعية.

في العام ١٩٦٢ اشترت القبيلة منطقة جبلية قريبة من المحمية بقصد تحويلها الى أقصى منتجع جنوبي للتزلج في الولايات المتحدة. وتكهن بعض مسؤولي المكتب بفشل المشروع، إذ لم يسبق للهنود أن تعاطوا أعمال التزلج. غير أن المنتجع وسِّع الى ثمانية أضعاف مساحته الأصلية خلال السنوات العشرين التي تلت افتتاحه بفعل الازدحام الكبير الذي كان يشهده في نهاية كل أسبوع. وعام ١٩٧٥ افتتحت محمية «مسكاليرو» منتجعاً فخماً كلّف ٢٢ مليون دولار وأطلق عليه اسم «نزل أرباب الجبل،» وهو يضم فندقاً من ٢٥٠ غرفة وبحيرة اصطناعية مساحتها حوالى ٤٠ هكتاراً وملاعب لكرة المضرب وأراضي ممهدة للغولف. وأنشأت القبيلة منشرة عام ١٩٨٧ لتحويل الأشجار المقطوعة أخشاباً، كما اقتنت قطيع ماشية من ٤٥٠٠ رأس.

لا عقبات بعد الآن. ثمة صفات أربع تميز القبائل الناجحة عن شقيقاتها المحرومة: زعامة قوية وبعيدة النظر، إبعاد المناورات السياسية القبلية عن القرارات الاقتصادية، استعداد لتوظيف مديرين غير هنود لادارة المشاريع القبلية، وتصميم على الاستقلال الكلي.

وإذا أرادت القبائل الأخرى أن تحقق كفايتها الذاتية فعليها ازالة العقبات. يتعين رفع التقييدات المنظّمة التي تصدّ الهنود عن تطوير مواردهم الطبيعية. كما يمكن العمل بتقرير وزارة الداخلية التي أجرت دراسة ميدانية واقترحت تحويل المحميات مناطق صناعية وتقديم تسهيلات ضريبية للشركات التي تستقر فيها.

في العام ١٩٨٤ خلُص تقرير لجنة رئاسية الى ضرورة الغاء «مكتب الشؤون الهندية.» فقد وجدت اللجنة أن المكتب يتحرك ببطء شديد لمساعدة القبائل على تحقيق مزيد من الاستقلال الاقتصادي. ويتحكم المكتب بثلثي موازنته البالغة مليار دولار، أما القبائل فيمكنها تقرير مصير ٢٧ في المئة فقط من الأموال.

يقول روس سويمر الذي رأس «مكتب الشؤون الهندية» من ١٩٨٥ الى ١٩٨٩ بعدما ظل عشر سنين رئيساً لأمة «الشيروكي»: «منية القبائل هي أن تدير بنفسها توظيف الأموال الاتحادية وتتحمل مسؤولية قراراتها، وأنْ يُلغى نظام مكتب الشؤون الهندية لأنه يجعل القبائل مرتهنة له، وأن يترك الأمريكيون الأصليون يتولّون بأنفسهم العناية بانجاز استقلالهم الاقتصادي.»

لقد أظهرت النجاحات التي أحرزتها قبائل «آك ـ شين» و«الأباتشي» و«الشيروكي» وغيرها أن هنود أمريكا جاهزون للمغامرة في عالم الأعمال الاقتصادية وفق شروطهم هم. وفي ذلك يقول «الزعيم» أولد برسون من قبيلة «بلاكفيت» (الأقدام السود): «سوف نقترف أخطاء، لكنها ستكون أقل ايلاماً من مكابدة أخطاء شعوب أخرى.»

راندي فيتزجيرالد ■



خبير عتيق

تمّ التخطيط لشقّ طريق عام يمر بعضه في أراضي أحد المزارعين. وقد رفض المزارع السعر الذي اقترحه المخمِّن العقاري ثمناً لأرضه المستملكة. ودعي الى الشهادة شيخ خبير بالملكيات في المنطقة.

عرض محامي مصلحة الطرق مؤهلات المخمِّن، ثم استدار الى الشاهد وسأله: «لقد استمعتَ الى المؤهلات البارزة لهذا المخمّن العقاري، فهل تظن انه أهل لتحديد سعر هذه الارض؟ فأجاب الشيخ دون تردد: الامر رهن بصفته: أشارٍ هو أم بائع؟

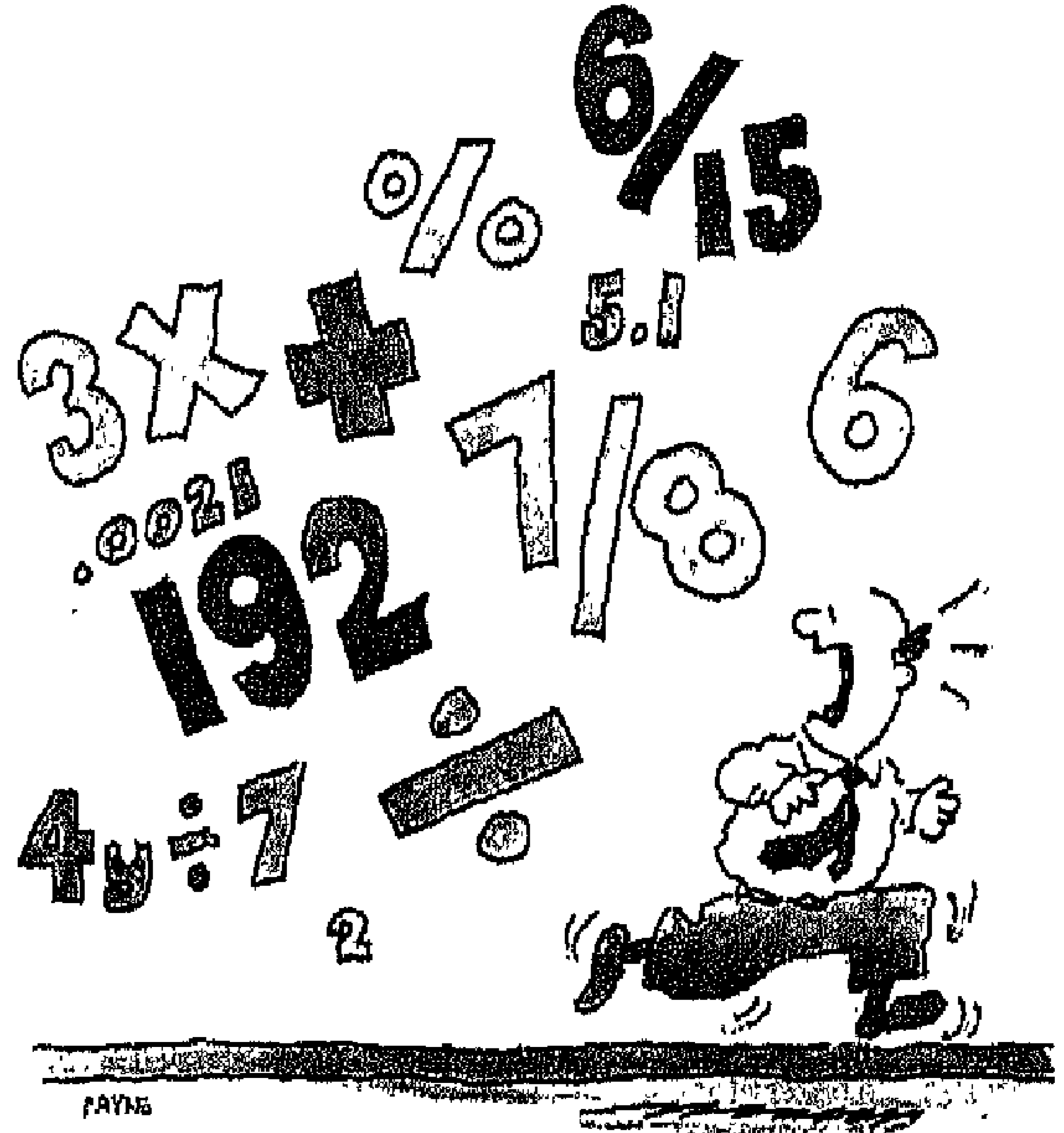
د.ن.

رؤساء ومرؤوسون

قال العامل لرب العمل: «ماذا تعني بقولك إنك تطردني؟ فما أعرفه هو أنّ العبيد يُباعون!»

م.ب.

هل تقف مذهولاً
أمام تراقص الأعداد؟
حاول استخدام هذه المفاتيح
لإنماء مهاراتك الحسابية



أفتولات حسابية

أنْ تترك انطباعاً حسناً لدى رب عملك أمر يزيد من حظوظك في التقدّم المهني.

يسألك المدير على الهاتف: «يا حسن، ما مقدار الزيادة التي حقّقها قسمك في مبيعاته خلال السنة الماضية؟»

فتتلو عليه الأرقام بفخر: «٦٠٠ ألف قطعة السنة الماضية، و٨٠٠ ألف هذه السنة.»

فيقول: «حسناً، ولكن ما هي النسبة المئوية للزيادة؟»

تشرق بريقك. كيف تحسب النسبة المئوية؟ هل تضرب؟ أم تقسم؟ وتجيب بعد حين: «أ... أ... سأتصل بك لاحقاً، يا سيدي.» وتجلس إلى مكتبك بائساً متمنياً لو كنتَ أكثر انتباهاً لمعلم الحساب أيام المدرسة.

اليوم ذكرى مولد ابنتكِ، وأنتِ في صدد تحضير قالب حلوى. لكنّ الوصفة توصي بثلاثة صفارات بيض، وليس لديك سوى بيضتين. فتحسمين المسألة بأخذ ثُلُثَيْ مقادير الوصفة الأصلية. ولكنْ ما ثلثا كوب وثلاثة أرباع كوب من الطحين؟

أنتَ في موقف حرج! تظن أنك تحمل في محفظتك ما يكفي من المال لشراء حقيبة سفر تعجبك. تشير اللافتة إلى حسم ٤٠ في المئة من السعر الأصلي ـ وهو ١٠٠ دولار ـ وتليها لافتة ثانية تقتطع ٤٠ في المئة من سعر المبيع. تقول

في نفسك إن الحسم بلغ ٨٠ في المئة وإن سعر الحقيبة هو ٢٠ دولاراً، صح؟ غلط. البائع يقول إنه أكثر من ذلك، وتجد أن نقودك لا تكفي.

أي نوع من المسائل الحسابية اليومية يعجزك؟ لا عليك، إذا كنتَ درست العمليات الحسابية الأساسية في المدرسة ففي وسعك أن تتمكن من هذه المسائل بقليل من الإرشادات البسيطة.

النسب المئوية: لدى حسابك النسب المئوية تكون خطوتك الأولى معرفة ما أنت باحث عنه. وإليك مثلاً: ٦٠ فقط من أصل ١٦٠ عضواً في ناديك حضروا أحد الإجتماعات، وأنت راغب في معرفة النسبة المئوية للحضور. يساعدك في مرادك أن تصوغ المسألة في كلمات: ٦٠ هي نسبة مئوية من ١٦٠؟ الخطوة التالية هي أن تتذكر أن العدد المسبوق بحرف الجر «من» هو الذي تقسم عليه لتعرف النسبة المئوية. وهكذا تقسم ٦٠ على ١٦٠ فيكون الجواب ٠,٣٧٥ أو ٣٧,٥ في المئة.

والنسبة المئوية يعبَّر عنها بعبارة «في المئة». مثلاً: ٢٠ في المئة تعني عشرين جزءاً من مئة، أو خُمس الكمية المحددة (٢٠/١٠٠ = ١/٥). وعشرون في المئة من ٣٠ تساوي (٢٠/١٠٠ × ٣٠ = ٦).

وكما في حال حسن وأرقام المبيعات، فإن مقارنة عددين بلغة النسب المئوية تربك أناساً كثيرين. المدرسّ ستيف سلافين، مؤلف كتاب «كل الحسابات التي تحتاج إليها»[1] يسأل طلابه على الدوام: «انتقوا أي عدد، ثم ضاعفوه ثلاث مرات وحددوا لي النسبة المئوية للزيادة.» يعتقد معظم الطلاب أن مضاعفة العدد ثلاث مرات يعني زيادة بنسبة ٣٠٠ في المئة. لكنّ الجواب الصحيح هو ٢٠٠ في المئة: فمضاعفة العدد مرتين تمثل زيادة بنسبة ١٠٠ في المئة، ومضاعفته ثلاث مرات تعني زيادة ١٠٠ في المئة إضافية.



الكسور. هناك ملاحظة أخرى من أيام الصفوف الإبتدائية، تذكِّرك كيف تُقسَم الكسور:

«أقلب العدد المقسوم عليه، واضرب بدل أن تقسم.»

مثلاً، تريدين أن تطبقي نصف مقادير وصفة مطبخية. أكتبي المسألة

(١) All the Math You'll Ever Need

على النحو الآتي: ١/٤ كوب من الدقيق مقسوم على ٢ = كم؟

اقلبي العدد المقسوم عليه (أي ٢) فيصبح ١/٢. ولدى ضرب الكسور، اضربي صورة الكسر الأول بصورة الكسر الثاني (أي العدد الذي فوق الخط) ومخرج الكسر الأول بمخرج الكسر الثاني[2]: ١/٤ × ١/٢ = ١/٨ أي ثُمْنَ كوب.

الأعداد العشرية. يقول سلافين: «يؤدّي ضرب الأعداد العشرية إلى أخطاء كثيرة لا تحصل في عمليات حسابية أخرى». وإليك مسألة نموذجية: احسبْ كلفة ١٠,٣٧٥ أمتار من القماش بسعر ٢,٥٥ دولار للمتر الواحد.

الضرب بسيط ـ ١٠,٣٧٥ × ٢,٥٥ ـ ولكن أين تضع فاصلة العدد العشري الحاصل؟

ابدأ أولا بضرب العددين العشريين كما لو كانا عددين صحيحين من دون فاصلتين، أي ١٠٣٧٥ × ٢٥٥. ثم عُدَّ الأرقام العشرية التي تكون إلى يمين الفاصلتين في العددين العشريين، وهي في مَثَلنا خمسة، وضَعِ الفاصلة بعد خمسة أرقام تعدها في الحاصل من اليمين إلى اليسار. فتحصل على ٢٦,٤٥٦٢٥ أي ٢٦,٤٦ دولاراً. أما إذا عددتَ ثلاثة أرقام فقط ـ وهو خطأ شائع ناجم عن الخلط بين ضرب الأعداد العشرية وجمعها ـ فإن تثمينك كلفة القماش سيكون ٢٦٤٥,٦٣ دولاراً.

وهنا بعض الأفكار المفيدة في معالجة المسائل الرياضية:

استخدِمْ حدسك. تقول شيرلي فراي رئيسة نقابة مدرسِّي الرياضيات في الولايات المتحدة: «كانت جدتي تبزني مقدرةً فطريةً في الحساب فهي كانت تعرف أن المسافة بين طرف أنفها ورأس إصبعها هي «حوالى» متر. ويحتفظ كثير من العاملين في حقل الأدوات بمواهب كهذه، فيما معظمنا لا ينمّيها.»

قَدِّر الجواب. يقول مدرِّس الحسابَ إريك ستيتزل: «أنت غالباً لا تحتاج إلى الجواب الدقيق، بل قد يكفيك جواب تقريبي.» لنقُلْ إن متجراً محليًّا يعرض فرش أرض الغرفة بالسجاد من الجدار إلى الجدار بسعر ١٩,٩٥ دولاراً للمتر المربع. فهل في مقدورك تجديد فرش غرفة الجلوس في بيتك، ومساحتها ٢٩,٢٥ متراً؟

قرِّب أعدادك العشرية، حاسباً مساحة الغرفة ٣٠ متراً وسعر المتر ٢٠ دولاراً. واضرب ذهنياً، فتحصل على سعر تقريبي هو ٦٠٠ دولار، يتيح لك قربه من السعر الصحيح (٥٨٣,٥٤ دولاراً) أن تتخذ قرارك بالشراء أو بالإمتناع.

استخدم أدوات حسابية. لا ضير

(٢) الصورة هي العدد العلوي في الكسر، والمخرج هو العدد السفلي.

في استخدام حاسبة، يقول المربُّون. فهي أداة، مثل القلم. واحتفظ بكُتيِّب رياضي للمراجعة، كأنه قاموس. تقول فراي: «إذا كان عليك أن تستخدم صيغةً حسابية مرة في السنة، فلا يتوقعنّ أحد منك أن تتذكَّرها على نحو صحيح من دون العودة إلى مرجع. فأنا قد أتذكر ٢٥ رقماً هاتفيًّا، أما الأرقام الباقية فعليَّ أن أراجعها.»

قارن الأرقام. يقول جون آلن باولوس، وهو مؤلف كتاب رائج حول الجهل الرياضي بعنوان «الامِّية العددية»[٣]، إن إحدى الطرائق لمقاربة الأعداد الضخمة هي مقارنتها بشيء مألوف. على سبيل المثال: ١٠٠,٠٠٠ هو عدد الكلمات في رواية نموذجية. ومليون هو، تقريباً، عدد الثواني في ١١ يوماً ونصف يوم. وقبل مليار ثانية كنا في العام ١٩٥٨.

وأهم من كل شيء خذ وقتك لدرس المسائل. يستشهد باولوس بمثل افتراضيّ يبدو سهلاً لكنه يقتضي تفكيراً: يقود موظف سيارته إلى مقر عمله بسرعة متوسطها ١٠٠ كيلومتر في الساعة. ويعود في الطريق ذاتها بسرعة متوسطها ٧٠ كيلومتراً في الساعة. فما هو متوسط سرعته ذهاباً وإياباً؟

الجواب الصحيح هو ٨٢ كيلومتراً في الساعة، فيما الجواب البسيط الذي يتبادر إلى الأذهان هو ٨٥، أي الرقم الوسط بين ٧٠ و١٠٠. وإليك الحل: نعرف جميعاً أن المسافة هي حاصل ضرب السرعة في الوقت (م = س × و.)

لنفترض أن المسافة بين البيت والمكتب هي ١٠٠ كيلومتر فتكون المسافة المقطوعة يومياً (م) ٢٠٠ كيلومتر ذهاباً وايابا.

وماذا عن الوقت (و)؟ في الذهاب يقود الموظف سيارته بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة. إذاً، هو يجتاز المسافة الافتراضية في ساعة واحدة. ولحساب الوقت المستغرق في الاياب، إقسم كفتي المعادلة على السرعة (س). بعد ذلك: و =م ÷ س (أي ١٠٠ ÷ ٧٠) أي ١,٤٢٨٦ ساعة. فيكون الوقت الاجمالي للذهاب والاياب ٢,٤٢٨٦ ساعة.

أما معدل السرعة الاجمالي (س) فنحصل عليه بقسمة كفتي المعادلة على الوقت (و): س = م ÷ و (أي ٢٠٠ ÷ ٢,٤٢٨٦) فيكون معدل السرعة ٨٢,٣٦ كيلومتراً.

لنعد الآن إلى المسائل الثلاث في بداية هذا المقال: سؤال رب العمل على الهاتف، ووصفة قالب الحلوى، وثمن حقيبة السفر. وقبل أن تقرأ الأجوبة أدناه حاول أن تجدها بنفسك.

إذا كانت دائرة حسن باعت ٦٠٠ ألف قطعة في السنة الماضية و٨٠٠ ألف هذه السنة، فإليك كيف تحسب النسبة المئوية للربح: قارن فائض المبيعات ـ

(٣) Innumeracy

٢٠٠ ألف قطعة ـ قياساً على مبيعات السنة الماضية ـ ٦٠٠ ألف قطعة ـ واسأل: «أي نسبة مئوية من ٦٠٠,٠٠٠ هي ٢٠٠,٠٠٠؟» وتذكّر القاعدة: العدد الذي يلي «من» هو المقسوم عليه. وهكذا تقسم ٢٠٠,٠٠٠ على ٦٠٠,٠٠٠ لتحصل على ٢/٦ أو ١/٣، أي ٣٣ ١/٣ في المئة. وهذا تحسُّن في المبيعات يبهج قلب كل رب عمل.

في المثل الثاني عن قالب الحلوى، أنت ترغبين في قياس ثلثي (٢/٣) كوب وثلاثة أرباع كوب ١ ٣/٤) من الدقيق. صيغة الإضافة هنا هي إلماع إلى ضرب المضاف بالمضاف إليه. ولكن عليك أولا أن تحولي الكسر المركب ١ ٣/٤ عدداً كسرياً: ٤/٤ + ٣/٤ = ٧/٤. و«الثلثان» يترجَمان: ٢/٣ × ٧/٤.

اضربي الآن الصورة بالصورة والمخرج بالمخرج، فتحصلين على ١٤/١٢، أو ١ ١/٦ كوب من الطحين.

المثل الثالث يستدعي قليلاً من المنطق الحسابي. فحسم ٤٠ في المئة من سعر الحقيبة المعلن (١٠٠ دولار) يخفضه إلى ٦٠ دولاراً. لكن اقتطاع ٤٠ في المئة من ٦٠ دولاراً يساوي حسم ٢٤ دولاراً. فإذا طرحنا الحسم الأول (٤٠ دولاراً) من السعر الأصلي (١٠٠ دولار) حصلنا على ٦٠ دولاراً.

وإذا طرحنا من هذه ٢٤ دولاراً، بقي سعر الحقيبة ٣٦ دولاراً وليس ٢٠.

تقول شيرلي فراي: «الحساب طريقة لنقل المعلومات. إنه شكل من الكلام.»

قليلاً من الممارسة، وتصبح أنت أيضاً طلق اللسان.

ادوين كيستر جونيور
وسالي فالنتي كيستر ■

اختلاط تام

سأل فتى صديقه: «هل باريس في بريطانيا؟»
كلا، باريس في فرنسا.
«لا بأس، فأنا لم اكن يوماً بارعاً في مادة الهندسة.»

د.ش.

حذاء رياضي

بدأت أختي رياضة المشي مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر يومياً لتخفيف وزنها. وعندما اتصلت بها هاتفياً لاهنئها على نشاطها وجدتها مثبطة الهمة. واشتكت قائلة: «كل ما خسرته هو خمسة سنتيمترات من نعل حذائي الرياضي.»

م.ا.

اغن لغتك

ترد في مقالات «المختار» احياناً تعابير علمية او اجنبية نحرص على توضيحها في تفسيرات اضافية تظهر في الحواشي أو ضمن النصوص. وهنا كلمات وردت لها شروح في اعداد السنة الماضية (١٩٨٩)، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. **يانوس**: نهر قديم ـ من الأهرام ـ كوكب ـ شخصية أسطورية.

٢. **غستابو**: شرطة نازية ـ بيت ضيافة ـ ثائر ـ غيبوبة.

٣. **أوسكار**: فيلم ـ جائزة سينمائية ـ وسام ـ سيارة نقل.

٤. **زولو**: عرّاف ـ قناع ـ شعب افريقي ـ سلاح بدائي.

٥. **برودواي**: جزيرة ـ شارع للمسارح ـ مدينة أوروبية ـ محطة فضائية.

٦. **توليب**: مطاط ـ مسمار ملولب ـ قماش سميك ـ من الزنابق.

٧. **بولينيزيا**: مجموعة أرخبيلات ـ قارّة ـ شبه جزيرة ـ صحراء.

٨. **رُغامى**: قصبة هوائية ـ طائر ـ جبهة ـ زبد الموج.

٩. **بريسكوب**: مجهر ـ سماعة طبيب ـ منظار غواصة ـ رادار.

١٠. **مافيا**: مادة مخدرة ـ منظمة اجرامية ـ دعاية ـ جمعية خيرية.

١١. **بليونتولوجيا**: علم الانسان ـ علم الاجتماع ـ علم النفس ـ علم الاحاثة.

١٢. **بروتوكول**: نظام تشريفات ـ استخبارات ـ برلمان ـ دستور.

١٣. **سيناريو**: صورة ـ اخراج ـ نص مسرحي ـ مشهد هزلي.

١٤. **درب الحليب**: حلوى ـ نهر قطبي ـ مجرّة ـ طريق قوافل.

١٥. **كابيتول**: مبنى الكونغرس ـ وزارة ـ مجلس شيوخ ـ رأسمال.

١٦. **ساري**: قبعة ـ لباس هندي شراع ـ نجم سيّار.

١٧. **البلقان**: دولة ـ بركان ـ سلسلة جبلية ـ شبه جزيرة أوروبية.

١٨. **كرول**: وحدة نقدية ـ معكرونة ـ سباحة سريعة ـ قرد.

١٩. **سُدّ**: صمم ـ ماء أزرق ـ إمساك ـ بكم.

٢٠. **تروبوسفير**: طبقة جوية ـ أوقيانوس ـ فراغ ـ جوف الأرض.

٢١. **لوجستية**: علم المنطق ـ طيران ـ لغة آسيوية ـ فن عسكري.

٢٢. **غواش**: ريشة ـ قماش للرسم ـ فوضى ـ رسم مائي.

٢٣. **افريقاني**: زنجي ـ صحراوي ـ افريقي من أصل أوروبي ـ قَبَلي.

٢٤. **البطاقة الخضراء**: بطاقة هوية ـ شهادة تقدير ـ منحة ـ تسريح.

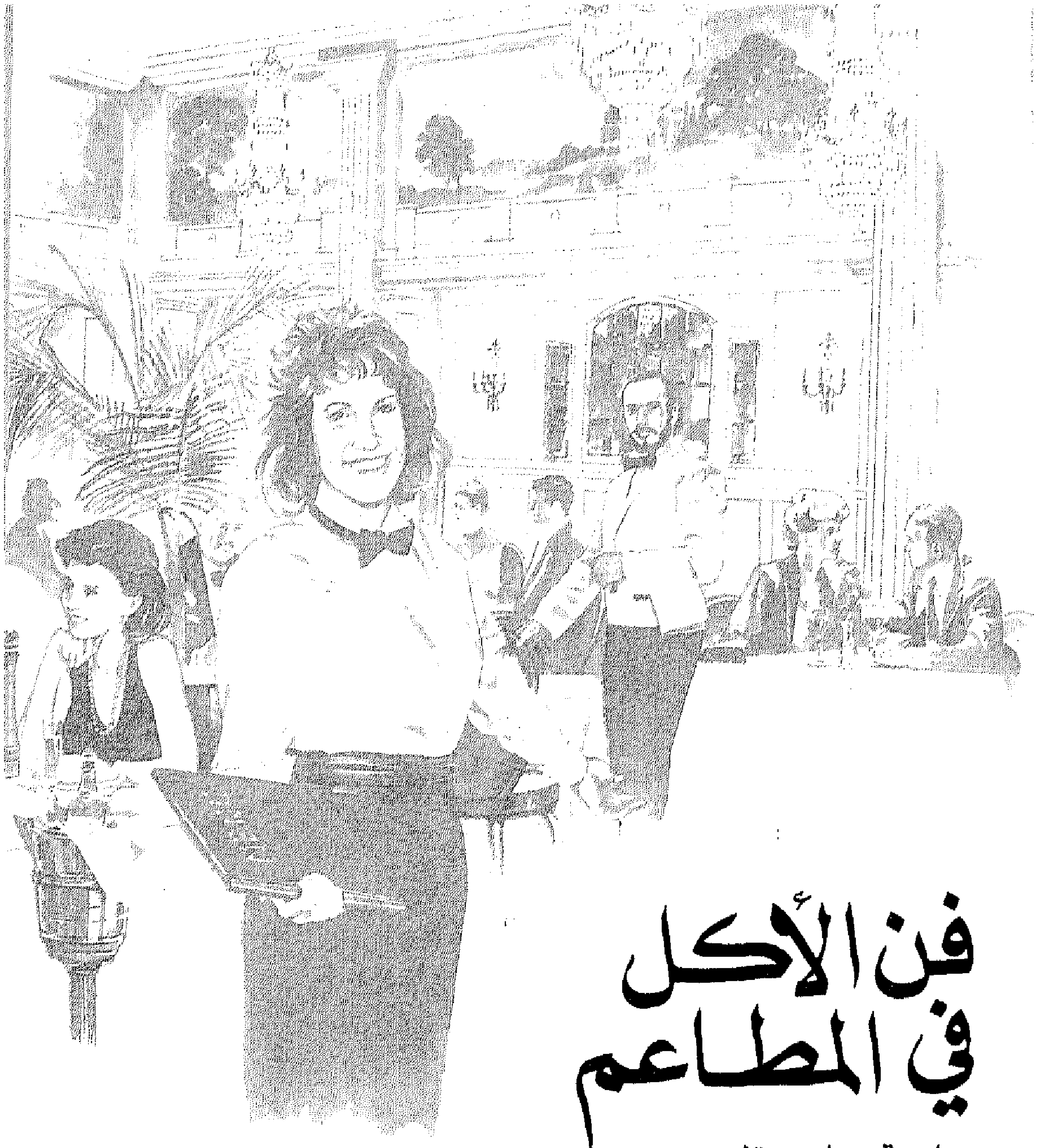
٢٥. **بيت الجوزاء**: عش العقرب ـ من الأبراج ـ بئر ـ جبل عال.

الأجوبة الصحيحة

١. **يانوس** (Janus): أحد أرباب الميثولوجيا الرومانية، ومن اسمه اشتُقّ شهر يناير (January).
٢. **الغستابو**: الشرطة السرية النازية.
٣. **الاوسكار**: جوائز سنوية تمنحها أكاديمية الفنون والعلوم السينمائية.
٤. **الزولو** (Zulu): شعب قديم في افريقيا الجنوبية، اشتهر بمحاربيه الشجعان.
٥. **برودواي**: شارع المسارح في نيويورك.
٦. **التوليب**: نوع من الزنابق يدعوه بعضهم «خزامى.»
٧. **بولينيزيا**: مجموعة أرخبيلات في المحيط الهادىء، ومنها جزر هاواي.
٨. **الرغامى**: القصبة الهوائية في جهاز التنفس.
٩. **البريسكوب** (periscope): منظار الافق يستخدم في الغواصات والخنادق.
١٠. **المافيا**: منظمة سرية تتولى تهريب المخدرات وابتزاز الأموال وغير ذلك من الاعمال غير المشروعة في أنحاء العالم.
١١. **بليونتولوجيا** (paleontology): عِلْم الاحاثة، وهو يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية.
١٢. **البروتوكول**: نظام التشريفات الديبلوماسية والعسكرية.
١٣. **السيناريو**: نص المسرحية أو الفيلم السينمائي.
١٤. **درب الحليب** (Milky Way): أو «درب التبانة» وهي المجرّة التي تضم نظامنا الشمسي.
١٥. **الكابيتول**: مبنى الكونغرس الامريكي.
١٦. **الساري**: لباس المرأة الهندية.
١٧. **البلقان**: شبه جزيرة تضم يوغوسلافيا وبلغاريا وألبانيا واليونان والقطاع الاوروبي من تركيا.
١٨. **الكرول** (crawl): سباحة سريعة يكون فيها الرأس مخفوضاً في الماء.
١٩. **السُدّ** (cataract): إعتام عدسة العين، أو «الماء الازرق.»
٢٠. **التروبوسفير** (troposphere): الطبقة السفلى من الغلاف الجوي المحيط بالارض.
٢١. **اللوجستيَّة**: السّوْقيات، أي فن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم.
٢٢. **الغواش** (gouache): طريقة في الرسم بالالوان المائية.
٢٣. **الافريقاني** (Afrikaner): مواطن في جنوب افريقيا من أصل هولندي أو أوروبي عموماً.
٢٤. **البطاقة الخضراء** (Green Card): بطاقة هوية تمنحها سلطات الولايات المتحدة للمهاجرين اليها.
٢٥. **بيت الجوزاء**: برج في السماء، واسمه الاجنبي (Betelgeuse) مشتق من العربية.

المستوى

٢١ ـ ٢٥: ممتاز
١٤ ـ ٢٠: جيد جداً
٩ ـ ١٣: مقبول



فن الأكل في المطاعم

صاحبة مطعم تفيدكم للحصول على وجبة شهية وخدمة ممتازة

لم يحدث أن «رميت» زبوناً خارج مطعمي إلا مرة واحدة. وكان وصل إلى المطعم ثملاً ومتأخراً ساعة عن موعد انتهاء الاستقبال. وفور وصوله وبخ المسؤولة عن حجرة الملابس لجهلها من يكون، وشتم النُدُل، وأرجع زجاجتين من الشراب الجيد، ثم اتهم رئيس الطهاة بأنه يستعمل البطاطا المعلبة. عندئذ اندفع هذا خارج المطبخ حاملاً كيساً من البطاطا وقشارة وهو يصرخ: «بطاطا معلبة؟ سأعطيك بطاطا معلبة. حاول أن تقشر هذه الرؤوس التي هي بحجم

ILLUSTRATIONS: ERIC STEMP

الكل.» عندئذ قررت أن أجعل ذلك اليوم يوماً مشهوداً.

ومن ناحية أخرى، عندما يدعوك الشاب الجالس إلى الطاولة «٣» ليقول لك إنه لم يذق في حياته أطيب من البط الذي تقدمه أو ليسألك عما إذا كان في وسع زوجته الحصول على وصفة كعكة الشوكولاتة التي أكلها، تدرك السبب الذي من أجله خضت حقل المطاعم.

وكما يتوقع الزبون طعاماً يرضيه، يأمل العاملون في المطاعم أن ينعموا بالرضى في عملهم. إذا تذكرت ذلك كلما خرجت لتناول الطعام، فتكون قطعت نصف الطريق نحو تجربة ممتعة جديرة بأن تذكر.

قبل كل شيء، احجز طاولة. إذا كانت الوجبة تهمك أنت شخصياً (ذكرى سنوية أو شخصية بارزة تريد تكريمها) أطلع موظف الاستقبال على ذلك عند الاتصال به هاتفياً للحجز. صحيح أن جميع الزبائن متساوون، لكن طلب طاولة حميمة لشخصين، أو خدمة سريعة لأن أحدهم يجب أن يدرك القطار أو الطائرة في وقت محدد، أو معاملة مميزة لشخص بارز تعتمد وظيفتك عليه، كلها أمور لا يجوز تجاهلها وإذا أُبلغ صاحب المطعم أن الزبون متشنج قليلاً، فقد يبذل وسعه ليضمن عدم وقوع أي حادث مزعج في مطعمه.

ومع ذلك ثمة خطورة في معاملة الشخصيات البارزة. فلو علم رئيس الطهاة أنه يحضر الطعام لناقد مطبخيّ لبالغ في اتقانه. وأنا أحاول منع أسرة المطبخ من معرفة هويات الأشخاص في غرفة الطعام، ولكن غالباً ما يكون هذا مستحيلاً. لكن لا أعتقد أننا قدمنا يوماً طبقاً كامل الأوصاف لأي من نقاد الطعام المعروفين. والناس الأقل شأناً قد يكونون أوفر حظاً.

طاولة جيدة. يستحسن الوصول إلى المطعم قبل ١٥ دقيقة أو أقل من موعد الحجز. أما إذا كنت ستتأخر واتصلت لاعلامنا بذلك، فسيكون المطعم ممتناً جداً وستلقى معاملة خاصة عند قدومك.

لا تأتِ بمعية ستة ضيوف إذا كنت حجزت لأربعة. ولا تغضب إذا تعذّر تدبر مقاعد لهم. سيكون الندل فرحين جداً إذا استطاعوا تدبر الأمر، فقدوم شخصين إضافيين يعني بيع وجبتين إضافيتين. إلا أن هؤلاء لا يمكنهم اختراع مقاعد وطاولات إضافية من لا شيء. وفكرة الطاولة «المحجوزة» على الدوام هي خرافة. قد يكون ذلك سارياً في المسارح ودور السينما، لكني لا أعرف صاحب مطعم يمكنه أن يتحمل طاولة غير مشغولة لسبب قد يطرأ.

إحدى الطرق لزيادة فرصك في الحصول على طاولة مناسبة هي ذكرك بوضوح أن عملية الحجز تعتمد على ذلك: «هل لديك طاولة لأربعة أشخاص؟ من المهم أن أحصل على طاولة جيدة. وإذا كان المطعم مزدحماً فأنا أفضل المجيء في ليلة أخرى. ماذا بقي لديك؟»

وحتى إن تأخر ترتيب الطاولات ولم تكن لدى موظف الاستقبال أي فكرة عن مواقعها، فسوف يضع بالتأكيد عبارة «طاولة جيدة» إلى جانب اسمك في قائمة الحجز.

ما هي مقومات الطاولة الجيدة؟ إنه سؤال محير. قد يبدو مقعد قرب النافذة جذاباً، لكنه يكون عادة بارداً أو قريباً من جهاز التدفئة تحت النافذة مما يحرق الساقين. أما الطاولة القريبة من المطبخ فهي على الأرجح الأكثر ضجة بسبب الأبواب المصطفقة على بعد أمتار. لكن الطعام هناك يصل إليك أسرع وأسخن، كما يمر كل نادل بتلك الناحية، وهذا يعني فرصة أكبر للفت نظره.

ويفضل كثيرون طاولة تقع في وسط الغرفة حيث يشاهِدون ويشاهَدون. وهو درس تعلمته بطريقة صعبة. فذات مرة دخلت الممثلة جولي كريستين ومعها الممثل وارن بيتي، وكانا حجزا طاولة لشخصين. فأرشدتهما إلى زاوية خافتة الأنوار بعيدة عن العيون الفضولية. فسألاني: «وهل يمكننا الحصول على طاولة أخرى؟» كان عرضي الثاني طاولة مستديرة في ناحية هادئة أخرى. وهذه أيضاً لم تلق استحساناً. أخيراً اقترحت عليهما أن يختارا طاولة. ففعلا، وانتقيا واحدة في وسط الغرفة، تحت الأضواء الباهرة تماماً. كان عليّ أن أعلم أن رجلاً أنيقاً في بزة بيضاء متألقة وامرأة تبدو مليونيرة، لن يرغبا في اخفاء رونقهما في زاوية مظلمة.

إن لم تعجبك طاولتك فيمكنك التحبب إلى رئيس الندل بمعالجة الأمر بروية وأدب: « لدينا مشكلة هنا. أشعر بتيار شديد البرودة. هل يمكننا الحصول على طاولة أخرى؟» سوف تسمع مباشرة: «بالتأكيد يا سيدي.» ليس عليك أن تتذلل، ولكن بالتودد يحصل المرء على نتائج أفضل مما يجنيه بالاتهام.

أي طبق تختار؟ بصفتك المضيف، صاحب الدعوة، يمكنك أن تحسِّن أنت أيضاً نوعية الخدمة إذا اكتشفت ماذا يرغب ضيوفك في تناوله قبل وصول النادل لتلقي الطلبات. أما إذا مضى الجميع يتحدثون بجذل وتجاهلوا قائمة الطعام التي في أيديهم حتى قدوم النادل إليهم، فسيضطر هو إلى مجاراة التردد والحيرة، وقد ينتهي به الأمر إلى الخطأ في تسجيل الطلبات.



صغير في قلب المدينة يقدم ستة أنواع مختلفة من ثمار البحر، فهذا يعني أن على رئيس الطهاة أن يحتفظ بكل شيء مجلداً، وعند الطلب يخضع الطعام لتذويب سريع في الفرن أو تحت المياه الساخنة.

اختر أكثر الأطباق وضوحاً. تجنب أي شيء يدخله الهليون في منتصف الشتاء أو الفطر البري في أوج الصيف، إذ سيكون الهليون معلباً والفطر مجففاً. وقد يكون الطاهي أمهر في شيّ الدجاج منه في تحضير يخنة الخضر.

والأطباق التي يتميز بها المطعم قد تكون رهاناً جيداً لأنها تحمل راية المؤسسة. ولكن في مطعم خال من الزبائن، قد يوقعك الطبق اليومي في شرك، فربما حوى بقايا لم تؤكل.

الخدمة. أما وقد فعلت ما عليك، فعلى المطعم أن يقوم الآن بواجباته. وإن كانت لديك شكوك فلا تتردد في البوح بها.

في مطعم في البندقية جلست ذات مرة برهة خلتها ساعات، منتظرة القريدس (الجمبري) المسلوق الذي طلبته. ولم أتذمر قط. وأخيراً قدم إليّ طاس من الخوخ المسلوق ولو شكوت أمري بعد عشر دقائق من التأخر لما اضطر النادل إلى الهرولة إلى دكان البقال لشراء كيس من الخوخ، ولما تعب رئيس الطهاة



لا تسأل النادل: «ماذا تقترح؟» فهو قد ينصحك بما أُمر بالتخلص منه، أو بطبق يحبه هو وقد لا تحبه أنت. لكنه في غالب الأحيان لن يعرف ماذا يقول. إن قلة من رؤساء الطهاة يعطون النُدُل موجزاً بالأطعمة.

لكن المدير قد يقدم عوناً أكبر، وهو يرغب بصدق في أن يعطيك أفضل ما يقدمه. ولكن لا يسعني أن أطلعك على عدد المرات التي أفرطت في إظهار مزايا طبق جديد وشهي لألقى هذا الجواب: «إنه يبدو جميلاً، لكنني لا آكل فضلات الذبيحة.» أو جواباً أسوأ: «إنني أتبع حمية غذائية.»

احترس من قائمة الطعام الطويلة ـ إلا في المطاعم الكبيرة. إذا كان مطعم

المشدوه في طهوها. وهو شرح لي الأمر قائلاً إنه اعتبر الطلب إحدى نزوات الانكليز الغريبة.*

وماذا عن مشاكل الخدمة أو البقشيش (الإكرامية)؟ تختلف التطبيقات باختلاف الأماكن. وإن صعب عليك تدبير هذا الأمر، فلا تتردد في السؤال بشجاعة: «هل الفاتورة تتضمن الخدمة؟» إذا كان الجواب نعم فلا تدفع بقشيشاً. وإذا راوغ النادل مجيباً: «نعم، لكننا لا نحصل على حصتنا،» أو «معظم الزبائن يعطون إكرامية،» فلا تعره اهتماماً ولا تدفع بقشيشاً. أما إذا كانت الخدمة غير متضمنة في الفاتورة فسيخبرك النادل ذلك بوضوح. في هذه الحال أضف إلى الفاتورة ما بين ١٠و ١٥ في المئة.

في تسع حالات من كل عشر تمر مناسبة المأكل والمشرب على خير ما يرام. ولكن تذكر أنك غيرمضطر إلى دفع أتعاب الخدمة، وإن تكن ضمن الفاتورة. إذا لم تكن راضياً عن الخدمة ولا راغباً في الجدل أمام ضيوفك وقت دفع الحساب، إذهب إلى قسم الاستقبال واسأل عن المدير. أخبره بهدوء، ولكن بحزم، أسباب عزمك على دفع ثمن الطعام فقط.

إن العلاقات الجيدة في المطعم، كما في جميع الأمكنة، تعتمد أولاً على المسلك. إن صاحب مطعم كفيًّا يعلم أنك لن تتمتع بوقتك إلا إذا شعرت بأن العاملين في المطعم يخدمونك بود.

إذا وصلت إلى المطعم عابساً، ولم تنظر إلى عيني المدير أبداً، ولم تُشعر النادل بوجوده بابتسامة أو بكلمة شكر عندما يحضر لك الطعام، فلا تفاجئنَّك الخدمة البطيئة.

عندما سألت الندل في مطعمي أي الزبائن يعجبهم أكثر، كنت أتوقع أن يذكروا لي المبذرين الكبار والذين يدفعون بقشيشاً سخياً والذين لا يتذمرون. لكنهم أجابوا أنهم يحبون الزبائن الذين ينظرون في عيونهم مباشرة ويبتسمون لهم ويعاملونهم كبشر.

برو ليث ■

(*) prawns في الإنكليزية قريدس، وprunes خوخ.

افتتحت الكاتبة مطعمها اللندني الشهير «ليث» عام ١٩٦٩. وهي تدير مدرسة لتعليم فن الطبخ وشركة تتعهد تأمين الطعام في الحفلات. وقد ألفت ١١ كتاباً في فنون الأكل.

أيا ليت الشباب...

قالت امرأة لصاحبتها: «انظري، هذه المجلة تعلمك كيف تزيلين عن وجهك مسحة خمس سنوات.»

فردت الاخرى: «رائع! سأشتري نسختين.»

ج.ك.

منذ طرح أول كهف للبيع في مقابل ثلاث فروات دببة والأسعار في ارتفاع والمالكون الجدد قلقون ومغتبطون في آن

بيتنا الجميل

لا شيء أعز عليك من بيتك الأول. الزمن يتغير، والأسعار تتغير، لكن الرابط العاطفي بين الانسان وذلك المسكن الأول الذي اشتراه بحب وقلق لا يتغير.

وقع نظرنا على بيتنا الأول في يوم كئيب من شهر يناير (كانون الثاني). لكن الطقس لم يهمنا. انه لا يهم أبداً عندما يتعلق الأمر بالبيت. كان مؤلفاً من طبقتين وعمره سبع عشرة سنة وفي حاجة الى طلاء. والدرب المؤدية اليه في حال يرثى لها. غير أننا لم نعبأ بكل ذلك. كان، في نظرنا يستحق أن يعرض في مجلة «البيوت الفخمة.»

ما سبب هذا الانجذاب؟

لا سبيل الى تحديده. قد يفي أحد المنازل بكل متطلباتك، وصولاً الى مقابض الأبواب، ويبقى مع ذلك «غير مناسب» قطعاً. وآخر قد يحتوي على خزانات ضيقة لكنك تراه صالحاً تماماً. ما إن تعبر الى داخله حتى تكتشف ذلك بنفسك. هذا كل ما في الأمر، يشدك شيء ما في النوافذ أو في الاضاءة أو في شعورك وأنت في المكتبة.

إن قرار شراء منزل لا علاقة له أبداً بالمنطق. بل إنه فورة جنون موقتة. أخبرني صديق كيف أن زوجته وثبت من السيارة وقطعت الحقل راكضة «وقدماها تكادان تلامسان رأسها» لحظة رأت ذلك المنزل القديم. وهمس مضيفاً: «وللحال ارتفع سعر المنزل ١٠ آلاف دولار.»



CONDENSED FROM BOSTON GLOBE MAGAZINE (MAY 5, '88), © 1988





ولتمضية الوقت في انتظار قرار المصرف حول اعطائنا قرضاً، كنا نركب سيارتنا ونقودها في اتجاه «بيتنا.» فنمر به صباحاً في طريقنا الى العمل، وظهراً في استراحة الغداء، ومساء لدى عودتنا الى شقتنا.

كان زوجي جون يقول لي: «لقد مررت بالبيت وأنا عائد من محطة الوقود. فكرت في أن ألقي عليه نظرة في طريقي.»

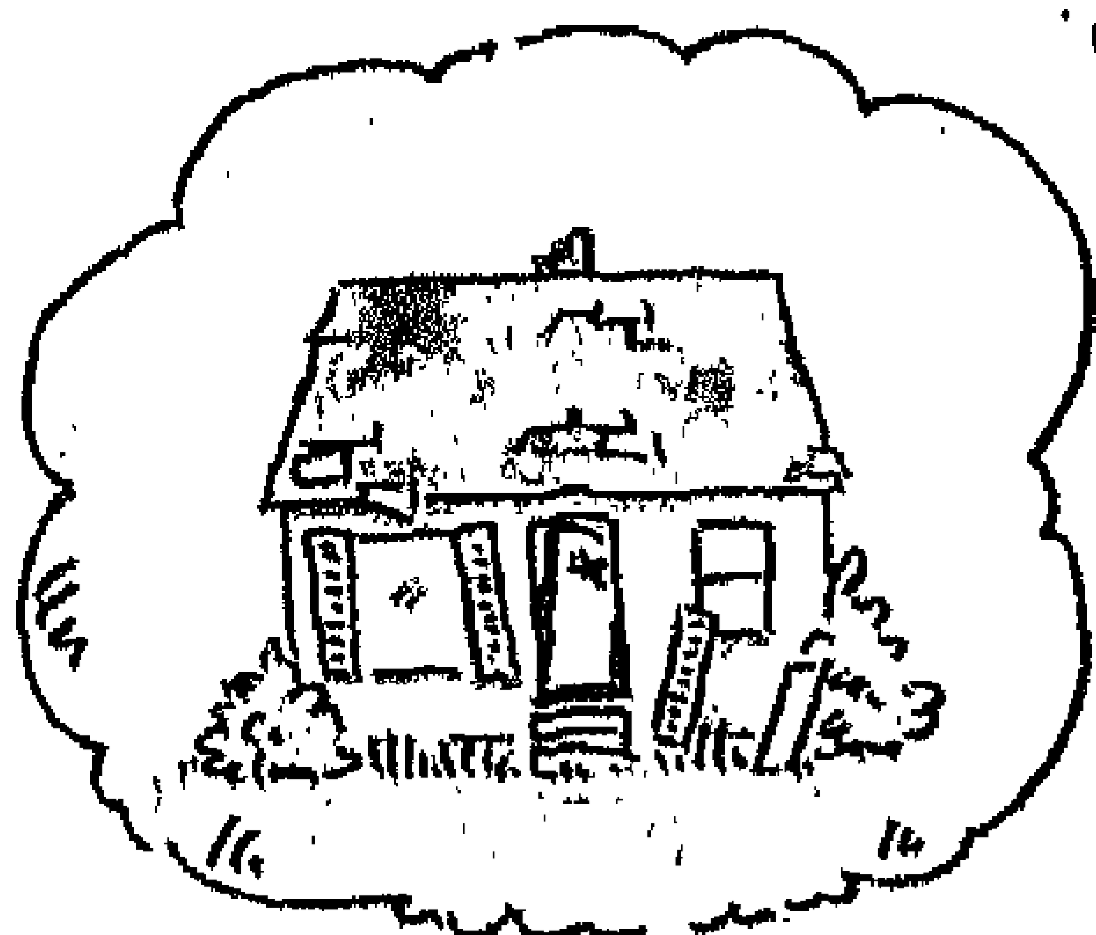
فأسأله: «كيف بدا؟» وأوقف كل أعمالي لكي أصغي الى تقرير مفصّل.

«بدا جيداً» وبعد دقائق يضيف: «لمَ لا نذهب في نزهة صوب البيت؟»

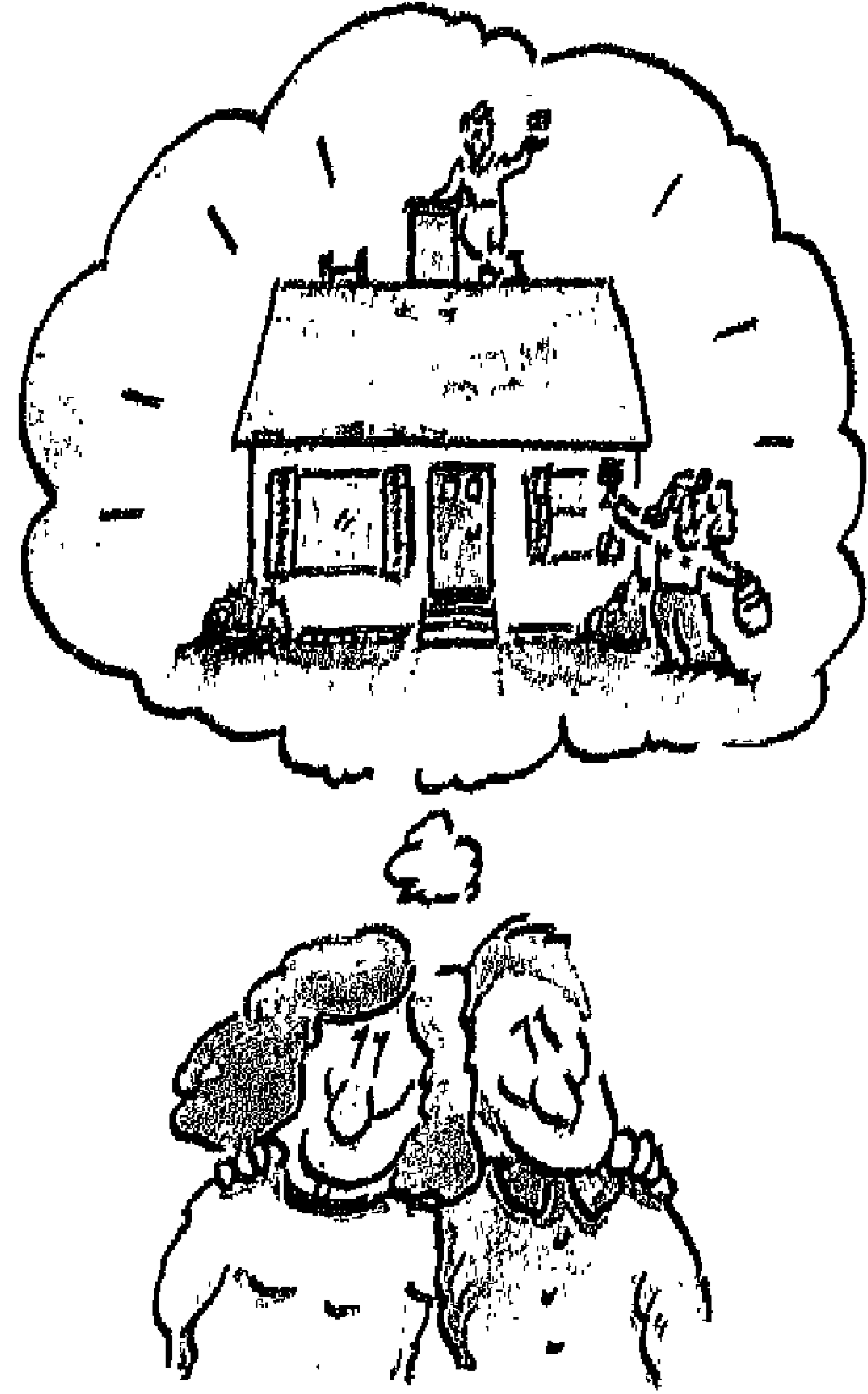
في وقت ما بين التجربة الأولى المتمثلة بعبارة «ياه، ما أجمل هذا المنزل!» ويوم الانتقال إليه يسود هلع كبير. وهو يحدث عادة في الزيارة الثالثة أو الرابعة. قد تكون قصدته لقياس النوافذ من أجل تصميم الستائر، فتدخل غرفة الجلوس وتنظر الى الأرضية فتكتشف أنها خضراء! والواقع أنها كانت دوماً خضراء، لكنك كنت تعتقد أنها رمادية. وأنت تحب الرمادي وتكره الأخضر. فتصيح: «هذه الأرضية خضراء!» فتهرع زوجتك لتحضر لك كأس ماء.

ثم تلاحظ أن الأبواب مجرّحة. وترى أن القرميد بدأ يصفرّ. وتجد أن ركائز الأضواء في المطبخ ملتوية والمنضدة مبقعة والسجادة مهترئة. إن أفضل ما يمكن أن تفعله عند ذاك هو قضاء ثلاثة أيام على شاطىء دافىء. لكن ذلك يتخطى امكاناتك لأنك تنوي شراء منزل.

ويدوم مزاجك هذا حتى الزيارة اللاحقة بعد ظهر يوم تكون فيه الشمس مشرقة والزعفران ينمو بشموخ في نسيم الربيع.







إنتقلنا الى بيتنا في صبيحة يوم دافىء من ابريل (نيسان) مفعم بزقزقة العصافير. كنت وزوجي نهزأ بالمولعين بالعصافير، ونجده مخبولاً كل من يقول: «أوه، أنظروا الى هذه السنونوة!»

البيت يضعك في اتصال مباشر بالعصافير والزعفران والأرض. فنحن الآن نمضي وقتاً طويلاً في الباحة نتنزه في محاذاة حدود أملاكنا متفقدين الجنبات والأشجار والأزهار. براعم تتفتح وأوراق تتساقط ووريقات تشق طريقها الى الحياة. ولدينا نوعان من البذور، وسنحضر نوعاً ثالثاً لأننا سمعنا أن الحساسين تحب الأشواك البرية على أنواعها. كما نملك قائمة مفصّلة بأجهزة إطعام العصافير وتدفئة أعشاشها، ونبحث ملياً في إمكان طلب بعضها. كلنا يعرف ان المولعين بالعصافير مخبولون.

ويأتي وقت يرفع المرء كمّي قميصه ويأخذ أعباء المنزل على عاتقه. وقد حصل هذا معنا في عطلة نهاية الأسبوع. كنا جالسين نتحدث في إمكان استخدام عامل لطلاء الأثاث الخشبي في غرفة الجلوس. وعلمنا أن العمل يقتضي وضع قناع واق على الوجه وحَفّ الطلاء حتى الوصول الى الخشب الأعزل. حركة واحدة خاطئة وينهار المنزل.

حدّقنا جيداً الى الأثاث الخشبي واستدرنا بعصبية في مقاعدنا. ثم تفحصناه عن كثب. لمسناه بأيدينا وجرّحناه بأظفارنا. أخيراً تنهد جون طويلاً وهتف: «اللعنة عليه!» فلنطْلِه باللون الأبيض على طريقتنا فوق الطلاء القديم من دون تنظيف ومن دون أقنعة.»

وغمرنا شعور بالذنب والاستهتار ونحن في طريقنا الى متجر الطلاء. كان المتجر يعج بأناس مثلنا جاؤوا يأخذون دهانات تستعمل كطبقة اساس تسبق الدهان العادي ورأيناهم يمررون أصابعهم في الفراشي ويتمايلون بأبهة لأنهم قرروا التكفل بطلاء منازلهم.

عدنا الى بيتنا وعملنا حتى الرابعة صباحاً. واقتلعنا السجادة. كنا نعتقد أننا سنحتاج الى اختصاصيين لذلك أيضاً، لكنا لم نكن نحتاج الا الى جرأة وثقة بالنفس. وفي اليوم التالي انتزع جون قرميد الموقد وشرع في بناء جدار قرميدي جديد.

البيت كرة عملاقة من معجون تنتظر أن تقولبها بحسب شخصيتك. نعم، قد تفسد كل شيء، لكن المهم ألاّ تعبأ إن أنت فعلت. القصد من هذه المغامرة هو المغامرة والاستعداد للمخاطرة ورؤية ما سيحدث.

وهكذا نبدأ سنتنا الثانية في بيتنا الأول شاعرين كأننا جئناه الآن وفي الوقت نفسه كأننا عشنا فيه عمراً. لم نعد كما كنا قبل سنة. لقد غرقت أيدينا في العمل، وشاهدنا الفصول تمر، وأمضينا الأعياد في بيتنا بعدما كنا نمضيها في منازل الأهل.

البدر ينير المرج خلف بيتنا. شمس الصباح تغمر مطبخنا. العصافير تثب فوق حافة الشرفة. نحن متعلقون بالمكان، بالكوكب، بالكون. هذه قصة قديمة، لكنها تبدو جديدة كلما عاشها المرء.

لا، لا شيء أعز عليك من بيتك الأول.

سوزان تروش ■



تهذيب الكبار

روى لي صديق قصة عن الممثلة البريطانية المميزة مي ويتي:

مرة تعرضت الممثلة لمعاملة فظة من بائعة لندنية متعجرفة. فقالت وقد مُسَّت كبرياؤها: «أفترض انك تعرفين من أكون.»

ـ بالتأكيد.

«وافترض أنك تعتقدين اننا متساويتان.»

ـ طبعاً.

«اذاً لماذا لا تكونين مهذبة مع أندادك؟»

ر.ل.

شقيقات رفيقات

الشقيقات، في اثناء نموّهنّ، ينزعن الى التخاصم والتناحر. وحين يصبحن أمهات يحلو لهن التنافس في تربية أولادهن والمقارنة بين ذكائهم. وعندما يكبر الاولاد تتقارب الشقيقات أكثر ويصبحن غالباً، مع تقدمهنّ في العمر، الرفيقات المختارات والاكثر سعادة. والى ما يتقاسمن من ذكريات الطفولة ومن علاقات مع رفقاء الصبا يحتفظن بذكريات مشتركة عن بيت واحد، وعن نمط العمل فيه، وعن أحكامهن الاعتباطية على التدبير المنزلي الذي يرجّع أصداء صوت أمهن وهي تعظهن وتحذرهن: «لا تملأن ابريق الشاي من صنبور المياه الساخنة.» أو تنهرهنّ: «جفّفن الاقداح أولاً.»

ولكن، فوق كل ذلك، تعرف الشقيقات اللواتي نَمَوْنَ متقاربات كيف أن أحلامهن حبكت من خبراتهن الحياتية.

مرغريت ميد، عالمة اجتماع

الذكاء عند القطط

تتكـرر الوتـيرة كل ليلـة. أعود من العمل إلى البيت، فأجد القطّ جالساً على طاولة المطبخ. أنهره كي ينزل. فلا يفعل. أدفعه إلى الأرض. فيتّجه إلى الثـلاجة ويكاد يلامس بابها بـأنفه. أفتـح باب الثلاجة، فيضرب أنفه. أغرز ملعقـة في علبـة طعامـه. فيدور متـرقباً. وينـزلق الطعام من الملعقة لحظة يدني رأسه من الصحن الفـارغ، فيقع عـلى رأسه، ثم يـرتدّ عن أذنيـه الصغيرتـين المسننتين ويسقط معظمه في الصحن. يأكل. وآكل. ونشاهد برامج التلفاز.

استمرت هذه الشعـائر يـومياً عـلى مدى ٥٢ أسبوعاً في السنة، ولمدة ١٠ سنين. أي آلاف المرات. ألن يأتي يوم يستقبلني هو عند الباب، ثم يسير إلى صحنه ويجلس منتظراً بضع ثوان؟

ذات صباح، بعد الجولة إيـاها من الجلوس على طاولة المطبخ واصطدامـه بباب الثلاجة وانزلاق الطعام فوق رأسه، نظرت طويـلاً إلى قطّي. كنت أنا عـلى أهبة الخروج إلى عملي، وكان هـو على أهبة أخذ قسط من النوم. كنت متوترة الأعصـاب أفكر في عـدة أمـور، وكـان يحملق في الفـراغ منذ نصف سـاعـة.

قلت: «أتعرف يا إزي، إمّا أنك خـارق الذكاء وأما أنك خارق الغباء.»

ما هو، يا ترى، هـذا الكائن الـذي أعيش معـه ويقضي معظم وقته نـائماً؟ وهل قِطّ المنازل حقاً غامض ومنعزل، كما ينزع البعض إلى الاعتقاد؟

وما هو، يا ترى، مـدى ذكاء القط؟ سؤال طرحه راندل لوكـوود، الخبير في القطط والـعـالم في سلـوك الحيـوان. ويجيب: «ذكي جـداً ـ في كونـه قطاً». ويختصر الإختصاصيون بسلوك الحيوان الأمر بالآتي: إذا سألت قطّك أن يلعب الشطرنج، فسيبدو غبياً جداً. ولكن إذا سألك قطّـك أن تتسلق شجرة بسرعة خاطفة وتلتقط سنونوة طائرة، فلن تبدو ذكياً أنت أيضاً. والمحيّر في الأمر هـو: لمـاذا يبدو هـذا الحيوان الـذي تـراه مأخوذاً بالتفكير، وكأنه عاجز عن تعلم أي شيء على الإطلاق؟

رؤيـة أفقيـة. يقـول جون رايت، وهـو



خبير في سلوك الحيوان: «لقد تعلم «إزي» شيئاً: أنه حين يجلس على الطاولة، ويُدفع إلى الأرض، ويصطدم بباب الثلاجة، ويمد رأسه فوق الصحن، يسقط الطعام تلقائياً ويستقر في فمه. وبما أن هذا ما اعتاد أن يفعله، فلقد تعلّم أن تكراره ينيله الطعام.»

أما الطبيب البيطري جون هندريكس فيعتقد «أن لا وقت لدى القطط لتتعلم، لأنها تقضي معظم عمرها نائمة.» وقد درس هندريكس، على مدى سنوات، سلوك القطط وهي نائمة، واستنتج أنها تقضي أكثر من ٨٠ في المئة من وقتها نائمة. يقول: «اللافت للنظر أنها تنام



لماذا يبدو هذا الحيوان المستغرق في التفكير كأنّه لا يتعلم شيئاً على الإطلاق؟

وآذانها مفتوحة. فهي قادرة على التقاط الأصوات وتمييزها خلال النوم، وانتقاء ما يهمها منها.»

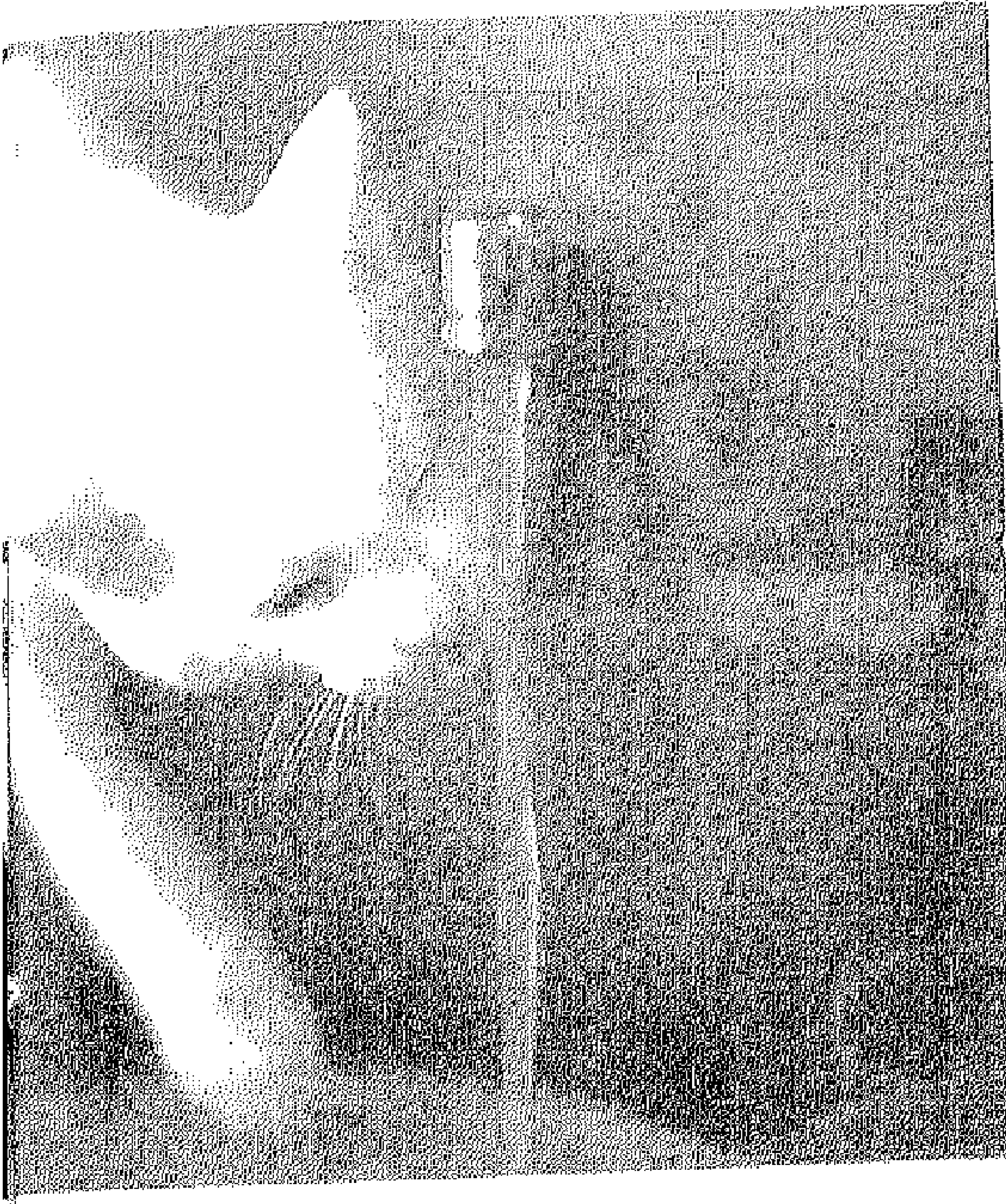
وهذا يفسر كيف يتمكن «إزي» من النوم العميق أيام السبت وسط هدير الغسالة وزعيق الستيريو وصفير مجفف الشعر؟ وكيف تتحرك أذناه وتتأهب قوائمه وينطلق كالبرق عندما يهم زوجي بفتح علبة ما. وكأنه يفكر: قد يكون ذلك طعاماً، فلا تجازف بتجاهله.

وحين تحدِّق القطط إلى الفضاء البعيد، وهي مستيقظة، فيمَ تفكر يا ترى؟ يقول جون رايت: «لا أدري إن كانت تفكر في أي شيء. ربما كانت تراقب شيئاً ما، وربما كانت تشعر بالاكتفاء والرضى ليس إلا.»

غير أن ما نعرفه فعلاً هو أن القطط حين تنظر إلى العالم تراه مختلفاً عن عالمنا. فعين القطّ تعمل بطرق، بعضها يفوق نمط الرؤية عند الإنسان وبعضها دونه. فهي تتمتع بقدرة فائقة على تجميع الضوء بحيث ترى أفضل من الإنسان في الضوء الخافت. لكن هذا التفوق يأتي على حساب رؤيتها في الضوء العادي، إذ إنها لا تميِّز التفاصيل.

والحركة، خصوصاً الأفقية، حافز مثير للقطط المحدِّقة. أما الحركة العمودية فهي، على ما يبدو، أصعب للرؤية. وهذا قد يفسر لماذا ـ عندما أُحضر شطيرة لحم على الطاولة فيما «إزي» قابع على الأرض يستعطي ـ أرمي إليه قطعة لحم فيمضي محملقاً في يدي وكأن شيئاً لم يكن. ولو رميت قطعة اللحم إياها أفقياً، لاندفع وتلقَّفها بلمحة خاطفة.

قطط وكلاب. غالباً ما حسدت «إزي» على واحدة من صفاته، ألا وهي قدرته الفذّة على تحريك أذنيه في اتجاهات مختلفة في وقت واحد، خصوصاً حين



يوجِّه أذناً إلى الأمام وأخرى إلى الوراء. قد يكون لهذه القدرة فائدة جمَّة في الحفلات أو حين أسير ليلاً في الجوار.

فضلاً عن ذلك، تتمتع القطط بحاسة شم متفوقة، وتبدو كأنها دائمة التنسُّم. وتفوح من بول القطط رائحة تثير الاشمئزاز. لكن افرازاتها الأخرى الصادرة عن غدد في الوجه والجبين والجانبين فهي، لحسن الحظ، عديمة

PHOTO: © D.P. HERSHKOPWITZ/BRUCE COLEMAN INC.

الرائحة بالنسبة إلى الإنسان. وحين تحتك القطط بساقيك وبخزائن المطبخ، فإنها لا تقصد إخبارك كم هي تحبك، أو كم هي جميلة خزائنك. وما عملية الاحتكاك هذه سوى وسيلة لترك أثر من رائحتها يُعلن للقطط الأخرى أنك وخزائنك ملك لها.

ويتفق الخبراء على أن القطط، وإن فهم بعضها بعضاً، لا حاجة بها إلى ارضاء الناس أو التواصل معهم. يقول بيتر بورشلت الاختصاصي بسلوك الحيوان: «الكلاب حيوانات قطيعية في طبيعتها، تخرج إلى الصيد في مجموعات. ولديها نظام رتبوي ونزعة إلى خدمة سيد. أما القطط فتصطاد منفردة، وحاجتها أقل إلى الإستجابة لإشارات الإنسان الإجتماعية. وهنا أود القول إن الكلب، كحيوان مدلل، هو صديق جيد للإنسان ويستجيب للمحركات الاجتماعية، أما القط الذي يمكن اعتباره رفيقاً جيداً كذلك، فيفتقر إلى الحافز لمثل هذا التجاوب.»

ويعتقد بعض الناس أن القطط تفهم كل ما يقال لها. لكن القضية بالنسبة إليها هي قضية موقف. وتشرح إحدى صديقاتي ذلك قائلة: «حين أقول لكلبي: تعال إلى هنا، فإنه يأتي للحال وكأنه يقول: سمعاً وطاعة. أما القطّ فلا يحّرك ساكناً وكأنه يقول: أكتب ما تريد، وسأتصل بك لاحقاً.»

وليس المقصود هنا أن القطط لا تستطيع التفاهم مع الناس. فهي متى شاءت، أو جاعت، تعرف متى توقظك من النوم وكيف تحركك لاطعامها. إلا أن الثغرة في العلاقة تتضح حين نريد محادثتها. وقد لاحظتُ أن «إزي» يأتي إليّ راكضاً (إذا شاء) كلّما ناديته بالرنّة المألوفة: «بيس، بيس، بيس.» وباستثناء ذلك يبدو أنه لا يفهم أي شيء أقوله.

لغة القطط. قال لي الخبير في السلوك الحيواني يان دنبار، وهو أحد مؤلفي كتاب «القطط: مشاكل إجتماعية»، إني وقطّي لا نشترك في أي حوار. وأضاف: «معظم الناس يتحدثون إلى قططهم وكأنهم يتحدثون إلى مطحنة بن، ولا يتوقعون أن تفهم القطط شيئاً. ولكن يجب تعليم القطط، فهذا ممكن.»

وأخبرني أيضاً أن «من الممكن تدريب الكلاب والقطط كي تستجيب لبضع كلمات. وفي إمكان القطط أن تتعلم مدلول بعض الأسماء مثل «كرسي» و «طاولة» و«باب»، وأن تستجيب للأوامر. ولا شك في أن هذه العملية

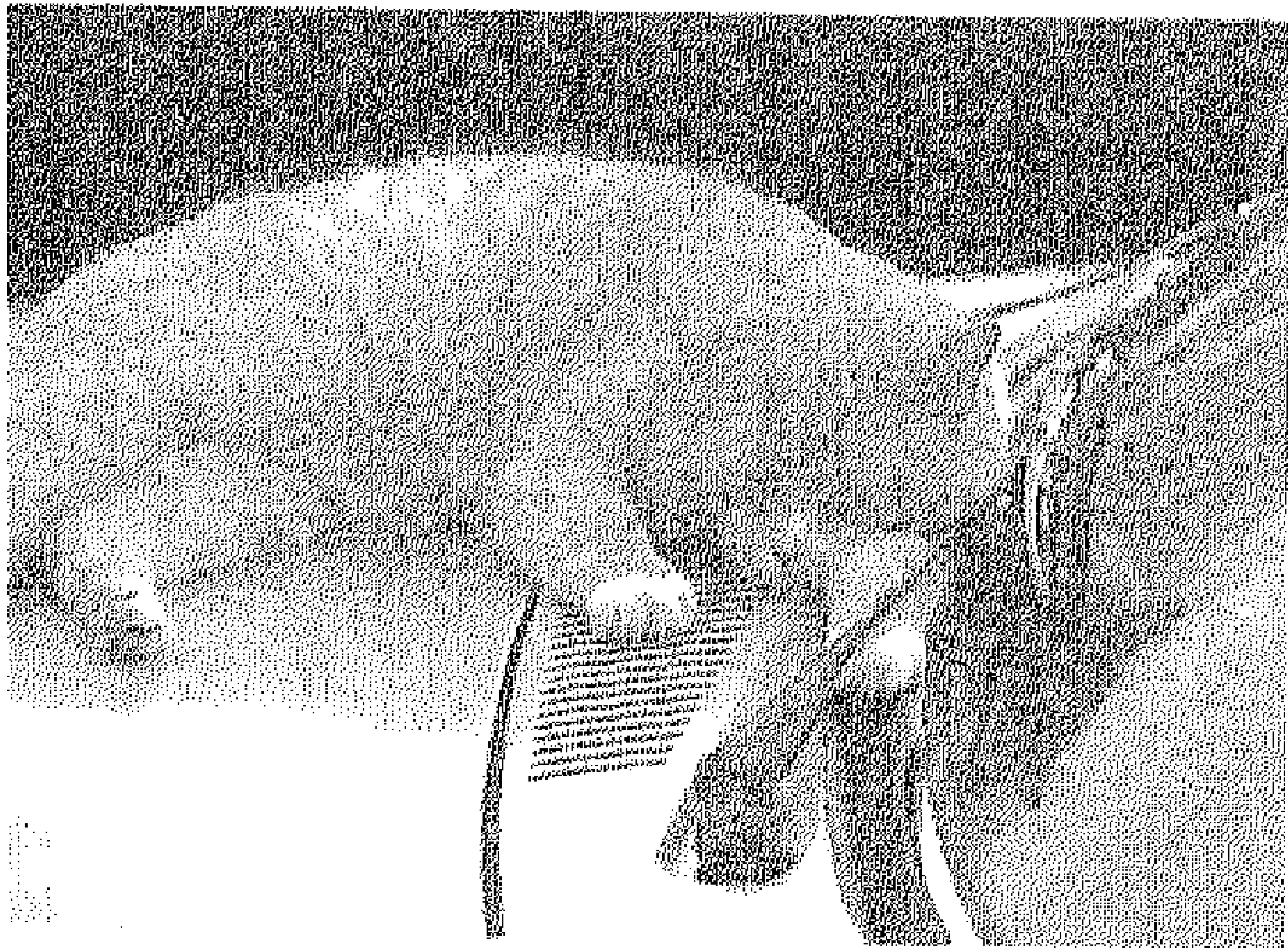


PHOTO: © MIKE VALERI/FPG

تستغرق كثيراً من الوقت، ولكنها تستحق التعب. وفي أي حال، إمّا أن يتعلم القط بضع كلمات وأما أن نتعلم نحن لغة القطط.»

أتعلّم لغة القطط؟ إنه لأمر سهل. فالقطط لا تنطق شيئاً سوى «مِياو!» لكن الواقع هو غير ذلك، في رأي أستاذة علم الحيوان باتريشا ماكينلي التي درست نطق القطط. وقد دلّت أبحاثها على أن القطط تصدر ١٥ صوتاً بسيطاً. وفي إمكانها دمج هذه الأصوات في عشر عبارات مركّبة أخرى.

تقول: لا أدّعي أن للقطط لغة، بحسب مفهومنا للُغة. ولكن لها ألفاظ معينة لحالات مختلفة. «مياو، مثلاً، مخصصة للبشر.» والأصوات ذات الطبقة الخفيضة ترتبط عموماً بحالات الخوف والتعرض للاعتداء. والأصوات القصيرة ذات الطبقة العالية تعني أن القط يتوقّع أمراً جيداً. وتضيف ماكنلي أن في إمكاننا تقليد أصواتها: «حين نصدر هريراً يخاف القط، وحين نسقسق يُسَرّ.»

في أي حال، لا يهمني ألا استطيع التحدث إلى «إزي» غير أني أوافق صديقاً لزوجي يمتلك قطّاً إذ يقول: «لو تمكّنا من تعليم القطط أن تفعل شيئاً ما، لأصبحت مصدر تسلية أكبر لنا.»

من جهتي، أتمنى لو يتعلم قطّي تنظيف المنزل وتحضير الطعام. أما صديقنا فيرضيه أن يتعلم قطه لعبة أو حيلة ما.

والواقع أن من الممكن تعليم القطط بعض الألعاب. غير أني حين سألت دومينيك لوفور، وهو مدرب قطط في سيرك، هل ممكن تعليم «إزي» لعبة ما، أجاب بتحفظ: «بما أن إزي كبير السن، فسيكون تعليمه بطيئاً وطويلاً.»

وضع لوفور خمس مناضد في شكل دائرة، ورد مزلاج القفص، فانطلقت خمس قطط طويلة القوائم، في منتصف طور نموها، وقطعت الباحة بلمح البصر، وقفزت كل واحدة إلى منضدتها، ثم انتصبت وراحت تلوّح كأنها تحيي الجمهور.

إزاء ذلك تيقّنت أن عليّ مواجهة الحقيقة: أن «إزي» لن يتمكن أبداً من الوقوف والتلويح هكذا. استسلمت لهذا الواقع وأدركت أن قطي لن يغيّر عادته المعهودة في الجلوس على الطاولة، وسد باب الثلاجة، وانتظار هبوط الطعام فوق أذنيه الصغيرتين المسننتين. وعلمت أنه ليس غبياً. إنه مجرد قط يكلفني مبلغ ٦٠٠ دولار سنوياً. لكني أحبه.

بتي ورد موزر ■

هل راودك شعور يوماً انك، في الحياة، إذ تُمسك اخيراً بكل الاوراق، يكون كل مَنْ عداك يلعب الشطرنج؟

ج.س.

كان أبي مُدمناً

أصحيح أن الآباء يأكلون الحصرم وأبناءهم يضرسون دائماً؟



نحتاج الى مساعدة، سواء أكنا نريدها أم لا نريدها، وإلا فنحن في خطر أن نتحول مدمنين أو أن نتزوج مدمنين. وحتى إن كنا لا نعاقر الكحول، فثمة احتمال أن ننجب اولاداً يصبحون مدمنين في المستقبل.

لا يمكننا أن ننتصر أبداً!

من حيث الاحصاءات، ترتكز هذه النصيحة في أرض صلبة. فكثير من المدمنين ينحدرون من أهل مدمنين. لكنني سمعت كثيراً من الروايات التي لا تُهضم، مثل تلك الرواية عن امرأة في الثالثة والثلاثين آثرت الانتحار على الاتصال بمرآب عندما ثقب إطار سيارتها، وذلك بفعل تشوشها الذي عزي الى أن أحد والديها كان يشرب الكحول.

كان أبي كحولياً. كان رجلاً ذكياً ولطيفاً ومسلياً. لكنه دمّر نفسه بتعاطيه المسكرات. كانت فورات ثمله وغضبات والدتي الحقائق البارزة في طفولتي. وكانت أحدى ظواهر حياتي الأشد إيلاماً الشفقة والاشمئزاز اللذين شعرت بهما

تُجمع الكتب وآراء الأطباء النفسانيين والعاملين الاجتماعيين على أننا، نحن الأبناء البالغين لمدمني الكحول، نعاني شعوراً بالذنب وعدم الاستقرار والعزلة والعجز واحتقار الذات والحزن العميق. واذا لم نشعر بكل ذلك، فهذا أحد الأعراض أيضاً: نحن نكبت عواطفنا. يقولون لنا اننا

نحـوه. أنـا لا انكـر أن إدمـان أحـد الوالدين قد يكون ذا أثر مدمّر في حياة الأبنـاء، أو أنه يسحق الـذات ويخلّف حزناً يدوم مدى الحيـاة، أو أن تجنب فهم هذه الحقائق قد ينطوي على خطر. ولا أنكر أن الأولاد الذين ينشأون مع أهـل مدمنـين يحتاجـون الى استشارة اختصاصيين.

ولكن في نقطـة ما قـد يتحول فـرز الـذكريـات المؤلـمة حـالاً من التعـايش وإياها. لكل منا مشاكله، وأنواع عادية من الاضطرابات العصبية، وصفات فينا نكـرهها. ان الطبيعـة البشرية تجعلنـا نبحث عن تفسير. لي صديق يلوم نفسه على كل خطأ ارتكبه في ما يتعلق بإدمان أبيـه. يقول كلمـا سار أمـر على نحـو خاطىء: «لقد تصرفت انطلاقاً ممـا أنا عليه.» أنا أفهم أن يمر صديقي في فترة من الغضب أو الشفقة على الذات، لكنه تخطى السن التي يمكنه فيها أن يلوم طفولته عوض تقبّل المسؤولية.

بـعض الكتـب المـوضـوعـة لأولاد المدمنين تشجع هذا النوع من اختلاق الاعذار وتورد لوائح مفصلة من الآلام النفسية: هل أنت فاقد الثقة؟ هل تشعر بالوحدة؟ هل تشعر بالذنب أو بالحزن؟ هل تبالغ في ردود فعلك تجاه النقد؟

حسناً، من لا يفعل ذلك في وقت من الأوقات؟

عـلى رغم بعض الرسـائل الـداعية، ظاهرياً، الى الأمل والشفاء، فإن بعض هذه الكتب هي في الحقيقة مقيتة وخالية من الظرف. ومغزاهـا العام: إذا كـان أحد والديـك يتعاطى المسكـرات، فأنت من غير شك «بضاعة» تـالفة ولا يمكن انقاذك إلا بالمساعدة المتخصصة.

الناس أكثر مرونة ممـا توحي هـذه الفكرة، كما أنهم أكثـر شجاعـة وذكاء وإبداعاً. فالناس يتغلبون على الصعاب. وفي إمكاننا أن نتغير إذا شئنا، ولسنا في حاجة دائماً الى اختصاصيـين يفتحون لنا الطريق. فـإرادة الحياة قـوية، من الناحيتين العاطفية والجسدية. وفي وسع المـرء أن يقـوى بـالمحن وأن يغتنـي بالحزن.

ربما أصبحت شفوقاً لأنني تخطيت الخامسة والثلاثين من عمـري، أو لأن والـديّ توفيا وأنا أفتقـدهمـا. وربمـا أصبحت كذلك لأنني أمّ الآن. أنـا لم أدرك كيف يستطيـع الحب الأمـومـي تحقيق أمنية مستحيلة - هي القيام بكل شيء على نحو صحيح - إلا حين صار لديّ أولاد. انني اليوم أكثر شجاعة في تقبـل سـورة التـأنيث الـذاتي كلمـا أخطـأت، وسرعان مـا أتـذكـر كم هي عزيزة وهشة ثقة الطفل واحترامه، كما أعلم أنني سـأنهـار اذا فقـد أولادي هذين الشعورين نحوي.

عندما أتصور العار الذي لا بد أن أبي كان يشعر به أمام أولاده، يتضح لي أنه كان يعاني أكثر مما ظننت. ويبدو لي أن الغفران ونسيان الماضي هما جزء اساسي من النضج ومواكبة الحياة.

دنيز غريدي ■

مُدمِّرة كنديّة تنقذ ناقلة يابانيّة

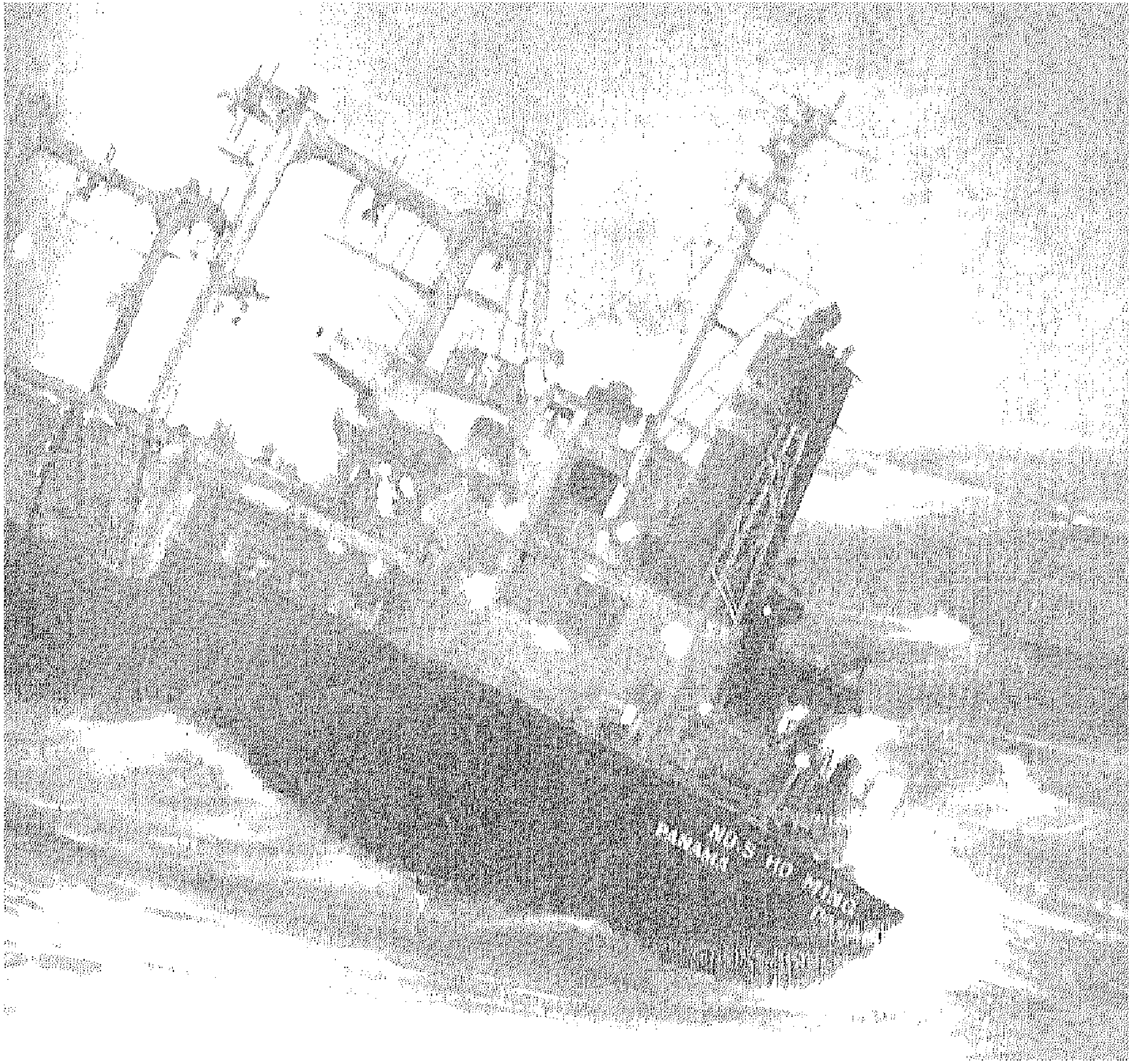
أبحرت المدمرة الكبيرة الى قلب العاصفة لاغاثة ناقلة منكوبة

على بعد ٥٥٥ كيلومتراً الى الجنوب من مدينة سانت جونز الساحلية في نيوفاوندلند، شرق كندا، كان رجال من السفينة الحربية الكندية «ايروكوا» يقيمون صلاة تذكارية لراحة نفوس أصدقاء وأقرباء لهم قضوا في البحر. وكانت الأمواج المتلاطمة ترتفع ١٥ متراً، والرياح العاتية تسوط المدمرة الكندية فتترجح وتتمايل. وعندما حاول اثنان من الرجال رمي إكليل زهر من المنصة، حمله رذاذ موجة عاتية الى البحر.

كانت «ايروكوا» سفينة أنيقة يبلغ طولها ١٣٠ متراً وعلى متنها طاقم من ٣١٠ رجال وطوافة من طراز «سي كينغ» يبلغ طولها ٢٢ متراً. وكانت تقوم بأعمال الدورية على مواقع صيد السمك منذ أسبوع، في طقس شرس عطّل بعض أجهزتها الكهربائية والميكانيكية.

ذلك المساء، في ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣، أطلق «مركز تنسيق عمليات الانقاذ» في هاليفاكس نداء استغاثة الى كل المحطات. فعلى بعد ١٦٠ كيلومتراً من «ايروكوا» كانت الناقلة «هو منغ ٥» عالقة في بحر هائج، وهي باخرة شحن يابانية مسجلة في بناما وعليها عشرون كورياً، وتحمل خشباً على متنها العلوي وآليات ثقيلة في العنبر. وكانت حمولتها تزحزحت وتعطلت فيها تجهيزات التوجيه والملاحة. وكان قبطانها على وشك اعطاء الأوامر باخلائها.

في السابعة مساء استدارت «ايروكوا» وتوجهت نحو عين العاصفة. حذر الآمر لورنس موراي رجاله من أن الابحار سيكون صعباً. وهو كان كذلك فعلاً، إذ مضت المدمرة تمخر الأمواج التي فاقتها ارتفاعاً، فتدفقت المياه بعنف فوق



مقدمها وأغرقت سطح مؤخرها. وتعطل اثنان من مولداتها الكهربائيـة الأربعة، فمضى طاقم الهندسة يكافح للحفاظ على الطاقة الكهربائية على متنها.

وكان فوق «ايروكوا» حليف سبقهـا الى مقصـدها، انهـا طـائـرة الـدوريـة «أورورا» ذات المحركات الأربعـة. وهي انطلقت من غـرينوود في نـوفاسكـوشا استجـابة لنـداء الاستغـاثـة، ووجـدت الناقلة المنكوبة وأرشدت حاملة الطائرات «لويس ل د» الى المكان. ولم يكن لدى حاملة الطائرات أي تسهيلات للانقاذ، لكنها رست في وجه الريح لتحجبها عن السفينة المنكوبة.

أمنت «أورورا» اتصالاً بالراديو بين «ايروكوا» و «هو مينغ.» ولم يكن أحد على متن «ايروكوا» يتكلم الكورية، وكان العامل على جهاز الراديو في «هو مينغ» لا يعرف من الانكليزية الا بضع كلمات. ومن طريق مركز الانقاذ في هاليفاكس. وجدت «أورورا» بحاراً يعـرف الكوريـة على متن الباخرة الفرنسية «غولدن باي»



التي كانت على بعد ٧٥٠ كيلومتراً، فتولى هذا ترجمة الرسائل بين «ايروكوا» وهو مينغ. «وحلقت «أورورا» فوق الغيوم وبدأت تدور.

عملية مستحيلة. كانت الأمواج تتكسر فوق المدرج فيما تهيأت طوافة المدمرة «سي كينغ» للإقلاع، وفيها الربان جيمس أتوود ومساعده الملازم ريك ويذردن، ووراءهما الملاح الرائد مارك أروجا وتقنيان للمراقبة الالكترونية هما الملازم اريك ولين والرقيب بلير ستيوارت. وهم عزموا على الاقتراب من الناقلة مسافة تكفي للإدلاء بحبل يبلغ طوله ثلاثين متراً، يتعلق به ستيوارت للهبوط على السطح وعندئذ يتولى ولين رفع الكوريين واحداً واحداً.

كانت «هو مينغ» على بعد ٧٥ كيلومتراً عندما أقلعت «سي كينغ» وسط الرياح في التاسعة والثلث ليلاً. ووصلت الى الناقلة بعد ٢٥ دقيقة مسترشدة براديو «أورورا» التي كانت تجوب الأجواء. وشاهد أتوود ويذردن الكوريين محتشدين وسط الناقلة يحتمون

ILLUSTRATI(N: MICHAEL J. MIDDLETON

بالبطانيات من الريح. وكانت الناقلة الجانحة مائلة بثقل، حتى ان الأمواج غمرت حافات ميمنتها. ولاحت في الظلام ساريتان ترتفعان ٤٠ متراً، وفي وسط الناقلة على الجانبين لاح عمودان يرتفعان ٢٥ وهما متصلان بقضبان معدنية.

جهز أروجا ولين الرافعة ووقف ستيوارت في الباب المفتوح لمخزن البضائع، وبزّته مربوطة بكلاّب الانقاذ. وأنزل أتوود الطوافة بين العمودين وهي تتخبط بعنف في الريح. عندئذ تأكد لأروجا أن العملية مستحيلة. قال: «لن ننجح أبداً. كل من على الرافعة سيتحطمون على تلك الصواري.»

في الحادية عشرة والثلث ليلاً وصلت «ايروكوا» الى محاذاة الناقلة المنكوبة. أرساها الآمر موراي على بعد ١٨٥ متراً من «هو مينغ» في الجهة المقابلة لـ «لويس ل د». ومن خلال الاتصال اللاسلكي عبر «أورورا» كان القبطان جيونغ ون غو لا يزال يبثّ تصميمه على اخلاء «هو مينغ» التي بدت على وشك الانقلاب. وعندما عادت الطوافة «سي كينغ» الى «ايروكوا» بث موراي رسالة: «سوف نجرب أطواف النجاة.»

«**أخلوا السفينة**!» كان الضابط راي كلوتييه يعمل وحيداً على سطح المؤخر الذي ضربته الأمواج. فجهز حبالاً لتحل مكان حواجز الحماية التي اقتلعتها الأمواج. وها هو الآن مع الضابط التنفيذي في المدمرة، الرائد البحري غريغ ماديسون، ينادون البحارة لاطلاق أطواف الـ «زودياك» التي يتسع الواحد منها لعشرين رجلاً.

هذه الأطواف المطاطية التي يبلغ طول كل منها أربعة أمتار وعرضه متراً واحداً، مصممة بحيث تنتفخ في الماء. لكن كلوتييه أدرك أن الرياح والأمواج تستطيع تمزيقها. يجب اذاً نفخها على متن السفينة ثم إنزالها. وكان الغطاسون بقيادة الملازم ديفيد فينش جاهزين لركوبها. لكن الطوف الأول لم ينتفخ، وانقلب طوفان آخران فور ارتطامهما بالماء. وفي الثانية فجراً كان كلوتييه يدبر عملية انزال بالحبال للطوف الرابع، فاتصل القبطان جيونغ معلناً أن محاولة الانقاذ شديدة الخطورة وأنه سينتظر مع رجاله على متن «هو مينغ» حتى طلوع الفجر.

أجاب الآمر موراي ان «ايروكوا» و«لويس ل د» ستبقيان على بعد ٧٢٥ متراً من «هو مينغ»، كل منهما الى جهة، وسيبقى كلوتييه وأربعة وعشرون رجلاً في «محطات انقاذ» جاهزين للانطلاق عندما تدعو الحاجة. وستقوم الطوافة فجراً بثلاث عمليات انتشال من الناقلة فترفع سبعة رجال في كل عملية. لكن الاتصالات ستكون صعبة لأن «أورورا» عادت الى نيوفاوندلند بسبب نقص في الوقود بعد اثنتي عشرة ساعة من التحليق.

قبل بزوغ الفجر بنصف ساعة كان

موراي على منصة الربان يجهز «ايروكوا» لعملية انقاذ منظمة تبدأ في تمام السابعة صباحاً. وعلى رغم أن الأمواج كانت لا تزال ترتفع ستة أمتار والرياح الشرسة لا تزال تضرب الصواري والهوائيات، إلا أن العاصفة كانت تجاوزت ذروتها.

فجأة، في السابعة إلا ربعاً أطلقت الانذارات داعية أفراد الطاقم الى محطات الانقاذ. كانت «هو مينغ» تطلق اشارات ضوئية وتنزل أطواف نجاة. فالمعدات الثقيلة في عنابرها تزحزحت، وازدادت زاوية انحرافها ٤٠ درجة، فقرر القبطان جيونغ اخلاءها.

الخوف في عيونهم. بدّل موراي خطته فوراً. أمر ربان الطوافة بالأقلاع حالاً، ثم أدار المدمرة بحيث يتمكن كلوتييه المرابط على سطح المؤخر من اطلاق طوفين مطاطيين. انطلق الطوفان والأمواج تكاد تغمرهما، وفي كل منهما بحار وغطاس.

عندما هبطت الطوافة الى ارتفاع عشرين متراً علّق ستيوارت بزّته بالرافعة وأنزله ولين الى مستوى سطح البحر على ميمنة «هو مينغ». فسحبه الكوريون الى متن ناقلتهم الذي أصبح شديد الانحدار، مستعملين حبلاً من النايلون أنزله ولين. وتجمع أحد عشر رجلاً حول ستيوارت والخوف باد في عيونهم المحملقة. فوضع أحدهم في الرافعة وشدّ رأس الرجل الى صدره ولف ساقيه حوله، فسحبهما ولين معاً الى «سي كينغ.»

وبعدما رفعا رجلاً آخر بهذه الطريقة قرر ستيوارت البقاء على المتن ورفع الكوريين من غير أن يرافقهم. وبعد رفع ثمانية رجال أعلن أروجا أنه سينقلهم الى «ايروكوا.» وأحدثت مروحة الطوافة تياراً هوائياً قوياً فخاف ستيوارت على الطوفين من الانقلاب، وكان البحارة على متنيهما يحاولون جاهدين انقاذ تسعة كوريين من ميسرة «هو مينغ.»

انتشل البحار كلايد شيبارد والغطاس ميشال بوشار أربعة رجال وتوجها بطوفهما نحو «ايروكوا.» لكن الأمواج العاتية اجتاحت المحرك، فانحلت احدى الملازم واندفع الطوف نحو مؤخر المدمرة.

فجأة ضربت موجة الطوف فسقط بوشار تحته. وسمع هدير مراوح المدمرة، فسبح بسرعة طالباً النجاة، ووصل الى الطوف منهكاً فسحبه شيبارد الى المتن.

تحركت «ايروكوا» في محاذاة الطوف. ورمي حبل من مؤخرها، لكنه أفلت من يدي شيبارد الخدرتين من البرد، فانحرف تحت مقدم المدمرة. فهرع الطوف الثاني للانقاذ. مرّر الغطاس فينش حبلاً الى بوشار، وأمسك كلّ منهما بطرف فيما ربط البحار دنيس موريسون الطوف الآخر بالمدمرة.

وكان موريسون وفينش واجها أخطاراً كبيرة هما أيضاً. فقد تمسك

خمسة كوريين بسلم الناقلة، ولشدة خوفهم أحجموا عن القفز الى الطوف فوقّت موريسون مروره من تحت السلم عندما تكون الدرجات السفلى مترجحة فوق الأمواج. استلقى فينش على ظهره في مقدم الطوف وأمسك بالسلم وسحب أحد الرجال الى الطوف. وقفز اثنان آخران.

فجأة أفلت فينش السلم على أثر موجة عالية، وبات محشوراً بين الطوف وأسفل السلم. فوجه موريسون الطوف بعيداً عن الخطر وهو يمسك فينش بيد ويده الأخرى على المحرك. واذ انحسرت الموجة شعر فينش بأن صدره يكاد ينسحق من الألم، وقال لاهثاً: «لنعُدْ!» ولكن في طريق العودة شاهدا الطوف الآخر في ورطة، واذ امسك فينش الحبل بيديه العاريتين نسي جروحه.

في مؤخر المدمرة كانت الرافعة على وشك انتشال فينش وابداله بغطاس آخر. ثم صرخ الآمر ماديسون: «لا يزال رجلان في الماء!» فقال فينش لموريسون: «انطلق!» وعاد الاثنان صوب «هو مينغ». وكان كوريان حاولا ركوب طوف نجاة، فرمتهما الأمواج في الماء. وسحب فينش وموريسون أحدهما وراحا يبحثان عن الآخر. وأشار أحد بحارة الناقلة بيده الى الكوري الذي كان على بعد ١٢ متراً. فالتقطه فينش وموريسون وعادا الى «ايروكوا.»

عند طلوع الشمس انتُشل المعاونان والقبطان جيونغ ثم ستيوارت من «هو مينغ» الى الطوافة. بعد ساعة من اصدار القبطان امره بإخلاء السفينة، ثم انقاذه هو وبحارته.

ومما يدعو الى الدهشة أن أحداً لم يصب بأذى كبير. وأعطي الكوريون ملابس جافة وزودوا مبلغ ٥٠٠ دولار جُمعت من بحارة «ايروكوا»، فظلوا يرددون العبارة الانكليزية الوحيدة التي يعرفونها: «شكراً، شكراً!»

وتوجهت المدمرة نحو سانت جونز في نيوفاوندلند والابتهاج يعم متنها. كان رجالها منهكين وقد أمضى بعضهم ثلاثين ساعة من دون نوم. لكنهم كانوا فرحين بنجاحهم.

مُنح أكثر من عشرة عناصر من طاقم المدمرة ميداليات وأوسمة لدورهم في عملية الانقاذ. وتلقت «ايروكوا» تنويهاً من القوات المسلحة الكندية «لمسلكها الذي يتفق وأسمى تقاليد الخدمة.»

قال الآمر موراي: «تلك هي المكافأة التي سرتني أكثر من سواها، لأنها إقرار بأن كل واحد من أفراد الطاقم أدى واجبه تلك الليلة، بعون الله.»

يانيس تيرويت ■

صاحب الافكار قوي. لكن صاحب المُثُل لا يُقهَر. خ.ن.



كتاب الشهر

الضحية

ملخص من كتاب "قصة ستيفن ماكدونالد"

بقلم ستيفن وباتي آن ماكدونالد بالاشتراك مع إ. ج. كان III

الضحية

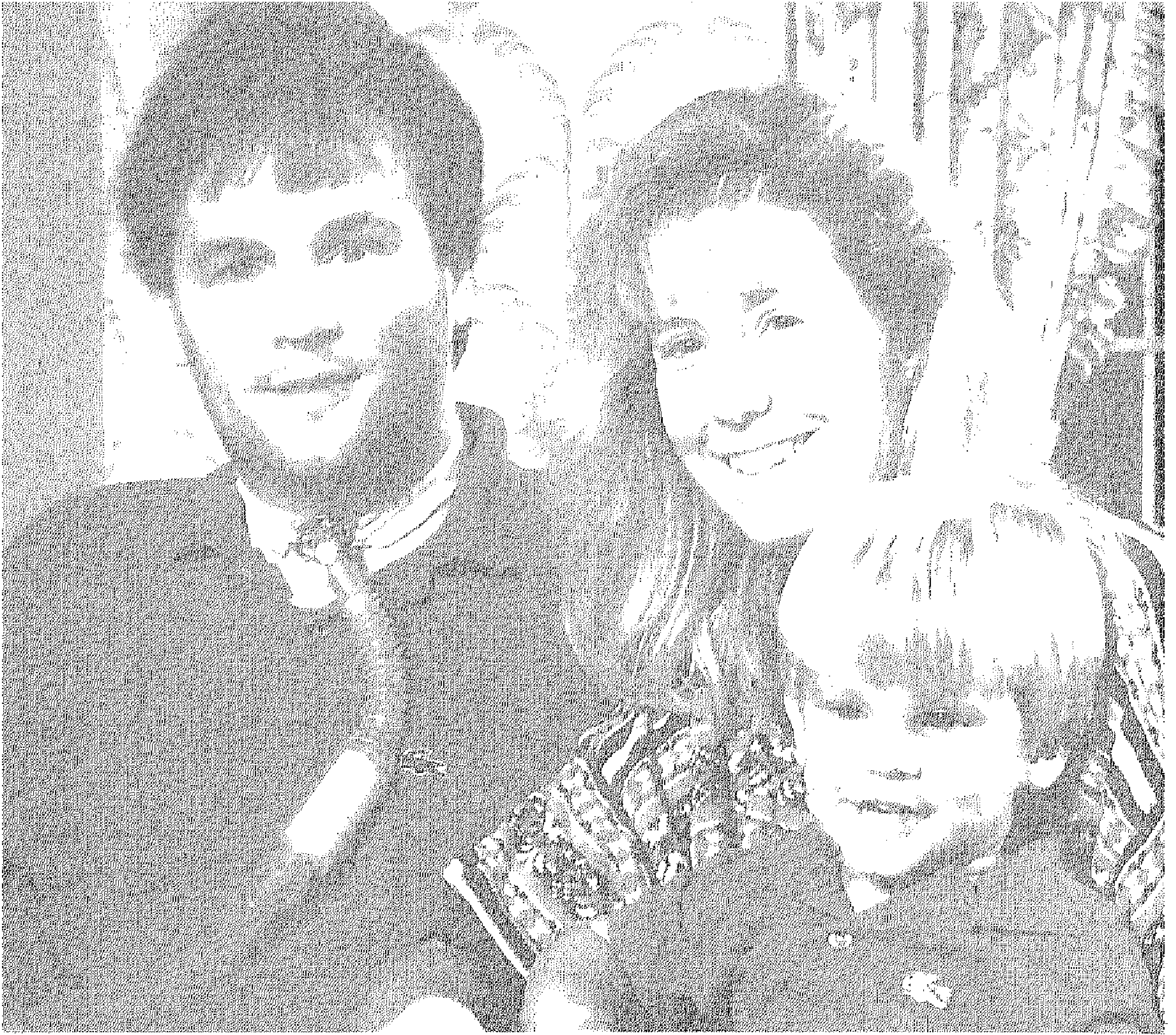
كان ستيفن ماكدونالد شرطياً مثالياً في مدينة نيويورك، عمره تسعة وعشرون عاماً، طويل القامة، رياضي البنية، وكانت زوجته باتي آن حاملاً بجنينها الأول حين تعرض ستيفن لحادث مريع بدّل حياتهما.

وهنا وقائع القصة كما يرويها الزوجان. ومغزاها أنهما، على رغم خسارتهما كل شيء، وجدا في عمق نكبتهما عزاء وحافزاً على اكمال مسيرة الحياة بآلامها وأفراحها.

غلب علي في ذلك الصباح شعور بالخيبة والاحباط وبهبوط في معنوياتي. فقد عملت مدة سنتين شرطياً في مدينة نيويورك، ولم أتغيب عن خدمتي الا يوماً واحداً. قد أطلب يوم عطلة بعد بضع سنوات، أما الآن فزوجتي باتي آن حامل ونحن ننتظر مولودنا الأول، ولا أريد أن أقدم على عمل يحدّ من نشاطي وترقيتي في عملي.

في ذلك النهار، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٨٦، كان من المقرر أن أعمل من الرابعة بعد الظهر حتى منتصف الليل. ولدى خروجي من منزلنا في مالفين التي تبعد ٢٧ كيلومتراً عن نيويورك كان المطر يسقط رذاذاً. وفي منتصف الطريق الى المدينة كانت المغنية بيلندا كارليل تصدح على الراديو «أنا مجنون بك» [١]. وكنت أحب تلك الأغنية التي تعبر بصدق عن حبي لزوجتي، فرحت اردد معها: «أنا مجنون بك، ضائع في عينيك...»

حين وصلت الى متنزه سنترال بارك كنت لا أزال أهمهم الأغنية. أوقفت سيارتي قرب مخفر الشرطة قائلاً في نفسي ان هذا النهار سيكون على ما يرام.



في الرابعة بعد الظهر انطلقنا، أنا ورئيسي الرقيب بيتر كنغ، في دورية بسيارتنا الـ«بلايموث» الخالية من علامات الشرطة ومعنا دفتر الملاحظات ونسخة من صحيفة «نيويورك بوست.» وكنت أقود السيارة فيما الرقيب يسجل النداءات الواردة عبر الجهاز اللاسلكي.

تكلمنا قليلاً عن المباراة الرياضية التي جرت في الليلة السابقة، وعن وجود باتي آن خارج المدينة في زيارة لشقيقتها، وعن الهدوء التام الذي يسود منطقة «سنترال بارك». كان الجو ندياً والسماء غائمة مما قلّص عدد راكبي الدراجات والمهرولين. في يوم كهذا يرى سارقو الدراجات الهوائية وناشلو الجزادين أن ليس هناك ما هو جدير بالسطو فتخف ممارساتهم أيضاً.

اقترحت على الرقيب التوجه الى الشطر الآخر من المدينة فوافق قائلاً: «حسناً، لا مانع لدي يا ستيفي.»

وإذ عبرنا الشارع «١٠٢» الشديد الانحدار توقفنا فجأة متوخين جانب

(١) Mad About You

الحذر. فقد شاهدنا ثلاثة فتيان واقفين على طرف الطريق وملامح وجوههم تنطبق على صور مجموعة من سارقي الدراجات رأيناها في تقارير الجرائم المحفوظة لدينا في مخفر الشرطة.

تمتم أحدهم: «انهم رجال الشرطة السرّية.» لم تخدعهم ملابسنا العادية كما لم يخدعنا تظاهرهم باللامبالاة ورباطة الجأش.

قال الرقيب كينغ بهدوء: «توجه الى سفح التلة.» وكانت على مسافة ثلاثين متراً من المراهقين الثلاثة طريق فرعية تنتهي الى موقف للسيارات. فتوقفت هناك وأطفأت المحرك.

كان المراهقون ينتظرون أن نرجع اليهم بسيارتنا. لكننا قررنا أن نتقدم منهم مشياً. وانفصلنا، على أن يأخذ الرقيب الطريق وأسلك أنا ممّر مشاة محاذياً للطريق على بعد ستة أمتار منها وينعطف عبر أجمة.

قلت في نفسي إن طريقي هي الأطول، فحثثت خطاي. وفي أحد منعطفات المّر شاهدت الثلاثة يراقبون الطريق وظهورهم الي. فأبرزت «درعي»، وهي الشارة ذات الرقم ١٥٢٣١ وهو الرقم الذي حمله والدي حين بدأ عمله في جهاز الشرطة.

تقدمت معرفاً بنفسي: «أيها الفتيان، أنا شرطي وأريد التكلم معكم.»

لم يتفوه أي منهم بكلمة بل نظروا الي بتحدّ.

سألتهم: «ماذا تفعلون هنا؟ وأين تسكنون؟»

لا جواب أيضاً.

كان طولي ١٨٨ سنتيمتراً وكنت أعلو أياً منهم بما لا يقل عن ٣٠ سنتيمتراً. وبانوا لي كأنهم أولاد وان بدوا مخيفين لراكبي الدراجات. ثم لاحظت انتفاخاً مريباً تحت سروال احدهم فانحنيت لأتلمسه.

ولم أكد أنحني حتى رأيت بطرف عيني أحد المراهقين الآخرين يستدير ويسحب شيئاً ثم يواجهني ثانية. وإذ رفعت رأسي عاجلني بثلاث طلقات.

«بوم!» «بوم!» «بوم!»

شعرت كأن مدفعاً يخترق أذني. وأحسست الرصاصات تخترق جسمي. وعبق أنفي بدخان البارود، لكني لم أشعر بأي ألم.

فأين الألم اذاً؟

خلتني منفصلاً عن جسمي. وأحسست بخدر ووخز خفيف، وكأن عقلي خارج عني يراقب. وبادر الي الرقيب كينغ. رأيته منحنياً فوقي وهو يصرخ في الجهاز اللاسلكي: «أطلقت النار على أحد عناصر الشرطة!» أما الفتيان فقد لاذوا بالفرار.

كنت أفقد وعيي. وتصورت باتي آن أمامي ورحت أتصور مدى خسارتي، فهتفت في أعماقي مصلّياً: يا الهي، لا تدعني أموت.

حين يصاب شرطي يستجيب الجهاز بكامله. وفيما كنت ملقىً أنزف في الوحل سمع شرطيون في «سنترال بارك» والجوار نداء استغاثة الرقيب كينغ.

كان جون ماكاليستر ودنيس روبرستاد في دورية يطوفان الشوارع، فسمعا كينغ يصف المهاجمين: «ثلاثة فتيان سود قرب البحيرة.» وإذ انعطفا الى «سنترال بارك» خيل الى ماكاليستر أنه رآهم فتحول بسيارته الى الغابة.

وقال لاحقاً: «رأينا من خلال الأشجار شخصاً ملقى على الأرض. فنزلنا من السيارة بحذر لأننا لم نكن متيقنين مما سنجد. لم يكن أحد هناك، والرجل على الأرض لم يكن مرتدياً بزة نظامية. ثم رأينا الرقيب كينغ فهرعنا الى ستيفن.»

لاحظ ماكاليستر رقبتي أولاً وقال ان الدم يتدفق والجرح أسوأ ما شاهده في حياته. فعمد روبرستاد للحال الى الضغط على الجرح، وألقياني على مقعد سيارتهما الخلفي.

وفي الطريق الى مستشفى متروبوليتان الذي يبعد قليلاً جلس روبرستاد الى جانبي ضاغطاً رقبتي، لكنه لم يجسّ نبضاً.

في مستشفى متروبوليتان سارع المسعفون الى تغذيتي بالحقن الوريدي، وأولجوا أنبوب هواء نزولاً في حلقي. ولكن هيئة الطوارىء لم تأمل تحقيق الكثير، فقد ثلمت رصاصة عيني واستقرت في تجويفها، وأصابت أخرى ذراعي فأتلفت شرياناً، واخترقت الثالثة رقبتي فحطمت بشظاياها عمودي الفقري. وبتّ عاجزاً عن التنفس والحركة.

بعد لحظات وصل برايان مولهين منسّق الحوادث في دائرة الشرطة. فبادره جرّاح أعصاب مقيم: «ان ذلك الشرطي لن يعيش.»

قال برايان: «قد لا يعيش، لكننا سننقله الى مستشفى بيلفو حيث أحد أفضل مراكز معالجة الحبل الشوكي.»

حين وصلت سيارة الاسعاف الى مستشفى متروبوليتان كان رجال الصحافة بدأوا يتوافدون، والتقطت كاميرات التلفزة مشاهد الالحاح والاندفاع لادخالي. كنت لا أزال غائباً عن الوعي وحياً بفضل الهواء الذي كان المسعفون يضخونه فيَّ يدوياً.

أثناء سيرنا في المدينة كان المسعفون يحومون فوقي. واستعدت وعيي ببطء. أمكنني سماع صفارة سيارة الاسعاف وهي تخترق الشوارع. وكنت أرى الناس يتحركون حولي في اهتياج كالمسعورين وقد لفّهم غشاء ضبابي. وكنت عاجزاً عن التركيز.

قال لي أحد «الأشباح»: «ستكون بخير، اطمئن.»

لم أصدقه، فكل ما فيَّ حطام وجسمي خدر وكأني مستسلم للنوم.

ثم غبت عن وعيي ثانية.

باتي آن: الجدار الأزرق

كنت نائمة في منزل شقيقتي جولي في يـاردلي، فيلادلفيـا، وكنت حامـلاً في شهري الثالث.

قرابة الرابعة والنصف بعد الظهر استيقظت على أصوات جولي وزوجها كين وولديهما. لم أرَ معنى لذلك. لماذا هم في البيت؟ قالوا انهم سيعودون بعد ساعة. أخذتني الدهشة ونزلت اليهم.

طلبت مني جولي أن أدخل معها غرفة الجلوس، وكان القلق بادياً على وجهها. قالت: «باتي آن، اجلسي، أريد أن أخبرك شيئاً.»

وَمَضَ في خاطري أن مكروهاً حلَّ بأبي. لقد أصيب بنوبة قلبية!

قالت جولي بهدوء: «أُطلقت النار على ستيفن. لقد اتصلت بي أمي وأنا في المكتب وقالت انه حي وان ضباطاً من الشرطة قادمـون الى هنا ليعـودوا بك الى نيويورك.»

ستيفن؟ هذا مستحيل! انه لم يبدأ دوريته بعد. قلت لجولي. «لا، لا، هذا غير صحيح.»

فتابعت: «أطلق عليه فتى النار.»

فتى! ما زلت غير مصدقة.

بدأ الهاتف يرنّ، وتوالت الاتصالات، فكان بادئها من شرطة مدينة نيويورك. فقلت في نفسي: يا الهي، لا شك في أن الخبر صحيح. ثم اتصال آخر من والدتي. ورن جرس الباب واذا برجال شرطـة بنسلفانيـا قد وصلـوا. وسألـوني ان كنت مستعدة للذهاب.

جلست وجولي في المقعد الخلفي. كان كين أجرى بضع مكـالمات، وكـل ما عرفته أنا هو أن ستيفن أصيب في ذراعه وأن حاله مستقرة.

مستقرة؟ ماذا يعني ذلك. أهو في حال جيدة؟

انطلقت سيارة الشرطة وأضواؤها تومض، فقلت في نفسي: لا داعي الى القلق، سيكون كل شيء على ما يرام.

وصلّيت.

وإذ اقتربنا من نيويورك زاد اقتناعي بأن ثمة أمراً سيئاً جداً. وحين سألنا الضبّاط عن حال ستيفن أيقنا أنهم تلقوا تعليمات بألا يبوحوا لنا بشيء.

قالوا: «لا معلومات لدينا.»

وشعرت برغبة ملحة في أن أهز أحدهم وأصرخ: «عليكم أن تخبروني.» وبدلاً من ذلك طلبت منهم مراراً التوقف عند محطات الوقود حيث كنت أهرع الى غرف

الحمامات واتقيأ. كانت أعصابي مهتاجة بحيث لم يسعني ابقاء شيء في معدتي.

لم أعلم أننا متجهون الى مستشفى بيلفو، وأن والدي ستيفن وأشقاءه وشقيقاته في طريقهم اليه في طائرة مروحية، وأن والديَّ متوجهان الى المستشفى بالسيارة وأن محطات التلفزة في نيويورك تذيع القصة مرفقة بصور لستيفن وهو ينقل الى سيارة الاسعاف، وأن أحد التقنيين كان يمدّ رئتيه بالهواء لابقائه حياً.

كلا، لم اعلم شيئاً من كل ذلك.

على حدود ولاية نيوجرزي، ومرة ثانية على حدود نيويورك، أبدلنا السيارات. وتوقفت بنا السيارة الأخيرة عند مدخل وحدة الطوارىء في مستشفى بيلفو. ادركت هناك، للمرة الأولى منذ اصبح ستيفن شرطياً، مغزى الأخوّة التي تربط عناصر الشرطة بعضهم ببعض.

ففي الخارج وفي المدخل وفي القاعات وأمام المصاعد وقف مئات الشرطيين يريدون المساعدة أو التبرع بالدم أو أي شيء في قدرتهم.

كان ذلك هو «الجدار الأزرق»، الشعار الذي سمعت عنه الكثير، وكل شرطي هو مدماك في ذاك الجدار.

لدى وصولي وجولي الى المستشفى كان متحدث باسم دائرة الشرطة أبلغ الى الصحافيين اصابات ستيفن وأن ثلاثة فتيان اعتقلوا بينهم شافود جونز. وكان جونز أطلق النار على ستيفن بمسدس من عيار «٢٢» رماه في بحيرة تبعد أقل من ١٠٠ متر عن مكان الحادث. ولتضليل الشرطة قفز جونز في البحيرة وادعى أن مجهولين هاجموه بهدف سرقة سلسلة ذهبية كان يضعها حول عنقه.

سأل الصحافيون المتحدث: «لماذا واجه ستيفن الفتيان؟»

فأجابهم: «تلك مهمته، إذ يفترض في عناصر شرطة مكافحة الجريمة أن يعترضوا الأشخاص الذين يعتقدون أنهم مزمعون على ارتكاب جرائم.»

سألوه: «هل عرف الفتيان أن ستيفن شرطي؟»

أجاب: «لا شك في أن ستيفن عرّف بنفسه انه شرطي، فهذا هو المسلك النظامي المعتمد حتماً.»

وأعلم المتحدث الصحافيين أيضاً أنني حامل.

كنت ما زلت أجهل هذه الأمور. واذا بي أشاهد والديَّ مع الجمع خارج غرفة الطوارىء.

«لماذا الكل هنا، ماذا يجري؟»

قالت أمي: «هدئي من روعك.»

قلت: «كلا، اين ستيفن، أريد أن أراه.»

حاول أهلي التهرب من الاجابة وقال لي أحدهم: «أجلسي، سنخبرك.»

صحت بحنق: «كلا، أريد أن أراه الآن.»

بعد بضع دقائق سمح لي بدخول جناح الطوارىء الحاوي ثلاثة أسرة. كان المكان ضيقاً وقد احتشد فيه اناس كثيرون، فأحسست باختناق. ثم رأيت ستيفن.

ستيفن؟ كان الرجل الذي في السرير بعيداً عن الشبه بزوجي. كان رأسه منتفخاً وملفوفاً بشاش مطهّر وفي حلقه أنبوب تنفس. وبدا عاجزاً كلياً عن الكلام، لكنه كان متنبهاً، وأدركت أنه عرفني.

ومع ذلك بقيت عاجزة عن استيعاب الحقيقة. عللت نفسي بأن الأطباء سيقولون لي غداً ان الأمور ليست سيئة كما تبدو. لم يسعني التصور أن ذلك حدث لنا فعلاً. سيكون لنا طفل بعد أقل من سبعة أشهر. ابتعدت عن سرير ستيفن، واذا بأحد الأطباء يقول لي وقد اعتقد أنني أُطلعت مفصلاً على حال زوجي: «ليس في قدرتك أن تفعلي شيئاً. اذهبي الى البيت وخذي قسطاً من الراحة والنوم وعودي غداً صباحاً.»

أوصلتنا سيارة شرطة الى مالفيرن، أنا وأختي جولي. ورحت أذرع البيت محاولة أن أتصور ماذا فعل ستيفن قبل مغادرته وماذا كان يجول في فكره.

أخيراً غلب عليّ الارهاق فخلدت الى النوم. كنت واثقة بأن الأمور ستكون أفضل في الغد، إذ لم يشر أحد الى أن ستيفن لن يكون في حال جيدة. وقلت في نفسي: لن ينقصني اسبوعان الا ويعود الى البيت.

لدى وصولي وجولي الى المستشفى صباح اليوم التالي طلب منا طبيب شاب أن ندخل مكتبه. وهناك شرح لنا الخيارات القليلة المتوافرة لمعالجة مريض في مثل حال ستيفن ـ وفي اعتقاده أنني ملمة بها ـ واستخدم عفوياً كلمة «مشلول.»

فسألته وقد صعقني كلامه: «عمَّ تتكلّم؟»

فرد متحفظاً: «أوه، ألم يخبروك؟ كان من الواجب أن يطلعك أحد على حاله.»

ثم أخذ يشرح لنا بسرعة وبرود كيف أن احدى الرصاصات الثلاث شلّت ستيفن امتداداً من رقبته نزولاً. ولم يحدد مدى الشلل بعد، لكن الطبيب قال إن الشلل سيكون دائماً على الأرجح.

كدت أختنق، فهتفت: «لا، لا، انك على خطأ. لا بد من أن يكون في هذه البلاد، في هذا العالم، من يقدر على شفائه. عليكم أن تجدوا ذلك الشخص الشافي، لأن ستيفن لا يجوز أن يبقى مشلولاً.»

هزّ الطبيب رأسه قائلاً: «نحن أفضل الأطباء.»

صرخت: «لا!» وقد أخذ مني الانفعال كل مأخذ. وعجزت عن التقاط أنفاسي، وأحسست كأن الجدران ستطبق عليّ وتسحقني، فقلت لاهثة: «جولي، أريد أن أخرج من هنا.»

كان ذلك أسوأ كابوس تواجهه زوجة شرطي، وربما كان أمرّ من الموت. وزاد في مرارته أني تلقيت الخبر من رجل غريب، بكلمات عابرة جافة خالية من المؤاساة. شعرت بالغضب والعجز في آن.

صعدت الى غرفة ستيفن ورحت أتفرس فيه. وأحسست بالجنين في أحشائي، ووددت لو ضمّني ستيفن وطمأنني الى أن كل شيء سيكون على ما يرام. ولكن أنى لنا ذلك وهو عاجز عن بسط يده الي ولا يقوى حتى على الكلام، وكأن أبدية تفصل بيننا.

نظر ستيفن اليّ وهمس شيئاً.

كان يحاول أن يقول لي: «إنني مشلول.»

فأومأت برأسي إني فهمت قصده، لكني لم أقوَ على الكلام إذ كدت أختنق بدموعي.

ستيفن الشلل

بعد ظهر الأحد نقلت الى وحدة «العناية الفائقة» في الطبقة الخامسة عشرة من مستشفى بيلفو، حيث وضعني الأطباء في حجرة لها باب خاص وفيها مجموعة منوّعة من الآلات والأدمغة الإلكترونية لمراقبة العلامات الحيوية. واحتشد أهلي وأهل باتي أن وعناصر من الشرطة في المكان، وساد الجو بعض التشويش والفوضى. ولم أعِ ما كان يقال لي، وكيف كانت ردود فعلي على الأخبار في تلك الأسابيع الأول. وكان معظم ما يحدث يمر في مخيلتي كصورة ضبابية، ولم أتمكّن إلا لاحقاً من ربط الأحداث بعضها ببعض.

فجسمي لم يعد ملكي، بل أصبح خارجاً عن ارادتي، وكان متقّباً بالإبر والأنابيب ومربوطاً الى أجهزة مراقبة الكترونية. وكان أنبوب بلاستيكي كبير يضخ الهواء الى صدري من جهاز ضخم بجانب سريري. وثمة أنبوب آخر مولج في معدتي يغذيني بمزيج من الأطعمة. وكانت هناك أنابيب وريدية تحقن «الغلوكوز» والأدوية في ذراعيّ، ووصلت بي قثطرة «فولي» لإخراج البول.

لم أحس بأي من هذه العمليات، لأن أطرافي الأربعة كانت مشلولة وقد اقتصر حقل احساسي على مساحة تمتد من أعلى جبيني الى تحت حنكي فإلى جانبي رأسي حتى أذنيّ. وفقدت الاحساس بكل ما بقي من جسمي، ولم تكن لي قوة في عضلات رقبتي لكي أرفع رأسي وأبقيه مرفوعاً.

وأظهرت صور الأشعة السينية (إكس) والفحص الطبقي الموجه بالدماغ الالكتروني [٢] أن ثلاث شظايا استقرت في أعلى العمود الفقري بين الفقرتين الثانية

(٢) Computerized axial tomography "CAT"

والثالثة. وكان حبلي الشوكي قطع جزئياً في المكان ذاته، فأصيب جسمي بأفدح ضرر ممكن من دون أن يؤثر ذلك في عقلي.

أجرى الأطباء جراحة استكشافية في رقبتي لتحديد مسار الرصاصة، وهذا إجراء روتيني لاستكشاف الضرر اللاحق بالمريء والشريان السباتي والأوتار الصوتية. وأجروا عملية فتح الرّغامى [٣] بحيث أُحدث ثقب في أسفل حلقي أولج فيه أنبوب بلاستيكي لنقل الهواء من جهاز تنفس ميكانيكي الى رئتي.

والأنبوب الذي اختاره أطباء مستشفى بيلفو كان رغامى مثنية في طرفها أداة شبيهة بالبالون لمنع الهواء من التسرب. وكان بالون الهواء يضغط تحت أوتاري الصوتية بحيث تعذّر علي الكلام. وكنت لا أُفهَم الا بقراءة شفتي.

كل يوم كانت تصلني عشرات البطاقات والرسائل. وكان الأصدقاء والزوّار يدخلون ويخرجون وكنت أكاد لا أعي ما يجري حولي، وجلّ ما تمنيت أن أغمض عينيّ وانساب في عالم الخيال وانعتق من واقعي علّني أجد نفسي في ملعب كرة قدم أو على شاطىء أتلهى بمشاهدة الدلافين أو مع باتي آن في السينما.

لم يطرأ أي تحسن على حالي طوال الأسبوع الأول، ولم يُشر أي من الأطباء الى أنني سأتحسن. ولكن ما زال لدينا، أنا وباتي آن، إيمان راسخ بأن الله سيساعدني وإن عجز الأطباء.

يوم الجمعة في ١٨ يوليو (تموز) بدا أن هناك وميضاً خافتاً من الأمل. فاتّصل الدكتور جوزف رانسوهوف، رئيس قسم جراحة الأعصاب في مستشفى بيلفو، بزوجتي وبأهلي ليخبرهم أن نتائج الفحص أظهرت قدرتي على الإحساس بضغط خشن على ساقي اليسرى، ولكن ليس في أي مكان آخر أدنى من رقبتي.

لم يكن ذلك ليعني الكثير. إنما، بحسب قول الطبيب، كان هناك بصيص نور، وهو أضاف: «لدى ستيفن إحساس في جنبه الأيسر، واستناداً الى صور الأشعة السينية لا يُفترض أن يكون هناك احساس. ان شيئاً ما يحدث.»

كان الخبر مثيراً وجديراً بإبلاغه الى رجال الصحافة. فقد كانوا تواقين الى نشر كلمة ما عن ستيفن، ولكن لم يحدث بعد شيء إيجابي يستحق الذكر. فأجرى برايان مولهيرين ترتيبات مع الصحافيين للاجتماع بباتي آن خارج وحدة الطوارىء.

أوجزت باتي آن للصحافيين تشخيص رانسوهوف، وأضافت: «أن ستيفن مقاتل، وسيتعافى، وأريد أن يعرف الجميع أننا لا نزال نكافح وأننا لم نستسلم لليأس.»

في اليوم الذي تلا حديث باتي آن الى رجال الصحافة نقلني الأطباء من

(٣) Tracheostomy

جناح «العناية الفائقة» في الطبقة الخامسة عشرة الى وحدة الجراحة العصبية الخاصة في الطبقة السابعة. وكان من زواري المفضّلين الأب جون كوفسكي. كان جبينه عالياً يتوّجه شعر أبيض، وكان يضع نظارتين بإطار عظمي وفي زاوية فمه على الدوام غليون طويل.

قال لي: «سآتي يومياً.» وكان فعلاً يأتي كل يوم، وأحياناً مرتين في اليوم. وكان يحييني دائماً بهذه العبارة: «هالو يا ولدي ستيفن.»

وكنت أسرّ دائماً لحضوره، إذ أن أشياء كثيرة كانت تخيفني: جهاز التنفس بشخيره الدائم، والشلل، والاتكاليّة.

كان ابدال أنبوب الرغامى المثني أسوأ ما عانيت. فلا تمر برهة حتى يبدأ تسرّب الهواء من البالون فيتعذر علي ضخه الى رئتيّ. وتأتي الممّرضة وتقول: «حسناً يا ستيفن، لقد حان الوقت لإبدال الثنية.»

فأغمغم: «لا.»

فتؤكد الممرّضة: «بلى.» وما هي الا لحظات حتى يدخل الأطباء المقيمون بالبرانس الخضراء الخاصة بغرفة العمليات.

أحس شيئاً في رقبتي، ولكن لن يخاطر أحد فيعطيني مخدراً. وتمضي دقيقة رهيبة فيما ينتزع الأطباء والممرّضات الثنية القديمة من عنقي ويثبتون الثنية الجديدة. وتتسع عيناي رعباً إذ أرى الدم خارجاً من عنقي.

وتحاول إحدى الممرّضات أن تهدىء من روعي. ويروي الأب كوفسكي نكتة بقصد الهائي عن ألمي. وكنت أقدر محاولات الجميع، لكنني لم أرى منها جدوى إذ بدا لي أن الألم والانزعاج الشديدين مأساة لن تنتهي.

وكنت ازداد ادراكاً لمدى النكبة التي حلّت بي. وكان التفكير في المستقبل وما يحمله لي يدفعني الى حافة الجنون ـ عجز عن الذهاب الى الحمام وعن الحلاقة وعن تنظيف أسناني، والأشد ألماً تصوري مستقبلاً أعيشه عاجزاً عن ضمّ باتي آن.

خلال الايام السوداء حاول الأب كوفسكي انتشالي من وهدة اليأس. وكنت أصغي اليه وأرى فيه رجلاً باراً أرسله الله الي والى باتي آن لتعزيتنا وتقوية إيماننا في هذه المرحلة القاسية. وكان يفرك ذراعي الخالية من الإحساس، ويتكلم عن السنوات التي امضاها في خدمة الجيش، واحياناً يغني لي أغاني شعبية بصوته القوي الجميل.

باتي آن: المولود الجديد

كلما تقدمت في حملي هبطت معنوياتي وقوتي على الاحتمال والثبات. أردت أن أكون مع ستيفن كل ليلة ونصلي معاً. وكنت أغادره قبل أن يتهيأ للنوم. واستنبطنا

وسيلة للتحاور: يتفّ ستيفن على سماعة الهاتف تدنيها منه احدى الممرّضات أو الأب كوفسكي أو برايان مولهيرين: تفّة واحدة تعني نعم، واثنتان تعنيان لا.

وكنت أزوّد ستيفن آخر المعلومات عن الجنين، فأقول له: «شعرت بنبض قلبه» أو «أحسست برفساته هذا النهار.» وكنت أدنو منه ليتمكن من تحسس بطني بخدّه.

وإذ اقترب موعد الولادة طلبت مني الممرّضات أن أتوقف عن زيارة ستيفن: «الزيارات مرهقة، وعليك أن توفري قوتك الى حين الولادة.»

ولا شك في أن غيابي كان صعباً على ستيفن. لكنه حظي بزيارة النجمة السينمائية مورين اوهارا التي مثلت مع جون واين في فيلم «الرجل الهادىء» مما أضفى على ستيفن جواً من البهجة ورفع معنوياته. وكان ستيفن شاهد الفيلم مئة مرة على الأقل، واعتبر أفضل الأفلام السينمائية. وحين دخلت مورين أوهارا الغرفة انذهل ستيفن ولم يصدّق ما رأت عيناه.

كان أحدهم أخبر مورين أوهارا أن ستيفن معجب بها. وهي راحت تتكلم بلهجتها الايرلندية عن حياتها وعن كفاحها ضد السرطان وعن تصميمها على مواصلة الكفاح. ومكثت فشاهدت عرضاً آخر لفيلم «الرجل الهادىء.»

في ٢١ يناير (كانون الثاني) ذهبت الى مستشفى مرسي في مركز روكفيل لمقابلة الدكتور جيمس تورمي رئيس قسم التوليد والطب النسائي الذي قال لي ان باب الرحم لم ينفتح بعد، وأضاف: «ارجعي في الأسبوع المقبل وسنبدأ فحصاً للاجهاد.»

سألته قلقة: «ماذا تعني بفحص الاجهاد؟» فطمأنني: «انه لقياس معدل نبض قلب الجنين أثناء التقلصات التلقائية، فلا داعي الى القلق.»

إن الإشارة الى أن حياتي قد تمنى بضربة أخرى تزيد في مأساتنا، بعثت فيّ قشعريرة باردة وكأني غطست في مياه جليدية. وأفقت، كأنما للمرة الأولى، على أنني أحمل في أحشائي جزءاً من ستيفن، جزءاً من كياننا، وسأصبح أماً بعد وقت قصير جداً.

صباح ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ بدأت تقلصات «الطلق.» وحين تهيأت للذهاب الى مستشفى مرسي اتصلت بستيفن وقلت له: «انني أشعر بالمخاض يا عزيزي، وأنا ذاهبة الى المستشفى للولادة.» وحاولت ألا تعكس نبرة صوتي حزني ووجلي.

طوال فترة الصباح وبعيد الظهر كان جهاز مراقبة يسجل نبضات قلب الجنين. وفي الثالثة بعد الظهر اشتدت التقلصات ووطأة الألم، ومع كل انقباضة كنت أئن وأتصبب عرقاً. ثم سمعت أحدهم يقول: «نبض القلب يتلاشى!»

لم أصدق ما سمعت. أيعقل أن يسقط الجنين بعد ما عانيناه؟

أُلصقت كمامة أوكسيجين على وجهي، فصلّيت: رحماك يا الهي، اجعل كل شيء يمر بخير وسلام لأن لك القدرة على كل شيء. ثم أحسست وخزة في ذراعي وبدأ المخدر يسيطر علي فغبت عن الوعي.

بعد ساعتين أفقت في غرفة النقاهة. وسألت طبيبي: «هل ولدت؟»

أجاب: «ولدت صبياً.» فانسابت دموعي فرحاً، وهي دموع السعادة الأولى منذ ستة أشهر. وقلت: «أريد رؤية أمي.»

وغلب علي البكاء، فلئن افتقدت ستيفن فقد أردت أن تشاركني أمي في هذه اللحظة الميمونة.

ولما أتت الممرضة بالطفل للرضاعة الأولى تفحّصت كل شيء فيه. كان يشبه ستيفن تماماً. إنها حقاً لمعجزة!

ستيفن: الأبوة

في الرابعة الا أربع دقائق عصراً جاءت البشرى من مستشفى مرسي: انه صبي، وهو بصحة جيدة والحمدلله. لقد اضطر الأطباء الى اجراء جراحة قيصرية. وستبقى باتي آن اسبوعاً في المستشفى ومعها الطفل.

تلاطمت عواطفي كموج متكسر على شاطىء. فقد غمرتني فرح عارم، كما شعرت بفراغ هائل، وكأن غيابهما عني لمدة أسبوع هو غياب لمدى الدهر.

أمّ الصحافيون المستشفى واحتشدوا حولي يحاولون معرفة شعوري ازاء ولادة كونور باتريك والفيديو الذي صور له في مرسي.

وانهالت علي أسئلتهم: كيف حال باتي آن؟

من أين أتيتم بإسم كونور؟ هل الطفل جميل؟ كان اهتمامهم البالغ مرهقاً لي خصوصاً أنني كنت في حاجة الى فترة من السكينة والهدوء استجمع فيها شتات افكاري. وقبل كل شيء، أردت أن أرى ولدي.

في ذلك النهار نشرت الصحف نبأ ادانة شافود جونز بتهمة محاولة قتل. وحكم عليه بالسجن مدة تراوح بين ثلاث سنوات وعشر سنين لكونه قاصراً ابن ١٥ عاماً. وحكم عليه أيضاً بمدة إضافية مماثلة لاعترافه بسرقة دراجة هوائية.

بعد أسبوع من الانقطاع عني رجعت باتي آني الى عيادتي يومياً. وكانت لا تزال تتألم بعد الولادة. وصباح السبت أُوقظت باكراً وأُجلست في كرسي للمقعدين وأدارت الممرضات وجهي الى جهة النافذة وظهري الى الباب. ثم انصرفن وتركنني لوحدي أحدّق عبر النافذة الى الأبنية المغلّفة بالفجر الرمادي، والنهر العظيم وراءها ينساب هادئاً في سكون الصباح.

غبت في اغفاءة خفيفة. وإذا بي أشعر بدغدغة في أذني أيقظتني. فاستدرت، ويا لدهشتي، إذ رأيت كونور للمرة الأولى. رحت أراقب حركات يديه وقبضتيه الصغيرتين وهو يركل برجليه في كل ناحية. فبدا لي أن في امكاني استعادة تحريك يديّ ورجليّ. كان كأنه أنا. لا، كان هو أنا. وكان نعمة أغدقها علينا الله لمؤاساتنا.

قرّبته باتي آن من وجهي وهي تبتسم وقالت: «كم أنا مسرورة بأن أكون معك. كان غيابي عنك شاقاً جداً، لكني سأبقى معك منذ الآن دائماً. لقد أصبحنا عائلة إذ رزقنا طفلنا الجميل الذي صلينا له وتمنيناه بكل جوارحنا.»

وقبلتني. وقبلتها. وإذا بكونور يركلني ركلة قوية ويقرقر، وكان ذلك تتويجاً لسعادتنا في تلك اللحظة.

ورحنا من ثم نتساءل: ماذا بعد؟ ها ان الله رزقنا الطفل الذي انتظرناه، وقد تحقق حلمنا وانتهى انتظارنا. فهل يمد الله في عمري لأعرف كونور ويعرفني؟

أردت أن ألمس تحسناً فيَّ يدعو الى التفاؤل، لكن ذلك كان صعباً جداً. كانت ولادة كونور دليلاً على استمرار الحياة. أما أنا فرحت أتأمل كيف كنت وكيف صرت مقعداً عاجزاً عن مواكبة الحياة والسير في ركابها.

ستيفن: تقليد عائلي

إن تاريخ عائلتنا عريق في الخدمة في جهاز الشرطة إذ يرجع الى ١٧٥ سنة خلت. ولست الأول الذي أصيب أثناء القيام بالواجب.

ففي احدى ليالي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٦ أطلق سارقان النار على جدي جيمس ج. كونواي في كتفه اليمنى في حي البرونكس بنيويورك. مشى جدي مترنحاً وركب سيارة ومسدسه في يده، وطلب من السائق مطاردة سيارة الشقيين. وأثناء المطاردة ثبّت جدي ذراعه اليمنى على يده اليسرى وأطلق النار على السيارة المطاردة فأصاب العجلة الخلفية اليمنى، مما حرف السيارة فاصطدمت بحاجز على حافة الطريق. وخرج الشقيان منها رافعين أيديهما. بعد ذلك سقط جدي منهاراً.

في تلك الليلة مُنح جدي وساماً للشجاعة واستمرّ في عمله ناشطاً وعين شرطياً سرياً. وهو اعتقل عشرات اللصوص والمغتصبين والنشالين. وأرسل اليه عمدة نيويورك، فيوريلو لاغوارديا تهنئة خاصة على تحقيقاته التي ادت الى كشف عصابة للسرقة في البرونكس والقبض على أفرادها.

وما زلت أذكر مأتمه. كان أحيل على التقاعد قبل عشر سنين. غير أنه كان يحمل وساماً، لذلك جرى تكريمه بثلة من حرس الشرف واكبته الى مثواه الأخير. كان نعشه مجللاً بالعلم، ومشت جدتي وصديقاتها باكيات وراءه، وكان بعض عناصر الشرطة يبكون أيضاً.

والتحق والدي بسلك الشرطة في العام ١٩٥١ أي قبل زواجه بسنة واحدة. وكم من مرة في صغري ركبت سيارته المجهزة باللاسلكي، وكم بهرتني الهالة التي تضفيها عليه بزته الرسمية. كان الشرطي في نظري أهم رجال الأرض.

في الصيف كنا ننتقل الى شمال الولاية حيث نقيم في فندق بمدينة تانرسفيل مع عائلات شرطيين آخرين. وكانت عائلتنا تضم ثمانية أشخاص وهي إحدى كبرى العائلات هناك. وكان الجمع خليطاً من عناصر دوريات وضباط صغار وكبار.

كان والدي يحبّ عمله ويردد: «إنه عمل فريد لا يضاهيه أي عمل آخر.» لكن المناوبات المتواصلة في النهار وفي الليل أرهقت عائلتنا كما أرهقت عائلات سائر أفراد الشرطة: من الثامنة صباحاً الى الرابعة مساءً، ثم من الرابعة مساءً الى منتصف الليل، وبعدها من منتصف الليل الى الثامنة صباحاً. وفي بعض الدوائر كان الشرطي يعالج بين ٢٠ و٣٠ قضية في ليلة واحدة.

لم أترقب أن أصبح شرطياً. فبعد تخرجي في المدرسة الثانوية تطوعت في البحرية. وحين انتهت خدمتي عام ١٩٧٩ عملت في دائرة التدبير المنزلي في «مونت سيناي» وهو مستشفى مرموق على أطراف حي هارلم الإسباني. ولم يمض عام حتى رقيت الى رتبة مدير.

عام ١٩٨٢ كنت أجني ٢٥ ألف دولار في السنة. وكنت جاوزت عتبة الخامسة والعشرين لكني لم أقدر على التخلّي عن قناعتي بأن عمل الشرطي مميّز.

في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣ أعلنت دائرة الشرطة أنها ستجري امتحاناً للدخول. فتقدمت للامتحان. وبعدما اجتزت كل الفحوص الجسدية والنفسانية قُبلت في أكاديمية الشرطة فدخلتها في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٤.

تخرّج صفنا بعد خمسة أشهر، وأصبحت أحد عناصر شرطة نيويورك الذين يعدون ٢٥ ألفاً. صرت مدماكاً في «الجدار الأزرق.» وبعدما أكملت تدريباً ميدانياً لستة اشهر أُلحقت بمنطقة «سنترال بارك.»

ان سنترال بارك مجمّع رئيسي لكل الناس من جميع الأجناس والطبقات. وفي أيام الصيف الحارة بعد الظهر يرتفع عدد الناس في المتنزه الى عشرات الألوف.

في ٢ مايو (أيار) ١٩٨٦ وقعت وحدتنا على سبعة فتيان كنا نقتفيهم منذ مدة. في ذلك النهار سرقوا دراجة هوائية، وشهدنا الحادث بعيوننا. وقد شهر أحدهم مسدساً سحبه من تحت سترته الجلدية وأجبر راكب الدراجة على النزول.

اندفعنا خارجين من الدغل. فتجمّد خمسة من الفتيان في أماكنهم وطاردنا الاثنين الآخرين فقبضنا عليهما خارج المتنزه. ولما كانوا مراهقين ولم يرتكبوا مخالفات سابقة فقد خلي سبيلهم بعدما تعهدوا الحضور الى المحكمة عندما يحين الوقت للنظر في قضيتهم. وفاتني تسليم أوراق الدعوى الى عائلة بول (١٤ عاماً)

أحد الفتيان المشتركين في السرقة، فاعتزمت أخذها اليهم بعد انتهاء مناوبتي.

كانت الشقة حيث تسكن العائلة صغيرة معتمة تفوح منها رائحة طعام عفن. وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، لكن الأولاد الخمسة كانوا كلهم مستيقظين.

أبلغت الى الوالدين سبب زيارتي. أخبرتهما أن ابنهما في مأزق وأني على استعداد لمساعدته في دخول احد نوادي كرة السلة أو التطوع في أحد البرامج البناءة. وكنت رأيت كثيرين من رجال الشرطة يعرضون خدماتهم لمساعدة الموقوفين، ووجدت ذلك ملائماً جداً في قضية الفتيان.

لم يكن الوالدان يفهمان الانكليزية جيداً، فتولى أحد الأولاد الترجمة فيما انتحى بول جانباً وبدا مضطرباً. واعطيتهما اسمي ورقم هاتفي.

ولكن ما ان خرجت حتى سمعتهم يضحكون عبر الجدران الرقيقة. فعرفت أن لا أحد سيتصل بي.

بعد شهرين اطلق عليّ النار فتى من مثل هؤلاء الأحداث. وفيما كنت ممدداً على سريري في مستشفى بيلفو أحدّق الى السقف لم يغب بول عن مخيلتي.

باتي أن: خطاب ستيفن

في اول مارس (آذار) ١٩٨٧ استيقظت باكراً وألبست طفلنا ثياباً جديدة وأخذت معي بعضاً من ثياب ستيفن وتوجهت الى مستشفى بيلفو. انتقيت ثياب ستيفن بعناية لأن الناس سيشاهدونه للمرة الأولى خارج سريره وسيجلس في كرسي. ذلك اليوم كان ذكرى ميلاده الثلاثين.

امتلأت ردهة المستشفى بالأهل والأصدقاء والصحافيين ومندوبي محطات التلفزة والاذاعة. وحضر أيضاً العمدة والنجمة السينمائية مورين اوهارا.

أعلن ستيفن أن لديه كلمة للصحافة. فساد السكون الغرفة الا من طقطقة آلات التصوير وطنين المسجّلات وشخير جهاز التنفس. فتحت الأوراق التي دونت عليها كلمة ستيفن ونظرت اليه. وقلت في نفسي: ركزي على الكلمات يا امرأة قبل أن تجهشي في البكاء.

قرأت: «في هذا اليوم، الذي هو أسعد أيام حياتنا معاً، طلب مني ستيفن أن أقرأ هذا الكتاب الموجه منه الى سكان مدينة نيويورك:

«دخلت سلك الشرطة بغية خدمة الناس في نيويورك ومساعدتهم ملء قدرتي. وتبعت في هذا خطى أبي وجدي اللذين كانت لهما الرؤيا ذاتها. وحين منحت شارة شرطي عزمت على العمل وفق التقليد السامي المبني على الشجاعة والعطف والرأفة.»

تطلّعت الى ناحية ستيفن فرأيت ابتسامة خفيفة تعلو وجهه.

تابعت: «في بعض الأيام أثور حين تسوء صحتي وأشعر بعجزي، لكنني أدرك أن الغضب انفعال فارغ فأعود وأتذكر لماذا أصبحت شرطياً. ويتملكني الغضب حيناً من الفتى الذي أطلق علي الرصاص، لكني غالباً أشعر بأسف له وأرجو أن يبدِّل حياته فيساعد الآخرين بدل إيذائهم. إنني أسامحه وأتمنى له ان يعرف السلام والطمأنينة ويضع هدفاً نبيلاً لحياته يسعى الى تحقيقه.»

اغرورقت عيناي ولم أتطلع ناحية ستيفن لكي لا يفتقد ما خسره وخسرناه، بل لزمت النظر الى الصفحات وتابعت القراءة: «لقد أحببت دائماً أبي وأمي وزوجتي وأشقائي. والآن أحب ولدنا كونور باتريك. وكنت ظننت أنني لن أحب غيرهم في حياتي، لكن ما رأيته في الأشهر الأخيرة أثبت خطأ اعتقادي.»

«وسأصدقكم القول. ان في هذه المدينة من المحبة والعطف ما يفوق الوصف. ان عطف الأصدقاء الجدد الذين عرفناهم، وأولئك الذين لن نعرفهم، قد بدّل يأسنا بالأمل وغمر حياتنا بالبهجة وأحلّ الفرح بدل الدموع والأسى. وها اني أرى كل يوم من أيامي مشرقاً بما تحمله الينا البطاقات والرسائل والزيارات من عائلتنا الجديدة الكبيرة.»

«أتوجه بالشكر الى سكان مدينة نيويورك لاحتسابي عضواً في عائلتهم ولمساعدتي فوق مدى قدرتي على مساعدتهم.»

(بلّلت الدموع خدّي لجمال أفكار ستيفن وفداحة نكبته. وكدت لا أرى الأسطر الأخيرة.)

«وأسألكم في الختام أن تتذكروا أنني اخترت حياة الشرطي بكل ما تحمله من مخاطر، والا تنسوا أولئك الذين هم أقل حظاً وعليهم أن يكافحوا للحياة والكرامة في غياب الاهتمام والعطف والمساعدة التي منحتني إياها هذه الحياة الجديدة.»

كان السكون مخيماً في الردهة ولا يسمع فيها سوى صوت جهاز التنفس.

وأنهيت الخطاب بكلام ستيفن: «ليبارككم الله جميعاً.»

غلب علي البكاء. وساد صمت طويل فيما الأهل والأصدقاء ورجال الشرطة والصحافيون يمسحون دموعهم. ثم دوّت في القاعة عاصفة تصفيق.

ستيفن: هذا هو صوتي

بيلفو مستشفى للصدمات. ومن وجهة نظري كشرطي، انه الأفضل في العالم. لكنه غير مؤهل لمعالجة مريض مزمن في مثل حالي. وعلى رغم جهود الدكتور رانسوهوف فلم يطرأ أي تغيير على حالي مطلقاً.

كنت في حاجة الى معالجة طويلة الأمد وتسهيلات للعناية هي متوافرة في

مستشفى كريغ في إنغلوود، كولورادو. كان المستشفى بعيداً عن بيتنا، لكنه كان مجهزاً بأفضل التسهيلات لإعطاء المرضى أكبر مقدار من الاستقلالية وفق امكاناتهم.

أما نفقات معالجتي فلن تكون قليلة. فبكلفة ألف دولار يومياً ستبلغ نفقات إقامتي في كريغ ١٥٠ ألف دولار، تضاف إليها أجرة الطائرة والممرضة على متنها وتبلغ ١٢ ألف دولار، وكرسي ذات محرك بـ ١٧ ألفاً، وحافلة مجهزة بالأدوات الضرورية بـ ٣٠ ألفاً. وبما أن الاصابة لحقت بي في أثناء تأدية الواجب فستغطى التكاليف بكاملها.

غادرت وباتي آن نيويورك في صباح مكفهر ماطر ووصلنا الى كولورادو في نهار مشرق مشمس. وكل شيء طالعنا كان جديداً ومثيراً. وتوسمنا خيراً في مستشفى كريغ. كانت غرفتي في الطبقة الثالثة ويشاركني فيها مرضى آخرون. نافذة مقوسة تطل على منظر جميل لجبال «روكي.» وبدا العالم بدائياً بنقائه الأصلي ونظيفاً وناضراً.

في أصيل ذلك اليوم الأول، بعدما أُلبست ووُضعت في كرسي محنية الى الوراء، قدمت غايل غيلنسكي وشارون بلاكبورن اللتان ستقومان على معالجتي. سألتني شارون: «هل هناك من أمر خاص تريد عمله؟»

أجبتها: «في الخارج.»

قالت: «حسناً.»

دفعتني شارون عبر الأبواب الآلية التي تؤدي الى السطيحة الخلفية. وكنت أمضيت تسعة أشهر في الداخل أتنشق روائح المستشفى وأسمع أصوات المستشفى الذي غدا لي عالماً ضيقاً كشرنقة اصطناعية. لقد عشت فيه آمناً مطمئناً ولكن عقيماً جامداً.

رأيت من السطيحة تلة معشبة صغيرة وجبال الروكي في الأفق القريب. وكان الجو أزرق نقياً كالبلّور والهواء ساكناً نظيفاً جافاً. فانتشيت بالمناظر الخلابة وبالجو المنعش وتنهّدت لعظم سروري. وما لبث تنهدي أن تحول حسرة. ترى هل سينعم علي بالتمتع بأيام جميلة كهذه كما كنت في السابق؟ كان ذلك ممكناً قبل تسعة أشهر، أي قبل تعرضي لاطلاق الرصاص، أما الآن فلا سبيل اليه، فأنا عاجز وسجين كرسي ولا أستطيع التمدد على العشب مع باتي آن على رغم شدة رغبتي في ذلك.

بقيت مع شارون في الخارج حتى شارفت الشمس المغيب وراء الجبال. وطلبت منها أن تأتي بي الى هنا كل يوم.

فاحتجّت: «ستيفن، علينا أن نعمل قليلاً.»



كانت مهمة شارون تمرين ذراعي ورجلي ومدّ جميع مفاصلي وارخاءها وتشجيعي على استخدام عضلات رقبتي. كنت أحتاج الى قوة في رقبتي لتحريك رأسي كي أستطيع الوصول الى ضوابط كرسي المقعدين. وكان الكرسي عنصراً أساسياً لتحقيق الاستقلالية التي سأتعلمها في مستشفى كريغ. يدار الكرسي بالرشف والنفث في أنبوبين بلاستيكيين مطواعين يمتدان صعداً من المحرك الالكتروني خلف مسند الظهر. فالرشف والنفث يضبطان سرعة الكرسي ووجهته. كانت الفكرة بسيطة، لكن التحكم بالجهاز كان في غاية الصعوبة.

صفّت غايل أكوازاً بلاستيكية برتقالية في قاعة الرياضة. وكان علي أن أسير بينها كسائق يخضع للفحص. وإذ أنحرف عنها تركض غايل ورائي، فيما باتي آن جالسة مع كونور تراقب وتكبت ضحكها.

أمضت غايل ساعات تعلّمني تلقيم الدماغ الالكتروني كلمات أدخل حروفها بطريقة شيفرة «مورس» عبر الرشف والنفث في أنبوب صغير آخر. وعلمتني أيضاً

ILLUSTRATION BASED ON A PHOTOGRAPH© BY MICHAEL SCHWARTZ/NEW YORK POST

أن أقلب صفحة كتاب مُسند الى قاعدة فوق رأسي باستخدام أداة أحركها بفمي.

ورأس فريقي الطبي الدكتور دانيال لاميرتس، وهو رجل أربعيني يهوى ربطات العنق والبذلات الرسمية. وكان واقعياً هادئاً. فنصحنا بألا نأمل كثيراً في شفاء نخاعي الشوكي، لكنه شجعنا على ترقب تحسن في نوعية حياتي نتيجة إقامتي في كريغ.

وشرح لنا أن عمري المتوقع قد قصر قليلاً. وأشار الى أن في المستشفى مريضاً مصاباً بتلف في الجزء الأعلى من حبله الشوكي ويعتمد على جهاز التنفس ولا يزال حياً بعد ١٨ سنة من اصابته. وختم: «إن لدى الناس طاقة كامنة تجعلهم ينجزون فوق ما يعتقدون أنهم يستطيعون إنجازه.»

أوقف الدكتور لاميرتس تغذيتي بالأنبوب وساعدني على اكتساب قابلية للأكل. كذلك أجرى سلسلة اختبارات للتحسّس العصبي في حجابي الحاجز [٤] واستنتج أن نشاط الأعصاب كان ضعيفاً الى حد يتعذر معه حفز الحجاب على العمل.

ولما كان حجابي عاجزاً عن التحرك نزولاً لخلق قوة مصّ لإدخال الهواء الى الرئتين، فلا قدرة لي على التنفس تلقائياً وإن لفترة قصيرة. واستغنائي عن جهاز التنفس كلياً أمر بعيد الاحتمال.

بعد ثلاثة أسابيع من إقامتي أمر الدكتور لاميرتس بإبدال أنبوب الرُّغامى المثني برغامى «جاكسون» التي تتيح عودة مرور الهواء على أوتاري الصوتية. كان الدكتور لاميرتس مصمماً على اعادة صوتي اليّ. ولم أكن متكلماً رديئاً بلغة الشفاه، إنما كنت أشعر بالخيبة لعجزي عن اجراء اتصال أفضل.

كانت عملية ابدال أنبوب الرغامى ذات الثنية في مستشفى بيلفو مؤلمة ومخيفة لكنها في كريغ تمت خلافاً لذلك. فقد لبثت هادئاً ولم أشعر بأي انزعاج. واستقبلتني باتي آن حين أُعدت الى غرفتي.

قلت لها بصوتي: «أحبّك.»

فأجابت وعيناها طافحتان بالدموع: «وأنا أحبك أيضاً.»

لقد انتظرت سنة لألفظ هذه الكلمات.

وفكرت كم عانيت من آلام مكبوتة حين أردت مئات المرات أن أقول لها «أحبك.» فكنت ألوك الكلمات في شفتيّ عاجزاً إلا عن تمتمة خفيضة فارغة. وبدا لي أن نطق هذه الكلمة بصوتي الطبيعي أهم المنجزات التي يمكنني تحقيقها.

باتي آن: بيت جديد

كانت لي شقة للسكن قريبة من مستشفى كريغ في كولورادو، وبتُّ أتنقل بين كولورادو ونيويورك. إلا أني أدركت أن ستيفن عائد الى البيت في وقت قريب. فقد

أحرز تقدماً كبيراً وصار في امكانه التخلي عن جهاز التنفس لمدة نصف ساعة كل مرة. واكتسى وجهه سمرة واكتسب ثقة قوية بالنفس شجعته على مغادرة المستشفى في نزهات الى التلال والجبال المحيطة بانغلوود.

وكان مضى على اقامته هناك أكثر من ثلاثة أشهر، والإقامة النموذجية لا تزيد على أربعة أشهر. وعلمت أننا، لدى رجوعه الى البيت، سنحتاج الى ممرضات، لكني رأيت أن ليس في إمكاني العناية به وبالطفل ما لم يكن اهلي قريبين مني.

في أوائل الربيع خلا منزل في ساحة ميتشيل في مالفيرن قريباً من بيت أهلي. وكانت المنطقة تشهد ارتفاعاً حاداً في أسعار العقارات، فقدّر ثمن المنزل بمئتي الف دولار.

وكان لستيفن في «صندوق جمعية عناصر الدوريات» ٢٠٠ ألف دولار، يضاف إليها نحو ٤٠ ألفاً من حفلة خيرية أقيمت في مايو (أيار) لمساعدة ستيفن. فطلبت من برايان مولهيرين الذي ساعدنا منذ اليوم الأول لإصابة ستيفن، أن يسأل عن إمكان استخدام المال لشراء المنزل. فاتصل بمدير المؤسسة ديك فاي.

كان ديك أحد المحسنين الى صندوق الشرطة والاطفاء، ورئيساً مشاركاً لـ «صندوق الأرامل والأولاد» في الدائرتين. وكان له ولزوجته باتريشا أجداد في سلك الشرطة، وهما جاءا مراراً لعيادة ستيفن في مستشفى بيلفو. فجلست وبرايان في مكتبه وشرحنا له خطتنا.

بعدما أصغى للحظات أستأذننا قائلاً إنه يريد التكلم مع آرثر كرايمس بصفته مديراً متقدماً في المؤسسة، وكان هذا ساعدنا عندما كان ستيفن لا يزال في بيلفو. ثم رجع ديك وطلب منا الانضمام اليه في مكتب كريمس. قال لنا: «لا حاجة الى صرف مال المؤسسة. سنشتري لكم المنزل.»

قلت مرتبكة: «أوه، لا، ليس هذا ما نريده، لقد سبق أن أسديتم إلينا مساعدات قيمة.»

لكن ديك فاي أصر على القرار وقال إن القضية منتهية. سيشتري هو وكريمس المنزل، وسينسق برايان مهمات ترميمه برعاية مكتب العمدة.

اتصلت بستيفن وأطلعته على ما جرى، فأثاره الخبر وبان ذلك في رنة صوته. وأرسل لاحقاً باقة زهر الى منزل والدي مع بطاقة جاء فيها: «لا مكان للمرء في العالم مثل بيته. مع حبي، ستيفن.»

أرسل برايان بنائين ومهندسين للكشف على البيت وتقدير ما يلزمه من اصلاحات، كتوسيع الأبواب والأروقة والمداخل وما شاكل ذلك.

قلت: «سننام أنا وستيفن في الطبقة السفلى.» فسألني أحدهم: «ألا تريدين أن

(٤) الحجاب الحاجز غشاء يفصل القلب والرئتين عن البطن.

يكون كونور الى جانبك فيراه ستيفن لدى وضعه في السرير ويشاهده يستيقظ في الصباح؟»

قلت انني أريد ذلك طبعاً، لكنه مستحيل. فحتى لو تمكنا من ايصال ستيفن الى أعلى السلم فلن يستطيع دخول غرفة النوم العليا بسبب سقفها المائل. عندئذ فاجأني المهندس قائلاً: «علينا إذاً هدم هذا المنزل والبدء من الصفر.»

ودهشت إذ وافق الجميع على هذا الكلام. فهم، في فترة الكشف القصيرة، أجمعوا على تصميم طبقة أرضية أرحب ومصعد وسلّم أوسع الى الطبقة العليا وغرفة للمعالجة في الطبقة السفلى.

طوال شهر درس البناؤون والمهندسون كل ما قد يحتاج اليه ستيفن. وذكّرهم الأطباء بأن ستيفن لا يتحمل الحر والبرد وأن من الأفضل له أن تكون مستويات التدفئة والتبريد والرطوبة مراقبة الكترونياً. وسيحتاج الى حمّام مع مرشّة (دوش) يمكنه ولوجه بكرسيه، والى مناضد يسهل عليه جرّها تحته وهو جالس في كرسيه. وكانت أمنية ستيفن الوحيدة ألا يذكّره البيت بالمستشفى.

في كل يوم كنت أذهب من بيت والديّ الى البيت الجديد للإشراف على التجديدات. وكان العمال كثيرين بغية إكمال الأعمال في المدة القصيرة المطلوبة وبدأ هدم البيت من الداخل. وبلغ من نشاط العمال وحماستهم أنهم اعتبروا المهمة رسالة عليهم أداؤها بأمانة.

ستيفن: في أحضان العائلة

في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ طرنا أنا وباتي آن وبرايان مولهين من كولورادو الى نيويورك. وكان برايان عمل ١٦ ساعة يومياً طوال فصل الخريف لتأمين إتمام بيتنا وأخذنا إليه.

لدى نزولنا من الطائرة سفعتنا ريح جليدية. لكني كنت في غاية السرور لعودتي الى نيويورك، ولو استطعت لفككت عقالي ونزلت من كرسيّ وقبّلت الأرض. ولكن بدل ذلك هُرع بي الى الحافلة الخاصة ووصلنا الى مالفيرن خلال ٢٠ دقيقة.

لم أكن على يقين مما أرجو أن أرى لدى وصولنا الى المنزل. كنت رأيت صور المبنى وشرحت لي باتي آن الأوصاف، غير أن ما طالعنا حين انعطفنا الى ساحة ميتشل فاق كل تصوراتي. كان رائعاً. بل كان مروّعاً. تناهت الى سمعي أولاً صفارات الشرطة، ثم أنغام مزامير فرحة. وكان مئات الجيران والأصدقاء محتشدين في البيت وعلى جانبي الشارع، وأعداد من عناصر الشرطة وقفوا منتصبين على أهبة أداء التحية العسكرية.

أما البيت فكان آية في الروعة. لقد تحول المنزل القرميدي المتواضع الصغير

مبنى جميلاً ذا طبقتين. وكان العلمان الإيرلندي والأمريكي يرفرفان على المدخل، وكان العمدة كوخ وديك فاي وعمدة مالفين وعائلاتنا وأصدقاؤنا ومعارفنا ينتظرون على المصطبة المنحدرة التي تصل الى الباب الأمامي. وكان نافخو المزامير وقارعو الطبول في دائرة الشرطة يرتجفون برداً في تنانيرهم الإيرلندية القصيرة. وفوق المدخل تدلّى علم ضخم كتب عليه: «ستيفن! باتي آن! كونور! أهلاً وسهلاً بكم في بيتكم.»

أفسح لنا الحشد للمرور. وسلّمنا العمدة كوخ مفتاحاً ذهبياً. وإذ رأى أن جمهور الحاضرين يكاد يتجمد من البرد قال: «البرد شديد ولا يسمح بإلقاء خطاب. ليبارك الله هذا البيت.»

ثم قرّبت باتي آن المذياع من فمي فخاطبت الجميع: «هذه هي مدينة المحبة الأخوية الحقة. إني أحب نيويورك. أحبكم كلكم.»

فتح الباب المنزلق فدخلت وباتي. وأخذتني الدهشة لدى رؤيتي غرفة الجلوس والسلم المؤدية الى الطبقة العليا والمطبخ وغرفة الطعام والباب الزجاجي المنـزلق الذي يؤدي الى السطيحة الخلفية. يا الهي! يا للروعة! لم أحلم أبداً بأن المنزل سيكون هكذا، تماماً كما أردته، لا شيء فيه يذكر بالمؤسسات الطبية حيث أقمت ١٥ شهراً من حياتي. بدا المنزل كأنه بيت نبيل إيرلندي في الريف لا بيت مريض معاق.

بعد قليل غادرنا المكان الى مركز الاطفاء في مالفين لشكر كل فرد ساهم في عملية تجديد المنزل. كنت منهكاً، لكني سررت لرؤية الاطفائيين، ولا سيما أولئـك التابعين لدائرتنا. وكانت شارتي معلقة بافتخار في عنقي، والى جانبي زوجتي وابني. وكانت حياتي على عتبة مرحلة جديدة.

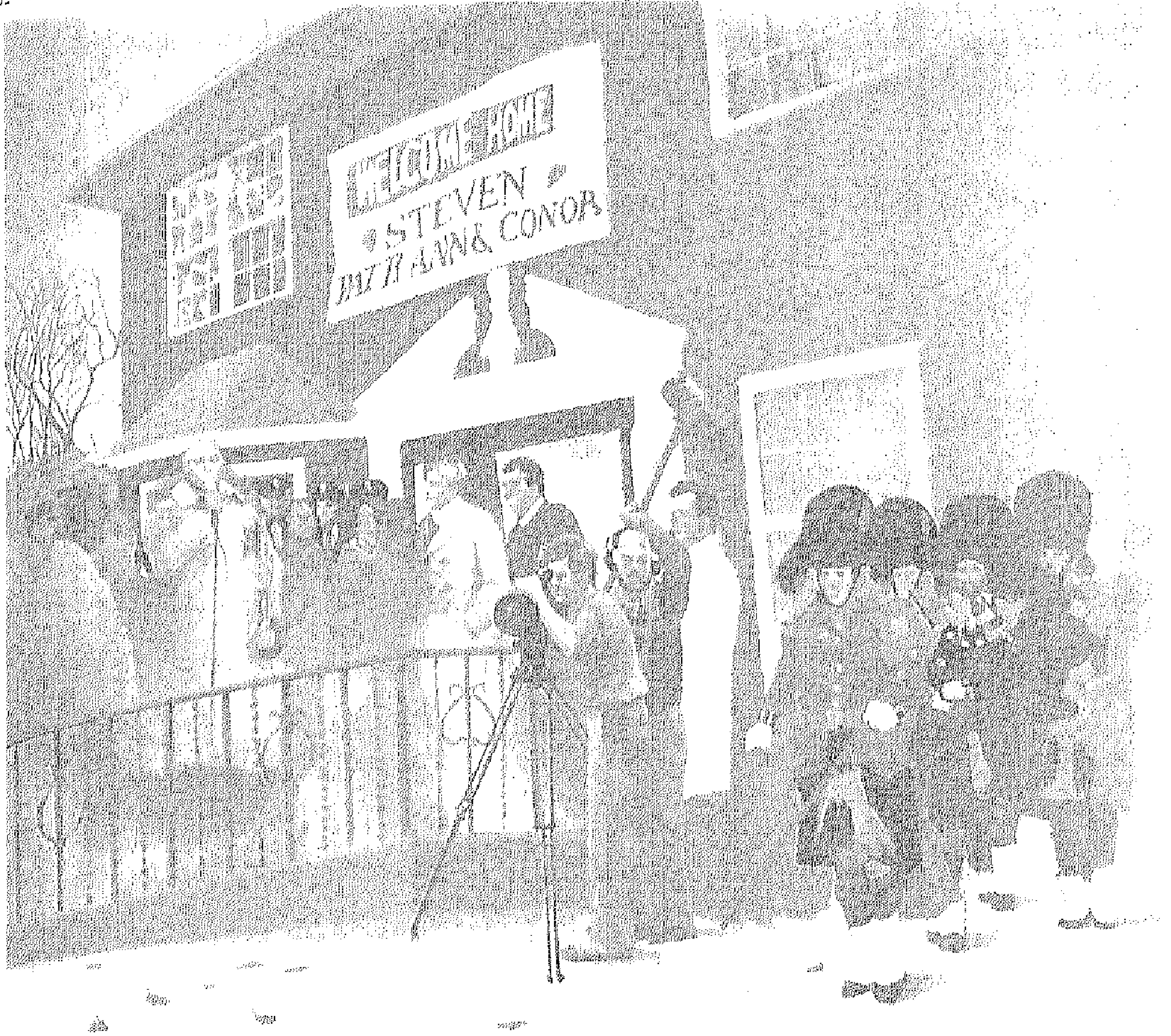
مرّ عيدا ميلاد علينا في منزلنا الجديد في مالفين، وها هو كونور في ينـاير (كانون الثاني) ١٩٨٩ يقارب السنتين ويناديني «دادي» ويعتـلي الكرسي معي في جولة ويحاول إطعامي الحلوى ورمي كرة القدم.

كم وددت لو أستطيع رميها واللعب معه. يستغيث بي كأنه في قبضة كابوس مرعب. فأناديه: «كونور، كونور، لا تخف، أنا هنا.»

ولكن هل أنا هنا حقاً؟ ان شخير جهاز التنفس يذكرني بأسري على الدوام.

عادت حياتنا الى نمط سوي وان اعترضتها صعوبات في بعض الأوقات. ومنذ عودتي الى نيويورك تلقينا سيلاً من الدعوات لحضور حفلات خيرية ودعوات الى مآدب. وشعرت بأن أصحاب معظم هذه الدعوات يظنون ان حالي لم تعد خطيرة، لكن الرصاصة التي استقرت تحت الفقرة الثانية في ظهري لا تزال تبين في فحوص الأشعة السينية. وعلى رغم تحسن حالي الصحيـة عمومـاً، فلم يطرأ إلا تحسن محدود في جهازي العصبي.

ذات يوم اصطحبني شرطي في حافلتي الخاصة للقيام بدورية في «سنترال



بارك»، مقتفياً الطريق حيث أطلق علي شافود جونز النار. وإذا بنداء يدعونا الى مطاردة في محاذاة النهر فأشعل زميلي الأضواء الوامضة في حافلتي وانطلقنا في المطاردة. وكم تمنّيت لو اشتركت في عملية القبض على الأشقياء التي تمّت آنئذ.

ولكوني عاجزاً عن الالتحاق بدائرة الشرطة فقد وُضعت على لائحة الاعفاء التي تعني دفع معاشي كاملاً. لكني بقيت على اتصال بـ «جميعة الشرطيين المكتفين» وهي مؤسسة تطوعية هدفها مؤاساة الشرطيين ومساعدتهم وعائلاتهم في مستهلّ اصابتهم بالضرر. وهذا مما ساعدني في تحديد دوري في دائرة الشرطة، وفي الحياة.

وقع حادث في مدينة نيويورك في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٨ قتل فيه شرطيان. وساعدتني هذه المأساة في بلورة نظرتي المتعلقة بالجريمة والعقاب. إن حياة كل فرد انسان مقدّسة. فقتل الإنسان جريمة تدينها الشرائع السماوية والدنيوية. لكن قتل شرطي ببزته الرسمية الزرقاء خلال قيامه بواجبه يحمل بعداً أكبر في معانيه. إن المجتمع كله مسؤول عن الجريمة.

ليس في كلامي هذا ما يناقض موقفي من شافود جونز ومغفرتي له. فقد كان جونز مراهقاً يجتاز مرحلة حاسمة في حياته، وسهل عليه الحصول على السلاح، وغابت عنه معرفة الخير والشرّ. فليس من العدل أن يعتبر مسؤولاً كلياً عن عمله، خلافاً لنظرتنا اليه لو كان عمره ٢٥ سنة.

ما زلت وباتي آن نصلّي لكي يمنّ علينا الله بأعجوبة. ولكن هناك أمور كثيرة تنتظرني. علي إسداء النصح الى رجال الشرطة الذين يتعرضون للإصابة. وعلي أن أكلم الأولاد. وعلي أن أكون أباً صالحاً وقدوة حسنة لإبني كونور. وأنا مدرك أن فرص عودتي الى حالي الطبيعية وملاحقة الأشقياء والشعور بنشوة المطاردة والقبض عليهم هي في حدود العدم.

خلال فترة خدمتي كشرطي خبرت الخير والشر والرذيلة في شوارع المدينة، وبتّ على قناعة بأن الخير يتفوق على كل شيء.

وأعرف الآن أني كنت على حق في قناعتي، يشهد على ذلك العطف والتجرد اللذان لقيتهما منذ إصابتي، من رجال الشرطة ومن الجميع إجمالاً. ولن أنسى مئات الناس الذين شملوني بدعائهم ومحبتهم.

عام ١٩٨٥ أدّيت قَسَم التضحية والإخلاص في الخدمة وفي حماية المواطنين. ولا يزال هذا القسم قائماً وأنا مستعد لتكرار هذا القسم اليوم وغداً وبعد غد، أياً تكن النتائج.

ستيفن وباتي آن ماكدونالد
بالاشتراك مع إ. ج. كان III■

ترجمة: الياس عقل

ألفباء السياسة

في الليلة الاولى التي قضاها حاكم ولاية أوهايو ريتشارد سيليست في مسكنه الرسمي، اتصل بمطعم بيتزا يؤمن الطلبات الى المنازل وقال: «لست متأكداً من العنوان، ولكن هنا مسكن الحاكم.»

فرد العامل في المطعم: «ولا شك في أنك الحاكم.» وأقفل الخط.

واضطر سيليست الى الاتصال ثلاث مرات أخرى قبل أن يقنع العامل بأن الطلب حقيقي. وينهي سيليست قصته: «تحققتُ حينئذ، لدى انطلاقتي الاولى كأقوى رجل سياسي في أوهايو، أني لن أحصل دائماً على ما أريد.»

تأملات معاصرة

آداب الاستماع

انها لفضيلة اجتماعية أن نمرر غلطة بسيطة من دون تعليق.

واذا كان الخطأ جسيماً بحيث يشوّه الخبر أو يضلّل السامعين في قضايا مهمة، فيمكن مقاطعة المتحدّث بتهذيب: «الاربعاء؟ هل أنت اكيد؟ كنت أظن أن يوم الانتخاب كان الثلثاء.» انه تدخُّل مزعج، لكنه على الاقل لا يهين ذاكرة المتحدث ولا التزامه الادبي للحقيقة.

وينبغي توجيه الاولاد الذين يصححون لغيرهم باستمرار بحيث يقلعون عن عادتهم هذه قبل أن تتاصل فيهم فتثير حفيظة أزواجهم وأصحابهم عندما يكبرون اذ يقاطعونهم على الدوام قائلين، مثلاً: «لا يا عزيزي، بل كان يوم الثلثاء لا الأربعاء.»

جوديث مارتين، صحافية امريكية متخصّصة في آداب المعاشرة

نحن والطبيعة

للأشياء البدائية والأساسية قدرة عظيمة على التأثير في القلب. فمشهد رجل يحرث حقلاً، أو فتاة تملأ جرتها من العين، أو أمّ شابّة مع طفلها، أو صيّادٍ يرتق شباكه، أو نورٍ ينبعث من كوخ منعزل في ليلة ظلماء، هي أفضل مواضيع الشعراء والرسّامين. وهذه المشاهد ليست بقدم الهضاب ولا تملك قدرتها على الاستمرار، لكنها أكثر منها أهميّة وفصاحة. فالطبيعة مثيرة للاهتمام بسببنا نحن. وأفضل رموزنا هي مشاهد كتلك التي ذكرتها والتي لا تتغيّر مع الزمان والمكان بل كانت موجودة دائماً في كل البلدان ولا يمكن أن تزول.

م.ب.

الحبّ كمال المعرفة

على الرجل والمراة أن يختار واحدهما الآخر لمدى الحياة. فالحياة المديدة تكاد لا تكفي رجلاً وامرأة لكي يفهم احدهما الآخر. فالفهم هو الحب، والرجل الذي يفهم امرأة واحدة مؤهل لأن يفهم كل شيء.

ج.ب. ييتس، رسام ايرلندي

أوهام عملاقة

يصر بعض الناس على أنهم عظماء. وعندما يكتشفون أن العالم لن يعترف بأنهم عمالقة كما يدّعون، يصرون على أنهم اضخم اقزام على وجه الأرض.

كاتب مجهول

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

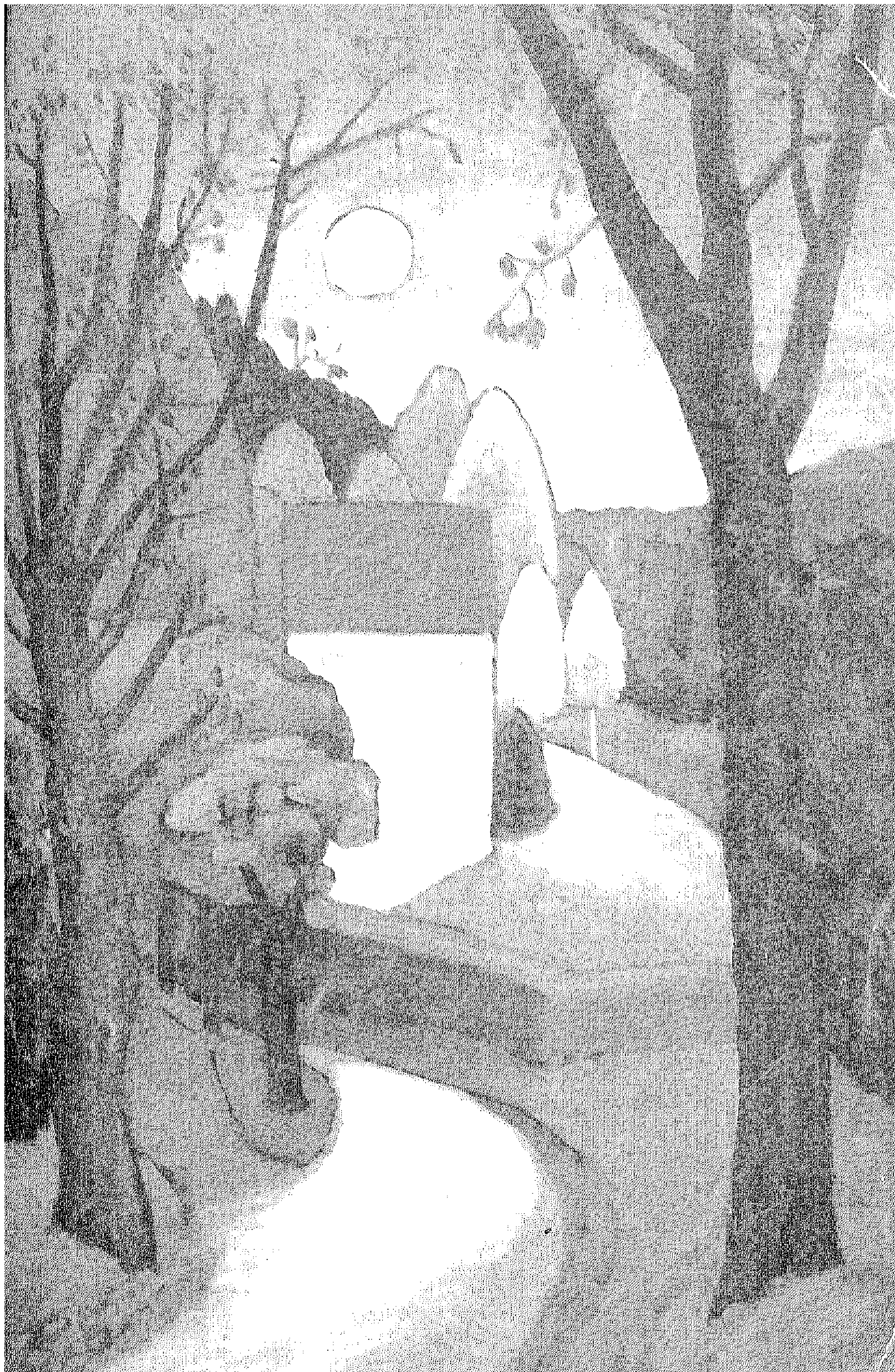
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



«طلوع القمر» ـ زيتية للرسام الالماني غبريال مونتر

فبراير (شباط) ١٩٩٠ - رجب ١٤١٠

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest February '90 N° 135

محرك الغد ١٢
أمثولة الدلافين ١٨
أرماندو العاشق (قصة قصيرة) ٢٨
كاد التدخين يوقف قلبي ٣٤
حكاية الكمبيوتر ٤٠
أبطال الجبل المتجمد ٤٦
ميدلين، مدينة المخدرات ٥٣
هيلاري، قاهر الفقر ٥٨
اختبار في علم الفلك ٦٥
ايطاليا تحارب لصوص الفن ٧٣
جريح في حقل (مأساة واقعية) ٨٢
سمكة عمرها ٧٠ مليون سنة ٩٤
لقطات رياضية ١٠٢

يوم في عالم المستقبل
(ص ٦٣)

جذور الطموح ١٠٩
مدينة بلا جدران ١١٤
كتاب الشهر: سباق مع الموت ١٢١

حديقة أفكار ٣ - صور من الحياة ٣٩ - أخبار العلم ٥٧
عالم الطب ٨١ - دائرة المعارف ١٠٧ - تأملات معاصرة ١٤٤

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



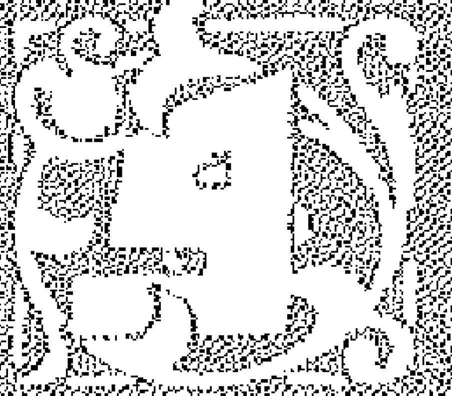
لانتفاضة
(ص ٤)

وجاع الظهر
اذا يشفيها؟
(ص ٢١)

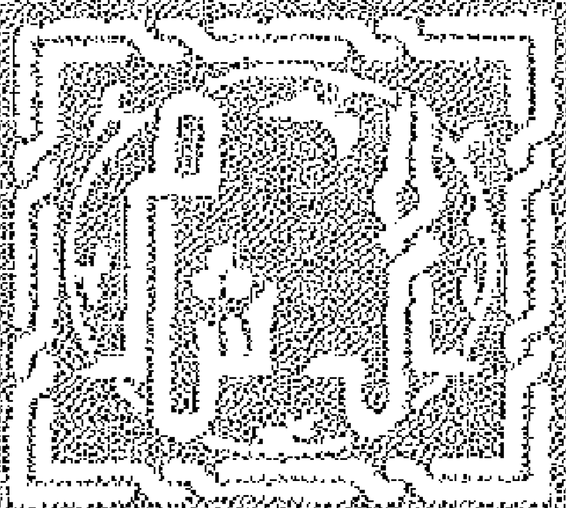
خطك
طاقة هويتك
(ص ٨٨)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز لكي يوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٩٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠١ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجـلة شهـريّـة

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رُزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر. شركة «ايبراك» للمنشورات الدولية ـ بيروت.

رئيس مجلس الادارة ـ المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح ـ باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي ـ لبنان.

الهاتف: ٤٩١٦٣٠ ـ ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت ـ لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ ـ ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: شركة الطبع والنشر اللبنانية.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية ـ البوشرية، المتن الشمالي ـ لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

February '90 N° 135 (New Series) Vol. 12

ريـدرز دايجسـت

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

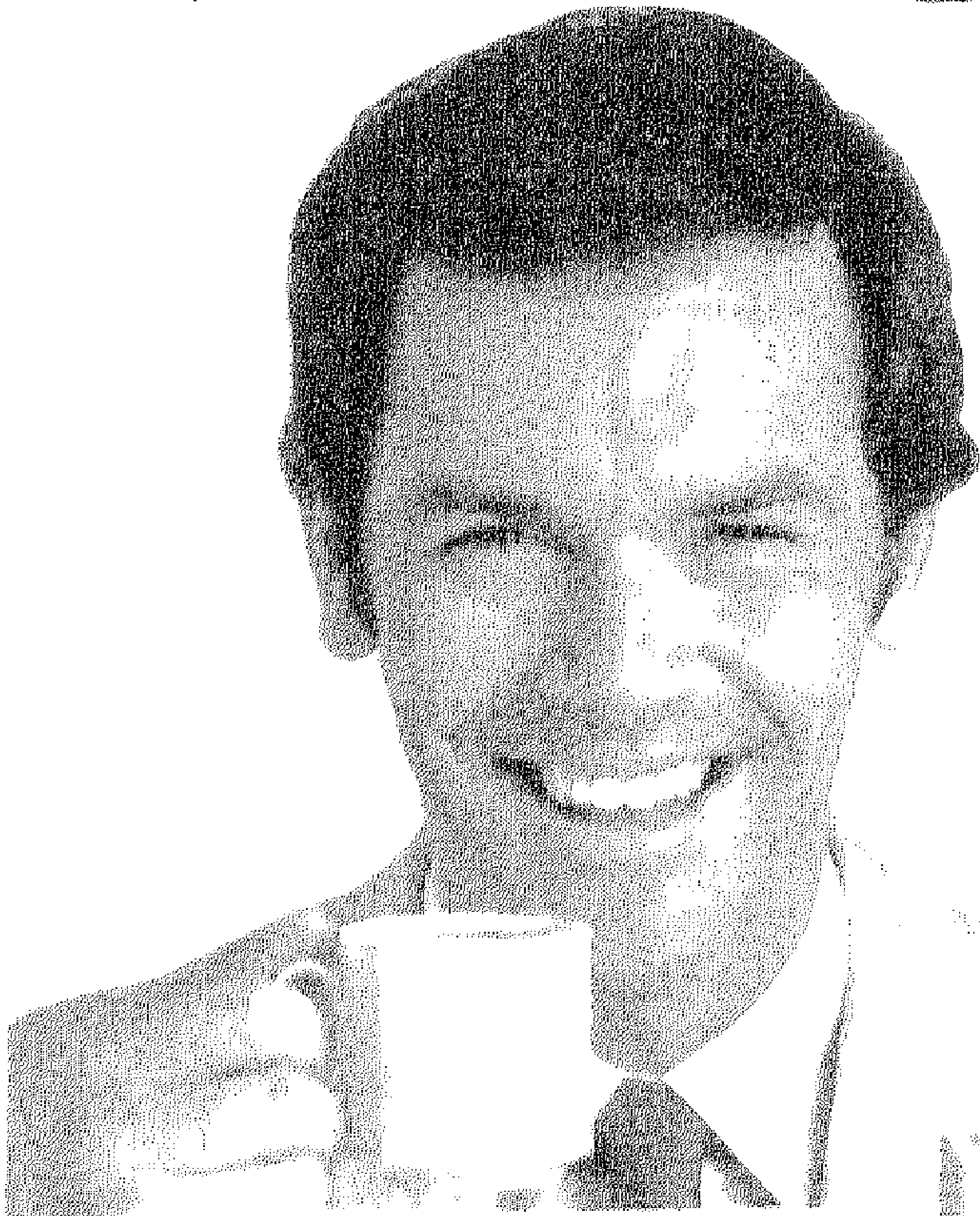
الطبعـات الدوليّـة

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

نان ٥٠٠ل ـ سورية ٢٠ل ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف
سعودية ١٠ر ـ مصر ١،٥ج ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٥٠٠د ـ ج.ع.اليمنية ٧ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ قبرص ٧٥ب
تونس ٧٠٠م ـ المغرب ٧د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

صباح الخير!





نسكافه

نسكافه، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط.
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية.
نسكافه، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PJ 2950

□ كلما وجدت نفسك الى جانب الاكثرية فذلك أوان لكي تتلبّث وتتبصّر.
مارك توين، كاتب امريكي (١٨٣٥ ـ ١٩١٠)

□ ثمة أمور كثيرة قد تغيّرنا، لكن العائلة هي البداية والنهاية.

ا.ب.

□ ما لا تستطيع وهبه لا تملكه، بل هو يملكك.

ا.ب.

□ قيل إن العلم عندما يبلغ أخيراً قمّة الجبل سوف يجد أن الإيمان كان مستقرًا فيها منذ البدء.

ب.ا.

□ تفعل المشورة الصالحة فعلها على نحو أفضل كلما سبقها فزع.

ا.ب

□ النضج يعني استعادة المرء الجدية التي كان يُظهرها في اللعب وهو طفل.
نيتشه، فيلسوف الماني (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠)

□ اذا أردت لأولادك أن يثبّتوا أقدامهم في الارض، ضع على عاتقهم بعض المسؤوليات.
ا.ف.ب.

□ نحن لا نعرف رأي المرء من خلال إفصاحه بل من خلال تصرّفه.

إ.ب.س.

□ انه لأمر جَلَل أن يأخذ المرء قراراً بالإنجاب. لكأنه يقرر أن تخرج من جسده فلذة من كبده.

إ.س

Reader's Digest
المختار
فبراير (شباط) ١٩٩٠
رجب ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

«أنا أعلم أن علي الامساك بثائر كل يوم وضربه كي أزرع الخوف في قلبه. لكني أشعر أن ذلك يزيده قوة فيما يزيدني ضعفاً»

جندي اسرائيلي

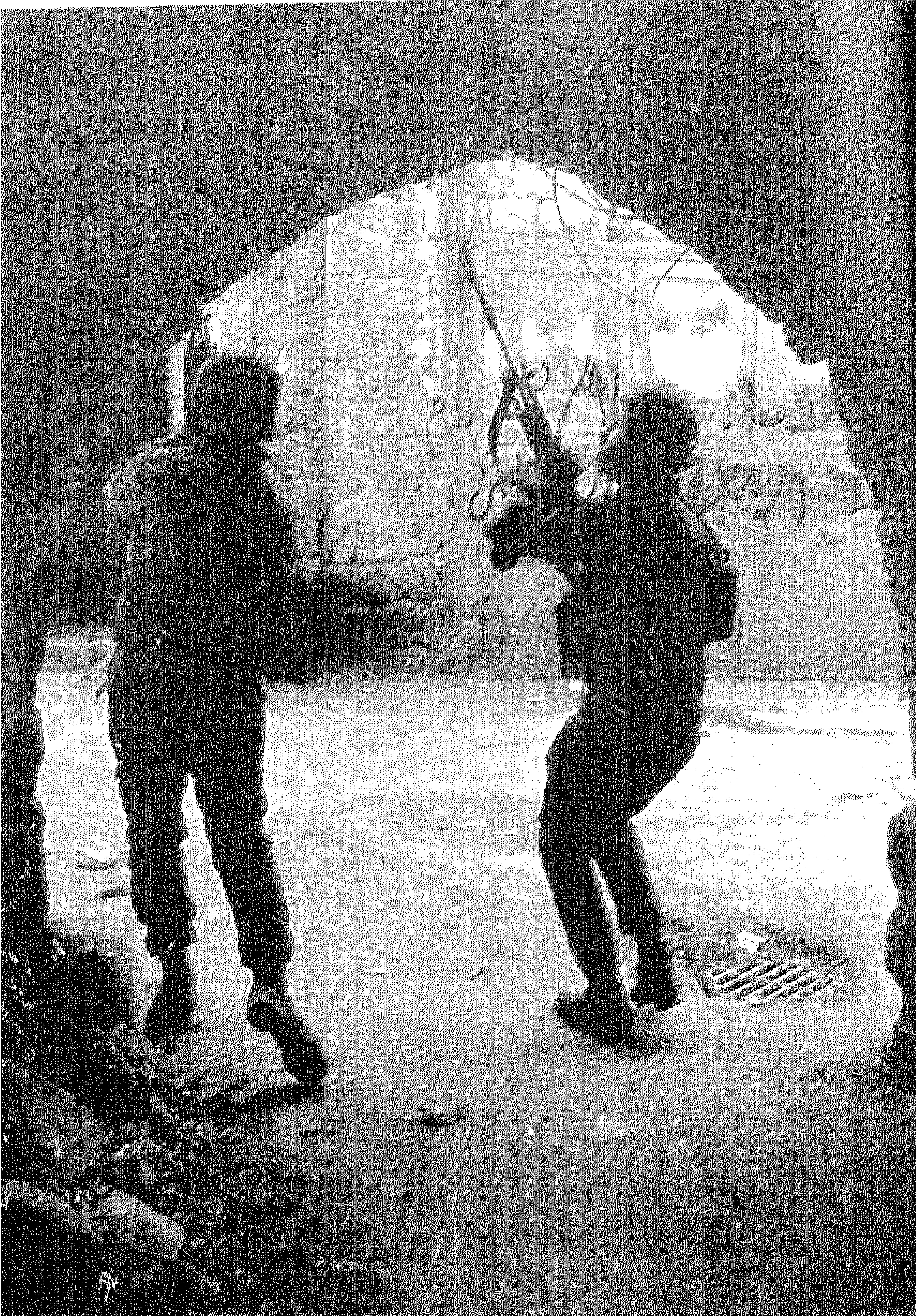
الإنتفاضة

دُروس وَعِبَر للعَرب واليهُود

أقفرت أحياء نابلس وأزقتها الشعبية وسادها الهدوء لليوم السادس. وأخضع سكانها العرب العشرون ألفاً لمنع تجول قاس احتجزهم في منازلهم ليلاً ونهاراً انتقاماً لمقتل جندي أسرائيلي قبل بضعة أيام. واذ راح الجندي المظلي الاحتياطي موشيكو غيات وسبعة من عناصر دوريته يتحركون بوجوه مكفهرة عبر الممرات الضيقة المتلوية ويسيرون بحذر في محاذاة الجدران، بدا واضحاً أنهم يشعرون بالخطر يتربص بهم.

وكان يتناهى إلى مسمع الجنود، من وقت إلى آخر، صفير ينبّه «الشباب» إلى اقتراب الدورية الاسرائيلية. ومع كل صَفْرة كان الجنود يحدقون إلى أعلى بحثاً عن حركة قد تدلهم على عربي يكمن لهم كي يرمي أحدهم بحجر ثقيل على رأسه، وهذا ما حدث فعلاً قبل أسبوع حين قُتل الرقيب الاسرائيلي بني مايزنر في هذه الأزقة.

وبعد دقائق أشار أحد الجنود بيده صارخاً: «هناك، على السطح!» وبدا في



جنود اسرائيليون من وحدة «غولاني» الخاصة في الضفة الغربية.

أعلى المبنى شاب يرمقهم بنظرة حادة. وبلمح البصر انطلق الجنود نحو المبنى المؤلف من أربع طبقات، فالتف بعضهم لحماية المؤخر في حين طرق جنديان باباً حديداً بعنف.

وهتف أحدهما بلغة عربية: «دعونا ندخل إفتحوا الباب!»

وفتح لهم رجل عجوز يجر قدميه متثاقلاً. فاندفع خمسة جنود يتسابقون صعوداً على السلالم. وعندما لم يجدوا أحداً على السطح عادوا إلى الشقق يفتشونها واحدة واحدة. وأخيراً خرجوا يجرون فتى هزيلاً مرتعداً. فاقترب منه غيات وانحنى مسدداً أصبعه إلى وجهه وقال: «أني أعرف هذا المبنى وهذا الشارع. وإذا أمسكت بك ثانية، فلن آخذك وحدك، بل سآخذ جميع أفراد أسرتك.»

أطلق غيات الصبي مقراً بأن تهديده غير ذي نفع. لكنه أضاف: «قد نخيفه قليلاً.» وهذا بالضبط ما يتوخاه أكثر من ١٠٠٠جندي اسرائيلي هنا في الناصرة وفي أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، اذ انطلقوا يجوبون الأراضي المحتلة في هذا اليوم الدافئ من مارس (آذار) ١٩٨٩، الشهر السادس عشر من عمر الانتفاضة. قال غيات: «يجب أن نريهم أننا غير خائفين. فنحن المسيطرون هنا.» لكنه اعترف لاحقاً في مركز القيادة الحصين وسط نابلس: «ما نتوخاه فعلاً هو ألا يصاب أحدنا بأذى، وأن نعود إلى بيوتنا سالمين.»



يتوجب على كل بالغ في إسرائيل، باستثناء بعض الحالات النادرة، أن ينخرط في الخدمة العسكرية بعد إكمال الدراسة الثانوية. ومنذ أربعة عقود يعود الرجال مرة في السنة على الاقل لتأدية الخدمة الاحتياطية. وهكذا تعرّض عشرات ألوف الاسرائيليين، بعد قيام الانتفاضة، للرمي بالحجار وقنابل المولوتوف بينما كانت دورياتهم تجوب الأراضي المحتلة. وقد وقع بينهم أكثر من ١١ قتيلاً وأكثر من ١٣٠٠ جريح.

ويمنع الجيش الاسرائيلي جنوده من التحدث علناً عن محاربة الانتفاضة. لكن استثناء نادراً لهذه القاعدة حصل في مقر للجيش قرب بيت لحم حين جلس ثلاثة مظليين في مكتب قائدهم الذي راح يصغي إلى الملازم أوزيا لندر (٢١عاماً) وهو يقول: «لا أتصور نفسي أحارب أطفالاً صغاراً. أنا لم أتدرب على مثل هذا الأمر، ولست فخوراً بتأديته، ولكن لا خيار لي.»

فقبل أسبوعين أُرسل الملازم لندر ضمن دورية، وهو مسلح بهراوة خشبية، ووجد نفسه، كما يقول، في وضع أجبره على ضرب أولاد فلسطينيين. يقول: «عندما يرميك صبي فلسطيني بالحجار، عليك أحياناً استعمال القوة للامساك به.»

كان أول انطباع راود الرقيب إلاد بن دافيد (١٩ عاماً) بعد الانتفاضة هو «الفقر الرهيب.» يقول: «عندما وقفت للمرة الأولى داخل مخيم للاجئين شعرت أني في بلد آخر. لم أر شيئاً كهذا في حياتي.»

وبعد أشهر كان بن دافيد ضمن دورية في مدينة غزة. قال: «لقد اصطدمت مراراً بأولاد ونساء وأطفال رموا علي حجاراً وبصقوا في وجهي وشتموني. ازاء ذلك يشعر المرء برغبة في الرد. وقد انطلقت مطارداً هؤلاء الناس. لكن أسأل نفسي: ماذا أفعل؟ انهم أطفال صغار، تماماً كأخي.»

وفي العام ١٩٨٨ انطلق بن دافيد في دورية وواجه متاعب تحدث عنها: «فجأة رمتنا مجموعة من الأولاد بالحجار. أمسكنا بأحدهم وحاولنا اعتقاله، لكن حشوداً غاضبة انطلقت الينا.»

هرب بن دافيد ورفقاؤه ومعهم الصبي إلى أن وجدوا أنفسهم محاصرين في نهاية شارع لا منفذ له. ويقول متابعاً روايته: «وقف مئات العرب في آخر الشارع، والنساء والاطفال في المقدم، وراحوا يرشقوننا بالحجار بحيث لم نتمكن من اطلاق النار عليهم. لكننا أطلقنا النار في الهواء، فلم تتفرق المجموعة. وبعد دقيقة أطلقنا الصبي وتسلقنا الحائط وشرعنا نركض. غالبني شعور رهيب آنذاك. كنت مسلحاً. كان من المفروض أن أسيطر على الموقف. لكنهم كانوا الأقوى.»

وجلس إلى جانب بن دافيد جندي آخر هو نصراني من أصل سويسري هاجر إلى اسرائيل قبل ثماني سنوات، وتحول إلى الديانة اليهودية، وأصبح في

فلسطيني يحرس تظاهرة.

العام ١٩٨٧ مواطناً اسرائيلياً اختار لنفسه اسماً يهودياً هو بن أفراهام. وبعد سنتين حان دوره للخدمة العسكرية وهو في الثانية والثلاثين من عمره.

انخرط بن أفراهام، ذو اللحية القصيرة المشذبة، في صفوف الجيش ووجد نفسه يحارب الانتفاضة. يقول: «عندما التحقت بالجيش أُرسلت إلى قطاع غزة. أردت أن أكون شهماً متفهماً. قضيت الأشهر الثلاثة الأولى ضمن دورية في مخيم للاجئين. في الشهر الاول لم أضرب أحداً. وفي الشهر الثاني بدأت أضرب الناس. وفي الشهر الثالث أردت قتل الجميع.» وبعد وقفة سريعة تابع: «خسرت كل ما آمنت به. لم تعد تراودني أي أوهام. فقدت شعوري الانساني.»

حرب شعارات! ذات يوم من شهر مارس (آذار) ١٩٨٩ طار الجنرال أفرام متزنا إلى نابلس وكان آنذاك الآمر العسكري في الضفة الغربية. ومن هناك انتقل في سيارة «جيب» إلى مخيم لوحدة «غولاني» الخاصة وتحدث إلى ١٠٠ جندي أصغوا اليه جالسين على الأرض. قال: «أوجه سؤالي إلى من خدموا سابقاً في الأراضي المحتلة: هل لاحظتم أي فرق عن المرة السابقة؟»

وقف جندي يافع وقال: «إنهم اليوم أكثر اتحاداً في المناطق الشعبية. في كل مرة نتوجه إلى تلك الانحاء يرموننا بالحجار من دون تردد. وقد وقف أحدهم أمام فوهة بندقيتي ولم يأت بحركة. انهم على علم بأوامرنا. فهم يدركون متى يُسمح لنا باطلاق النار ومتى لا يسمح.»

وقال جندي آخر: «نود أن نخدم كمشاة، كما تدربنا، لا كرجال شرطة. السؤال هو: هل ضروري أن نكون هنا؟ أضروري أن ننزع كل الأعلام ونزيل كل الشعارات؟»

من أوامر الدوريات إجبار الفلسطينيين على طلاء الشعارات على الجدران ومصادرة الاعلام الفلسطينية. وذات مرَّة وجد الجنود أنفسهم يطلقون النار في نابلس على أعلام فلسطينية مدلاة في الهواء من بالونات منفوخة بغاز الهيليوم.

وقد شرح الجنرال متزنا الأمر لجنوده: «إنها حرب شعارات، فإن لم تهتموا للأمور الصغيرة فلسوف نضطر إلى معالجة أمور أكبر كثيراً. لقد خفَّت حدة العنف الآن لأننا نعالج موضوع الأعلام والشعارات.» ولهذا السبب أيضاً بدأ الجنود يجوبون أنحاء نابلس الشعبية. وكان الجيش، خلال الأشهر الأولى من عمر الانتفاضة، يكتفي بالبقاء خارج الاحياء. وهكذا، يقول متزنا، استغل الفلسطينيون جو الهدوء والأمان داخل مناطقهم، فنظموا صفوفهم وجعلوا مهمة الجنود في الخارج أكثر صعوبة.

ولدى انتهاء الاجتماع في مخيم



في احياء نابلس الشعبية جنود يضبطون مخبأ لأسلحة فلسطينية من صنع منزلي

«غولاني» انتقل الجنرال متزنا إلى المدينة وسط حماية ١٥ جندياً مسلحاً، وسار داخل الأحياء الشعبية. ثم دخل مغارة تحت الارض حيث صادر الجنود بعض السكاكين والفؤوس والاسلحة البدائية قبل بضعة أيام. وظهرت على أحد الجدران نجمة داود مرسومة بطلاء.

لكن الجنرال أمر رجاله: «إنزعوا هذا الشعار! ماذا لو أتى مصورو التلفزيون ورأوه؟»

وبعد جولة في أحياء نابلس الشعبية ركب الجنرال مروحية حلقت به فوق المنطقة. وما ان رآها صبي فلسطيني فوق منزله حتى شرع يرميها بالحجار باهتياج غاضب.

وعندما زار رئيس الوزراء الاسرائيلي إسحق شامير مدينة نابلس في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩، توقف لمحادثة الجنود. فالتفت قائد الكتيبة إلى جنوده مخاطباً: «قولوا ما تشاؤون.» فكانت النتيجة أن شامير سمع أكثر مما أراد أن يسمع.

بادره أحد الجنود: «أنتم تتلقون تقارير عن عدد القتلى والجرحى، لكنكم لا تعلمون شيئاً عن حقيقة الوضع.»

وتكلم جندي آخر بالفظاظة عينها، وقد عرَّف عن نفسه أنه يوتام من طبريا. قال: «إن فرض النظام في الاماكن الشعبية يتطلب عنفاً ووحشية. إننا نخرق الاوامر العسكرية على نحو جلي. لكن هذه الأوامر لا تصلح في الاحياء الشعبية. أنا أعلم أن عليّ الامساك بثائر كل يوم - بعاملٍ يداه خشنتان كيديّ - وضربه كي أزرع الخوف في قلبه. لكني أشعر أن ذلك يزيده قوّة فيما يزيدني ضعفاً.»

مدافن للشباب. باكراً في الصباح تفتح المحلات في المناطق الشعبية ويندفع المئات من السكان العرب لانهاء

أعمالهم قبل الحادية عشرة، موعد اقفال المحلات في إضرابها اليومي. وعند تقاطع في وسط السوق يتحرك «الشباب» بعصبية بحثاً عن الجنود. وتمر صبية على عجلة من أمرها وتقول: «إنهم هناك الآن.» فيتطلع «الشباب» إلى حيث أشارت، ولا يجدون أحداً.

يقول أحد الفتيان واسمه رياض (١٦ عاماً): «حيث لا جنود، نكون نحن. وعندما يأتون نهرب.» ويبدو أن رياض لم ينجح دوماً في الهرب، فآثار الرصاص ظاهرة على ساقه اليمنى. ويضيف: «لقد قبض عليّ سبع مرات. لكننا هنا، بحمد الله، متحدون. إننا عائلة واحدة.»

جولة سريعة في الاحياء الشعبية تريك كم هو على حق. اذ عندما يسير الجنود عبر هذه الاحياء يواجهون شعباً يملأه الحقد. وعلى التلّة يقهقه صبيّ ملوحاً بمسدس لعبة ويتوعّد: «سنقتلهم. مسدسي محشو وجاهز.»

وعند زاوية يقف محمود (٢٠ عاماً) مع مجموعة أخرى من «الشباب.» لقد أصيب برصاص الجنود الاسرائيليين قبل أشهر. يقول، ويده اليمنى مدلاة إلى جانبه بلا حياة: «كنت أُطيِّر طائرة ورقية تحمل العلم الفلسطيني عندما أطلقوا علي النار. فأصبت في ذراعي. آمل أن أُشفى كي أعود إلى رمي الحجار.»

وفي شارع ناصر وقف شاب حاد النظرات متكئاً إلى صندوق بضاعة. قال: «الشباب أقل عدداً الآن، لأن كثيرين منهم في السجن. ولا يسعنا الهجوم إلا ضمن ساعات محددة. والجيد في الأمر أن في وسع «الشباب» اللجوء إلى أي منزل هنا، وفي أي وقت شاؤوا. فالجميع يستقبلونهم.»

وفي عمق المنطقة الشعبية، في معمل للسكاكر، يجلس رمزي حوش (٦٧ عاماً). ويتحدث بهدوء عن الثورة العربية في العام ١٩٣٦ عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، وهو أمضى آنئذ بضعة أشهر في سجن بريطاني. يقول: «استمر الاضراب التجاري ستة أشهر. ولم تكن المحال تفتح أبوابها وإن ساعة واحدة. لكن الشباب اليوم يتمتعون بشجاعة أكبر. فهم حين يرون بندقية اسرائيلية يشرِّعون صدورهم ويقولون: «هيا، اقتلني!»

ويتابع العجوز: «انه لشرف كبير أن يقتلك العدو. اذهب إلى المقبرة الآن، وسترى ستة مدافن أو سبعة جاهزة لاستقبال الشباب.»

يقول أحد جنود الاحتياط الاسرائيليين، دوكس فكسمان: «عندما تتجول، تقرأ في عيون الناس كم يكرهوننا.»

وسجّل احتياطيّ آخر في مذكراته عندما كان يخدم في بلدة قباطية في الضفة الغربية: «عندما يرمقني طفل في الثالثة من عمره بكراهية، أشعر بخجل مما أفعل.»

والكراهية ليست أمراً مفاجئاً، باعتبار أن الأشهر التسعة والعشرين الماضية شهدت مقتل أكثر من ٦٠٠

فلسطيني وجرح ألوف آخرين واعتقال أكثر من ١٠ آلاف وتفجير أكثر من ٣٠٠ منزل وطرد أكثر من ٦٠ فلسطينياً خارج البلاد. ويتساءل بعض الجنود الاسرائيليين كيف سيتمكن هذان الشعبان من التعايش متى انتهى هذا الصراع. ويعتبر الجنرال يهود غروس، رئيس «جهاز الارشاد والتربية» في الجيش، أن أي حلّ ـ سواء أكان بضم الأراضي المحتلة إلى اسرائيل، أم بإقامة دولة فلسطينية، أم باستمرار الوضع الراهن ـ «سينتهي بنا إلى العيش على مقربة من هذا الشعب لوقت طويل، طويل جداً.»

وبمقدار ما يستمر هذا الصراع يزداد التنافر بين الجانبين. يقول موشيكو غيات: «في كل حرب ثمن يدفعه الشعب. والثمن الذي ندفعه هو على حساب أجيالنا الصاعدة التي تبدأ خدمتها العسكرية في مواجهة الانتفاضة. اذ كيف سيتأثر أبناؤنا بعد عشر سنين بالانطباع الذي يكوّنونه عن الفلسطينيين؟»

وقد لخص فكسمان القضية بملاحظة بسيطة: «يبدو أن قنابل الغاز المسيل للدموع التي نُطلقها عليهم، ترتد وتنفجر فينا.»

جويل برنكلي ■

لطفي الطيب الذكر

في ليلة ماطرة تواريت بسرعة داخل سيارة أجرة اتفق مرورها حالما خرجت من مكتبي.

قال السائق: «توقيت رائع. انت مثل لطفي.»

سألت: «من؟»

اجاب: «لطفي حمدي، افضل شخصية تُذكر بالخير. لقد قام بكل شيء على أكمل وجه. مثل هذه السيارة التي أطلت لحظة كنتَ في حاجة إليها. هذا تماماً ما كان يمكن أن يحدث للطفي.»

قلت: «لست أعرف احداً بهذا الكمال.»

قال: «كان رياضيًّا عظيماً وراقصاً رائعاً.»

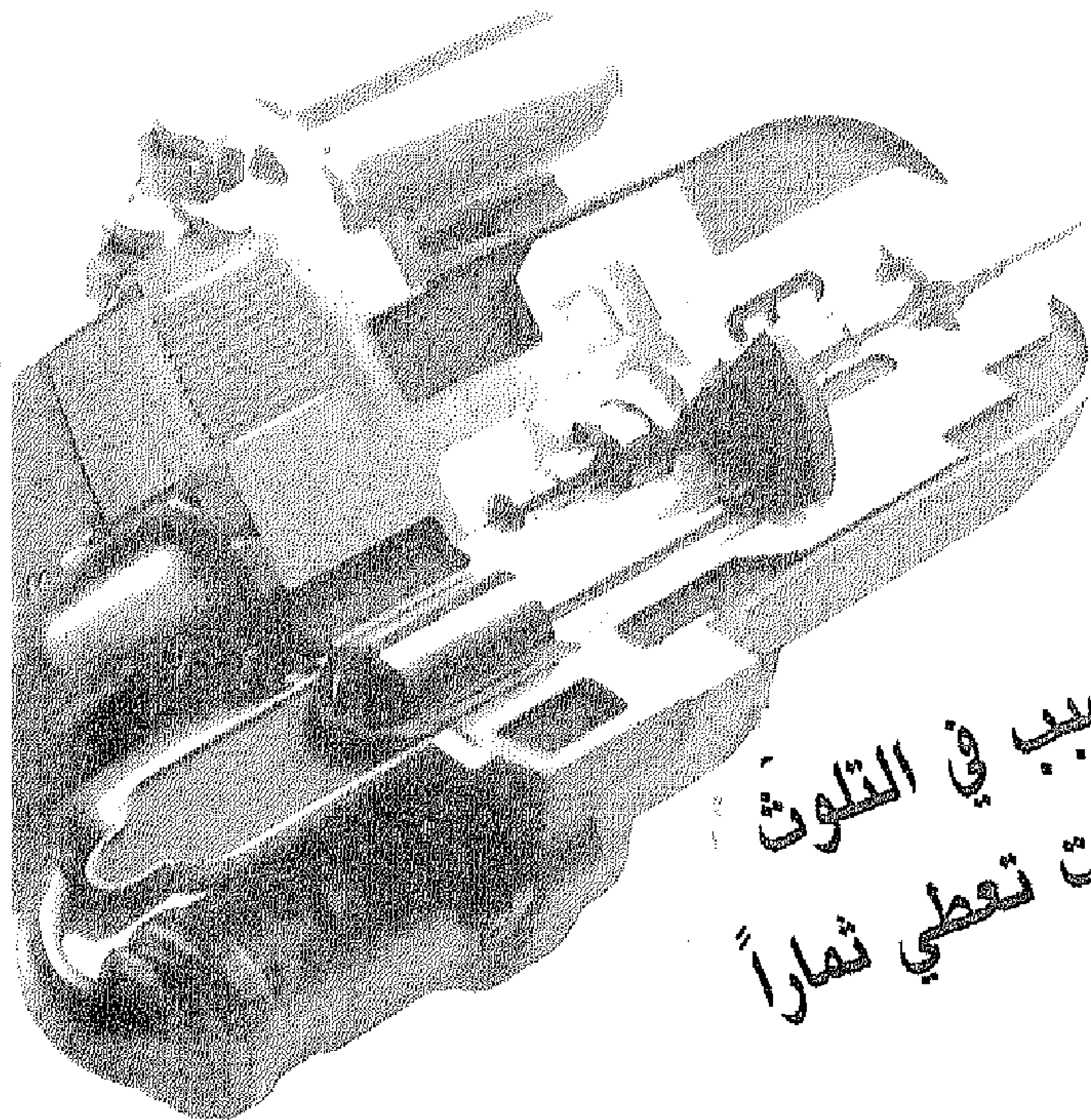
فسايرته: «لا بد انه كان شخصية فذة.»

تابع: «لم ينس لطفي أبداً أعياد المولد والمناسبات الخاصة. وعرف أي شوكة طعام يستخدم وكيف يتذوق الشراب. وكان لطفي أيضاً رجلاً لكل المهمات. أما أنا فأخرق على الدوام.»

سرعان ما وصلنا إلى حيث أقصد. فقلت وأنا أنزل من السيارة: «لطفي هذا كان نعم الرجل، فلا عجب إن كان بالنسبة إليك افضل شخصية تُذكر بالخير.»

فرد وهو ينطلق: «وسيكون كذلك في نظرك أيضاً لو تزوجتَ أرملته.»

ف.ف.



كرّس المخترع الهولندي حياته لانتاج محرّك يعمل بجميع أنواع الوقود ولا يتسبب في التلوث ويبدو أن جهوده المضنية بدأت تعطي ثماراً

مُحَرّك الغَد

صبيحة عيد الميلاد، عام ١٩٢٦، مناسبة تذكر في حياة رولف مير الذي كان في السادسة من عمره. فلقد تلقّى في هذا اليوم، في بلدته إيمر كومباسوم بهولندا، مجموعة تركيب من نوع «ماتادور» وهي لعبة تربوية مؤلفة من عجلات ومكعبات وقضبان خشبية. وتضمنت اللعبة، إضافة الى ارشادات الاستعمال، عرضاً تمنح الشركة بموجبه جائزة لمن يبتكر تركيبة مبدعة. فأكبّ رولف على العمل ونجح في ابتكار جسر متحرك بعجلات وبكرات شبيه بالجسر الصغير المجاور لمنزله.

وبعد ستة أسابيع وصلت جائزته، وكانت مجموعة تركيب أكبر من تلك التي لديه. ومضى رولف، سنة بعد سنة، يربح جوائز أكبر فأكبر حتى بلغ السن العاشرة حين تلقّى أكبر ما صنعته الشركة من ألعاب، وهي مجموعة «إلكترو ـ ماتادور» العملاقة. فصنع منها جهازاً لاسلكياً بدائياً لاقطاً ومرسلاً.

وكبر المخترع الصغير ليصبح واحداً من أهم المهندسين والمخترعين لدى مصانع «فيليبس.» وانساق، على شاكلة توماس أديسون وألكسندر غراهام بل، وراء رؤيا داخلية، غير مبال بالنقد ولا بالنكسات. واندفع نحو مبتغاه حتى النهاية. وقد أمضى هذا الرجل عمره

PHOTOS: STIRLING MOTORS EUROPE, THE HAGUE

يكافح من أجل البلوغ بمحرك «سترلنغ»[1] حد الكمال. والمعروف أن هذا المحرك، الذي لم يعمَّم بعد، غير مسبب للتلوث ويعمل بجميع أنواع الوقود، من أشعة الشمس الى... زيت الزيتون. ونتيجة للتحسينات التي أدخلها رولف مير على المحرك نال اكثر من مئة براءة اختراع وغدا من أهم المراجع في هذا المضمار.

وعلى أثر تقاعده عن العمل لدى شركة «فيليبس» عام ١٩٧٩، ولما يقوَ الشيب على خطف بريق الأمل من عينيه الزرقاوين، أسس شركته الخاصة «محركات سترلنغ الحرارية المتحدة» في آن آربر بولاية ميشيغن الامريكية. وبعد سنوات من الخيبات المتلاحقة بدأ النجاح يكلل مساعيه في تحويل محرك «سترلنغ» الى الاستعمال التجاري.

نظيف وفاعل. اطلع مير على فكرة محرك «سترلنغ» في العام ١٩٤٧، أي بعد سنة من تخرجه في الجامعة التقنية في دلفت. فهو قرأ في إحدى المجلات مقالاً كتبه عالم من شركة «فيليبس» عن محرك قد يغيِّر العالم. وكان مير في ذلك الحين يعمل لدى إحدى الشركات الصغيرة. وعلى الأثر فكر في أن هذا هو بالتأكيد ما يروم عمله، وكتب رسالة الى ن.ف. فيليبس في ايندهوفن مبدياً اهتمامه بالموضوع. فاستجيب لطلبه وضُم الى فريق العمل في مختبرات الشركة. وخلال الأسابيع الأولى من عمله، علم مير أن الشركة تسعى منذ العام ١٩٣٧ الى ابتكار مصدر جديد للطاقة يزيد مبيعاتها من أجهزة الراديو ومعدات الاتصال في المناطق النائية من أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى. في ذلك الوقت كانت أجهزة الراديو تعمل بالانابيب المفرَّغة، وفي غياب الكهرباء تستمد الطاقة من بطاريات حَمْضية ثقيلة الوزن. وقد أمضت شركة «فيليبس» سنوات تدرس البدائل، الى أن نفضت الغبار في العام ١٩٣٧ عن «محرك الهواء الساخن» الذي اخترعه القس روبرت سترلنغ قبل أكثر من مئة سنة.

ففي العام ١٨١٦، هال القس الاسكوتلندي تفجُّر مراجل البخار التي كانت تمد مضخات المناجم بالطاقة، فصمم وهو في السادسة والعشرين من عمره محركاً يعمل بالاحتراق الخارجي ولا ينفجر. أما طريقة عمل الـ «سترلنغ» فبسيطة: يضغط المكبس (البستون) الهواء داخل أسطوانة، ثم يُسخَّن الهواء من الخارج، فيتمدد المكبس الى أسفل ويدير العمود المرفقيّ. وبعد التمدد يبرد الهواء بواسطة مبرِّد (رادياتور)، واذ ينخفض ضغطه يعود المكبس فيضغطه مجدداً. ويظل الهواء هو ذاته في الداخل.

ومحرك «سترلنغ» نظيف وفاعل لأنه يستهلك الوقود كلياً، بدلاً من قذف مزيج محترق جزئياً من الهيدروكربون

(١) The Stirling Engine

والهواء الساخن. وهو، الى ذلك، هادىء بنسبة ٤٠ ديسيبيل أقل من محركات الديزل ذات الحجم المماثل. كما أنه مصمَّم ليخدم فترة أطول عشر مرات من «عمر» محركات الغازولين (البنزين). ومحرك «سترلنغ» لا يستهلك الزيت، ونادراً ما يحتاج الى تشحيم.

غير أن أهم مزاياه أن الهواء في الاسطوانات (أو غاز الهيليوم اليوم) يُسخَّن من الخارج بأي نوع من الوقود. ولإظهار هذه الميزة صنعت شركة «فيليبس» مرة محركاً للعرض ألحقت به عشرة أنواع من الوقود. وحين أُدير المحرك وبدأ يعمل بهدوئه المعهود مولداً الكهرباء، أبدل الوقود تكراراً: من الكحول الى الديزل، ثم الى زيت الزيتون فالزيت النباتي وزيت التزليق والنفط الخام وغازي البروبين والبيوتين والغاز الطبيعي. كما توصل مير أخيراً الى بناء محركات تُسخَّن بالضوء المركز من أشعة الشمس أو بواسطة نار تضرم في الهواء الطلق.

فرد من العائلة. حين بدأ مير العمل في مختبرات «فيليبس» كان تم تصميم عشرين محركاً من طراز «سترلنغ» وبني بعضها. وفي العام ١٩٤٨ صنع أحد فروع الشركة في دوردركت «مجموعة بنغالو» وهو محرك هادىء ونقال يعمل بالكيروسين ويُولِّد ٢٠٠ واط من الكهرباء.

واستناداً الى الرغبة في تنشيط المبيعات الى البلدان النامية، وُضعت دراسات للانتاج بالجملة. غير أن اختراعاً غير متوقع وضع حداً لهذه المخططات بين ليلة وضحاها.

فيما كان مير يتمشى في ممر داخل المبنى، أخبره أحد أصدقائه: «عليك أن تنسى محركك ذا الهواء الساخن. فلسوف نتمكن قريباً من بيع أجهزة راديو تعمل ببطاريات المشعل الكهربائي.» فلقد اخترع الباحثون في مختبرات شركة «بل» الامريكية جهاز الـ «ترانزستور.» وعلى الأثر تحولت شركة «فيليبس» من الانابيب المفرَّغة الى راديو الترانزيستور. وفجأة انتفت الحاجة الى المولّد «بنغالو».

فكَّر مير مراراً في ترك العمل لدى شركة «فيليبس»: لكنه أيقن أنه لا يستطيع التخلي عن مشروع «سترلنغ.» وهو يقول مستعيداً الى ذهنه تلك اللحظات الحاسمة: «للسترلنغ خصائص رائعة وجميلة. ولقد أدركت أننا لم نحقق سوى ١٠ في المئة من الفاعلية، لكنني أدركت أيضاً أن في وسعنا بلوغ نسبة ٤٠ في المئة أو اكثر، خطوة خطوة. فمن الناحية النظرية يعتبر السترلنغ أكثر محركات العالم فاعلية، ولا يمكنني التخلي عنه.» ازاء ذلك قررتْ الشركة ترك مير وفريقه يعملون على تحسين الـ «سترلنغ» أملاً ببروز حاجات تجارية اليه.

يقول مير: «ساعدتني زوجتي في تحقيق أحلامي.» وحين سئلت زوجته

جيني عن تلك الحقبة قالت: «اني متزوجة من رولف ومن السترلنغ في آن.» أما ابنهما إرنست (٣٦ عاماً) وهو اليوم نائب الرئيس الاداري في شركة «محركات سترلنغ الحرارية» في ميشيغن، فيقول: «كنت أخبر الناس أن لي أختين وأخاً محركاً.» وتعيش أخته ألبرتا في غارمني مع زوجها فيلم الأستاذ في جامعة دلفت، وتعيش غيردا في بريدا حيث يعمل زوجها بيتر مديراً للشركة في أوروبا.

[illegible] مع الوقت حقق مشروع «سترلنغ» بعض نجاحات، منها جرّار زراعي بقوة ١٠ أحصنة، ومحرك زورق بقوة ٤٠ حصاناً، ومحرك بأربع أسطوانات لحافلة ركاب. أما الانتصار الكبير الذي بان وشيكاً حين أبدت شركة «جنرال موتورز» اهتمامها بتطوير سيارة تعمل بمحرك «سترلنغ»، فلم يرَ النور. فلقد وضعت هذه الشركة المشروع جانباً وحولت اهتماماتها الى أبحاث أخرى تتعلق بتقنية جديدة.

مع ذلك لم تفتر همة مير. اذ بعدما اجتذب اهتمام كبرى الشركات العالمية لصناعة السيارات، قرر المضي في صنع محرك يُستعمل مستقبلاً في هذه الصناعة. وكان حجم محرك «سترلنغ» ووزنه آنذاك أقرب الى محرك الديزل منه الى محرك البنزين الخفيف الوزن. لذلك أكب فريق العمل لدى شركة «فيليبس» طوال سنوات على اختبار خلائط معدنية حديثة وتصاميم مبتكرة من أجل خفض وزن محرك «سترلنغ» وحجمه وزيادة قدرته. وراعوا في ذلك أقصى درجات السرية، رغبة من مير في مفاجأة العالم بتصميم نهائي لا منافس له.

وفي العام ١٩٧٠ عرضت شركة «فيليبس» على الدوائر الحكومية الامريكية وشركات صناعة السيارات فكرة اقتباس محرك «سترلنغ» في السيارات. فما كان من «الادارة الامريكية لابحاث الطاقة» التي دعيت لاحقاً «مديرية الطاقة» إلا أن خصصت مبلغ ١٠٠ مليون دولار لهذا المشروع. وخصصت شركة «فورد» كذلك مبلغ ٥٠ مليون دولار وأيدت اجراء دراسة لكشف مدى ملاءمة هذا المحرك للحاجات القائمة. وكان من الشروط إثبات امكان ضبط الابتعاث[٢]. وقد اجتاز محرك «سترلنغ» هذا الامتحان بتفوق ملحوظ. ونتيجة ذلك وقّعت شركة «فورد» عقداً مع شركة «فيليبس» لانتاج محرك بقوة ١٧٠ حصاناً لاستعماله في سيارات «تورينو» المتوسطة الحجم.

وكانت تعليمات شركة «فورد» واضحة ومحددة: يجب ألا يؤدي استعمال المحرك الجديد الى أي تبدل في أداء سيارة «تورينو.» فيراعي مقاييس الابتعاث الصارمة، ويؤمن فترة تحمية مقبولة، ويدفع بقوة تُقنع السائق بأن سيارته ما زالت تعمل بمحرك البنزين المألوف لديه.

(٢) Emissions-control potential

شركة خاصة. لم يصدق مير حسن طالعه. اذ ان الانجازات السرية التي تحققت خلال العام السابق جعلت فريق العمل في شركة «فيليبس» على أهبة الاستعداد لانتاج ما تطلبه شركة «فورد». وبعد وضع اللمسات الأخيرة والحلول الناجعة لما تبقى من عقبات أنجز الفريق العمل. وفي العام ١٩٧٦ سيقت سيارة من طراز «فورد تورينو» داخل مكاتب هنري فورد الثاني الفسيحة في بلدة ديربورن بميشيغن. فدبت الحماسة في هنري فورد الى حد كلَّف معه رئيس الشركة لي ياكوكا، الذي أصبح لاحقاً رئيس شركة «كرايزلر»، الاشراف على برنامج «سترلنغ.»

على الأثر وجه ياكوكا دعوة الى مير للحضور الى الولايات المتحدة والاشراف على الانتاج. وهكذا توجه مير الى ديترويت ليعمل مستشاراً لـ ٤٥ من كبار المهندسين القيمين على المشروع في مقر الشركة الرئيسي. ولكن بعد سنة من العمل أعلن هنري فورد بحياء أن شركته غير قادرة، لأسباب مالية، على متابعة المشروع. أذهل الخبر مير، وتساءل: «اذا كانت شركة سيارات ضخمة مثل فورد عاجزة عن تمويل المشروع، فمن يستطيع ذلك؟» وزاد النكسة أن شركة «فيليبس»، وقد أثبطت عزمها خسارة هذا العقد الرئيسي، أوقفت جميع الجهود المتعلقة بالـ «سترلنغ.»

عند هذا الحد بلغ مير سن التقاعد، وبدأ يفكر في ما يفعله بقية حياته. أراد



رولف مير.

متابعة العمل في تحسين «سترلنغ» لكن عدم توافر التمويل اللازم جعل المضي في هذا المشروع أمراً مستحيلاً. غير أنه، بمساعدة من صديقه ورئيسه السابق فريتز فيليبس، اتصل برجال أعمال متقاعدين ساهموا بمالهم وخبراتهم في تأسيس شركة عام ١٩٧٩ عرفت لاحقاً باسم «محركات سترلنغ الحرارية المتحدة.» وبعد فترة وجيزة رخصت لهم شركة «فيليبس» الافادة من جميع المعلومات التي أمضى رولف حياته في ابتكارها.

خدمات متنوعة. باشرت الشركة الجديدة العمل الى أن أنتجت في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ محركاً جديداً (STM4-120) جرى تسليمه الى شركة «كلوكنر ـ همبلت ـ دويتز» الألمانية الغربية المختصة بصنع محركات الديزل، من أجل اختباره على أمل اقتباسه في إنتاجها. واللافت أن

هـذا المحرك يـزن ٨٥ كيلوغـراماً فقط ويعمل بقوة ٥٣ حصاناً وبفاعلية مذهلة تصل الى ٤٥ في المئة. وهذا إنجاز مهم اذا قارناه بفـاعلية محـركات البنـزين العادية التي لا تتجاوز فاعليتها ٢٥ في المئة. الى ذلك، تعتزم «مديـرية الطـاقة الأمـريكية» تـزويد هـذا المحرك طـاقة شمسيـة بعدمـا تسلَّمت عينة منـه في أغسطس (آب) ١٩٨٩. كمـا تـعتـزم تهجين محرك يعمل بالطـاقة الشمسيـة والغاز الطبيعي معاً، بحيث يصبـح في مقدور الـ «سترلنغ» توليد الكهرباء على مدى ٢٤ ساعة يومياً.

وأنتجت الشركـة محـركـاً لحسـاب مصنع بلجيكي يعتزم بيعه في أفريقيـا لتحويل الطاقة الشمسية كهربـاء. كما قـررت أسـوج (السـويـد) اعتمـاد «سترلنغ» في غواصاتها من فئة «A-19» الجـديدة التي بـدأت ارساء روافـدها. والى ذلك باشرت مصـانع «مان» الألمانية الغـربية المختصـة بصناعـة محـركات الديزل انتـاج تجهيزات للجيش تعمـل بمحركات «سترلنغ.» وقد يفيد عدد من الزبائن من المحرك في التوليـد المختلط للطاقة، أي استعمال الحرارة المهدورة ـ من المحـركات والتجهيـزات البخـاريـة وأجهـزة التدفئـة المنزليـة ـ في توليـد الكهرباء.

ويعتقد رولف ميير أنـه، عاجـلاً أم آجلاً، سيصار الى اعتماد سيارات تعمل بمحرك «سترلنغ.» فاليـابانيـون مكبون عـلى الـ«سترلنـغ» منذ سنـوات. وقـد شـاهد ميـير في العـام ١٩٨٨ سيـارة «تويوتا» تعمل بمثل هذا المحرك.

بلغ المخترع الكبير عامه السبعين في شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩، وما زال مندفعاً بعـزم وتصميم الى مبتغاه. وما زال يؤمن بأن محركه «سترلنغ» هو «محرك المستقبل» من دون منازع.

وواضـح أنـه ليس وحيـداً في هـذا الاعتقاد.

جون تومبكنز ■

امشوا وتأملوا

ان غايتي من التمشي كل مساء هي المشي في ذاته، وما يسديه من منافـع ذهنية وعاطفية وبدنية. لكنَّ هدفي الأسمى مختلف.

إذ أعود من سيري التأملي ينتصب منزلي أمامي عند ركن الشارع. فأتوقف وأنظر، وأفكر في أولادنا الصغار الثلاثة يرقدون في أسرتهم، وفي زوجتي تقرأ في غرفة الجلوس أو تعزف على القيثارة وتغني بهدوء في المكتب. ثم آخذ نفساً عميقاً من هواء الليل النظيف وأفكر: يضم هذا المنزل كل ما هو عزيز علي قلبي.

هذا هو السبب الأول الذي من أجله أسير ليلياً حوالى كيلومتر بعيداً من منزلي ومسافة مماثلة رجوعاً، ثم اتوقف لأذكِّر نفسي بأثمن ما في حياتي.

وانه ليس سبباً تافهاً للتمشي.

م.ف.



نحتاج احياناً
الى من يذكّرنا كم هي
واهية أحزاننا اليومية

أمثولـــة الـــدَلافـــين

لا تـزال هناك أمكنـة عذراء قبـالة شـاطىء جورجيـا بين سـافـانـا بيتش ومضيق أوسابو. جزر مقفرة كما كانت منذ قرون. تلك هي الأمكنة التي أرتادها كلما سنحت لي الفرصة.

احـدى هـذه الجـزر تحتضن عش عقاب في شجرة صنوبر عتيقة تعصف بها الرياح، كما تحتضن شاطئاً عريضاً بـديعاً. وبلغني أن عـاصفـة هبت من الشمال الشرقي على مـدى ثلاثـة أيام فحملت كميـات ضخمـة من الـرمـل الأبيض الى الشـاطىء الشرقي جاعلـة اياه مكاناً مناسباً للتخييم. وتوجهنا الى هنـاك، ستة أصـدقاء حميمـين، ثلاثـة رجال وثلاث نساء، لنمضي ليلة خـارج منازلنا.

وفيمـا زورقي يمخـر ميـاه مضيق أوسابو غمرنا شعور عارم بـأن رحلتنا ستنطوي على بعض من تلـك اللحظات الـذهبية التي يتمتـع فيها الأصـدقـاء الحميمون بالرفقة من دون تحفظ.

سمعت صـوتـاً يشبـه نبـاح كلب، فاستدرت. كان هنالك دلفين ضخم يفرغ منخـره على مسـافـة لا تتجـاوز عشرة أمتار. فجأة ظهرت وراءه دلافين أخرى. ظلت جميعها عند طرف الأثر الذي خلفه زورقنا في الماء. الذكر أولاً، تتبعه بقية الدلافين وعددها يقارب العشرين.

PHOTO: © ZIG LESZCZYNSKI/ANIMALS ANIMALS

كنت أعرف أن الابتسامات الجامدة التي علت وجوه الدلافين هي وليدة مصادفة. ولكن من يستطيع الشك في نيتها الطيبة؟ اندفعت في محاذاتنا كأنها زوارق خفيفة، وزعانفها الظهرية تشق المياه الدافئة من غير جهد.

كان واحدها يتبع الآخر، والكل يتموج ويتواثب، كأنها تتحدانا لنلعب معها بحسب شروطها. قاومت رغبتي في قبول التحدي واجراء سباق معها. وكنت فعلت ذلك كثيراً من قبل، واستنتجت أن هذه الكائنات المتحمسة تستطيع بسهولة أن تسبق معظم المراكب بمجرد تحريك أذنابها بسرعة أكبر.

لم يكن هنالك ما يشير الى شيء غير عادي فيما سرب الدلافين يتواثب مرحاً في محاذاتنا. ثم تغير شيء ما، شعرت به قبل أن أعي ما حصل فعلاً. هنالك أمر قطع على السرب انسيابه. تخلف عن الركب دلفينان انثيان على ما أعتقد. خففت سرعة الزورق وأدرته قليلاً كي تتسنى لنا مراقبة ما يجري. كانت احدى الانثيين تلوي جسدها على شكل قوس مشدود كأنها تنتفض من الألم، بينما وقفت الثانية منتصبة قربها.

واذ رأينا الدلفينة البائسة تتلوى في الماء أدركنا، لعظم بطنها، أنها على وشك الولادة. أما ما حصل بعد ذلك فلم تتسنَّ لنا رؤيته. غاص السرب على نحو مفاجيء كأنه أراد التواري لحظة الولادة.

ولما كنت قضيت معظم حياتي مبحراً فقد سمعت روايات أن أنثى الدلفين التي تنتظر مولوداً تعمد الى تقويس جسدها أثناء السباحة، في ذروة مخاضها، بحضور واحدة من رفيقاتها على الأقل. وتكون في هذه الأثناء محاطة ببقية أفراد السرب. وفي النهاية تظهر غمامة من دم ويخرج دلفين صغير الى الحياة.

اضمحلّ النور، فأدرت المحرك وغادرنا المكان قاصدين جزيرتنا.

كانت أشجار السنديان والنخيل الغضة منتشرة على طول الشاطىء ومطرزة بالطحلب الاسباني. وأرسل نور المغيب الوردي بريقاً أرجوانياً على الشاطىء. كنا أحضرنا معنا شرائح لحم وسلطة وخيمة تتسع لنا جميعاً. وبشرتنا النشرة الجوية بليل لطيف يليه نهار صافٍ.

لكنّ المنجمين لم يصدقوا، اذ سرعان ما تلبدت السماء وأنذر البرق والرعد باقتراب عاصفة. أسرعنا الى العمل على تثبيت الخيمة. وقف ثلاثة منا في الداخل وقماش الخيمة يغطيهم، بينما ظل الثلاثة الآخرون في الخارج يحملون ثماني قطع من الهيكل.

ضحكنا عندما اكتشفنا قلة براعتنا في نصب خيمة جديدة عصرية في العاصفة الهوجاء. ولكن في النهاية وتحت المطر العنيف نجحنا في نصبها، على رغم أنها بدت بعيدة جداً عن الخيمة الأنيقة المصورة في الكتاب الايضاحي الذي جاء معها.

احتمينا داخل الخيمة ونحن مبللون. وبحكم مسؤوليتي كقائد للرحلة كان الطهو من مهماتي. وبعد أربعين دقيقة كانت الشرائح جاهزة. واذ سمعت صوت الطحن بين الأسنان أدركت أن الرمل نفذ الى كل شيء.

تخطينا كل المستجدات بطريقة أو بأخرى ونحن نضحك على المنحى الغريب الذي اتخذته رحلتنا الرومنطيقية. وبعدما أنهكنا التعب والبرد خلدنا الى النوم.

في ساعات الصباح الأولى سمعنا صوت ارتطام هادر، اذ ضرب الزورق أحد جوانب الخيمة بعدما حملته الريح والأمواج والمد المرتفع، فقوضها وكاد يصدم ثلاثة منا.

أثناء الفطور كان مزاجي والجو الداخلي المخيم على المجموعة بأسرها قاتمين كالغيوم المتلبدة. وقبل التاسعة فككنا الخيمة وركبنا الزورق وقفلنا عبر المياه. صددت عدة محاولات كلامية لاخراجي من مزاجي العكر. وفي غمرة انزعاجي وتألمي تساءلت لماذا تبدو الحياة أحياناً كأنها تحمل نحوساً أكثر من السعود.

واذ توجهنا شمالاً رأينا سرباً من الدلافين (أيكون السرب نفسه؟) يطفو على مقربة من مقدم الزورق. وسمعت من الرفقاء همساً فأدركت أنهم رأوا شيئاً فاتتني مشاهدته.

وعندما اقترب الزورق من السرب استطعت أن أميز الذكر الضخم الذي ظهر فجأة الى جانبنا في الأمس. كذلك رأيت الدلفين الصغير خلف الذكر وأمه تدفعه. لكنه لم يكن يتحرك على الاطلاق. لقد كان نافقاً. ونحن الآسفين على عطلتنا والمنزعجين من ثيابنا المبللة وفقداننا الراحة لفترة قصيرة، ادركنا فجأة كم أحزاننا واهية بالمقارنة مع ما رأيناه. كان افراد السرب يحيطون بالأم الثكلى ليحموها من أي سمكة قرش قد تقترب منها.

أطفأت المحرك. ونظرنا جميعاً بصمت الى الموكب المهيب، البرهان الحي على الالتزام غير المشروط لدلفين تجاه آخر.

خيل الي أن الدلفين الصغير النافق كان ينقل الى المياه العميقة حيث سيدفن في البحر.

ورفعت قبعتي من دون تفكير فيما انعطف الموكب مبتعداً.

وفيما أنا أراقب الدلافين وهي تبتعد أدركت أننا، نحن الذين في الزورق، عدنا موحَّدين. لقد زال انزعاجنا البسيط وعاد الينا الشعور بالتفاهم والاحترام المتبادل، وكان شعوراً سليماً غير متأثر بأحداث الليل.

أدركت كل ذلك على رغم أن أحداً منا لم يتفوه بكلمة.

وعندما استدرت لأشعل المحرك انبثق شعاع من شمس الصباح واخترق الغيوم الراحلة وأضاء تلك الاجسام السابحة بعيداً في المضيق. وما هي الا لحظات حتى خرجت الى البحر العظيم.

ناش كانتوش ■

تبتلي أوجاع الظهر
معظم الناس
في فترة من حياتهم
ولكن من الممكن
تفادي العوامل التي تسببها

إرشادات تخفف أوجاع الظهر

أنا ألم الظهر. أضرب على حين غرّة، فأوجع وأعذب كطعنة نجلاء. ويُشعر بي أولاً في مكان محدد، ومن ثم أتشعّب في أنحاء الجسم. وقد يبلغ وجع عُمَر حداً يعجز معه عن رفع فنجان قهوة الى فمه.

أنا الألم الذي يحل بظهر عمر من دون انذار. لكن ذلك ليس بالأمر النادر. فأنا أُنزل إصابتي بالناس الذين يحملون حقائبهم في المطارات أو ينحنون لربط أحذيتهم. أحياناً لست سوى وخز مفاجىء عابر، وأحياناً أخرى، كما في حال عمر، أنا مقيم لفترات تطول وتجعل من حياته جحيماً من العذاب.

لا أحد مفضّلاً لدي، فأنا أبتلي الرجال والنساء على حد سواء. فأصيب النساء عادة في السن الستين وما فوق، وأصيب الرجال عادة منذ السن الرابعة والاربعين وهي السن النموذجية التي أصبت فيها عمر.

هناك ظروف خارج ارادة عمر قد تؤول الى الاصابة بي: التقلص العضلي ومشاكل القرص (الديسك) ونتوءات العظم، والتهاب المفاصل والاختلالات الشاذة في العمود الفقري. وقد يكون السبب مشكلة في القدم أو الساق تخلّ بالتوازن مما يسبب اعوجاجاً في الظهر.

إنما في أكثر الاحيان هناك سبيل لتفادي ضربتي. وفي حال عمر فإن وقفته وجلسته غير سويتين، وهو لا يرفع الأشياء بطريقة صحيحة ولا يتمرن بانتظام، وقد زاد وزنه ٤,٥ كيلوغرامات تركزت في وسطه خلال السنوات الخمس الماضية.

وهناك أمر مطمئن هو أن الطب الحديث يزداد معرفة بطرق معالجتي والوقاية مني. لكن الحقيقة المؤسفة هي أني لا أتوانى عن انزال ضربتي كلما سنحت لي الفرصة، وقد هيأ لي عمر تلك الفرصة.

فقرات عمر. في أحد أيام الربيع المنصرم رفع عمر كيس تراب يزن ٢٠ كيلوغراماً في حديقته. لم يشعر بثقلها، لكن الكيلوغرامات العشرين شكلت على عضلات ظهره وأوتاره ثقلاً يعادل ١٢ ضعفاً. كذلك شكلت الكيلوغرامات الاربعة والنصف المترهلة الاضافية ضغطاً يعادل ٢٠ كيلوغراماً زائداً على ظهره.

في اليوم التالي كاد عمر ان يعجز عن النهوض من فراشه. وكانت كل خطوة يمشيها عذاباً مبرحاً.

ان عمر، في حياته اليومية، ينحني ويلتوي ويتحرك ويروح ويغدو، فيقتضي أن يكون عموده الفقري مرناً. لذلك فإن الفسحة بين فقرات عمر الـ ٢٤ المتحركة هي أقل من ٢٥ مليمتراً. ولهذه الفقرات العظمية المستديرة فتحات في الوسط يمر خلالها الحبل الشوكي. أما وطأة ثقل الجسم فتتركّز على فقرات القطَن[1] الخمس، وهي المكان الذي أُنزل فيه ضربتي غالباً، مع اني أهاجم الكتف والرقبة أحياناً.

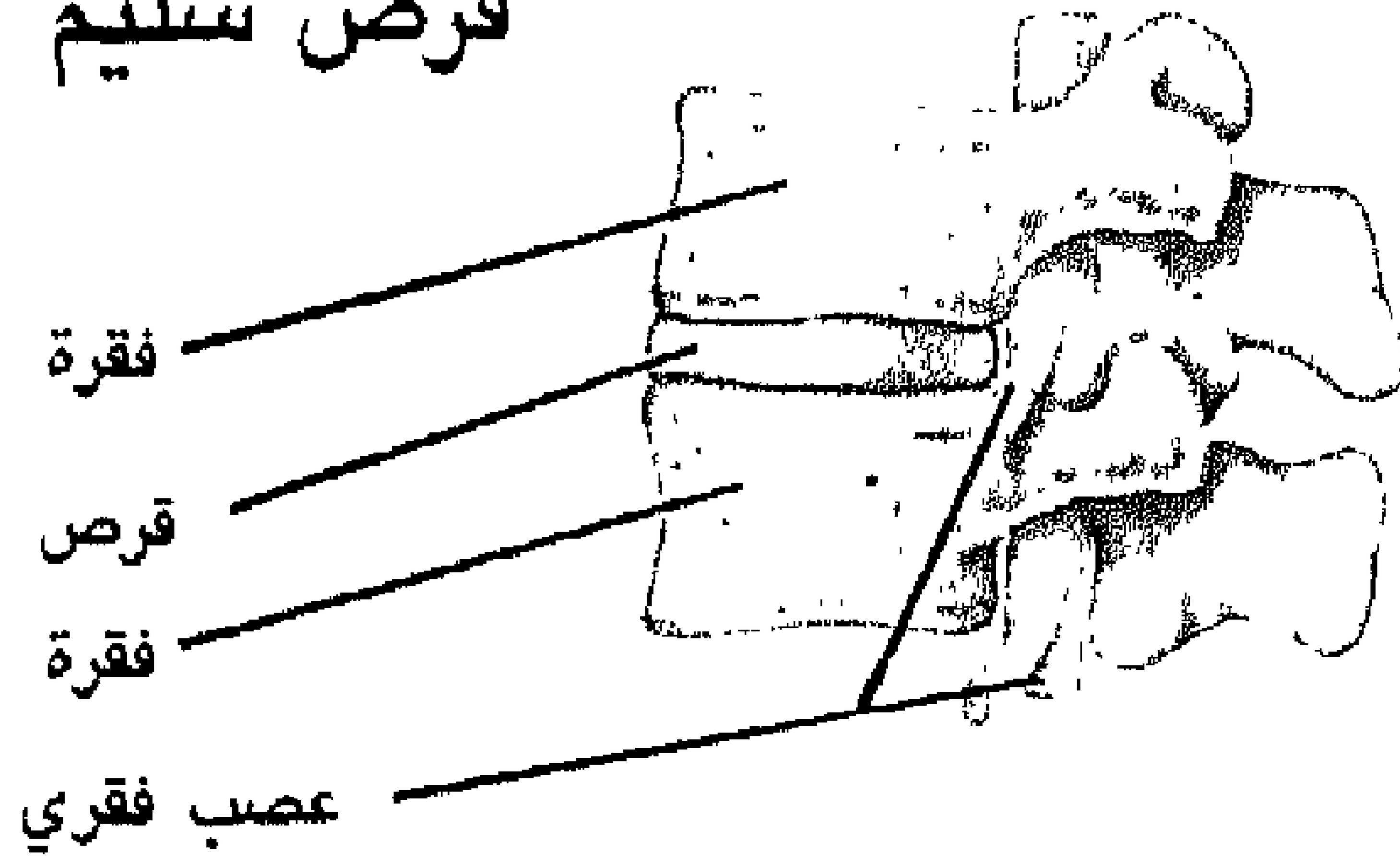
وكل فقرة مفصولة عن الأخرى بقرص (ديسك) مكون من أربطة غضروفية صلبة تساعد في الحفاظ على الفسحة بين الفقرات. وشكله شبيه بحبه فاصولياء، ووسطه لين هلامي يوفر المرونة للعمود الفقري ويعمل كممتص صدمات.

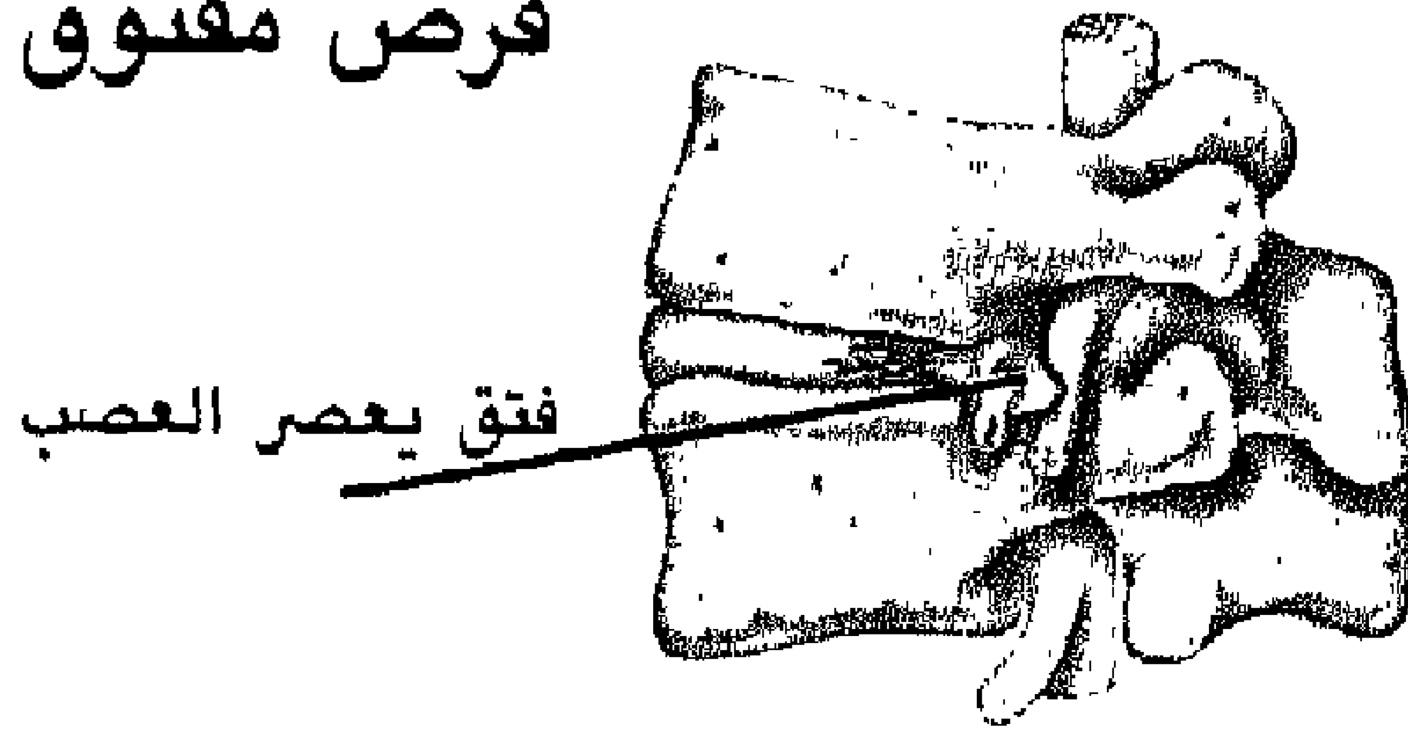
وارهاق القرص وتمزقه يسببان شقوقاً في الحلقات التي تحيط بوسطه الهلامي. فيتسرب الهلام الى تلك الشقوق ويبدأ القرص بالنتوء. وفي حالات الضغط القاسية قد ينعصر الهلام خارج القرص مسبباً فيه تمزقاً أو فتقاً.

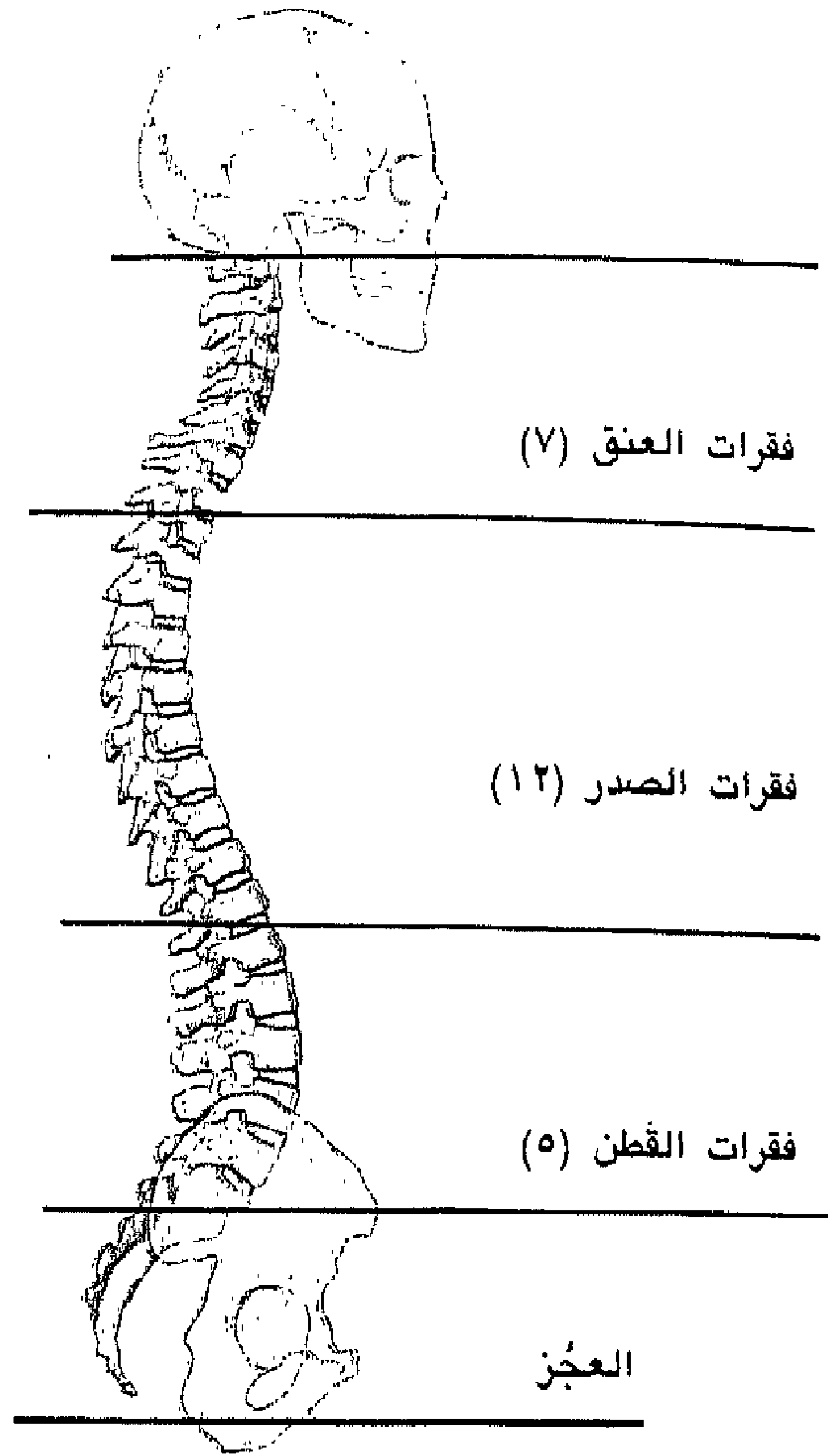
لازم عمر فراشه يوماً كاملاً. وفي الصباح التالي اتصل بطبيبه الذي نصحه بالبقاء ممدداً ٢٤ ساعة أخرى. وتُظهر الدراسات الحديثة أن يومين من الراحة في الفراش اتقاء لألم الظهر يعادلان فاعلية معالجة سبعة أيام. وأضاف الطبيب: «لتخفيف الألم والالتهاب عليك بتناول الأسبيرين.»

فحص طبي. بعد ٤٨ ساعة في الفراش ظل عمر يعاني ضيقاً في التحرك، فأشار عليه طبيبه بالذهاب الى

(١) Lumbar vertebrae







جراح عظم متخصص بمعالجة مشاكل الظهر.

سأل الجراح عمر في عيادته بعد أيام: «هل سبق أن عانى أحد أفراد عائلتك مشاكل في الظهر؟»

أجاب عمر: «لا علم لي بشيء من هذا القبيل.»

كان ذلك مؤشراً مهماً، لأن بعض الدراسات بيَّن أن مشاكل «ديسك» العمود الفقري تنتقل وراثياً في العائلات. وبعد عرض ماضي عمر الطبّي بدأ الجراح فحصاً كاملاً دقيقاً.

في الغالب، حين يفتق أحد أقراص الفقرات الخمس في أسفل الظهر، يتسرب الهلام من وسط القرص ويضغط على العصب الوركي (عرق النسا) محدثاً ألماً في الردف والساق.

وفي حالات الفتق الحادة قد تعاق الرجلان أو تشلان بفعل الضغط على جذور العصب المنبثقة من العمود الفقري.

في مثل هذه الحالات يُنصح باللجوء الى جراحة طارئة. في الجراحة التقليدية يعمد الأطباء الى إزالة قلب القرص كله والكِسَر المفتّتة حول حافته. أما الجراحة المجهرية الأكثر حداثة فتقتضي اجراء شقّ أصغر وازالة الجزء الممّزق فقط. وفي عملية أخرى، تستخدم ابرة

ILLUSTRATION: CYNTHIA TURNER

امتصاص لسحب الجزء الممّزق واحداث شق صغير.

وللتأكد من أن القرص المفتوق لم يكن سبب العلة، عمد الطبيب الى نقر ركبتي عمر ورسغي قدميه بمطرقة صغيرة لاختبار ارتكاساته اللاإرادية[٢]. وهو شرح الامر لعمر: «حين تضعف هذه الارتكاسات فذلك يعني أن جذور أعصاب العمود الفقري مضغوطة، ربما من جراء قرص مفتوق.»

بدت انعكاسات عمر اللاإرادية طبيعية. من ثم تمدد على طاولة الفحص ورفع كلاً من رجليه. فلو كان قرص مصاب هو الذي سببني لأدى رفع رجله الى اثارة عصبه الوركي وتفاقم الألم.

بعد مراجعة الماضي الطبي لعمر وتفحص صور الأشعة السينية لظهره، استبعد الطبيب الأسباب الأخرى المحتملة لأوجاعي، بما فيها التهاب المفاصل وأمراض الكليتين والرئتين والفتق ومشاكل البروستات. وشخّصني الطبيب على أني «إجهاد قَطَني - عجُزيّ حادّ.» بكلام آخر، كانت اصابتي أصلاً في العضل، وهذا سبب ٩٠ في المئة من المشاكل التي أبتلي بها الناس.

حين تتمزّق العضلات أو تمطّ متجاوزة حدودها الطبيعية، تأخذ في نوع من الانقباض أو التشنّج اللاإرادي وتنتهي الى التصلّب: في بادىء الأمر،فيما كان عمر يعمل في فناء منزله، بالغ في مط عضلة واحدة في اسفل ظهره، لكني جعلت عدة عضلات مجاورة تنقبض. وكان هدفي لمصلحته لأن الألم الشديد الذي سببه تشنج العضلات المحيطة حمل عمر على تحاشي استخدام عضلته المصابة. وذلك أتاح لها وقتاً للشفاء.

سأل عمر الطبيب: «هل تفيد الجراحة؟»

أجاب الطبيب: «ليس في مشاكل العضل. والذين يعانون ألم الظهر ويفيدون من الجراحة لا يتجاوزون نسبة ٢ في المئة من المصابين.»

اثارة كهربائية. تزول غالبية تشنجات الظهر من دون معالجة. ولكن في حال عمر وصف له الطبيب أدوية لتخفيف الألم وأي التهاب عضليّ. ونصحه بأن ينشط بمقدار ما يسمح له الألم: «ليس ثمة دليل على أن الحركة تزيد ألم الظهر، بل ربما هي تعجّل في الشفاء.»

يجب تفادي استخدام الحرارة خلال المرحلة الباكرة او الحادة من الاصابة العضلية لأن ذلك قد يزيد الالتهاب والألم. ولكن هناك دلائل جديدة على أن البرودة والحرارة قد تساعدان، بعد مرور ٢٤ ساعة على الاصابة، في تنشيط جريان الدم وتعجيل الشفاء. وبما أن اصابة عضل عمر بدت في عمق ظهره فقد عمد الى وضع كمادة مبللة ساخنة تكراراً، لعشرين دقيقة كل مرة، سواء أكان في مكتبه أم في بيته مساء.

---

(٢) Reflexes

كان عمر يذهب الى المستشفى ثلاث مرات في الاسبوع للمعالجة الفيزيائية التي تشمل التمرين والتدليك والاثارة الكهربائية للأعصاب عبر الجلد[3]. تمدّد عمر على احدى الطاولات فيما ثبت أحد المعالجين رقعاً على ظهره أولج فيها أقطاباً كهربائية صغيرة. ومررت تيارات كهربائية خفيفة في البقع التي ينبعث منها أشدّ الألم. هذه الاثارات التي دامت ٣٠ دقيقة في كل جلسة، ساهمت في تخفيف تشنّجات عضل عمر.

بعد نحو ١٠ أيام منذ أنزلت ضربتي لاحظ عمر تحسناً ملموساً واخذ يشعر بي كألم كليل مكبوت وليس مُقعداً. وحسب أنه تجاوز متاعبه فحذّره طبيبه: «مهلاً، إن الذين يعانون أوجاع الظهر مرة تعاودهم مرة ثانية على الأقل. ولكن اذا أجريت بعض التغييرات فقد يمكننا تجنّب تكرار الاصابة.» فوافق عمر على حضور جلسات «مدرسة الظهر» في مستشفى محلّي.

بدأ البرنامج بمعالجة طريقة جلوس عمر ومشيته. فهو اعتاد أن يجلس مترهلاً في كرسيه مما سبب ضغطاً على بنية عموده الفقري وعضلات ظهره. لذلك تعلّم أن يجلس مستقيماً. وللحفاظ على انحناء العمود الفقري نحو الداخل واراحة عضل ظهره، بات يضع وسادة قطنية ملتفّة بين ظهره وكرسيه.

وبدل الجلوس لفترات طويلة أخذ عمر يمشي قليلاً كل ٢٠ دقيقة لتليين عضلات ظهره. وبات يرفع صدره في الوقوف، فترتخي كتفاه الى الخلف ويحافظ عموده الفقري على انحنائه الطبيعي.

وكان فراش عمر لان على مرّ السنين وصار ظهره يغرق في رخاوة الاسفنج مسبباً ضغطاً على عضلات ظهره. فأبدله بفراش جديد جامد وفّر له الراحة والليونة والثبات. ومعلوم ان النوم على المعدة يشكل ضغطاً على عضلات الظهر، لذا بدأ عمر ينام على جنبه.

علّم المدربون عمر ألا ينحني من خصره أبداً حين يرفع ثقلاً، بل يحني ركبتيه ويرفع ضاغطاً برجليه وحاملاً الثقل قريباً من جسمه من دون أن يلتوي أو يلتفّ. بذلك ينتقل معظم الضغط الى رجليه.

والتوتر يعوق جريان الدم الى عضلات الظهر ويسهّل إصابتها بالتشنج. وقد جهزت آلة خاصة[4] لمراقبة سرعة نبض عمر واستجابات غدد العرق وظواهر طبيعية أخرى تصاحب التوتر. وقد ظهر انخفاض ملحوظ في هذه القراءات حين استرخى عمر وأغمض عينيه وتنفّس بعمق واستحضر في مخيلته صوراً مبهجة. وهكذا تحسّنت مقدرته على ضبط وطأة التوتر.

وتركز القسم النهائي من البرنامج على التمرين. وعندما خف ألمي بدأ عمر اتباع نظام تمريني بهدف تقوية ظهره وعضلات بطنه:

(٣) Transcutaneous electric nerve stimulation

(٤) Biofeedback machine

١. **الركبتان الى الصدر**. يتمدد عمر على ظهره وركبتاه مثنيتان وقدماه تلامسان الأرض. يرفع كلتا ركبتيه ببطء الى جهة صدره مستعيناً بيديه لتقريبهما تدريجاً. يبقى خمس ثوان في هذا الوضع ثم يعيد رجليه الى نقطة البداية الواحدة بعد الأخرى.

٢. **رفع الوركين**. يستلقي عمر على ظهره وركبتاه مثنيتان وقدماه على الأرض. يرفع وركيه عن الأرض من دون تقويس ظهره. يبقى خمس ثوان في هذا الوضع ثم يسترخي.

٣. **«الجلوس»° بركبتين مثنيتين**. يتمدد عمر على الأرض وركبتاه مثنيتان. يشبك يديه وراء رأسه ويرفع كتفيه عن الأرض، ثم يرفع جسمه، بعد ذلك يرجع ببطء الى الوضع الأول. (ان تمارين «الجلوس» العادية قد تزيد الضغط على الظهر. هذا التمرين يقوي البطن الذي يخفف، بدوره، الضغط عن الظهر.)

٤. **تليين الظهر**. ينبطح عمر على معدته ويضع كفيه على الأرض الى جانب كتفيه. ثم يرفع رأسه وصدره عن الأرض لخمس ثوان مبقياً حوضه على الأرض.

وبعد توصّل عمر الى القيام بهذه التمارين الأربعة بسهولة، أضاف اليها تمرينين آخرين:

٥. **الركبة والساق**. يتمدد عمر على الأرض وظهره مستقيم وركبتاه مثنيتان. يلف يديه خلف فخذه ويجذب ركبتيه نصف المسافة الى صدره، باسطاً رجله الى أن يشعر بتوتر خفيف على الوتر المأبضي (في باطن الركبة). يبقى في هذا الوضع وهو يعدّ الى العشرة مع ابقاء ركبته مستقيمة. ويكرّر التمرين برجله الأخرى. فهذه التمديدات تمنح ظهر عمر وعضلات رجليه ليونة أكبر وتقلّص احتمالات ضربي اياه ثانية.

تمارين حيهوائية (آروبيك).

تعلّم عمر أن تحسين دورته الدموية من خلال تمارين حيهوائية منتظمة يجعل أنسجته وعضلاته أكثر عافية، بما فيها تلك التي في الظهر. والتمرين الحيهوائي الصحيح يساعد في كسب هدف آخر هو انقاص الوزن.

استبعد عمر السباحة لأنها لا تخفض الوزن كثيراً وان تكن تمريناً حيهوائياً جيداً. وحذره الطبيب: «الى أن تصبح في حال صحية ممتازة، تجنب رياضات الهرولة والقفز على الحبل والتمارين الأخرى الشديدة الوطأة، لأنها قد تزيد الضغط على عمودك الفقري وعضلات ظهرك وتسبب عودة مشاكل ظهرك.»

اختار عمر دراجة ثابتة وبدأ يتمرن بالدوس على مهل لبضع دقائق يومياً. وتدرّج الى التمرين لعشرين دقيقة

(°) Sit-up

في الجلسة الواحدة خمس مرات في الأسبوع. فخفض الوزن واكتساب خصر أدقّ يعنيان إجهاداً أقلّ على الظهر. وما عتم أن بدأ ممارسة رياضة المشي.

بعد شهر من اصابتي عمر اختفيتُ كلياً من حياته. لكنه يواصل تمارينه تحسباً للحؤول دون عودتي اليه بأوصابي ومشاكلي. ليس هناك علاج يضمن الشفاء مني. لكن عمر بات يعرف عني أكثر، وهو الآن أوفر عافية وسعادة.

سأفتقد عمر، لكن عزائي أن أمثاله كثيرون.

جون بكانن ■

يرغب الكاتب في شكر الأطباء والتقنيين الذين قدموا اليه النصح والارشاد خلال تحضيره هذا المقال. ويخص بالشكر الدكتور فرانك كاميسا الجراح التقويمي في «مستشفى الجراحة الخاصة» في نيويورك.



من الصغار إلى الكبار

يا لترف الاستراحة! يبدو أن الاولاد والحيوانات يعرفونه على نحو أفضل. فالوقت عندهم ليس طاغية. وليس لشروق الشمس وغروبها في عرفهم علاقة بعمل يجب أن ينجز او بمال يجب أن يكسب. وعلى رغم أن لهذين الأمرين أهمية لا جدل فيها عند البالغين، فهي نادراً ما تهم الكائنات الأصغر، الشديدة التدقيق في توافه الأمور.

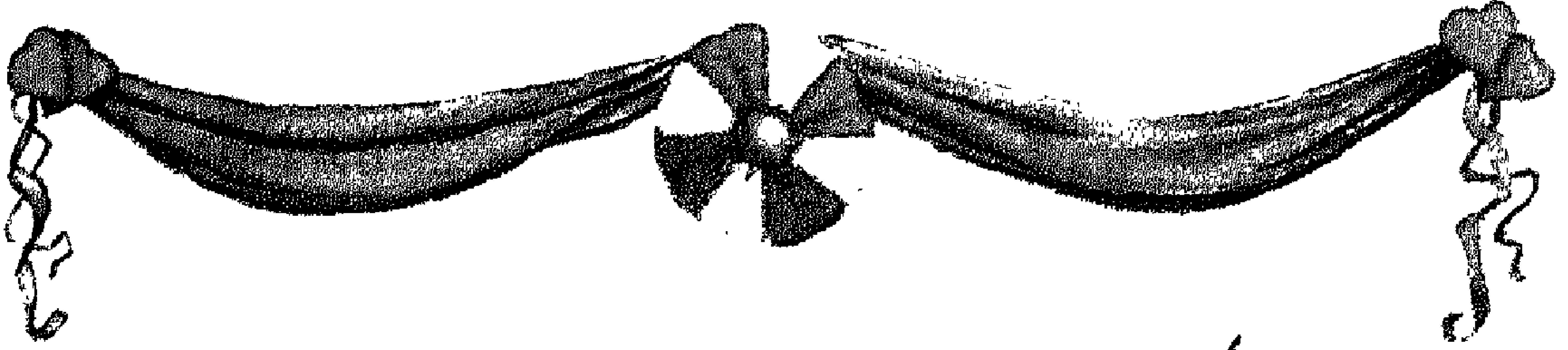
الاولاد والحيوانات يولون عناية فائقة لانجاز ما يقومون به على وجه صحيح في اي وقت. لم ألتق ابداً انساناً بالغاً يغفو بمهارة مثلما يفعل هري. ولا أعرف رجلاً أو امرأة في سني يمكنهما أن يتمايلا بوَلَهٍ مثلما يفعل ابني. فلا شيء يلهيه، وهو عندما يرقص متمايلاً يرقص فحسب، وعندما ينام يغفو ملء جفنيه، وعندما يستيقظ يعلم أنه قادر على النوم مجدّداً. ذلك لأن امتلاكه ترف الاستراحة يخوله، وإن بعد توقُّف، متابعة ترف الوقت حيث الساعات دوائر مسطحة تتكتك فحسب، وحيث العمل الآتي هو العمل الوحيد المهم.

أحب أن أعتقد أن الاولاد والحيوانات، لا سيما الاولاد، ليسوا مجرد بواعث على الحنين. ولا هم ينقضّون علينا كمجرد امتحان جديد يقيس جَلَدنا الذهني والعاطفي. انهم يأتون لأننا نستطيع أن نتعلم منهم شيئاً، وكلما صَعُب علينا التعلم ازدادت حاجتنا إليه.

في ودي أن أجرب هذا التعلُّم الجديد، وإن من أجل أن أقر بأني في منتصف عمري تيقنت فجأة أني افتقر إلى التمام، وهو الأمر الوحيد الذي يهم حقًا. فإذا استطعت أن احصل عليه من ابني الذي ينام بعمق عندما يحلو له النوم، فسيكون في متناولي، مرة اخرى، ضرب من الترف لا يشتريه مال أبداً.

ت.س.

قصة قصيرة



أرماندو العاشق

المجازفة الأخيرة التي أداها «الساحر» الشهير كانت الاكثر تهوراً... وحباً

عام ١٩٥٥ كنت أنكش في صندوق قديم. فوقعت على سترة شبيهة بتلك التي يرتديها المجانين والمساجين الخطرون، مصنوعة من قماش القنب وفيها سيور جلدية وعُرى (بكَل) حديد. وكانت لا تزال عالقة في كميها تلك «الخدعة» الشيطانية التي قضت على «أرماندو العظيم» كما تقضي رصاصة في الدماغ على امرىء.

لكن أحداً لم يعثر على جثته.

جو فاريس هو الاسم الحقيقي لارماندو العظيم. كانت مهنته تأدية عروض «سحرية» بارعة. وكنت شريكه وقد أحببته كشقيق. لكن أحداً لم يكن يتقرب منه، إذ كان غالباً متقلب المزاج كثير الشكوك والارتياب. وكان يخبىء أمواله في صناديق الامانات تحت أسماء مختلفة.

وعلى رغم قصر قامته (١٦٥ سنتيمتراً) وامتلاء جسمه فقد كان أقوى رجل عرفته في حياتي. وكانت قوته تكمن خصوصاً في أصابعه. وكان يفخر بأن ما من قيد أو قفل قاومه أو عصاه. لكن جو لم يصبح «أرماندو العظيم» ولم يجنِ هذه الثروة الا بعدما التحقت به، أنا كارل هيجماير، سيد صانعي الاقفال. كنت أملك الوسيلة التي يحتاج اليها ليصل إلى مصاف أعظم مشعوذي العالم لأنني ما نظرت إلى مفتاح إلا ونسخته لاحقاً معتمداً ذاكرتي. وكنت أحمل أثناء جولاتنا مخرطة حديد صغيرة ومقص مفاتيح. وبعد مضي ساعة

ILLUSTRATIONS: KEITH RICHENS

على اللقاء التمهيدي مع ضامني العرض أزوّد أرماندو نسخة عن المفتاح كي يتمكن من فتح القفل.

كان جو شجاعاً. فالمرء وإن أتقن هذه الحيل، يحتاج إلى شجاعة كبرى لكي يقبل تقييده في هذه السترة ووضعه في كيس مقفل وتسميره داخل صندوق يربط بحبل ثم يلقى في الماء.

لا شك في أن أرماندو كان على علم بالمخاطر التي يواجهها. وهو قال ذات يوم: «عندما ينتابني أول شعور حقيقي بالخوف سأعتزل مهنتي فلا يعود أحد يسمع بأرماندو العظيم. ولكن إلى الآن لم تعترضنا صعوبة لم نستطع التغلب عليها معاً.»

لكن ذلك كان صحيحاً قبل أن نلتقي الشريف جول ماسان في ديترويت عام ١٩٢٥، حين كنا سنقدم عرض «الافلات من الصندوق» ويتولى الشريف تكبيل أرماندو داخل السترة.

لقد أدينا هذه المجازفة عشرات المرات سابقاً. وكان في امكان أرماندو الخروج من أي سترة من هذا النوع في أقل من دقيقة. فهو كان ينفخ صدره أثناء تكبيله في السترة لكي تتوافر له لاحقاً فسحة كافية لاخراج ذراع من الكم. وهكذا، عندما تتحرر يده تحت السترة، يمدها من فتحة الرقبة ويحلّ السيور التي في الظهر.

لكننا لم نخاطر يوماً. ففي اللقاء التمهيدي كنا نُصر على أن يفتح قفل الكيس ويغلق أمام ناظرينا، مما يُتيح لي أن القي نظرة على المفتاح. وكان الصندوق يعرض دائماً قبل يوم من المجازفة. وفي المساء نقلد المفتاح بحيث يتمكن أرماندو من الخروج بعد خمس عشرة ثانية من إغراق الصندوق.

الشريف القاتل. عقد اللقاء الذي سبق عرض ديترويت في مكتب الشريف. وغصت القاعة بالصحافيين والمصورين. وبين الحضور كانت تينا زوجة الشريف. كانت تضع وشاحاً على رأسها، وبدت عيناها جاحظتين وخاليتين تماماً من أي تعبير. وكل خلجة في محياها دلت على أنها امرأة مروّعة، كالنسوة الخاضعات لرجال قساة.

كان الشريف طويل القامة، سميناً قوي البنية، لئيماً. وفي أثناء اللقاء التمهيدي رمى السترة على طاولته وقال هازئاً: «هل من اعتراض على هذه السترة.»

فالتقطتها لكي يراها أرماندو، لكنه لم يكن ينظر الي. كان يحدق إلى تينا ماسان. لقد انزلق الوشاح عن رأسها واستقر حول رقبتها فبان شعرها الاشقر ووجهها البيضوي الرائع. وتشابكت نظرات الغريبين المتناقضين: هو المجازف الثاقب النظرات، وهي المرأة الشاحبة التي دبت الحياة للمرة الاولى في عينيها فامتلأتا بما يشبه الرجاء. ألقيت السترة على الطاولة قائلاً: «اننا موافقان.»

أطلق الشريف ضحكة مكبوتة كريهة. ثم جيء بالكيس. كان في حوزتي عشرات

المفـاتيح التي تـلائم القفل. وسيحتفظ أرماندو بمفتـاحين يخبئهمـا في ثيابـه. وعندما يتحرر من السترة يعمد إلى فتح قفل الكيس.

أوقعت السيـدة مـاسـان منـديلهـا. فانحنى أرماندو لالتقاطـه، وانحنت هي في الـوقت ذاته، فتـلامست أصابعهمـا لبرهة. وسمعتها تهمس: «بالله عليك، لا تقم بهذه المجازفة.» وكان ذلك شعوري أيضاً، فأنا لم أطمئن إلى هذه الخطة. ولحظة دخولي مكتب الشريف خـامرني أنه قاتـل، لكنه قـاتل ضمن القـانون. فـأرمانـدو يوقّـع دائمـاً وثيقـة تـرفـع المسؤولية عن الشريف والشرطة.

ذهبت لمقابلة مخبر في ديترويت هـو صـديق لي وسألتـه: «ماذا تعـرف عن شريف المدينة؟»

فأجابني: «انه يكره رجـال السيرك. فخذ حذرك منه.»

هتفت: «ولكن لماذا؟» قال: «قبل ست سنوات مر سيرك من هنا ودفع أصحابه مبالغ طائلة للشريف كي يسمح لهم بالعمل في المدينة، لكنه طالبهم بالمزيد فأوسعوه ضرباً. ولعل صديقك كان بينهم ورأى الحادث.»

أخبـرت أرمانـدو بما قـاله صديقي، فغرق في التفكـير ثم قـال: «هنـاك إذاً تعـرفت إلى الشريف: عندما جاء يطلب مالاً لكمتـه على وجهه.»

فحذرته: «انـه لم ينسَ لك فعلتـك. دعنا نلغي العرض.» وكـان موعـده في تمام العاشرة صباح اليوم التالي.

نظر اليّ أرماندو العظيم كأنه خالني فقدت رشدي.



لحظة وداع. كان الصباح بارداً وغائماً. وطفت كتل الجليد على سطح النهر. وعلى رغم الطقس البارد العاصف غصّ الرصيف بحشود المتفرجين. وعندما وصلنا كان النقيب هاري ستيفنز يعطي التعليمات إلى طاقم الزورق الذي سينشل أرماندو عندما يخرج من تحت الماء. ووقف الشريف ماسان ممسكاً السترة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة بغيضة.

أما تينا ماسان فكانت في الصف الاول بين الحشود وقد بدت على وجهها آثار دموع وبان عليها الخوف وتسمرت عيناها على السترة.

لاحظتُ أن تعديلاً طرأ على الكمّين فقلت: «لقد عبث أحدهم بهذه السترة.» لقد خيطت عشر «ملاقط» أصابع من التبن المطوي داخل بطانة الكمين، حتى اذا ما دخلتها الاصابع أطبقت عليها الملاقط وازدادت احكاماً كلما حاول المرء جاهداً التخلص منها. وما من طريقة للتحرر الا بالدفع في اتجاهها حتى تمزيق الكمّين. لكن أرماندو العظيم الموثق داخل السترة عاجز عن الدفع. واذا كان غير قادر على استعمال أصابعه فهو هالك لا محالة.

ضاقت عينا أرماندو عندما رأى الفخ القاتل. وتلك كانت المرة الاولى أرى جو خائفاً. فقلت: «هذه الاشياء لم تكن داخل السترة عندما رأيناها البارحة.»

فرد ماسان: «حسناً، لقد أصبحت داخلها الآن.» وأضاف بصوت عالٍ كي يسمعه الصحافيون: «يقول هذا المكسيكي انه قادر على الخروج من أي شيء، أليس كذلك؟»

بدا الارتياب على النقيب ستيفنز فقال لنا: «ما رأيكما؟ انكما لستما مرغمين على تأدية العرض إذا كنتما غير مطمئنين.»

فضحك ماسان: «كنت أعلم أن الغشاش جبان.»

فصرخت: «لسنا بجبناء!»

وارتفع صوت: «اصمتوا جميعاً!» كان ذلك أرماندو. حتى في هذه الازمة لم ينسَ استعمال لكنته المزيفة. وأضاف: «اصمت يا كارل.» لكنه لم ينظر اليّ. كان يحدق إلى تينا ماسان وهي تحدق اليه. لم أكن مخطئاً، لقد وقعا في الحب وها هما في لحظة وداع.

قال أرماندو العظيم: «حسناً أيها الشريف، أنا مستعد.»

خطا الشريف إلى الوراء وقال: «وداعاً أيها المغفل، لقد جنيت على نفسك.»

وتسارعت الامور: شرع الشريف في القضاء على غريمه. فأدخل كل اصبع من أصابع أرماندو في ملاقط التبن، ثم ضغط بركبته ظهر أرماندو محكماً شد أقفال السترة. وتولى أربعة رجال حمل الكيس الذي ربض أرماندو داخله ووضعوه داخل الصندوق. وأنزلت رافعة كهربائية الغطاء على الصندوق.

الافلات الاخير. اعتدتُ، عندما يبدأ الرجال تسمير الغطاء، أن أماطلهم

فأقترح عليهم تارة أن يزيدوا المسامير وطوراً أن يُحكموا شد الحبل. لأن من شأن هذه المماطلة منح أرماندو وقتاً للخروج من السترة ومن الكيس. وكان عادة يقرع قرعة خفيفة اشارة لي إلى أنه حرر نفسه.

قفزت على الصندوق لاكسب بعض الوقت. لكن أرماندو لم يعطِ أي إشارة.

صرخ الشريف: «ارموه في الماء.» وتعالت أصوات ابتهاج الحضور عندما ارتخى الحبل. وسقط الصندوق وبدأ يغوص.

تراءى لي أرماندو محزوماً كمومياء في سترة القنب، وأصابعه العاجزة عالقة في ملاقط التبن، والماء الجليدي يتدفق إلى الصندوق ومنه إلى الكيس، وصديقي يلهث طالباً الهواء ويجاهد إلى الدقيقة الاخيرة مقاوماً القبضات الصلبة، وفقاعة هواء أخيرة تخرج من رئتين مجهدتين، ويطبق الصمت.

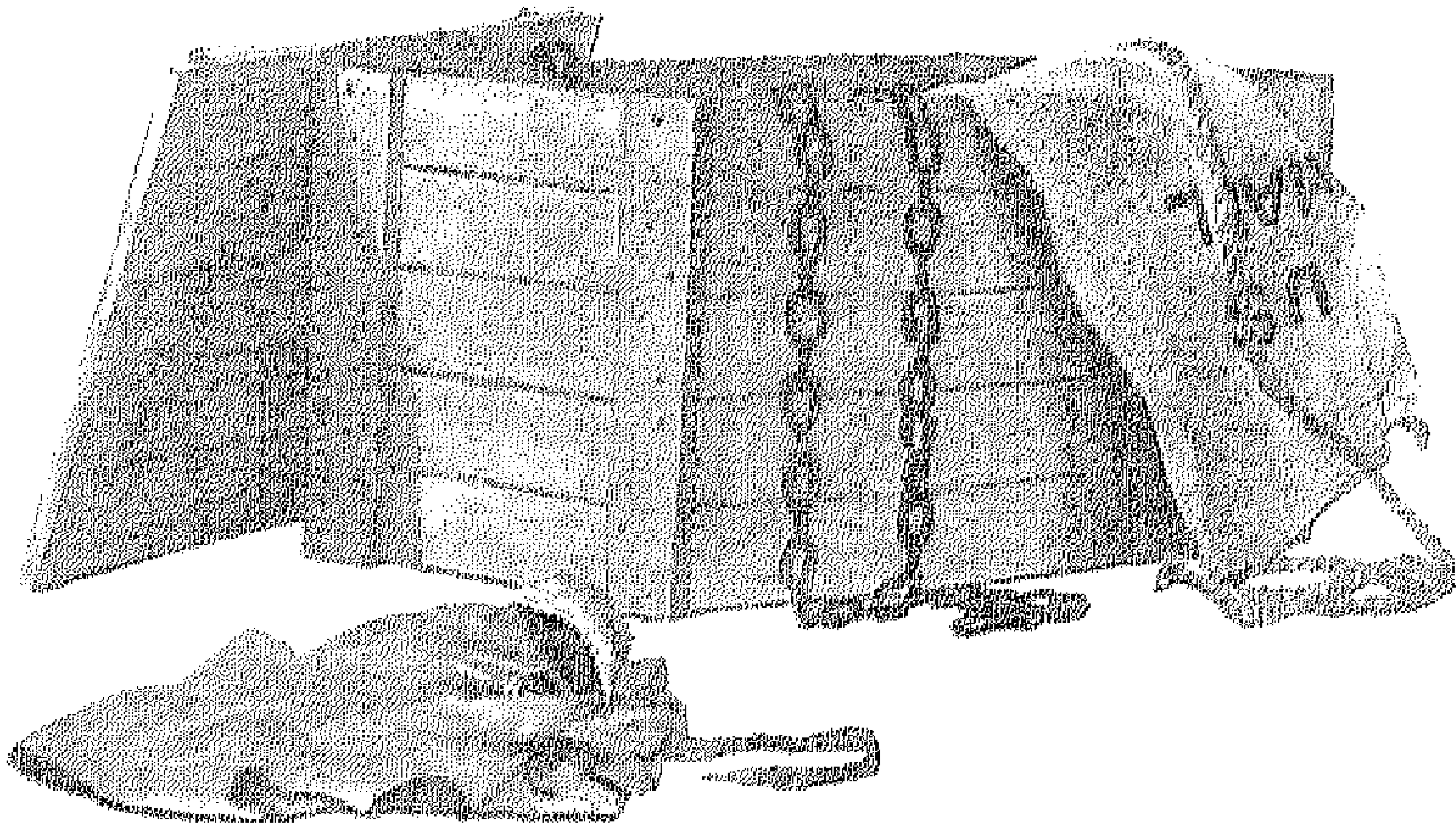
بعد مرور دقيقتين، وفقاً لساعة التوقيت لم يظهر أثر لشعر أسود يعكر صفحة النهر الخضراء. فأفلتت مني صيحة رعب: «اسحبوه، اسحبوه، لقد حصل له مكروه.» ورأيت النقيب ستيفنز يصرخ في سائق الرافعة. لكني لم أسمع هدير المحركات فقد انقطع التيار الكهربائي. وتعالى صراخ الرجال والنساء والاولاد.

غطست في النهر وقد تملكتني فكرة مجنونة. توهمت أن في امكاني الغوص وفتح الصندوق وإخراج أرماندو والكيس وكل شيء. لكن زورق الشرطة انتشلني وأودعني درجات الجسر.

عاد التيار الكهربائي بعد عشر دقائق ورُفع الصندوق. فعالجه العمال بالفؤوس والعتلات. فانكسر جانبه وظهر الكيس... خالياً... الا من السترة. ما من أثر لارماندو العظيم. لقد أنجز إفلاته الأعظم والاخير.

لم يره أحد ثانية. وأمضت الشرطة ثلاثة أيام تبحث عن جثته.

لقاء عجيب. بعد ستة أشهر قرأت في صحيفة أن الشريف ماسان قتل على يد صاحب حانة حاول ابتزازه. ولم تأت الصحيفة على ذكر السيدة ماسان. وأرسل الي النقيب ستيفنز السترة



كتذكار. لكني لم أكن أقوى على النظر اليها، فأخفيتها في صندوقي وعدت الى عملي كصانع أقفال.

عام ١٩٥٥ أخرجت السترة وحملتها بين يدي في منزلي في نيويورك، لأنني قبل يومين رأيت جو فاريس وتينا ماسان. أقسم أنني لم أكن مخطئاً، مع أن ملامحه تغيرت وابيضّ شعره. أما تينا فلم تتغير، لكنها بدت سعيدة.

حصل هذا اللقاء عندما كنت خارجاً من دار سينما في أثينز بولاية جورجيا. هتفت: «جو! تينا!» فتوقفا بتهذيب، لكن وجهيهما ظلاّ جامدين. وقال لي الرجل: «أنت مخطىء، اسمي فرنون هاورد، وهذه زوجتي. الجميع في أثينز يعرفني. والآن اعذرنا.»

أجريت بعض التحريات لاعرف متى قدم آل هاورد إلى أثينز. فتبين لي أن السكان يعرفونهما منذ العام ١٩٢٥ وليس قبل ذلك.

لا تزال ملاقط التبن المطوي عالقة في أكمام السترة، تماماً كما كانت في ذلك اليوم المشؤوم. ارتديت السترة ووضعت أصابعي داخل الملاقط وجذبتها فتفككت للحال. وهكذا عرفت كيف تخلص أرماندو العظيم من الفخ الذي نُصب له: لقد قصّت تينا التبن فزال ضغطه. ونفذت العملية بدقة كي لا تكشف عند التدقيق في السترة.

ولا أزال أذكر نظرة التفاهم التي تبادلها جو وتينا قبل أن يوثق داخل السترة. كما أذكر صناديق الامانات في المصارف وما قاله لي: «عندما ينتابني أول شعور حقيقي بالخوف سأعتزل مهنتي فلا يعود أحد يسمع بأرماندو العظيم.»

كم كان سهلاً عليه أن يسبح إلى الشاطىء بينما الحشود في حال اضطراب وضياع ويختفي ليعود بعد موت الشريف ماسان.

عندما خططنا لعرض ديترويت درسنا العملية معاً من جميع جوانبها باستثناء ملاقط التبن. وفي النهاية، وجده أرماندو العظيم ملك الشجاعة ليثق بالحب خدعةً.

بول غاليكو ■

العمر كله!

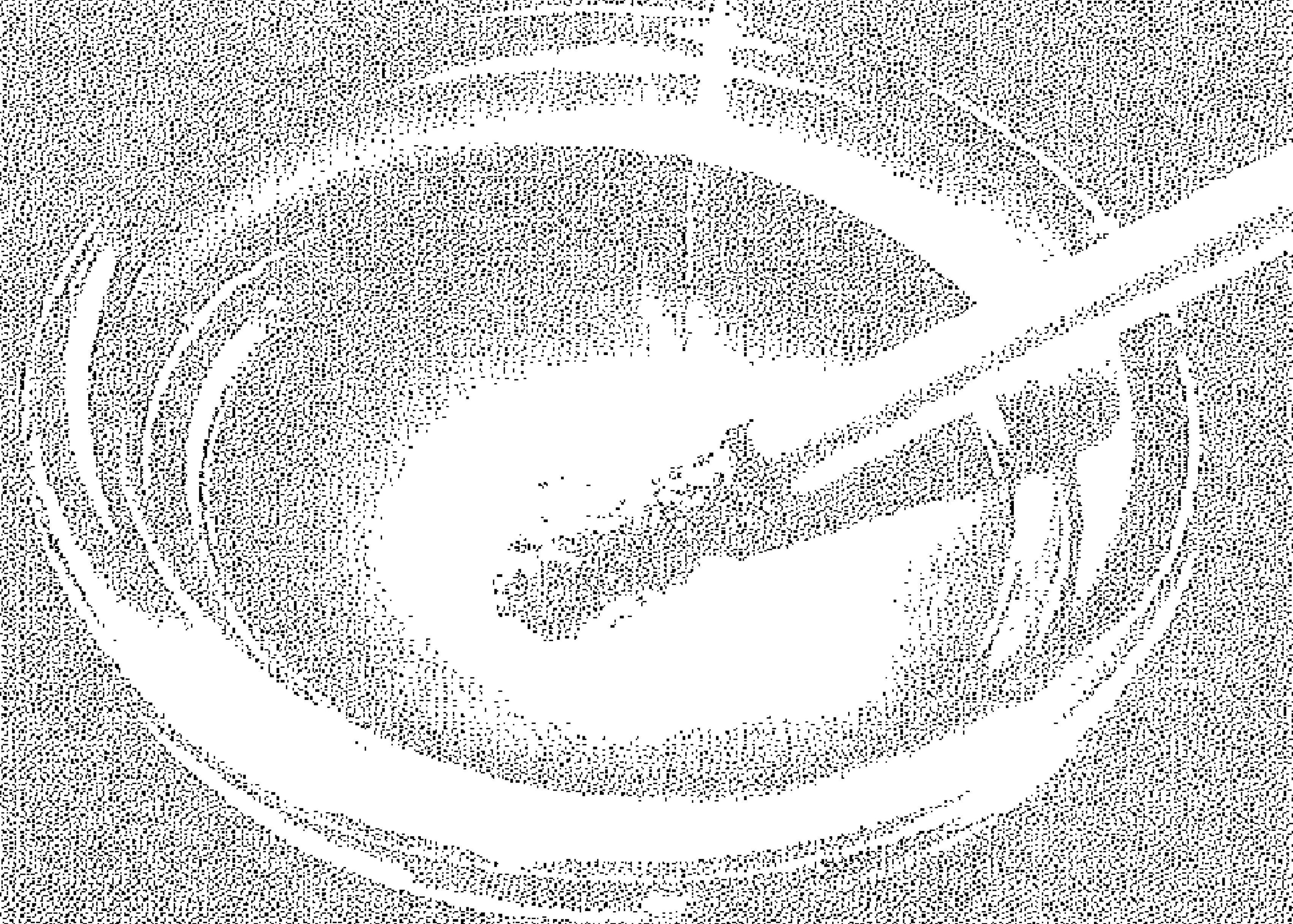
علياء زبونة قديمة جداً في صالون التزيين الذي أملكه. وكانت على وشك الاحتفال بعيد مولدها المئة، فوعدتها بتصفيف شعرها مجاناً يوم اكمالها القرن. وسررت عندما أتت اليّ في حينه لتحصل على هديتها.

وفيما أنا أسرّح شعرها المتموج ذكرتها بأن عمرها هو ضعفا عمري تماماً. فصمتت علياء لحظة ثم قالت: «هناك أمر واحد يقلقني: ماذا تراني أفعل عندما تشيخين وتصبحين عاجزة عن تصفيف شعري؟»

د.و.

أدمنت التدخين ٤٠ عاماً
وحذرني الأطباء مراراً من أخطاره
وها أنا أواجه انذاراً أخيراً

كاد التدخين يسكت قلبي



حين تلحّ علي الرغبة في تدخين سيجارة، وهي عادة أقلعت عنها بعد ٤٠ سنة، فما علي سوى الوقوف أمام المرآة وفتح قميصي، فأرى ندباً أحمر يمتد من تحت عقدة الحنجرة وصولاً الى السرّة، وآخر نزولاً في ربلة ساقي اليسرى. هذان الندبان، اضافة الى فاتورة بقيمة ٣٥ ألف دولار وذكريات مفجعة، هي الشواهد على جراحة القلب التي أجريت لي في السنة الماضية.

ولكن، ما علاقة ذلك بالتدخين؟

الجواب، كما في ألوف الحالات كل سنة، هو أن الجراحة لم تكن ضرورية لو لم يكن المريض مدمناً تدخين السجائر.

طوال ٤٠ سنة كنت أدخن علبتي سجائر يومياً، وهكذا أشعلت ٦٠٠ ألف سيجارة وحرقت ١٣ ألف دولار. ولحسن

ILLUSTRATION: DICKRAN PALULIAN

حظي ما زلت حياً، اذ ان التدخين هو انتحار بطيء. ويواجه المدخنون أكثر من ضعفي خطر الاصابة بمرض القلب مما يواجهه غير المدخنين.

حين بدأت التدخين في أوائل الاربعينات في المدرسة الثانوية لم يكن هناك الا القليل من الدليل الطبي على ذلك. والدليل الذي كان يومذاك طمسته الحملات الاعلامية التي حاولت اقناعنا بأن التدخين صحّي ورائع. وكان غاربي كوبر وغيره من نجوم شبابنا يظهرون في اعلانات المجلات مبتسمين يشيدون بمزايا أصناف السجاير التي يدخنونها. وكنا نشاهد الممثل همفري بوغارت، البطل المقدام، يفتن النساء والسيجارة تتدلى من شفتيه.

كان التدخين هوس الشباب. والذي لم يدخن لم يكن مماشياً العصر. وأنا أردت أن أكون عصرياً.

سموم وأخطار من مجرد ظاهرة هوس في سن الحداثة أصبحت لي السجائر ضرورة ملحة ونمط حياة. كانت تشعرني بتحسن في أوقات الشدة والكآبة، وتهدىء أعصابي قبل الفحوص المدرسية. انما كانت لها تأثيرات خافية علي أيضاً. كان دخان السجاير يلوث قلبي وأوعيتي الدموية باثنين من أخطر أعدائها: أول أوكسيد الكربون والنيكوتين. فأول أوكسيد الكربون هو الغاز الذي تنفثه السيارة من العادم، وهو سبب الموت الاول المعروف في المرائب المقفلة. وقد لا يكون تأثيره في دخان السجائر مميتاً بالسرعة ذاتها، الا أنه يظل قاتلاً. فأول أوكسيد الكربون الذي يكّون بين ٣ و ٥ في المئة من الدخان، يستنفد الاوكسيجين في كريات الدم الحمراء وقد يكثف تأثير ترسبات الكولسترول في الشرايين مما يحدّ جريان الدم الى القلب.

أما النيكوتين فهو أحد السموم الكائنة في الطبيعة، ويستخدم أحياناً في المبيدات وفيه طاقة قاتلة حتى للبشر. واذا استُنشق كدخان فانه ينبه القلب ويحفز الغدد الكظرية[1] على افراز هورمونات تزيد سرعة نبض القلب وترفع ضغط الدم. (اذا كنت من المدخنين، افحص ضغط دمك قبل تناول أول سيجارة في الصباح ثم بعدها مباشرة، فقد يدهشك الارتفاع في ضغط الدم.)

وقد يزيد النيكوتين من خطر تكثيف الصفائح[2] مما يسدّ الشرايين التاجية. وقد عرف العلماء حديثاً أن التدخين يحفز على نشوء جلطات دموية قد تؤدي الى نوبة قلبية.

ودور التدخين في تسبيب سرطان الرئة معروف منذ أمد طويل. وحين نُشر تقرير وزارة الصحة الامريكية عام ١٩٦٤ رابطاً التدخين بالسرطان، تجاهلته، فقد كنت غارقاً في الادمان. ويجد المدخنون المدمنون صعوبة في الاقلاع عن التدخين لا تقل عن صعوبة

(١) Adrenal glands
(٢) Plaques

الاقلاع عن الكوكايين أو الهيرويين. وحتى إن لم تلح علي الرغبة في التدخين، فاني لم أتحمل يوماً فكرة عدم توافر علبة سجائر في متناولي في أي وقت. وكان يجفوني النوم اذا لم أنهض لتدخين سيجارة، وكنت أؤجل سفري في الطائرة اذا كان قسم التدخين فيها مكتظاً.

دلائل خطر. ثابرت على عادتي حتى عندما بدت انذارات الخطر الداهم تقترب مني. وأذكر، حين توفي شقيقي بسكتة قلبية عن ٥٥ عاماً، كيف انسللت من بين المعزين الى الخارج لتدخين سيجارة. وقد فاتتني الحقيقة في تلك اللحظة، اذ كان أخي يدخن علبتين ونصف علبة يومياً.

وذات مرة جاءني ابني المراهق، وكان من المتشددين ضد التدخين ويتهيأ للركض في سباق ماراثون. وقدم الي عرضاً: «اذا أكملت هذا السباق، فهل تمتنع عن التدخين يا أبي؟»

قبلت عرضه بعزم صادق وفي نيتي الالتزام. وقطع ابني خط النهاية مكملا السباق، ووفيت أنا بوعدي... طوال ١٢ ساعة. وكم تأكلني الندم لأني لم أقلع عن التدخين منذ ذلك الحين والى الأبد.

دهمني الانذار الخطير الاول. فذات يوم كنت أرفع شراع مركب العائلة حين شعرت بألم حاد في صدري ودوار تبعهما تعب شديد. وكشف الفحص الطبي أنني مصاب بالخناق الصدري[٣] وهو شكوى القلب من الافتقار الى الاوكسيجين ودليل على مرض في الشرايين التاجية. وحذرني أحد أطباء القلب من مغبة التدخين، لكني تجاهلت تحذيره مفترضاً أن في قدرتي تفادي الذبحة بمجرد تخفيف التدخين سيجارة من حين الى آخر.

لم تعاودني دلائل الخطر حتى العام ١٩٨٨ في مستهل الربيع. فقد كان تعبي يزداد باطراد، حتى باكراً في النهار، وصرت أشعر بضغط ممض ينمو في صدري كلما مشيت مسافة قصيرة لشراء صحيفتي (ومعها سجائري). وشعرت زوجتي بأني لست على ما يرام. قالت لي متوسلة: «اذا كنت لا تريد أن تقلع عن التدخين، فعدني على الأقل باجراء فحص طبي.»

فحصني الدكتور فيليب عكر وهو طبيب قلب مرموق في كورونادو بولاية كاليفورنيا. فقال لي: «المشكلة التي سببت لك الذبحة الصدرية قد اشتدت. انك مصاب بداء تصلب الشرايين التاجية[٤] واصابتك هي من النوع الحاد.»

ومع أن أسباب هذا الداء معقدة فهناك عوامل كثيرة مؤدية اليه، ومنها الوراثة والغذاء الغني بالدهن والكولسترول وضغط الدم المرتفع، وخصوصاً التدخين. فهذه العوامل جميعها تعزز تكون صفائح شمعية في

(٣) Angina أو الجرجة الصدرية.
(٤) Coronary atherosclerosis

الشرايين التاجية. وإذ يضيق الشريان، يصعب سريان الدم فيه. وفي المراحل المبكرة يمكن أن يسبب ذلك ذبحة صدرية خفيفة. انما في الحالات المتقدمة فانها تؤدي الى الاصابة بنوبة قلبية.

خيار أخير. أجرى لي الدكتور عكر فحصاً للاجهاد. وفيما كان يراقب المعلومات الصادرة من مجسّات تخطيط القلب[٥] الملصقة الى صدري، كنت أمشي على حزام متحرك يزداد سرعة كل ثلاث دقائق. وكانت الفكرة تهدف الى قياس تأثير الجهد الاقصى. وبعد أربع دقائق فقط كنت ألهث بشدة طالباً الهواء.

قال الدكتور عكر: «نتيجة الفحص لا تبدو حسنة، عليك أن تجري صورة وعائية[٦] لكي نتمكن من تحديد نتيجة التشخيص.» وشرح لي أن هذه العملية خالية من الالم: يولج أنبوب صغير في أحد شرايين الأربية (أصل الفخذ) ويدفع الى أعلى حتى يصل الى الشرايين التاجية. وتحقن صبغة داخل الانبوب. وأضاف: «هذه الصبغة تتيح مشاهدة جريان الدم في مرقاب الاشعة السينية (إكس). واذا كان هناك انسداد في الشرايين فيمكننا عندئذ أن نحدد موضعه.»

ان فكرة ادخال انبوب في جسمي هدّت أعصابي. فهمت على وجهي ليلا في الشوارع قبل موعد الصورة الوعائية، أغالب الأرق وأنا أدخن سيجارة اثر سيجارة. وربما خشيت في لاوعيي أن تخيفني الصورة الوعائية فأمتنع عن التدخين. فاتصلت عند الفجر بالدكتور عكر وقلت معتذراً: «لست قادراً على الخضوع لهذا الاجراء.»

اني مدين بحياتي الى زوجتي التي ظلت تلح علي كي أطلب موعداً ثانياً لاجراء الفحص. ولخص لي الدكتور عكر النتائج بصراحة مقلقة، فقال: «لقد وجدنا بقعتين من الصفائح متقاربتين جداً في الشريان الرئيسي الأيمن. والأسوأ من ذلك أن الشريان واسع على نحو غير عادي. انه يغذي عضل القلب بكمية كبرى من الدم، وأنا أنصح باجراء جراحة تحويل[٧] لمجرى الدم.»

هل كان هناك من بديل؟

كلا. فاذا اصابتك نوبة قلبية ـ وأنت معرض لنوبة ثانية خلال ستة أشهر ـ فان فرص الشفاء التام ضعيفة جداً.

في غرفة العمليات. ما زلت أتذكر السيجارة الاخيرة التي دخنتها. كان ذلك في الثانية بعد ظهر ١٨ يوليو (تموز) ١٩٨٨ في موقف للسيارات، قبيل دخولي مستشفى ميرسي في سان دييغو بكاليفورنيا لاجراء الجراحة. فبدلا من التمتع بتلك السيجارة أطفأتها بغضب بعد ثلاث نفثات ورميت العلبة بما فيها في سلة المهملات.

أثناء العملية، فيما أنا مخدّر، بَضَع

---

(٥) Electrocardiogram sensors

(٦) Angiogram

(٧) Coronary bypass

الجراح شقاً في وسط صدري ثم قص عظم الصدر بمنشار دائري كهربائي. وفُصل جزءا عظم الصدر وأُسندا كي يبقيا مفتوحين.

في ذلك الوقت شق جراح آخر باطن فخذي الايسر لانتزاع جزء من أحد الاوردة يجعل منه التحويلة، أي «الالتفاف» أو «الجسر» الذي يوجه الدم من الشريان الأورطي متخطياً نقطة الانسداد في الشريان التاجي.

ووعاء التحويلة رفيع لا يتجاوز نصف قطر قلم رصاص، وتجب خياطته تحت مكبِّر، بخيط دقيق كشعر الانسان. والجراحون لا يستحبون اتمام هذا الاجراء فيما القلب يضخ الدم. لذلك يجب ايقاف القلب. وهذه هي لحظة الحقيقة الحاسمة.

وبينما كان المشرفون يراقبون علاماتي الحيوية كالنبض والحرارة والتنفس، حُوِّل دوران دمي وتنفّسي الى «جهاز قلب ورئة.» وأدار أحد الفنيين مفتاحاً، واذا بالدم الذي كان يتدفق من قلبي واليه طوال ستين سنة أخذ يتدفق من الجهاز واليه. وفي الجهاز أضيف الاوكسيجين الى الدم وأزيل منه أول أوكسيد الكربون. وأجري تبريد للدم بحيث هبطت حرارتي وباتت أنسجة جسمي أقل افتقاراً الى الاوكسيجين. ثم عمد الجراح الى الخياطة والقلب هامد، وأنهى عمله في أقل من ساعة. وأخيرا بدأ المساعدون الطبيون تحرير جسمي من الجهاز ليستعيد عمله الطبيعي.

حين أفقت بعد ساعات شعرت كأنما شاحنة دهستني. وكان صدري يخفق وبدا لي كأنني سأتقيأ الانبوب الذي أولج في حلقي للتنفس أثناء الجراحة.

في الايام القلائل الاولى كنت أشعر بضيق في التنفس، وهي حالة عقدتها سنوات ممارستي التدخين. ولم يفت ذلك الدكتور بول فيليبس زميل الدكتور عكر الذي قال لي: «شاهدت البارحة رئتيك كتلة قبيحة سوداء.»

في اليوم السادس غادرت المستشفى الى البيت. وكانت تلك نهاية ٤٠ سنة قضيتها في التدخين. وبفضل الجراحين البارعين ومحبة زوجتي وعنايتها نجوت من أسوأ ما يحل بالمدخن المدمن: الموت المبكر.

في الاسابيع التي تلت مغادرتي المستشفى شعرت بتحسن كبير. فقوي تنفسي وأصبح الطعام أفضل مذاقاً وغدت نظرتي الى الحياة أكثر اشراقاً. فلم أعد أتوق الى قيلولة طويلة بعد الظهر. وبعد شهر فقط مشيت مع زوجتي ثلاثة كيلومترات. ويمكنني الآن أن أمشي مسافات أطول. وأنا أدرك أن جراحة التحويل لا تعني شفاء. لذلك أمارس التمارين الرياضية وأنظم غذائي كغيري من الذين أجريت لهم الجراحة.

ولكن ماذا عن التدخين؟

ما يدهشني هو أنني بعد نفث دخان السجائر لأربعين عاماً أراني لا أفتقدها مطلقاً. وقد طويت صفحتها الى الأبد.

جوزف براون ■

صور من الحياة

طفل كبير

عندما كنا صغاراً أحضر لنا أبي ذات مساء قطة سيامية صغيرة. وكانت بهجتنا بها عظيمة فنسينا مرور الوقت، إلى أن لاحظ الوالد فجأة أننا في حاجة إلى صندوق رمل تقضي فيه الهرة حاجتها. فقام برحلة عجلى إلى المدينة ليجد أن كل المحلات مقفلة. ولم تثبط الخيبة همته فأغار على صندوق ألعابنا وأخذ منه دلواً ورفشاً صغيرين وانطلق نحو فناء المدرسة المحلية.

وكان جاثماً فوق مرملة الأطفال عندما دخلت الفناء سيارة شرطة. وقبل أن يستطيع الوالد تقديم أي شرح خفض الشرطي زجاج نافذته وسأله: «هل تأتي غالباً إلى هنا لتلعب؟»

ر.ج.

أستاذ انكليزي

كان عميد كلّيتنا يتوقع زيارة أستاذ انكليزي، وطلب مني أن أرافق الأستاذ إلى المكتبة حيث سيكون العميد في انتظاره. وإذ وصل الأستاذ متأخراً عن الموعد رأيت أن أختصر الوقت بسلوك باب جانبي مخصّص للموظفين. ففتحت الباب وأشرت على الأستاذ بالدخول إلى المكتبة حيث كان طلاب يدرسون، ثم أقفلت الباب وراءنا. فظهرت على وجه الأستاذ أمارات الذهول والتفت إليّ وسألني مستغرباً: «لماذا تحجزون طلابكم؟»

«مسجلة» بلهاء!

أنا أم لأربعة أولاد، أكبرهم في الخامسة من عمره. أجدني أحياناً في خضم من الفوضى أحاول أن أعتني بالجميع في وقت واحد. ذات ليلة كنت أغسل الولدين الأصغرين فيما أحاول أن ألبس الاثنين الآخرين ثياب النوم عندما رن جرس الهاتف. فرفعت السماعة وقلت بعجلة: «هالو، لا أستطيع التحدُّث الآن، قل لي من أنت وسأتصل بك لاحقاً!» فسمعت امرأة تلعن قبل أن تقفل السماعة: «كم أكره هذه الآلات البلهاء!»

ج.ك.

فندق الامنيات

كنا عائدين بسيارتنا من العطلة، عندما قررنا أن نُمضي الليلة الأخيرة من رحلتنا في فندق ريفي. فطلب زوجي من موظف الاستقبال «غرفة هادئة بعيدة من ضجيج السير على الطريق العام وساكنة «سكون الموت» إن أمكن.»

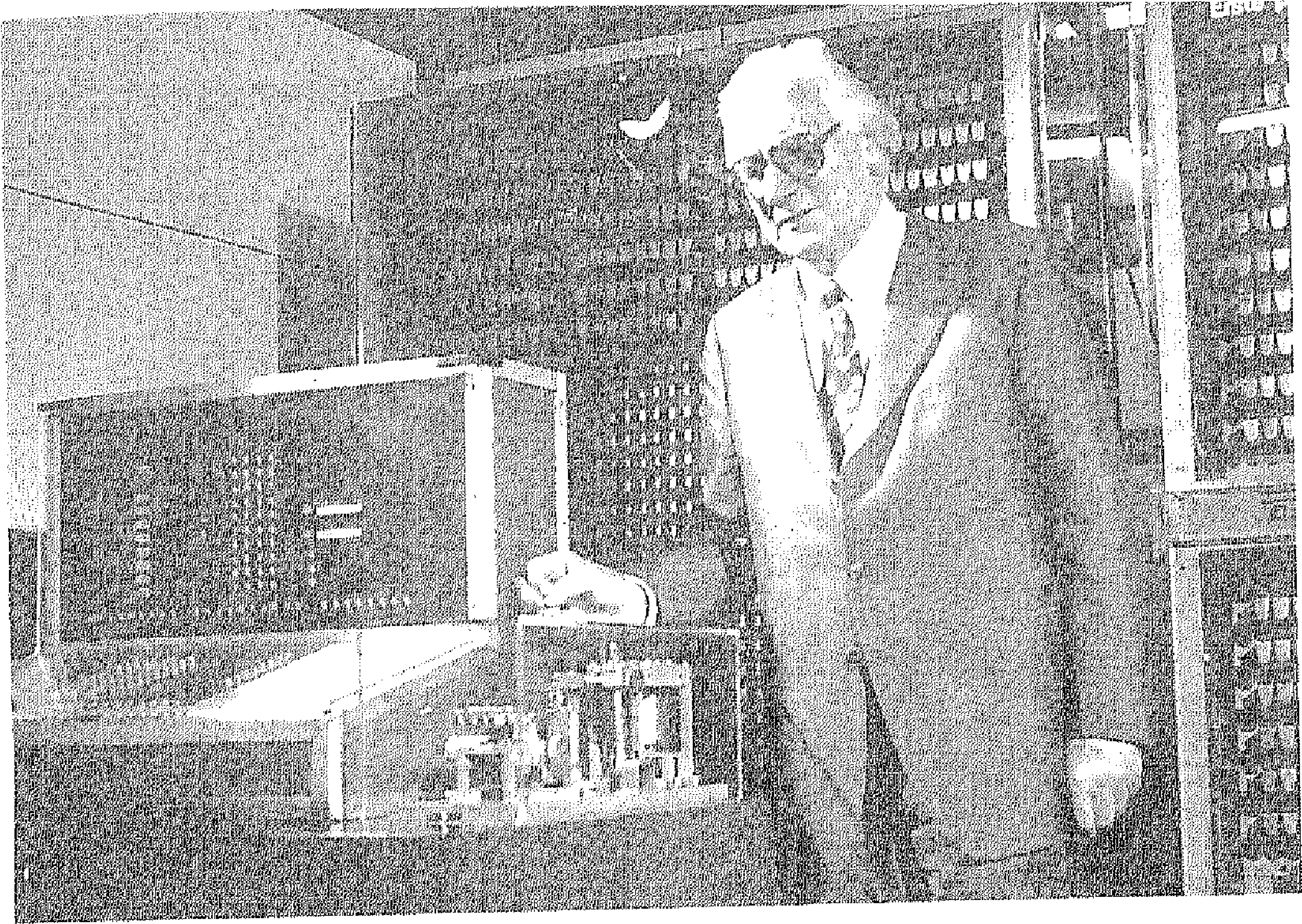
فحظينا بغرفة مريحة في الطبقة الأولى ونعمنا بنوم هادىء وراحة تامة طوال الليل. وفي صباح اليوم التالي ناداني زوجي الذي كان واقفاً أمام النافذة، لالقي نظرة على مشهد خارجي. فأسرعت إليه ودهشت لما رأيت، فقد كانت الغرفة ساكنة سكون الموت فعلاً، لأنها تشرف على مقبرة!

إ.ف.ش.

حكاية الكمبيوتر

قد لا يعني اسمه شيئاً
لكن اختراعه غيّر العالم

كونراد تسوسي والدماغ الالكتروني "Z3".



في خزانة لها واجهة من زجاج، بدت مئات الموصلات الكهربائية كأنها لوحة مفاتيح لشبكة هاتفية قديمة الطراز. وبدت بجانبها لوحة أخرى عليها مفاتيح تحويل وسلسلة أزرار بيضاء حفرت فيها أرقام ورموز.

هذه الآلة التي تدعى "Z3" المعروضة في متحف دوتش في ميونيخ ليست سوى نسخة مطابقة لأول دماغ الكتروني مبرمج وفاعل كلياً. أما النسخة الاصلية القادرة على حل عشرين مسألة حسابية معقدة في دقيقة واحدة فقد اخترعها الألماني كونراد تسوسي[1] عام ١٩٤١.

أصبحت الادمغة الالكترونية اليوم آلات مألوفة في المصانع والمكاتب والمستشفيات وغرف الاطفال. لكن قلة من الناس تعرف قصة هذا الرجل الذي

(١) Conrad Zuse

PHOTO: DEUTSCHES MUSEUM MÜNCHEN

أمضى سنوات من العمل المضني في بناء النماذج الاولى. بل ان الخبراء أنفسهم ظلوا حتى أواسط الستينات يربطون تاريخ هذه الآلات بالأمريكي هاورد أيكن الذي كشف النقاب عام ١٩٤٤ عن الدماغ الالكترو-ميكانيكي[٢] الذي اخترعه وسماه "Mark I". ولم يُعرف دور تسوسي الطليعي في هذا المضمار الا بعدما أقرّ أيكن في رسالة شخصية بانجازات المخترع الالماني.

ويعرض المتحف الالماني اثنين من «أدمغة» تسوسي الاصلية. وقد أُسبغت على المخترع شهادات وجوائز وأوسمة، إذ وضعت في لائحة ملأت ثلاث عشرة صفحة مطبوعة على الدماغ الالكتروني، وبينها وسام ألماني رفيع ولقب «أستاذ فخري» في جامعة غوتينغن وعضوية في الاكاديمية الوطنية للهندسة في الولايات المتحدة.

مع ذلك، عندما زرت تسوسي في منزله في بلدة هونفلد الصغيرة الواقعة على بعد ١٣٠ كيلومتراً شمال شرق فرنكفورت، بدا شغوفاً بالحديث عن الفن كشغفه بالحديث عن الادمغة الالكترونية. اذ بعد تقاعده عام ١٩٦٦ عاد ليمارس هواية الرسم. وأراني بعضاً من لوحاته التي أُنزلت في معارض كثيرة وتباع بمبالغ تبدأ بألف مارك (نحو ٦٠٠ دولار). وأخبرني تسوسي، الرجل الفارع الطول والابيض الشعر محدقاً من خلال نظارة سميكة: «في صغري كنت دائماً أتساءل أيهما أحب الى قلبي: الرسم أم الادمغة الالكترونية؟ أما اليوم، بعد سنين طويلة من التركيز على الرياضيات، أجد متعة كبيرة في ابداع شيء ما على أقمشة الرسم.»

الضجر الخلاق. ولد تسوسي في برلين في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩١٠. وأمضى صباه في مدينتي برونسبرغ (بروسيا الشرقية) وهويرسفردا (سيليسيا) حيث عمل والده مديراً لمكتب البريد المحلي. وظهرت باكراً عبقريته في الفن والتكنولوجيا. وملأ ملفات ضخمة بالتصاميم والرسوم. ومع ذلك كانت لعبته المفضلة مجموعة تركيب بنى منها رافعات وآلات ضخمة.

عندما تخرّج تسوسي في المدرسة الثانوية وهو في السابعة عشرة من عمره، حار بين دراسة الفن أو دراسة الهندسة الميكانيكية. لكنه وجد أن الهندسة تؤمن مجالات أفضل للعمل. فاختار جامعة برلين التقنية. بيد أن الصراع ظل قائماً في ذاته. يقول: «كانت الدراسة تقتصر غالباً على رسوم وتصاميم روتينية، في حين كنت أريد ابتكار الاشياء.»

وبعد سنة ترك تسوسي الجامعة وامتهن الرسم. ولكن في العام ١٩٣٠، بعد سنة من «الانهيار الاقتصادي الكبير»، بات ملايين الناس عاطلين عن العمل. فعاد تسوسي إلى الجامعة مبدلاً اختصاصه بالهندسة المدنية.

(٢) Electromechanical computer

تخرّج عام ١٩٣٥ وحصل على وظيفة مهندس سكونيات[3] ومحلل إجهاد في شركة «هنشل» للطائرات في برلين، حيث انهمك في الحسابات مستخدماً الحاسبات الميكانيكية. فتبين له أن العمل يقتضي وقتاً طويلاً جداً. وضجر من تحويل نتائج العمليات الحسابية من جزء من المسألة الى جزء آخر، ونسخ النتائج التمهيدية على الورق، ثم ترقيمها لاسترجاعها لاحقاً.

إذذاك أخذ يفكر في امكان إختراع آلة تنجز هذا العمل الروتيني بكامله.

ولكن على رغم معرفته العميقة بالميكانيك والرسم التقني كان إلمامه قليلاً بالهندسة الكهربائية وبمبادىء الحاسبات الميكانيكية. وكان في الواقع يجهل المنطق الحسابي تماماً. فناقش المسألة مع أصحاب له من أيام الدراسة وبينهم والتر بوتمان وهلموت شرييز واندرياس غروهمان. فانطلقوا معاً الى المكتبات لسد النقص في معرفتهم. وفي هذه الاثناء ترك تسوسي عمله في شركة «هنشل» وأنشأ محترفاً في مسكن ذويه في برلين.

وكان كلما ازداد معرفة ازداد رفضاً للطرق المتبعة في الآلات الحاسبة حيث تمثّل الارقام باصطلاحات ميكانيكية للأرقام العشرية ومثال على ذلك المسنّنات[4] التي اعتمدت في المراتب المراوحة بين الصفر والتسعة. وعوض ذلك اختار تسوسي «النظام الثنائي»[5] الذي لا يتضمن الا مرتبتين، على غرار الزر الكهربائي الذي يكون إما موصلاً وأما قاطعاً للتيار.

ولبناء هذه الآلة توجب صنع ألوف الصفائح المعدنية يدوياً للذاكرة. فبدأ تسوسي رسم التصاميم، وساعده أصدقاؤه في الأعمال الميكانيكية ومده بأموال استدانوها من ذويهم لشراء اللوازم.

وذكر غروهمان لاحقاً: «إن أداء الآلة الخالي من الاخطاء كان يتوقف الى حد بعيد على دقة عملي اليدوي. كنت ألصق تصاميم تسوسي على رقائق خشبية وأضع الصفائح المعدنية اللازمة بين لوحين، وأثبّت المجموعة ببراغي. ثم أقتطع الاشكال المطلوبة بواسطة منشار كهربائي صغير.»

بدل ٢٠ موظفاً. في أوائل ١٩٣٧ أُنجزت الذاكرة الميكانيكية العاملة، ونجح تسوسي لاحقاً في وصلها بوحدة حسابية ميكانيكية. وكانت الآلة تُشغّل بواسطة محرك كهربائي. وأطلق تسوسي على هذا الدماغ الالكتروني البدائي اسم "Z1" وبرمجه بتخريم ثمانية ثقوب مرمّزة على فيلم قديم من قياس ٣٥ مليمتراً.

على رغم العيوب الكثيرة التي حالت دون عمل هذا الدماغ الالكتروني على

(٣) Statics engineer. والسكونيات أو الاستاتيات فرع من الميكانيكا يعنى بدراسة الاجسام الساكنة او القوى المتوازنة.

(٤) Gears

(٥) Binary system

نحو ملائم، لم يفقد تسوسي ورفاقه حماستهم. وبدأ تسوسي يختبر امكان ابدال الوحدة الحسابية الميكانيكية بمرحّلات كهربائية[٦]، يساعده مهندس اتصالات اسمه شرير. لكنه اصطدم بعقبتين كبريين هما التمويل والحجم الملائم. ففي أواخر الثلاثينات بلغ ثمن أبسط مرحّل بضعة دولارات. ولصنع دماغ الكتروني ذي قدرة وسعة معقولتين، كان تسوسي في حاجة الى ألوف المرحّلات. وبما أن كل مرحّل يشغل عدة سنتيمترات مكعّبة حجماً، تبين أن الدماغ الالكترو- ميكانيكي سيملأ غرفة بكاملها.

وحين حصل شرير على مرحّلات مستعملة بخسة الثمن عدّلها بحسب الحاجة وقرّر بناء نموذج تجريبي مؤلف من مئتي مرحّل يتسع لها محترفه الضيق. وفي صيف ١٩٣٩ كان "Z2" على وشك الاكتمال.

ولكن عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، ألحق تسوسي بالخدمة العسكرية. وبعد ستة أشهر سمح له بالعودة الى عمله السابق في شركة «هنشل» لأن الطائرات كانت ضرورية في المجهود الحربي. فواظب على العمل على الدماغ الالكتروني في أوقات الفراغ.

أخيراً، عام ١٩٤٠، أصبح "Z2" جاهزاً للعرض وأدى وظيفته على نحو ممتاز أثار اهتمام أدولف تاشمان من المعهد الالماني لأبحاث الطيران، وهو اختصاصي ومرجع في «رفرفة» أجنحة الطائرات. أدرك تاشمان أن دماغاً الكترونياً مثل "Z2" سيعجّل العمليات الحسابية في حقله على نحو مثير. ووعد بالمساعدة المالية.

أسس تسوسي شركته الخاصة، وفي نهاية العام ١٩٤١ أنجز "Z3" الذي يقوم بعمل عشرين موظفاً. وهو ضمّ وحدتي ذاكرة وُضعت كل منهما في حجرة بعرض متر ونصف متر وارتفاع مترين. وكانت وحدة الحساب والمراقبة ذات حجم مماثل. وبلغت كلفة المعدات نحو ١٠ آلاف دولار. ويقول المؤرخ الامريكي بول سيروزي، وهو قيّم على قسم تكنولوجيا الادمغة الالكترونية في معهد سميسونيان في العاصمة واشنطن: «كان Z3 يؤدي عمله تماماً، وكان بحق صالحاً في ميادين شتى.»

انتصار وربح. استعمل تسوسي "Z3" كنموذج إلى أن دمر خلال غارة جوية. لكنه تلقى طلبات تجارية كثيرة وأصبح لديه عام ١٩٤٤ عشرون موظفاً. وما لبث أن صنع "Z4" الذي بلغ وزنه نحو ثلاثة أطنان وكان قادراً على إجراء ألف عملية حسابية في الساعة.

وفي فبراير (شباط) ١٩٤٥ غادر تسوسي برلين التي مزقتها الحرب مصطحباً عماله وزوجته جيزيلا التي تزوجها في يناير (كانون الثاني) الى غوتينغن ومعهم صناديق كثيرة احتوت على قطع "Z4". وهناك أُعيد تجميع

(٦) Electrical relays

الدماغ الالكتروني في «معهد الديناميكا الهوائية الاختبارية» ووضع قيد التجربة. يقول تسوسي: «كان فرحي لا يوصف لدى عرض قدرات آلتي على الاختصاصيين، فتلك كانت اللحظة التي عملت لأجلها وانتظرتها عشر سنين.»

لكن عمر الانتصار كان قصيراً. فمع اقتراب القتال من برلين انسحب تسوسي وفريقه الى قرية في جبال الألب البافارية حيث وضع "Z4" في اسطبل.

ولم يظهر انجاز تسوسي إلا بعد أربع سنوات. ففي أوائل العام ١٩٤٩ قدم البروفسور ادوارد ستيفل من «المعهد السويسري الاتحادي للتكنولوجيا» الى البلدة بعدما تناهت اليه أخبار "Z4". وأدرك فوراً أنه أمام آلة تتفوق عملياً على غيرها من المرحِّلات أو الأدمغة الالكترونية الكبيرة الحجم التي طورت في أماكن أخرى. ووقّع عقداً استأجر بموجبه "Z4" لمعهد الرياضيات التطبيقية. وقد عمل هذا الدماغ الالكتروني بفاعلية في زوريخ طوال خمس سنوات ثم نقل الى مختبر سان لوي للأبحاث التقنية في فرنسا.

لقد أمَّن العقد مع المعهد السويسري الاتحادي للتكنولوجيا المال اللازم الذي مكن تسوسي من إعادة إطلاق شركته في نوكيرشن بمقاطعة هيس عام ١٩٤٩. وفي السنوات اللاحقة صمم، وبنى، كثيراً من الأدمغة الالكترونية الصغيرة والمتوسطة الحجم لحساب المعاهد العلمية والتقنية والسلطات الرسمية



المخترع غارق في هوايته: الرسم

والشركات الخاصة. وعلى سبيل المثال، اعتمدت شركة «ارنست ليتز» طراز "Z5" في صناعة عدسات التصوير والأجهزة البصرية. وفي الخمسينات والستينات اشترت سلطات ألمانيا الغربية طراز "Z11" المبرمج لاجراء الحسابات الجيوديسية[٧] ومسح الأراضي. وانضمت الجامعات التقنية الى عداد زبائن "Z22" وهو أحد أكثر منتجات تسوسي دراً للربح. وقد أُنتج منه نحو خمسين جهازاً خلال خمس سنوات.

(٧) الجيوديسيا فرع من الرياضيات التطبيقية يعنى بدراسة شكل الأرض وبقياس سطحها.

PHOTO: ACTION PRESS/ERICH GUTBERLET

وفي أوائل الستينات أصبح تسوسي منافساً حقيقياً لشركة «أي بي ام» في سوق ألمانيا الغربية وحقق مبيعات سنوية بلغت ٢٥ مليون مارك . وبلغ عدد موظفيه ألفاً. لكن المشاكل بدأت تلوح في الافق لاخفاقه في بناء أدمغة الكترونية أصغر حجماً على رغم أنه ضم اليه شركاء أقوياء كمؤسسة «براون بوفري» وشركة «سيمنز.»

وفي العام ١٩٦٦ أصبح تسوسي شبه متقاعد وضمت «سيمنز» شركته اليها. لكنه، الى عمله كمستشار، ظل يعلم ويلقي محاضرات وعاد الى حبه الأول: الفن. وهو جمع في لوحاته الزاهية الألوان عناصر تعبيرية وسوريالية وتجريدية.

ومضى يراقب عن كثب تطور الأدمغة الالكترونية التي تختلف كثيراً اليوم عن تلك التي صممها. يقول: «كان هدفي الاساسي صنع أداة نافعة تحرر الناس من الحسابات المضيعة للوقت. ولم أحلم يوماً بمدى التطور الاجتماعي والعلمي والتكنولوجي الذي بات ممكناً بفضل الدماغ الالكتروني ولا شك في أن التطوير المستمر سيكشف كثيراً من ألغاز الطبيعة ويطرح حلولاً لمشاكل عالمنا المعقدة ولمنفعة الجنس البشري.»

جون دورنبرغ ■



نومة الحمق

كان جحا يعاني صعوبة في النهوض من النوم صباحاً. فطلب من طبيبه أن يصف له دواء. وذلك المساء تناول قرصاً من الدواء فنام نوماً عميقاً وافاق نشطاً قبل أن يرن جرس المنبه. فلبس ثيابه على مهل وتناول فطوره بروية ثم غادر البيت الى العمل. وعند وصوله قال لرئيسه: «أشعر بنشاط تام ولم أواجه مشكلة في النهوض هذا الصباح.»

فرد رئيسه: «عظيم، لكن أين كنت طوال الايام الثلاثة الماضية؟»

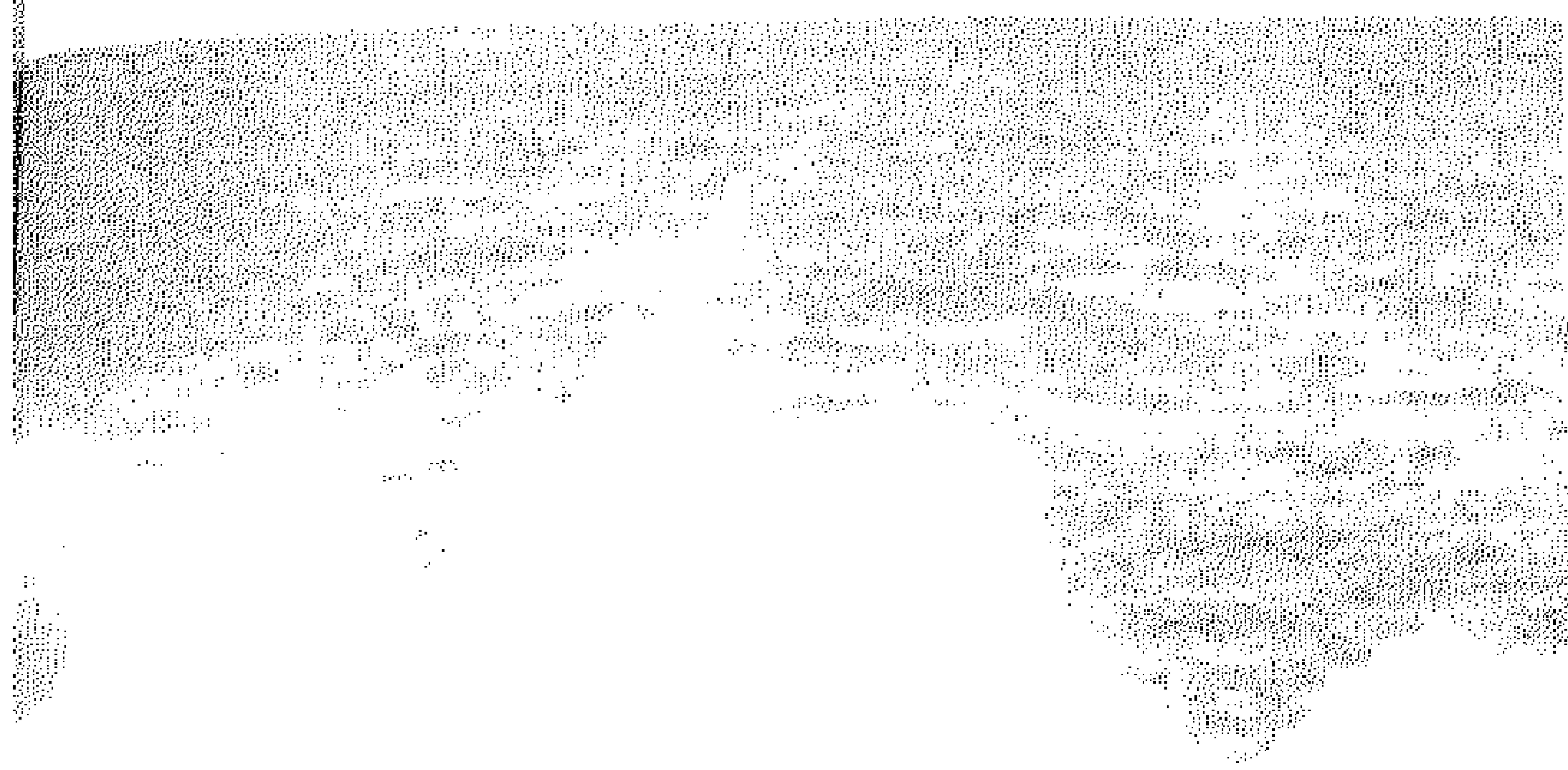
ك.ل

سؤال تقويمي

اعتاد أحد زملائي المدرِّسين أن «يذيِّل» امتحانات آخر السنة بسؤال يساعده على التقويم الذاتي لاسلوبه. والسؤال هو: «ما رأيك في هذه المادة الدراسية؟»

لكنه أبطل عادته عندما قرأ جواب أحد الطلاب: «انها أكمل مادة تابعتها في حياتي. فما لم يُشرح في الصف عولج في امتحان آخر السنة.»

و.هـ.



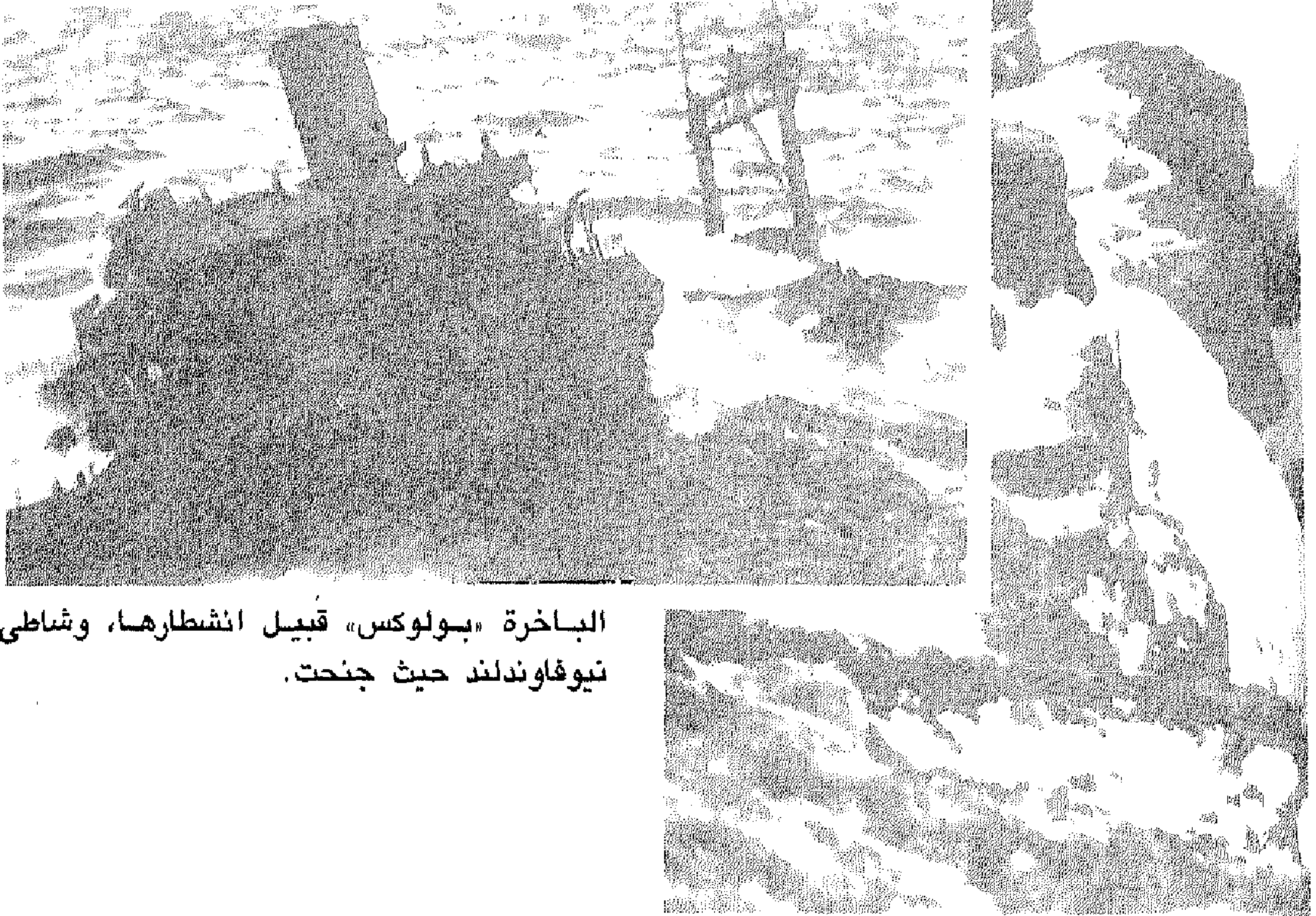


أبطال الجبل المتجمّد

مضى علينا يومان ونحن نشق العباب وسط الأنواء الغاضبة والثلوج والرياح العاصفة على متن «بولوكس»، وهي باخرة تموين للبحرية الامريكية كانت في طريقها الى نيوفاوندلند حيث للولايات المتحدة قاعدة عسكرية كبيرة. وقبيل الثامنة مساء، في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٤٢، أنهيت نوبتي في المراقبة على منصة القيادة. ولم يكن في امكاني الرؤية أبعد من كيلومتر أمامي. وفي مكان ما في تلك المتاهة البيضاء كانت المدمرتان «تروكستون» و«ويلكس» تواكباننا على امتداد الشاطىء الكندي المثلّم.

قلت لبدلي: «ها ان كل شيء في يدك الآن. وأنا لا أحسدك.» كان البرد اخترق جسمي حتى العظم، فنزلت مسرعاً الى مخدعي الدافىء.

في ذلك النهار المشرق كان من الصعب تصوّر العاصفة الرهيبة في الماضي البعيد



الباخرة «بولوكس» قبيل انشطارها، وشاطىء نيوفاوندلند حيث جنحت.

لم تنقضِ بضع ثوان، في تصوري، حتى أيقظني في الرابعة صباحاً صوت تحطم أعقبته ثلاث رجات متلاحقة. سرتُ بين المهاجع المتساقطة والرجال المتعثرين متوجهاً الى ميسرة منصة القيادة حيث كان هدير الامواج المتكسرة يصم الآذان. فشاهدت جرفاً ثلجياً ينعكس بياضه في ظلام الليل ولا يبعد اكثر من مئة متر. واذا بالباخرة تترنّح وتميل على جنبها الأيمن. وكرّت على المتن موجة عارمة فجنحت الباخرة ورست على حيد صخري قليل العمق.

الشاطىء القاتل. في الفجر الرمادي البارد رأينا أنفسنا على بعد ٥٠ متراً من شاطىء صخري صغير، وراءه طنف صخري يرتفع حوالى ثمانية امتار، وخلفه جرف يكسوه الجليد.

كانت خزانات الوقود تمزّقت، وتدفق السائل الكثيف منها وغطى الامواج. وكان مؤخر الباخرة لا يزال عائماً يترجح بعنف مع الامواج المتدافعة، وقعرها ينسحق على الصخور. وكانت العاصفة تزداد عنفاً فتمزق فتحات العنابر التي تحولت مجمّعاً مزبداً من الماء والخشب والكرتون وبقايا الحمولة. وكانت الباخرة تهتز بضربة كل موجة.

كانت المدمرة «ويلكس» طليقة من الصخور لكنها تتخبط في الامواج الثائرة، ولم تتمكن من الاقتراب لمساعدتنا. فأرسلت الينا شارة بمعنى: «تسربت المياه الينا أيضا. سنبقى معكم الى أن تصل النجدة.» أما المدمرة «تروكستون» فلم يبن لها أثر.

أيقنا أن ليس في استطاعتنا انقاذ باخرتنا، وسنكون محظوظين اذا نجونا بأنفسنا. وتطوع خمسة من الملاحين للوصول الى الشاطىء في الزورق الآلي الوحيد الذي نجا من التحطم. فقادوه عبر متاهة من الصخور الناتئة الخطرة وما لبث أن قُذف الى شق ضيق في جنباتها. لم يصل سوى ثلاثة الى الشاطىء، فأرسلوا الينا اشارة بمعنى: «ذاهبون لطلب النجدة.» وبانوا وهم يتسلقون الجرف كأنهم ثلاث نملات سود. كانوا أملنا الوحيد في النجاة، خصوصاً لأن الخريطة لم تُظهر لنا شيئاً سوى قفر خال ينبسط حولنا مسافة كيلومترات.

وعنفت الرياح. وشاهدت شقاً على امتداد متن الباخرة ابتداء من مقدم منصة القيادة. واذا بموجة كالطود تضرب، وسُمع صوت كقنبلة مدفع، وشاهدت بهلع مقدم الباخرة ينفصل كلياً ويصطدم بالصخور، فاعتلى القبطان منصة القيادة متجهم الوجه، وخاطب البحارة: «كل من يشعر بالقدرة على بلوغ الشاطىء يمكنه مغادرة الباخرة.»

نزل أكثر من ٩٠ بحاراً بالحبال على جوانب الباخرة، وبعضهم غاب في اللجة حالما بلغ المياه الجليدية المغطاة بالحطام والوقود، وبعضهم جرفته الامواج المتدافعة الى الشاطىء. ولم يكتم هدير الامواج استغاثات الغارقين.

كان القبطان من منصته يشاهد بحارته يبتلعهم البحر الهائج واحداً بعد الآخر. شعر بأن كلا منهم مثل ولده. ثم أصدر أوامره: «ليكف الرجال عن النزول.» فمن الذين نزلوا تمكن عشرة أو خمسة عشر فقط من الوصول سالمين الى الشاطىء، وطفت جثث الباقين مالئة صفحة الماء.

دروع جليد. في وقت متقدم من الصباح عاد الينا الأمل، اذ نجح اثنان من الذين نزلوا على الحبال في الوصول الى الشاطىء. فتوجه بعض البحارة الى المنصة المحطمة وحاولوا قذف حبال نجاة الى الرجال على الشاطىء.

ومرَّت في مخيلتي البرقية التي ستتسلمها زوجتي والتي تعلن وفاتي: «تأسف البحرية اذ تعلن وفاة...».

وكان القبطان يقف على جناح المنصة، فأخذ لفة حبل رفيع متين وربط بطرفها سماعة هاتف ولوّح بها مراراً ثم أطلقها برمية رائعة أوصلتها الى الشاطىء. بعد ذلك ربطنا حبلا أثخن بالحبل الرفيع سُحب الى الشاطىء حيث شد الى صخر.

علّقنا على الحبل كرسياً وتطوع مجنَّد قوي لاختبار العبور. فجلس في المقعد وانزلق بحذر على الحبل فوق المياه المزبدة وما لبث أن وصل الى الشاطىء سالماً. وجاء دوري بعده واستمرت العملية المكوكية على مدى ساعات. وعند اقتراب الغسق بقي على المنصة شخص وحيد ركب الكرسي وانزلق نحونا. ولدى وصوله اطلقنا هتافاً مدوياً على الجرف. انه القبطان.

انتقلنا الى رف صخري أعلى وتكوّم بعضنا على بعض التماساً للدفء كالماشية في عاصفة ثلجية. كنا مئة رجل محتجزين على ذلك الجرف ومعزولين عن كل أسباب الحياة. وكان يراود كلا منا هاجس واحد هو: هل نجونا من السفينة لنموت على هذا الجرف العاري؟

كنا نضرب الارض بأقدامنا ونلكم بعضنا بعضاً خوفاً من التجمد والموت. وحين مُرّر علينا اللحم المعلّب دفعناه الى أفواهنا بأيد قذرة ملوّثة بالوقود والتهمناه بشراهة. وحوّل الرذاذ القطبي بذلاتنا دروعاً من جليد.

ثم سمعت صوتاً يخترق هدير العاصفة: «ها هو آت!» واذا بأحد البحارة يُسحب الى أعلى الجرف بحبل. لقد وصل المنقذون!

جبابرة. لم يكن الخطر قد زال بعد. فالمد في ارتقاع متعاظم مع كل موجة تتكسر على الجرف، فهل يتسع الوقت لانقاذنا جميعاً واحداً بعد واحد؟

مرت ساعة مثقلة بالخوف، واذا بي أسمع صراخاً وصياحاً، لقد جرفت الأمواج عن الطنف خمسة رجال غابوا في غمار الأعماق والظلام. كانت الساعة الثامنة مساء وقد مرت ١٦ ساعة من الرعب والارهاق منذ جنوحنا. وما لبثت ان وجدتني مربوطاً بحبل حول خصري ورحت أرتفع الى أعلى الجرف. ولدى بلوغي القمة نُزع عني الحبل فسقطت على الثلج منهكاً لا أقدر على الحراك. فساعدني أحد سكان نيوفاوندلند على الوقوف وقادني وأنا أتعثر فوق الصخور والروابي الجليدية الى حيث كانت نار تتوهج على بعد حوالى ٤٠٠ متر. وكانت النار أوقدت في أخدود صغير هو البقعة الوحيدة التي توفر وقاية من البرد في كل تلك الانحاء. وجرّني أحدهم الى وسط الدائرة فغمرني الدفء وكأني أحس الحرارة لأول مرة في حياتي.

وحين استعدنا حواسنا علمنا أن منقذينا هم جماعة من صيادي الاسماك من لون التي تبعد ستة كيلومترات. فقد كان الفتى أدولف جارفيس يصطاد طيور البحر في رأس ويبرز ذلك الصباح، وحين توقف سقوط الثلج شاهد سفينتنا

راسية على الحيد قريباً من الشاطىء. فأسرع وسط العاصفة طلباً للنجدة.

لم يصدقه أحد في بادىء الامر. لكن أحد القرويين قال: «لو كنت أنا في خطر في مثل هذا الطقس لرغبت في أن يعمد أحد الى التدقيق في الامر.» ومضى الفتى الصياد والقروي يشقان طريقهما الى رأس ويبرن. فشاهدا السفينة الجانحة وعادا الى قرية لون واصطحبا عدداً من الرجال وجصاناً لحمل الحبال الثخينة والفؤوس، وظل الرجال يصارعون الثلج والعاصفة والارض الوعرة طوال ساعات حتى انتهوا الينا. ثم عملوا ليلا كي ينتشلونا من ذلك الطنف الخطر.

ووصلت مجموعة أخرى من المنقذين بينهم عمال مناجم من سانت لورنس التي تبعد عشرة كيلومترات. وكان أحد البحارة الذين ركبوا الزورق الآلي من الباخرة نجا وأكمل مسيرته وطلب النجدة وروى لنا عمال المناجم مصير المدمرة «تروكستون.» فهي أيضاً جنحت الى الشاطىء وتحطمت. ومن بين ١٥٦ رجلا كانوا على متنها لم ينج سوى ٤٦. وهؤلاء أنقذهم العمال أنفسهم الذين شاركوا في انقاذنا. ولم يسعني الا الاعجاب ببلاد تنبت أمثال هؤلاء الجبابرة في الجلّد واحتمال المشقات.

قبيل مطلع الفجر انطلقنا الى منجم ارون سبسرينغز. وحُمِّل الرجال الذين كانوا في حال سيئة جداً على المزالج، فيما مشى الباقون متعثرين في مناسف الثلج وعلى الارض المكسوة بالجليد.

ولدى بلوغنا المنجم أعطانا أهل سانت لورنس طعاماً من غداء عمال المناجم ونظفوا أجسادنا المتجمدة من الزيت والوقود وأصرّوا على أن نأخذ قفازاتهم وكنزاتهم ولفاعاتهم حتى نهاية الرحلة.

ونقلتنا شاحنة الى سانت لورنس حيث أُخذنا الى منازل للسكان وقدمت الينا عناية طبية. وألبسنا ثياباً نظيفة ونمنا في أسرة وحولنا حجار ساخنة لتدفئة عظامنا التي نخرها البرد. أما أنا فكان نصيبي الاقامة في منزل السيدة لورا روز التي أظهرت من اللطف والعطف ما لا يوصف.

وما بقي من الرواية لا يزيد على نتف بقيت عالقة في ذاكرتي، الى نوم عميق هادىء لم تعكره كوابيس.

فقدنا ٩٣ رجلا ونجا ١٤٠. وقد أثرت شجاعة النيوفاوندلنديين في الرئيس الاميركي آنذاك فرنكلين روزفلت الى حد أنه بعث برسالة شكر شخصية. وشيّدت حكومة الولايات المتحدة في ما بعد مستشفى لهم عربون شكر وعرفان.

فيض محبة. في ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٨٨، بعد ٤٦ سنة، عدت الى نيوفاوندلند لمدة خمسة أيام للاجتماع ثانية بهؤلاء الناس الذين جازفوا بحياتهم في سبيل انتشالنا من أشداق الموت في الخضم الثائر. وفيما سارت بنا الحافلة في ظلام الريف الكندي في الثانية صباحا وهي تقلّ ١٣ بحاراً أمريكياً قديماً، شاهدنا توهج الانوار في

سانت لورنس، ولم نكن نتوقع انواراً متوهجة في بلدة لا يتعدى عدد سكانها الالفين.

كانت البلدة كلها بقيت ساهرة استعداداً لاستقبالنا. فالشيب والشباب اصطفوا في الشوارع يهتفون ويلوحون، ورافقنا موكب من ٥٠ سيارة. وفي كل بيت أنوار وأعلام تكاد تحجب معالمه، ولافتات جاء فيها: «اهلا وسهلا بالناجين من بولوكس وتروكستون.»

هؤلاء الناجون المسنّون الثلاثة عشر استُقبلوا كالابطال. والدموع التي عزّ سكبها في ذلك اليوم المتجمد من العام ١٩٤٢ هطلت في هذا اليوم السعيد.

صباح اليوم التالي زرت وزوجتي مسكن الفتى بروس لايك (١٣ عاماً) الذي كان جده أحد المنقذين.

وفيما كنا على أهبة مغادرة المنزل ناولني بروس مفتاحاً وقال لي: «أرجو أن تعتبر هذا المنزل بيتك.»

خلال اللقاء كان هناك فيض من العواطف والمحبة وصل فراغ نصف قرن. في تلك البلدة الصغيرة كان كل من السكان يمتّ بنسب اما الى صياد ساعد في سحبنا الى أعلى الجرف، واما الى عامل منجم سار كيلومترات متحدياً العواصف والثلوج، واما الى ربة منزل نظفتنا وأطعمتنا.

ذهبت الى منزل واليس روز الذي كانت أمه اعتنت بي في تلك الليلة. فأخبرني أنها ماتت. لكن واليس كان هو ذاته ذلك الشاب ابن الثامنة عشرة الذي نزع قفازه ومعطفه وأعطاني اياهما حين أحضرني الى المنجم.

والتقيت جيم درايك، الوحيد الباقي من المجموعة التي شدّتنا الى أعلى الجرف. كان قصير القامة متين البنية وقد قال لي: «كنتم في نظري دائماً أبطالاً.»

فأجبته: «أنتم لم تكونوا تعرفون أحداً منا، ومع ذلك كابدتم الاهوال وخاطرتم بأرواحكم لانقاذنا. كنتم انتم الأبطال الحقيقيين.»

لقاء أخير. بعد صلاة تذكارية توجهنا الى المقبرة حيث دفنت الضحايا في انتظار نقل رفاتها الى الولايات المتحدة. وكانت أمامي بلاطة بسيطة من الصوان وعليها لوحة برونزية تخليداً لذكرى الذين ماتوا من بحارة الباخرة «بولوكس» والمدمرة «تروكستون.» وغمر الضباب الخفيف أطراف المرفأ وغشيت عينيّ الدموع فيما كان النيوفاوندلنديون يكرمون الموتى بصلوات صامتة وخشوع كما كانوا يفعلون كل سنة في ١٨ فبراير (شباط) منذ العام ١٩٤٢.

في الصباح التالي اقتربت من صياد يجفف شباكه على شاطىء لون وطلبت منه أن يأخذنا الى المكان الذي شاهد منه الفتى أدولف جارفيس الباخرة بولوكس للمرة الاولى. انطلقنا في شاحنته في الطريق الوعرة، فراعني منظر الصخور الشاهقة حولي والمياه المتلالئة والتلال المترامية. وغلبتني الرهبة. كان

من الصعب تصور تلك الليلة العاصفة بالريح والثلج والجليد، وأن ذلك هو المكان الذي شهد فاجعتنا وتحطم باخرتنا وصراخ الاستغاثة. فقد بدا في هذا النهار المشرق مثل صورة جميلة في بطاقة بريدية.

في طريق العودة توقفنا لتصوير رجل كان يجز القش بمنجله الطويل، فقد أردت أخذ دليل معي الى الوطن على ان الشمس تشرق أحياناً في نيوفاوندلند.

سألني بلهجته القوية: «هل كنت حقاً من بحارة بولوكس؟» وطوقني فجأة بذراعيه القويتين ودموعه تنسكب على خديه. وأضاف: «لم أكن أتوقع أن أراك ثانية. لا، لم أتوقع ذلك أبداً.»

كان ذلك الرجل أدولف جارفيس الذي شاهدنا من الجرف وأحضر لنا النجدة في ذلك اليوم الغارق في بُعد الماضي والذكريات.

هنري شتراوس ■

انتقام زوجة

تشكو زوجتي على الدوام من أعطال في سيارتها، لكن هذه تسير بلا مشاكل كلما قدتُها أنا.

أخيراً أعلنتُ أن المشكلة لا بد أن تكون في السائق لا في السيارة. وذات صباح، فيما كنت أستعد للذهاب إلى عملي، تحدتني زوجتي أن أقود سيارتها بدل سيارتي، فوافقت.

وذهبت هي في سيارتي إلى السوق. وعندما عادت إلى البيت وجدت شرطياً ينتظر. فسألها إن كنا نملك سيارة «فورد غرانادا» من طراز ۱۹۷۹ بنّيّة اللون. فردت بالإيجاب. فأخبرها الشرطي أن السيارة وُجدت مهجورة على الطريق العام. ولا بد أنه ذهل عندما هتفت: «هاها! لقد نال ما يستحق.»

ب.ج.

كلبة ايطالية

قبل أن يسافر صديقي في رحلة تدوم أسبوعين أخذ كلبة العائلة إلى بيت حميه وهو ايطالي. وعندما عاد من سفره واسترجع الكلبة، ظلت هذه ترفض التهام عشائها لمدة ثلاثة أيام. فاعترى الهم صديقي واتصل بحميه وسأله: «هل كانت حلوة تأكل عندما كانت عندكم؟»

أجابه حموه: «نعم. ولكنْ تذكَّر أنها أصبحت ايطالية مثلنا. يكفي أن تسخن لها ملعقتين كبيرتين من مرق السباغيتي وتسكبهما فوق طعامها.»

وهكذا عادت حلوة تأكل بشهية.

ج.ل.

ميدلين مدينة المخدرات

مدينتي، مسقط رأسي، موطن أكبر تكتل لتجار الكوكايين في العالم وأهلها، أهلي، يدفعون الثمن باهظاً

ثمانية وعشرون ثقباً. ٢٨ رصاصة. العمر: ٢٨ عاماً. الرصاصات الثماني والعشرون أطلقت بحنق، واحدة واحدة، من مسافة قريبة. نفذت في الجلد واحدة تلو أخرى، وفي اللحم فشرطته، وفي العضل فمزقته. محقت الأعضاء الحيوية في البدن، ثم انفجرت بهياج ضار لدى خروجها من الجسد الهامد، فغادرته ومعها أحلام الشاب القتيل وغده.

أنباء الاغتيال لم تذكرها الصحف الصادرة في مسقط رأسه ميدلين في كولومبيا. فالناس ألفوها، اذ ان عشرات من حوادث القتل هذه تقع كل أسبوع في تلك المدينة. ولم تأتِ على ذكرها الصحف التي تصدر في مدن كولومبية أخرى، فهي ليست أخباراً ذات شأن في بلد حصل فيه ما ينوف على ١٢ ألف جريمة قتل عمد عام ١٩٨٨. ولم تبرق وكالات الأنباء الدولية الى فروعها الأجنبية بهذا الحدث، فثمة ألوف من حوادث القتل تقع في العالم كل يوم.

لم يكن اسم القتيل ذائعاً مثل اسم زعيمه. وكان تجار المخدرات يتعقبون هذا الزعيم. ولم يكن الزعيم مجرد اسم كبير في التجارة «السوداء» للكوكايين، بل كان ايضاً ابن أسرة واسعة الشهرة في كولومبيا. وقد بحث عنه أرباب المخدرات لتصفية حسابات قديمة، لكنهم لم يقعوا له على أثر. وعثروا بدلاً منه على الشاب الذي يمسك دفاتر حساباته، فانتابهم الغضب ومزقوا جسده بالرصاص.

لا يتعاطى الكولومبيون المخدرات العالية الجودة المتوافرة عند ناصية أي شارع في مدن الولايات المتحدة الأمريكية. اذ أن اهل كولومبيا لا

CONDENSED FROM NEWSWEEK (MARCH 14, '88), © 1988 BY NEWSWEEK, INC., NEW YORK, N.Y., WITH ADDITIONS BY THE AUTHOR

يسعهم أن يشتروها. ولذا أنتج أرباب تجارة المخدرات في ميدلين مادة للاستهلاك المحلي تدعى «باسوكو» وهي الفضلة المتبقية بعد تنقية الكوكايين من الشوائب. وهكذا غدت النفايات ترزم وتباع سجائر. وهي أفتك من المخدرات المركبة كيميائياً وأرخص من الماريوانا. وأصبح فتية كولومبيا يموتون من أجل بضعة دريهمات، على غرار الأحداث في المدن الامريكية ممن أصبحوا أسواق اختبار لهذا المخدِّر القاتل.

وإنها من المرات القلائل أن تُنتج سلعة لا فضلات تُطرح بعد تصنيعها، وتجني كل قطعة منها ربحاً. وهو أمر لا يعود على كولومبيا بالخير أبداً، اذ ان المال الذي تدره مبيعات هذه السلعة يوهن مؤسسات البلد.

ويُذكر أن صادرات كولومبيا الى الاسواق العالمية عام ١٩٨٨ بلغت نحو خمسة مليارات دولار من الصناعات القوية كالبن والزيت التي تمثل جهداً مشتركاً لملايين العمال. غير أن رهطاً من الرجال في ميدلين يصدِّرون وحدهم ما ينوف على مليار دولار من الكوكايين سنوياً. أرباب تجارة المخدرات هؤلاء هم أكثر ثراء من الدولة وأقوى.

وأصحاب الملايين كحبات التراب لا يحصون في ميدلين. تراهم ينهبون الشوارع في سيارات برّاقة جديدة من «مرسيدس» و«بي إم ف» و«رولز رويس» وكلها واقية من الرصاص. وما يثير الفزع في أصحاب الملايين أولئك هو حداثة سنهم. لقد بدأ زعماء المخدرات جمع ثرواتهم في سن المراهقة أو في بداية العشرينات. واذ بلغوا الثلاثين كانوا من أصحاب عشرات الملايين. وشركاؤهم أفتى منهم. صبية ميدلين مدعوون اليوم إلى المساهمة في منجم الثراء هذا ليكسبوا ملايينهم الخاصة، وهم ليسوا في حاجة الى شهادة ثانوية أو درجة جامعية.

كيف يتسنى للأب في ميدلين أن يشير على ابنه بالذهاب الى المدرسة لرفع شأنه وشأن أسرته؟ أيهما أفضل في ذهن المراهق العادي: العلم أم سيارات المرسيدس والبي إم الجديدة؟ إن الأب العادي نفسه لا يقوى على وضع هذين الامرين في مرتبة واحدة. فهو في الغالب يشتهي تلك المرسيدس أيضاً. وعلى هذا المنوال يموت فتيان ميدلين، يقتلهم صبية آخرون عاجلون كي يصبحوا أصحاب ملايين.

يجيء الموت برصاصة يطلقها ولد يركب دراجة نارية. فالدراجات وراكبوها المعتمرون خوذاً سوداً هي آلات القتل التي يستعملها زعماء تجارة المخدرات.

ميدلين مسقط رأسي. فيها أحببت قبل سنين، وعلى أرضها ولد ابنائي. وأبي مدفون في ثراها. إني لأذكر تماماً أعياد الميلاد والحفلات العائلية والجنازات ومناجاة الأحبة في منتصف الليل. وميدلين أيضاً موطن «الكارتيل»، ذاك التكتل الذي يضم أقوى مجموعة من تجار المخدرات في العالم بأسره. وهي

موطن الشاب القتيل ذي الثمانية والعشرين ربيعاً. عائلته شبيهة بعائلتي. وأبوه صديقي، ولطالما أمضينا معاً ليالي أنس وسمر هناك. ثُكل الأب ابنه أليهاندرو ذاك في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧.

«مدينة الربيع السرمدي» و«القرية الآسرة» لقبان أطلقا على مدينتي. في يفاعتي كان الوصفان ينطبقان عليها تماماً، فهي مدينة الجمال والفتنة يحتضنها وادٍ مخضر ترتع فيه أقواس قزح.

يا لذكرى الليالي المقمرة. أثب فوق سياجات حظائر الثيران، وأفتح الرداء الأحمر بتؤدة متحدياً البهيمة السوداء أمامي فيما تصطك ركبتاي ويسيل العرق بارداً في بدني. اني لأسمع حتى اللحظة صوت صاحبي هانس آتياً من السياج: «لا تجبن، انك قادر على ذلك.» وتهجم علي كتلة تزن ٤٥٠ كيلوغراماً وفي رأسها مديتان ماضيتان، فأعدو أمامها هارباً، أنا الولد الناحل.

كنا في الخامسة عشرة من العمر، وما من أحد منا سمع بالحشيشة أو الباسوكو أو ما شاكلهما، ولا بساعات «رولكس» أو سيارات الـ «بورش.» كلمة «البغال» عرفناها صفة تطلق على الأولاد غير النابهين في المدرسة. فيما «الكارتيل» اسم لوحة اعلانات تعلن الموعد التالي لمصارعة الثيران. وكان هنشو فيلا، الطبيب والمعلم الطيب، يعلمنا الاصغاء الى موسيقى بيتهوفن وموزار. وهو أوعز إلينا في أن نقرأ كتابات الأدباء ميسترال وريمارك وجويس. تعلمنا من مؤلفات ميسترال الجمال، ومن ريمارك بغض الحروب، ومن جويس أن الفتيات أهم من لعبة كرة القدم. بعضنا أصغى اليه، ولا أظن أن رفيقي هانس كان مصغياً، لكنه كان يقرأ أدب جويس.

قبل أربع سنوات أُصيب هانس بنوبة قلبية أودت به. أحزنني الخبر، لكني لم أغتم طويلاً اذ بلغني أن ابنه (٢١ عاماً) قُتل بالرصاص عندما حاول الحؤول دون سرقة سيارة احدى الفتيات. لا يا هانس، لم أعد حزيناً عليك. فأنت لا ترى ما يجري في ميدلين.

وقبل ثلاث سنوات زرت ميدلين مع زوجتي الأمريكية المولد. معظم ما اذكره عن المدينة تبدّل أو اندثر. الحظائر التي كنت أذرعها ركضاً أهوج متعقباً أحلام العظمة حلّت مكانها نوادي الديسكو الوهاجة. والمعلمون في هذه الأيام يعرضون على تلاميذهم وظائف في تجارة الكوكايين. الصبيان ينتعلون أحذية «أديداس» المطاطية الخفيفة ويرتدون سراويل جينز من طراز «جورداش». يولون ساعات «رولكس» وسيارات «البورش» جل اهتمامهم. وكلمات «بغال» و«كيلو» و«كارتيل» لها عندهم دلالات.

شبان اليوم لا يلقنون الجمال كما عبر عنه الأديب ميسترال. وهم في غنى عن جويس يعلمهم سبل التودد إلى الفتيات، ففي السن الخامسة عشرة يعرفون أكثر مما كان يخطر في بالنا.

لكنهم لا يحلمون، انهم يشترون ويَقتلون ويُقتلون.

في مدينتي أكبر نسبة من الجرائم في العالم اليوم. أسماء المشاهير من القتلى فقط تظهر في العناوين الرئيسية التي تضرب صفحاً عن أسماء الناس العاديين. وهي أسماء مُغفلة لا يعرفها العالم، لكنها ستبقى في ذاكرة ذويها. لعل قتلتها نسوها، لكني لم أنسها. فذكرى أليهاندرو تسكنني حتى اليوم.

أيا هانس، أتذكر حين طردنا أولئك الصبية من الملعب كي نلعب معاً؟ أوتَذكرهم إذ عادوا بما حسبناه آنذاك آلافاً مؤلّفة من أصحابهم ليشبعونا ضرباً، وكيف قررنا بتبصر أن نفوّت فرصة التحدي فلذنا بالفرار؟ حسناً، يا صديقي الأعز، أمثال هؤلاء الفتيان اليوم كانوا سيعودون مدججين بالرشاشات والقنابل اليدوية. ألا تصدق قولي؟ اسأل اذاً ابن صديقي، أليهاندرو. أو اسأل ابنك أنت. يا للثمن الباهظ الذي ندفعه للمخدرات في ميدلين.

أوسكار كالي ■



الضرير والقيثارة

أصيب عازف الغيتار البارع دوك واطسون بالعمى وهو في الثانية من عمره، لكن عائلته لم تدعه يوماً يشعر أنه مُعاق.

وهو يقول: «كان اخوتي يأخذونني الى خارج المنزل لالعب معهم. كنت اتسلق الاشجار واسقط منها مثلهم تماماً. وقد علّمني ذلك كيف أجد الاشياء من طريق الصوت والصدى.»

وكان لوالد واطسون أثر خاص في تقوية اعتماده على نفسه. ويقول واطسون متذكراً: «كنت في الحادية عشرة من عمري عندما دخل الغيتار حياتي. اختار لي ابي آلة «بانجو» صغيرة وقال لي: «اليك به، يا بني. اتقن العزف عليه يساعدك على مواجهة العالم». فبدلا من أن يقول لي: «يا بني انت ضرير»، واجهني بالتحدي.»

صحيفة «واشنطن بوست»

محظوظان

كنت واقفاً مع أمي في صف طويل أمام صندوق الدفع في أحد المخازن. وعندما بلغنا أمينة الصندوق ناولتها أمي سلعة تبيّن أنها لا تحمل بطاقة السعر. فهتفت امّي يائسة: «لماذا اختار دائماً السلعة التي لا تحمل بطاقة الثمن؟» فعلّق الزبون خلفنا متذمّراً: «ولماذا أقف دائماً في الصف وراءكما؟»

ك.ا.ك.

أخبار العالم

ثياب مدفئة

قد يُعاد النظر جذرياً في طرق تدفئة الجسم بفضل معالجة القماش حتى يخزِّن الحرارة ثم يُطلقها مجدداً.

الطريقة الجديدة في المعالجة التي سجلت براءة اختراعها مصلحة الأبحاث الزراعية في الولايات المتحدة الأمريكية، تعالج القطن والصوف والألياف التركيبية بمركب كيميائي رخيص يُدعى «بوليترم» (متعدد الحرارة). وعندما ترتفع حرارة الجو تمتص الجزيئات الكيميائية السخونة وتخضع لـ«تحول طوريّ» شبيه بتحول الماء السائل. والتحوُّل الطوري يحبس الطاقة في داخل القماش إلى أن تنخفض حرارة المكان مجدداً إلى أدنى من حرارة التحوُّل الطوريّ. حينذاك تأخذ الجزيئات بإعادة ترتيب نفسها مطلقة الطاقة المخزونة على شكل حرارة.

إذا شُحنت جاكيت رقيقة صنعت من مواد معالجة كيميائياً، بطاقة حرارية آتية من تحوُّل طوريّ، فلسوف تعوق ما يكفي من الدفء لمعادلة ذلك الذي تشيعه في الجسم الثياب الأكثر حماية من البرد. وعلى غرار ذلك، يستطيع حرام مماثل أن يُستخدم في ساحة المعركة أو على الطريق العام لحفظ الحرارة ثابتة إلى حد ما في جسد إنسان جريح.

هـ.ب.

اللون العدائي

الزي الأسود يجعل لاعبي كرة القدم والهوكي يبدون أكثر فظاظة ويتصرفون بعدوانية أكبر، هذا ما أظهرته دراسة أجراها عالمان نفسيان من جامعة كورنيل في مدينة ايتاكا بولاية نيويورك.

فقد حلل توماس جيلوفيتش ومارك فرانك محاضر الجزاء لـ٢٨ فريقاً ينتمون إلى «الرابطة الوطنية لكرة القدم» من ١٩٧٠ حتى ١٩٨٦. فكانت أربعة فرق ترتدي الزي الأسود وفريق يرتدي الزي الأزرق الداكن من بين الفرق الاثني عشر الأكثر تعرضاً للجزاء. وعلى غرار ذلك، كانت الفرق الثلاثة الأكثر تعرضاً للجزاء في الرابطة الوطنية للهوكي خلال السنوات الـ١٧ أعلاه ترتدي أزياء سوداً.

دفعت هذه النتائج الإحصائية العالمين النفسيين إلى إجراء اختبارات. فعرضا على معجبين بكرة القدم وعلى حكام فيها أحد شريطي فيديو يصوران لعباً تمثيلياً لفريق يرتدي الزي الأسود في الشريط الأول، والزي الأبيض في الشريط الثاني. فحكم مشاهدو الشريط الأول على اللاعبين بأنهم عدوانيون و«وسخون» أكثر مما فعل الجمهور الذي عرض عليه شريط المدافعين بالزي الأبيض، مع أن الحركات الدفاعية كانت هي هي.

صحيفة «وول ستريت جورنال»



السر ادموند هيلاري يحمل الواحاً خشبية لبناء مدرسة جديدة في اقليم خمبو.

ساعده أبناء الشيربا على قهر جبل افرست فساعدهم على قهر الفقر والأمية والمرض

إدموند هيلاري قاهر الفقر

السر ادموند هيلاري هو أول من تسلّق أعلى جبل في العالم. وبالنسبة اليه، كان التجهيز لبعثة العام ١٩٨٨ في النيبال شبيهاً جدًّا بالتحضير لبعثة العام ١٩٥٣ لقهر جبل افرست. كان الأمر يتطلّب خزن المؤن قبل أشهر من الانطلاق، واستخدام مئات الحمالين. ولكن كان هناك فارق أساسي مميز لهذه الرحلة التي تأتي في الذكرى السنوية الخامسة والثلاثين لتسلّق جبل افرست. ففي رحلته الرائدة اضطر هذا النيوزيلندي الشجاع الى تحدي الثلج الكثيف والرياح العنيفة والليالي القارسة. أما في العام ١٩٨٨ فالعقبتان الأشدّ هولاً كانتا الأمية والمرض اللذين أعاقا على مدى قرون تقدم أبناء الشيربا النيباليين الذين يقارب عددهم ٥٠ ألفاً.

كان أبناء الشيربا الذائعو الصيت جبليين أقوياء يقطنون في جبال حملايا الشرقية. ومنهم يتم اختيار الحمالين والطباخين وسائقي ثيران الياك الذين لا غنى عنهم في حملات التسلق الى

PHOTO: APA PHOTO AGENCY

«سقف» العالم. وكان الى جانب هيلاري عندما قهر جبل افرست أحد أبناء الشيربا ويدعى تنزنغ نورغاي. أما اليوم فيعمل السر ادموند على مساعدة هؤلاء الرفقاء القدامى.

ففي ربيع ١٩٨٨ تسلق هيلاري المنحدرات الحادة المؤدية الى قرى الشيربا النائية حيث جنّد ٤٥ كشافاً من جمعية «فنتشر سكاوت»* البريطانية للعمل على بناء مدرسة وتجديد مستشفى صغير. وتألف هذا الفريق من شبان وشابات راوحت أعمارهم بين السابعة عشرة والتاسعة عشرة. وقد عاونهم في ذلك شقيق هيلاري ريكس، وهو متعهد مشاريع بناء، ورجل نيوزيلندي سبق أن رافقه في رحلته التاريخية الى جبل افرست واسمه جورج لو، اضافة الى ستة أصدقاء آخرين وفدوا من كندا والولايات المتحدة وأوستراليا. وكان هيلاري يساعدهم في نشر الخشب والتنظيف.

لقد أدى هيلاري هذا الدور مرة أو مرتين سنوياً على مدى ٢٩ عاماً. وبجمعه المتطوعين والأموال والهبات من العالم تمكن برنامجه الفردي للمساعدات الأجنبية من تقديم العون الى أبناء الشيربا في بناء ما لا يقل عن ٢٥ مدرسة ومستشفيين عموميين و١٣ مركزاً طبياً في قرى نائية لا طرق اليها. ومدّ المتطوعين، بتوجيه من هيلاري، أسلاكاً لتعليق جسور للمشاة فوق الانهر الهائجة، وجروا مياه الشفة الى القرى بحيث لم تعد النسوة في حاجة الى نقل المياه في أوعية ثقيلة مسافة كيلومترات. وعملوا كل ما في وسعهم لجعل حياة أبناء الشيربا أسهل وأغنى.

عيون لا تبصر. على رغم أن السر ادموند سمن قليلاً، وهو حالياً في السبعين من عمره، فانه لم يفقد الحافز الذي روض به قمة افرست. والى وظيفته الثلاثية - سفيراً لنيوزيلندة في النيبال ومفوضاً سامياً الى كل من الهند وبنغلادش - يجمع هذا الفارس الكثيف الحاجبين نحو ٢٠٠ ألف دولار كل سنة لمساعدة الشيربا، في حفلاته الخطابية في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا ونيوزيلندة وأوستراليا. وحتى بعد وفاة زوجته لويز وابنته الصغرى بليندا، اللتين قضتا عام ١٩٧٥ في رحلة جوية الى قرية حيث كان يعمل على بناء مستشفى، استمر الرجل المحطم القلب يكافح بحماسة. وأصبحت غاية حياته مساعدة أبناء الشيربا.

زيك أوكونور مدير متقاعد لسلسلة مخازن كبرى ومؤسس الجمعية المسؤولة عن جمع التبرعات في كندا، يصف هذا التفاني بـ «هاجس هيلاري الرائع.»

الا أن السر ادموند يقولها ببساطة أكثر: «أنا أحب الشيربا وأريد أن أساعدهم.»

يحدد هيلاري بدء حملته هذه في

(*) Venture Scouts اي الكشاف المغامر.

احدى أمسيات ١٩٦١ حين كان على ارتفاع ٤٨٠٠ متر على قمة جبل تولامبو الجليدي في النيبال. كان جالساً يستدفىء قرب نار متأججة بعد يوم شاق من التسلق عندما التفت الى أبناء الشيربا المجتمعين حوله مفكراً: هؤلاء العمال الكادحون، الأقوياء، القادرون على حمل رزم تزن الواحدة منها ٤٥ كيلوغراماً فوق المنحدرات الصخرية، هم لطفاء وودودون على نحو مدهش. لقد كانوا محبين للعيش الرغيد. أحس السر ادموند عاطفة قوية تجاه رفقائه الرائعين. فالتفت وسألهم: «ما هي المساعدات التي يحتاج اليها أبناء الشيربا؟ ماذا تقترحون؟»

فجاءه الجواب: «قد نكون أقوى منكم جسدياً، أيها الأجانب، لكنكم تملكون ميزة كبرى هي العلم. نحن في حاجة الى مدارس.»

وكان يقدر أن واحداً في المئة فقط من أبناء الشيربا كانوا يستطيعون قراءة لغة بلدهم وكتابتها. وقد قال أحد الشيوخ: «لاولادنا عيون لكنهم لا يبصرون.»

تأثر هيلاري كثيراً وأقنع أصدقاء له في دار موسوعة «وورلد بوك» في الولايات المتحدة بتقديم المال. كما أقنع شركة ألمنيوم هندية بتقديم قطع بناء جاهزة. وطلب من القرويين الشيربا تحميل الصخور في العربات. وفي نهاية السنة فتحت أول مدرسة في قرية خمجانك (٣٨٠٠ متر) القريبة من الدرب المؤدية الى قمة افرست.

حرب على المرض. انتشرت الشعلة التي أضاءها هيلاري. وبفضل برنامجه الخاص بتشييد المدارس تعلم نصف أبناء الشيربا القراءة والكتابة. ويشجع المعلمون الرسميون على العمل في قرى الجبل الباردة والمعزولة بمنحهم علاوات على رواتبهم. وتجاوباً مع رغبات الأهالي عمل هيلاري على بناء مدارس تكميلية اضافة الى الابتدائية، ثم بنى مدرستين ثانويتين وشيد مساكن للتلاميذ الذين يسكنون بعيداً. وكل سنة يتلقى أكثر من ٥٠ خريجاً في المدارس الثانوية منحاً دراسية تمكنهم من الالتحاق بالجامعات النيبالية.

يقول نغاونغ وهو شاب من الشيربا كان أبوه طاهياً أمياً يعمل للبعثة: «منحني هيلاري حياة أفضل.» فقد تخرج نغاونغ في مدرسة خمجانك الابتدائية، واضطر الى ترك الدراسة لاعالة عائلته بعد وفاة والده. ثم حصل على وظيفة رئيس للعمال براتب جيد، وساعدته على ذلك معرفته اللغة الانكليزية التي تعلمها في المدرسة. وهو حالياً يصرف على تعليم شقيقيه الصغيرين بعدما أدرك قيمة العلم.

ولا أحلام مستحيلة هنا، اذ نال أحد طلاب هيلاري منحة دراسية مكنته من الحصول على شهادة ماجستير من جامعة واشنطن. واصبح آخرون أساتذة وحراس غابات ورجال أعمال ناجحين. وانعتق آخر من عقال قريته في افرست ليصبح ربان طائرة.

ولم يكن مفاجئاً أن يطلق العلم حرباً على المرض. اذ تعلم كثير من أبناء الشيربا أن الجراثيم - وليس «الارواح الشريرة» - هي سبب اصابتهم بوباء الجدري، وأن اتباع العناية الطبية المناسبة يحول دون موت واحد من كل ثلاثة أطفال باصابات ذات الرئة والالتهابات المعوية والمعديّة. وبالحاح من القرويين شيد هيلاري أول مستشفى في قرية خند عام ١٩٦٦. وقد تم تجهيزه بمعدات حديثة بينها غرفة عمليات وأجهزة للتصوير بالأشعة السينية (اكس) اضافة الى أدوية قدمت مجاناً. وتطوع أطباء وفدوا من نيوزيلندة وكندا والولايات المتحدة وتناوبوا على الخدمة كلٌّ لمدة سنتين. ويعاين الطبيبان النوزيلنديان سيمون ماكلورين وزوجته ماريان بين عشرة مرضى و٣٠ مريضاً يومياً. وبفضل ارشادات الاطباء المتكررة حول الصحة والنظافة في مدارس هيلاري، يزداد عدد الذين يغتسلون قبل الطعام وينظفون أسنانهم ويتلقون التلقيح.

ونتيجة العناية الطبية المتحسنة انخفض كثيراً عدد الاصابات بالتيفوئيد والتهاب السحايا والسل خلال السنوات العشرين الماضية. واليوم، كل تسعة مرضى من أصل عشرة يعاينون في مستشفيات هيلاري مصابون بمشاكل جلدية واسهال وسعال وزكام، وهذه يعالجها المساعدون الطبيون من أبناء الشيربا المدربون على أيدي الأطباء.

رياح التقدم. كيف نصف هذا المكافح المتحمس الذي يعتبره معظم العالم مجرد مغامر جسور؟

يقول الدكتور ماكلورين الذي يعرف هيلاري وولديه بيتر وساره جيداً: «انه مثالي جداً في الصميم.» وكان والده محرر صحيفة ريفية ووالدته معلمة مدرسة، وقد غرسا في نفسه الدافع الانساني.

يقول هيلاري: «علمني والداي أن الإنسان ملزم مساعدة اخوانه الأقل حظاً.»

أحد أسرار نجاح هيلاري هو «رؤية كل مشروع بعيني مزارع.» كيف السبيل، مثلاً، الى بناء مهبط للطائرات في لوكلا التي ترتفع ٢٧٠٠ متر على طريق افرست لنقل مواد البناء من العاصمة كاتماندو في ساعة عوض ١٤ يوماً تستغرقها عملية النقل على ظهور الحمالين؟ كان ادخال جرافة الى المنطقة مستحيلاً لعدم وجود طرق. كيف اذاً تزال الصخور الكبيرة من المهبط المقترح بناؤه؟

كان الحل على طريقة المزارع: جعل هيلاري أبناء الشيربا ينبشون حفراً كبيرة يرمون فيها الصخور ثم يردمونها بالتراب. ولما ظل الحقل غير ممهد كفاية لهبوط الطائرات، أقنع ١٥٠ قروياً بالرقص عليه طوال ليلتين ونهارين حتى أصبح متراصاً.

لكن هيلاري يصر على أن يساهم أبناء الشيربا في العمل التطوعي قبل أن

يقدم الأموال اللازمة للمشروع من حقيبته الملأى بالروبيات التي يحملها على ظهره من قرية الى أخرى. وهو يتشدد كثيراً في تحديد نفقات العمل. أما «الصندوق الحملايي» الذي أسسه لادارة برامج المساعدات فيعمل بتواضع في منزل من شقتين في كاتماندو. وتشغل الشقة الثانية اليزابيت هولي وهي مراسلة لوكالة «رويتر» تقوم أيضاً بوظيفة المدير التنفيذي للصندوق.

أما ما يلهب حملة هيلاري حماسة على الدوام فهو اندفاعه العجيب. فبعدما ودع متطوعي العام ١٩٨٨ الذين انطلقوا سيراً على الاقدام لمدة أربعة أيام لمباشرة عملهم في أول مشروع انشائي، عاد هيلاري الى كاتماندو في سيارة «لاند روفر» قاطعاً مسافة خمس ساعات على الطرق الوعرة ليركب طائرة الى نيودلهي في الهند لمقابلة وزير خارجية نيوزيلندة الذي جاء في مهمة سياسية الى الهند وبنغلادش. وعندما حاول العودة الى بعثته أرغمته رياح حملايا الشرسة على الرجوع الى كاتماندو. وفي اليوم التالي عولج بمضادات حيوية (أنتيبيوتيك) لاصابته بالتهاب رئوي. وأخيراً عاد على متن مروحية. ومع ذلك يسبق أفراد بعثته الشباب المتسلقين من قرية الى أخرى.

واستقبله القرويون بحماسة منقطعة النظير، ورفعوا اللافتات البيض ترحيباً، وحياه اصدقاؤه القدامى من ابناء الشيربا وقدموا اليه طلبات لمشاريع جديدة. وعرفاناً بالجميل، يلقبه القرويون «بورا صاحب» أي «الرئيس.» وأحياناً يقولون: «انه أمنا وأبونا.»

انهم يحبونه.

وتتقدم قرى الشيربا بسرعة نحو الحياة العصرية بفضل برامج هيلاري، لتصبح جزءاً للتقدم في خامسة أفقر أمم العالم. فالمركز التجاري، «نامشي بازار» ينار حالياً بالطاقة الكهربائية حتى العاشرة مساء. ولمعظم البيوت نوافذ زجاجية. وحلت السياحة مكان التجارة مع التيبت كمصدر دخل رئيسي، وذلك بفضل ألوف من متسلقي الجبال الذين يأتون كل عام من أنحاء العالم. وبدأ القرويون يجنون أرباحاً من الفنادق والمقاهي ومحلات بيع السلع التذكارية.

لكن المعجبين بهيلاري قلقون على مصير مشاريعه الكثيرة بعد وفاته. لكن جوابه المرضي هو أن أبناء الشيربا المتكلين على قدراتهم يخططون لتطورهم انطلاقاً من القاعدة التي ساعد في بنائها باندفاعه الرائع.

انه ميراث جدير بهذا الفارس.

دونالد وديانا سترتزل ■

التباهي ليس سمة مستحبة، لكن الرجل الذي يصطاد سمكة كبيرة لا يعود إلى البيت عبر زقاق.

ا.ل.

اختبار في علم الفلك

اختبروا معلوماتكم في علم الفلك بإجابة «صح» أو «خطأ» عن هذه الأسئلة:

١ . النجوم جميعها شموس.

٢ . لا جاذبية خارج الغلاف الجوي.

٣ . النيزك نجم مرتحل من موضعه الأصلي في الفضاء.

٤ . لا يحدث كسوف تام للشمس إلا عندما يكون القمر بدراً.

٥ . الشفق القطبي ناتج من جسيمات مشحونة بالكهرباء تنبعث من الشمس.

٦ . البقع السوداء في المريخ هي قيعان بحار جافة تكسوها النبات.

٧ . الشهب، أو الحجار النيزكية، تسقط عادة أثناء العواصف الرعدية العنيفة.

٨ . يُعتقد اليوم أن نجمة بيت لحم كانت المذنَّب «هالي.»

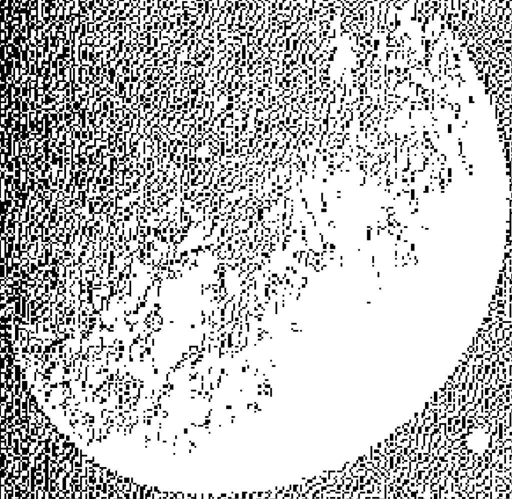
٩ . الأرض أقرب الى الشمس في شهر يناير (كانون الثاني) منها في شهر يوليو (تموز).

١٠ . في الليالي الصافية تمكن رؤية نحو ثلاثة ملايين نجمة بالعين المجردة.

١١ . فبراير (شباط) هو الشهر الوحيد الذي قد لا يُرى خلاله قمر جديد.

١٢ . نجد بيتهوفن وشوبان وغوته وإبسن على سطح عُطارد.

(الأجوبة في الصفحة التالية)



الأجوبـــة

١ . صح. الشمس نجم نموذجي. جسم ذاتي الإنارة يطلق غازات حارة. أما الكواكب السيارة، كالأرض، فلا تُولِّد نوراً ذاتياً.

٢ . خطأ. تضعف الجاذبية بازدياد المسافة من الأرض. ولكن، نظرياً، حقل جاذبية الأرض غير متناه. ويبقى القمر في مداره بفضل الجذب الأرضي.

٣ . خطأ. النيازك اجسام صغيرة تسقط من الفضاء وتحترق في أعلى الغلاف الجوي.

٤ . خطأ. الكسوف التام ـ اي حين يحجب القمر وجه الشمس كاملاً ـ لا يحدث الا مع اطلالة الهلال عندما تصطف الأجرام الثلاثة ـ الشمس والقمر والأرض ـ في خط مستقيم يتوسطه القمر وهو يواجه الأرض بجانبه المعتم.

٥ . صح. تنهمر هذه الجسيمات الشمسية كشلالات على أعلى الغلاف الجوي. ولكونها مشحونة بالكهرباء فانها تنجذب الى قطبي الأرض المغناطيسيين. ولذا يُشاهد الشفق القطبي على النحو الأفضل من المناطق البعيدة عن خط الإستواء.

٦ . خطأ. بعد رحلة المسبار الفضائي «مارينر ٤» في العام ١٩٦٥، نعلم اليوم أن ليس جميع البقع السوداء منخفضات. فبعضها سهول مرتفعة، ولا يعود الاسوداد الى وجود مواد عضوية.

٧ . خطأ. لا علاقة بين العواصف الرعدية التي هي ظاهرة جوية محض، والنيازك وهي كتل كبيرة من الصخر أو المعدن تسقط من خارج الغلاف الجوي للأرض.

٨ . خطأ. المذنَّب «هالي» الذي يكمل مداره حول الشمس مرة كل ٧٦ عاماً تقريباً، ظهر قبل مولد عيسى عليه السلام بسبع سنوات.

٩ . صح. تكون الشمس اقرب بمسافة ٤,٨ ملايين كيلومتر. اما الفصول فمردها الى ميلان محور الأرض، وليس الى تبدل المسافة من الشمس.

١٠ . خطأ. يبلغ عدد النجوم التي تمكن رؤيتها بالعين المجردة ٥٨٠٠ تقريباً. ولكن نادراً ما تمكن رؤية اكثر من ٢٥٠٠ نجمة في وقت واحد لأن نجوم الأفق الخافتة تخرج غالباً عن نطاق الرؤية.

١١ . صح. يظهر قمر جديد كل ٢٩,٥ يوماً. وبما أن أيام شهر فبراير (شباط) هي ٢٨ (٢٩ في السنة الكبيس) فقد لا يطلع قمر جديد في هذا الشهر.

١٢ . صح. جميعها فوهات براكين على سطح عُطارد.

باتريك مور ■

يوم في عالم المستقبل

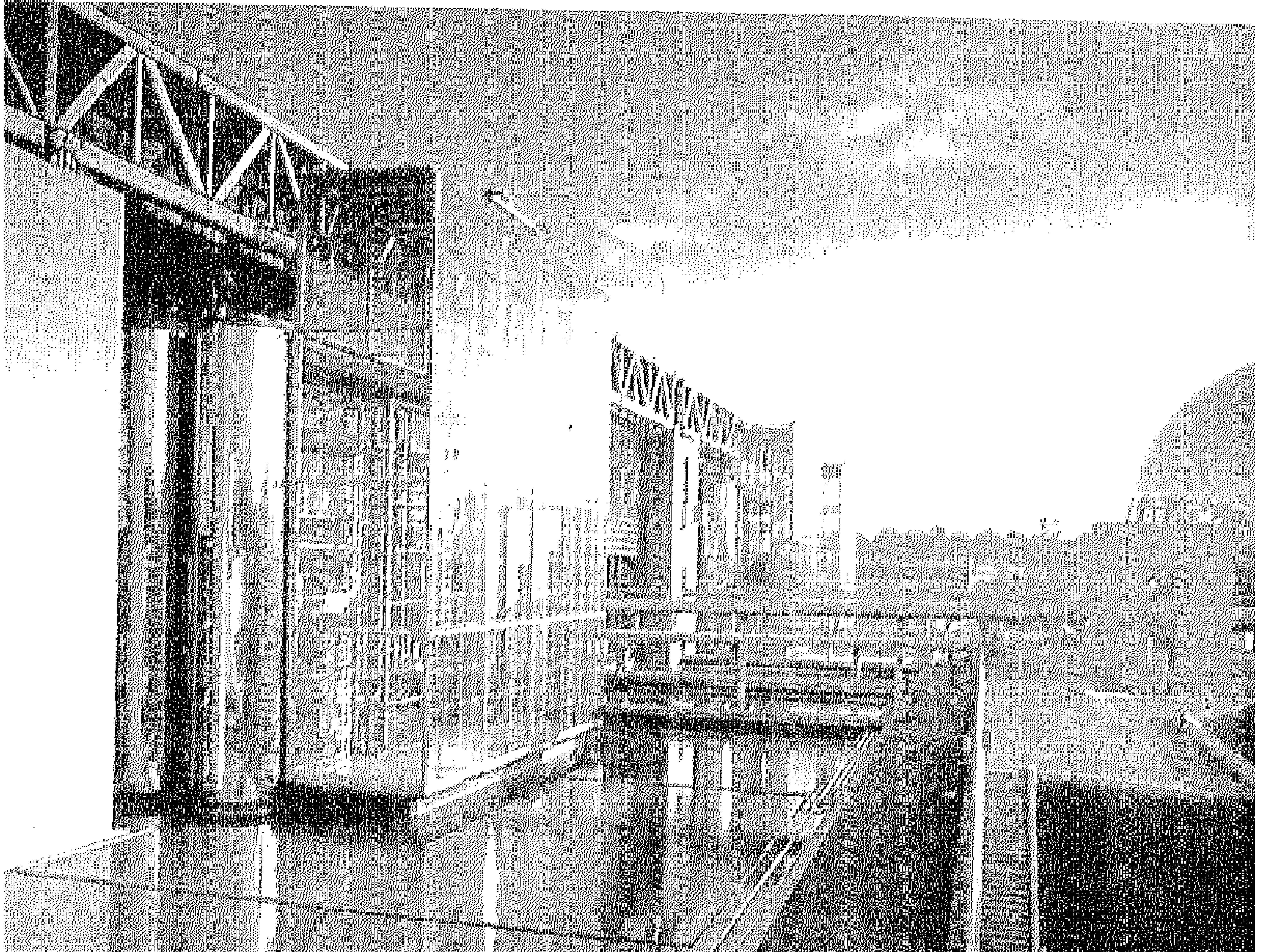
أتريد فضاء هفيهات
خارج نطاق الجاذبية
أو السفر داخل خلايا الجسم
البشري أو الاستماع الى رجل
آلي «يفكر»؟ تعال إذاً
الى أحدث متاحف باريس

بدأ القرن الحادي والعشرون في مدينة باريس في ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٦ يوم افتتاح «مدينة العلم والصناعة» في لافيليت[1]. ومنذ ذلك التاريخ أمَّ نحو ١٢ مليون شخص عالم المستقبل في هذا الصرح الهائل المصنوع من الزجاج والفولاذ الذي لا يصدأ.

ففي لافيليت، التي تبعد مسافة قصيرة عن وسط باريس، يمكنك قياس

(١) La Villette

CHARLIE ABAD



وزنك على المريخ أو الزُّهرة، وقيادة مركبة فضائية مقلَّدة واختبار انفجار نووي. كما تستطيع مشاهدة التَّغيار الاحيائي للجراثيم، والتحديق داخل مركبة «نوتيلوس» المستكشفة لأعماق المحيطات، والافادة من كبرى المكتبات العلمية الأوروبية، ومشاهدة فيلم سينمائي في «جيود» وهو مبنى أخذ مكانته بين معالم باريس كبرج إيفل ومتحف اللوفر.

بدأ ذلك في العام ١٩٧٧ عندما طلب الرئيس الفرنسي آنذاك، فاليري جيسكار ديستان، من العالم الفيزيائي موريس ليفي، الرئيس السابق للمركز الوطني للابحاث الفضائية، تصميم متحف علمي عظيم. اذذاك قرر ليفي وفريق العمل التابع له أن المطلوب هو متحف من طراز جديد. وقد أذهل المهندس المعماري أدريان فنسيلبر اللجنة المكلفة حين عرض أمامها تصميمه المؤلف من واجهة مزجَّجة مصقولة تبلغ مساحتها ١٠٢٤ متراً مربعاً، معلقة بأسلاك. أما المفاجأة الكبرى فكانت مبنى «جيود» المصمم على شكل كرة قطرها ٣٦ متراً، تغطيها طبقة رقيقة من الفولاذ المصقول كالمرآة، وتتضمن قاعة نصف كروية لعرض الأفلام تتسع لـ ٣٧٠ متفرجاً، وتقوم على عمود وحيد في الوسط.

أبهج ذلك الرئيس اللاحق فرنسوا ميتران الذي وافق على مشروع لافيليت وأطلق عليه اسم «مدينة العلم والصناعة.» يقول جويل دو روزني مدير مصلحة التنمية ورئيس شعبة العلاقات العامة الدولية في مدينة العلم هذه: «مدينتنا ليست متحفاً. إنها جهاز للتواصل يتيح فرصاً للاتصال والعلم والتسلية والابداع. وهي، إلى ذلك، حافز للسير في ركاب العلم والتقدم. إنها وسيلة الوسائل.»

مدينة المستقبل. مدينة العلم هي «بلدة» تمتد فوق مساحة ١٥٠ ألف متر مربع وتنتشر فيها المحلات والمصارف والمقاصف والمطاعم والاستراحات. في أولها تقع الساحة حيث يعمل موظفو الاستقبال على ارشاد الزائرين. وتضيء لوحات الفيديو الموجِّهة الردهة العملاقة التي ترتفع ٤٠ متراً ويبلغ طولها ١٠٠ متر. وعلى المستوى إياه تقع «غرفة الأخبار العلمية» وهي مركز اعلامي يزوِّد الصحافيين آخر الأخبار العلمية، من تضرر طبقة الأوزون الى البيض الموبوء بجرثومة السلمونيلا الى التلقيح في أنابيب الاختبار الى الهندسة الوراثية.

وفي فضاء الردهة التي تتسع ٤٠ متراً مستنبت زجاجي يخدم كجسر بين جناحي الطبقة الاعلى، وضمنه غابة من النباتات الاستوائية ليس فيها ذرة من تراب. وتنمو هذه النباتات في أنسجة مشبَّعة ومادة هلامية مغذية وسط رذاذ دائم من المياه. وتشاهد بعد ذلك بركة اصطناعية تسبح فيها أسماك السلمون.

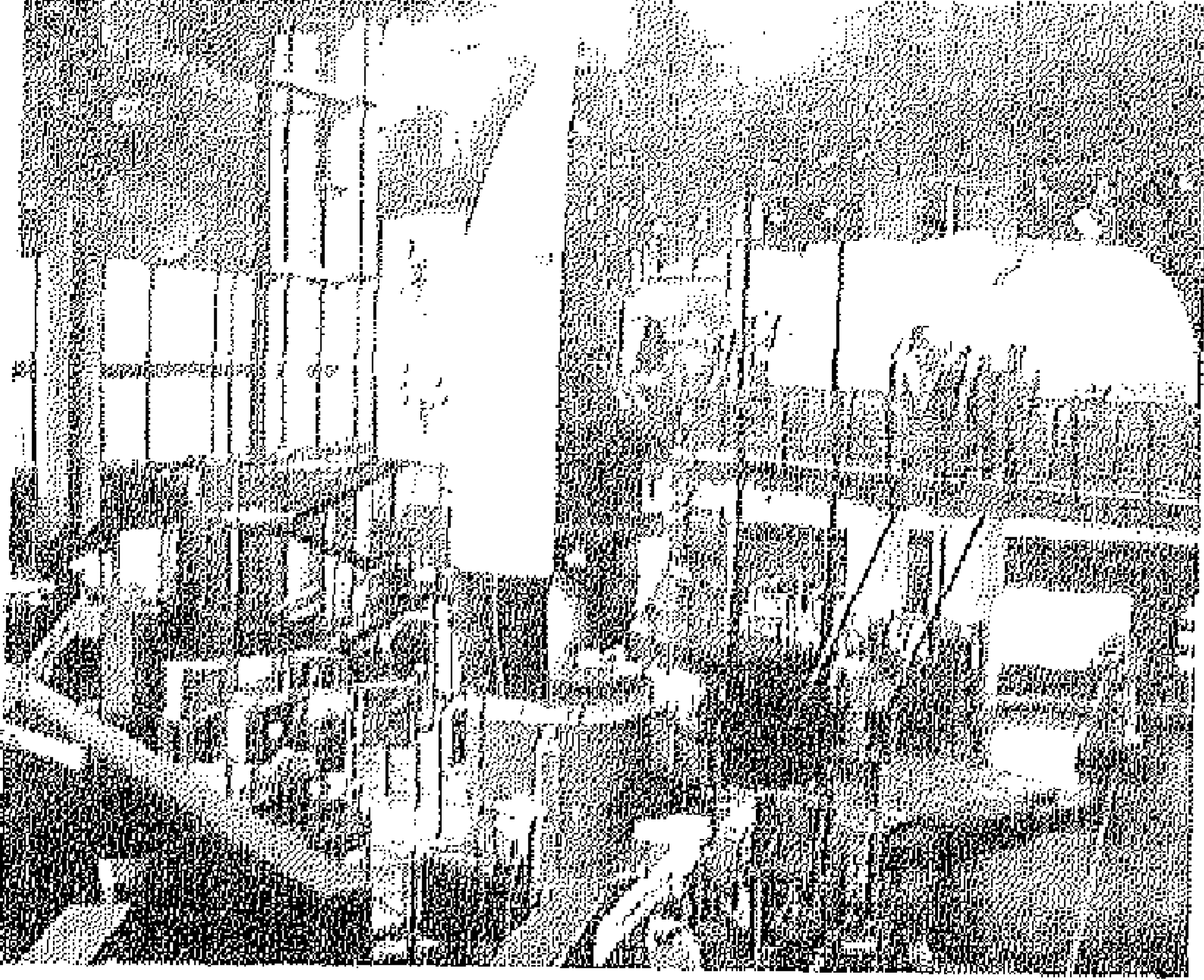
وككل مدينة، يتطلب الزائر وقتاً كي

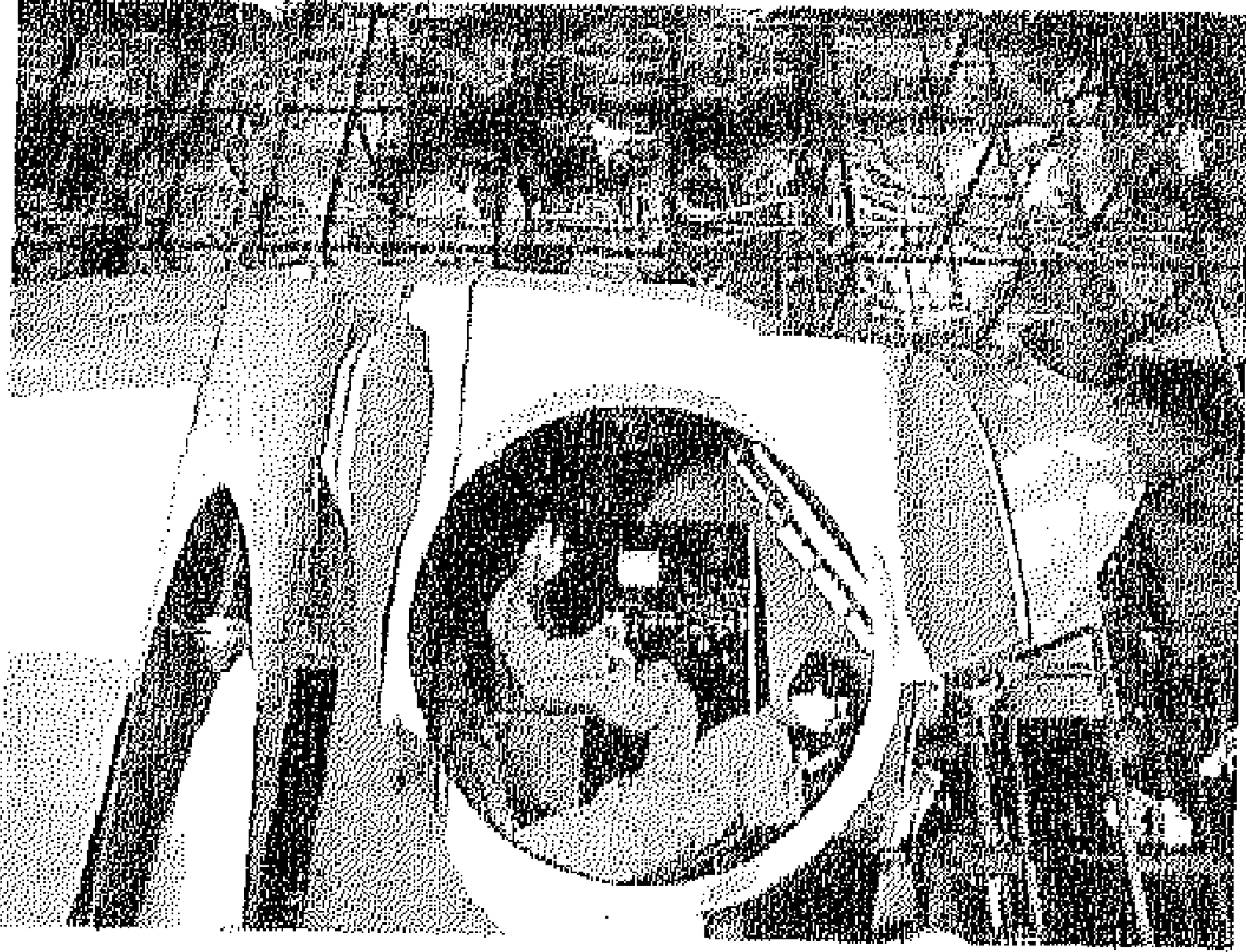
يعتادها. وتسأل احدى الامهات الملتهفات وقد جاءت برفقة ابنتيها: «من أين نبدأ؟ وماذا علينا أن نفعل؟» فعلى الزائرين البحث والتنقيب واختيار معالم يركنون اليها في توجههم. اذ ليس ثمة نظام محدد للزيارة، إلا أن هناك شروحاً تؤمنها لوحات إلكترونية مبرمجة في خمس لغات يفاد منها باستعمال مسماع مستأجر. يقول دو روزني: «اننا نوفر للزائرين مقداراً أدنى من التوجيه. وقد ساعدنا استطلاع الآراء على تحسين المعالم ولافتات الطرق.»

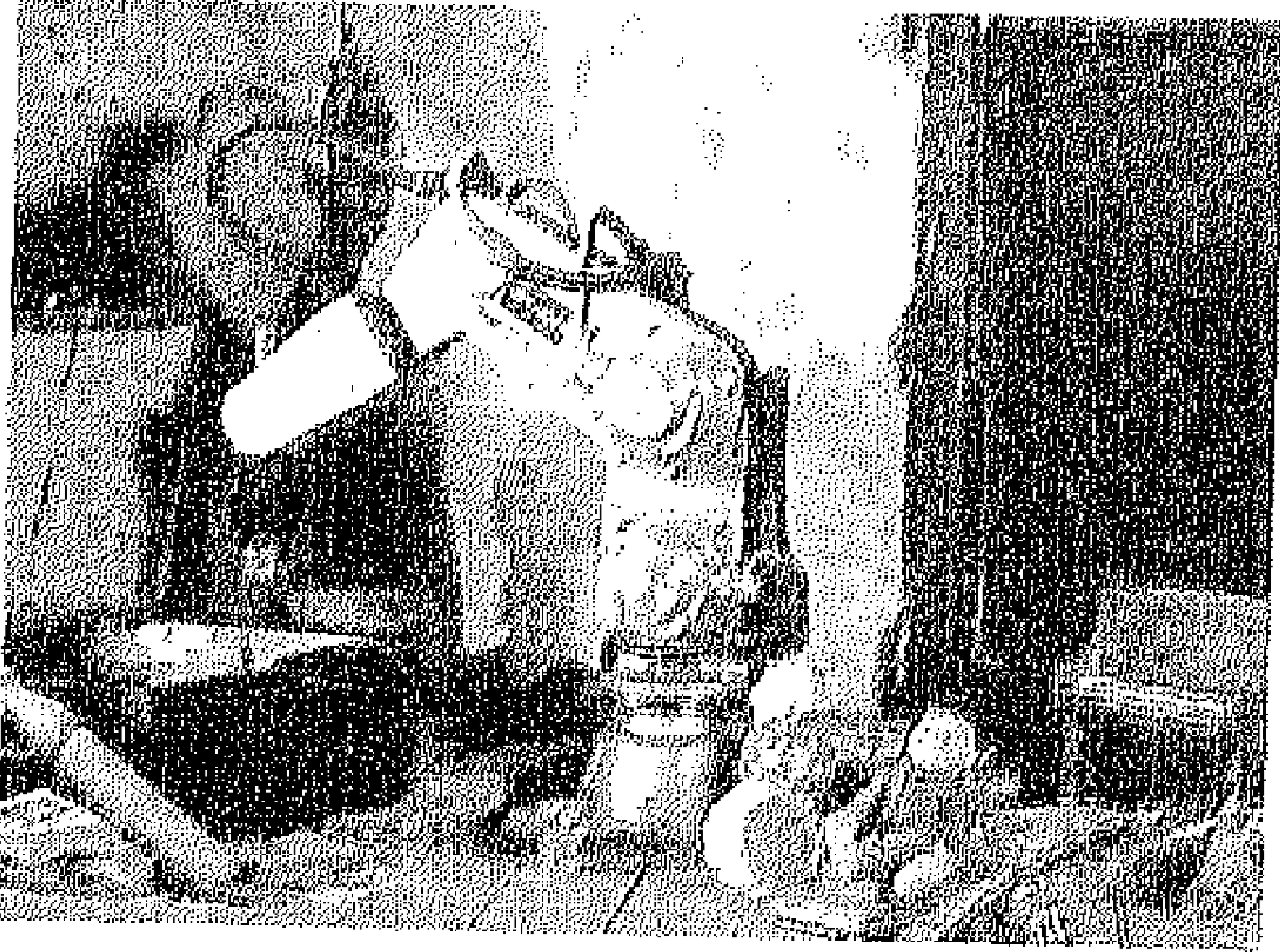
«إكسبلورا.» أجاهز أنت؟ لنذهب اذاً الى المصاعد السامقة التي ستحملنا الى «إكسبلورا»، معرض المدينة الدائم الذي يحتل الطبقات العليا الثلاث، ويُبرز أربعة مواضيع رئيسية تتعلق بالكون والحياة والمادة والاتصالات.

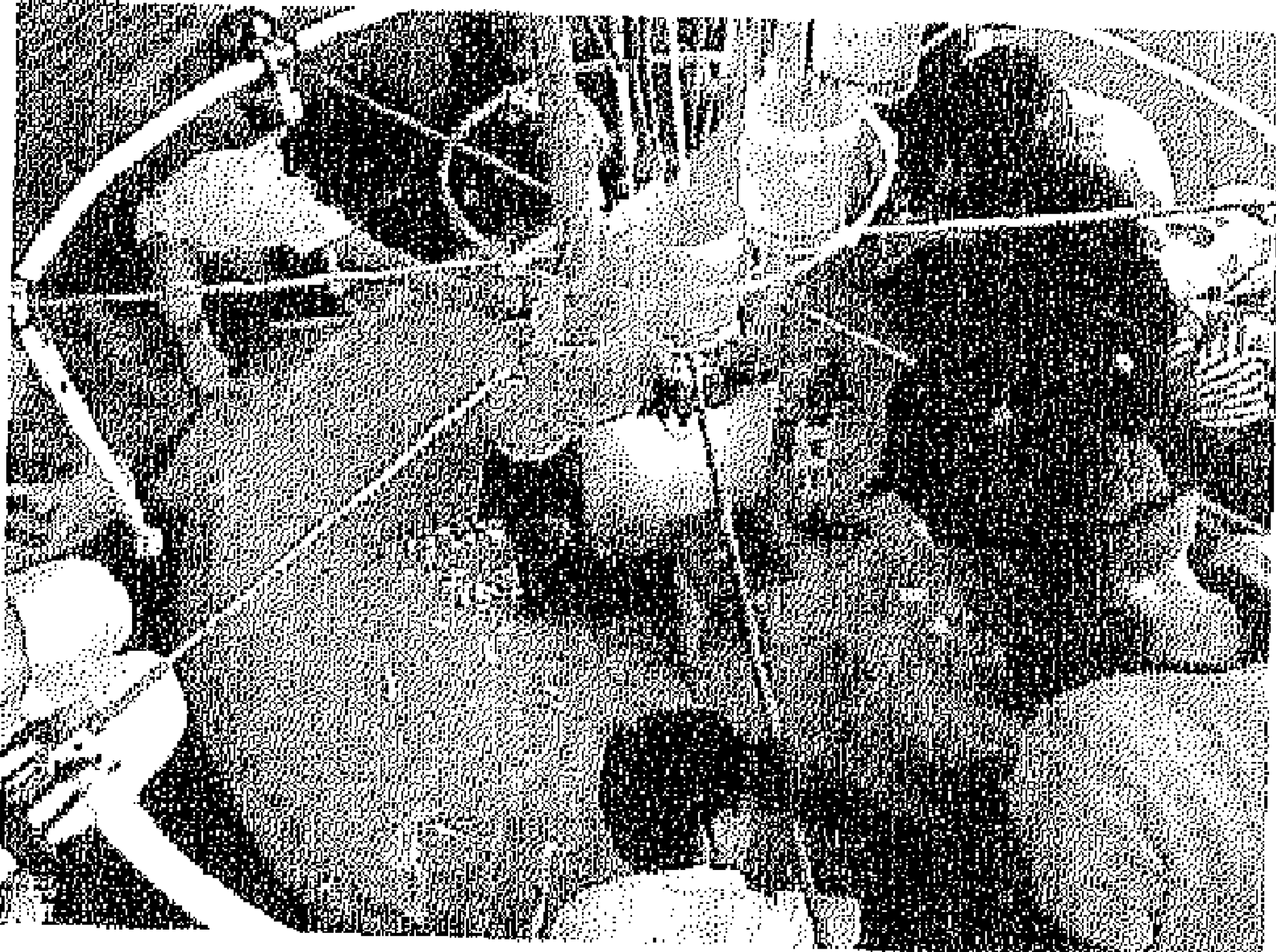
وتساعدنا رحلتنا عبر «الكون» على فهم أعماق المحيطات والجرف القاري و«حياة» النجوم واختبار سبر أعماق الفضاء. كما نشاهد في هذه الرحلة معالم مثيرة بينها المخروط الامامي لصاروخ «آريان» ونسخة لقمر اصطناعي بالحجم الطبيعي وغواصة لأعماق المحيطات.

واذا لم يبد أولادك اهتماماً بجناح









في «إكسبلورا»، معرض المدينة الدائم: (من فوق) مشهد من «جزيرة الفضاء»، داخل غواصة في عمق البحر، «رجل آلي» موجّه بالدماغ الالكتروني، نافورة ماء موسيقية في الـ«انفنتوريوم».

TOP THREE PHOTOS: TECHNIMEDIA/PH. JACOB
BOTTOM PHOTO: C.S.I./M.DESJARDIN

الرياضيات، ففي وسعهم التلهي بالآلة المدارية الشبيهة بلعبة الـ «فليبر»، أو قضاء هنيهات ممتعة خارج نطاق الجاذبية. ويلتفت صبي عمره ٧ سنوات الى والده سائلاً: «أترى كم هو ضيق داخل الصاروخ؟» فيجيبه والده: «تشعر كأنك داخل المطبخ في بيتنا.» ويشرح الوالد أن في وسع رواد الفضاء العديمي الوزن التحرك بسهولة نحو الآلات والأجهزة المثبتة على الحائط أو السقف، مفيدين الى أقصى حد من المساحة المتاحة.

وبعد اللامتناهي ضخامةً يأتي دور اللامتناهي صغراً. «الحياة» تبدأ بفيلم عن الحمل والولادة وعمل الخلايا ومفهوم الجينات.[٢] واستناداً الى لوحات وألعاب ووسائل سمعية بصرية، تتم الإجابة المسهبة عن أسئلة مثل: كيف يعمل الدماغ؟ وكيف تطور الانسان عبر آلاف السنين؟

وفي ناحية أخرى من «إكسبلورا» بيان كم التقنيات الجديدة حيوية للإنسان. فهناك نشاهد عمل «الرجل الآلي» المبرمج كالذي يشغّل في بعض المصانع الحديثة. وفي مركز لتوزيع الكهرباء نشهد كيف يحافظ المهندسون على استمرار التيار الكهربائي عندما يصل الاستهلاك الى حده الأقصى. كذلك نشاهد مجسّماً مصغراً للمفاعل النووي المثير للجدل «سوبر فينيكس» وهو يسرِّب غباراً «ذرياً.» والى ذلك يمكننا القيام برحلة وهمية على متن طائرة.

وأخيراً، هناك حقل وسائل الاتصال أو «نفط القرن الحادي والعشرين.» ففي نهاية هذا القرن ستقلب الادمغة الالكترونية طرق العمل المألوفة ويدخل العالم عصر الذكاء الاصطناعي. وسيزداد دور الأدمغة الالكترونية في اتخاذ القرارات من حيث استيعابها للمعلومات تلقائياً بواسطة «حواسها» و«التفكير» بموجب القواعد التي بُرمجت بها.

وفي مدينة العلم يتولى الربوط[٣] كول، وسط شبكة من الممرات المتشعبة، شرح العملية الفكرية التي تمكنه من إيجاد الطريق الى الخارج. وتركز معروضات أخرى على الضوء والصوت والادراك البشري والصور المركّبة.

معرض الوقت. يقول دو روزني: «التفاعل هو الوصف المناسب للطريقة التي اعتمدناها لتعريف الزائرين بالمعرض، إيماناً منّا بأن الانسان يكتشف الأشياء بالممارسة.» لذلك فالمشاهدة وحدها ليست كافية في لافيليت، إذ عليك أن تتفاعل مع الآلات بضغط الأزرار وتحريك الروافع واستعمال الأجهزة البصرية. وبفضل الشاشات والادمغة الالكترونية التي تعمل بفعل اللمس والصوت، يمكنك محادثة «السيدة معرفة» التي تضع في

(٢) الجينة او المورثة (gene) جزء من نواة الخلية تحمل خاصّة وراثية.

(٣) الربوط «robot» هو ما يعرف بالرجل الآلي.



ممثلون يحيون أدواراً من عهد الثورة الفرنسية في معرض «العلماء والثورة.»

متناولك كل المعلومات المخزّنة في كتب المدينة وأفلامها. كل ذلك بلمسة واحد من أصابعك. وعندما يحين وقت رحيلك يداخلك شعور بأنك شاركت شخصياً في مسار التقدم العلمي.

غير أن التفاعل بين الآلات والزوار الكثر يبقى أحدى المشاكل التي تواجه خبراء الصيانة كل يوم. يقول باتريك كويريات الذي يرئس موظفي الصيانة: «في المتاحف العادية، كل ما عليك عمله هو إشعال الانوار كل صباح. أما هنا فعلى القيّمين تشغيل كل آلة على حدة والتأكد من عملها والتدقيق في أعطالها، يساعدهم في ذلك نظام إلكتروني متطور جداً. وطبيعي أن يزيد ذلك من كلفة المعارض التي تراوح بين ٦ و٩ آلاف فرنك فرنسي (بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ دولار) للمتر المربع، وفقاً لدرجة تعقيد الآلة.»

ويشرح جويل دو روزني كيف تنظم المعارض: «يبحث مديرو المدينة العلمية عن أفكار مناسبة تستند الى اهتمامات الناس، والقيمة الاخبارية، وامكان اجتذاب المعلنين. ثم يُعيَّن مفوَّض يدير الأبحاث المتصلة بمحتوى المعرض وتمويله وهندسته الداخلية. وتراجع لجنة علمية أهمية المعلومات المتوافرة، ويتدارس المهندسون طرق تنظيم المساحة لأن الانطباع الأول الذي يكونه الزائرون مهم جداً. وعلى سبيل المثال، قد يكون دخول المعرض من مكان مرتفع يكشف محتوياته دفعة واحدة، أكثر جاذبية وأبلغ وقعاً.»

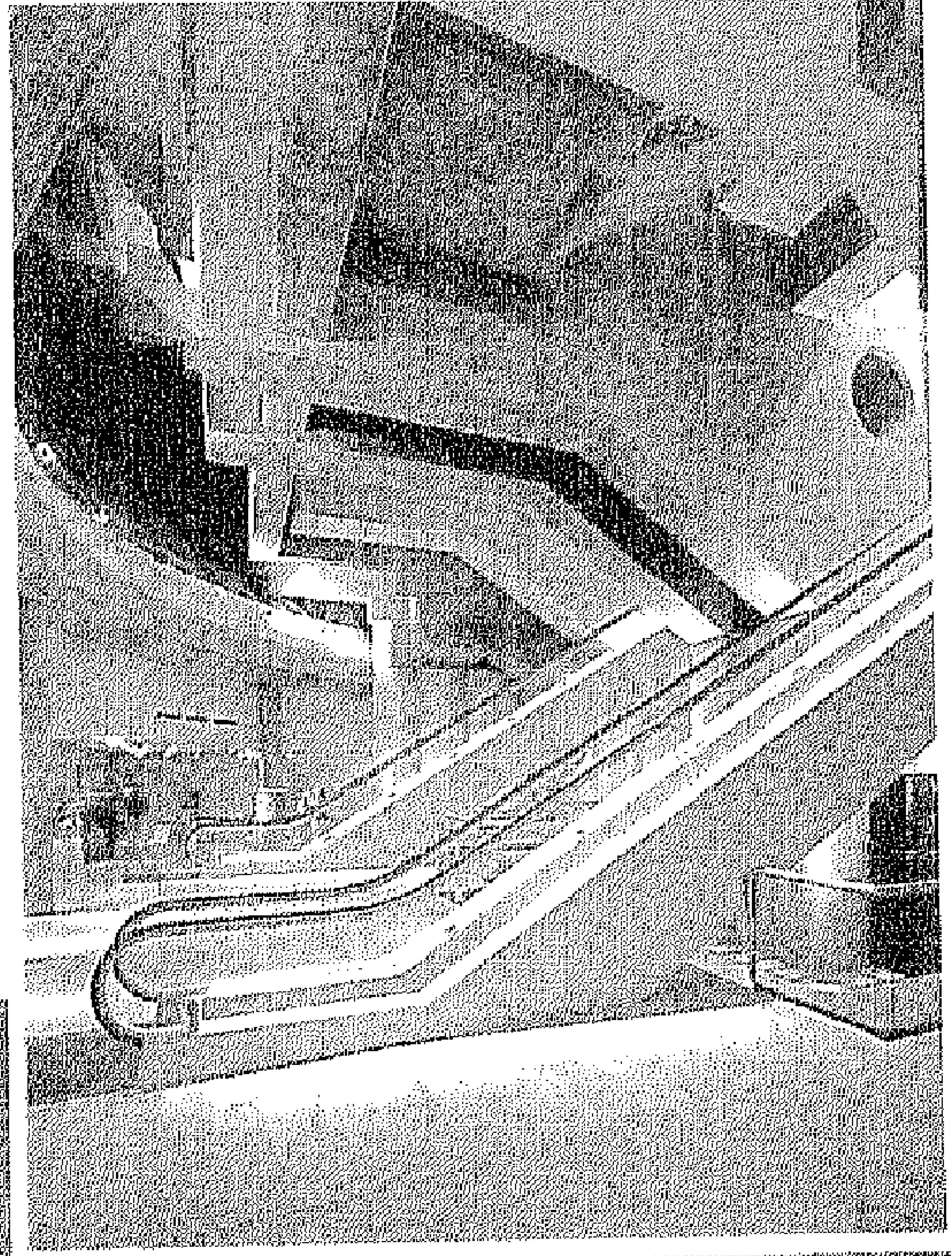
ويتابع دو روزني: «في هذه الاثناء يجمع الخبراء الوثائق والصور اللازمة، فيما يعمل آخرون على تحضير معدات الفيديو والشاشات الالكترونية التي تعمل باللمس. وأخيراً يُتَّخذ القرار النهائي، ويبدأ استدراج العروض. إنها عملية مرهقة. ومثال على ذلك، استغرق إتمام معرض «اختراع الوقت» الذي انتهى عرضه في أغسطس (آب) ١٩٨٩، نحو أربع سنوات من التحضير.»

هــذا المعرض الـرائع لآلات قيـاس الوقت، بدءاً بالمزولة الشمسية وانتهـاء الى الساعة الـذرية، عـرض سمكة من نهـر النيل تبث اشــارات كهربــائية في فترات منتظمة. وعلى هذا الأساس تمكن العلمــاء من احتساب الــوقت الصحيح بـوصلهم صمــامــاً ثنــائيــاً[٤] الى جسم السمكة. يقول فرنسوا بيـلانجيه مـدير العلاقات العامة: «هناك مشكلة واحدة، فحــين يكثر الــزائرون تصــاب السمكة بــالعيــاء وتتــوقف عن بث الاشــارات الكهربائية.»

رحلة في الفضاء. أُقيم كذلك معرض لتكريم علماء فــرنسا في القـرن الثامن

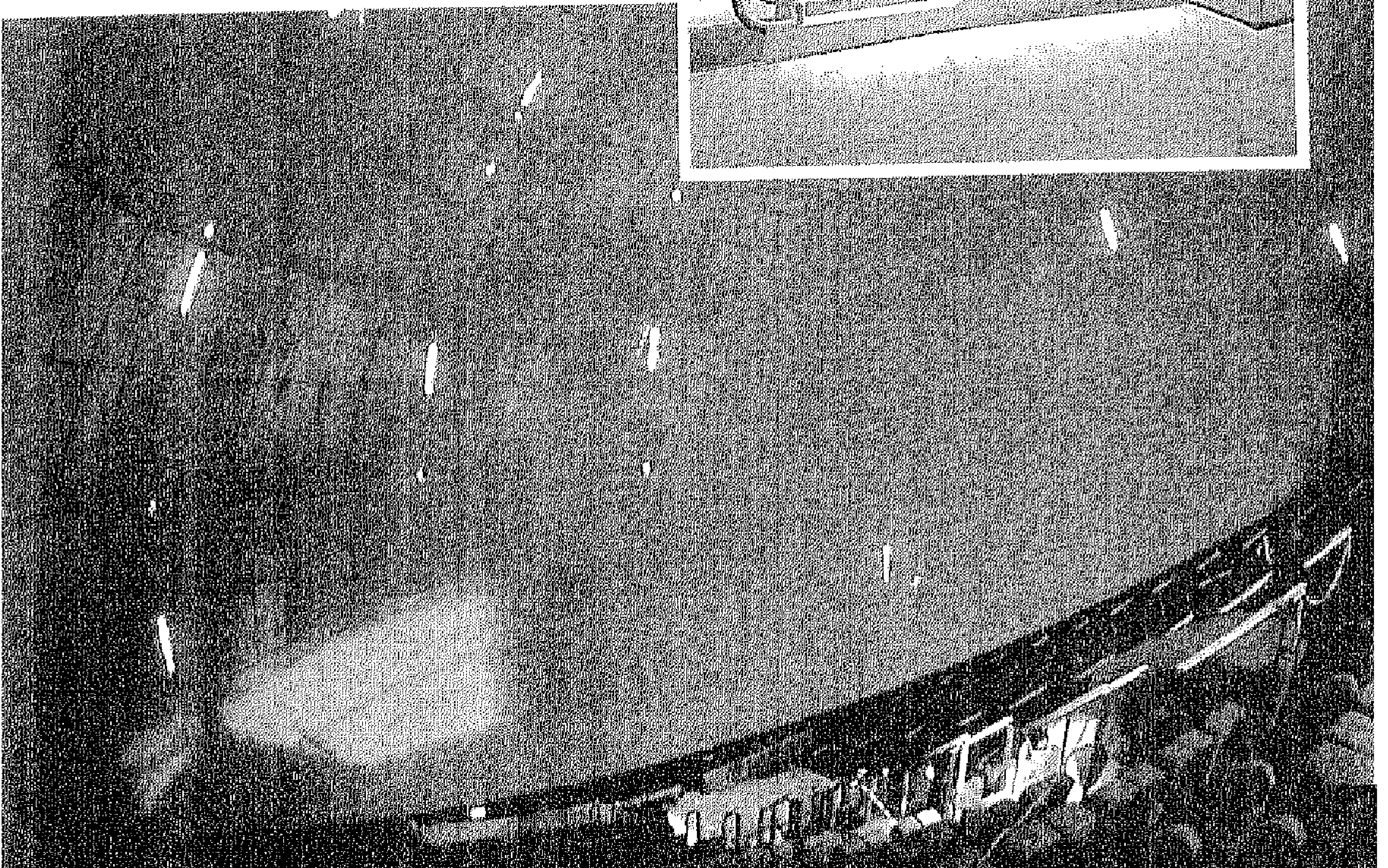
(٤) Diode

مصاعد جبارة تنقل الزائرين الى قاعة السينما نصف الكروية.



ETIENNE REVAULT

ILIPPE HURLIN



لكي تكون زيارتك مثالية...

١. «مدينة العلم» فسيحة ويمكنك قضاء يوم كامل في أرجائها. وكلما طالت زيارتك أفدت أكثر من المال الذي دفعته للدخول. والمطعم الذي افتتح حديثاً يؤمن استراحة عند الظهر.

٢. تذكر أن تحجز مقاعد في «جيود» و«بلانتاريوم» والا اضطررت الى الانتظار ساعات في طابور طويل من غير أن تضمن دخولك. راجع البرامج المقررة، ففي كل يوم نشاطات مختلفة. ويمكنك قراءة جدول البرامج بطلب «3615 Villette» على جهاز «مينيتل تلكومبيوتر» في البيت أو الفندق. وقريباً سيصبح في وسع الراغبين شراء بطاقات الدخول بواسطة الـ «مينيتل.»

٣. استأجر مسماعاً، فمن دونه تفوتك معلومات كثيرة. قد تبدو التكاليف باهظة: بطاقة دخول، رسم اضافي لدخول «جيود» و«بلانتاريوم»، مسماع، طعام. ولكن فكر أيضاً: انه ثمن زهيد ليوم في المستقبل.

عشر، افتُتح في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٩ بعنوان «العلماء والثورة.» يقول دو روزني: «كانت الثورة الفرنسية فترة غير عادية بالنسبة الى العلم. وقد اجتهد العلماء آنذاك، عام ١٧٨٩، كما يفعلون اليوم، في مساعدة السياسيين على تحديد موقع الانسان في الطبيعة.»

ولإحياء هذه الفترة المضطربة من تاريخ فرنسا، لم تألُ مدينة العلم جهداً أو بذخاً. ولأجل ذلك أدى الممثلون أدواراً حيّة تبعث أحداثاً من الثورة الفرنسية. ودخل الزائرون بهو صوفي دو كوندورسيه ليستمعوا الى زوجها نيكولا وهو يشرح خطته لابتكار النظام المتري. واسترقوا السمع الى نابوليون بونابرت محدثاً العلماء الذين تبعوه الى مصر. وألقيت محاضرات ونشرت كتب لهذه المناسبة. وعرض في «جيود» فيلم من إخراج بيار اتيه يتتبع قصة الاتصالات اللاسلكية مذ اخترع كلود شاب تلغراف «سيمافور» (الإشاري) عام ١٧٩٤.

ولمحبي الاثارة زيارة البلانتاريوم (معرض الكواكب) ونجومه العشرة الآلاف، وهو أحد أحدث المعارض المماثلة في أوروبا. ويمكنهم حضور مشاهد أخّاذة، كما يعِد السيناريو الذي كتبه جان كلود كاريير بعنوان «حياة وموت كوكب»، والبرنامج المقبل بعنوان «روّاد الحياة»[٥] من تأليف دو روزني. ومن أجل هذا البرنامج سيتحول البلانتاريوم الى سيلولاريوم (معرض خلايا) حيث يقوم المشاهدون برحلة داخل الخلايا البشرية.

أما الاطفال الذين يزيد عمرهم على ثلاث سنوات فيتوافدون الى

(٥) The Bionauts

الـ «انفنتوريوم» (معرض الاختراعات) حيث يتعلمون بواسطة الألعاب. ولفائدة التلاميذ وأساتذتهم، عملت مدينة الصناعة مع وزارة التربية الفرنسية على تنظيم «صفوف لافيليت.» وهكذا تقدم مدينة العلم برامج تهم الجميع، بدءاً بالاطفال وانتهاءً الى العلماء الذين يلتقون بانتظام ضمن مؤتمرات دولية. ويفد كل أسبوع ألوف الاولاد والمراهقين، ذلك لأن لافيليت هي أيضاً متحف لألعاب الفيديو.

ويجتذب المكان أعداداً ضخمة من الزائرين العابرين. تقول امرأة متقدمة في السن زارت المكان مع زوجها المتقاعد: «لم نرَ كل ما هنالك، لكننا سنعود حتماً. لقد مرَّ وقت طويل لم نتمتع به هكذا. أليس كذلك يا روبرت؟»

ريمي فافري ∎



ود عمليّ

كنت مع زوجي وسط حشد من الناس نغادر ملعب كرة القدم بعد انتهاء المباراة، عندما اخذ يدي مع انه لم يظهر لي امارات الود علناً من قبل. فسررت ايما سرور. واذ خرجنا من الملعب متشابكيْ اليدين رفعت اليه بصري مبتسمة وسألته: «ألا تريد أن تفقدني؟»

فقال: «بل لا أريد أن أبحث عنك.»

ك.ج.

أصالة لغوية

ضمن البرنامج الصيفي لتعليم اللغات في الجامعة يوقّع الطلاب تعهُّداً بأن يتحدثوا طوال الوقت باللغة التي اختاروا تعلمها. ولقد ادركت كم هذه السياسة «متأصلة» في النفوس عندما قرأت في أول الصيف اعلاناً على لوحة البلاغات جاء فيه: «مطلوب: شريك في غرفة. مع التظاهر بالتحدث في أي لغة.»

م.غ.

العاطفة والالكترون

سأل أحدهم صديقه المهندس الالكتروني: «ما هو أفضل وأسوأ ما في الأدمغة الالكترونية التي ستتولّى عنّا يوماً عملية التفكير؟»

فأجابه: «أسوأ ما فيها انعدام العاطفة، وأفضل ما فيها انعدام العاطفة؟»

ج.غ.

إيطاليا تحارب لصوص الفن



تلاحق الشرطة الايطالية طائفة من اللصوص المحنكين ومنظمات الاجرام لاسترداد كنوزها النفيسة

كانت لوحة «سيدة النِعَم» العائدة الى القرن الخامس عشر مركزة على مسندها عندما اختفت وسط جموع متلهفة من المصورين والموظفين الكبار. واليوم يُحتفل باسترداد هذه اللوحة الصغيرة بعدما سرقت من كنيسة آلانو في منطقة ابروزي قبل خمس سنوات. وقد أُلقيت بالمناسبة محاضرات حماسية تطالب بحماية الحضارة الأيطالية. وقد أعلن الكولونيل اميديو نابوليتانو، الذي يرئس فريق مكافحة سرقة التحف في الشرطة

الايطالية، أن رجاله ماضون في تعقب لوحتين أخريين تشكلان مع لوحة «سيدة النعم» في الوسط لوحة ثلاثية. وهو يعتقد أن اللوحتين في حوزة هاو يسكن على مقربة من مدينة البندقية.

فيما كان محافظ البلدة وكاهنها يغادران المكان، التفت الي مفتش في الشرطة وقال: «انني سعيد لسعادتهما، اذ لو علما أن اللوحة في حوزتنا منذ سنة لجن جنونهما.»

سألته: «لماذا اذاً كل هذه الضجة حول تسليمها الآن؟» واعترف لي بأن الشرطة مثلت دوراً لاجتذاب جمهور مجهول قال: «اننا نخوض حرباً نفسية مع الذين يحتفظون ببقية اللوحة الثلاثية. لقد أبلغناهم رسالة هذا الصباح.»

فإذا وصلت الرسالة الى الهاوي المجهول الذي عناه الكولونيل نابوليتانو، فستعلم الشرطة أين ستعرض اللوحتان للبيع.

ونظراً الى النفائس التي لا تحصى كانت ايطاليا، ولا تزال، الضحية الأولى في العالم لعمليات نهب التحف الفنية، اذ يُسرق نحو ١٠٠٠ لوحة وتحفة كل شهر. لذلك أصبحت ايطاليا في العام ١٩٦٩ أول بلد ينظم فرقة متخصصة في الشرطة السرية لمكافحة هذا النوع من الجرائم. ويعتبر فريق المغاوير «كارابنييري»* لحماية الفنون المؤلف من ثمانين عنصراً واحداً من أنجح فرق الشرطة في العالم.

واليوم، نتيجة تفاقم المشاكل المتأتية عن سرقة التحف الفنية وتهريبها في العالم، غدا فريق الكارابنييري الايطالي مثلاً يحتذى. اذ أنشأت فرنسا في العام ١٩٧٥ فريقاً مماثلاً وإن يكن أقل عدداً. وهي تملك الآن نظاماً معلوماتياً فريداً يستخدم في اقتفاء الآثار الفنية المسروقة، وتعمل على ادخال مزيد من التحسينات عليه. وفي هذه الاثناء يدرس البوليس الدولي (الانتربول) امكان تعميم نظام المعلوماتية المتبع لدى الكارابنييري دولياً.

اقتفاء الكنوز. خلافاً للأساليب المتبعة في الشرطة لا يعمد فريق الكارابنييري عادة الى اعتقال المجرمين. إذ ان هدفه الأول هو منع «الاختفاء الدائم» للسلع المسروقة، وذلك باسترجاعها أثناء تبادلها بين الوسطاء والتجار. ولهذا الغرض ينظم الكارابنييري قائمة سنوية تتضمن صوراً وأوصافاً لاعمال فنية مسروقة، ويعممها على صالات العرض ومحلات الآثار والمتاحف والتجار عبر ايطاليا، اضافة الى صالات المزاد الكبرى والوسطاء خارج البلاد. وعندما يتم العثور على عملاء في حوزتهم عمل فني ورد في النشرة، لا يمكنهم ادعاء شرائه «بنية حسنة» لأنه سبق اعلامهم بسرقته. وغالباً ما يضطر هؤلاء الى تسليم المسروق، ولكن نادراً ما يدانون.

(*) Carabinieri

ومنذ العام ١٩٧٠ تمكن الفريق من استعادة اكثر من ١١٢ ألف عمل فني، لكنه اعتقل أقل من ٢٥٠٠ مشتبه فيه.

وتسمح هذه المهمة الخاصة بمقدار من المرونة في الأساليب. اذ يجاز التنصت على الهاتف واعتماد المخبرين واللجوء الى الخداع أكثر مما هو متبع في معظم البلدان الأخرى. وقد قال لي تحرّ طلب عدم ذكر اسمه: «لكن يفترض بنا أن نتناقش مع القضاة في كل ما نفعله.»

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٧ أثناء مخاطبة البرلمان الأوروبي حول تجارة الاعمال الفنية، قال الكولونيل نابوليتانو: «من الضروري أن نضمن اولاً استرداد الغرض المسروق، ثم نهتم لاحقاً بجمع الأدلة التي تدين المجرمين.»

في وسع الكارابنييري ان يتحرى نسبة ضئيلة من الجرائم المرتكبة في مجتمع غني بالفرص. فالأسواق ترحب بالمسروقات، والوقاية شبه معدومة. وقد ساد اعتقاد قديم أن من يسرق مكاناً مقدساً مصيره الجحيم. ودور العبادة هي اليوم الهدف الأول للصوص الفنون في ايطاليا لافتقارها الى الحراسة وأجهزة الحماية. الى ذلك ليست هناك قائمة كاملة بالتحف الدينية في ايطاليا مما يجعل اقتفاء الكنوز الكنسية أمراً شبه مستحيل. كذلك ما زالت الخطط اللازمة لتحسين الحماية في كثير من متاحف ايطاليا الاقليمية الصغيرة تنتظر التنفيذ.

. من بين القطع المهمة التي نجح الكارابنييري في استردادها لوحة لرافاييل ولوحتان لبيارو ديلا فرنشيسكاس كانت سرقت من قصر دوكال في اوربينو، وبلاطة المذبح العاجي من سرتوزا دي بافيا أحد أشهر الأديرة في ايطاليا ولوحة لرينوار سرقت من متحف «سيفيك» في تورينو. ومثل تحريو الفريق دوراً رئيسياً في تعقب خمس تحف تعود الى عصر النهضة وتحفتين مزخرفتين بالنمط الباروكي سرقتا عام ١٩٨٣ من متحف بودابست للفنون الجميلة في هنغاريا في احدى كبرى عمليات السرقة الفنية التي عرفها هذا القرن.

وقد استدعي فريق الكارابنييري للتحقيق في حادث بودابست عندما عثر على عيدان من الكبريت الايطالي في موقع الجريمة. طلب من المخبرين في أنحاء ايطاليا ارسال المعلومات بسرعة. فتقدم بعد حين واحد من كبار تجار الفنون وأدلى بمعلومات تفيد أنه سمع شاباً يلبس نظارة يتباهى بخططه لسرقة مسلحة لتحف تعود الى عصر النهضة . وقد تبين أخيراً أن اسمه ايفانو شيانتي، وهو مطلوب بجريمة قتل وسرقة تحف فنية وله علاقات بعالم الجريمة في أوروبا الشرقية.

وضع مقهى «ريجيو اميليا» الذي كانت تتردد عليه عصابة شيانتي تحت رقابة مشددة. وشوهد أحد مساعدي شيانتي، جياكومو موريني، يقود سيارة



«بروفسور» فريق الكارابنييري.

لا تخصه، وتبين من التنصت الى مكالمة هاتفية أن سيارته الفيات تخضع لتصليحات في اليونان. وافادت معلومات من هنغاريا أن ايطالياً نقل براً ست لوحات الى اليونان، وأن اللوحة السابعة استردت في بودابست.

حدد الكارابنييري مكان سيارة موريني داخل مرآب قرب أثينا بعد التدقيق في سجلات شركة «فيات» لقطع الغيار المرسلة الى اليونان. وتم اكتشاف مخبأ سري داخل السيارة يتناسب وحجم اللوحات.

وعند الاستجواب خيِّر موريني بين التعاون مع الشرطة ومواجهة العدالة في هنغاريا. فزعم أن شيانتي هو «الرأس المدبر» للجريمة. وأخبر الكارابنييري أن شيانتي سلم اللوحات الى صناعي يوناني معروف. فأُطلع الصناعي على اعتراف موريني. وبعد أيام ظهرت اللوحات في دير قرب أثينا. فألقي القبض على شيانتي وحكم عليه بالسجن.

كذلك استندت شركة الاذاعة الايطالية الى ابطال الكارابنييري في برنامجها التلفزيوني «القبض على لص عبقري.» وعندما سئل رجال التحري عن مدى صدق المشاهد التي تضمنت مطاردات مثيرة وعمليات سرية معقدة، قالوا: «تحدثوا الى البروفسور.» وقد عنوا بذلك زميلاً لهم تعامل مع رؤساء المافيا في عرينهم وأكل مع قطاع الطرق في سردينيا.

نقطة الضعف. يعود لقب «البروفسور» الى مفتش التحق بالفريق منذ تأسيسه ونال لقبه الاكاديمي بطريقتين.

بعد برنامج تدريبي مكثف لمدة شهر في روما، يلتحق المجندون الجدد بالبروفسور ليتعلموا اسرار هذه المهنة المعقدة. والى ذلك كان البروفسور يفضل التنكر بدور مؤرخ للفنون يتقاضى مبالغ كبيرة من هواة جمع التحف الكبار في مقابل بضائع مسروقة. انه دور اتقنه الى درجة مكنته ثلاث مرات من خداع متعامل تختبىء وراءه عصابة «كامورا» وهي مرادف للمافيا في نابولي. وقد تم ارساله الى السجن.

استخدم المفتش جميع مهاراته للقبض على اغوستينو كارنسيتشي الذي تورط في بيع ثلاث تحف تعود الى عصر النهضة سرقت عام ١٩٧٠ من متحف «سيفيك» في بافيا. وقد تم استرجاع اثنتين منها عام ١٩٧٤ عندما أوقع

اللص في شرك متقن وهو يبيعهما الى رجل انتحل صفة تاجر آثار من لندن. اعتقل كارنسيتشي واثنان من رجال عصابته، لكنه تمكن من الفرار لاحقاً.

أخيراً بدأ الكارابنييري مفاوضات عبر والدة كانسيتشي لاقناعه بأن ليس هناك من سبيل لبيع اللوحة الثالثة، وهي لوحة نادرة لانطونيلو دامسينا. أوضحوا انه قد يحظى بحكم مخفف إن استسلم. وفي ساعة متقدمة من احدى ليالي أغسطس (آب) تلقى ضابط شرطة رسالة توجهه الى مستودع الامتعة في محطة للسكك الحديد في روما. كانت اللوحة هناك. وبعد أشهر قليلة اعتقل كارنسيتشي بتهم أخرى.

يقول البروفسور: «ان العامل الأساسي في جميع العمليات السرية هو أن تدرك أن المال هو الحافز الأهم في ذهن الشخص الآخر. انه نقطة ضعفه.» فذات مرة اقتاده أحد المخبرين الى بلدة كالابريا حيث كان موظفان من المتحف المحلي وصديق لهما يبيعون تحفاً سرقوها. يقول «البروفسور»: «كانت مسألة استمالتهم بسيطة جداً، إذ دعوتهم الى تناول أفضل عشاء في البلدة.» وعندما أبرز أمامهم كدسة كبيرة من الأوراق المالية قبلوا بتسليم السلع. عندئذ قبض عليهم.

أغلى من الفرو. يقول الكولونيل نابوليتانو إن المنظمات الاجرامية تنشط على نحو زائد في سوق التحف لتصريف الأموال غير المشروعة وجني الأرباح. والى ذلك بدأت تظهر منظمات كبيرة للاجرام عملها الوحيد سرقة الاعمال الفنية. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٧ عملت قوة مشتركة من الكارابنييري ونظرائهم الفرنسيين على الاطاحة بعصابة فرنسية - ايطالية تمولها مجموعة من تجار التحف في تورينو. وقد سبق لهذه العصابة أن نهبت ٢٠٠ قصر فرنسي في السنوات الثلاث السابقة، محدثة خسارة بلغت ١٠٠ مليون فرنك (نحو ١٧ مليون دولار). والفضل في حل هذه القضية يعود جزئياً الى «بنك المعلوماتية» الخاص بفريق الكارابنييري حيث تتوافر معلومات عن ٤٠ ألف تحفة فنية مسروقة من أنحاء العالم.

احدى الصعوبات التي تعترض حل المشكلة من جذورها هي أن اللصوص يتخلصون بسرعة من التحف الفنية المسروقة. واسترداد تحفة فنية قد يكون صعباً أيضاً عندما تكون في حوزة أحد الهواة. يقول ضابط كبير في الفريق: «ينزع المتعاملون في سوق التحف الفنية الى نقل أقاويل عن منافسيهم.»

ان الارتفاع المشهود في أسعار التحف والرغبة المتزايدة في اقتنائها اجتذبا اعداداً متنوعة من المجرمين الى حقل سرقة الاعمال الفنية. يقول الكولونيل نابوليتانو: «في هذه الايام قد يتجاهل اللصوص معطفاً من الفرو اذا رأوا لوحة قديمة.»

روبرتو سورو ■

«تفاح من ذهب في مصوغ من فضة
كلمةٌ مقولةٌ في محلها»

سليمان الحكيم

فن التشجيع

كنت في السادسة والعشرين من عمري أعاني المرض والكآبة. كنت أحتاج الى مساعدة، فوجدتها في المكتبة العامة المحلية، في كتاب خطب لونستون تشرشل.

«لن تفتر عزيمتنا ولن نسقط. سوف نحارب في فرنسا، وفي البحار والمحيطات. سوف نحارب في الجو بثقة متزايدة وقوة متنامية.»

تخيلت نفسي في بريطانيا في ذلك اليوم الكئيب من يونيو (حزيران) ١٩٤٠ الذي تلا هزيمة بريطانيا في معركة دانكيرك، عندما علا ذلك الصوت الرنان العظيم، الموزون والمتأني والقوي، مخاطباً مجلس العموم البريطاني. رفعت كلمات تشرشل معنوياتي كما رفعت معنويات الملايين من مواطنيه.

«سوف ندافع عن جزيرتنا مهما يكن الثمن. سوف نحارب على الشطآن والمدارج. سوف نقاتل في الحقول والشوارع. سوف نقاتل على التلال.» وتراءى لي ذلك الوجه البلدغي العظيم وتانك العينان المتقدتان. «لن نستسلم ابداً!»

كل ما تطلبه الأمر كان تعبير هذا الرجل عن إيمانه بقدرة الفرد على مواجهة التحدي وقهره. ولقد منحني ذلك شجاعة. كان تشرشل يعرف ان مواطنيه يملكون قوة داخلهم. وأدركت بدوري أن القوة ذاتها تكمن داخلي أنا أيضاً.

قال لي احدهم مرة: «كن لطيفاً. إن جميع من تصادفهم يخوضون معركة صعبة.» هنالك أناس في كل مكان

يحتاجون الى كلمة حلوة، الى إطراء تشجيعي يوقد آمالهم وأحلامهم.

دعوني أضع بين أيديكم أربع طرق للتفوه بكلمات تشجيع حقة:

كونوا مخلصين وبسطاء. أعلن الكاتب الامريكي مارك توين مرة أنه يستطيع أن يعيش مدة شهرين على اطراء واحد جيد. لكم هذا صحيح! ألم نردد جميعنا في نفوسنا، تكراراً، الكلمات الحلوة التي سمعناها من أحدهم، من غير أن تفقد هذه الكلمات التشجيع الذي أحدثته؟

لكن في الاطراء شيئاً أبعد من التملق. الاطراء الكاذب يحلي اللسان لكنه يثقل المعدة. والعبارة المتأنقة هي عادة غير ضرورية، فالاطراء الابسط قد يكون هو الاعمق أثراً.

أعمل في شركة لا يعلق فيها المدير على حسن عملنا إلا نادراً. لكنني ما زلت أحتفظ بمذكرة كتبتها تتضمن أفكاراً عن طرق بناء علاقة أفضل مع الزبائن. لماذا تظل هذه المذكرة عالقة في ذهني من بين المئات التي كتبت؟ كلمتان صغيرتان كتبهما المدير على عجل في أعلى الوقة: «فكرة جيدة!»

كونوا حسّاسين في ما يختص بالزمان والمكان. من أمثال سليمان الحكيم: «تفاح من ذهب في مصوغ من فضة كلمةٌ مقولةٌ في محلّها.»

خلال احدى الغارات الاخيرة في الحرب العالمية الثانية، كان الجنرال الامريكي دوايت ايزنهاور يسير على ضفة الراين، فصادف جندياً بدت عليه امارات الكآبة.

سأله ايزنهاور: «كيف تشعر يا بني؟»

أجاب الشاب: «إنني متوتر جداً يا سيدي الجنرال.»

قال ايزنهاور: «حسناً، أنا وأنت نشكل ثنائياً جيداً، لأنني متوتر أيضاً. لو نسير معاً، فقد يساعد واحدنا الآخر.»

لم يعطِه عظة ولا نصيحة، لكنه أعطاه تشجيعاً حقاً.

تذكروا أمثلة شخصية عن الكفاح. إن الطبيعة البشرية تنزع الى الاعتقاد أن الناس الناجحين لم يرتكبوا أخطاء. لكن الحقيقة غير ذلك. فمن يواجه الصعوبات يحتاج الى تذكير بالتحديات والخيبات التي تنتابنا جميعاً.

قررت متابعة مقرر دراسي جامعي بسبب أستاذ هناك يدعى هوارد هندريكس. كانت شخصيته وصدقه وذكاؤه وثقته تشع من خلال كل كلمة يقولها. وأثبت أنه أعظم أستاذ صادفته في حياتي.

ولكن بعد فترة وهنت عزيمتي لاعتقادي أنني لن أتمكن أبداً من العيش وفق تعاليمه وانجازاته.

وذات يوم شعر هندريكس بحالي النفسية وربما بحال جميع طلاب الصف. فتوقف في منتصف محاضرته

وباشر حديثاً من القلب الى القلب. تحدث بهدوء عن عدد المرات التي واجه فيها الفشل، وكيف كاد يتخلى عن التعليم غير مرة. كان يضحكنا لحظة ثم يحزننا ويحوز عطفنا في لحظة أخرى. وأدركت أنه رجل غير كامل، مثلنا جميعاً. قال لنا: «ليست الحياة سباقاً قصيراً، إنها سباق طويل. والذين يفوزون هم غالباً الكادحون مثلكم ومثلي.»

خذوا الوقت الكافي. كلمات التشجيع القديمة لا تنفع. الاطراءات السهلة التي تقال من غير تفكير، مثل «تبدو في حال جيدة» أو «يعجبني أسلوبك» تفتقر الى قوة التحريك وإن قيلت بنية صادقة. التشجيع الحقيقي هو مثل رسالة جيدة الصياغة، بل قد يكون رسالة فعلاً.

ظل الشاعر الامريكي والت ويتمن يكافح سنوات كي يجد أحداً يهتم بشعره. لم يلاقِ تشجيعاً. ثم تلقى رسالة جاء فيها: «سيدي، لم تَفُتْني أبداً قيمة الموهبة المدهشة البارزة في كتاب «أوراق العشب.» انني اجده تحفة من الذكاء والحكمة تفوق كل ما أنتجته أمريكا الى الآن. انني أحييك في مستهل حياة أدبية عظيمة.» ووقع الرسالة الكاتب والشاعر الامريكي رالف والدو امرسون.

لم تكن تلك الكلمات مرتجلة. لقد كدّ امرسون حتى توصل الى اختيار ما يناسب. لم يكن في نيته تشجيع ويتمن فحسب، بل تشجيعه على نحو يذكر.

التشجيع سهل جداً. إنه كلمة أو نادرة أو ثناء أو حديث حافز أو زيارة. انظروا حولكم واختاروا أحداً ما، ثم قدموا اليه أفضل ما لديكم. افعلوا ذلك اليوم.

مارك ليتلتون ■



لا يضيع حق...

لا َتني احدى نسيباتنا تستعطي مالاً. وقبيل عرس ابنتي سألتنا النسيبة أن نرسل إليها بطاقة سفر بالطائرة كي تحضر العرس. وقبل الموعد بأسبوعين اتصلت هاتفياً طالبة ٥٠ دولاراً. فزعقتُ: «لقد أرسلنا اليك بطاقة السفر، وكل شيء مؤمَّن لك مجاناً طوال اقامتك هنا. ونحن تراكمت علينا المصاريف الآن. هل انت حقاً في حاجة إلى المال؟»

أجابت النسيبة بسخط ظاهر: «حسناً، بحق السماء، هل تظنين أني سآتي من دون هدية؟»

ج.ت.

أضواء من عالم الطب

فيتامينات قبل الولادة

تفيد دراسة للدكتور جوزف مولينار وزملائه في «مراكز مراقبة الامراض» في اتلانتا، جورجيا، أن أجنّة النساء اللواتي يتناولن فيتامينات اضافية قبيل فترة الحمل وفي أوائلها تواجه اقل من نصف احتمالات الاصابة باختلال في «الانبوب العصبي» الجنيني.

إنّ أخطر نواقص الجهاز العصبي تنشأ في نهاية الشهر الاول للحمل عندما يقصر الانبوب العصبي عن الانسداد كلياً لكي يتحول في ما بعد دماغاً ونخاعاً شوكياً. فإذا بقي مفتوحاً في اعلاه فلن ينمو معظم الدماغ. وإذا بقي مفتوحاً على طول العمود الفقري فإنه يؤدي الى الاصابة بالسنسنة المشقوقة* فتتلف الاعصاب التي تحرك الحوض والأطراف السفلى أو لا تنمو بشكل طبيعي.

ووجد الباحثون أن الخطر يقلّ ٦٠ في المئة لدى أطفال النساء اللواتي أعلنّ تناولهن فيتامينات متعددة لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر قبل الحمل وطوال الاشهر الثلاثة الاولى من الحمل.

وما زالت هناك حاجة الى دراسات اضافية تؤكد هذا التأثير الوقائي الظاهر، لكن الدكتور مولينار يعتقد أن على النساء التحضير للحمل بمناقشة أطبائهن في الفوائد الممكنة لتناول الفيتامينات المتنوعة. إلا أنه يشدد مع غيره من الخبراء على أن تناول كميات كبيرة من بعض الفيتامينات غير مأمون وقد تنتج منه أيضاً نواقص خلقية.

صحيفة «نيويورك تايمز»

(*) Spina Bifida

الطيران وجلطة الدم

ان تقييد الحركة وضيق المقاعد والاجتفاف، (إستنزاف سوائل الجسم) تزيد خطر اصابة المسافرين جواً بجلطة في الساق. هذا ما يحذر منه ثلاثة أطباء في مجلة «لانسيت» الطبية البريطانية. فالدكتور جون كروكشانك رياضي في الثامنة والاربعين من عمره، نحيف ولا يدخن، وهو شعر بوجع عند لمس ربلة ساقه اليسرى بعد رحلة طيران طويلة في الشرق الاقصى. وعانى في ما بعد آلاماً في الصدر ناجمة عن جلطة (خثرة) تكونت في ساقه ثم انفصلت لتستقر في رئته.

وبعد رحلة طيران من واشنطن الى لندن، أصيب الدكتور براين جينيت، وهو في الستين من عمره، بآلام في الصدر ناتجة من جلطة انتقلت من ساقه. ولم يكن لأي من الرجلين ماض مرضي في القلب والأوعية الدموية.

وينصح الاطباء بتناول مشروبات غير كحولية لتفادي الاجتفاف، والمشي في ممر الطائرة وتحريك عضلات الساقين والوركين أثناء الجلوس.

«وول ستريت جورنال»

مأساة واقعية

جريح في حقل تبن

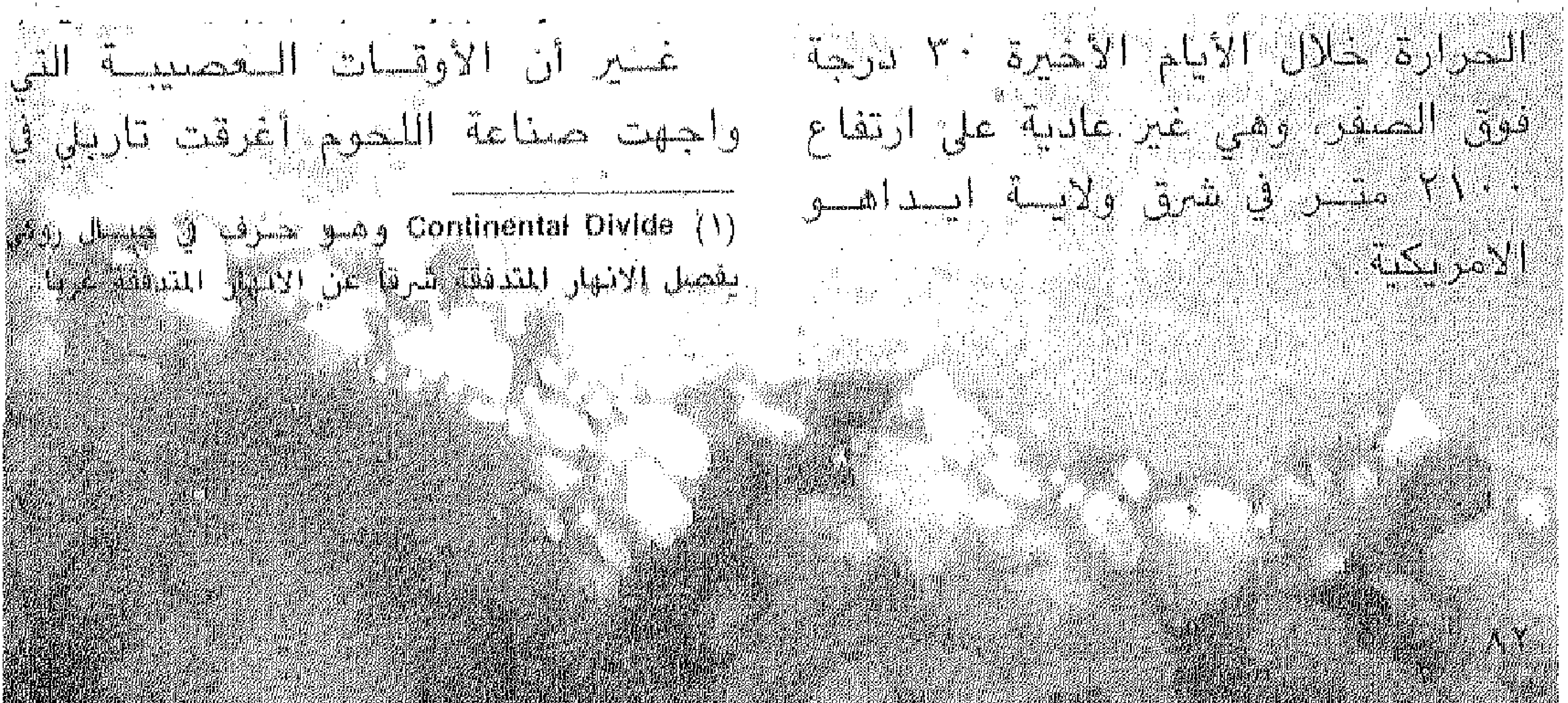
تمدد المزارع عاجزاً مهشَّم العظام وحياته رهن بتنبّه كلبه الوفي

تسلل جيم تاربلي على رؤوس أصابعه خارج الغرفة حرصاً منه على ألا يوقظ زوجته جودي. كانت الساعة الخامسة من صباح ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٨٨، وأمامه نهار طويل يمضيه في جمع التبن لتأمين المؤونة لماشيته خلال أشهر الشتاء الباردة حين تتدنى الحرارة إلى ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر. بيد أن الطقس القارس ما زال بعيداً، وقد بلغت الحرارة خلال الأيام الأخيرة ٣٠ درجة فوق الصفر، وهي غير عادية على ارتفاع ٢١٠٠ متر في شرق ولاية ايداهو الأمريكية.

أمضى تاربلي (٤٩ عاما) عقدين من عمره في تربية المواشي. وكانت أرضه الممتدة فوق ٦٠٠ هكتار، والتي دعاها شركة «كوكولالا» للمواشي، تقع على بعد ٥٠ كيلومتراً من بلدة دوبوا الأقرب اليها. وأرضه بقعة نائية غرب «الحد القارّي»[1] يرتع فيها قطيع من ٤٥٠ بقرة من نوع «هرفورد» القصير القرنين وعدد من أجود أحصنة السباق.

غير أن الأوقات العصيبة التي واجهت صناعة اللحوم أغرقت تاربلي في

(١) Continental Divide وهو خرف في جبال روكي يفصل الانهار المتدفقة شرقا عن الانهار المتدفقة غربا





الديون. لكن الأمور بدأت الآن تتحسن، وبات في امكانه أن يحلم بيوم تعيل فيه المزرعة العائلة بأسرها، بمن فيها أولاده الأربعة وأحفاده التسعة.

وحين خرج تاربلي من المنزل استقبله كلبه «ليروي» جذلاً. وهو حين أوصى على جرو توقع كلب رعي قوياً. لكنه بدل ذلك حظي بجرو أعجف يثير الشفقة. فألقى عليه نظرة وقال في نفسه: يا لهذا الكلب المسكين! لكن أعمال المزرعة حالت دون إرجاعه الى مربى الكلاب. وفي غضون ذلك تمكن الكلب، على رغم قبحه، من استمالة صاحبه.

كبر ليروي، وأصبح يزن خمسين كيلوغراماً. وبدا غريب الشكل. ونمت بينه وبين صاحبه عادات مسليّة: كان تاربلي يتسلل الى شاحنته ويحاول الانطلاق قبل أن يتنبه اليه الكلب، ولكن ما إن يقطع نصف المسافة حتى يندفع الكلب وراءه ويثب الى الشاحنة. وعندما يتفحص تاربلي أجهزة الري في المزرعة كانت عبارة «هيا نسبح» كفيلة بجعل ليروي يغوص في أقرب قناة للري ويتخبط فيها.

الجرار الشارد. تسلل تاربلي الى الشاحنة .ففتح بابها وأشعل المحرك وانطلق. لقد نلت منك هذه المرة يا ليروي. لكن الكلب أدركه وقفز الى مؤخر الشاحنة. ضحك تاربلي وصاح: «ليروي، أنت غير معقول!»

بعد مسيرة كيلومترات في طريق ترابية أوقف تاربلي الشاحنة في مرج حيث انتشرت رزم التبن. ثم صعد الى جرار ديزل كبير يجر عربة وقد صممت عجلاته المسننة وسلاسله ومكابسه الهيدروليكية لغرف الرزم وانتشالها بسرعة.

حمَّل تاربلي العربةَ نحو أربعة أطنان من التبن وأفرغها فوق كومة في طرف المرج.

وفي الجولة الثانية بدأت سلسلة الدفع في عربة التبن تنزلق عن العجلة المسننة. فترجل تاربلي غير مرة لاصلاحها.

قرابة الثامنة والنصف صباحاً أفلتت السلسلة من جديد. فأوقف تاربلي الجرار نخعاً. ولما حاول النزول زلَّت قدمه اليمنى على كتلة من الشحم ففقد توازنه. وعندما حاول التماسك ارتطم بمبدل السرعة، فانطلق الجرار قاذفاً اياه الى الخارج. وكان أثناء ذلك ارتطم بدواسة المخنق فأطلقها على مداها. وفيما هو يقع أرضاً علقت رجله اليسرى بعجلة الجرار فسقط على ظهره.

أطلق تاربلي صيحة ألم ورجله تتكسر. فالجرار يزن ٤٣٠٠ كيلوغرام، وكل عجلة خلفية يبلغ عرضها ٤٨ سنتيمتراً وهي معبأة بـ ٣٦٠ كيلوغراماً من الماء لزيادة الاحتكاك الالتصاقي. وشعر تاربلي بأن عظامه الحوضية تتفتت.

ثم قفزت العجلة على صدره وحطمت ضلوعه. فكر تاربلي: اذا داست العجلة

رأسي فستسحقه كبطيخة. أمال رأسه جانباً، فلامست العجلة أذنه.

شعر تاربلي بأن رجله اليسرى وحوضه وبعض ضلوعه وكتفه وذراعه ومعصمه اليمنى تحطمت شر تحطيم. وظن أنه يعاني إصابات داخلية. وكانت أدنى حركة تسبب له آلاماً مبرحة. وفي محاولة لمحاربة الهلع، أمل تاربلي أن يحطم الجرار السياج ويشق طريقه وسط المرج المجاور ليتنبه إليه مربو المواشي الذين كانوا يكومون التبن على بعد أقل من كيلومتر.

لكن كومة تبن اعترضت العجلتين الاماميتين فانحرف الجرار بعنف الى اليسار وارتطم بكومات تبن أخرى، ثم اجتاز قناتيّ ري مكملاً دائرة واسعة. وخلال دقائق عاد مندفعاً نحو الجريح.

سمع تاربلي قعقعة. لكن اصابة كتفه اليمنى كانت بالغة، فلم يقوَ على رفع رأسه ليرى ما يجري. فأمسك شعره بيده السليمة ورفع رأسه. وكم هالته رؤية ألجرار الشارد يتجه نحوه من جديد.

هذا جنون! لا أصدق ما يحدث.

استجمع تاربلي قواه غير آبه بالألم، وتدحرج ثلاث مرات ثم تهاوى بإعياء غير قادر على الحركة. لكنه بذلك أنقذ حياته إذ أخطأ الجرار رأسه مرة أخرى.

وبعد لحظات وثبت إحدى العجلات على علبة زيت فانحرف الجرار الى اليمين. وانعطف هذه المرة الى اليمين جاراً العربة المحملة بأطنان التبن نحو تاربلي الذي شعر بعجلتين تثبان مجدداً فوق رجليه، فتملكه الهلع.

حافظ الجرار على انعطافه المحكم واتجه نحو تاربلي مرة أخرى. اذ ذاك شد المزارع كل عضلة في جسمه تحفزاً، وحدَّث نفسه: الوداع يا جيم. ثم دفن رأسه بين ذراعيه وأخذ يصلي.

ولحسن حظه أعاق قسطل ماء تقدم الجرار وغيَّر وجهته، فاندفع جاراً العربة وراءه وتخطى تاربلي الى تلة صغيرة حيث علق بسياج من الاسلاك الشائكة.

كان تاربلي ممدداً ووجهه غارق في حقل التبن كأنه فزاعة متكسرة. هرول اليه ليروي وراح يلعق وجهه. فهمس تاربلي: «أهلاً ليروي، صدق أو لا تصدق، أنا حي أرزق.»

الماء المنقذ. توالت ساعات الصباح ببطء واشتدت حرارة الشمس حتى بللت تاربلي عرقاً. لكن تصبب العرق توقف قرابة الظهر.

وأدرك المزارع أن ذاك مؤشر خطر لصدمة أو استنزاف لسوائل الجسم أو للأمرين معاً. وشعر بحاجة ماسة إلى الماء. وحام الذباب بأعداد ضئيلة أولاً ثم أسراباً راحت تئز حول وجه تاربلي وتتغلغل في أنفه وعينيه وأذنيه وفمه.

وعاد ليروي بعد غطسة في قناة قريبة. ولما رأى الذباب تملكته غُريزة الحماية. ولكم دهش تاربلي عندما رأى الكلب يلعق الذباب وينفضه حتى طرده.

لاحظ تاربلي الماء يتقطر من الكلب. فهمس بصوت أجش: «تمدد يا ليروي.» فارتمى الكلب متثاقلاً قرب وجه سيده الذي راح يمص الفرو كما لو كان إسفنجة كبيرة. وشعر بارتياح لدى انسياب الماء في حلقه.

[illegible] خلال ساعات الصباح سمع تاربلي صوت جاره طوم ستلزر وهو يعمل في الحقل المجاور. ولكن قرابة الاولى بعد الظهر عم السكون المكان فأدرك تاربلي أن طوم وابنه ديف يرتاحان للغداء. وفكر: ربما توجها الى هنا لمعرفة سبب توقف جراري في السياج طوال الصباح.

وبعد ساعة انتابه شعور باليأس اذ عاد ستلزر وابنه وأدارا آلاتهما مجدداً. فأدرك أنهما لم يرتابا بشيء. كما أيقن أنه سيكون في عداد الأموات صباح الغد ما لم يعثر عليه أحدهم عند الغسق.

شعر تاربلي بحضور الموت، لكنه أبى التسليم بالامر. لا، لن أموت. أنا أتألم، إذاً أنا حي. وعندما يتوقف الألم سأكون في ورطة.

بات عطشه لا يحتمل، وأدرك أن لا بد من حصوله على الماء، وإلا فسيموت. نادى كلبه: «ليروي، هيا نَشْقِ.» رفع الكلب رأسه فردد تاربلي الامر. عندئذ عدا الكلب بعيداً وعاد مبللاً. فامتص الرجل اليائس فروه مرة ثانية. شكراً لله على أن ليروي أدرك الشاحنة هذا الصباح. طلب تاربلي من الكلب أن يذهب ثانية. فغاب ثم عاد وارتمى محتضناً بجسمه المبلل رأس سيده.

تذكر تاربلي عائلته. يا للظلم إن مات من غير أن يخلف سوى الديون! مد يده السليمة وكتب باصبعه في التراب: «أحب...» لكنه لم يقو على إكمال جملته. وفكر: أنا سعيد لأنك هنا يا ليروي.

[illegible]. قرابة الرابعة عصراً، بعد مرور ثماني ساعات على الحادث، سمع تاربلي هدير سيارة تسلك الطريق الترابية في محاذاة المرج. وفيما هو منبطح تناول قبعته القش ولوح بها من خلف ظهره.

كان جيري هوبس وزوجته كارول في طريقهما لتفقد ابنهما الذي كان يعمل على بعد بضعة كيلومترات من مرج تاربلي. لاحظت كارول الجرار. وحدق جيري فرأى تاربلي يلوح بقبعته. حاول جيري الوصول الى الجريح لكن ليروي اندفع عبر المرج ومنعه من الاقتراب محاولاً حماية سيده من الغريب.

لقد وهنت قوى تاربلي ولم يعد قادراً على مناداة كلبه. ولما ثبط عزم جيري صرخ: «سأعود بالنجدة.»

توجه الزوجان الى حقل جيم ستلزر، وصرخ جيري مشيراً الى المرج: «لقد أصيب أحدهم بمكروه، تعالوا بسرعة!»

عرف ليروي جيم ستلزر وابنه وسمح لهما بالمرور. وصرخ ديف ستلزر: «يا الهي، ماذا حدث يا جيم؟»

فأجاب تاربلي هامساً: «اصابتي بالغة. اني أموت.»

فنهره ديف بحزم: «أنت أقوى من أن تموت الآن، سوف تنجو.»

اتصل المنقذون بمركز الاسعاف فاستدعيت مروحية من بوكاتيلو التي تبعد ١٩٠ كيلومتراً. فوصلت بعيد السادسة مساء. وللحال أدخل المسعف الطبي ابرتين وريديتين في ذراع تاربلي ورجله لمدّه بسوائل تحول دون تعرضه لصدمة أو جفاف، ثم نقل الى المروحية.

وبعد رحلة استغرقت نصف ساعة أدخل تاربلي المستشفى وهو في حال الخطر. ودهش الأطباء لبقائه حياً. فقد ثقبت مثانته وأصيب حوضه بكسور مضاعفة. وتحطمت رجله وقدمه اليسريان وكتفه وذراعه ويده اليمنى. استغرقت ست ساعات.

وبعد ثلاثة عشر يوماً، سبعة منها في وحدة «العناية الفائقة،» سمح له أطباؤه بمغادرة المستشفى. فعاد الى مزرعته والجبس يغلف ذراعيه وساقيه وقد أثبت له أنبوب يفرغ مثانته.

مكافأة ليروي. لقد غادر تاربلي المستشفى باكراً، ولكن كان عليه أن يسدد فواتير بقيمة أربعين ألف دولار. اذذاك هب سكان دوبوا للمساعدة. وقدم حطاب ثمن حمولة شاحنتين من الخشب. وأعاد تاجر شيكاً بقيمة ٢٠٠ دولار كان تاربلي أرسله اليه. وحسم الجراحون جزءاً من فاتورة المستشفى. وجمع سكان البلدة خمسة آلاف دولار هي ريع مباراة روديو[2] ومزاد علني.

يقول تاربلي: «ان المشاعر المتدفقة من العائلة والاصحاب أمر لا يصدق.» وهو قرر شكرهم باهداء مهر سباق كل سنة الى الولد الذي يفوز في مسابقة الارشاد الزراعي والاقتصاد المنزلي التي تجريها الولاية.

وهو لم ينسَ ليروي. يقول: «لولا الماء الذي أتاني به لكنت في عداد الأموات.» ويحظى ليروي اليوم بامتيازات جديدة لم يتعودها. فبعدما كان ممنوعاً عليه دخول المنزل، أصبح يتمدد على أريكة في غرفة الجلوس.

لم يشفَ تاربلي كلياً. ولا يزال مهدداً بفقدان المزرعة بسبب الاعباء المادية التي ترتبت على الحادث. لكنه لا يشعر بالمرارة. يقول: «أنا أؤمن أن في كل حدث، مهما يكن سيئاً، ايجابية ما. وقد ازددت الآن ادراكاً لطيبة الناس المحيطين بي. وبعد دنوّي من الموت بت أشكر الرب على كل يوم جديد يمنحني اياه.»

بير أولا وإميلي دولير ■

(٢) الروديو مباراة بين رعاة البقر لعرض براعتهم في ركوب الثيران (والجياد احياناً).

ان تراقب الطبيعة بدلاً من السيارة التي أمامك، تلك هي الطريقة لأن تغدو جزءاً من الاثنين.

ر.ر.

تعرفهم من خطوطهم

خبير قضائي في خطوط اليد يتقفى الوثائق والتواقيع المزيفة

أعضاء المحكمة البحرية حيارى. فالدعوى المرفوعة تتناول اصطدام ناقلة النفط العملاقة «إيسو شيتاغونغ» وباخرة الشحن «توماسيفريت.» وقد زعم أصحاب الناقلة أن باخرة الشحن أبحرت في مسار تصادمي. غير أن أصحاب الباخرة جزموا بأنها كانت تبحر الى الوراء، وأبرزوا سجل رحلتها برهاناً. وعلى السجل خُطّ بالقلم الرصاص الرقم «3» إشارة الى عدد صَفْرات الباخرة، والصفرات الثلاث علامة ابحارها الى الخلف.

وفيما عكفت هيئة المحكمة على معالجة الروايتين المتضاربتين، اذا بمحام موكل عن أصحاب الناقلة اسمه فيرغس باتسون ينسلّ خارجاً. هاتف المحامي ديريك ديفيس، وهو رجل ريفي يعدّ ثقة في خطوط اليد، طالباً منه أن يفحص سجل باخرة الشحن.

سلط ديفيس مصباحاً للأشعة فوق البنفسجية على الرقم «3». فظهرت الورقة خشنة حول الرقم. ثمة شيء ممحو، ولكن ما هو؟

ثم استعمل ديفيس الأشعة تحت الحمراء أملاً في العثور على أثر لقلم الرصاص الأصلي. ولم تبين الأشعة سوى نثار قطع من الرصاص. «هذا غير كافٍ لحل الرموز.» لذا تابع عمله باحثاً

عن تغضّنات أحدثها رأس القلم الرصاص على الصفحة التالية تحت تلك المشتبه فيها والمخطوط عليها الرقم «3». وبعدما غلف الصفحة بغشاء بلاستيكي خاص، ذرَّ عليها مسحوق الكربون الأسود، ثم أضاف خرزات زجاجية (وهي جزيئات متناهية في الصغر تشبه الغبار الذهبي). واذ هزّ الورقة برفق دحرجت الخرزات المسحوق إلى الانبعاجات والاثلام الدقيقة فباتت مرئية تحت المجهر.

غلى الدم في بدن ديفيس. ففي وسط الرقم «3» حدَّد ثغرة دقيقة جداً. لقد خط خفير الباخرة الرقم «2» (دلالة على الاستدارة الى الميسرة). ثم، بعد محو الجزء السفلي من الرقم، زاد أحدهم عقفة محولاً «2» الى «3» (أي الانطلاق الى الوراء).

أطلع ديفيس قاضي المحكمة البحرية على نتائج تحرّيه. فحكم القاضي ببراءة «ايسو شيتاغونغ.» وهو أمر نادر الحدوث في قانون البحرية المعروف بصرامته، وقد كُفي موكلوه مؤونة دفع نحو مليون جنيه استرليني (١،٦ مليون دولار).

ديفيس رجل شديد البأس في السادسة والخمسين من عمره. وهو شديد الضبط في أعماله، واثق بنفسه. وهو أفضل خبير قضائي في خطوط اليد في بريطانيا بأسرها. وقد مثل أمام المحكمة في أكثر من ١٠٠٠ قضية في ٥٠ بلداً، وأعطى آراءه في نحو ٤٠ الف مستند، من الشيكات الى رسائل الانتحار وشهادات المؤهلات المهنية.

وهو فصل في قضايا على الأبواب. واستدعي يوماً الى مركز للشرطة في شرق لندن ليفحص باب زنزانة حفر عليه تهديد بالقتل بمبرد للأظافير. وأكّد ديفيس عند معاينته أنه متطابق مع خط يد أحد المساجين. وفي تاريخ أقرب عهداً بعثت إليه إحدى الشركات جزءاً من صفيحة باب مرحاض، وطلبت منه معرفة الشخص الذي كتب على الصفيحة شتيمة لزوجة أحد الموظفين. فقابل ديفيس الكتابة بخطوط عدة موظفين، وعرف الفاعل.

يقول ديفيس: «قد يغير الكاتب انحدار كتابته، أو حجمها، أو ضغطه على الورقة، أو سرعته. لكن عادات الكتابة المستمرة طوال العمر هي أشبه ببصمات الأصابع. فهي تدل على صاحبها دوماً، وان تكن كتابات مجونية على الجدران.

وفي احدى المرات لاحظ ديفيس أن طالباً كان يترك فسحات ضيقة جداً بين الكلمات، فعرف أنه هو الذي أدى امتحاناً في المحاسبة نيابة عن آخر. وفي تعليقه: «معدّل الفسحة التي يتركها الطالب الأصيل حرفان ونصف حرف، أما الفسحات التي تركها هذا الطالب فبلغت نصف ذلك.»

وفي واقعة أخرى، أرسلت اليه شركة، غير راضية عن حجم فواتير الفنادق التي يقدمها أحد وكلائها المتجولين،

رزمة من الايصالات الموقعة. فلم يتوانَ عن كشف زيفها جميعاً، الا واحدة صحيحة. «أما في الباقيات فقد اختلق البائع أسماء فنادق وترويسات فواتير طبعها بيده وملأها بالتفاصيل. وأما تواقيع أمناء الصناديق، على رغم تمويهها لاظهار تباينها، فقد سطرتها يد واحدة هي يد الوكيل ذاته.»

أنوار كاشفة. يستخدم ديفيس ضوءًا خاصاً[١] شديد السطوع لإمعان النظر في الأوراق من دون احراقها، فهذه بيّنات لا ينبغي الإضرار بها. كما يستعمل مجهراً مقارناً[٢] لفحص أصالة الوثائق المطبوعة.

وعندما أبرز رجل يرغب في الزواج ثانية شهادة تنص على وفاة زوجته السابقة التي افترسها نمر بنغالي، وضع ديفيس الشهادة تحت المجهر المقارن جنباً الى جنب مع شهادة وفاة أصلية من الهند. في العادة تظهر العين الفاحصة للمجهر البنود المتماثلة كأنها واحدة. أما في هذه الحال فقد ظهر تموّج: «كانت الشهادة مزورة ببراعة.»

ويثق ديفيس كل الثقة بوسائله العلمية. وليس لديه متسع من الوقت لدراسة الخط كتعبير عن شخصية الكاتب[٣]، وهو يشبه ذلك بقراءة أوراق الشاي.

ويجهر روبرت رادلي وهو خبير قضائي آخر: «ان ثقة ديريك ديفيس بمهاراته تجعله لا يطيق آراء الآخرين.»

مرة أثناء قضية تزوير توقيع سُطر تحته خط، قال ديفيس أن ليس في مقدور أحد أن يرسم خطاً كامل الاستقامة ببطء شديد. وإذ تجرأ محامي الدفاع على التشكيك في قوله، تحداه ديفيس بأن يرسم خطاً كذلك. وأتى ديفيس بعدسة مكبِّرة لاثبات اضطراب الخط. وقال: «زاد المحامي ضغطه على القلم، ثم خففه، وجاءت النتيجة ذاتها.»

بعض المحامين يتجنبون مشادة ديفيس علانية. وقد كتب إليه محام في قضية تشهير: «بلغ الرعب مبلغه من قلوب خصومنا عند ذكر اسمك، فسويت الدعوى خارج المحكمة.»

معتدّ برأيه. في مهنةٍ مزاولوها معدودون يبرز ديريك ديفيس نسيج وحده. فهو درس على نفسه. ولم يرغب طوال حياته سوى أن يكون خبيراً في خطوط اليد.

وحين كان حدثاً كان يدرس كل ما يقع عليه عن الموضوع الذي يحب، بما فيه الرسوم العابثة، والكليشيهات (الصفائح) النحاسية المستخدمة في الطباعة، وعلم الخط. وجزع لدى علمه أن ليس ثمة مقرَّر دراسي لتدريب هاو ناشىء على فكّ أحاجي الخطوط. وعمل مراسلاً لصحيفة «ايدوير وديستريكت

(١) Fibre-optic light

(٢) Comparascope

(٣) Graphology

يوست» فتبينت له طريقة عمل المحاكم. وتمرس بمخاطبة المحامين ورجال الشرطة. يقول: «سمعت موظفين حكوميين من حملة الشهادات العملية يبرزون أدلة في قاعات المحاكم، وشعرت بأنهم لا يعرفون نصف ما درسته على نفسي.»

أدار ديفيس شركة طباعة خاصة مدة ثماني سنوات. ثم أسس شركة للآلات الكاتبة، فغدا في وسعه تحديد الفروق الدقيقة جداً بين حروف الطباعة والآلات الكاتبة على أنواعها. وهو يدأب على السهر حتى منتصف الليل، سعياً الى معرفة جنس المرء (ذكر أم أنثى) من خط يده. وهو فحص عينات من خطوط ٦٠٠ فتى و٦٠٠ فتاة، وأقرّ بعجزه، اذ لم يستطع أن يميز بينها على وجه قاطع. لكنه نشر بحثاً فنياً ذكر فيه أن كتابة الأعسر يمكن تمييزها عن كتابة الأيمن.

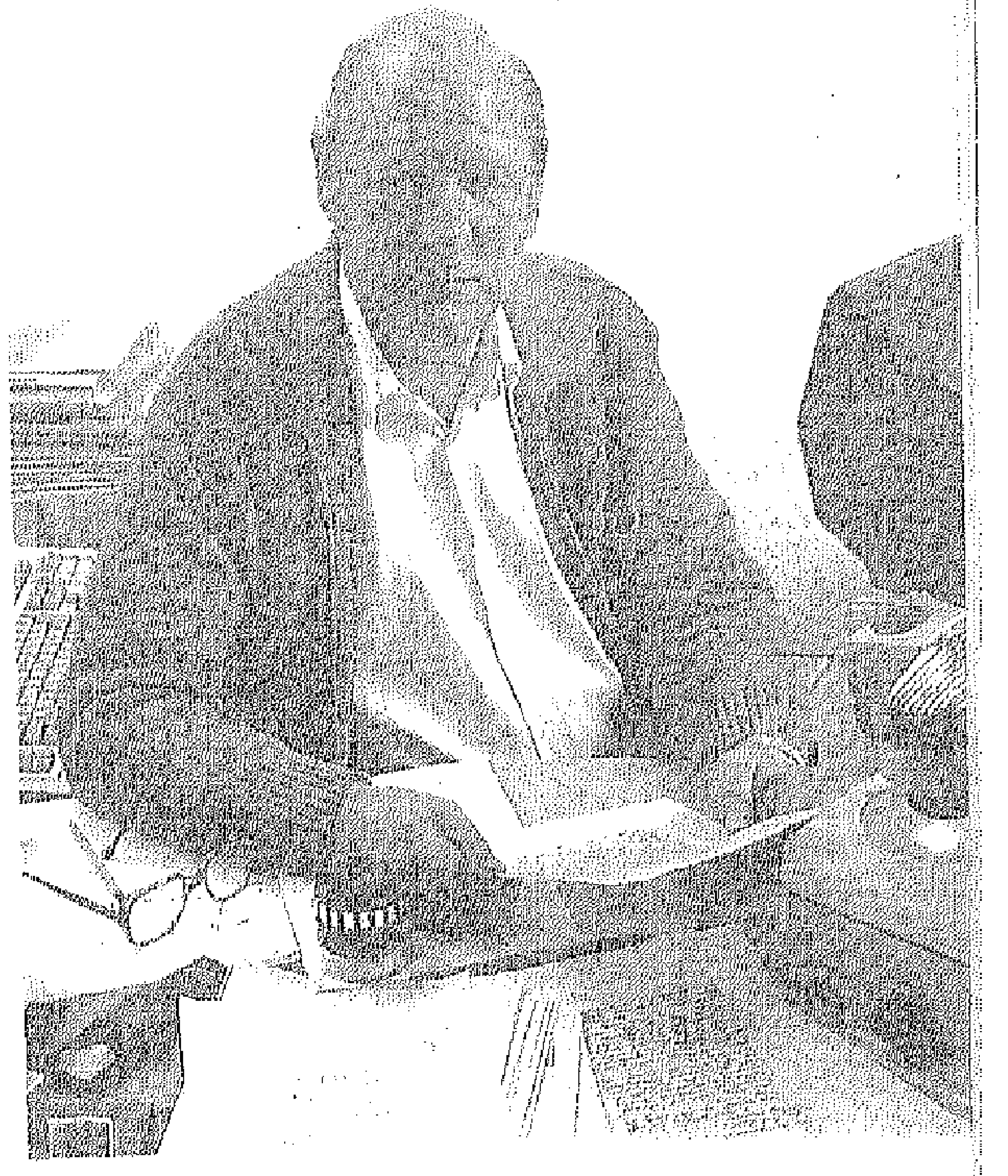
ووضعت نظرية ديفيس على محك التجربة في محكمة «أواد بايلي» التاريخية في لندن عام ١٩٦٩، اذ استدعي الى منصة الشهادة، فصعق الشرطة والمحامين باصراره على براءة المتهم لأنه أيمن، ولذا فهو «يجذب» قلمه، فيما علامات الضغط على الشيك الذي تدور حوله القضية تدل على أنه كتب بيد أعسر، فالقلم «يُدفع» في هذه الحال.

وطارت شهرة ديفيس بعد هذه الدعوى. واصطف الزبائن على بابه تحدوهم الآمال وتكتنفهم الريَب، سعياً الى الافادة من خبرته. سافر الى هونغ كونغ ولوس انجلس للشهادة في دعاوى عدة.

وكانت احدى محطات التلفزة وعدت المشاهدين بـ«كشف مثير» محوره أن برونو هاوتمان أُعدم ظلماً عام ١٩٣٦ بتهمتي خطف ابن الطيار الشهير تشارلز لندبرغ واعدامه. وعرضت المحطة على ديفيس مذكرات الابتزاز التي استعملت أدلّة على الجرم. يقول ديفيس: «لقد خيبت آمالهم، اذ كنت على يقين من أن تلك المذكرات قد سطرها هاوتمان بيده.»

وصيتان مريبتان. ديفيس اليوم رب أسرة وله ابنتان شابتان. وهو يكسب أكثر من ١٠٠ ألف جنيه (١٦٠ ألف دولار) سنوياً بدل أتعابه التي تدر عليه ٩٠ جنيهاً (١٤٥ دولاراً) في الساعة. ويعدّ نفسه محظوظاً لأدائه معظم عمله في مسقط رأسه بالقرب من هيميل همستيد. وتروي عنه زوجته فاليري: «انه يعمل ليلاً حتى ساعات الصباح الأولى فيما المحامون ينتظرونه على الهاتف لمعرفة رأيه.»

وتُعرض على ديفيس قضايا غش واحتيال كثيرة. وهي تراوح بين الألاعيب العابثة، كرجل أعمال يضيف الرقم «١» إلى يمين الرقم «٥» على ايصال نقدي بقيمة ٥ جنيهات ثمناً لوقود السيارة، وأعمال الاحتيال في الشركات الكبيرة



ديريك ديفيس يفحص أحد الخطوط مستعيناً بأحدث الوسائل العلمية.

العالمية. وقد استدعته شركة المحاسبة «برايس واترهاوس» للتدقيق بهدف التفتيش عن مطالب مزورة بأموال الصندوق الذي أنشىء لتعويض حملة السندات في روسيا ما قبل الثورة، كما طلب منه كشف احتيال مقدمي الطلبات الذين استعملوا كتابة يد مموهة للحصول على أكبر عدد من الحصص المجددة قانوناً لدى تحويل «مصلحة المطارات البريطانية» مؤسسة خاصة عام ١٩٨٧.

وفي سجل القضايا الذي يحتفظ به ديفيس مئات من دعاوى الوصايا، ومعظمها من قريب واحد يرتاب في صحة الوصية. ومن بينها القضية الآتية: توفي عجوز في الثمانين. وأقر معظم أقربائه بصحة توقيع وصية يترك بموجبها أمواله للزوجين اللذين يديران دار الرعاية حيث توفي. لكن زوجة حفيده وحدها شككت في التوقيع. فطلبت الأسرة من ديفيس، عبر محاميها، أن يبتّ في هذه المسألة.

قارن ديفيس توقيع العجوز على الوصية بنماذج أخرى من توقيعاته. فرأى أن توقيعه ذاك يفتقر الى الانسياب. فضلاً عن أنه عندما سلط الضوء الخاص جانبياً على ورقة الوصية، تبين له أن الظلال العميقة التي أحدثها قلم الحبر الجاف محفورة في أماكن غير معهودة في التواقيع الأخرى.

يقول ديفيس: «عندما ينقل شخص ما توقيعاً أصيلاً عن إحدى الوصايا، يزداد بطؤه كلما عمل بأناة أكثر. ونتيجة ذلك يتأثر انسياب الخط والضغط على القلم.» وفي نهاية المطاف صدر الحكم في القضية وآل ٨٠ في المئة من العقارات الموصى بها الى أسرة المرحوم.

أما الدعوى القضائية المفضلة لدى ديفيس فهي قضية المزارع ريتشارد باول من سافورد شاير، الذي قضى عن ٨٦ عاماً مخلفاً أملاكه لابن أخيه بيرسي. وادعى أربعة عشر من اقاربه أن الوصية مزورة، مستشهدين بـ «اضطرابات» في التوقيع.

PHOTO: MICHAEL TAYLOR

عكف ديفيس على دراسة ٥٠ شيكاً حررها ريتشارد وبعضها يرجع الى الثلاثينات من هذا القرن. يقول: «بطبيعة الحال، هناك تفاوت في ما بينها. فالمرء لا يخط توقيعاً متطابقاً مرتين. انها عملية سريعة ذات بعد شخصي.» ولكن تبين أن بعض الفروق استثنائي. وقد أذهل ديفيس شيكان سطرا في اليوم ذاته، خط أحدهما واضح ومتميز ومضبوط، وخط الآخر مرتعش وغير جازم. ثم عاودت التواقيع سيرتها الأولى في الشيكات اللاحقة.

وتكرر تعاقب الأحداث مرتين: تواقيع مضطربة تليها عودة تدريجية إلى خط ثابت كأنه منقوش على كليشيه نحاسية. وكان ديفيس يعرف أن المرض ينعكس في خط اليد. لذا طلب اثباتاً طبياً. واتضح أن ريتشارد أصيب بثلاث سكتات دماغية (فالج).

وخرج ديفيس باستنتاج وحيد معقول. فأقنع هيئة المحكمة بأن سكتات أخرى غير مدونة حدثت فعلاً، وأن ريتشارد ذيّل الوصية بتوقيعه وهو يغالب احداها. وآل الميراث الى ابن بيرسي طبقاً لما ذكر في الوصية.

ولفرد غريتوركس ■

طفل على الهاتف

يروي أحد الأصحاب أنه اتصل بزميله في العمل في منزله بعد ظهر يوم عطلة، فأجابه على الهاتف طفل، وكان الحوار الآتي:

«هل بابا في البيت؟»

ـ لا، هو في الخارج يمارس الرياضة.

«دعني، اذاً أكلّم ماما.»

ـ هي في الحمام.

«طيِّب، اسمع. هل تستطيع ايصال رسالة إلى بابا عندما يعود؟»

ـ نعم.

«هل تستطيع الكتابة؟»

ـ كلا. ولكن أستطيع أن أرسم الحروف.

«حسناً. هلا اخذت قلماً؟»

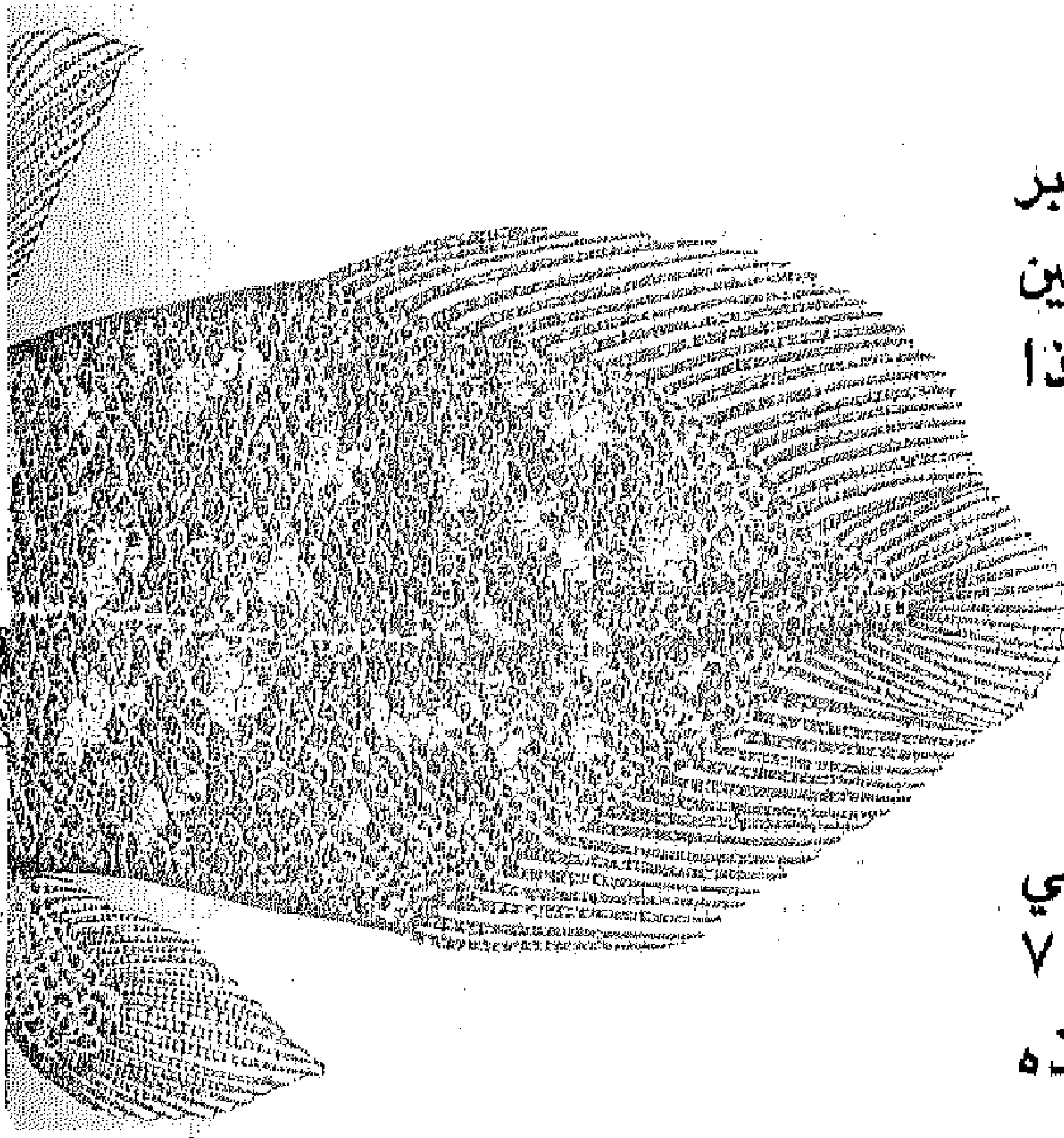
ـ انتظر... نعم.

«أنت جاهز الآن؟ سجِّلْ اسمي. ادعى سليم عبيد. هكذا يُهجَّأ: س ل ي م ع ب ي د. اخبر بابا أن السيد سليم عبيد اتصل به ويريد ان يكلمه فور عودته. والآن سأعطيك رقم هاتفي. سجله عندك. هل أنت جاهز؟»

ران صمت طويل، أعقبه صوت صغير كئيب سأل: «عمّي، كيف تكتب حرف السين؟»

ج.د.

سمكة عمرها ٧٠ مليون سنة



صادف الثاني والعشرون من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨ الذكرى الخمسين لأحد أبرز الاكتشافات العلمية في هذا القرن. ففي مثل هذا اليوم اكتُشفت قبالة الساحل الشرقي من رأس الرجاء الصالح أسماك الكولاكنث المسماة أيضاً «ذوات القوائم الأربع القديمة»[1] التي ساد الاعتقاد أنها انقرضت قبل ٧٠ مليون سنة. والمعروف اليوم أن هذه الأسماك تتميز بزعانف تتحرك على نحو نصف دائري ضمن ١٨٠ درجة ولها ما يشبه القوائم. ويُعتقد أن هذه الفئة من الأسماك[2] تتصل بحلقة مفقودة في السلّم ما بين الأسماك والحيوانات البرمائية.

وهنا القصة المدهشة لهذه «المتحجرات الحية».

بدأت القصة حين كان هندريك غوسن، وهو قبطان سفينة لصيد الأسماك في المياه العميقة، عائداً من جولة صيد عادية قبالة الشاطىء جنوب غرب إيست لندن في مقاطعة الكيب بجنوب افريقيا. فجأة راوده شعور أقنعه بأن ييمّم شطر مصب نهر شالومنا. وهناك طرح شبكة الصيد على مسافة خمسة كيلومترات من الشاطئ الى عمق ٧٢ متراً قرب حيد صخري مغمور بالمياه ينحدر ٣٥٠ متراً تحت سطح البحر. وما ان سُحبت الشبكة

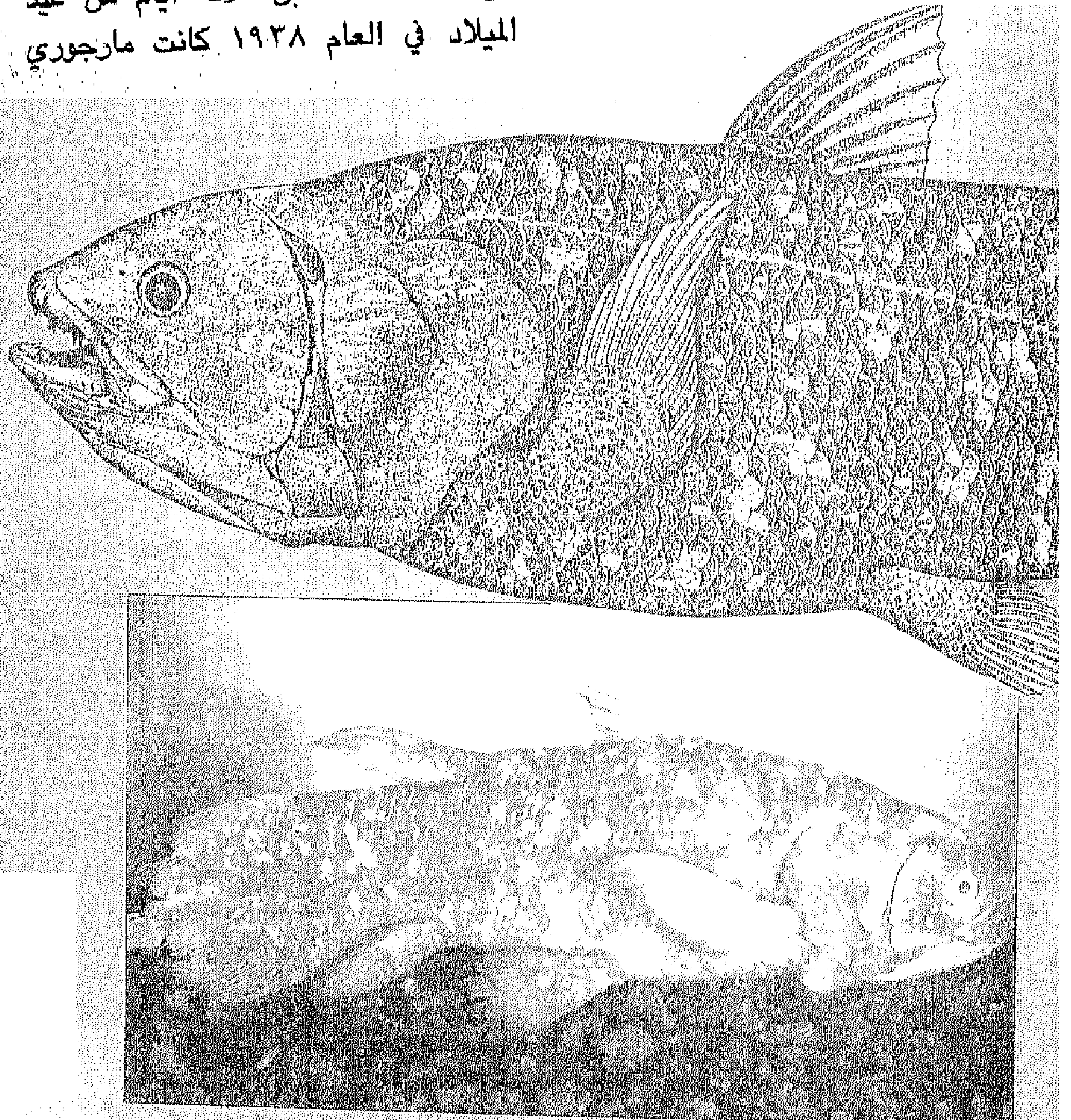
(١) Coelacanth or Old Fourlegs

(٢) Crossopterygii group

وأفرغ الصيد حتى اندلقت سمكة بلغ طولها متراً ونصف متر، تكسوها طبقة حرشفية سميكة. لقد أمضى غوسن معظم عمره يجوب البحار، لكنه لم يـر يوماً مشهداً كهذا.

أدرك على الفور أن هذا النموذج من الأسماك قد يكون ذا قيمة علمية فريدة، خصوصاً بالنسبة الى صديقته مارجوري كورتني لاتيمر القيمة على متحف إيست لندن الحديث العهد. وكثيراً ما كانت مارجوري تـزور أرصفة السفن وتبدي اهتماماً فائقاً بأجناس غير مألوفة من أسماك يلتقطها ربابنة سفن الصيد.

الى المتحف. قبل ثلاثة أيام من عيد الميلاد في العام ١٩٣٨ كانت مارجوري



سمكة كولاكنث تسبح على عمق ١٥٠ متراً قبالة ساحل غراند كومور

مستغرقة في العمل على متحجرة معروضة في المتحف، فتلقت مكالمة هاتفية أنبأتها أن سفينة غوسن «نارين» عادت بصيد ثمين. وللحال ركبت سيارة أجرة نقلتها بسرعة الى رصيف الميناء حيث طالعتها سمكة مدرَّعة ذات لون أزرق مخضر.

تقدم أحد الصيادين وأشار الى أن زعانف السمكة تشبه القوائم، وأنها كانت زرقاء زاهية عندما سُحبت من المياه، وأنها حاولت قضم أصابع القبطان بأسنانها الشبيهة بالأنياب. ووصفها بأنها «سحلية بحرية ضخمة.» فجال في فكر مارجوري أنها قد تكون نوعاً من الاسماك الرئوية، لكنها عادت وجزمت أنها نوع غير عادي يستحق الاهتمام.

كان يوماً حاراً، لذلك لاقت مارجوري صعوبة في اقناع سائق سيارة الأجرة بنقل سمكة تزن ٦٠ كيلوغراماً وتفوح رائحتها. وأخيراً وافق على نقلها في صندوق الأمتعة. وفور الوصول الى المتحف وضعت مارجوري رسماً تقريبياً للسمكة وأخذت قياساتها. ثم أرسلت الجيفة الحادة الرائحة الى مصبِّر المتحف الذي حنَّطها وثبَّتها على سناد. بعد ذلك وَجَّهتْ رسالة الى الرجل الأوحد الذي تعرف أنه يستطيع كشف هوية هذا النوع من الأسماك.

كان جايمس ليونارد بريلري سميث أستاذاً لمادة الكيمياء بجامعة رودس في غراهامستون بجنوب افريقيا. وُلد في غراف ـ رينت عام ١٧٩٧ وانخرط في الحرب العالمية الأولى في أفريقيا الشرقية حيث أصيب بالملاريا والزُحار والحمى المالطية. ولمَّا كان ضعيف البنية فقد رافقه السقم الصحي طوال حياته. وهو تعلَّق منذ نعومة أظفاره بهواية صيد الأسماك، وبناء على ارشادات طبيبه، كان يقضي معظم وقته في الهواء الطلق يحلل كل سمكة يلتقطها، حتى غدا في تلك الآونة واحداً من أهم علماء الأسماك في جنوب أفريقيا.

متحجرة حية. تسلَّم سميث رسالة مارجوري لاتيمر مرفقة برسم تقريبي، يوم ٣ يناير (كانون الثاني) في منزله الريفي على شاطىء لاغون كنيسنا. وحين تفحَّص الرسم، «شعرت كأن قنبلة انفجرت في دماغي،» كما ذكر لاحقاً في كتابه «أولد فورلغز: قصة الكولاكنث.» وأضاف: «لقد كان ما خطر لي محالاً منافياً للطبيعة والعقل حتى أن حسِّي السليم راح يؤنبني ويزدري بلاهتي.»

كتب سميث: «عذبتني الشكوك وكوتني الهواجس ورحت اتساءل: ماذا أنتفع اذا اندفعت وراء ظنِّي وجعلت من نفسي أضحوكة بين العلماء؟ خمسون مليون سنة! أمر لا يصدق أن تبقى أسماك الكولاكنث حية كل هذا الوقت ولا يدري الانسان المعاصر بوجودها.»[٣]

---

(٣) عندما اكتُشفت سمكة الكولاكنث الاولى كان ظن سميث انها انقرضت قبل ٥٠ مليون سنة. اما اليوم فيقدِّر العلماء انها انقرضت قبل ٧٠ مليون سنة.

وبعد مضي سبعة أسابيع توجه سميث وزوجته مارغريت الى إيست لندن، مباشرة الى المتحف فقيل لهما: «الآنسة لاتيمر في الخارج الآن.» ويتذكر سميث: «أرشدنا الناظر الى غرفة داخلية حيث وضعت... الكولاكنث! يا الهي! شعرت للوهلة الأولى كأن صاعقة أصابتني. وحين أفقت من ذهولي رأيت الحقيقة ماثلة أمامي بكل تفاصيلها: حرشفة فحرشفة، وعظمة فعظمة، وزعنفة فزعنفة. إنها الكولاكنث بلا ريب.»

وعاد الزوجان ومعهما «المتحجرة الحية» الى منزلهما في غراهامستون حيث أكب سميث على العمل. وراح يستيقظ في الثالثة من كل صباح ليشرِّح كل حرشفة وعظمة وزعنفة ويحللها بدقة متناهية. وأخيراً أتمَّ دراسته للسمكة في العام ١٩٣٩ وأعادها الى المتحف. غير أنه لم يكتفِ بما اكتشفه، فراح يدق أبواب المسؤولين محاولاً اقناعهم بتمويل رحلة للبحث عن أقرباء ذوات القوائم الاربعة، لأن وجود هؤلاء الاقرباء أمر لا يقبل الجدل. لكنه العام ١٩٣٩، «ومن يهتم بسمكة والقنابل تنهمر فوق الرؤوس؟»

جهود ضائعة. تعلَّمت مارغريت أن تشارك زوجها في شغفه. وخلال سنوات الحرب «مشط» الزوجان مئات الكيلومترات على امتداد ساحل جنوب أفريقيا وهما يبحثان عن أي خيط من معلومات حول أسماك كولاكنث أخرى. وألِفَ صيادو الاسماك منظر الرجل الهزيل الجادّ وهو يتنقل فوق الصخور والمنحدرات عارضاً عليهم رسماً لسمكة عجيبة وسائلاً إياهم بالحاح عن حصيلة صيدهم. لكنه لم يتوصل الى أي دليل، مما أقنعه بأن السمكة التي التُقطت في إيست لندن قد تكون انجرفت جنوباً مع تيار الموزمبيق الدافىء كغيرها من الاسماك الاستوائية.

وفي العام ١٩٤٥ حُلَّت مشكلة التمويل اذ كلِّف سميث تأليف كتاب عن الأسماك البحرية في جنوب أفريقيا، وحصل في السنة التالية على منحة من «مجلس الأبحاث العلمية والصناعية.» وعلى الأثر ترك سميث التعليم وباشر مع زوجته سلسلة من الرحلات جابا خلالها مناطق نائية في الموزمبيق وشواطىء أفريقيا الشرقية. وطبعا آلاف المنشورات بلغات ثلاث، عارضين جائزة مقدارها ١٠٠ جنيه استرليني (١٦٠ دولاراً) لكل من يلتقط سمكة كولاكنث أخرى، ووزعا المنشورات بكثافة على رجال القبائل والصيادين الذين تلقوها مشدوهين. في هذه الاثناء خاض الزوجان مياه الشواطىء وجمعا مئات النماذج من أسماك تبين لاحقاً أن ٢٠٠ نوع منها غير معروف[٤].

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢ عاد الزوجان على متن الباخرة «دونوتار

---

(٤) هذه النماذج معروضة الآن في مجموعة «معهد ج.ل.ب. سميث لعلم الاسماك» في غراهامستون.

كاسل» من مومباسا الى جنوب افريقيا بعد رحلة استكشاف مضنية عبر شواطىء كينيا وجزيرتي بمبا والزنجيبار. لقد مرّت ١٤ سنة من المغامرات منذ إكتشاف السمكة الاولى في إيست لندن، ولم تثبط عزيمة سميث وزوجته في العثور على سمكة كولاكنث أخرى. لكن جهودهما لم تؤت ثماراً.

أستاذ مختلّ. رست الباخرة في دوربان صباح عيد الميلاد. وفيما كان سميث جالساً في الردهة تسلم برقية فضّها بلامبالاة. وما ان قرأها حتى هب واقفاً وقد أصابه الذهول. جاء في الرسالة: «عندي نموذج كولاكنث طوله ٥ أقدام محفوظ هنا في محلول الفورمالين، وقد نفق بتاريخ ٢٠ من الشهر الجاري. ماذا ترتأي؟ مصدر البرقية جزر القمر وموقّعها إريك هنت، وهو ربان مركب شراعي التقاه الزوجان في الزنجيبار وصادقاه. وهو حار آنذاك في أمر الزوجين اللذين استحوذ على عقليهما موضوع الكولاكنث. لكنه أخذ رزمة من المنشورات التي تعد بمكافأة، ووزعها بمساعدة الحاكم الفرنسي في أنحاء الجزر البدائية المتفرقة.

عرف سكان الجزر السمكة باسم «غومبيسا» وكانوا يصطادونها من وقت الى آخر. وعندما التقط أحد الصيادين سمكة من هذا النوع في مياه دوموني في جزيرة جوان، أخذها الى سوق موتسامودو في الناحية الأخرى من الجزيرة. واذ همَّ بتقطيعها تدخل أستاذ محلي قائلاً ان السمكة تشبه تلك الظاهرة في الصورة. فإن صح ذلك فهي تساوي ما يعادل ٥٠ ألف فرنك محلي، وهو مبلغ ضخم في تلك الأنحاء.

ولحسن الحظ كان مركب هنت الشراعي راسياً في موتسامودو. فحدد نوع السمكة على الفور ووضعها في صندوق معدني مستعملاً ما تيسر من مواد حافظة، ثم أبحر الى أقرب مركز لارسال البرقيات.

أبحر سميث على متن «دونوتار كاسل» وهو يفكر كيف يصل بسرعة الى جزر القمر لتسلم سمكته «القابعة في أسوأ مكان في العالم حفظاً للسمك النافق.» وأدرك أنه يحتاج الى طائرة حكومية توصله الى مبتغاه قبل فوات الأوان.

حاول سميث مراجعة المسؤولين الحكوميين، لكنه وجد صعوبة في ذلك لانصراف الناس الى التحضير لعيد الميلاد. وأخيراً ساعده أحد الأصدقاء على الاتصال هاتفياً بالمنزل الريفي لرئيس الوزراء آنذاك، مالان، حيث طالعه صوت الزوجة التي أنبأته أن الرئيس نائم ولا يمكن إزعاجه.

يقول سميث: «شعرت اذذاك بأعنف انحطاط في حياتي.» وبعد دقائق خالها دهراً رن جرس الهاتف، وكان على الخط الآخر رئيس الوزراء الذي سأله عن مطلبه. فأخبره سميث القصة... باللغة الافريقانية. أصغى ميلان الى حديثه



القبطان إريك هنت
وج.ل.ب. سميث
وافراد طاقم الطائرة
في جزر القمر
مع «جائزتهم».

بود ظاهر، ثم قال لسميث المشدوه انه سيضع طائرة بتصرفه في اليوم التالي.

غير أن استكمال الاجراءات الرسمية لتأمين طائرة تابعة لسلاح الجو في دولة جنوب افريقيا، مع طاقمها، استغرق ٣٦ ساعة. وحين تأمن كل ذلك أبدى الرجال الستة الذين ضمهم الطاقم امتعاضهم من الأوامر التي تلقوها بنقل «الاستاذ المختلّ» الى جزيرة منسية في أرض غريبة من أجل احضار سمكة نافقة.

برهان قاطع. حطّت الطائرة في جزيرة بامنزي حيث رسا قارب هنت. ويتذكر سميث: «عندما فتح باب الطائرة رأيت وجه هنت من خلال نسمة هواء ساخن. وللحظة خانتني الألفاظ، ثم سألته بصوت متحشرج: أين السمكة؟ فأجاب: لا تقلق، انها الكولاكنث من دون ريب.»

هرع سميث الى الرصيف حيث أزاح هنت لفافة القطن عن السمكة. ويتذكر سميث: «حقاً، كانت تلك كولاكنث. وفيما رحت أمسد بدنها بحنان انهمرت دموعي على يدي وعرفت أني أبكي... من دون خجل.» لقد كانت سمكة الكولاكنث برهاناً قاطعاً يدحض مزاعم النقاد من زملائه العلماء ويؤكد صحة اندفاعه المحموم الى هذا الهدف.

وكان بلاو قائد طاقم الطائرة متلهفاً للرحيل، تماماً كسميث، إتقاء للمضاعفات السياسية والديبلوماسية التي قد تنشأ عن حصول جنوب أفريقيا على هذا النموذج العلمي القيم من مستعمرة فرنسية. وأقلع بلاو بطائرته في مناورة جوية رائعة وسط رياح عاصفة. وحطت الطائرة في دوربان بعيد الثامنة مساء ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٢.

واستجابة لدعوة من اذاعة جنوب

أفريقيا أجرى سميث مقابلة شرح فيها بحماسة مراحل بحثه المضني ورحلته الصعبة الى جزر القمر، مما استحوذ على اهتمام الصحافيين في أنحاء العالم. وكان اكتشافه العلمي الرائع، وإن لم يدرك كل نواحيه في ذلك الحين، مساهمة جلى ليس فقط من الناحية العلمية بل في اهتمامات الانسان بالبيئة وبمصيره المرتبط عضوياً بجميع الكائنات الحية.

اجراءات حماية. من المؤسف حقاً أن سميث وزوجته لم يعيشا ليحتفلا بالذكرى الخمسين لاكتشافهما غير أن حملة مشعلهما في «معهد ج.ل.ب. سميث لعلم الأسماك» بجامعة رودس ما زالوا منهمكين في دراسة وحماية بيئة الكولاكنث في جزر القمر.

وفي مارس (آذار) ١٩٨٧ ركب الاستاذ هانس فريك وفريقه من «معهد ماكس بلانك» في ألمانيا الغربية غواصة علمية صغيرة للوصول الى موطن الكولاكنث في المياه العميقة المحيطة بجزيرة غراند كومور البركانية. وهناك صوروا للمرة الأولى شريطاً عن أسماك الكولاكنث وهي تسبح في محيطها الطبيعي. وشاهدوها تقف على رؤوسها وتسبح على ظهورها والى الوراء و«تمشي» على قاع المحيط بقوائمها الأربع.

والحاجة ماسة اليوم الى حماية هذه «المتحجرات الحية.» فبعد نشر اكتشافات سميث الرائعة تدفقت الطلبات لنماذج من أسماك الكولاكنث من المتاحف والمؤسسات العلمية في أنحاء العالم. وتُعرض مكافآت سخية على صيادي الأسماك في جزر القمر لتأمين نماذج، وهذا ما يعرض الكولاكنث لخطر الانقراض، خصوصاً لأنها لا تستطيع العيش خارج المياه العميقة لأكثر من ساعات قليلة. لذلك شكل «مجلس المحافظة على الكولاكنث» ومهمته التنسيق بين متطلبات الأبحاث العلمية واجراءات الحماية.

ويبقى السؤال: هل انجرفت تلك الكولاكنث الاولى حقاً من جزر القمر تائهة في تيارات بحرية متلوِّية؟ أم ان «ذوات القوائم القديمة» لا تزال تعيش قبالة ساحل جنوب افريقيا؟

كريستوفر مونيون ■

«نوبل» رجعي

كان استاذ في علم الاقتصاد يروي للصف أن أحد أساتذته السابقين، روبرت م. سولو، منح عام ١٩٨٧ جائزة نوبل في الاقتصاد عن أبحاث كتبها في أوائل الخمسينات.

فسأله طالب: «لماذا لم يُعترف له الا اخيراً بانجازات حققها قبل وقت بعيد؟»

وقبل أن يتسنى للاستاذ أن يجيب أبدى أحد الطلاب رأيه: «يبدو أن مؤلفاته كانت صعبة الفهم!»

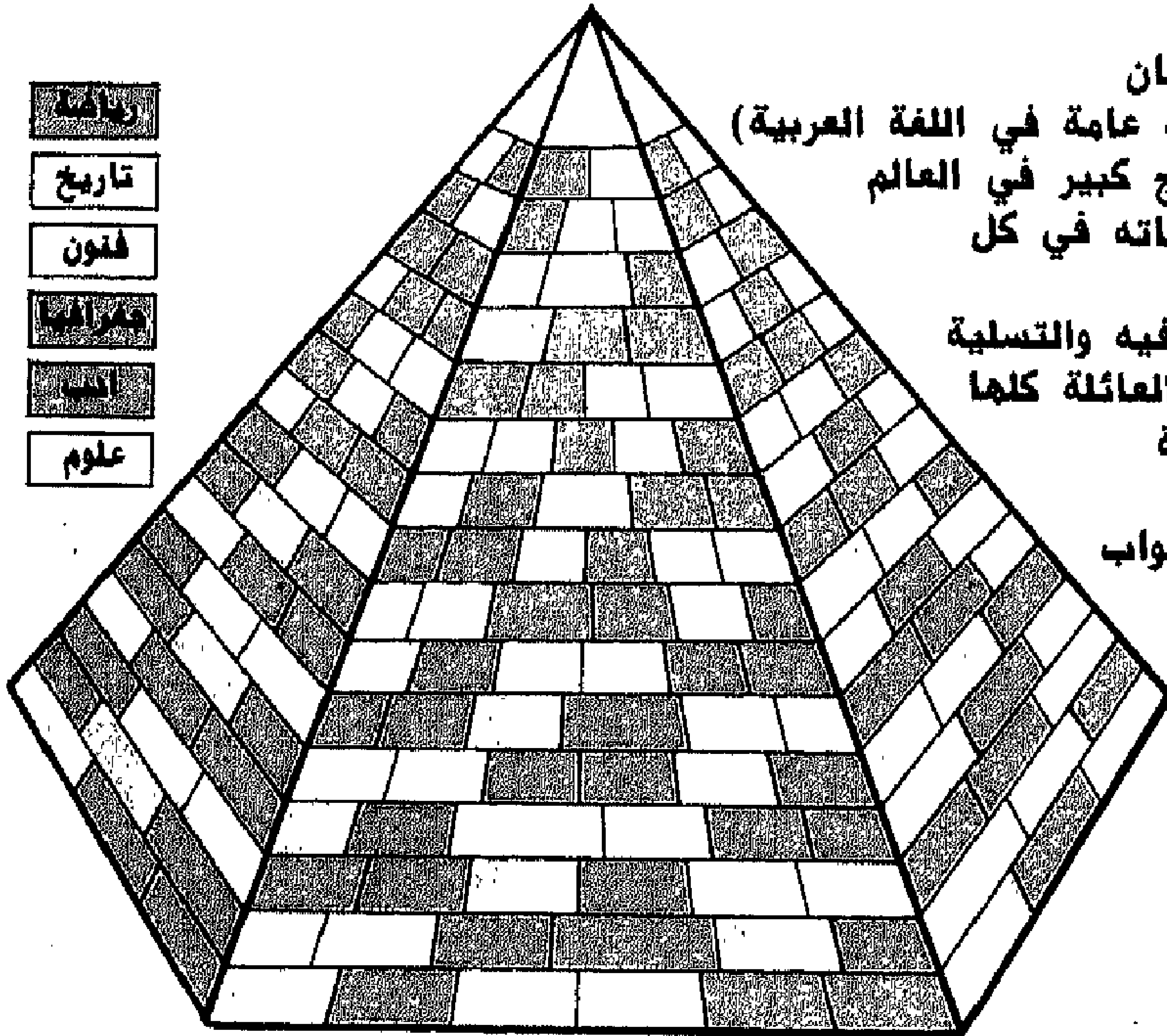
د.ك.

التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

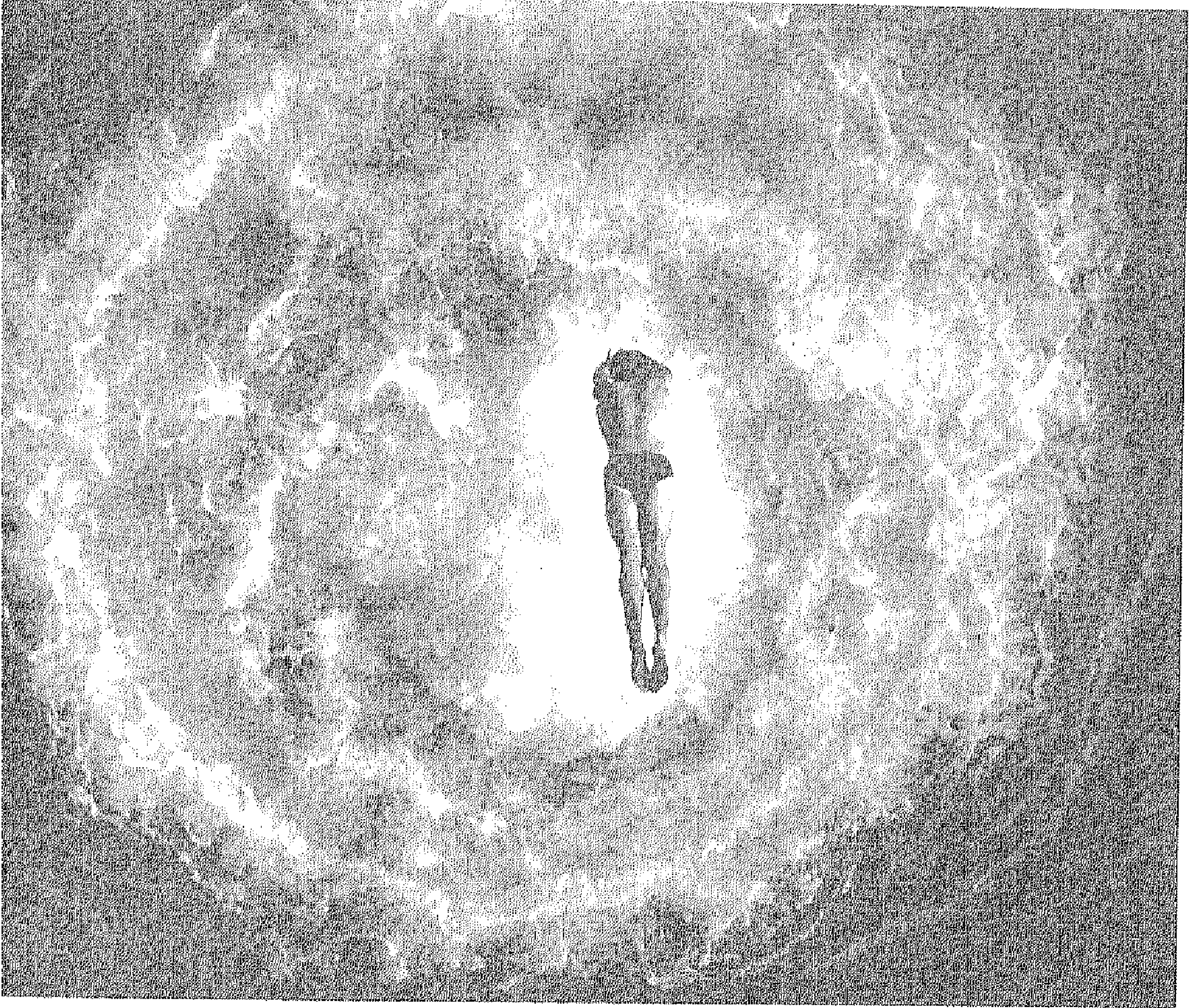
لعبة عربية تثقيفية مشوقة

رم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
رم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
رم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
رم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
رم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
رم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
رم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
رم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
رم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت: ٩٣٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA
٤١٤٤٢٧ : Playdima

لقطات رياضيّة



نشر حديثاً كتاب ضم صوراً مأخوذة بعدسة ايمون ماكابي وهو مصور مرموق وحائز عدة جوائز.

قدَّم للكتاب الصحافي الرياضي سايمن بارنز، وجاء في مقدمته: «يحب ماكابي أن يبقى بعيداً عن الأشياء التي يصورها، ويستعمل لهذا الغرض عدسة تشبه مدفع البازوكا.

درّاجون،
الألعاب الأولمبية
لوس انجلس ١٩٨٤.
كنت منحنياً
على حافة الحلبة
أراقب الفرق المتبارية.
كانت عيون بعض
الدراجين مغمضة،
...هم أبقى رأسه مطأطأ.
... أن هذا الدراج كان من
الناس المحبب تصويرهم
لما يطفح به من حيوية.
وخوذته تضفي على
الصورة قوة.

...لس، كريستال بالاس،
١٠... (أقصى اليسار)
... دفعة من الهواء
...مضغوط بهدف «توسيد»
...ح الماء للغطاس.
... لقطة رائعة للتصوير،
... لا تدوم الا ثانية واحد،
...ل الهواء بعدها
...ات بشعة. والمشكلة
...ن في اظهار الغطاس
... يغطس فعلا.
...لكن أريد أن يبدو ضخم
...ثة، فتسلقت المنصة
... تعلو ١٠ أمتار وتطلعت.
...لس من فوق كتفي.



فهو يريد البقاء خفياً، كذبابة على حائط، فلا تفوته أدنى التفاصيل. وتتميز صوره الرياضية بمظهر رسمي، وخلفية شبه معدومة، ومحتوى بشري عظيم دافئ، وعنصر دعابة غريب. وهو يرى على الدوام لقطات لا يراها سواه.»

هنا عيّنة من فضلى لقطات ماكابي مرفقة بتعليقاته الشخصية حول طريقة تصويرها.

ايمون ماكابي،



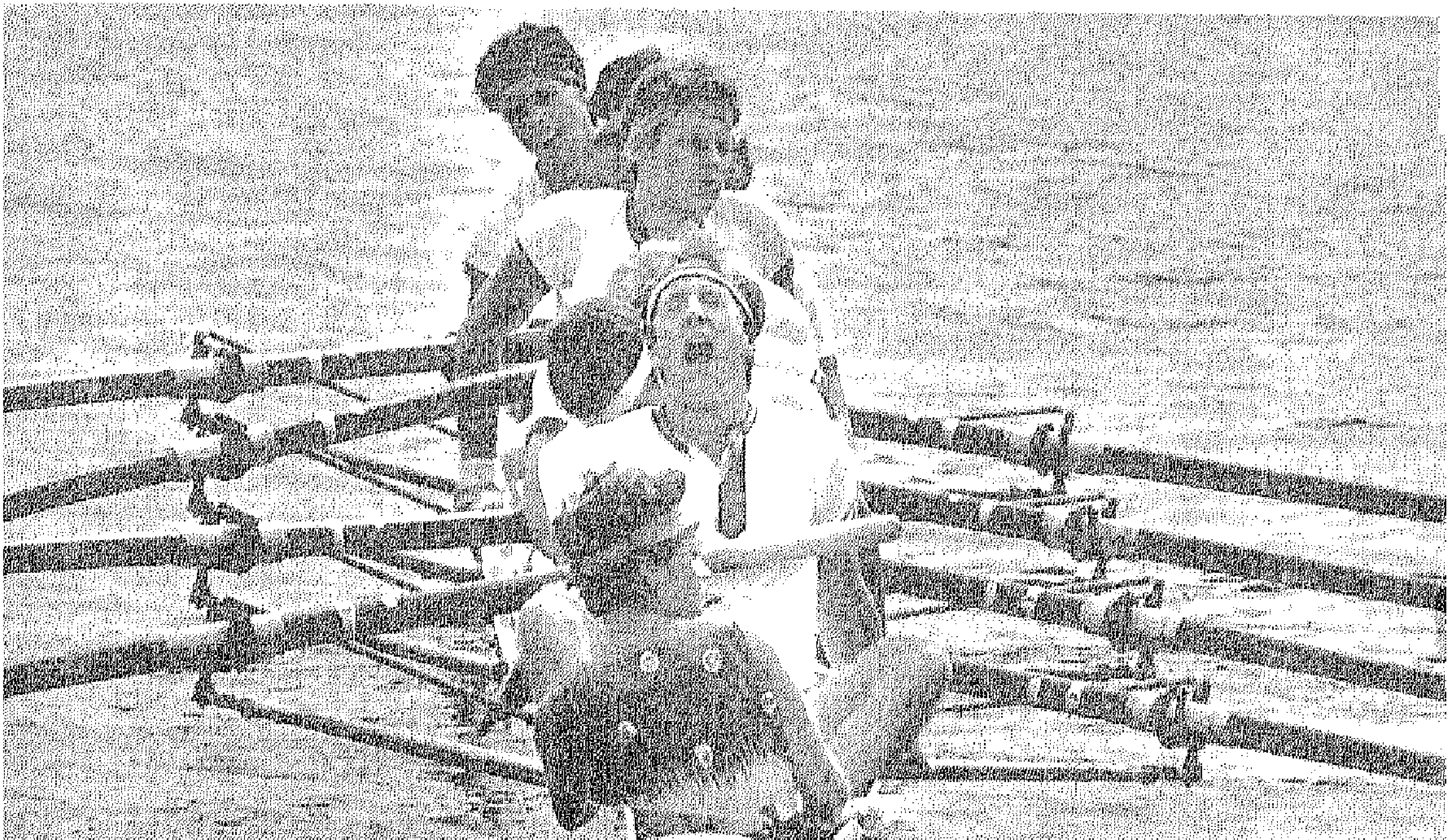
تورفيل ودين، الألعاب الأولمبية في سارايبفو، ١٩٨٥.

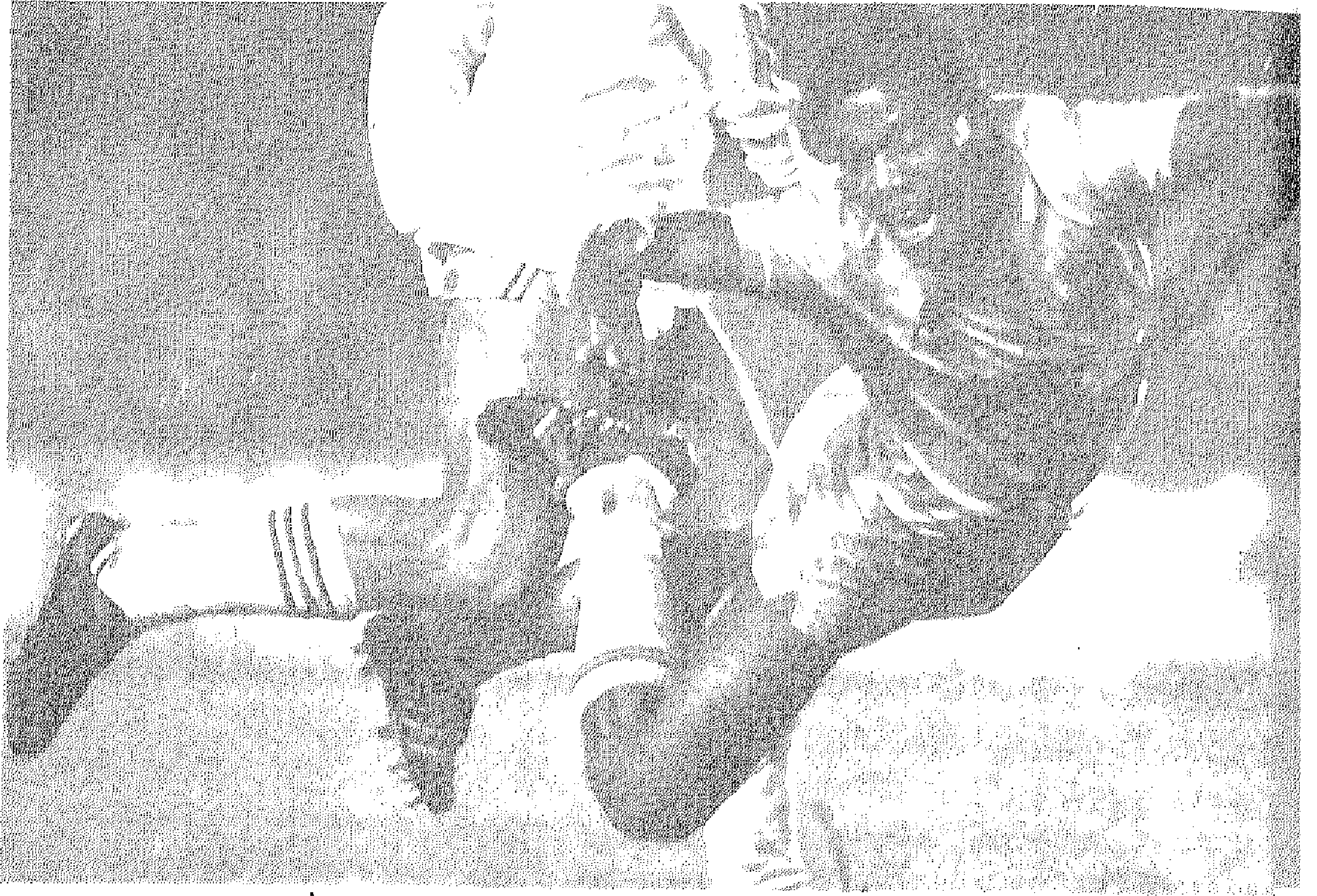
هذه الرياضية هي حلم كل مصور: فأنت تستطيع مشاهدة التمارين فتعرف تماماً ماذا ينوي المتباريان تأديته. والمشكلة تكمن في التقاط الوجهين معاً.

وقد لاحظت حركة معينة حينما يصبحان في مواجهة مشتركة بهذه الإيماءة الرومنطيقية الرائعة. الصعوبة هنا في النور الإضافي الذي يعكسه الجليد. دع الجليد جانباً. واهتم بوقع الضوء على الوجهين.

سباق الزوارق في هنلي ببريطانيا، ١٩٨٦.

هنلي دائماً غريبة بالنسبة إلي. فمعظم الناس هناك لا يهتمون بالتجذيف مطلقاً. هؤلاء المجذفون يستميتون للفوز في السباق في حين ترى الجميع يشرب المرطبات. ان تعب المجذفين هو الجانب الأكثر انسانية في الحدث كله.





داني توماس
في مباراة «توتنهام هوتسبور»
ضد «ريال مدريد»، ١٩٨٥.
يظهر توماس، من فريق توتنهام،
وهو يسقط في أثناء اعتراضه.
ويظهر على وجهه تعبير مدهش،
كأنه يبتسم.
والواقع أنه يتأوه من الألم نتيجة
خطأ (فاول) ارتكب ضده.



سيف باليستروس في دورة
ساندويتش المفتوحة، ١٩٨٥.
انه هدية الى المصورين:
رجل عاطفي في رياضة لا يظهر فيها
اللاعبون كثيراً من عواطفهم.
ومما سهل الأمور لون شعره الأسود،
اذ ان كثيراً من صور لعبة الغولف
تلتقط مواجهة للسماء.

جيمي كونورز في مباراة
وايفان ليندل، ويمبلدون، ١٩٨٤
أنا مسرور بهذه اللقطة. يمكنك تصوير ليندل طوال النهار من دون أن تحصل على لقطة واحدة جيدة.
محظوظ هو من يقدر على تصوير ليندل وهو منفعل كما في هذه الصورة، وهي الأخيرة في فيلم من ٣٦ صورة. ولو توافرت صورة اضافية لأخذت لقطة يظهر فيها المضرب على رأس ليندل، ولربما كانت تلك الصورة أجمل.



متزلجة على الماء، سوراي، ١٩٨١.
لاحظتُ أن هذه المتبارية كانت تظهر أروع التعابير وهي تقفز. فهي بدت كأنها على وشك الطيران الى صندوق شاحنة. بعدما شاهدت هذا المنظر لم يبق علي سوى الانتقال الى مكان لا تظهر فيه شجرة أو أعمدة هاتف تشوه خلفية الصورة، حيث انتظرت

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تتضمن معاني الخفة. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. **هَباء**: فراغ - غبار - ريح خفيفة - عطية.

٢. **نضْح**: رشح - نضارة - كلام قليل - لطف.

٣. **كرى**: دبيب النمل - كرم - نعاس - مشي.

٤. **أملود**: عنق - سوار - أذن - غصن لين.

٥. **أناة**: لحظة - تمهُّل - أنين - ساقية.

٦. **نفحة**: هبَّة - ضمَّة - خصلة شعر - ضربة.

٧. **رشْف**: كتابة - ايماء - مصّ وشرب - رمش.

٨. **هفّاف**: نظيف - عطر - سريع - رقيق شفاف.

٩. **رَهْو**: رمل الصحراء - تلة - سير سهل - رغوة.

١٠. **بُلجة**: أنف - أمل - نقاوة ما بين الحاجبين - عين.

١١. **شرارة**: نظرة - ما يتطاير من النار - ذكاء - شعاع.

١٢. **خَوْد**: شابة ناعمة - وجه - زهرة - خوف.

١٣. **زَغَب**: برعم - قشور - ظفر - صغار الشعر.

١٤. **دماثة**: بياض - طفولة - براءة - سهولة الاخلاق.

١٥. **رقراق**: متقطر - متلألىء - رقيق - ضعيف.

١٦. **أنملة**: رأس الاصبع - لحظة - خطوة - حشرة صغيرة.

١٧. **خَفَر**: حسن - اختيال - حياء - حمرة خفيفة.

١٨. **تؤدة**: دودة - هدوء - ود - رزانة وتأنٍ.

١٩. **وثير**: منثور - ليِّن - بسيط - واسع.

٢٠. **لمحة**: نظرة عاجلة - لمعة - فكرة - مسحة.

٢١. **قشعريرة**: ارتعاد - شعرة رفيعة - خشية - قشة.

٢٢. **لثمة**: شفة - نقاب - قبلة - بسمة خفية.

٢٣. **أسيل**: سائل - أملس - ناحل - رطب.

٢٤. **طَلّ**: نسمة - طفل - فراشة - ندى.

٢٥. **هينمة**: صوت خفي - حلم - هناء - نوم خفيف.

الأجوبة الصحيحة

١. **الهَباء**: الغبار. أيضاً: دقائق التراب، والقليلو العقول من الناس.
٢. **النضح**: الرشح، يقال «نَضَح الاناء.» والنضح أيضاً رشاش الماء ونحوه، وما كان رقيقاً كالماء.
٣. **الكرى**: النعاس. الوَسَن: ثقلة النوم.
٤. **الإملود**: الناعم اللين من الاغصان أو الناس. يقال «شاب أملود وشبان أماليد.»
٥. **الأناة**: التمهل والانتظار. أيضاً: الوقار والحِلم.
٦. **نفحة طيب**: رائحته. نفحة الريح: هبَّة منها. والنفحة العطيَّة.
٧. **رشفَ الماءَ رشفاً**: مصه بشفتيه. رشف الاناء: شرب كل ما فيه.
٨. **الهَفّاف من الثياب**: الرقيق الشفّاف، ومن الاجنحة: الخفيف للطيران.
٩. **الرَهْو**: السير السهل. يقال «جاءت الخيل رهواً.» والرهو أيضاً السير السريع.
١٠. **البُلجة**: تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين. الابلج: المفترق الحاجبين.
١١. **الشرارة**: ما يتطاير من النار.
١٢. **الخَوْد**: المرأة الحسنة الخَلق الشابة الناعمة.
١٣. **الزَغَب**: صغار الشعر أو الريش.
١٤. **الدماثة**: سهولة الاخلاق. مكان دمث: سهل ليِّن.
١٥. **الرقراق**: المتلألىء. الدمع الرقراق: الذي يدور في العين ولا يسيل.
١٦. **الانملة**: رأس الاصبع. وقيل أيضاً «البنان.»
١٧. **الخَفَر**: الحياء.
١٨. **التُؤَدة**: الرزانة والتأني. يقال «مشى مشياً وئيداً» أي على تؤدة.
١٩. **فراش وثير**: وطيء ليِّن.
٢٠. **اللمحة**: النظرة الخفيفة المختلَسة العاجلة.
٢١. **القشعريرة**: الارتعاد، وانتصاب الشعر من فزع أو برد.
٢٢. **اللثمة**: القبلة.
٢٣. **خد أسيل**: أملس. الأسَلة: رأس اللسان.
٢٤. **الطَلّ**: الندى. أيضاً: المطر الضعيف.
٢٥. **الهَيْنمة**: الصوت الخفي.

المستوى

٢١ ـ ٢٥: ممتاز
١٤ ـ ٢٠: جيد جداً
٩ ـ ١٣: مقبول



«قالت لي امي: يا بني، انا لا اطيق الانهزامي»

جُذور الطمُوح

أمي، الغائبة عن هذه الدنيا والسارحة أبداً في خيالي، أيقظتني ذات صباح قبل طلوع النهار وقالت لي: «اني لا أطيق الانهزامي.»

سمعتها تردد ذلك القول طوال حياتي. وأرقد الآن في السرير مستيقظاً في العتمة، فأشعر بحيويتها الفوارة تواجه كسلي الذي يحضنني على النوم بدلاً من معاركة اليوم الجديد.

أعترض في صمت: لست ولداً. لقد غدوت رجلاً ذا شأن. ويحق لي أن أغفو.

«راصل، أنت بلا روح مبادرة، كنتوء على جذع شجرة.»

لقد طاردتني بصيحات الوغى هذه مذ كنت صبياً ارتدي سروالاً قصيراً.

«اصنع من ذاتك شيئاً ذا بال.»

«لا تكن انهزامياً.»

«ليكن لديك قليل من الطموح.»

الرجل المتمدن القابع داخل نفسي يهزأ بالمادية والساعين الى النجاح. فهو قرأ أقوال الفلاسفة والنقدة الاجتماعيين. وفي ظنه أن السوقية هي صفة من يمضي حياته جرياً وراء المال والسلطة وذيوع الصيت، وأن...

«تتصرف أحياناً كأنك لا تستحق البارود اللازم لتفجيرك.»

[illegible]. غـدت حيـاة أمي صعبة بعد وفاة أبيها من دون أن يخلف شيئاً سوى الديون. لقد خسرت الاسرة بيتهـا، وأصبح الأولاد في شتـات. أما جدتي المصابة بمرض مميت هو السل الـرئوي، فقـد غرقت في كـآبة يـائسة ووضعت في مصـح. واضطرت أمي الى ترك الجامعة والبحث عن عمل.

وتزوجت أمي. وبعد خمس سنـوات أنجبت خلالها ثلاثة أطفال توفي أبي عام ١٩٣٠ تاركاً اياها مـدقعة. ولـما كانت عاجزة عن اعالة ثلاثة أطفال فقد تكفل عمي طوم وزوجته غولدي بتربية أودري الصغـرى ولها من العمـر عشرة أشهر فقط. وكان العم طوم ذا وظيفة جيدة في مصلحة السكة الحديد ويمكنه أن يؤمن لأودري عيشاً رغيداً.

اصطحبتنـي أمـي مـع أختـي الى مسكن أخيهـا آلن، وهو مـلاذ العائلـة لطيب نفسـه. وفي نهايـة المطاف وقعت على وظيفة في مصبغة بعشرة دولارات في الأسبوع.

لو اني شببت لأصبح رئيساً للبلاد أو رجل أعمال ثرياً، لصادف ذلك هوىً في نفس أمي. لكنها بمقدار ما أحبتني لم تخـادع ذاتهـا. لقـد أدركت قبـل تخرجي في المدرسـة الابتدائيـة اني لا أملك موهبة جمع المال أو الحظوة بمحبة الجماهير. بعد ذلك أخذت تدفعني برفق للتعاطي مع الكلمات.

الكلمات تجري في دمـاء أسرة أمي. ولكـأن هناك مـورِّثـاً للكلمـة يسري في العائلة تحدراً من جدها لأمها. فقد كان معلمـاً في مدرسـة، وابنته لالي تقـرض الشعر، وابنه تشـارلي مراسـل صحافي معتمـد في نيويـورك لجريـدة «هيرالـد» الصادرة في بالتيمور.

ويبدو أن الكلمات كانت عند منقلب هذا القرن متنفساً في الجنوب الامريكي الـذي أفقـرتـه الحـرب الاهليـة (١٨٦١ـ١٨٦٥)

والدليل الساطع على سريان الكلمات في العائلة هو ابن عم أمي ادوين. اذ انـه عمل مـديـر تحـريـر في صحيفـة «نيويورك تايمز.» وجـاب أوروبا كلهـا، ضارباً المثل بأن الكلمات تصطحبك إلى أمـاكن بديعـة تنأى بـك عن مـوطنـك وتجعل قريبك يفغر فمه تعجباً وحسداً. لقد دأبت أمي على التمثل بادوين لبيان ما يستطيع المرء بلوغـه من دون ملَكَة فذة.

قالت لي أمي كرّة تلو كرّة: «ما كان ادوين جايمس أنبه من أي إنسان آخر. انظر أين وصل اليوم.» فكبرت وفي ظني أن ادوين جايمس هذا غبي بليد ابتسم لـه الحظ. ولعـل هـذا هـو شعـورهـا الحقيقي تجـاهه، لكنهـا كانت تقصـد شيئاً آخر مكنوناً. وكأني بها تقول أن ليس من الضروري أن أكون ألمعياً كي أبلغ مبلغ إدوين، وأن السبيل إلى القمة هو أن أعمل وأعمل وأعمل.

واذ لمست أمي فيَّ مـوهبة الكتـابة، شرعت في تنميتهـا. وعلى رغم الإمـلاق وقعَتْ عقد شراء أحصل بمـوجبه عـلى

جزء من «عيون الأدب في العالم»[1] كل شهر في مقابل ٣٩ سنتاً للكتاب الواحد.

كنت أُجلّ هؤلاء الكتّاب العظام، غير أني استمتعت بقراءة الصحف. كنت التهم كل كلمة عن الجرائم الفظيعة والحوادث المريعة والمجازر البشعة التي ترتكب في الحروب البعيدة. وذهبت بلبي روايات عن القتلة الذين أُعدموا بالكرسي الكهربائي، وتتبعت عن كثب آخر وجبات الطعام التي طلبها المحكومون بالاعدام.

نحو العلى. عام ١٩٤٧ تخرجت في جامعة جونز هوبكنز. وبلغني أن صحيفة «صن» في بالتيمور تطلب مخبراً صحافياً عن أعمال الشرطة. وتقدمت وثلاثة من رفقاء صفي في الجامعة للحصول على تلك الوظيفة. وجاء اختياري من دونهم لغزاً محيّراً. كان الأجر ٣٠ دولاراً في الأسبوع. واذ تذمرت من أن مبلغاً كهذا يحط من قدر رجل جامعي، لم تتعاطف معي أمي.

قالت لي: «اذا أكببت جاداً على عملك هذا، فستخرج منه بشيء. وعندئذ يزيدون راتبك.»

بعد سبع سنوات عهدت إلي «صن» في تغطية أنباء البيت الأبيض.[2] وفي عُرف معظم المخبرين أن الصحافي المراسل في البيت الأبيض هو أقرب ما يكون من القمة. كنت في التاسعة العشرين من عمري آنذاك ومنتفخاً زهواً. وهرعت أخبر أمي متوقعاً ابتهاجها بالنبأ السار. ويا لخيبة ظني.

قالت: «حسناً يا راص، ان اشتغلت بكد في وظيفتك هذه مراسلاً في البيت الأبيض، فقد تصبح ذا شأن.»

كان السبيل الذي اختطته والدتي يتجه قُدُماً نحو العُلى. والتقدم البسيط، في رأيها، لا يسوِّغ الشعور بالرضى عن النفس. وان الذين توقفوا ليغبطوا أنفسهم على ما أحرزوا لا يكملون الشوط. وان المرء إن بلغ القمة لا يتراخى.

خلال سنيَّ الأولى في دنيا الصحافة أخذت أعلِّل النفس بأوهام صبيانية عن الاقتصاص من ابن العم ادوين.

وما حدث ذات يوم كان أبعد من أشد الأوهام إغراقاً في الخيال. لقد جاءت الـ «تايمز» فعلاً تطلبني، على رغم ان ابن العم ادوين كان ترك عمله في الصحيفة حين التحقت بها. وفي نهاية المطاف نلت حظوة كبيرة في دنيا الصحافة، وهي كتابة زاوية خاصة في الـ «نيويورك تايمز.»

لم تكن تلك زاوية لعرض الأخبار، بل زاوية كاتب يسطر فيها تعليقاً على الأنباء باستخدام أنماط أدبية متنوعة مثل المقالات والمقاطع الهجائية والنوادر والقصص الخيالية أحياناً. وجاء الأمر كله دلالة على أن أمي كانت مصيبة تماماً في تقديرها لمهاراتي منذ نعومة أظفاري وفي توجيهي الى الأدب.

---

(١) World's Greatest Literature

(٢) البيت الابيض هو مقر الرئيس الامريكي في العاصمة واشنطن.

وقد حازت زاويتي عدة أوسمة وميداليات وجائزة «بوليتزر»[3] عام ١٩٧٩.

ولم تعرف امي بذلك قط، فدارات الكهرباء في دماغها توقفت عن العمل قبل ذلك بسنة، ووضعت في دار للرعاية منقطعة عن الحياة حولها الى الأبد.

في وسعي أن أحرز رد فعلها على نيلي جائزة «بوليتزر.» فأنا موقن أنها كانت ستقول: «أمر ظريف يا بني، يدل على أنك اذا عكفت بهمة على عملك فستكون رجلاً ذا شأن يوماً ما.»

كلمات خالدة. بمرور الزمن شنت حملات على القيم التي بشرت بها أمي والتي عشت وفقاً لها. ففي الستينات والسبعينات من هذا القرن كان يُنظر الى أولئك الذين يودون أن يكونوا ذوي شأن نظرة تحط من قدرهم، فهم ماديّون يضيعون حياتهم ببلاهة.

حاولت بادىء الأمر أن أنساق مع العصر الحديث. فعزمت على ألا أُربي أولادي باصدار تلك الأوامر العتيقة العفنة بأن يغدوا أشخاصاً يُعتدّ بهم، كما فعلت أمي.

العصر الحديث يُجلّ الحب واشباع الرغبات والفلسفات الآسيوية البليدة التي «تعين» الناس على الخنوع للأحوال السائدة. كل ذلك بدا لي سخيفاً، لكني أقررت بأن أمي أحالتني انساناً مادياً فظاً فاحتفظت بظنوني لنفسي.

وحين أدركت أني أخفقت في إلهاب أولادي بالطموح، تداعيت. وسمعتني ذات مساء أصرخ بهم الى مائدة العشاء: «ألا تريدون أن تكونوا أشخاصاً ذوي شأن؟»

رماني الأولاد بنظرات لا معنى لها. أشخاص ذوو شأن؟ يا له من تعبير غريب!

لا، ما كان الشراب دافعي الى الزعيق. كانت أمي. وقد لمت أخيراً الجرأة كي أجهر أمامهم بأني، والله، أؤمن بالنجاح، وأني لطالما اعتقدت أن الانسان من دون عمل شاق وترويض للنفس لن يكون ذا شأن أبداً، ولا يستحق أن يكون.

لم تكشف دفاتر العلامات الدراسية اخفاقاً لدى أولادي، بل ممانعة لمجاراة إيقاع الأولاد العاديين، مما ملأني زهواً. إنهم الآن أناس ناضجون متزوجون وقد رزقوا أولاداً، وأنا وإياهم على مودة، نسعد عند اللقاء.

وهي سنّة الحياة في الأُسر، اذ نتلقف الاجيال المندثرة في ذواتنا وننقلها الى المستقبل عبر أبنائنا. وعلى هذا المنوال يبقى أناس الماضي أحياء بعد انقضاء زمان طويل على موتهم.

«يا راصل، إني لا أطيق الانهزامي.»

رباه، ما زال صوتها في سمعي لا يبرحه!

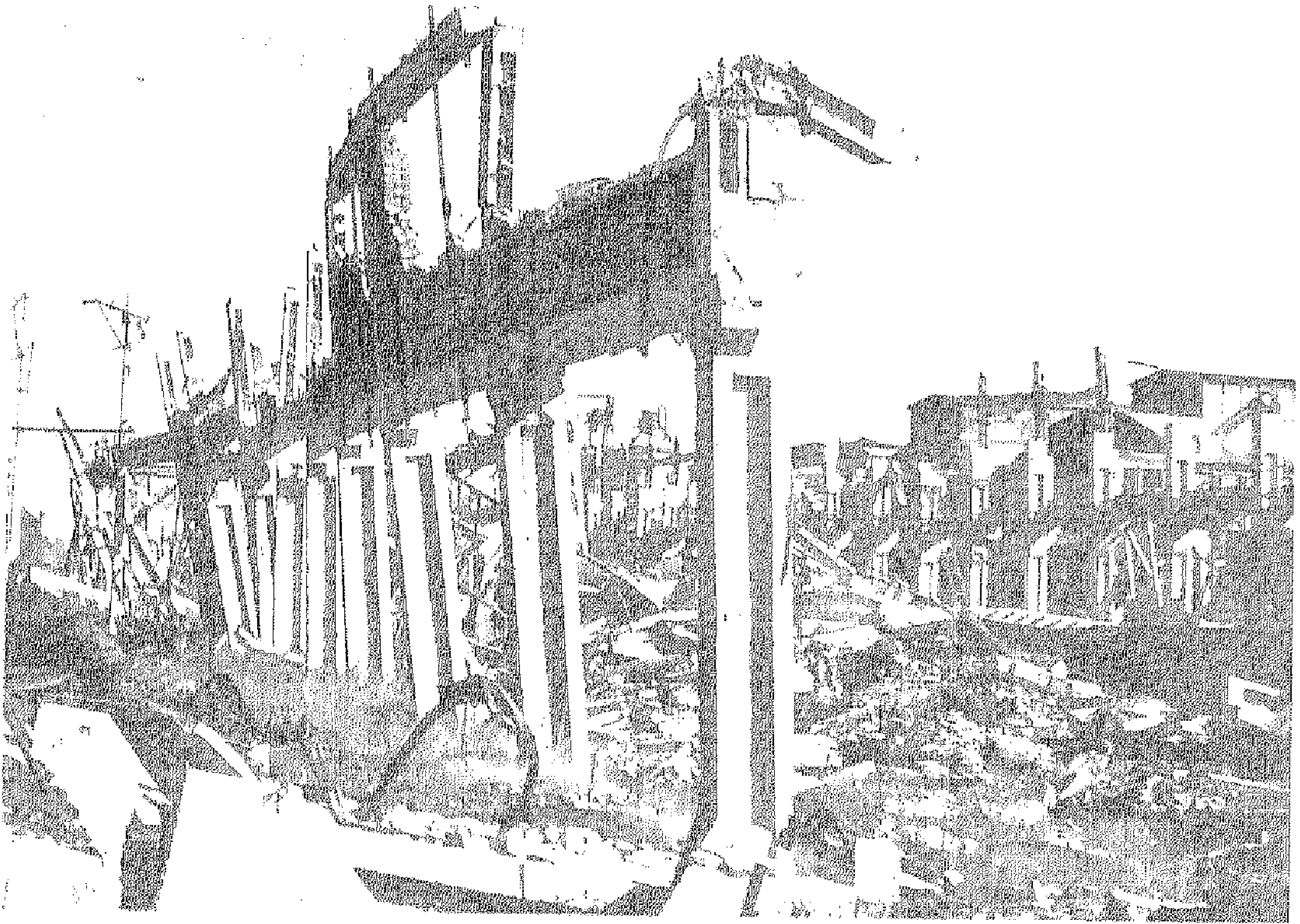
راصل بيكر ■

(٣) هي جائزة سنوية تمنح للمبدعين في عالم الصحافة والادب والموسيقى، اسسها الصحافي والناشر جوزف بوليتزر (١٨٤٧ ـ ١٩١١).

نيدو الحليب الأفضل



مدينة بلا جدران



في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٧٦ ضرب زلزال مدمر مدينة تانغشان الصناعية شمال الصين، فقتل ربع مليون نسمة. وبعيد الحادث أبرق الصحافي ريتشارد دودمان كبير مراسلي صحيفة «سانت لويس بوست ديسباتش» في واشنطن الى بيكين مستأذناً كتابة القصة الكاملة للكارثة ولاعمال اعادة البناء. لكنه لم يلقَ تشجيعاً. وبعد مضي بضع سنوات جدد مساعيه، لكن السلطات الصينية استمرت في كتم أرقام الخسائر والتفاصيل الأخرى. وذات يوم في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ تلقى دودمان، وقد تقاعد، اتصالاً من السفارة الصينية في واشنطن يفيد أن السلطات المعنية في بيكين قررت الاستجابة لطلب دودمان.

وهذه قصة دودمان المثيرة.

عصفت ريح عنيفة أيقظت مليون مواطن في المدينة النائمة ثم سطع نور غريب كضوء النهار أضاء الأبنية والسماء. هنيهة بعد ذلك اهتزت الأرض بقوة صعوداً ونزولاً وجانبياً، وخرج هدير [illegible]ـاق الأرض.

[illegible] الهزة الرئيسة في الثالثة [illegible]ـيقة الثانية والأربعين فجراً وكانت بقوة سبع درجات وثمانية أعشار بمقياس رختر[1].

كانت إحدى اللواتي أيقظتهن الريح الهوجاء ذلك الصباح الباكر من يوليو (تموز) زوجة رئيس الشرطة النقيب هو شوشن، فأيقظت زوجها وطلبت منه أن يجلب الغسيل الى الداخل.

يتذكر شوشن: «نظرت الى الخارج فأحسست بريح قوية تنثر غباراً ورذاذاً. ثم أبصرت في السماء بريق نور أحمر ضارب الى الزرقة، وسمعت صوتاً غريباً يخرج من تحت الأرض كهدير قطار شحن، وبدأت الأرض ترتج صعوداً ونزولاً. وثبتُ من النافذة، لكن الدنيا اهتزت الى الوراء والى الأمام ورمتني أرضاً. ثم انهار منزلي. وبعد قرابة خمس دقائق لم يعد ثمة من هدير، انما سمعت الناس يصرخون في كل مكان.»

بمساعدة ابنه، البالغ السادسة عشرة من عمره والذي نجا قبل سقوط سقف المنزل، أخرج شوشن من بين الأنقاض زوجته وولدين آخرين. وقبل أن يدركا الابنة البالغة من العمر أربع عشرة سنة كانت هذه فارقت الحياة.

في مصنع تانغشان للحديد والصلب قتل عدد كبير من العمال الليليين الذين كانوا يتناولون العشاء عندما تهدم عليهم سقف الغرفة الاسمنتي. أما الأبنية ذات الأعمدة المبنية بالاسمنت المسلح والسقوف المكوّنة من ألواح معدنية خفيفة فثبتت أمام الهزة. وأما العمال الذين كانوا انتهوا من افراغ خمسة وثلاثين طناً من الصلب المصهور، فتمسكوا بحاجز أمان ساعة انطفأت الأنوار. وارتجت المنصة وتخلعت السلالم، وزحف العمال الى الخارج ووصلوا بأمان.

في دار صحيفة «تانغشان ليبور ديلي» كان عشرة طبّاعين ينجزون المهمات الموكولة اليهم وينتظرون تسليمهم خبراً متأخراً لاقفال الصفحة الأولى. قال كزو فنغشن انه شعر بالمبنى يهتز ورأى الأضواء تخبو وسمع صوت أحرف الطباعة تسقط على الأرض فأدرك أن ثمة زلزالاً.

الموظف الأخير الذي خرج من المطبعة غارت رجلاه في الأنقاض المنهارة وطُمر. وثمة موظف آخر كان محروقاً في رجله نتيجة مسه معدناً مصهوراً معداً لصنع الأحرف. وكانت الحصيلة أن فقدت الصحيفة ثلاثة عشر من أصل سبعة وثمانين محرراً ومخبراً، وثمانية من أصل اثنين وستين طباعاً.

وفي منجم تانغشان القريب، وهو فرع من «منجم كيلوان للفحم الحجري،» شقت

(١) هو مقياس للزلازل يتدرج من درجة الى عشر درجات، وكل درجة اقوى من سابقتها بستين ضعفاً.

الهزة الأولى حائط المبنى المؤلف من ثلاث طبقات الذي يسكن فيه مدير المنجم زاو ونبن مع زوجته وأولاده الأربعة. قال: «تواصل الارتجاج وانهار البناء على رؤوسنا.» وقد سقط عليه باب ظل تحته حتى انتشله رجال الانقاذ بعد اثنتين وعشرين ساعة. وتوفيت زوجته واثنان من أولادهما.

لصوص ونبلاء

في البدء لم يعرف أحد مصير ١٤٤٠٠ رجل يعملون ليلاً في ثمانية مناجم على عمق ٤٦٠ متراً تحت الأرض. لقد انقطع التيار الكهربائي كلياً، وانهار معظم المنشآت فوق سطح الأرض أو أصيب بضرر جسيم، كأبراج التهوئة وحجرات المصاعد ومصانع الفحم الحجري، كذلك مستشفى المناجم وغالبية بيوت العمال. أما المستخدمون الباقون على قيد الحياة فكل ما أمكنهم أن يفعلوا هو أن يفتحوا منافذ تسمح بدخول بعض الهواء الطبيعي علّ أولئك الذين هم تحت الأرض يتمكنون من شق طريقهم عبر السلالم وممرات الطوارىء.

في غرفة في منجم تانغشان على عمق ٤٨٨ متراً تحت الأرض شاب في العشرين يدعى غو هويكون كان يعمل مع اثني عشر عاملاً آخر عندما سمع صوتاً راعداً وأحس بتوقف مجرى الهواء. قال: «خرجنا من الغرفة لدى هبوط السقف، ووجدنا ممر الطوارىء وسرنا حتى بلغنا سطح الأرض في العاشرة قبل الظهر.»

وتزعم ادارة المنجم أن العمال الذين قتلوا تحت الأرض لم يتجاوزوا الثلاثة عشر. وكان العمال الخمسة الاخيرون الذين خرجوا أحياء يعملون في منجم زاو جي زوانغ. وما زال ثلاثة منهم يعملون في المناجم وهم أخبروني انهم كانوا في نفق يقع على عمق ٨٥٠ متراً تحت سطح الأرض عندما بدأ النفق يهتز وتساقط الفحم الحجري والصخور من السقف. قال العامل وانغ شولي: «لم نتمكن من الوصول الى سلالم الطوارىء، فلجأنا الى حجرة أعمق فيها حزام نقل متحرك ولها سقف فولاذي. وحفرنا طريقنا على امتداد الحزام مستخدمين خوذنا كدلاء. لكننا بعدما صعدنا محطتين توقفنا لدى حصول انهيار كبير آخر.»

أضاف وانغ أن العمال الخمسة اجتازوا خلال أربعة أيام تسعة أمتار في هواء فاسد بلا طعام ولا ماء. وهم كانوا يحفرون في ضوء نور باهت منبعث من مصابيحهم.

أخيراً اقتحموا نفقاً فيه ماء. لكن مضخات المنجم لم تكن صالحة للعمل. وتابع وانغ: «بلغت المياه ركبنا وكانت تتدفق بسرعة أعجزتنا عن الذهاب أبعد. صعدنا الى عربات الفحم وتلاصقنا طلباً للدفء.» بعد ذلك سمعوا أصواتاً وأبصروا ضوءاً يقترب.

يقول وانغ: «ساعة أدركتنا فرقة الانقاذ أخبرنا انه مضى علينا تحت الأرض أربعة عشر يوماً ونصف يوم.»

الرقم الرسمي لضحايا الزلزال مفجع



ابنية سكنية جديدة تقوم من بين الانقاض.

ومقداره ٢٤١٥٠١ نسمة،[٢] منهم ١٣٦ ألفاً من تانغشان و٦٩ ألفاً من الضواحي والأقاليم المحيطة بها، ومعظم الباقين من بلدة تيانجن المجاورة. وانهار ٩٥ في المئة من أبنية تانغشان أو أصيب بضرر جسيم.

في المدينة المدمرة كانت الساعات والأيام الأولى التي تلت الزلزال كالانبعاث من الموت. أما رئيس الشرطة النقيب هو شوشن، فبعدما انتشل زوجته وولديه من بين الأنقاض تقلد مسدسه وهو لا يزال حافي القدمين في ثياب النوم، وخرج لمساعدة الآخرين. فأنقذ هو وبنوه تسعة عشر جاراً. ومن بين المصابين بجروح طفيفة نظّم شوشن فريق انقاذ من عشرة شباب مضوا يطوفون في الشوارع المجاورة باحثين عن أحياء بين الانقاض.

وأشرف شوشن على انشاء مركز للشرطة في الجوار. وكانت الأولوية لاقامة مراكز اسعاف وتدبر شاحنات صالحة لنقل ذوي الاصابات الخطرة.

عند الفجر انتشر مخبرو جريدة «تانغشان ليبور ديلي» ومصوروها في المدينة المدمرة يجمعون التفاصيل عن الكارثة وأعمال الانقاد. وكانت كل أجهزة تنضيد الأحرف وآلات الطباعة تحطمت بانهيار مبنى مطبعة الصحيفة، ولكن بعد أسبوعين عاودت «الديلي» الصدور بمساعدة صحف بيكين والمدن المجاورة.

بعد انهيار مبنى البريد والهاتف وسقوط معظم الأسلاك الممدودة فوق

(٢) قدّر الرقم الحقيقي بسبعمئة الف، وحتى بمليون. اما مديرو المصانع والمؤسسات في تانغشان الذين يحفظون سجلات ضحايا الزلزال فافادوا ان نسبة القتلى تراوح بين ٦ و١٥ في المئة من عدد السكان.

الأرض تعسر ايصال خبر الى بيكين عن ورطة تانغشان. وبدأ عمال الصيانة يبحثون عن مركز اتصال مع بيكين ما زال صالحاً. وفي السابعة صباحاً اتصلَتْ بالعاصمة، من طريق خط تحت الأرض، محطةٌ فرعية في الضواحي كانت لا تزال قائمة. وفي العاشرة كان عمال الهاتف يبحثون في حطام المبنى المركزي عن وسيلة للاتصال ببيكين، فوجدوا مدخلاً الى خط يمكن ربطه بمبنى البريد في الضاحية. وخلال ثلاثين ساعة كان موزعو الهاتف، وعدد كبير منهم مصاب ومعصوب الرأس، يشغّلون لوحة توزيع الاتصالات الطارئة تحت خيمة من الخيش المشبع بالشمع والقار.

وظهرت مشكلة اضافية هي النهب. فاللصوص، ومعظمهم من خارج المدينة، أسرعوا من صوب نهر «دو» ينذرون الناس بأن الزلزال أحدث فيضاناً في النهر سيغرق المنطقة كلها. وعندما هرب السكان انصرف اللصوص الى التفتيش في الركام عن الأموال وأجهزة التلفاز والراديو وسواها من المقتنيات الخاصة. وشوهدت عجوز تنوح فوق جثمان ادعت انه لابنها وهو يُنتشل من بين أنقاض منزل، وتنتزع ساعة من معصمه كتذكار. ثم كررت عملها هذا في عشرات البيوت المنهارة مع «أبناء» آخرين. وقد أوقف ٤٩٦ شخصاً بجرائم سرقة وغيرها.

بين الغرباء الذين وصلوا لمساعدة المدينة المصابة عناصر وحدة مدفعية في «جيش التحرير الشعبي» صادف أن كانت مخيمة على بعد ستة عشر كيلومتراً من المدينة. وتطوع طاقم البناء في الجيش، بعد يوم من الزلزال، لبناء جسر موقت لفتح طريق عامة تصل تانغشان بشمال شرق الصين. وخلال يومين وصلت وحدات عسكرية أخرى للمساعدة على انقاذ الجرحى ودفن الموتى واعادة النظام وتوزيع المساعدات الواردة طعاماً وماء وكساء. ومن حسن الحظ أن طريق المطار لم تصب بضرر جسيم ولم تسدّ بأنقاض. فما لبثت الطائرات أن شرعت في نقل مواد غذائية وحمل المصابين الى المستشفيات بحيث راوح معدل الاقلاع والهبوط بين ٣٠٠ و٣٥٠ طائرة في النهار. واستخدم تقنيو الرادار أجهزة الاحتياط البحرية لان أجهزة الملاحة الالكترونية اقتلعت من أمكنتها.

المدينة الجديدة

في اليوم السادس بدأ مهندسو شركة مياه تانغشان يضخون الماء مستعملين خراطيم الاطفاء كوصلات في ٤٤٤ كسراً اكتشفت في خطوط المياه الرئيسة التي بلغ طولها حوالى ١١٠ كيلومترات. وسرعان ما هب مئات من الجنود والخبراء المائيين من مدن أخرى يمدون أيدي المساعدة. وفي غضون ذلك وصلت من بيكين صهاريج لتزويد المدينة الماء الضروري.

مئات من الجثث المجهولة الهوية

دفنت في مقابر جماعية. في البدء أخذ الأقرباء والجيران على عواتقهم حفر الرموس، ولكن سرعان ما تعهد الجيش هذه المهمة. يتذكر سائق أنه شاهد جرافة آلية تحفر قبوراً كبيرة والجنود يكدسون الأجساد فيها طبقة فوق طبقة ثم يهيلون عليها التراب.

ومن القادمين المبكرين خبراء زلازل جاؤوا من تيانجن وبيكين وأقاموا مراكز مراقبة موقتة بغية رصد هزات تالية محتملة.

في السابعة إلا ربعاً مساء، بعد انقضاء خمس عشرة ساعة على الهزة الأصلية، حدثت هزة كبرى هدمت مباني أخرى. ونظراً الى انذار السكان باحتمال حصولها كانت الوفيات والاصابات التي خلفتها طفيفة.

ومضى عمال شركة كهرباء تانغشان أسبوعاً لانشاء مركز بديل ومد خطوط موقتة والحصول على الطاقة من شبكة شمال الصين. وفي نهاية اليوم السابع عشر أعيد تشغيل مولدين كهربائيين وعاودت الشركة انتاج الطاقة الكهربائية للاستعمال العام في المدينة. وخلال شهر تم فحص ثلاثة آلاف جهاز هاتفي واصلاحها، وأقيمت محطة هاتف موقتة، ومدت خطوط هاتفية موقتة الى المصانع ومباني المكاتب.

لم تنطلق المدينة بشكلها الجديد الا بعد قرابة ثلاث سنوات. في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٦، بعد مرور ثلاثة أشهر على زلزال تانغشان، أطيحت



رئيس الشرطة النقيب هو شوشن.

«عصبة الأربعة»[٣] لكن نفوذها ظل مستمراً. وكانت إحدى النتائج أن زعماء بيكين رفضوا كل مساعدة خارجية، كذلك رفضت الادارات الرسمية في اقليم هيبي عروض المساعدة التي قدمتها أقاليم صينية أخرى. وجاء في صحيفة «بيكين ريفيو»: «على سبيل المثال، صرفت السلطات الاقليمية ستة أشهر لصنع ١٦٢ رافعة بناء (ونش) كانت ضرورية لاعمال الترميم واعادة البناء، علماً أنه كان من الممكن استعارة الرافعات ووضعها حالاً في العمل لو قبلت مساعدات الاقاليم الأخرى.»

في نهاية العام ١٩٧٨ أصبحت السياسة عملية أكثر من ذي قبل، فالمصممون والمهندسون جاؤوا بخطة شاملة لبناء مدينة مركزية في موقع المدينة الأصلية تستوعب ٥٠٠ ألف

(٣) ضمت «عصبة الأربعة» زوجة ماوتسي تونغ وثلاثة اعضاء آخرين في الحزب الشيوعي اتهموا بمحاولة الاستيلاء على السلطة.

نسمة، ومدينتين صناعيتين تابعتين لها، تفصل بينها «أحزمة خضراء» من المزارع. وشيدت تدريجاً عشرات المباني السكنية المؤلفة من أربع الى ست طبقات مكان المنازل الموقتة التي بناها الناجون بالقرميد والخشب المأخوذين من بين الأنقاض. وهناك اليوم مجمّعات سكنية يستوعب كل منها ما يراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف نسمة، تفصل بينها شبكة من الشوارع العريضة. ولكل مجمع متاجره ومدارسه.

وكان المسؤولون الرسميون قلقين لأن المكان يقع على أرض متصدعة حيث يمكن حدوث زلزال جديد. لذلك لم يسمح في منطقة التصدع جنوب وسط المدينة الا بانشاء أبنية ذات طبقتين أو ثلاث طبقات، كما زيدت المسافات بين المباني الجديدة تخفيفاً لاحتمال تسبب انهيار أحد المباني في هدم المبنى المجاور. كما صمم المخططون طرقاً عامة تؤدي الى خارج المدينة عبر سبع جهات بغية تسهيل الاجلاء لدى حدوث زلزال مستقبلي.

في كل مكان ثمة ما يذكر بالزلزال. هناك أكثر من ثلاثة آلاف منزل موقت تحفّ بأزقة ضيقة متعرجة. وهناك معاقون يطوفون في الشوارع على درجات خاصة ذات ثلاث عجلات تسير بيد واحدة. ولا يكفّ الناجون عن سرد قصص الزلزال وتذكر موت أحبائهم. كان الطلاق نادراً نسبياً في الصين، لكنه أصبح عادياً هنا بعد الزيجات المتسرعة التي تمت بين رجال ونساء خسروا أزواجهم في الزلزال.

بالنسبة الى مجتمع فَنيت فيه ٧٤٠٠ عائلة بكاملها وخسر كل ناجٍ نسيباً أو حبيباً، تبدو تانغشان ذات شعب سعيد منظم. ويصرّ علماء الاجتماع في تانغشان على القول ان معظم الأحياء أظهروا مرونة عاطفية. يقول أحد علماء النفس: «كنا نمزح ذلك الوقت فنقول ان شعب تانشغان كله عائلة واحدة كبيرة لأن جميع الجدران قد سقطت.»

الكارثة المشتركة جمعت الناس وقربت بينهم وهيأت نموذجاً من العزاء.

ريتشارد دودمان ■

جنون الآلة

قبل أيام تعطلت محمصة الخبز الكهربائية في بيتنا. وأذكر اننا لما اشتريناها قبل سنوات دفعنا سعراً اضافياً لميزة فيها رائعة: عندما تتحمص قطعة الخبز إلى درجة الحرارة المطلوبة تصفر المحمصة.

وذهبنا إلى السوق لنبتاع محمصة جديدة. ومجدَّداً تعين علينا أن ندفع سعراً اضافياً لميزة رائعة في الطراز الجديد: عندما يبلغ التحميص الدرجة المطلوبة لا تصفر المحمصة.

ف.و.ش.

كتاب الشهر

سباق مع الموت

ملخص من كتاب

«في طرفة عين» بقلم آلن دولب

سباق مع الموت

يصل الى مركز الصدمات
في مستشفى الأطفال في واشنطن
صبي عمره ٤ سنوات مصاب بجرح بالغ
في رأسه نتيجة صدمة سيارة.
وتنقل الى المركز أيضاً فتاة مصابة برصاصة
في صدرها وهي ميتة تقنياً، وصبي آخر
مصاب بحروق خطيرة. وفي أجنحة الطوارئ
حيث اللحظة قد تعني الفاصل الفارق
بين الموت والحياة، يتأهب فريق الصدمات
ويبدأ صراع الطب والحياة



خرج ديفيد مايرز من المنزل وكأن القدر له بالمرصاد. لم يشاهد السيارة. وحين صدمته وقذفته عالياً في الهواء كلعبة كبيرة سقط في الشارع متكوّماً على ذاته كالجنين في الرحم، وعيناه مفتوحتان جامدتان بلا حراك.

اندفع والد ديفيد من منزل العائلة في جادة ألاباما في العاصمة الامريكية واشنطن وجثا الى جانب ابنه. فرك جبينه ولمس جفنيه -فلم يلمح أي حركة أو أثر للحياة في العينين المتّسعتين. ثم تنفّس ديفيد بعمق وارتجف وظهر على شفتيه زبد زهري.

كان عقل الوالد خدراً اذ أفقده الحادث المروّع حسه لكنه سمع أحدهم في الجمع المحتشد يذكر سيارة اسعاف، فهمّ بالتقاط ابنه وضمه بين ذراعيه، لكنه أحجم عن ذلك خوفاً من إيذائه، وقال: «أرجوكم، أطلبوا من الاسعاف الاسراع في المجيء.»

ووقف الأب خائفاً قلقاً غاضباً، متسائلاً عن سبب تأخر فريق الاسعاف. ورأى زوجته تبكي وقد أمسكت بها إحدى النساء تهدىء من روعها.

وأخيراً سمع ولولة صفارة الاسعاف. وترجل المساعدون الطبيون ومعهم نقالة، فركع أحدهم الى جانب ديفيد وسأل الجمع: «هل بينكم من يعرف اسم الصبي؟»

أجاب مايرز: «اسمه ديفيد وأنا والده.»

هتف المساعد: «ديفيد! أصغ الي! شدّ يدي يا ديفيد!»

ثم أخذ يفحص ديفيد بالمِسماع وتطلع الى والده وقال: «اذا كانت عنقه مصابة بأذى فان تحريكه يسبّب مزيداً من الضرر.» وخاطب رفيقه: «يجب نقله الى مستشفى الاطفال. وعلينا تقييده وأخذه الى هناك في مروحية الشرطة.»

وصلت سيارة إسعاف ثانية. فأمسك أحد المساعدين ذراع ديفيد وقرصها بأصابعه فسحبها الصبي بسرعة. فقال المساعد: «هذه اشارة حسنة.»

ثم أحضر سائق سيارة الاسعاف طوقاً بلاستيكياً لتجميد رقبة ديفيد. ومُدد الصبي على لوح خشبي مجهز بأربطة.

قال أحد المساعدين: «يجب أن نلبسه سروال ماسْت.» وهذا سروال مقاوم للصدمات مصمّم كالبذلات التي يرتديها ربابنة الطائرات. وحين يضخ فيه الهواء يضغط السروال على الاطراف الدنيا فتُدفع كمية أكبر من الدم الى الجذع. فاذا كان المصاب في حالة نزف داخلي فان سروال «ماست» يمدّه ببضع دقائق حاسمة في الطريق الى المستشفى. وهو فاعل أيضاً في جبر الأرجل المكسورة.

ما ان شدّ المساعدون السروال على جسم ديفيد وأخذوا بنفخه حتى حطّت المروحية قريباً، فلفوه بحرام وشدوه الى اللوح الخشبي.

وقف والدا ديفيد هادئين يراقبان. وسأل الأب المسعفين: «هل لكم أن تخبروني ما مبلغ اصابته؟»

أجاب أحدهم: «أنا لست طبيباً، لكني أعرف أن اصابته خطيرة. لذا نريد نقله الى مستشفى الاطفال، فهناك فقط أطباء مؤهلون لمساعدته.»

بعد تسع دقائق تلقى «المركز الطبي الوطني في مستشفى الاطفال» الذي يبعد ١٠ كيلومترات عن مكان الحادث اتصالاً لاسلكياً: «نحن في طريقنا اليكم. سنصل بعد نحو دقيقتين ومعنا صبي صدمته سيارة وقد تلقى اصابة خطرة في راسه، وهو فاقد الوعي.»

أجاب المسؤول في المركز: «حسناً، نحن في انتظاركم.» ثم أطلق الانذار: «الى فريق الصدمات، ستصل المروحية في غضون دقيقة واحدة.»

ضغطت عاملة الهاتف في المستشفى زراً أزرق فومضت جميع اشارات الانذار الحمراء الى فريق الصدمات في أرجاء المستشفى. وللحال ترك الاطباء والتقنيون والمرضات في المستشفى أعمالهم وتراكضوا الى الطبقة الاولى. وما ان حطّت المروحية حتى خف اليها الفريق. فرُفع ديفيد المشدود الى اللوح الخشبي الى محفّة ذات عجلات، ووضعت احدى المرضات كمامة على وجهه لتغذيته بالاوكسيجين.

ثم هرع المرضون بثيابهم المعقمة وأدخلوا ديفيد أحد أروع مراكز طب الصدمات في البلاد.

سيرة طبيب

كان ديفيد مايرز محظوظاً، لأن ٩٧ في المئة من الأولاد المصابين اصابات خطرة الذين يعالجون في هذا المركز تكتب لهم الحياة.

والواقع أن حوادث السيارات تتسبب في وفاة ٨٠٠٠ ولد تقل أعمارهم عن ١٥ سنة في الولايات المتحدة، ويصاب ٥٠ ألفاً آخرون بعجز دائم. وقبل اكتشاف لقاح الشلل (بوليو) كان الذعر يتولى الأمهات كل صيف. لكن الشلل لم يقتل في أي سنة ٨٠٠٠ طفل. وحوادث السيارات هي المسبب الاول لوفاة الأولاد الذين تراوح أعمارهم بين السنة الواحدة والاربع عشرة سنة.

صمم الدكتور مارتن ايكلبرغر على تغيير هذه الحال. فأسس في العام ١٩٨٠ «مركز صدمات الأولاد.» ولم يأت ايكلبرغر أي اكتشاف طبي، انما راح يطبق الطرق الطبية الاكثر تعقيداً بأسلوب منهجيّ. والامر الوحيد اللافت هو أن أحداً لم يفعل ذلك قبلاً.

ومن المفارقات أن سنوات كثيرة مضت قبل أن يقرّ هذا الطبيب بأن معالجة الأولاد هي عمله المفضل.. وكان ايكلبرغر، من العام ١٩٧٨ الى ١٩٨٠، عمل في

إشراف الدكتور إيفريت كوب متخصصاً بجراحة الأولاد في «مستشفى فيلادلفيا للاطفال» ببنسلفانيا. وكان كوب شهيراً بصفته «الجراح العام» رئيس مصلحة الصحة العامة في وزارة الصحة الامريكية بين ١٩٨١ و١٩٨٩، ويعتبر في مصاف أهم جراحي الأطفال في الولايات المتحدة. وفي رعاية كوب، اكتشف ايكلبرغر أنه موهوب بيدي جراح أطفال. فقد كان بارعاً في تحسس الاعضاء الصغيرة واجراء الجراحة اللازمة والتكلم مع المريض بعد العملية.

وكانت تلك مكافأة حقيقية، فقد وجد في موهبته النادرة وأعمال الشفاء الناجحة التي أنجزها تعويضاً عن ليالي العمل المضنية الطويلة وعودته الى البيت متأخراً منهكاً. فإذا كان كوب المعلم المثالي فقد كان مارتن ايكلبرغر التلميذ المثالي، نبيهاً، لامعاً، نشيطاً. وكان الرجلان يحققان معاً ما يقرب من العجائب.

عرف مارتن أنه سيكون جراحاً، لكنه احتار بين أن يكون جراحاً للاطفال أو جراحاً تقويمياً. وكان حبه لجراحة الاطفال طاغياً، لكنه يضطره إلى ملازمة المستشفى والعمل طويلاً في الليل. وشقّ عليه أن يسهر ليهتم بأولاد الآخرين بدلاً من أن يكون إلى جانب ولديه تود وليند ساي. فآثر أن يكون جراحاً تقويمياً لكي تتوافر له ساعات عمل مقبولة وأقل صرامة.

مارس ايكلبرغر الجراحة التقويمية مدة سنتين خلال خدمته العسكرية. واعتزم أن يكون جراحاً تقويمياً طوال حياته. ولكن زوجته ثنته عن ذلك قائلة: «ان هذا لجنون منك. إنك تريد أن تكون جراح أطفال. فاذا امتهنت الجراحة التقويمية لمجرد أنها مريحة أكثر من جراحة الأطفال فستكره نفسك مدى الحياة.»

وفي اليوم التالي اتصل ايكلبرغر بأستاذه كوب وانتقل مع عائلته إلى فيلادلفيا للتخصص سنتين فى جراحة الأطفال.

عندما انضمّ ايكلبرغر إلى مستشفى الأطفال في واشنطن عام ١٩٨٠ كانت غرفة الطوارىء عادية وموجّهة لمعالجة الحالات الطارئة الخفيفة، كالرضوض والجروح والحروق المتوسطة وكانت معالجة هذه الاصابات مرضية.

لكن الحال كانت تختلف وقت المجيء باصابة خطرة، إذ كان أطباء الأطفال الذين يديرون غرفة الطوارىء يطلبون مشورة جراحية. وحين يصل الجراح كان يضطر إلى ارسال سُعاة لجلب ملاقط وخيوط وابر خاصة.

وفي الحالات الخطرة جداً كان يتم جمع عدد من الأطباء الموهوبين في وقت قصير لدى إطلاق إنذار «الشيفرة الزرقاء.» وما ان ينطلق الانذار حتى يهرع ما بين ١٥ و ٢٥ شخصاً إلى غرفة الطوارىء، فيبدو المشهد كمناوشة بين لاعبين في مباراة كرة القدم أكثر منه استشارة طبية.

كان أول عمل للدكتور ايكلبرغر وهيئة ادارة غرفة الطوارىء إنشاء جناحين

للصدمات سميا «غرفتي الشيفرة» يكونان جاهـزين ٢٤ ساعـة في اليوم. وجهـز الجناحين بكل الادوات والمواد الجراحية لمعالجة الصدمات والحالات الطارئة.

وشكل فريق للصدمات له نظامه الخاص. واقتـرح ايكلبرغـر وضع لائحـة بالتدقيقات الطبية الاولية وتوزيع بنودها على أعضاء الفريق فيكون لكل منهم دور ويكتمل التدقيق بطريقة أسرع. والذين لم يتوجب عليهم أن يكونوا داخل غرفـة الشيفرة، مثل فنييّ المختبر والأشعة السينية (اكس)، تعيّن أن يكونوا في «القلب الخارجي» ويقفوا خارج الغرفة جاهزين للعمل فوراً. أما «القلب الداخلي» فشمل المرضات والأطباء الذين تقضي الضرورة بوجودهم لانجاز لائحة العمل.

أسفر النهج الجديد عن نتائج باهرة. فبدأت أعمال الطوارىء تسير بسهولة أكثر من قبل، وحقق مركز الصدمات، غير الرسمي بعد، نصراً غير منظور.

نصر أول

حين أدخلت المحفّة التي تحمل ديفيد مايرز «غرفة الشيفرة» كانت الدكتورة ماري فالات هناك. وهي كانت آنذاك كبيرة الجراحين المقيمين في مستشفى الأطفال، و «المنسّقة الجراحية» المسؤولة عن توجيه أعمال الهيئة الطبية والتمريضية وعندما تكون في الغرفة فهي الرئيسة المسؤولة من دون جدل.

أفاد أحد المساعدين الطبيين الذين كانوا في المـروحية مـع ديفيد: «منـذ الحادث والمصاب لا يبدي أي استجابة، وبؤبؤا عينيه جامدان وغير متساويـين، فالأيسر أوسع من الأيمن. وهو يتنفس تلقائياً لكن تنفسه غير طبيعي. وضغط دمه مستقر. وهو مصاب بكسرين جانبيين في عظم فخذه داخل سروال ماست. ولا شيء يذكر عن تاريخه الطبي، ولم تعرف لديه أي حساسية. وكان والداه شاهدين على الحادث، وهما في طريقهما إلى هنا.»

اومـأت فالات إلى المسـاعد اشـارة إلى حسن أدائه، فقـد زوّدها ملخصـاً لمعلومات ثابتة يصحّ اعتمادها أساساً لمعرفة ما أصاب الصغير ديفيد. وتركز اهتمام فالات على الاصابة التي لحقت برأسه. فمدّت رأسها من بـاب «غرفـة الشيفرة» وسألت: «جراح أعصاب؟»

اجابتها المرضة: «انه في الطريق.»

«شكراً»، قالت فالات، وعادت إلى وسط الغرفة وراحت تراقب فريق الصدمات وهو يعمل كفرقة باليه. وكان كل فرد يعرف أين يقف وأي دور يؤديه.

إلى يمين السرير جلس جراح مقيم يصغي بسماعته إلى صدر ديفيد، وأفاد: «إن أصوات التنفس جيدة.» تلك كانت علامة طيبة، خلافاً للتنفس المتشنّج غـير المنتظم. كان هناك خلل ما، لكن مجرى الهواء كان سليماً.

وكشف مقيم آخر وريداً وأولج فيه ابرة للحقن الوريدي وساعدت ممرضة الطبيب الاول على تثبيت أقطاب جهاز تخطيط القلب على صدر ديفيد.

وإلى يسار السرير سحب طبيب مقيم عينة من الدم وملأ خمس قوارير سلمها إلى أحد تقنيي المختبر الذي كان ينتظر على باب «غرفة الشيفرة.» وكانت احدى الممرضات تراقب ضغط دم الصبي. واشارت ساعة الجدار إلى الثالثة والدقيقة الثانية بعد الظهر، أي ان ست دقائق مضت منذ ادخال ديفيد المستشفى. وكانت مؤشراته الحيوية مستقرة.

قالت الدكتورة فالات للطبيب إلى الجهة اليسرى من السرير: «ابدأ مدّه بالمصل الوريدي قبل نزع سروال ماست.» فقد يكشف هذا السروال اصابة خطيرة، وحين ينفّس قد يواجه الفريق الطبي أزمة كبرى. فاذا كانت الأنابيب الوريدية جاهزة فستكون في وضع أفضل لتعويض الدم النازف اذا كانت أطراف عظم الفخذ المكسور مزقت شرايين ساق ديفيد وبدأ ضغط دمه يهبط فجأة.

وكان صوت جهاز مراقبة القلب «بيب، بيب، بيب» يُسمع في أرجاء القاعة خارج «غرفة الشيفرة.»

كان الجميع منهمكين وكل واحد مأخوذ بعمله. وعندما دنا ذلك الرجل ببرنسه الابيض رآه الجميع لكن أحداً لم يضطرب أو يعره اهتماماً زائداً. فالدكتور ايكلبرغر كثيراً ما يأتي اليّ في زيارات غير متوقعة أيام الاحاد. وهو حيّا أعضاء الفريق من باب «غرفة الشيفرة» لكنه لم يدخل الغرفة لأنه كان جزءاً من «القلب الخارجي.» فالقانون هو القانون.

أكثر ما أقلق الفريق في شأن ديفيد كان هدوءه التام. فحين سحب الطبيب عينة دم من شريانه، رفّت عيناه ولكن لم يصدر منه أي صوت، علماً أن هذه العملية مؤلمة إلى حد إيقاظ ولد غارق في شبه غيبوبة. وسلّط جراح الأعصاب ضوءاً على عينيه وصرخ في أذنه وقرصه من دون جدوى. فهناك دم في كلتا العينين، وهذه إشارة سيئة. فأي صدمة كافية لتمزيق شبكة العين يمكنها رضّ الدماغ والتسبب في انتفاخه. ولا ينتفخ الدماغ الا قليلاً قبل أن «يخنق» إمداده الدموي أو قبل أن ينعصر نزولاً فخروجاً من الفتحة الصغيرة حيث يرتبط بالعمود الفقري.

قال جراح الأعصاب: «لنجرِ فحصاً طبقياً[1] للرأس.»

فردت فالات: «حسناً، حالما ننزع عنه سروال ماست ننقله إلى فوق.» وحلّت صمام الرجل اليسرى مخففة الضغط قليلاً. وجسّت قدم ديفيد اليسرى فوجدت أن نبضه أقوى. كان هذا حسناً لانه دلّ على إمكان سلامة الشريان الفخذي، ولكن لا ضمانات لذلك.

---

(١) CAT scan

انخفض ضغط الدم من ١١٤ إلى ١٠٧ في الثواني الستين الاول، كما سجّل جهاز المراقبة الآلي.

أما في القراءة الثالثة فكان الضغط مستقراً. فتنفّس الجميع الصعداء لأن انخفاضاً قليلاً في الضغط يؤدي إلى نزف دم قليل. ولو كان الشريان مقطوعاً لاتضح لهم ذلك. هذا أول نصر يسجله ديفيد في طريق الشفاء.

فتحت ماري فالات الصمام ثانية وأفرغت ثلثي الهواء من سروال «ماست» ثم توقفت حين هبط ضغط الدم إلى ١٠٢ ثم عاد فارتفع إلى ١٠٦. وأخيراً أفرغت الجانب الأيمن وحلّت السروال ونادت: «جاهز لفحص الاشعة السينية (إكس).»

باتت فالات على قناعة أن ديفيد كان مستقراً فانسلّت من «غرفة الشيفرة.» فبصفتها الطبيبة الأعلى رتبة، فان عليها مسؤولية أخرى: التكلّم إلى الوالدين.

أشار الكاتب في غرفة الطوارىء إلى والدي ديفيد لكي تتعرف اليهما.

شعور مقلق

لا تتضمن مناهج كليات الطب تعليمات رسمية وموحدة لطريقة التعامل مع أهل المريض. فهذا شأن يتعلمه الطبيب من زملائه، ولكل منهم طريقته الخاصة. وقد كانت ماري فالات لطيفة وصريحة في هذا المجال.

تقدّمت من الوالدين سائلة: «السيد والسيدة مايرز؟» وشرعت في احاطتهما بالوضع: «انّ ولدكما مصاب بأذى شديد، فهو فاقد الوعي وربما لحق بدماغه بعض الضرر. ولن نستطيع تحديد مدى الضرر إلى أن نجري فحصاً طبقياً. وهو يتنفس بصعوبة، فقد تكون رئتاه مصابتين برضوض نتيجة الحادث. فاذا كان هذا صحيحاً فسيحتاج إلى جهاز تنفس لعدة أيام.»

فسألها الاب بلهفة محاولاً ضبط نفسه: «كم سيستغرق شفاؤه؟»

ترددت فالات ثم قالت: «إذا افترضنا أن كل شيء سيسير حسناً، فان إصابات رجليه ستبقيه في المستشفى مدة، فكلتاهما مكسورتان. وفي حالات كسر الفخذ يلازم المصاب المستشفى قرابة ستة أسابيع.»

حاولت والدة ديفيد الكلام لكن زوجها سبقها إليه: «ما هي احتمالات بقائه حياً؟» وكان سؤاله سطحياً جافاً تغلب عليه الكآبة.

فردت فالات باحتراس: «سأجيب عن ذلك على نحو أفضل بعد أن نجري الفحص الطبي. انه مصاب في رأسه، ولا نقدر الآن أن نحدد مبلغ الاصابة، وستكون الساعات الاربع والعشرون الآتية حاسمة.» هكذا لم تتجنب فالات الاجابة عن السؤال، لكنها لم تقدم الجواب الشافي. والحقيقة أن أحداً لم تكن لديه أي فكرة عما إذا كان ديفيد مايرز سيبقى حياً أم يموت.

كان ديف هنتر في «مركز استعلامات الطوارىء» يضبط قنوات الاتصال أمامه، واذا به يتلقى مكالمة تفيد أن هناك مصاباً بحروق في طريقه إلى المستشفى. وكانت مضت ساعة من الهدوء في المستشفى والريح الباردة تعصف في الخارج، ولم يكن متوقعاً أن يخرج كثير من الاولاد إلى الشوارع.

قدّر وصول المصاب خلال عشر دقائق. فتوجه هنتر إلى غرفة الطوارىء المجاورة حيث يداوم طبيب أطفال حتى في أيام نهاية الاسبوع. فوجد الدكتور دانيال أوكسنشلاغر كبير أطباء الاطفال في غرفة الطوارىء. وهو معروف من زملائه ومن المرضى على السواء بـ«الدكتور أُو» اختصاراً لاسمه الطويل.

قال هنتر للدكتور أُو: «مصاب بحروق في طريقه الينا، درجة ثانية، عشرة في المئة. أتريد أن أبث نداء عاجلاً؟»

هزّ الطبيب رأسه: «دعنا نفحصه أولاً.» فاذا وصل الولد في حال أسوأ مما كان منتظراً، استدعي فريق الصدمات حالاً من غرفة الفحص.

كان الصبي في السن الخامسة. ومعظم الاولاد في هذا العمر ظرفاء، لكن هذا الصبي الذي يدعى ريتشارد كان ذا مظهر أشعث مهمل. وجهه معفّر، وقدماه الحافيتان وسختان، ويداه وذراعاه حمراء زاهية وقد أبعدها قليلاً عن جسمه. لكنه لم يكن يبكي.

«مرحبا يا ريتشارد، اسمي الدكتور أو.»

فرد رُيتشارد بأدب: «مرحبا». لكنه لم يتطلع إلى الطبيب.

ـ ماذا حدث ليديك؟

«حرقتهما في الماء الساخن.»

وأضافت امرأة كانت تقف وراء الدكتور أو وهي مشعثة الشعر ومتّسخة مثل الصبي: «لقد سقط في حوض ماء ساخن.» سألها الدكتور أو وهو يبتسم: «هل أنت أمه؟»



أومأت المرأة برأسها، فتابع: «لا تبدو حاله سيئة جداً، لكني أريد أن أفحصه بدقة للتأكد. تفضلي اجلسي في الردهة وسآتي إليك حالما أنتهي من عملي.»

عندما لا يكون الاولاد في حال خطرة يبقى الوالدان إلى جانبهم مما يساعد في لزومهم الهدوء. لكن ريتشارد كان في حالة هدوء بالغ مما أثار قلق الدكتور أو.

لمس الدكتور أو لحم ريتشارد الاحمر بمنتهى الرقة، فأجفل الولد. لكنه لم يسحب ذراعه. فحص الطبيب الذراعين فلم يجد أثراً لقروح. فرأى في ذلك علامة جيدة وأمر الممرضة بدهن مرهم لتخفيف الالم. كانت حروق ريتشارد ممتدة من منتصف ذراعيه صعوداً، وكان هناك خط فاصل واضح بين المنطقة المحمرّة والجلد الابيض فوقها. ولم تظهر آثار رذاذ حارق.

بدأ الدكتور أو العمل بمنهجية وتؤدة. ففحص جسم الولد ووجد أن قدميه خشنتان غليظتان دلالة على أنه يمشي حافياً. وكان يرتدي قميصاً رقيقاً وسروالاً قصيراً، وهذا غير مألوف في برد ديسمبر (كانون الاول). وكان جلده الشاحب وسخاً، وثمة أربعة ندوب، اثنان في ظهره واثنان أحدث منهما في صدره، وأثر حرق شفي وتجعد الجلد مكانه. وكانت الندوب في حجم ممحاة قلم رصاص أو سيجارة مشعلة.

قال الدكتور أو للممرضة: «سأدخله.» ثم خطا بسرعة نحو مركز الاستعلامات وسأل المساعد الطبي في سيارة الاسعاف: «ماذا تعرف عن ريتشارد؟»

أجاب المساعد: «اتصلت والدته بالمركز. وكان في البيت رجل لكنه بقي متوارياً. القذارة تغشى المكان. قالت امه انه سقط في حوض استحمام، فهل ترى أي أثر لرشاش الماء الساخن؟»

هز الطبيب رأسه ورجع إلى والدة ريتشارد وجلس إلى جانبها وسألها: «هل زوجك هنا؟»

أجابت المرأة: «كان خطيبي مضطراً إلى الذهاب إلى عمله.»

تبسّم الدكتور أو وقال: «حسناً، سيشفى ريتشارد على رغم أن حروقه خطرة، ولا أرى أنه سيصاب بضرر دائم.» وأضاف مشدداً: «سنبقيه في وحدة معالجة الحروق تحت مراقبتنا.» فأومأت المرأة برأسها إيجاباً.

صمت الطبيب لحظة ثم تابع: «من اللافت أن حروق ريتشارد بالماء الساخن لا تبدو طبيعية، لأن لا أثر على ريتشارد للرشاش الذي يعقب سقوط ولد في سائل ساخن. وسبق أن عالجنا حالات كانت الاصابات فيها مقصودة وغير عرضية لهذا سأطلب من قسم حماية الاولاد النظر في حال ريتشارد للتأكد من أن كل شيء على ما يرام.»

واستأذن الدكتور أو وهو لا يزال مبتسماً، وانصرف لاتمام المعاملات الضرورية في قسم التمريض. فثمة حالات كثيرة مشابهة ترد على قسم الطوارىء، وقد وضعت قاعدة لمعالجتها بالرفق والحكمة: تجنّب اصدار حكم متسرع، وتجنب المواجهات، وحماية الولد، وكبت الانفعال الذي لا بد من أن يتفجّر لدى رؤية ولد تعرّض لمعاملة سيئة وأذية جسدية.

رُفع ديفيد مايرز إلى سرير في وحدة العناية الفائقة، وربط خبير التخدير أنبوب الهواء إلى جهاز التنفس الآلي. وأظهر فحص للصدر بالأشعة السينية بقعاً سوداء في القسم الاعلى من الرئتين. وجهاز التنفّس هو المعالجة المعتادة للرئتين المصابتين برضوض وللاذى الذي يلحق بالرأس وينتج منه انتفاخ في الدماغ. فجهاز التنفس يدفع فائضاً من الاوكسيجين إلى الدم تفادياً لموت الدماغ.

أظهرت الفحوص الطبقية أن البطين[٢] داخل النصف الأيمن من دماغ ديفيد معصور وشبه مسدود. فاذا زاد حجم الانتفاخ كثيراً فسوف ينقطع امداد الدم فيموت الدماغ. فاذا ارتفع الضغط كثيراً فان عملية فغر البطين تتيح تصريف السائل الدماغي الشوكي.

سأل جراح الأعصاب الممرضة التي وقفت فوق البقعة المحلوقة في رأس الولد: «هل كل شيء جاهز؟» فأومت برأسها إيجاباً.

حُقنت جلدة الرأس بالـ «إبينفرين» الذي يقلص الاوعية الدموية. فعندما أعمل الجراح المبضع وشق الجلد مرّت عدة ثوان قبل نز الدم على العظم الابيض اللامع في عمق الشق. ثم استخدم الطبيب أداة مبعّدة فولاذية لفتح جانبي الجرح وكشف الجمجمة الصغيرة، وقال للممرضة: «حسناً، ناوليني مثقب الجمجمة.»

وهذا مثقب للعظم من الفولاذ الذي لا يصدأ. في رأسه لقمة تنفصل حالما يتمّ اختراق العظم. وعندما ضغط الجراح اللقمة على جمجمة ديفيد وأدار المثقب، كانت احدى الممرضات ترش ماء معقماً في الجرح. وما هي الا ثوان حتى خرق العظم فانفصلت اللقمة محدثة طقة، فرمق الجراح الغشاء المغلّف للدماغ.

تشبّه عملية فغر البطين، بادخال برغي، وهو تشبيه ليس ببعيد عن الحقيقة. فبعد وخز جلدة الرأس واحداث ثقب صغير جداً، ثبّت الجراح مرقاب ضغط فولاذياً صغيراً في حافة الثقب وراح يفتل واذا بأنبوب رفيع بارز من داخل «البرغي» يخترق وسط البطين الأيمن. فانبجست كمية قليلة من السائل الدماغي - الشوكي من أعلى «البرغي».

وأصبح ديفيد سالماً موقتاً، لكنه سيحتاج إلى مراقبة دائمة.

بعد ذلك، جاء جراحان تقويميان. والجراحة التقويمية للاولاد معروفة كحقل اختصاص بهيج، ويتندر الاطباء بأنهم اذا وضعوا الطرفين المكسورين لعظم طفل في غرفة واحدة فانهما يلتحمان تلقائياً بخط مستقيم. ولكن، زيادة في الضمان، أولج الجراحان مسامير ربط في جانبي عظم كل من فخذي ديفيد، في مستوى أعلى قليلاً من الركبتين.

ومن ثم وضع الجراحان جهازاً للجذب فوق سرير ديفيد. وكان الصبي مصاباً

(٢) (Ventricle) كيس طويل ضيق ملء بالسائل الدماغي - الشوكي.

ايضاً بكسر في أيسر الترقوة (عظم الرقبة) خفي على الاطباء لدى دخوله. وجلّ ما يمكن عمله في معالجة الترقوة هو تجميدها. وكان ديفيد كله مجمّداً.

في التاسعة والنصف مساءً، بعد سبع ساعات من الحادث، توجّهت ممرضة وحدة العناية الفائقة إلى غرفة الانتظار ورافقت والدي ديفيد إلى سريره.

كان ديفيد مستلقياً في السرير ورجلاه مرفوعتان. وقد بدا أصغر حجماً مما هو لأنه شغل ربع مساحة السرير الكبير وكان جهاز التنفس يهسّ ويطقّ باستمرار مؤمناً له الهواء. وكانت الأنابيب الوريدية نابتة من رقبته وحقويه وذراعيه.

وعرض المرقاب الالكتروني إلى جانب سريره سلسلة من الاشكال المتموجة والأرقام باللون الأصفر الزاهي. ووسط هذه العناية التكنولوجية الرفيعة رقد ديفيد بسكون تام وصدره يعلو ويهبط ايقاعياً. وبدا نائماً هانئاً.

قالت الممرضة: «ديفيد! ماما وبابا هنا.»

وقف الوالدان بهدوء إلى جانب سرير ابنهما. وأمسكت الام بيده فيما راح الاب يمرر يده على كتفه. قالت بات: «انك في المستشفى يا ديفيد. وأنا وبابا معك هنا. نحن نحبك يا ديفيد وسنبقى معك.»

ثم جالت الممرضة على كل الانابيب المربوطة إلى ديفيد وأطلعت الوالدين على وظيفة كل منها مشيرة إلى أرقامها على شاشة المراقبة. وأضافت ان ديفيد يسمعهما ويحس ملمسهما من دون شك وإن يكن فاقداً الوعي ومخدراً. فليكلّماه، وليلمساه مقدار ما يريدان، فالاولاد يستجيبون للمس والمكالمة فيسيرون في طريق الشفاء على نحو أفضل.

ويعرف المختصون بالطبابة أن الإصابة بالصدمات يرافقها ارهاق يشمل كل العائلة وينغّص عيشها. وقلة من المؤسسات تعير هذه الناحية اهتمامها، و«مستشفى الأطفال» هو أحد هذه القلة.

قاعدة «تود وليندساي»

ان مقياس الدكتور ايكلبرغر في غاية البساطة: كل طفل يدخل المستشفى يحظى بالمعاملة التي يتوقع هو أن يحظى بها ولداه تود وليندساي. وهو من غلاة أنصار «الثقة النوعية» منذ قبل أن يصبح هذا التعبير شائعاً.

في مستشفى الأطفال تقع مسؤولية العناية الفائقة بالثقة النوعية على منسّقة الصدمات هايدي زفيك. فهي تنظر يومياً في لائحة كل ولد بغية تحديد أي مشاكل محتملة ومعالجتها قبل حدوثها.

زفيك ممرضة متمرسة في غرفة الطوارىء يحفزها دافع قوي إلى العمل. ولا أحد يمكنه اتهامها بالتواني أو إضاعة الوقت. فأول ما تفعله في الصباح هو أن

تملأ فنجاناً كبيراً قهوة وتتوجه إلى مكتبها حيث تتفحص القائمة الكاملة لكل الاشخاص الذين أدخلوا المستشفى.

في التاسعة والنصف كانت زفيك ملأت كدسة من البطاقات، وكانت الاولى بطاقة ديفيد مايرز. ثم نهضت لبدء جولتها الصباحيّة على المرضى.

حالما دخلت غرفة العناية الفائقة عرفت ديفيد مايرز، فقد كان محاطاً بأدوات الجذب من حبال وعوارض وبكرات رافعة. وعند طرف السرير جلست ممرضة في كرسي بلاستيكي وهي مستغرقة في الكتابة. والى يمينه جلست امرأة صغيرة الجسم أنيقة بدت منهكة. فقالت زفيك في نفسها: لا عجب في ذلك اذا كانت لا تزال هنا منذ بعد ظهر البارحة.قالت زفيك من دون مقدمات: «مرحبا، أنا هايدي منسقة حالات الصدمات. هل أنت السيدة مايرز؟ أومأت المرأة برأسها أن نعم. ثم التفتت زفيك إلى ديفيد وسألت: «كيف حاله؟»

أجابت مايرز: «لقد أمضى ليلة مضطربة جداً، فما فتيء ضغط دمه ينخفض والضغط في رأسه يرتفع.» كان كلامها هادئاً متزناً وفي صوتها من التعب والكآبة والالم ما قبض نفس زفيك شفقة وعطفاً.

تابعت مايرز: «أمس خشي الأطباء أن نفقده، لكن الدكتور كارمي - جونز طمأننا إلى أنه اجتاز الليل بسلام لذا ازداد الأمل في شفائه.»

سألتها زفيك: «هل كارمي - جونز هو الذي يعتني بديفيد؟» أومأت مايرز برأسها ايجاباً فتابعت زفيك هامسة: «إن كاي - جي هو أحد أفضل الأطباء.» وأشاع كلامها بهجة في نفس مايرز.

ثم قالت زفيك: «علي أن أذهب الآن، لكني سآتيكما مراراً. دعيني أعرف ما اذا جدّت معكما مشاكل أو أسئلة تريدان طرحها.»

كان مضى على ديفيد في المستشفى أقل من ٢٤ ساعة، ولكن لائحته البيانية ملأت ٢٤ صفحة. ويتعين على المستشفيات تدوين المعالجات الطبية بكل تفاصيلها، وتقضي زفيك قسماً كبيراً من وقتها في مراكز التمريض تطالع البيانات الطبية.

تفحّصت زفيك سجل ديفيد بدقة واطّلعت على اصاباته وملاحظات الاختصاصيين في شأن كل منها. أفاد تقرير فريق الإسعاف أن الحادث وقع قبل وصول ديفيد إلى المستشفى بساعة واحدة. فاتصلت زفيك بالمدير الطبي في مركز الاسعاف لمعرفة سبب التأخر الذي حصل. وغالب الظن أن ثمة ما يبرره، انما واجب زفيك يقضي بالتدقيق وفق «قاعدة تود وليندساي.»

خلال تنظيم خدمات الصدمات في المستشفى كان الدكتور ايكلبرغر يعلن لكل المعنيين أن الاولاد ليسوا راشدين صغاراً. فيذكر، مثلاً، أن رأس الولد هو أكبر

بالنسبة إلى بقية جسمه، مما يجعل الاولاد أكثر تعرضاً لاصابات الرقبة والرأس. كما أن جسم الولد يفقد الحرارة أسرع من جسم الراشد، فاذا أصيب الولد بصدمة فيجب التفكير في طرق لابقائه دافئاً.

ولدعم طلبه تأمين جرّاح للاطفال في مركز الصدمات، أورد ايكلبرغر مثالاً آخر عن الطحال. فمن المألوف لدى الراشدين أن يُنزع الطحال في حال نزفه من دون أن يتأثر المصاب بفقده. أما لدى الأولاد فالطحال حيوي وضروري لتنمية جهاز المناعة. فاذا نُزع فقد يتعافى الولد، ولكن بعد مضي أشهر أو سنين قد يصاب بزكام ويموت من دون انذار. والجرّاح الكفي لصدمات الاولاد يمكنه إصلاح الطحال، اذا كان ذلك في حيّز المستطاع.

وفي مطالعة الكتب الطبية وجد ايكلبرغر أمثالاً كثيرة للتباين العميق بين صدمات البالغين وصدمات الاولاد. وعمد إلى نشر هذه المعلومات في سلسلة من المحاضرات.

والكلام على اصابات الأولاد حمل ايكلبرغر على التساؤل عن طرق اجتنابها. فشدّد على أن في الإمكان تفادي معظم الحوادث، وأن اللوم يقع غالباً على الكبار.

كان مارتي دائماً لطيفاً مع الآباء والامهات، ومن أقواله المحببة: «إن الولد المصاب لديه دائماً عائلة مصابة.» ولكن بعد مشاهدة عدد كبير من الأولاد الذين أصيبوا نتيجة اهمال أوليائهم ربط أحزمة المقاعد أو اخفاء الادوات الكهربائية أو تغطية منافذ التيار الكهربائي أو اقفال النوافذ، بدأ مارتي يعلن بشدة أن الحوادث لا تقع الا نتيجة الاهمال. فالحادث مجرد كلمة نستخدمها لتغطية سقطاتنا.

استخدم ايكلبرغر خبيرة العلاقات العامة هيرتا فيلي لترويج فكرة انشاء مركز صدمات للاولاد. وهي طالما سمعت ايكلبرغر يردد: «ليس هناك حوادث، بل أفعال اهمال...»

فقاطعته أخيراً: «ولماذا لا نعمل شيئاً في هذا الشأن؟»

سألها مارتي: «ماذا تقترحين؟»

فردت: «لماذا لا نطلق حملة وطنية تتمحور على اجتناب وقوع الحوادث؟ حملة جامعة تشمل إعلانات في التلفزة والراديو، وتشكيل منظمات محلية، وتنظيم «أسبوع حماية الأولاد.» فالناس يعملون أي شيء من أجل الاولاد.»

كان من الواضح أن فيلي ملهمة للقيام بهذا العمل. فسعت وجمعت مالاً من شركة «جونسون وجونسون» صانعة الضمادات الصحية «باند ـ إيد...» وعام ١٩٨٨ حملت هي وايكلبرغر الرئيس الامريكي آنذاك رونالد ريغان على إعلان الاسبوع الواقع بين ١٦ و ٢٢ مايو (ايار) «أسبوعاً وطنياً لحماية الاولاد.» وبثت شبكات التلفزة اعلانين عن توزيع كتيبات مجانية في هذا الشأن.

كانت فيلي تأمل أن يصل عدد طلبات الكتيب إلى ٣٠ ألفاً خلال ثلاثة أشهر من الحملة. انما لم تمر عشرة أسابيع الا وكان عدد الطلبات بلغ ٧٠ ألفاً. وبدلاً من نشوء ١٢ تكتلاً لحماية الطفل في أنحاء البلاد بلغ العدد خمسين. وسلطت الحملة الضوء على مشكلة متفاقمة صدمت كل من سمع بها واهابت به الاندفاع إلى العمل.

اعتقدت فيلي أن في الامكان تفادي معظم الحوادث القاتلة في البلاد. وبهرها أن في وسعها انقاذ حياة ألوف الأولاد سنوياً فينشأون أصحاء أقوياء منتجين، فخراً لأهلهم ودعامة لأوطانهم.

طرق إلى الشفاء

في وحدة الحروق في مستشفى الاطفال اكتشفت الممرضات أن ريتشارد (عمره ٥ سنوات)مولع بالجيلاتي (البوظة) وأن هذه هي نقطة ضعفه. وبعد تنظيفه وشعوره بالاطمئنان قدم اليه كوب جيلاتي، فتناوله من يد الممرضة وراح يلتهم الجيلاتي بشهية. وتكلم قليلاً، لكنه صمت وتصلّب حالما دخل الطبيب. وبدا متوتراً.

حين يخامر المسؤولين في مركز الصدمات شك في أن ولداً أسيئت معاملته وتعرض للاذى، يطلبون اجراء فحص بالاشعة السينية (إكس). ولذا قال الطبيب للمرضات: «لا عجب، فقد رأيت صور الأشعة وفيها آثار ثلاثة كسور قديمة. ما من شك في أن هذا الولد ضرب بعنف.»

أمضت والدة ريتشارد ليلتها في غرفة انتظار وحدة العناية الفائقة. وحين سمحت لها الممرضات بعيادته بدا مسروراً وضمها اليه بلهفة وبكى قليلاً وقال لها: «أكلتُ الجيلاتي.»

بعد ذلك اجتمعت الممرضات وتباحثن في أمر ريتشارد. ورأين أن الأم ليست هي المذنبة، ودوَّنَّ هذه الملاحظات في سجل الصبي. ثم قدمت طبيبة من قسم حماية الأولاد لفحص ريتشارد وقرأت الملاحظات. فاتصلت بدائرة الخدمات الانسانية في واشنطن ثم بدائرة الشرطة. وبعد ساعة وصلت طبيبة نفسانية من قسم حماية الاولاد، وعاملة اجتماعية من دائرة الخدمات الانسانية، وشرطي سري، فاجتمعوا بوالدة ريتشارد وخطيبها. وكانت مواجهة متحفظة ذات طابع عملي.

قبل عيد الميلاد بثلاثة أيام اجتمعت الطبيبة ماري فالات والدكتور رياض كارمي ـ جونز والأطباء المقيمون الآخرون عند سرير ديفيد للتباحث الصباحي المعتاد. فتم قرارهم على ازالة أنبوب الرّغامى. وللمرة الاولى منذ أسبوعين بدأ ديفيد يتنفس ذاتياً، وان بتشنج في البداية. ولكن تنفسه أضحى أكثر إيقاعاً. انما نظراً إلى المضاعفات التي طرأت لاحقاً، فقد اقتضى اخضاعه لجراحة فغر الرغامى.

بعد أسبوع سُرِّح ديفيد من وحدة العناية الفائقة. وكان الوالدان ممتنين لهذا التغيير، اذ ان في كل غرفة عادية في مستشفى الاطفال أريكة إضافة إلى السرير، حيث يسمح لأحد الوالدين بأن ينام، وهذا غير مسموح في كثير من المستشفيات. وفي مستشفى الاطفال لا يسمح للوالدين بالنوم فحسب، بل انهم يُحضّون على قضاء الليل مع أولادهم المصابين.

كان للحادث وقع قاس على والدي ديفيد، فقد استنزفهما عاطفياً وأهدر وقتهما واضطرا إلى التغيب أياماً عن عملهما. وكان الاب موظفاً في مكتب التحقيق الاتحادي (FBI) والام موظفة في مصلحة الارصاد الجوية. وكانا يجلسان قرب سرير ديفيد ويكلمانه، لكنه بقي أياماً لا يبدي اشارة إلى انه سمعهما. ثم في أصيل أحد الأيام انحنى الوالد فوق ديفيد وهمس له عبارة مألوفة كان يقهقه كلما سمعها: «مرحباً يا ذا الرأس المكبوس.»

ابتسم ديفيد الصغير ابتسامة عريضة فوثب الاب كمن صعقته الكهرباء.

بعد ذلك برزت علامات تحسن صغيرة، لكنها سرعان ما كانت تزول. وكان ديفيد يفيق ثم يعود إلى الغيبوبة. وحين يفتح عينيه كانتا تبدوان كعيني أعمى لا تتعقبان أي تحرك.

وصار لديفيد رفيق جديد هو جيم ريدل. وكانت مهنة ريدل في الظاهر جلب اللعب إلى غرف الاولاد ومساعدتهم على التسلّي بها، وكان مثل «بابا نويل» يوزع الهدايا على مدار السنة. لكن ريدل كان مراقباً متدرباً، وعمله يهدف إلى توفير حافز لتعافي ديفيد وتقويم مدى تقدمه في هذا المجال.

في أول زيارة لديفيد أحضر له ريدل جرس يد صغيراً، وضغط أصابع ديفيد على قبضة الجرس وحمله على التلويح بيده ليرنه. ابتسم ديفيد.

قال ريدل: «هيا يا ديفيد، اقرع الجرس.» فلم يحصل شيء.

تابع ريدل حث ديفيد على رن الجرس. وببطء شديد استجاب الصبي ولوح بيده أخيراً فرنّ الجرس. بعد ذلك رفعه في الهواء وهزّه فرنّ. فارتسمت على وجهه علامة البهجة وابتسم.

وابتسم ريدل أيضاً مبتهجاً. ففي سجل ديفيد الطبّي وجد ريدل ملاحظات تشاؤميه، اذ ان ديفيد، بحسب تشخيص الاختصاصيين، قد يكون فاقد النظر والنطق وكسيحاً ومصاباً بتلف شديد في دماغه. لكنه بعدما شاهد ما فعله ديفيد بات غير متيقّن مما دوّنه الاطباء.

انطلقت سيارة الاسعاف مولولة ومتواثبة في شوارع واشنطن محاولة كسب بعض الثواني في اندفاعها إلى مستشفى الاطفال. وفي المقعد الخلفي كان أحد

المساعدين الطبيين يكافح لحفظ توازنه وهو منحنٍ فوق مصابة يضغط ايقاعياً على صدرها.

كانت المصابة فتاة في الرابعة عشرة من عمرها. وهي كانت واقفة مع صديقاتها في ملعب المدرسة، واذا بثلاثة شبان يمرون على دراجات نارية فيطلق أحدهم النار من مسدس فيصيب تانيسا ستارنز. وحين وصلت سيارة الاسعاف كان النبض والتنفس غائبين. فكشف المساعدون الطبيون الاصابة تحت سترتها ووجدوا جرحاً صغيراً في الجانب الأيسر من صدرها. فأولجوا على عجل أنبوباً وريدياً، وفي أقل من خمس دقائق انطلقت السيارة إلى مستشفى الاطفال.

تنفس السائق بعمق واتصل بالمستشفى: «نحن في طريقنا إليكم ومعنا فتاة مصابة بطلق ناري في الجانب الأيسر من صدرها. النبض غائب كلياً. نجري انعاشاً قلبياً ـ رئوياً. نصل خلال أربع دقائق.»

حسناً. بعد أربع دقائق نكون جاهزين.»

ثم اتصل عامل الهاتف في المستشفى بغرفة الصدمات في غرفة الطوارىء معلناً وصول «حالة انعاش قلبي رئوي.»

ثقبان في القلب

وصلت هايدي زفيك، فبادرها عامل الهاتف: «رصاصة في الصدر.» تسارع فكر زفيك: إن غياض النبض بهذه السرعة يعني أن الرصاصة اخترقت القلب ومزّقت الغشاء المتين حوله. ففي هذه الحالة يمتلىء الغشاء دماً فينتج ضغط يمنع القلب من النبض. والعلاج الوحيد هو اجراء جراحة فورية للقلب في «غرفة الشيفرة.»

اتصلت زفيك بالدكتور كورت نيومان الذي كان يجري جراحة صغيرة لاحد الاطفال. وما ان سمع النداء حتى نزع قفازيه، وسلّم المبضع والمرقأة (أداة موقفة للنزف) إلى الطبيب المساعد لاكمال الجراحة وهرع إلى غرفة الطوارىء.

قبل وصول الجريحة بنحو ستين ثانية بدأ نيومان تنظيم فريقه. فأمر احدى ممرضات وحدة العناية الفائقة بفتح عدة جراحة الصدر. وقال للجراح المقيم: «وأنت، ابدأ بكشف الاوردة ونقل الدم. أين الدم؟»

أجابت احدى المرضات: «لدينا وحدتان، وهناك وحدات أخرى آتية.»

يجري نقل الدم إلى المصاب بالطريقة الاسرع فيشق اللحم ويكشف أكبر وريد يعثر عليه ويولج فيه أنبوب، فيشكل ممراً واسعاً يُنقل الدم عبره إلى المجرى الدموي، فتتوافر أكبر كمية من الدم لتعويض الدم النازف بغزارة.

فتحت الابواب ودخل ثلاثة مساعدين طبيين يجرون المحفّة إلى «غرفة

الشيفرة». فقال أحدهم ملتقطاً أنفاسه: «لقد سجلنا نبضا قبل لحظات. لكنه متقطع.»

وكان صدر الفتاة يعلو ويهبط من غير انتظام، وتنفسها يخرج أجشّ جافاً من حلقها. لصق الجراح المقيم قرصين لمراقبة القلب على صدرها. وبان جرح الرصاصة ثقباً صغيراً أسود متجعّداً، وظهرت كمية قليلة من الدم مضللة واقع النزف الحقيقي.

وخز أحد الأطباء وريداً وحقن عبره أدوية للقلب. وأعلنت الممرضة إلى اليسار: «لا أستطيع التقاط النبض، إنه غائب كلياً.»

أشار نيومان إلى المساعد الطبي: «نريد منك أن تقوم بانعاش قلبي - رئوي.»

فتقدم المساعد وراح يضغط صدر الفتاة ايقاعياً فيما نيومان يتفحص مرقاب القلب، فوجد أن ثمة نشاطاً كهربائياً ولكن لا نبض للقلب.

تناول نيومان قارورة تحوي مادة مطهرة، ومسح صدر الفتاة، وجنبها الأيسر. وناولته ممرضة قفازين معقمين فأدخل فيهما يديه. ومسح ثانية بقطعة شاش مغموسة بالمطهّر. وتناول المبضع.

شقّ نيومان بقوة بين الضلعين الخامس والسادس. ولم يحدث نزف، لأن ضغط الدم كان معدوماً. ولم يتسع الوقت حتى لتخدير المصابة، لكنها كانت فاقدة الوعي. وهي اعتبرت ميتة تقنياً.

أنهى الطبيب إلى اليمين عملية كشف وريد ثان في الأربية (أصل الفخذ) وعلق كيساً من الدم. فأمر نيومان احدى الممرضات: «اضغطي!» وكانت الفتاة تلقت عبر الانابيب الوريدية وحدة دم كاملة من فئة «O».

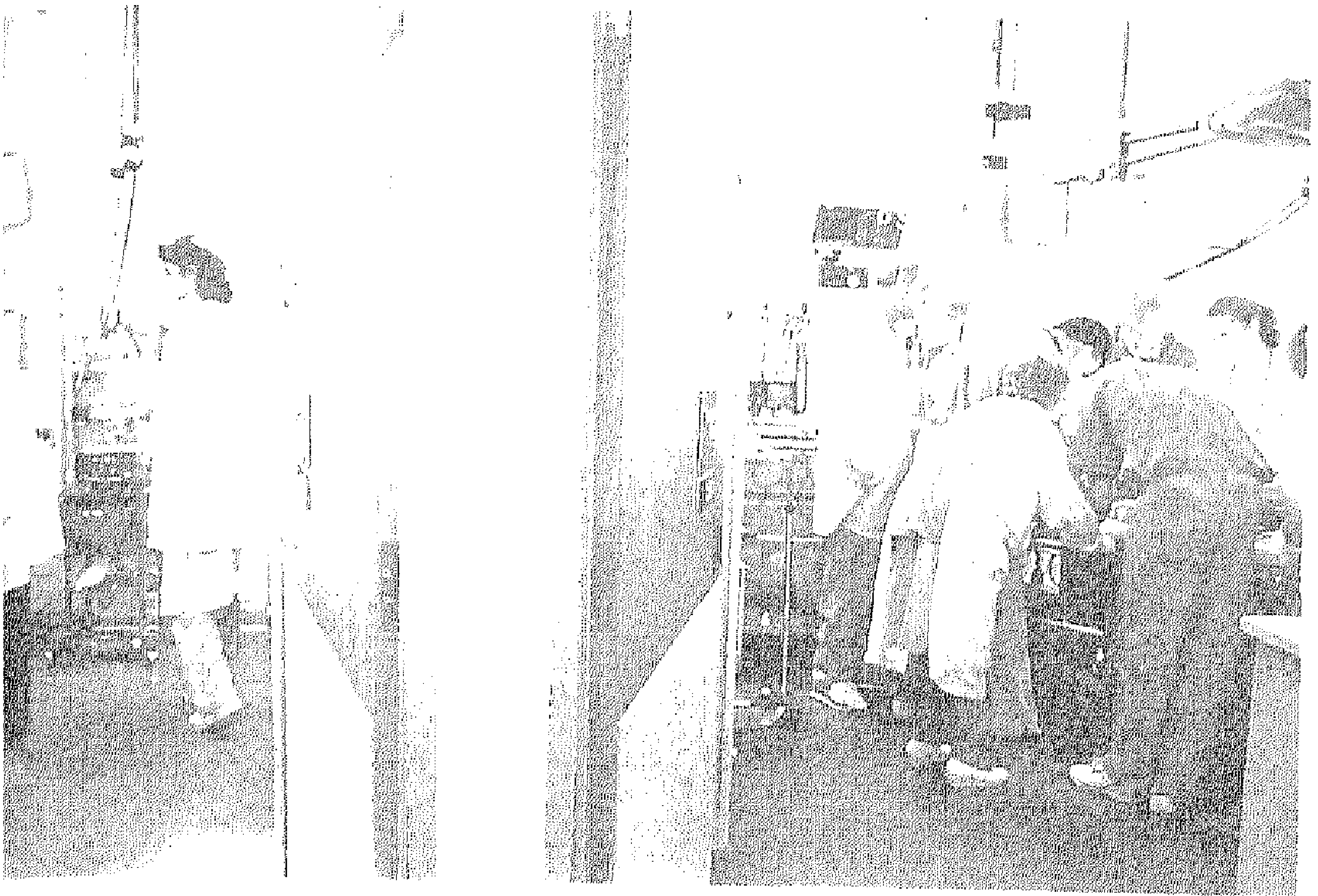
واندفع أحد تقنيي «بنك الدم» حاملاً وحدتين أخريين.

في هذه الاثناء كان نيومان يشق العضل طبقة بعد طبقة. وما ان اخترق المبضع تجويف الصدر حتى انبثق الدم. وفيما توسّع الشق تحول التنقيط فيضاً تدفق على الأرض وعلى سروال الجراح وحذائه.

تحسّس نيومان الشقّ باصبعه فوجده غير كاف، فطلب مقصاً من الممرضة وراح يعمل على توسيعه. وكان يقبض على المقص بكلتا يديه لقص الضلوع التي تعترضه. ثم عاد وفحص الشق فدخلت يده براحة.

قال للمساعد الطبي: «حسناً، حين أشير اليك أوقف جهاز التنفس لثانية واحدة فقط.» وجلس القرفصاء يتطلع عبر الجرح إلى الغشاء الذي يغلّف القلب، فقد كان أزرق داكناً ومنتفخاً وممتلئاً بالدم. وتعيّن عليه شقه لاخراج الدم ولكن بأقصى الحذر مخافة قطع عضل القلب.

اقتضى ذلك عدة محاولات خائبة قبل أن يلقط الغشاء ويشبكه بالمرقأة. ثم



في غرفتي «الشيفرة» في مستشفى الاطفال يتولى فريق «القلب الداخلي» معالجة الاطفال ضحايا الاصابات البالغة.

سحب قسماً من الغشاء مكوّناً «خيمةً» صغيرة ومدّ يده وقطعها فتدفق مزيد من الدم على الأرض. وانسابت أصابع يده اليمنى عبر الغشاء المفتوح والتفّت حول عضل القلب الناعم المرتعش. وراح يضغط ثم يرخي بحذر. فاستجاب القلب بانقباض تلقائي.

عندما تحرك القلب أحس نيومان الدم يجري على كفه. وراح يمرر أصابعه مستكشفاً سطح القلب إلى أن اهتدى إلى الثقب في أعلاه. فزلّق ابهامه عليه وراح يستكشف مؤخر القلب، فعثر على جرح الخروج وسدّه بالوسطى. عندئذ عاود القلب الانقباض.

هتفت احدى الممرضات: «إني ألتقط نبضاً!»

فقال نيومان: «لم ننته بعد. أني أضع اصبعيّ على ثقبين في القلب.»

١٧ دقيقة

وفق الجدول الزمني، عاد قلب تانيسا ستارنز يخفق بعد ست دقائق من ادخالها «غرفة الشيفرة». في الجراحات العادية يستغرق فتح الصدر ١٥ دقيقة، ولكن نيومان أتمّ العملية في أقل من ٥ دقائق.

وكانت يده اليمنى تحتضن قلب تانيسا، وبالابهام والوسطى ضغط بلطف

الثقبين في البطين الأيسر. وشعر بسرعة النبض الفائقة التي جاوزت القلب إلى اعادة الحياة إلى جسم نَهِم للاوكسيجين. وبدأ يعاني ألماً في كتفه، لكنه لم يكن قادراً على التحرك وهو يسد باصبعه جرح الرصاصة القاتل في قلب الفتاة. كان يمسك بحياتها في راحة يده.

راح نيومان يستكشف بأنامله سطح العضل النابض وكوّن في ذهنه صورة ثلاثية الأبعاد. كان جرح اختراق الرصاصة قريباً إلى حد خطير من أحد الاوعية الكبيرة التي تمد القلب ذاته بالدم. فجسّ بسبابته سطح القلب لكي يهتدي إلى الشريان. فاذا كانت الرصاصة قطعت ذلك الشريان فان قسماً من امداد القلب الدموي مقطوع باصبعه. وللمرة الاولى تساءل نيومان: هل كتب لهذه الفتاة أن تبقى حية؟

وكان سبق لنيومان أن عالج ولدين بجروح مماثلة. وفي الحالتين عمد إلى فتح صدر الولد في «غرفة الشيفرة» في كفاح مرير ضد الموت. وفي المرتين لقي اخفاقاً تاماً. والاحتمال كبير أن يخفق ثالثة. فعلى رغم الجهود المضنية قد تكون الفتاة في الواقع ميتة الدماغ، أو أسوأ من ذلك، قد يكون دماغها تالفاً على نحو لا سبيل إلى اصلاحه.

وإلى ذلك هناك خطر العدوى، فلم تكن «غرفة الشيفرة» جناح عمليات معقماً على نحو شامل، بل هي غرفة لا تبعد سوى بضعة أمتار عن الخارج المشحون بالجراثيم.

عرف نيومان أن عليه اقفال ثقبي الرصاصة بسرعة، وعليه لذلك أن يستعين بجراح للقلب. وأدنت احدى الممرضات الهاتف من أذنه، فتحدث إلى الدكتور فرنك ميدجلي في جناح العمليات في الطبقة الثانية، ولخص له الحالة كما هي.

لم يكن من السهل رقع ثقب في قلب نابض لكون القلب في تحرك دائم مما يجعل الخياطة صعبة. فحالما ترفع الاصبع عن الثقب يتدفق الدم ويغطي كل المعالم البنيوية حوله.

لكن ميدجلي ونيومان توصلا إلى حل للمشكلة باستخدام ضمادات صغيرة هي سدادات لبّاد معقّمة تمتصّ الدم وتنتفخ فتتحول كتلة متخثرة توقف النزف. فرفع نيومان اصبعه عن الجرح الأمامي وأقفله بضمادة ثبتها بإصبعه فيما راح الدكتور ميدجلي يخيطها إلى سطح القلب.

اما قفا القلب فكان أقسى، وجُرْح خروج الرصاصة أكبر وأكثر تثلماً. ورفع الجراحان القلب واداراه لكي يتمكنا من رؤية الجرح. وعملا منحنيين فوق جسد الفتاة، ووضعا الضمادة الثانية في مكانها فوق الثقب وخيطت لتثبيتها.

وانتهى الجراحان، فاستويا واقفين وراح نيومان يلوي كتفيه التعبتين.

بقي على الجراحين اصلاح الثقوب في رئتي تانيسا التي أحدثها خروج الرصاصة. لكن الأزمة الملحّة انتهت، فقد عاد قلب الفتاة إلى النبض.

قال نيومان: «اعتقد أن في امكاننا نقلها إلى الطبقة العليا واجراء التنظيف هناك.» فوافق ميدجلي. فمشى نيومان في القاعة متوجهاً إلى حجرة الملابس مخلفاً آثار أقدام حمراء. وبحسب لائحة الوقت كانت مرت ١٧ دقيقة منذ باشر الشقّ، لكنها بانت كأنها لا تنتهي.

مرة في العمر

يسود جميع مستشفيات الاطفال جو من الدفء والعطف والثقة والطمأنينة، تساعد في مؤاساة المصاب وشفائه. ولا يحصل هذا الجو عفوياً، بل يصنعه مئات العاملين في المستشفى الذين يحبون الاولاد ويرون في هذه المحبة غاية سامية وواجباً انسانياً يأتي في طليعة اهتماماتهم.

يعرف مارتي ايكلبرغر وفريقه، من خلال خبرتهم الاليمة أحياناً، أن ليس في الإمكان معالجة كل الاصابات بنجاح مهما بذلوا من جهد وسكبوا من محبة.

غير أن معظم الحالات في مستشفى الاطفال تنتهي إلى خاتمة سعيدة. فها هو ريتشارد، الصبي الذي أسيئت معاملته وأحرقت ذراعاه، قد شفي تماماً إلى حد أن الجلد لم ينسلخ. ونقل إلى جناح آخر لدى ادخال ولد جديد مصاب بحروق.

وكانت علة ريتشارد آنذاك اجتماعية لا طبية. فقد أصدر أحد القضاة أمراً يحرّم على الأم وخطيبها زيارة ريتشارد من دون مراقبة أو اخراجه من المستشفى. ولم يطل الأمر حتى اعتقلت الشرطة الخطيب واتهمته بجناية الحاق الاذى بالولد.

أما ديفيد مايرز، فوفقاً لجميع الاعتبارات كان مكتوباً له مصير مأسوي. لكن ما تحلّى به من مقاومة طبيعية وصلابة، والاهتمام الدائم للاطباء والممرضات، جعلاه يتغلب على مأساته ويبقى حياً.

قال الأطباء أن أوتاره الصوتية مشلولة وقد لا يتكلم أبداً. ولكن وقت غادر إلى «معهد كينيدي للاولاد المعاقين» في بلتيمور كان تعلّم أن يضع أصبعه على أنبوب الرّغامى ويجمع قوة من الهواء تمكنه من قول «هاي!»

وقال الأطباء إن دماغه مصاب بتلف شديد وقد لا يرى أبداً. واذا بوالده يكتشف ذات يوم في مركز التأهيل أن ديفيد يبتسم حين يقف إلى يساره وتغيب بسمته حين يقف إلى يمينه. فعمد المعالجون إلى فحص نظر ديفيد ووجدوا أنه استعاد نظره جزئياً مما يمكّنه من التنقل.

وحين عاد به أبوه إلى مستشفى الاطفال للفحص بعد مضي ستة أشهر، كان ديفيد أصبح قادراً على المشي واللعب وتركيب الكلمات في جمل بسيطة.



أما الأكثر إثارة فكانت قضية تانيسبا ستارنز. فبعد ثمانية أيام من اطلاق الرصاص عليها وقفت أمام مكبرات الصوت في ردهة المستشفى ونطقت بصوت هادىء كلماتها الاولى:

«هاي، أشعر أني بخير.»

كان ذلك يوماً مشهوداً اذ راح المصورون يلتقطون صوراً للفتاة يحيط بها والدها والمرضتان اللتان تعتنيان بها والدكتور نيومان وثلاثة مساعدين طبيين في حضور الصحافيين ومندوبي التلفزة والاذاعة.

كانت تانيسا هي «الفتاة المعجزة.» وقال الدكتور كورت نيومان لاحقاً: «في الحقيقة ليس هناك كثير من العجائب ولكن هناك مقدار كبير من الحظ.» كانت تانيسا محظوظة لأن سيارة الاسعاف التي وصلت اليها ضمّت مساعدين طبيين حسني التدريب ومعاندين رفضوا أن يسلّموا بالفشل. وكانت محظوظة لأنها تقطن بالقرب من «المركز الطبي الوطني لمستشفى الاطفال» حيث أنشأ مارتن ايكلبرغر في العام ١٩٨٠ عيادة لمعالجة صدمات الاولاد.

هذه هي الغاية النبيلة التي تدفع الدكتور مارتي ايكلبرغر وجميع أعضاء فريق الصدمات في مستشفى الاطفال إلى العمل. ان انقاذ حياة طفل واحد هو عمل رائع، فكيف يكون انقاذ الوف الاطفال؟ انه حلم. وقد تحقق.

آلن دولب ■

ترجمة الياس عقل

تأملات معاصرة

أسمى أفعال الحب

انّ الانتباه الى حديث الغير هو اسمى أفعال الحب. وهذه حقيقة اكيدة، فاحدى اهمّ الأمثولات التي تعلمتها هي انه لا بديل من الاصغاء.

د.س.

هندسة عملية

صمّم مهندس معماري رائد مجموعة من أبنية المكاتب. وبعد انجاز عملية البناء سأله مهندس الجنائن أين يريد وضع أرصفة المشاة، فاجاب: «اغرسوا عشباً فقط بين الأبنية.» ومع نهاية الصيف كانت أقدام المشاة رسمت ممرّات متعرجة فوق المرج الأخضر. وفي الخريف رصف المهندس هذه الممرّات. فكانت النتيجة دروباً لا تتميز فقط بجمال الزخرفة بل تستجيب أيضاً لحاجات المشاة.

ك.و

عصر التلفاز

إن المجال المخيف الذي فتحه التلفاز في ردع الناس عن التحدث والقراءة يوحي بعصر قاحل بليد. فاستمرار هذا الوضع يؤدي تدريجاً، بحسب قواعد التطوّر، إلى نشوء مجتمع يتعذر تمييزه عن الأشكال الدنيا للحياة النباتية

لقد كشف علماء الفلك شيئاً على المريخ يشبه طحالب في طور النمو. وانا مقتنع بأن اناساً عاقلين امثالنا قطنوا المريخ من قبل، ونزلت بهم البلية قبل بضعة آلاف من السنين عندما اخترعوا التلفاز.

روبرت تشنز، مرب وكاتب امريكي

الفشل طريق النجاح

ما من شيء ينجح من المرة الأولى. فالاخفاقات المتكررة هي لافتات موجِّهة في طريق الانجاز. والمرة الوحيدة التي لا تخفق هي عندما تجرب شيئاً فيعمل. فالمرء يخفق قُدُماً نحو النجاح.

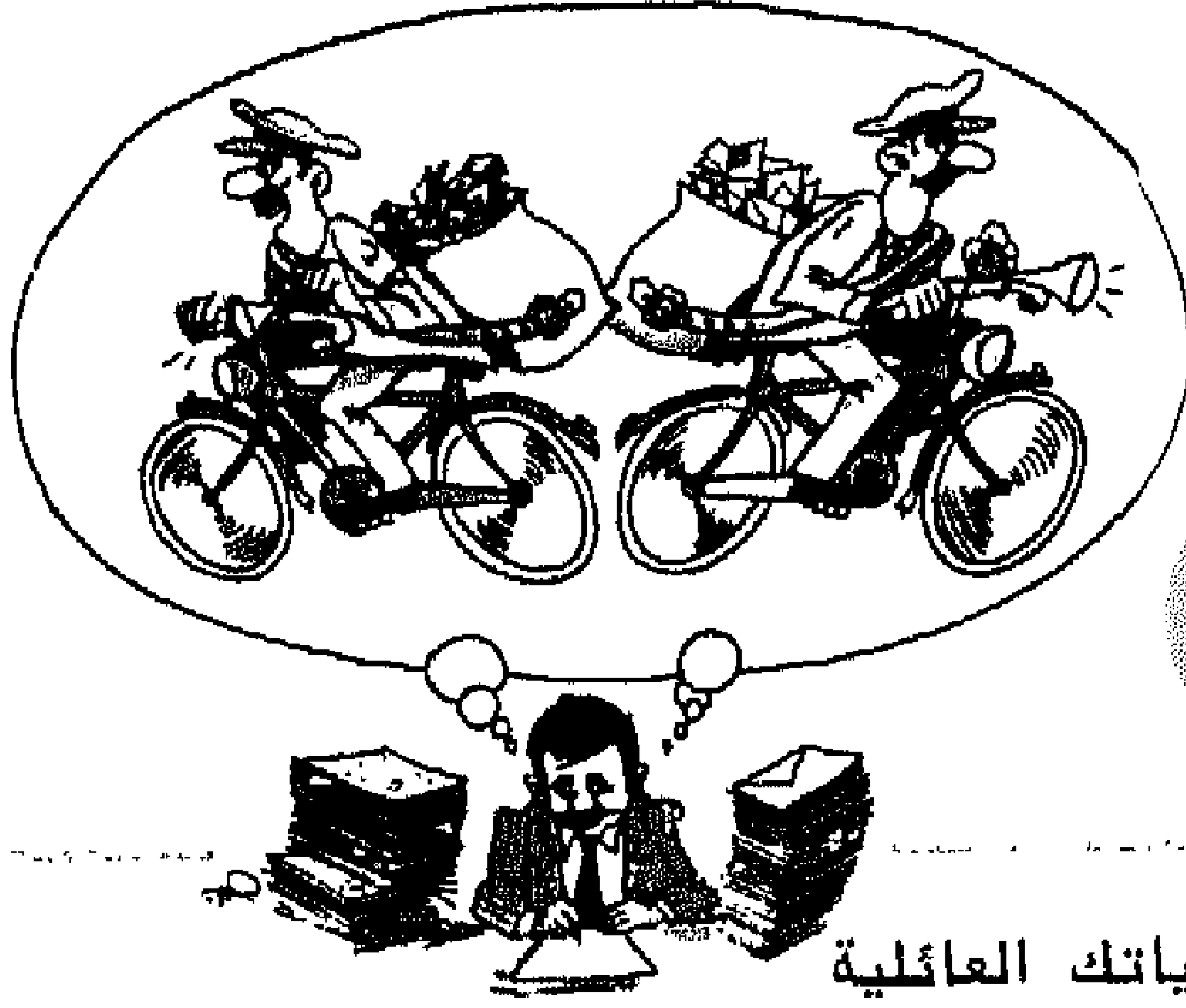
تشارلز كيترينغ، مهندس ومخترع في «جنرال موتورز» (١٨٧٦ ـ ١٩٥٨)

«فوتوجينيك»

يتفق أن الموفَّقين في الصور الفوتوغرافية هم، الأفضل شكلاً في حالات الاسترخاء. أما الذين لا يكشفون أنفسهم إلا أثناء الحركة والنشاط فصورهم المأخوذة خلال الاستراحة هي غالباً مزيفة. إن الجميلين في الصور هم الساكنون لا المتحركون.

سيدني هاريس

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

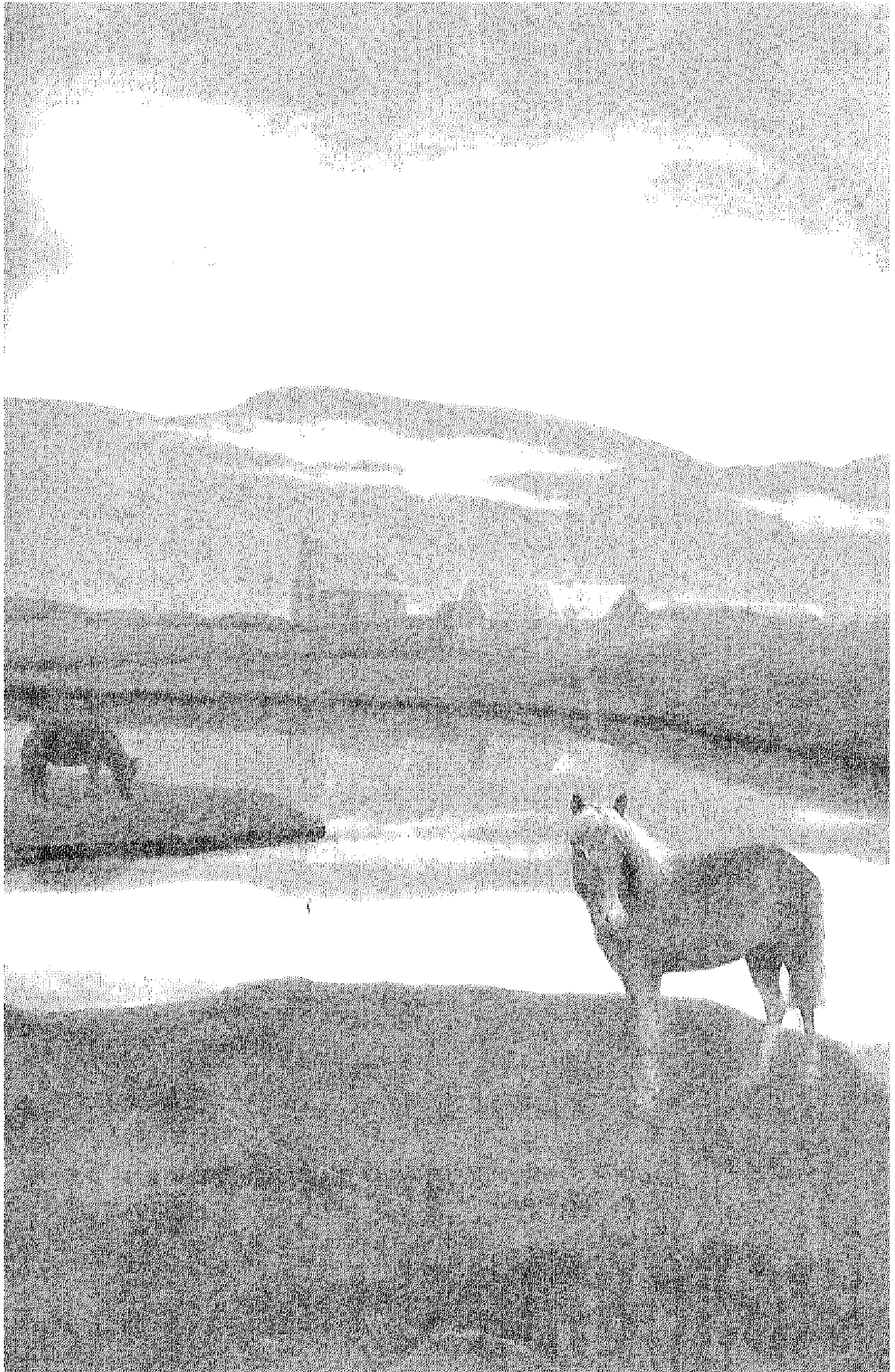
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



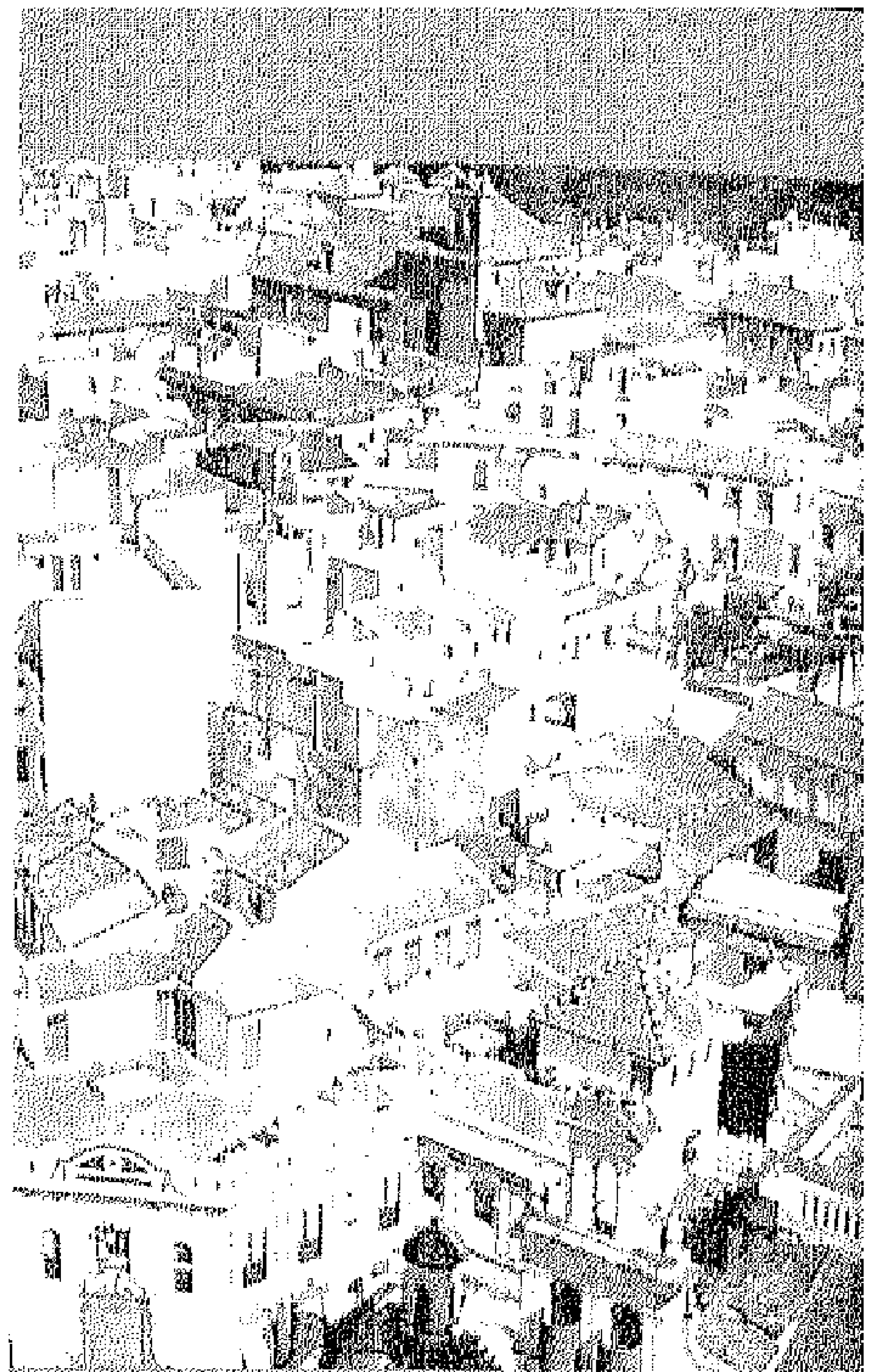
«حصان البحيرة البيضاء» ـ زيتية للفنان ثورارين ب. ثورلاكسون

مارس/ابريل/مايو ١٩٩٠ - شعبان/رمضان/شوال ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest
March/April/May '90 N° 136-137-138



لأندلسية

(ص ١٠)

هواية تصنع نجوم الكرة

(ص ٥٤)

الحمية لعبة معقدة

(ص ١٥)

«اهلا بالرجل الصغير» ٥
اورساي، متحف في محطة ٢٠
المخدرات: المدمنون حثالة ٢٥
لغة اليدين ٢٩
الكيمشي، نار لذيذة ٣٢
«ذهب مع الريح» جوهرة العصر ٣٨
ثلاثة ابتعدوا عنهم ٤٣
حديقة بناها الحب ٤٧
كيف تحصلون على ما تريدون ٥٨
«زوجي الفاتن» ٦٥
بلايموبيل، عالم من بلاستيك ٦٨
فنون الدفاع عن النفس ٧٥
الاب الصالح والابنة الفاضلة ٨٠

عيادة نفسية للكلاب ٨٩

الكابوس الابيض (مأساة) ٨٤
العدالة تمحو الانتقام ٩٦
كتاب الشهر: نور الحياة ١٠٣

كلمة من "المختار" ٣، حديقة افكار ١٩، الضحك خير دواء ٣٧
عالم الطب ٥٢، دائرة المعارف ٦٣، تاملات معاصرة

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

الصف والتنفيذ: شركة الطبع والنشر اللبنانية.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

March / April / May '90 N° 136-137-138 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية. الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٢٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

كأننا في اليوم الاول...

مرة اخرى تتطاير القذائف فوق رؤوسنا.

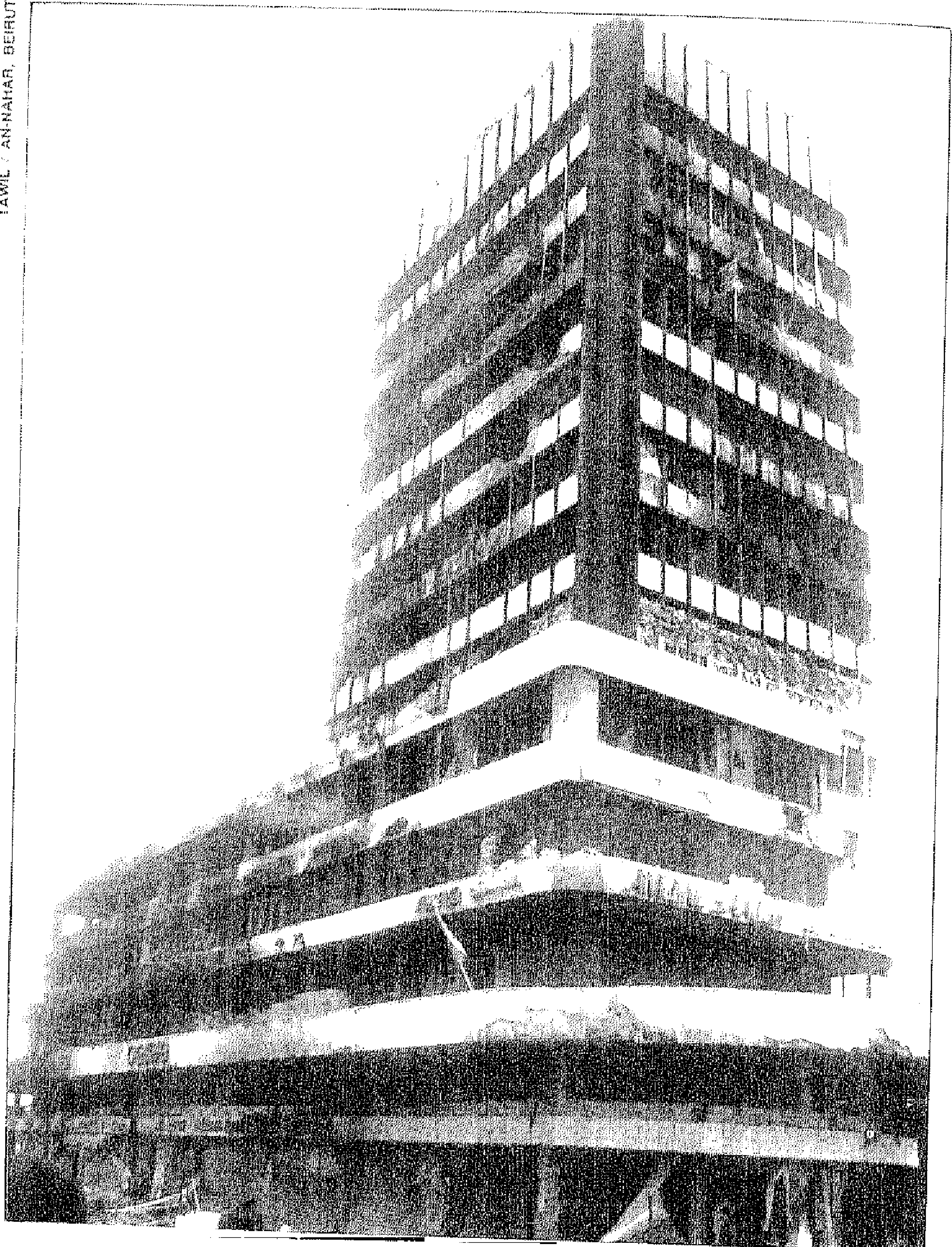
وللسنة الثانية على التوالي تجد "المختار" نفسها في اتون ملتهب.

فظهر اليوم الاخير من شهر يناير (كانون الثاني) الماضي، غادرنا مكاتبنا على عجل في الضاحية الشرقية للعاصمة اللبنانية، حيث تحرر المجلة وتطبع، على امل اللقاء في الغد. بيد ان هذا الغد كان يوماً "آخر" مرعباً من الحرب المدمرة التي تجتاح لبنان منذ أكثر من خمس عشرة سنة. فقد تحول المبنى خلال ساعات قلعة محصنة والحي غابة من البنادق والحراب. فهرع الناس الى الملاجىء وانقطعت وسائل الاتصال وانهمرت القذائف على الاحياء والمنازل من كل صوب. في هذه الفترة كان عدد فبراير (شباط) قيد الانجاز في المطبعة - حمداً لله - في حين تعذر علينا الاقتراب من مكاتبنا خشية القذائف والقناصة. وما ان هدأت المعارك قليلا حتى خرج من المنطقة، من استطاع منا، الى الجزء الغربي من العاصمة حيث لنا مكاتب. وباشرنا العمل كأننا في اليوم الاول من "المختار" نعد لاصدارها من الصفر: فلا ورقة لدينا ولا مقال، لا فيلم ولا دواة. ورحنا نعمل في كل اتجاه، ومكتب الـ"ريدرز دايجست" في نيويورك يلبي، حتى اقتربنا من جَسْر المسافة بين ٣٠ يناير وبداية ابريل (نيسان) بأقل مقدار ممكن من الخسائر (عدا المكاتب، طبعاً، التي لا تزال في قلب الجبهة ولا مجال للاقتراب منها) وتوصلنا الى صيغة ننشر بموجبها، بين مارس (آذار) ويونيو (حزيران)، عددين: واحداً عن اشهر مارس وابريل ومايو، وواحداً عن يونيو بعدما وزعنا في شهر مارس عدد شهر فبراير الذي انهته المطبعة اثر معاودتها العمل.

ونحن اذ نعتذر لقرائنا عن هذا التدبير الذي بذل العاملون في المجلة الكثير من التضحيات لانجازه، نعدهم بأن نعوّض ما فاتهم في وقت قريب، ان شاء الله.

رئيس التحرير

TAWIL / AN-NAHAR, BEIRUT



مركز شالوحي – حيث مكاتب "المختار" في الطبقة الثانية عشرة   كما بدا خلال يوم هدنة.

نيدو الحليب الأفضل



Reader's Digest
المختار
مارس/ابريل/مايو ١٩٩٠
شعبان/رمضان/شوال ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

لم تعد الحياة في الرحم غامضة
فقد جعل العلم مشاهدة جميع حركات
الجنين ممكنة

«أهلاً بكَ أيها الرّجل الصّغير»

ظل عائماً لمدة ثمانية اشهر في محيطه الخاص واستيقظ هذا الصباح وفتح عينيه وتثاءب وركل مراراً. لاعب قليلاً حبله السّري المنساب الى جانبه، بأصابعه ثم رفع يديه الى فمه وراح يمصّ إبهامه. وعبر صدى ضربات قلب امه وقرقرة قناتها الهضميّة، سمع صوت والدته وهي تخاطب والده، فتوقف عن مصّ ابهامه واصغى باهتمام. ثم مشت والدته فهزهزته الحركة بلطف فعاد الى النوم.

حتى السنوات الأخيرة كنا نتفكّر فقط في ما تراها تكون حياة الطفل في الرحم. الى ان اتى الفحص الطبقي الدقيق الفوق الصوتي، ففتح بتطوره الكبير نافذة على الرحم، مما اتاح للأطباء رؤية كل حركة من حركات الجنين على شاشة شبيهة بشاشة التلفاز. وتظهر الصور الجنين يتثاءب ويمصّ ويلتقط ويتمطّى

ويطرف عينيه ويقطّب ويكشّر. في اختصار، انه يؤدي الحركات التي سيقوم بها بعد الولادة.

يعيش الطفل في الرحم في بحر من الصوت. وقد تنصّت عليه الباحثون بإدخال ميكروفون صغير من خلال المهبل الى الرحم. ويصف تشارلز ودفني مورير مؤلفا كتاب «عالم المولود الجديد» الصخب الذي يسمعه الطفل من قلب امه ورئتيها بالآتي: «بالتعابير الهندسية، ان هذه الأصوات تشبه اصواتاً صادرة عن مضخة ماء عاملة ومضخة رواسب طينية كبيرة ومنفاخين.»

أسْمَعَ الدكتور جيفري فلين احدى الحوامل موسيقى مسجّلة من شتى الأنواع، من زقزقة عصافير الى هدير قطار عابر. وكان ادخل في رحمها ميكروفوناً يلتقط الأصوات. ولدى الاستماع الى تسجيل الميكروفون قال فلين: «إنه امر لا يصدق.»

أن حدة الصوت تقلق فلين. فحين استمع الى صدى مناقشة التقط من الرحم، وجد الصوت عالياً الى حد مزعج. وتساءل عن التأثيرات الضارة المحتملة لعمل المرأة الحامل في محيط يملأه الضجيج. وقال: «إن المرأة التي ترشد الطائرات النفاثة في المطار تضع واقيات للأذنين. فهل الوقاية لسمع الجنين في احشائها مؤمّنة؟»

يستكشف الجنين بإحدى قدميه نسيج وسادة المشيمة الحريرية التي يرتبط بها بالحبل السرّي كالسفينة المربوطة الى رصيف المرفأ. ويشرب بعض السائل النخطي الذي يشبه ماء البحر، والابتلاع يسبب له نوبة من الفواق (الحازوقة) التي تحسّ بها أمه في شكل وثبات ايقاعية صغيرة.

ثم تتوقف الحازوقة فيخلد الجنين الى النوم في وضعه المفضّل، بحيث يطوي قفاه تحت اضلاع أمه، وظهره على امتداد جنبها الأيسر.

يتمرّن الطفل، وهو في رحم امه، على الحياة التي هو مقبل عليها، كما يهيىء الرياضي نفسه للمباراة. إنه لا يحتاج الى التنفس إنما يقوم حجابه الحاجز بحركات التنفس. كذلك هو لا يحتاج الى الأكل او الشرب ولكنه يشرب من النّخط.

أما السلى الذي يحتويه فيقيه الصدمات وتقلبات الحرارة. وتتيح له طبيعته الزلقة التحرك الطليق الضروري لبناء العظم والعضل.

والمشيمة ليست كما ساد الإعتقاد طويلاً انها حاجز واق بين الأم والجنين. فهي لا تحميه إذ أن سموم دخان السجائر والكحول والمخدرات والهرمونات التي يحض الاجهاد على فرزها، تنتقل من مجاري الدم لدى الأم الى الجنين عبر المشيمة والحبل السّري، والأمراض غير المؤذية نسبياً للأم كالحصبة الألمانية (روبيلا) او داء المصورات الذيفانية* الذي تسببه كائنات حية دقيقة تظهر احياناً في براز الهررة واللحم النيء من شأنها التأثير على صحة الطفل ونموه كذلك تفعل مواد

(*) Toxoplasmosis

كيميائية كثيرة موجودة في البيت او في مكان العمل.

في الأحوال الطبيعية لا يشعر الجنين بالجوع او العطش، انما اذا لم تستهلك الأم ما فيه الكفاية من المغذيات فإن تغذية الطفل لن تكون كافية كذلك. فحين يتعرض الجنين لنقص حاد في الغذاء ـ لأن تدخين امه الكثيف، مثلاً، يحد من جريان الدم الى المشيمة ـ يقوم بحركات غير طبيعية. وقال الدكتور جايسون بيرنهولز وهو أحد خبراء السمع فوق الصوتي، انه «رأى» طفلاً سيّىء التغذية يحرك صدره وحلقه وهو في حال بكاء مؤثر!

يذعره صوت الراديو فيستيقظ الجنين ويطرف عينيه ويكشّر متأثراً بهذا الإحساس الجديد الذي يختبره للمرة الأولى. ومن ثم يغدو راغباً في سماع الموسيقى. وهو يدير اذنه بحيث تقترب اكثر من العالم الخارجي ويحسّ بضغط الكتاب الذي يستقر على بطن امه فيركله. ويتناهى ضحكها اليه كتجاوب قعقعة مكبوت. تربّت بطنها حيث أحسّت بركلته فتستيقظ فيه روح اللعب فيعيد الركل ويكرر ذلك مرات الى ان يفقد في النهاية الرغبة فيها فيخلد الى النوم.

في اسابيع الحمل القليلة الأخيرة يستطيع الجنين استخدام كل حواسه، وربما كان النظر اقلها اهمية في عتمة الرحم. وعلى رغم ذلك فإذا سلّط ضوء قوي على البطن العاري للأم، فإن الجنين يدير وجهه ـ وعيناه مفتوحتان ـ الى ناحية الضوء، فيرى وهجاً باهتاً شبيهاً بوهج مصباح كهربائي محمول.

في اواخر عهد الحمل، تكون براعم الذوق قد اكتملت وبات الجنين يفضّل النكهة الحلوة. فقد حَقَن احد الأطباء سائلاً حلواً (سكّرين) ومادة ملونة في ارحام نساء لديهن كميات زائدة من النخط وأمِل ان يزيد الجنين من شربه فيمرّ السائل الزائد في مجاري الأم. وهذا ما حدث فعلاً، فقد ظهر الصباغ في بول الأم حين كان النخط محلّى، ولكن حين أشبع الجنين نهمه من النكهة الحلوة توقف عن الشرب.

هل يعرف الجنين صوت أمه؟

أجرى أنطوني دوكاسبر وهو استاذ لعلم النفس، تجربة لكشف ذلك. فوضع اداة للسمع في أذني مولود جديد وأعطاه حلمة زجاجة إرضاع مربوطة الى انبوب مسدود من المطاط. وسجل على شريط تغييرات الضغط حوْل الأقنية في الأنبوب. فإذا توقف الطفل طويلاً جداً ما بين فترات الامتصاص، سمع تسجيل قناة واحدة واذا توقف لفترة اقصر من المتوسّط سمع تسجيل القناة الأخرى. وتبين له انه باتت للطفل القدرة فعلياً، على تغيير القنوات.

ووجد دوكاسبر ان المواليد الجدد ينتقون اصوات أمهاتهم من بين تسجيلات لأصوات نساء اخريات. والطفل لا يهتم فطرياً لسماع صوت والده الذي يتناهى اليه من حين الى آخر وهو في الرحم، بخلاف صوت امه الحاضر ابداً. ولكن في خلال الأسبوعين

التاليين للولادة يصبح الطفل قادراً على تمييز صوت والده.

والمولود الجديد متناغم حتى مع نبرة لغته الوطنية وإيقاعها. ففي دراسة اجرتها اكاديمية العلوم في باريس واستخدمت فيها تجربة شبيهة بالتي ابتكرها دوكاسبر، خيّر الأطفال بين الكلمات الفرنسية والروسية فكانوا اكثر استجابة للفرنسية.

ويطلب بريان سات احد الباحثين الاختصاصيين بعلم النفس السريري، من الوالدين ان يغنيا تهويدة للجنين يعتاد سماعها. فالجنين ينمي غالباً نمطاً متماسكاً من الحركات لدى سماعه اغنيته. وبحسب سات فان اكثرية الوالدين تستطيع، معظم الأحيان، تهدئة مولود جديد نيّق، صعب الإرضاء بإسماعه أغنيته. وهذه، لا شك، مكافأة للوالد الجديد تعتبر أثمن من الجواهر.

تسقط امه بشدّة على احدى ركبتيها فتوقظه الرجّة القوية فلا يلحقه اي أذى لأنه موسّد جيداً ضد الصدمات. ولكن ألمها والخوف من ايذائه يغمران جسديهما بفيض من الأدرينالين وهورمونات يفرزها الضغط مما يحفزه الى الصراخ والركل بشدة. ولكن صراخه يذهب سدى لأن لا احد يسمعه بسبب فقدان الهواء الذي يولد الصدى. وحين تتعافى والدته تخسر هورمونات الضغط فيعود اليه هدوؤه ايضاً.

هل ما تشعر به الأم من ضغط وإجهاد وغضب وصدمة وحزن يضر بطفلها؟ كلا. ان ضروب الضغط والاجهاد والتوتر الطبيعية لا تطاوله بأي أذىً. ووفقاً لما يقوله الزوجان مورير فإن هذه الحالات في الرحم تعادل فترة عابرة من «الطقس السيىء.»

وقد تكون هذه التحركات مفيدة لأن التغيرات تثير الجنين. فبعض الأجنة يروعه التعرض لموجات من الضجيج والأصوات العالية ولكن بعضها يهتم لها ويدير لها آذانه.

والإجهاد الشاقّ المتواصل قد تكون له قصة أخرى. ولم يتضح الى الآن اذا كانت المشاكل هي وليدة الإجهاد ذاته، ام انها ناتجة من التغذية الناقصة والتدخين والشرب او المخدرات، التي ترافقه غالباً. وفي اي حال لا بد ان يكون لهذا الجو تأثير على الطفل.

لبضعة اشهر خلت كان الطفل يشعر ان بيته الصغير يضيق عليه كما لو ان امه كانت تحتضنه. اما اليوم فإن الضمّات تتكرر وتزداد قوة. ويتواصل التدليك الإيقاعي ويقوى الضغط حول رأسه.

وفجاة يغيب الضغط حين يطل برأسه الى العالم ثم تتبعه بقية اجزاء جسمه فيبهره الضوء بعد عتمة الرحم ويغمره البرد فيطلق صرخة ويضرب الهواء بيديه ورجليه فيما عيناه مغمضتان كلياً.

ان توقيت المخاض ليس بالأمر الذي تفرضه الأم على الجنين ولا هو بالحادث الكيفي. انه نهاية دور يمثل فيه الجنين الدور الرئيسي. فالتغيّرات في جسمه

تساهم في تهيئة رحم الأم والعنق للمخاض، فيما التغيّرات في جسمها تعدّه للحياة خارج الرحم.

يترسّخ في علم النفس الغربي مفهوم مؤداه ان الولادة هي بمثابة صدمة للطفل ولكن يرجح ان الأطفال لا يجدون المخاض عملية مؤلمة. وتدل اجهزة التحسس الملصقة بجسد الأم والتي تراقب الجنين في اثناء الولادة، ان «التدليك» هو الوصف الصحيح لهذا الإختبار.

ان الإجهاد خلال الولادة يحصل بفعل الانخفاض الدوري للأوكسيجين حين يوقف الانقباض جريان الدم عبر المشيمة. انما هذا ليس مشكلة بالنسبة الى طفل صحيح مولود في الوقت الكامل. اذ ان ضغط الانقباض يهيىء الطفل للحياة في العالم الخارجي ومادة الادرينالين في الجنين تحول الدم في اتجاه الأعضاء الداخلية الحيوية التي قد تتأذى بسبب انخفاض امداد الأوكسيجين. ويتسبب الأدرينالين أيضاً في امتصاص السائل في الرئتين واندفاع في انتاج الـ «سورفاكتان» وهي مواد كيميائية تسهّل انتفاخ الرئتين.

وهذا الدفع من الادرينالين يساعد في تحقيق ولادة طفل يقظ، مفتوح العينين. يقول الدكتور مارشال كلوس المؤلف المشارك في كتاب «المولود الجديد المدهش»: «يبدو ذلك كأن المواليد الجدد تدربوا على التوجه الصحيح للقائهم الأول ووالديهم.»

ولكن تضايق الطفل قصير الأمد، اذ يتلاشى حين يجد نفسه مضجعاً في مكان ناعم، دافئ يعلو ويهبط تحته، بين ايدٍ تدلّكه برفق وتحضنه. وفيما عيناه ما زالتا مغلقتين فإن في إمكانه سماع نبض قلب امه المهدّىء والمألوف بعدما بات صوتها اكثر وضوحاً فيسترخي جسمه، وبعد برهة تبدأ عيناه الطرف وينتهي الى فتحهما. ويتطلع حواليه بنظرات واسعة متألقة. وينحني فوقه وجه بشري يقدر، ضمن إمكاناته المحدودة، التركيز عليه، هو وجه أمه. فيجاهد مندهشاً لإبقاء نظره عليه، ويعلو العبوس وجهه. ثم يدرك ان الصوت الذي يعرفه جيداً صادر عن ذلك الوجه فتنبسط اسارير وجهه دهشة.

وتبتسم له امه وهي منحنية فوقه قائلة بحنان: «اهلاً بك الى العالم ايها الرجل الصغير.»

هنسي غوير ■

سرّية المكاتب

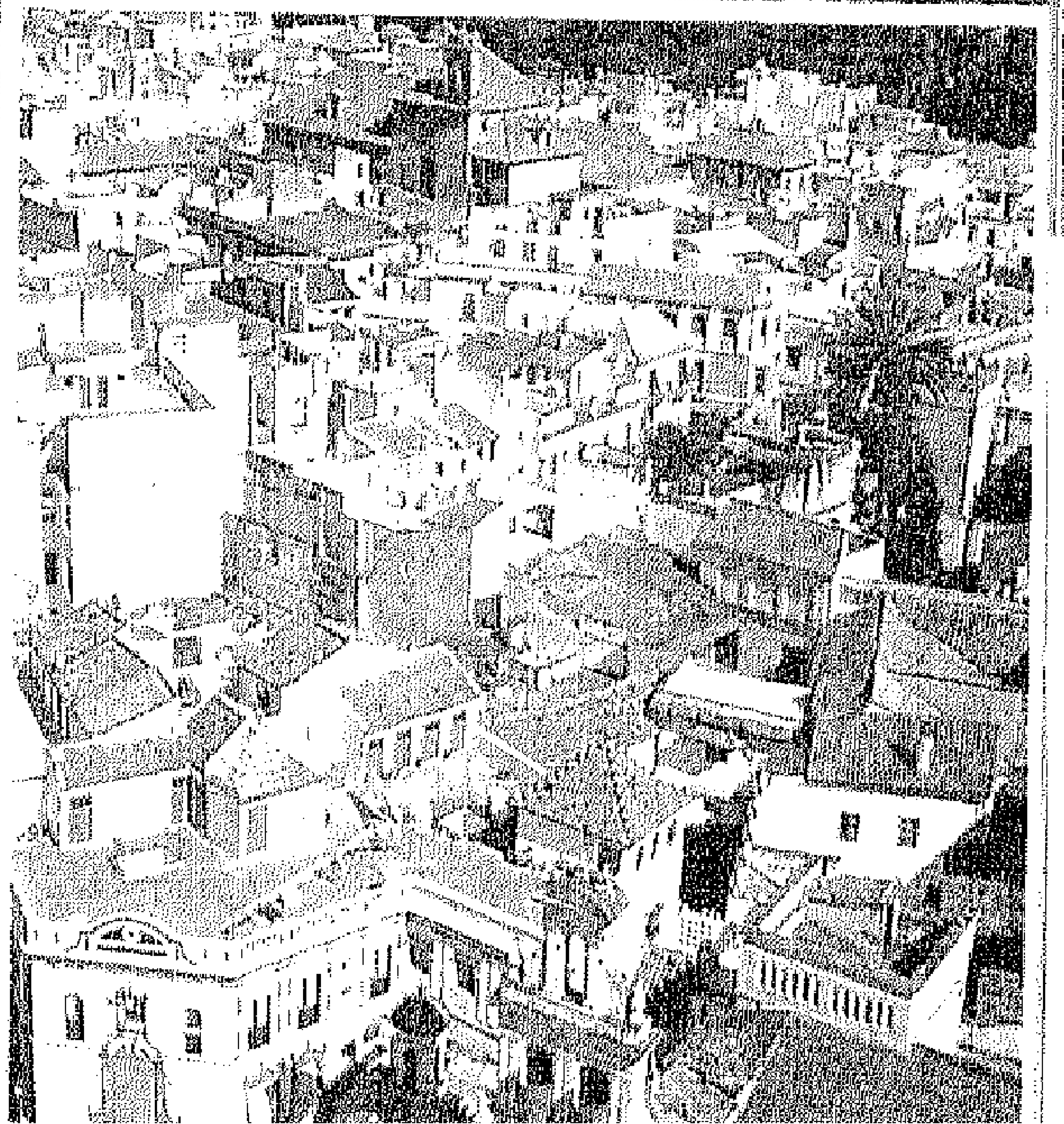
أعمل في قاعة مقسّمة مكاتب عدة بواسطة فواصل خشبية. وذات يوم وجّه الي زميل سؤالا، فأتاه الردّ من مكتب مجاور. فقال معلّقاً: "لا مجال لحديث خاص في هذا المكتب. الجميع يسترق السمع."

وأتانا الرد من حجرة تفصلنا عنها ثلاثة حواجز: "هذا غير صحيح."

أ.ر.

اشبيلية الاندلسية

جولة قصيرة في اشبيلية المدينة الاسبانية العربية الطابع والأكثر دفئاً وألقاً



«الوادي الكبير» الوادع، ومشهد من المدينة لبيوت حمر السقوف مطلية بالكلس.

جلست على مصطبة مطعم «ريوغراندي» ناظراً الى نهر «الوادي الكبير» ساعياً إلى التعرف على الحارة التي ترعرعت فيها.

اشبيلية القديمة كتلة متشابكة من السطوح الحمر والبيوت البيضاء الخفيضة، تنبعث من جنباتها بضع نخلات باسقات تهزز رؤوسها مثل باشوات أصابهم مسّ.

وثمة قصر مغربي الطراز بديع (الكازار) وعشرات المعابد، لكن المدينة هي في المقام الأول موطن الجنائن ومدينة الأزهار. انها اشبيلية النظيفة، اللماعة، حيث يحتشد محبو اللهو والمرح وهم على عهدهم منذ قرون.

وكانت اشبيلية، أيام المستكشفين أمثال كولومبوس وماجلان وكورتيس وأميريغو وفيسبوتشي، زمن نهب العالم الجديد، من اغنى مدن العالم؟ مصدر ثرائها التجارة وذهب الفاتحين. وبالقرب من كاتدرائية البلدة دائرة للمحفوظات الكبرى التي تحوي وثائق عن الاندين، وتختزن روايات مستوفية التفاصيل عن اكتشاف الامريكتين الوسطى والجنوبية واستعمارهما.

وجذب الازدهار آنذاك الكاتب سرفانتس الذي تشير الوثائق انه تقدم بطلب لوظيفة رسمية خارج البلاد، غير ان طلبه لم يلق أي اهتمام.

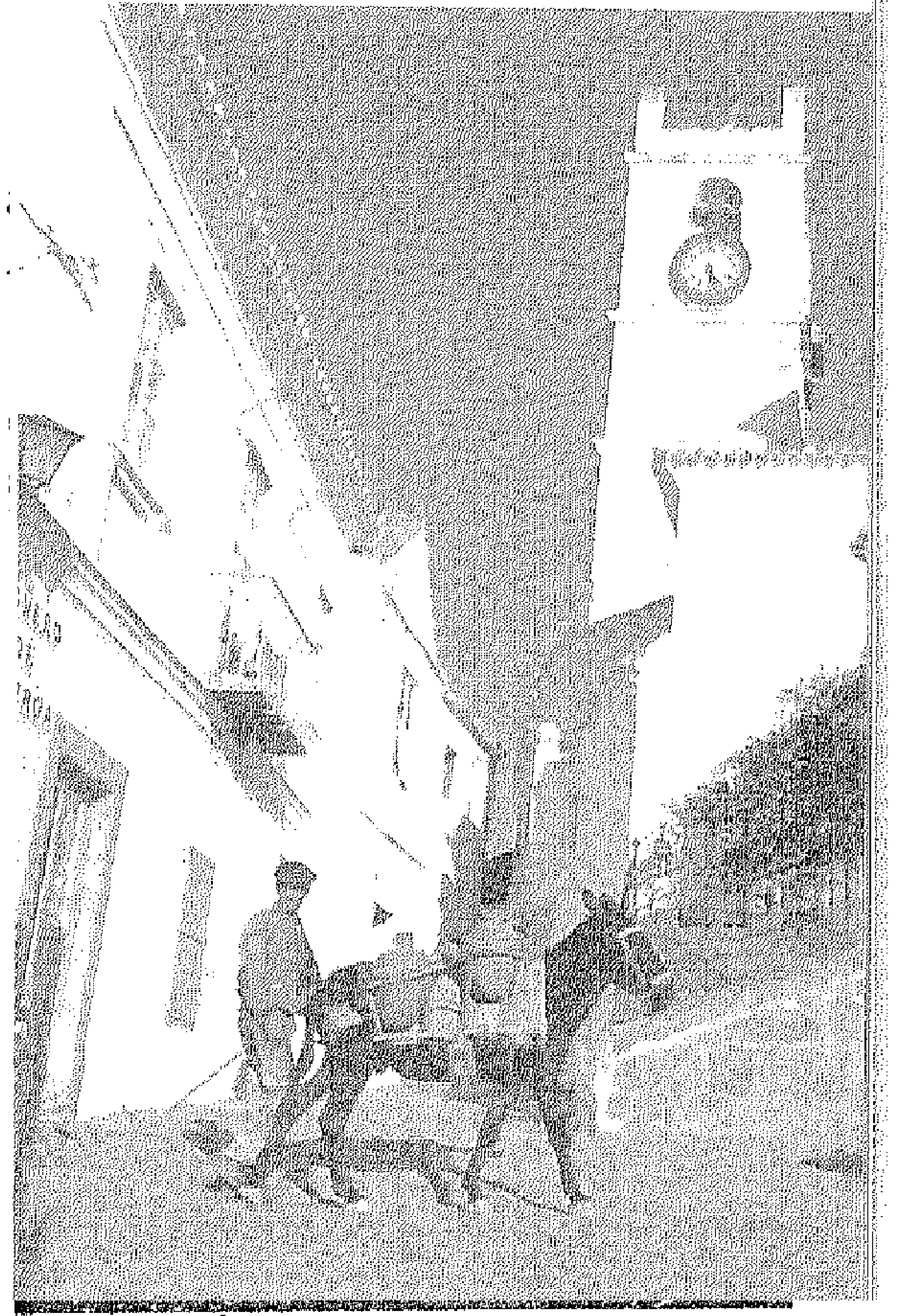
واستخدمت اشبيلية في عزّها مهندسين معماريين مرموقين أمثال هيريرا، وأنجبت رسامين كفلاسكويز وموريللو. لكنها بعدما أُتخمت بالذهب الأصفر، ذوت شهرتها في القرن السابع عشر. وهي اليوم، وثبت من القرون الوسطى وحطت رحالها في العالم المعاصر، فأضحت تزنرها ضواحٍ بمبان شاهقة، وتضاعف عدد سكانها في ستين عاماً.

الاندلسية. اشبيلية مدينة ليل، أي ان الحياة تدب فيها بعد غياب الشمس. وقد انشئت أزقتها الضيقة ونوافذها المشبكة ذات الستائر المرنة لدرء أشعة الشمس الشديدة الوطأة في الأشهر الحارة. وتتوسط الحديقة أو الفناء، الركن الهادىء من البيت الاشبيلي أو المبنى الحكومي، مما يتيح للمرء الانتعاش في الأفنية ذات العُمُد قبل أن يلج مكاتب العمل.

وهذه المباني التي تبدو عادية من الخارج، هي شديدة الألفة من الداخل. فالاشبيلي المهذار يهوى الخلوات. كما أن الجنائن المفتوحة الملحقة بالقصور المغربية الطابع انشئت في أفنية مرصوفة تحفها شجيرات، حيث تدندن نافورة ماء صغيرة وسط مقاعد صنعت من الاجر الجميل والبرتقال والشجيرات المزهرة، والنخلات الباسقة التي يوشي جذوعها الياسمين، مما يشكل زركشة من الظلّ المعطار.

وكثيراً ما يتناهى إلى الاسماع خرير مياه، فالعرب الذين استوطنوا اسبانيا علّموا سكانها تطوير اساليب الري. وللّهجة الأندلسية دورها في خلق هذا المناخ الخاص، فهي جهورية تسيل بانبجاس، مهذارة، فيها تعمية كلام، ولذا فإن أهل اشبيلية، بأثر منها، ينبذون معظم الصوامت في كلماتهم مبقين على أحرف العلة التي تنساب مع بعضها بعضاً ككريات أو حصى في الفم. والاشبيلي العادي ينبوع ظرف ونكات يتوق ألى أن تأتي أنت بمثلها أو بأحسن

ADAM WOOLFITT / SUSAN GRIGGS AGENCY



حمار يحمل أباريق في حي قديم بهيج المنظر.

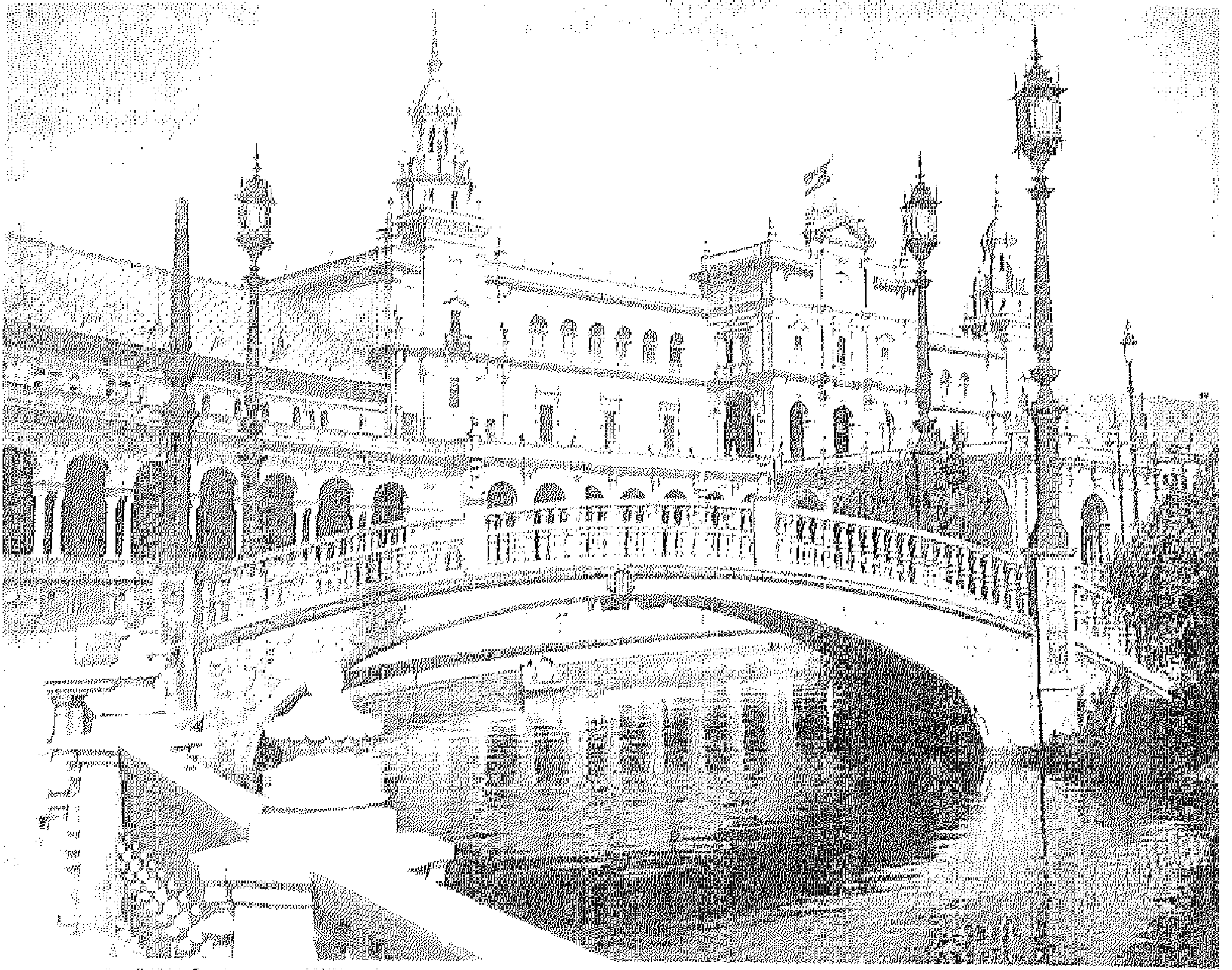
منها، وأن تباري عجبه بنفسه. ويبلغ من ذلك شأواً بعيداً كأن يتصنع وجهاً كتوماً ينم عن غباوة تنطوي على خبث إذا هو تكلم. فلن تضارعه أبداً، اذ ليست لديك القريحة الفطرية لتتجرد في لحظة من نفسك وتغدو عالماً صغيراً.

أيام حداثتي كان رجال اشبيلية يشتهرون بصيحات الشهامة وبتعليقات غير مستحبة عن النساء: «يا لها من امرأة فارعة القوام» أو «انظر إلى تلك البدينة» أو «ها قد جاءت المليحة. يا لها من دُرّة.» قد ينزعج السيّاح من هذه الملاحظات أو يجزعون، لكن الاسبانيات يحببن هذه التحيات ويضحكن للاطراء المفرط الذي يتلفظ به الوجلون من أهل الشمال.

العصرية. في اشبيلية الحديثة، اندثر الفصل بين الجنسين، تلك العادة الشرقية التي كانت سائدة في جنوب البلاد. واختفت نسوة اشبيلية الحلوات، ذوات الأجساد القصيرة البدينة اللواتي كن يظهرن كنسخ من العذارى الذائبات رقة في لوحات الرسام موريللو، واللاتي كن يراعين آداب السلوك باستمرار.

وتلوح لي فاتنة في بذلة حسنة التفصيل تنظم السير قرب ميدان «بلازانويفا.» لقد تناقصت اعداد فتيات الغجر المتسولات مع اطفالهن. وثمة متسولة ألفيتها تجاري الأحوال المعاصرة، فمطافها ليس مقهى أو باب فندق بل هي تخطو إلى حركة السير عند توقفها أمام أنوار إشارات المرور، وتدلي بيدها في النوافذ المفتوحة للسيارات، فيما فتاها الممسك بيده ماسحة مطاط ينحني برشاقة وحذق إلى الأمام لينظّف الزجاج الأمامي في السيارة. ما رأيت أحداً تقبل خدماتهما لكنهما لا يكلاّن عن المحاولة بصبر واناة.

في نعومة اظفاري كان الطعام في اشبيلية رديئاً، عدا السمك الوارد من خليج قادس. أما اليوم فثمة مطاعم لائقة مندسة في الأزقة الصغيرة. وفي الأيام الخوالي كان يُفرغ في الشوارع قتار زيت زيتون زنخ الرائحة وفضلات



«بالاشيوسنترال» يرفل بابهة، والساحة العامة نصف الدائرية التابعة له.

افران الفحم، أما الآن فقد قضت الكهرباء على الفحم. وقد أجمل كهل اسباني التحول مغتماً: «اشبيلية وأسفاه، لم تعد تنتمي إلى القرون الوسطى، فهي اليوم حديثة مسلوبة الهوية. لقد قضى القرن العشرون عليها. اسبانيا القديمة قد زالت.»

وقوله هذا ليس صحيحاً تماماً، على الأقل في ما يتصل بأسمى لحظات المدينة، أي مناسبة الاحتفال باسبوع «الجمعة العظيمة»، وهو من اغرب المناظر في العالم كله. فيه يخرج السكان أجمعين إلى الشوارع في مواكب سيارة ترافقها جوقات موسيقية.

وتفيض مشاعر العامّة وترتفع الصيحات، وفجأة يطغى صوت فرد يطلق صيحة رفيعة الطبقة. إنه رجل ينشد لحن «سايتا» حاداً يكاد ينفذ إلى البشرة، وهي صرخة ألم ممدود مخنوق. ولحن «سايتا» ضرب من «كانت يوندو» أو «الانشودة المنخفضة الطبقة» المغايرة تماماً لأنشودة «كانت فلامينكو». لا بل تبدو نقيضها وتوحي انها منبعثة من باطن صحراء العرب في افريقيا، أو بالأحرى من الهند.

يعلو الصوت إلى طبقة من النغمات الصاعدة المعقدة، ثم ينقطع فجأة ليغدو مناشدة متطاولة ذات وله. وكالعادة

يكون الجمهور، حتى تلك اللحظة، غير معني بالامر، فهو ينتظر من المغني أن يبلغ الذرى المتعرجة من الإنشاد العسر الذي يحاكي، صوتياً، فن الزخرفة العربية. ويُقابل المنشد بالازدراء إن لم يفعل ذلك.

بعد طول عناء، عثرت على الحارة التي شببت فيها. انها تقع في أعلى النهر، في حي هادىء بالقرب من متحف الفنون الجميلة وهو من أكثر صالات العرض الباعثة على الحبور. وسر جاذبيته ليس في لوحات موريللو وزورباران في ذاتها، بل في تعليقها في مكان حميم وادع شيد حول رواقين ذوي أعمدة تتيح للمرء أن يرى اللوحات وكأنه يعيش فيها. وفي اعتقادي أن هؤلاء الرسامين ينقلون للمناظر صوراً عن واقع غير مضطرب لمدينة أهلها مولعون بدنيا الخيال.

ف.س. برتشيت ■



متعة الطبخ

تصاب خبيرة الطبخ جوليا تشايلد بالكآبة إن لم تأكل جيداً. وهي التي تعلمت فن الطبخ في فرنسا لا تزال تحنّ الى "العصر الذهبي عندما لم يأبه أحد للزبدة والقشدة في الطعام."

أما اليوم، تعترف تشايلد، فهي تأخذ في الاعتبار كمية الوحدات الحرارية في وجبات الطعام. لكنها تعبّر عن امتعاضها الشديد من مبالغة الناس في الاهتمام للنحافة. وفي كتابها الجديد "أسلوب الطبخ" تعيد احياء ملذات المائدة مع التسليم بصحة أسلوب الطبخ القليل الدسم. ولا يحتوي كتابها على وجبات تحضّر في ثلاثين دقيقة، فهذه الطباخة العنيدة تقول: "الوجبات السريعة مشبعة بالدهن والمواد الحافظة، وأسعار المطاعم باهظة، إذاً من الافضل أن تطبخوا بأنفسكم وأن تتعاملوا مع الطعام بجدّية. إنَّ أسلوب الطبخ لا يقل أهمية عن قيمته الغذائية، وعليكم بتعلمه تماماً كما تتعلمون رياضة كرة المضرب أو الغولف أو الابحار."

صحيفة "نيوزداي"

أشراك الهاتف

رن جرس الهاتف فالتقط أكبر أطفالي السماعة وقال: "مرحباً يا بابا." وشرع يسرد ما صادفه في ذلك النهار، ثمّ مرّر السماعة الى أخته وأخيه كما جرت العادة كلّما اتصل زوجي من العمل. وعندما حان دوري للكلام، أخذت السماعة وقلت: "كيف حالك يا حبيبي؟" فأتاني الرد: "الحمد لله يا سيدتي، أود فقط أن أعلمك بأن ورق الجدران الذي طلبته من متجرنا بات جاهزاً."

م.و.

الحميــة لعبــة معقــدة

معلومات مفيدة من أطباء اختصاصيين بالحمية

هناك سبعة اشخاص من كل عشرة يتّبعون أحد برامج الحمية، يستعيدون الوزن الذي فقدوه ويتجاوزونـه أحيانـاً ببضعة كيلوغرامات. وبقاؤك نحيفاً طوال حياتك، يتطلب اكثر من احتساب عـدد الوحدات الحرارية المستهلكة، اذ هناك ما هو أهم في نظر الاطباء الذي طوروا بعضـاً من اكثر بـرامج خفض الـوزن فاعلية. وهنا بعض من اسرارهم:

● **لا برنامج حمية.** وجد الباحثان في جامعة أيُوا كريستي فيرغوسون وادوارد غراتان، أن أفضـل الذين نقص وزنهم لم يتبعوا نظام حمية، انما غيّروا طريقة أكلـهم، فخفضـوا الـدهـن، وتجنبـوا الحلويات أو الـوجبات الخفيفـة. يقول فيرغوســون: «ان اتّباع بـرنامـج حمية يعني التخلي عن الحمية.»

● **كن واقعيـاً.** ان محاولـة انقاص وزنك إلى مستوى متدنٍ إلى حد مفـرط يقضي عليك بالفشل.

يقول كيلي بـرونيل المـدير المشـارك لـ«فـريق بحث البـدانـة» في جـامعـة بنسلفـانيـا: «إن انظمـة الحميـة التي تعتمـد خفض الـوزن السريـع تنتهي بـالتسبيب في الضرر جسديـاً ونفسيـاً.» ويضيف روبرت غليسر مـدير «مـراكز الصحـة ـ مـارك،» وهي عيـادة للطب الوقائي في إنغلود بولاية كولورادو: «إن الخطأ الشائع في كل برامج الحمية هذه هو الحاجة إلى تعديل ملائم في عادات الاكل والمتابعة. فحين تتوقف عن الحمية وتستعيـد ما فقـدته من وزنـك تشعـر

CONDENSED FROM FAMILY CIRCLE (SEPTEMBER 5,'89).

بالاخفاق. وتظهر الدراسات انه في مرة تالية تحاول خفض وزنك سيستغرق ذلك وقتاً أطول وتعود أكثر بدانة.»

فالمسلك الحكيم في مجال خفض الوزن الزائد هو أن تبدأ على مهل وتتقدم بثبات فتخفض وزنك مثلاً، من ربع كيلوغرام إلى نصف كيلوغرام في الأسبوع.

● **تحاشى الافراط.** تقول ستيفاني تورنر الاختصاصية بالتغذية في برنامج «البدانة وعامل الخطر» الذي ينتمي إلى مستشفى الاولاد في سان فرنسيسكو: «إن الافراط في الحرمان يولد لديك رغبة في الافراط في الاكل. فاذا حذفت من طعامك، مثلاً، الاطعمة المقلية فاكتفِ بذلك ولا تحذف مادة غيرها إلى ان تشعر أنك مرتاح إلى هذا التغيير.»

● **مفكرة للطعام.** دوّن فوراً مقدار ما تتناوله من الطعام وراجع مفكرتك تكراراً لتتبيّن بوضوح أكثر، ماذا اكلت ومتى وأين ولماذا.

● **لا تفوت الوجبات.** ان الذين يتناولون وجبات الطعام النظامية يحرقون ١٠ في المئة من الوحدات الحرارية اكثر من الذين يفوّتون عليهم الوجبات، لأن في كل مرة يتناولون وجباتهم يرتفع معدلهم الأيضي. يقول س. واين كالاواي الطبيب وأستاذ الطب المساعد في مركز جامعة جورج واشنطن الطبي بواشنطن العاصمة: «بتناولك ثلاث وجبات في اليوم تستطيع حرق ما يراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ وحدة حرارية زيادة على ما كنت ستوفره بامتناعك عن الاكل.»

● **لا تدع نفسك تجوع.** اذا حددت استهلاكك باقل من ٨٠٠ إلى الف وحدة حرارية في اليوم فقد تكون تجوّع فعلاً نفسك. وفي إمكان جسمك الاستجابة لهذا الامر بطرق ثلاث: قد تحتفظ بالماء وقد يبطىء معدل أيضك وقد تغريك الشهية العارمة فتكثر من الطعام.

● **تمهل في الاكل.** تمهّل واستمتع بكل لقمة وتجنب الإلهاء في اثناء الاكل مثل مشاهدة التلفاز أو القراءة. وتوقف بين الفينة والفينة، في المرة الاولى لمدة ٣٠ ثانية ولفترات اطول لاحقاً. ولتكن دائماً الاخير الذي يغادر المائدة. فاذا اردت حصة إضافية توقف وانتظر لأن دماغك يحتاج إلى ٢٠ دقيقة لإعلامك بأنك شبعت.

● **تحاشَ الدهن.** يحتوي غرام واحد من الدهن على ضعفي عدد الوحدات الحرارية الكائنة في غرام واحد من الكربوهيدرات أو البروتيين.

على حسب الطبيب رونالد هوفمان مدير «مركز هوفمان للطب الكمالي» في مدينة نيويورك: «إن الوحدات الحرارية من الاطعمة الدهنية هي اكثر احتمالاً

للاختزان كدهن، من الوحدات المتأتية من البروتيين أو الكربوهيدرات.» نظم لائحة بالاطعمة التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الدهن، بهدف خفضها أو حذفها من برنامجك بما فيها الجوز والحليب الكامل الدسم والشوكولاته والحلويات والأطعمة المقليّة وشرائح لحم البقر او السمك.

● **تناول نشويات**. يقول الطبيب جون ماكدوغال مدير «برنامج ماكدوغال» في مستشفى سانت هيلينا و «مركز الصحة» في دير بارك بكاليفورنيا: «ان الكربوهيدرات المركّبة، كونها تحتوي على نسبة متدنية من الدهن والسكر والوحدات الحرارية، مفيدة لضبط البدانة. وإلى ذلك فانك تحرق كميات إضافية من الوحدات لدى هضمك كربوهيدرات.» فأضف إذاً إلى اكلك كربوهيدرات مركّبة مثل البطاطس والرز والمعكرونة والحنطة.

● **الطعام الخفيف**. اعتمد تناول الفُشار العادي وكعك الرز والخضر والفاكهة. ويقترح مارتن كاتان مدير برنامج جامعة فاندربلت لتدبّر الوزن، التحول من كعك الحلوى التي تحوي نسبة مرتفعة من الدهن إلى «الكعكة الملائكية» ومن الكعكة المحلاة المقّلاة بالدهن إلى كعكة «بايغل» القليلة الدهن.

● **تناول حلوياتك باعتدال وحكمة**. يقول الدكتور ماكدوغال: «إذا اضفت إلى غذائك من الشوفان ملعقة صغيرة من السكر فيها ١٥ وحدة حرارية فذلك حسن جداً. اني أفضّل أن ارى الناس يفعلون ذلك على تناول أطعمة مشحونة بكميات مستترة من السكر والدهن.» اقرأ ملصقات الأطعمة المعالجة التي تحتوي في بعض الأحيان، على كميات وفيرة من الدهن والسكر والملح.

● **لا تتخلّ عنها كلّها**. فتّش عن وسيلة تشبع شهيتك إلى الأطعمة المفضّلة لديك. فاذا كنت من محبّي المقالي الفرنسية فاقْلِ بعض رقائق البطاطس مغمّسة بالزيت.

● **أكثِر من التمارين**. يقول بيتر وود أحد اساتذة الطب في جامعة ستانفورد: «في سبيل الاحتفاظ بوزنهم من دون زيادة، يلجأ متتبّعو الحمية على ما يبدو انه الاكثر احتمالا، إلى التمرين المنتظم. فالتمرين يؤدي إلى حرق وحدات حرارية لمدة ١٢ ساعة بعد إنهاء تمرينك، ويساعد جسمك أيضاً على خفض الدهن عوض العضل.»

● **مارس المشي**. اصعد الدرج على رجليك بدلاً من المصعد وانزل من الحافلة مسافة وان قليلة قبل الوصول إلى مكتبك. يقول الدكتور ماكدوغال: «يصعب على معظم الناس ايجاد اعذار تبرّر إحجامهم عن المشي لمدة ١٥ دقيقة في اليوم. وحين يبدأون بممارسة المشي نشجعهم على قطع مسافات اطول وعلى زيادة سرعتهم تدريجاً.»

● **راقب تقدمك.** أرسم خطا بيانيا، قاعدته وزنك الابتدائي، لتتبيّن مدى تقدمك. حين تغريك نفسك بالإفراط في الاكل، خلافاً للحمية، أمسك عن ذلك واذكر أنه سبق لك أن قاومت الاغراء مراراً. يقول الطبيب البرت ستونكارد مدير «مجموعة بحث البدانة» في جامعة بنسلفانيا: «أن ثمن النحافة هو التيقظ الدائم.»

● **تحاشَ الانهيار.** يميّز برونيل بين الانقياد إلى الاغراء (تناول طعام ذي طاقة حرارية مرتفعة) والانهيار (الرجوع الكامل إلى عادات الاكل السابقة). لكي تتفادى الانهيار عالج كل مخالفة كأنها مشكلة منفردة.

● **حاول مراراً وتكراراً.** تذكّر ان قليلين من متّبعي الحمية حافظوا على وزنهم المخفّض في المحاولة الأولى. تقول سوزان اولسون مديرة الخدمات البسيكولوجية في مركز تغذية جنوب غرب بارياتريك، في سكوتسدايل، أريزونا: «إن الإخفاق ضروري للتعلُم. فالناس الذين ينتهون إلى النجاح في آخر الامر، يثابرون على المحاولة إلى ان يجدوا خطة تؤمن لهم سبيل النجاح.»

ديان هيلز ■



خواطر صحافي

أنا لا أرفع أجساماً ثقيلة. أنا لا أصنع سلعاً تجارية. أنا أخرج الى الشارع وألتقي الناس، ثم أسجل جولتي على الورق ليقرأها الغرباء. قد لا يبدو ما افعله عملاً، وأحياناً لا أصدق أن الناس يدفعون لي في مقابله. فلقد دأبت على تحرير زاوية يومية منذ ثماني عشرة سنة، وبتُّ غير قادر على اختبار الأشياء والاحتفاظ بها داخل ذاتي.

اتحدث الى الناس والاحظ الأشياء، ثم أحول حديثي وملاحظاتي كلماتٍ تُصف في زاوية صحيفة، فأتلقى أروع هدية يمكن أن يحظى بها كاتب، وهي جمهور القرّاء في الطرف الآخر. ويخيَّل اليّ أن كل واحد منا في الأعمال الكتابية ينطلق من الأدوات نفسها، وتحديداً من حروف الأبجدية. وكل ما يمكننا فعله هو ترتيب هذه الحروف بطريقة مختلفة لم يسبقنا اليها أحد.

بوب غرين، محرر في مجلة «إسكواير»

كلما نقص شعور المرء بالأمان والاطمئنان زاد تحامله وظلمه.

كلينت ايستوود، ممثل امريكي

حديقة أفكار

- عندما تعود الى بلدتك القديمة تكتشف أن ما افتقدته لم يكن بيتك القديم بل طفولتك.

س.ي.

- البسمة الدافئة هي لغة اللطف العالمية.

و.ا.و.

- يشبه القدر شجرة فاكهة في فصل الشتاء. فمن يصدّق أن الأغصان العارية سوف تعود خضراء ومزهرة؟ الا اننا نأمل ذلك ونعرف أنه سيحدث.

غوته

- يطلب معظم الناس سعادة مشروطة. لكن السعادة لا يمكن اكتناهها الا من دون شروط.

آرثر روبنشتين، عازف بيانو امريكي من اصل بولوني

- الكتب تتعدى كونها كتباً. انها الحياة واللبّ والجوهر لأجيال مضت، والسبب الذي من أجله عاش أناس وعملوا وماتوا. انها خلاصة حياتهم.

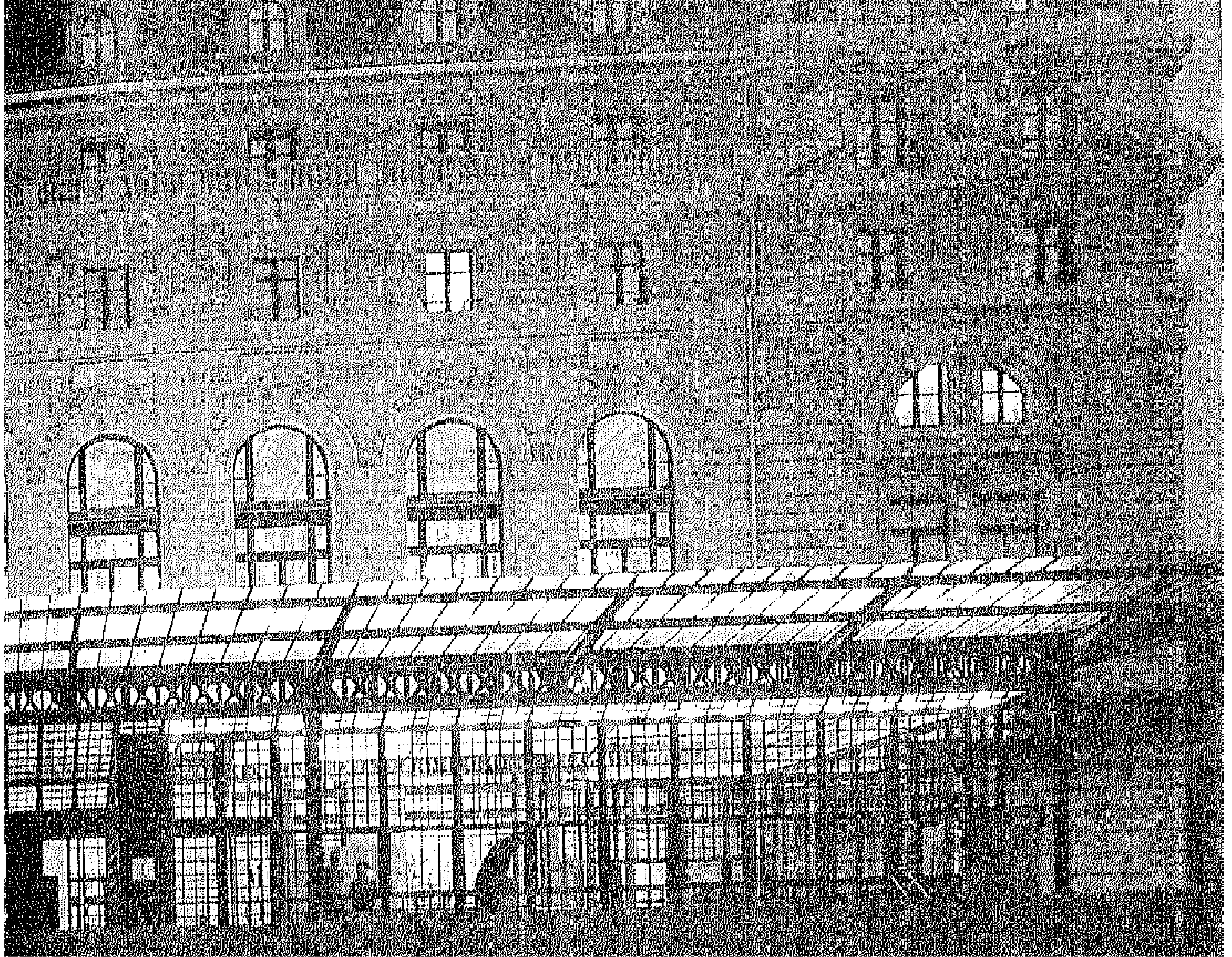
إيمي لويل، شاعرة امريكية

- الخبرة هي ما تكتسبه عندما لا تحصل على مبتغاك.

د.س.

- يكمن معظم الفكر في ايجاد البراهين والحجج التي تقنعنا بالبقاء على ما كنّا نؤمن به.

ج.ر.

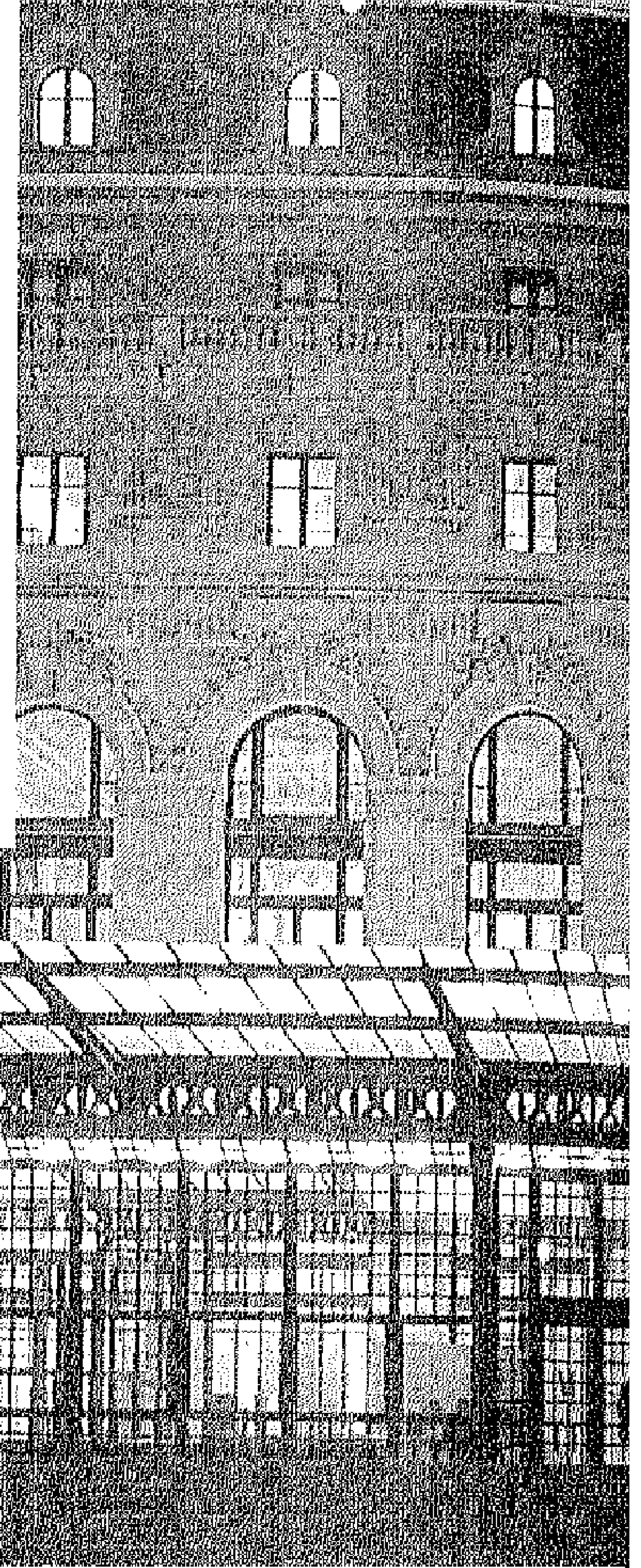


وقف فيكتور لالو على ضفاف نهر السين في باريس ومعه الرسام ادوار دوتاي، وراحا يرنوان الى محطة «دورساي» البيضاء العملاقة، إبداع لالو الأخير - حيث ينهمك مئات العمال في الورشة الكبيرة. كان ذلك في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٠٠. وقد دوّن الرسام لاحقاً فكرة طريفة: «المحطة رائعة وتشبه مدرسة للفنون الجميلة. وبما أن مدرسة الفنون الجميلة تشبه محطة للسكك الحديد، فقد اقترحت على لالو أن تتم المبادلة بين المحطة والمدرسة إذا كان الوقت لا يزال يسمح بذلك.»

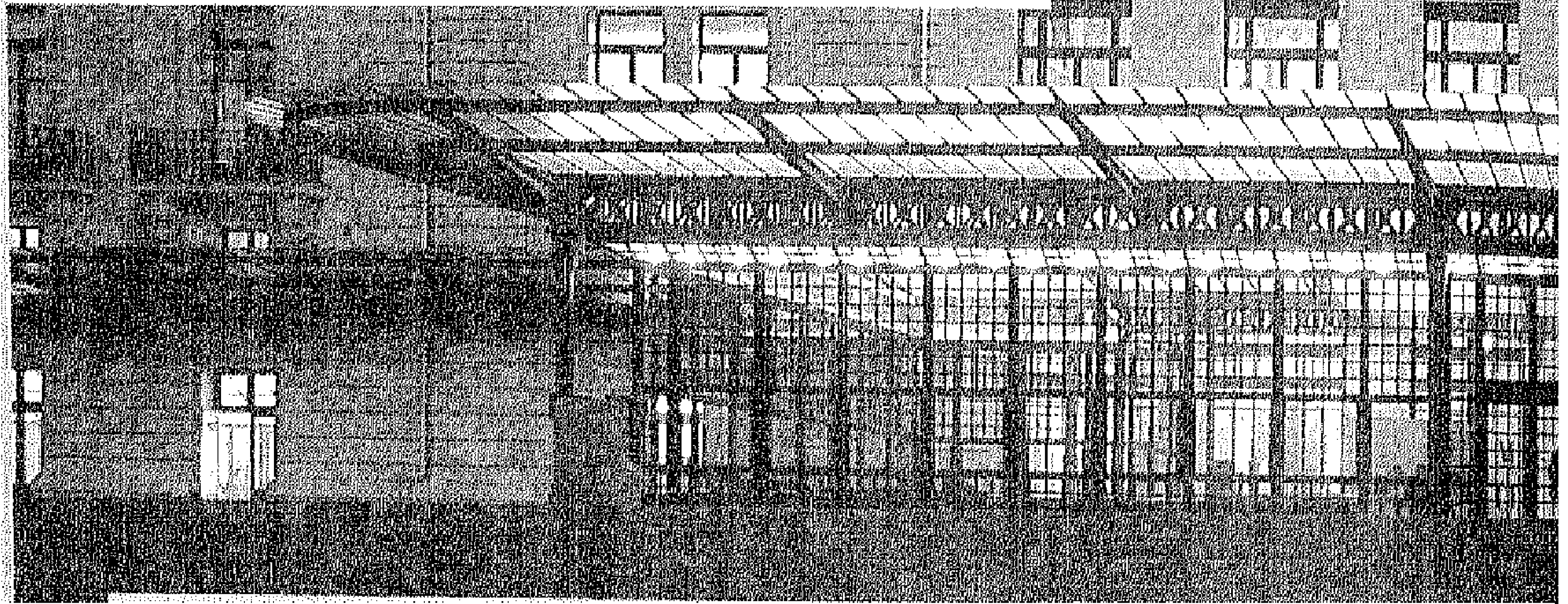
بعد ستة وثمانين عاماً، أصبحت الطرفة واقعاً. ولم تغد «أورساي» مجرد محطة بل غدت أحد أكثر المتاحف



المدخل الرئيسي ليلاً والقاعة المركزية (فوق)



تقرر هدم المحطة فجاء من حوّلها معرضاً متألقاً



شعبية في فرنسا. لقد حدث هناك تغيير شبه مستحيل! وكتب بيار شنايدر الناقد الفني في مجلة «الاكسبرس»، ان تعليق اللوحات في بهو يبلغ طوله ١٤٠ متراً وعرضه ٤٠ متراً وارتفاعه ٣٢ متراً ويخترقه ٣٥ الف متر مربع من النوافذ، يبدو غير معقول تماماً كإقامة معرض لينابيع على حائط الصين.

نيطت هذه المهمة الشاقة في تحويل المبنى وترميمه بمهندسين معماريين لم يبلغوا بعد السن الأربعين وهم جان بول فيليبون ورونو باردون وبيار كولبيك. اما الديكور الداخلي فكان لغاي اولنتي المهندسة المعمارية الايطالية الشهيرة. وقد استعيض عن الممرات بفسحات تتيح لرواد المتحف التجوال براحة.

اثبتت حشود الزائرين مدى توقهم الى متحف جديد يضم روائع القرن التاسع عشر. فمتحف «جودي بوم» كان يحتوي على روائع الانطباعيين لكنه غير قادر على استقبال أكثر من ثلاثة آلاف زائر في اليوم. أما اورساي فيستقبل اليوم ١٢ الفاً. وعندما افتتح الرئيس فرنسوا ميتران المتحف أكد على أهميته. «كانت هناك حلقة مفقودة بين متحف اللوفر ومركز جورج بومبيدو، لكنها وجدت الآن.»

الانتصار الكبير. إن الفن هو في طبيعته موضوع مثير للغاية ولقد أحاط بافتتاح متحف اورساي جدل كبير. وكتب صحافي امريكي مثنياً: «عندما تتجول في متحف اورساي تجد أنه عمل فني قائم في ذاته.» ومن ناحية اخرى، أسفت صحيفة انكليزية لرؤية البهو الرئيسي يشبه نصباً مصرياً قديماً. وتصدر الصفحة الأولى مقال بعنوان «من توت توت الى عنخ آمون.» غير أن الناقد الفني ايفان كريست أوضح وجهة نظر خاصة وافق عليها الجميع وهي «أن متحف اورساي سجل انتصاراً كبيراً على الوندلة، اي التخريب المتعمد.»

توقف العمل في المحطة عام ١٩٣٩ وتقرر تدميرها. لكن الفضل في إنقاذها يعود الى الرئيس الراحل جورج بومبيدو. وعندما قرر خلفه فاليري جيسكار ديستان تحويلها متحفاً صرف الاعتمادات المالية الضرورية للمشروع. ووافق فرنسوا ميتران على مشروع سلفه مضيفاً اليه تعديلات بسيطة.

صورة القرن. تعتبر المحطة جوهر الروعة التي طبعت مطلع القرن العشرين والتي أطلق عليها الفرنسيون إسم «العصر الجميل.»* لواجهتها المبنية بحجر الجير المستخرج من وادي المارن وبرجي الساعة والقناطر التذكارية السبع.

ما إن تلج المتحف من الفناء المطل على شارع بيل شاس، حيث كان المسافرون يحتشدون وتتجول في معرض المنحوتات حيث كانت القطارات تتوقف ـ تفاجأ لتوك بتناقضات تلك الحقبة. ويتجلى بوضوح التناقض القائم وقتها بين الميل الى الفن الكلاسيكي وجرأة الرسامين العباقرة التي لا تصدق. وفي نهاية البهو الكبير تتربع منحوتة «الرقصة» الشهيرة لجان باتسيت كاربو. وقد أتت آية في الرشاقة والخفة على رغم أطنان الحجار الثمانية عشر. ومع ذلك، عندما أزيح الستار عن واجهة مبنى الأوبرا في باريس عام ١٨٦٩، تعرض التمثال لانتقاد شديد ونُعت بالفاسق الذي يثير القرف والمهين للأخلاق العامة. (ابدل بنسخة للنحات بلموندو عام ١٩٦٤ لحماية التمثال الأصلي من التلوث والتآكل.)

ولم يكن حظ تمثال بلزاك الشهير

(*) La Belle Epoque

بـأحسن. فقـد نحتــه رودان وكســاه بمعطف فضفاض وميزه برأس كبير غير متجانس رامزاً بذلك الى قدرات الكاتب الابداعية، مما أثار فضيحة كبيرة عام ١٨٩٨ دفعت بـالمجتمـع الأدبي الـذي فوّض الى رودان تحقيق هذا العمل، الى أن يلغي الطلب فثارت ثائرته. (وضعت النسخة البرونزية على بولفار راسباي في باريس عام ١٩٣٩.)

ازاء هـذه الـروائـع الفنيـة التي ساهمت في صقل الذوق الفني الحديث، تبـدو الاعمـال الفنيـة السـابقـة التي أدهشت معاصريها تافهة بالنسبة الينـا ومن هذه الاعمال منحوتة البرت كاريير بيللو «هيبي النائمة» وهي من الرخـام الابيض تمثل شابة يحرسها نسر باسط الجناحين. ومنحوتة ارنست كـريستوف «المهـزلة البشريـة» التي تظهـر عـذراء محتشمة جذلى تتردد في الاختيار بـين قناعين، أحدهما يبتسم والآخـر يبكي. لقـد أهمل التـاريـخ هـذين النحـاتـين ووضعهمـا في خانـة النسيان. غـير أن المتحف الجـديـد تبنى سيـاسـة تقضي بتقديم المنحوتات التي لا شك في روعتها مـع غيرهـا من الأعمال الأقـل شأنـاً. وتقول فرنسواز كاشان مديـرة المتحف: «على الجمهور أن يبني آراءه الخاصة.»

كان هدف جاك ريفو الرئيس الأسبق «للجنـة اورساي» حمـل الزائـرين على اكتشـاف الحقبة التي يمثلهـا المتحف. وهـو أشرف على إعـادة بنائـه قبل أن تؤول مهمة إدارته الى الموظفين الحـاليين البالغ عددهم ٦٨٠ بينهم خمسة عشر يعملون قيمين. لقد لخص ريفو حديثه: «إن اورساي ليس متحفاً عادياً بل هو نوع جديد من المتاحف.» والى الآن لم يكتشف أحد حقبة مـا بهذا التكـامل. وعندما تجول في غرفة تتعرف الى كـل شيء تقـريبـاً، عن الصحـافة في القـرن الماضي وفن التصويـر أو ولادة الافلام السينمـائية مـع جورج ميلييس ولـوي لوميير. وتـرى أيضـاً زجـاجـاً مصبـوغـاً وآنية وأثاثاً.

ويقول ميشال لاكلوت مديـر متحف اللوفر الذي أطلق أسلوباً جديداً لعرض القطع الفنية في متحف اورسـاي: «لقد كـان القرن التـاسع عشر مـزيجـاً من الأساليب والعقائد والحركات الجمالية.» ويمكن الرسم أن يعكس ملاحظاته على نحو أفضل. فعام ١٨٥٥ شاهد الشاعر شارل بودلير لوحة «صيد الأسد» وكتب: «مـا نقلت العيون من قبـل الى الروح ألواناً اكثر جمالاً وقوة.» ترى ما الذي يـربط بين هـذا الانفجار الـواسـع في الألوان وخشبة التلوين الداكنة، ويحدد بالتالي واقعية لوحة «بوريال في اورنان» العملاقة، رائعة غوستاف كوربيـه التي رسمها عام ١٨٥٠ وتتصدر الآن إحدى الغرف؟

نهاية الكـلاسيكية؟ إذا كنـا فعلاً نريد فهم الفورة الفنية في تلـك الحقبة وجوها الملبد أبداً بالفضائح، حري بنا التريث قبل ولادة «اولمبيا»، نتاج ادوارد

مانيه الشهير. لقد استوحى مانيه لوحته هذه من «فينوس اوربينو» لتيتيان، فرسم امرأة مستلقية على أريكة. إلا أنه لم يقدم حورية تقليدية. فشعرها تزينه عقدة قرنفلية اللون، بينما أحاطت أساور بمعصمها وحول عنقها شريط مخملي أسود اللون وانتعلت خفين. والى جانبها خادمها الاسود يسلمها باقة زهر. وقد تعرضت اللوحة لنقد شديد، وقال فيها الناقد بول دي سان فيكتور عام ١٨٦٥: «ان الفن الذي ينزل الى هذا الدرك غير جدير بالنقد.» وحده إميل زولا دافع عن «اولمبيا»، أو لعله أدرك أن هذه اللوحة تضع حداً للتقليد الكلاسيكي. اما مانيه فلم يكترث لما يقال مؤكداً: «يجب أن تحيا عصرك وأن ترسم ما تراه.»

وقد تضيف غالبية الانطباعيين الى مقولة مانيه: «يجب أن ترسم ما تشعر به.» اذ هم كانوا تواقين الى اظهار تأثير الأشياء والضوء. وكانت وجهة نظرهم مخزية جداً مما جعل لجنة معرض الرسم للعام ١٨٦٣ ترفض ٢٥٠٠ لوحة من أصل ٥٠٠٠ قدمت اليها. وقد احتج الفنانون مما أدى الى تنظيم معرض لاحق للرسوم المرفوضة لقي نجاحا باهراً.

إن لوحات اورساي التي جعلت منه المتحف الانطباعي الاكثر شمولاً في العالم، ليست كلها متساوية في النوعية. وجدير بالذكر أن هذا المتحف يضم ٧٢ لوحة لمونيه و٥٧ لرونوار، و٣٧ لسيزان و٢٢ لفان غوغ فضلاً عن لوحات لديغا وبيسارو وغوغان. ولكن لا بأس بذلك. فقد كرّم المتحف الفنانين لجرأتهم وموهبتهم وشهرتهم التي تفانوا في سبيلها، وذلك بتعليقه اللوحات في «الصالة العليا» او الرواق العلوي في المحطة القديمة. فهنا على امتداد الزجاج المترامي تلتقط اللوحات الضوء الطبيعي الضارب الى الرمادي الذي يميز باريس.

على المرء فقط أن ينظر من خلال نوافذ الدور العلوي الضخمة أو أن يجوب المصطبة في الصيف ليرى بعض الأمكنة التي ألهمت هؤلاء الرسامين. وبما أن فكرة إنشاء متحف هي، بحسب تعبير المؤرخ الفرنسي جورج دوبي «وضع النتاج في سياق ثقافي يظهر معناه الكامل،» فبات المرء يرى في النهاية أن اختيار محطة سكك حديد لعرض هذه اللوحات الشهيرة لفكرة مثلى.

جان - ماري جافرون ■

مسافر مرغوب

أنا وكيل سفر. واذكر يوم دخل مكتبي زبون كان سيسافر بالطائرة للمرة الأولى، فحياني بعصبية ظاهرة وناولني بطاقة سفره. وبعد تثبيت الحجز سألته: «هل تفضّل مقعداً قرب النافذة أم واحداً قرب المشى؟»

أجاب الرجل: «لست أبالي، فسأكون منبطحاً على أرض الطائرة.»

س.ك.

المخدرات ومدمنوها



١

حثالة المجتمع

أنا شرطي سرّي لمكافحة المخدّرات، وهذه مهمّتي الأولى خارج معهد الشرطة في نيوارك بولاية نيوجرزي. في ذلك الحين كان وباء تعاطي المخدرات مقتصراً تقريباً على الاحياء الداخلية في المدينة، المبتلاة بالفقر والخراب. وكان من عادتي أن اقبع في ركن شارعَيْ «برود» و «ماركت»، متربِّصاً بباعة الهيروين ومحاولاً تطويع مخبرين. وكنت احني رأسي نعاساً وأمسك أنفي كما لو كان يسيل واحاكي تلهُّف مدمنٍ يَنشُد «شمّة».

في احدى الامسيات توجّه صوبي احد رفاقي في الثانوية وتعمّد التحديق بي ثم هتف: «هوبرت وليامز!. انت هامشي رديء، يجدر بي أن أُخمد أنفاسك.»

لم يكن في وسعي أن أكشف عن مقاصدي باطلاعه على وظيفتي الامنية، ولذا غمغمت ما معناه: «أنّ على المرء أن يتبع اهواءه ورغبات قلبه.» لكنني شعرت بالخزي الذي ينبغي للمدمنين الحقيقيين أن يُحسّوه.

لا ريب أن تعاطي المخدرات يطاول منذ وقت طويل كل مستويات المجتمع في الولايات المتحدة. في بداية الستينات من هذا القرن لم يخطر لي أنّ أمراً كهذا ممكن الحدوث، بل اعتقدت أن اهتمام الشرطة كفيل بان يضبط تجارة المخدرات.

لكنني تعلمتُ مع الايام ـ واظن أن

معظم زملائي من منفذي القانون توصلوا إلى مثل قناعتي - أن الشرطة محدودة الامكانات. فنحن نستطيع إلى حد ما أن نعطّل عرضَ المخدرات وبيعها. ولكن ما لم تتغيّر المواقف منها وينخفض الطلب عليها ستظل جائحة متواصلة.

من هم؟ إذا كان لنا أن نتقدّم في حربنا ضد المخدرات ينبغي للجمهور أن يعي بوضوح مَنْ هم المدمنون. انهم البلاء. متشردون هامشيون هم، أكانوا من المدمنين المتلطين في مداخل البنايات أم من المتطرّزين «الشاميّن» في نهاية الاسبوع أم من هواة «التسلطن» مرة في الشهر. وانه لمن الاهمية بمكان أن يدرك مستهلكو المخدرات من أصحاب المراكز المرموقة في المجتمع - كالاطباء والمحامين والكتّاب والابطال الرياضيين والمغنّين وغيرهم من رموز النجاح في أعين الشباب - أنهم هم أيضاً متبطّلون، وأن يعوا الضرر الذي يُحدثونه لعائلاتهم ومجتمعاتهم ووطنهم عندما يتعاطون المخدّرات.

فالمدمنون يوهنون الاقتصاد من جرّاء تغيّبهم المتكرّر عن العمل وادائهم الرديء فيه وتأثر قراراتهم بالمخدّر. وهم خطر على الغير في الطرق العامة، وينشرون المرض عبر إبر المحاقن المشتركة.

ليس لمدمني المخدرات عزة نفس، وإلا لما اختلطوا بالمجرمين، وهو ما يفعلونه كلما ابتاعوا مخدراً. فمع كل عملية شراء من هذا الصنف يساهم الطبيب أو عامل المصنع أو مدبِّرة المنزل أو الطالب، مثله في ذلك مثل مدمني الشوارع، في مؤامرة مجرمة. والمال الذي ينفقه متعاطو المخدرات على اقتنائها، لا سيما الكوكايين، ينتهي غالباً في ايدي مسؤولين فاسدين داخل الوطن وخارجه.

أذاً، ماذا يتعيّن على الباقين منا أن يفعلوا؟

علينا إعادة تأهيل المدمنين، وخصوصاً الشباب. فالشفقة تتطلّب ذلك.

أما مصنِّعو المخدرات ومروِّجوها فيجب أن نعاملهم بصرامة، جادّين في شروط توقيفهم وسجنهم.

لا حياد. ليس ثمة متّسع للحياد، إذا تجاوزنا تصوير تعاطي المخدرات على نحو رومانتيكي في عالم خاص بالاثرياء واهل المجتمع الراقي والمقتدرين. فمتعاطو المخدرات، مهما يكن شأنهم، هم هامشيون ويجب وصمهم بالعار.

ويتعين علينا أن نُظهر لهم من الغضب ما أظهره رفيق صَفي حيال المدمن الذي ظن أنه رآه في ركن شارعي «برود» و«ماركت».

هوبرت وليامز■

الكاتب هو رئيس «مؤسسة الشرطة» في الولايات المتحدة وكان مديراً للشرطة في نيوارك طوال ١١ عاماً.



٢

وَعد الحيّة

مثَّلت في افلام هوليوود ادواراً عدة للهندي الامريكي: المحارب والطبيب والانسان العادي والزعيم. وكنت في الحملة الاعلانية التلفزيونية «حافظوا على جمال امريكا» هندياً ينساق وحيداً في زورق. وإذ عاينتُ مياه امريكا، كيف صارت ملوَّثةً، تدحرجتْ دمعة وحيدة على وجنتي تروي القصة بدقائقها. والآن عندي قصة اخرى أرويها، وهي اسطورة سمعتها في صباي.

قبل سنوات كان المحاربون الهنود يدأبون على التوغُّل في القفر استعداداً لسنّ الرجولة. احدهم تنزه في وادٍ جميل، اشجاره خضر وازهاره متألِّقة. وإذ نظر من هناك إلى الجبال المحيطة بالمكان لاحظ قمة جرداء تغمرها الثلوج الباهرة.

فكّر في نفسه: «سأمتحن نفسي ضد هذا الجبل.» ارتدى قميصه المقدود من جلد الحيوان ورمى دثارَه فوق كتفيه وبدأ رحلة التسلق نحو الذروة.

عندما بلغها وقف على حافة العالم. كان في وسعه أن يرى أقاصي الدنيا. وأفعم قلبُه اعتداداً بالنفس. ثم سمع فحيحاً عند قدميه، فخفض بصره وأبصر حية، وقبل أن يستطيع حراكاً تكلمت الحية: «أنا مشرفة على الموت. فهذا المرتفع شديد البرد وليس فيه طعام. ضعني تحت قميصك وأنزلني إلى الوادي.»

أجاب الفتى: «كلا. أنا أعرف الحيّات المجلجلة على شاكلتك. إذا التقطتك تلدغينني ولدغتك ستقتلني.» قالت الحية: «ليس الامر كذلك. سأعاملك على نحو مختلف. لن أؤذيك في مقابل صنيعك.»

قاوم الفتى هنيهة، لكنّ الحية كانت شديدة الإقناع. أخيراً دسّها الغِرّ تحت قميصه ونزل بها إلى الوادي حيث القاها على الارض برفق. فجأة التفّت وأنشبت أنيابها في ساقه.

صرخ الفتى: «لكنكِ وعدتِني!»

أجابت الحية وهي تنساب بعيداً: «كنتَ تعرفني على حقيقتي عندما التقطتَني.»

والآن، انّي ذهبتُ اروي هذه القصة على الشباب والشابات الذين قد تراودهم حيّة المخدرات. تذكروا كلماتها: «كنت تعرف حقيقتي عندما التقطتَني.»

ايرون أيزكودي ■



مستكشف

كتب روبرت بالارد عالِم المحيطات الذي كشف موقع السفينة الغريق «تيتانيك»: أنا مستكشف في جلد عالِم. واذا بذل المرء قُصاراه في تقصي حقيقة ما فلسوف يتعلم أموراً كثيرة. أنا احب أن أنشُد الاشياء، ونشدان الحقيقة أمر نبيل.

كذلك أعتقد أن الحقائق حتمية. فلو لم تسقط التفاحة على رأس نيوتن لسقطت على رأس شخص آخر في وقت لاحق. وما يفعله العالِم هو تعجيل حدث لا بد أن يحدث يوماً على نحو سوي. إنه حفّار الحقيقة.

طُرح علي السؤال: «ماذا ترغب في أن يُكتب على شاهدة قبرك؟»

«مستكشف.» هذا ما أريده.

ش.ب.

لياقة يابانية

بلغَنا أن احدى الشخصيات الرسمية اليابانية ستزور المصنع حيث أعمل طبيباً في غرفة الاسعافات الأوليّة. وصباح اليوم المنتظر شرح لنا مدير العلاقات العامة في المصنع اهمية الانحناءة كعلامة احترام عند اليابانيين. وهكذا، عندما دخل علي صاحب المقام الرفيع وانحنى، خفضت قامتي كثيراً. فابتسم، وانثنى أكثر موجهاً اصبعه الى الحضيض. فانحنيت حتى كدت الامس الارض. فظل يبتسم وهو ينحني من جديد مشيراً الى الأرض. وإذ شككت في أن ما أفعله خطأ، احدودبت بمقدار ما سمح جذعي. حينئذ همس مدير العلاقات العامة: «تستطيع التوقُّف الآن. هو يريدك أن تفحص اصبع قدمه التي صدمها بطاولة قبل لحظات.»

ب.د.ج.

روعة اليدين

كتب توماس تراهيرن في القرن السابع عشر ان في الإمكان استخدام اليدين لعمل اي شيء يمليه عليك عقلك او يوحيه تصورك.

ان اليد البشرية تتفوق على روائع التكنولوجيا الحديثة. وكونها متطورة من ناحية النشوء والتقدم، من الزّعنفة والجناح، فهي في المقابل متعددة الوظائف ودقيقة الأداء الى ابعد الحدود. فالإنسان الأول كان لكل من يديه إبهامان متقابلتان تمكنانه من صنع



اليد تبارك وتشفي وتحمي

أسلحة للصيد ومن ثم محارث للفلاحة. وعندما أحسن الانسان، بذكائه، استخدام تلك الأيدي الماهرة، انطلق في معارج الرقي والتقدم وصولاً الى ارتياد القمر.

كتب المفكر الفرنسي مونتنْي قبل ٤٠٠ عام: «انظروا الى الأيدي كيف تعد وتستوحي وتلتمس وتهدد وتصلي

وتتضرع وترفض وتومىء وتستجوب وتعجب وتعترف وتخنع وتعلّم وتأمر وتهزأ، والى ما هنالك من تغيرات على تعددها واختلاف في اشكالها مما يثير اللسان حسداً.»

والناس لا يلجأون الى اليدين لتأكيد كلامهم وتجميله فحسب، بل هم قد يستعيضون بهما عن الكلام في جبه ازمة ما. ان اليدين تتكلمان لغة عالمية. فقبائل الهنود الحمر في امريكا الشمالية كانوا يتخاطبون بالاشارات المعقدة متخطين حواجز اللغة. ويستخدم السياح العصريون ايديهم كذلك في البلدان التي يجهلون لغتها، للاستعلام والاسترشاد.

البصمة والهوية. تشتمل الأيدي على اربعة سطوح: ظهري (القفا)، اخمصي (الراحة)، اشعاعي (جهة الابهام) وزنديّ (جهة البنصر). ان قفا اليد ليست بذات اهمية إنما راحتها فمدهشة. ولا تجد يدين متطابقتين حتى لدى الشخص ذاته. فخطوط الكفّ وثنيات بصمات الأصابع متميزة الى حد الاستعانة بها لإثبات الهوية منذ آلاف السنين.

ان الأضلع في البصمة شبيهة بخطوط اطارات المطاط النافرة التي تساعد على الإمساك المتين. وكان أرسطو يعتقد ان خطوط اليد تنبىء بطول العمر. وقراءة الكف التي تدل عليها نظريته، كانت معروفة قبله. وكان الصوفيّون الصينيون «يقرأون» الكف منذ ٣ آلاف سنة كما تُقرأ خرائط الطرق. ومن حينه والمتحمسون لهذه الفكرة يقرأون «خط القدر» الذي يشير في اتجاه الوسطى و«خط الحياة» او تجعّد العضل الذي يطوّق قاعدة الأبهام. وتتفاوت درجات الدقة في هذه القراءات.

ونظرا الى كون راحة اليد حيوية من اجل البقاء، فهي مجهّزة، شأنها شأن باطن القدم، بمدد وافر من الأعصاب التي ترسل إنذارات مثيرة الى الدماغ حين تتهدد سلامة سطحها النار او اشياء حادة.

وراحة اليد وباطن القدم يملكان كلاهما عدداً كبيراً من غدد العَرق التي تنكمش في الطقس البارد وتتمدد في حالتي الحمى أو الذعر. ومع ذلك فإن جلد الراحة وباطن القدم هما اكثر جفافاً من نواحٍ اخرى من الجسم لأن الزَلَق في تلك الأماكن لن يكون مستحباً.

وتغطي باطن القدمين وراحة اليدين طبقات اضافية من الجلد لوقايتهما من الاحتكاك الزائد الذي قد تتعرضان له. ففيما تبلغ ثخانة الجلد في غير مكان من الجسم نصف مليمتر تقريباً فإن ثخانة جلد باطن القدمين وراحة اليدين قد تصل، على التوالي، الى مليمترين وخمسة مليمترات.

مفارقات. ان الحالات الشاذة في اليدين عند الولادة نادرة لحسن الحظ.

وقد يولد، بين وقت وآخر، طفل اضطرب نموه وهو جنين فجاء بعدد مختلف من الأصابع، أو بأصابع وأباهم ذات أحجام غير طبيعية. ويميل الجراحون الى اعادة تركيب اليد، خصوصاً في هذا الوقت الذي أدّى تفجّر المعرفة الى طرق تقنية تؤول الى إعادة زرع الأصابع وتركيبها من جديد.

ان الأصابع الأربع لها اسماء صريحة: السبّابة، الوسطى، الخنصر والبنصر. فالإبهام التي تؤدي ٤٠ في المئة من اعمال اليدين، تستحق تقديرا اكبر مما تناله. فبغياب الابهام تعجز اليد عن الإمساك. والقدرة على الإمساك بأشياء صغيرة ودقيقة هي التي تعطي العالم الجراحين المجهريين والفنانين.

جرت مئات المحاولات لتصنيف اليدين وفقاً للشكل ولكنها باءت بالفشل الذريع. فقارئو الكف، وهم جماعة رومانسية يؤكدون غالباً أن اليدين تعكسان الشخصية. فهناك مثلا شكل يوصف بأنه «بدائي» يدل على اناس خشنين ورياضيين، والشكل الموصوف بـ «المحرك» يدل على الذكاء، والشكل «الحسّاس» يدل على ان الشخص حالم يعيش في دنيا الخيال، والشكل «النفسي» يدل على ان الشخص ذو ادراك حيّ يستجيب للمؤثرات الروحية أو الخارقة للطبيعة. ومن المفارقات انه كانت لعازف البيانو الروسي الشهير أنطوان روبنشتاين يدا حفّار خنادق.

وتمثل الأيدي دوراً مهماً في الطقوس الدينية عموماً. وهي مهمة كذلك في الشفاء من الأمراض. فهي تواسي المرضى وتخفف آلامهم. والناس، في كل مكان، يصفقون ايديهم حين ينزل بهم حيف.

والأيدي يصيبها التلف. فتلك التي يفرّط في استخدامها يربو لديها كَنَب يحميها. فلاعبو الغولف والعمال مثلا يربو لهم كَنَب على راحة اكفّهم، والصّاغة وحفّارو الكليشيهات والخشب يظهر كنب على أباهمهم والبناؤون على سبّاباتهم والأطباء على الوسطى والخياطون على ابهام اليد التي تقبض على المقص وعازفو الكمان على رؤوس اصابعهم. وبراجم الأصابع قد تتأذى بفعل العمل الشاق المتكرر شأن الضاربين على الآلة الكاتبة. وفيما تهرم اليدان تتضاءل براعتهما ودقتهما ويذوب الدهن فتنكشف العروق.

ومهما يكن من امر فإن الأيدي تظل فائقة الأهمية في شتّى نواحي الحياة.

جون كولوود ■

السياسي هو مَن يصنع أمواجاً ثم يجعلك تظن أنه الوحيد الذي يمكنه ان يقود السفينة الى شاطىء الأمان.

إ.ب.



طبق كوري تقليدي يهواه الناس في أنحاء العالم

«يستطيع الرجل أن يعيش من دون زوجة، ولكن ليس من دون كيمشي.» ظل هذا المثل الكوري القديم طوال قرون يعبر عن حقيقة هذا الطبق «الناري» التقليدي. ان الوجبة الجيدة بالنسبة الى الكوريين تعني طاساً من الرز وطبقاً من الكيمشي. وعلى رغم أن الطعام صار أغنى وأكثر تنوعاً في جنوب البلاد فإن الكوريين هناك لا يشعرون بالاكتفاء إلا إذا تضمنت وجبتهم نوعاً واحداً على الأقل من الخضر المخللة المختمرة الحرّيفة الكثيرة التوابل.

وثمة أجانب كثيرون يذوقون هذا الطعام الشهي المعتمد أساساً على

PHOTOS: COURTSEY OF DOOSAN FARMS COMPANY

الملفوف، ويؤخذون بمفاتنه الفريدة. لقد عرّفت الألعاب الأولمبية التي أجريت في سيول عام ١٩٨٨ مشاهدي التلفزة في العالم الى التراث الكوري، كما عرّفت عشرات الألوف من الأجانب الذين أمّوا سيول لمشاهدة الألعاب، الى مذاق الكيمشي. يقول جي هو لي رئيس الطهاة في فندق «لوت» المزدحم في سيول: «بادىء الأمر ذاقوا الكيمشي بدافع الفضول، وسرعان ما أصبحت لديهم رغبة حقيقية في تناوله. وازداد استهلاك الكيمشي يوماً بعد يوم.»

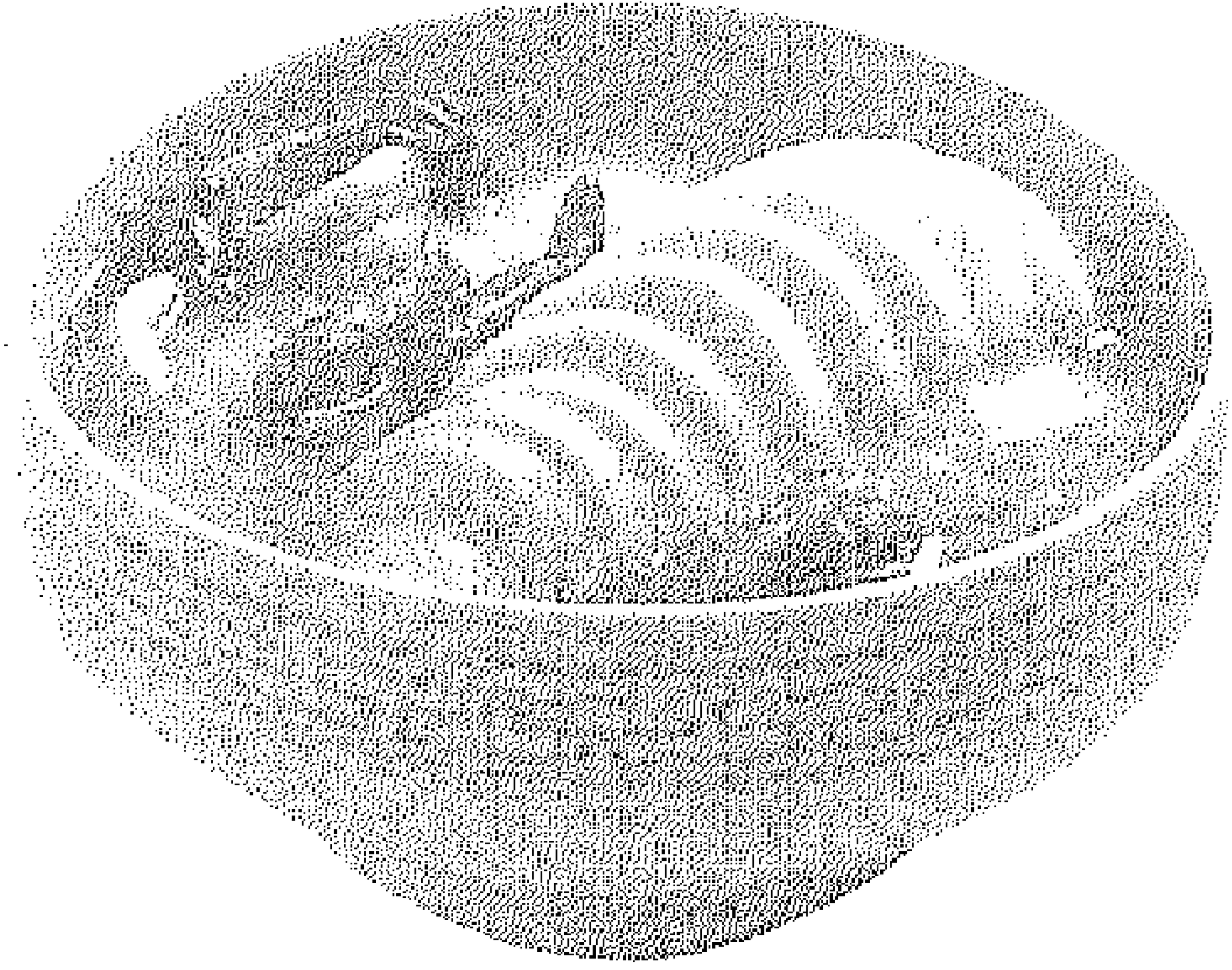
وفي فندق «شيلا» الفخم الذي كان مقراً للجنة الدولية للألعاب الأولمبية، بيعت علب الكيمشي من زنة الكيلوغرام الواحد بـ ١٤ دولاراً أي بأضعاف سعره في السوق المحلية. يقول جي هو لي: «كان السياح اليابانيون يطلبون لف علب الكيمشي بورق الهدايا.»

شتوي وموسمي. ان نكهة الكيمشي الحادة ورائحة الثوم المنبعثة من أنفاس أكليه تحيران الذين يزورون كوريا للمرة الأولى. وفي تقرير للاذاعة البريطانية عن البلد قال المراسل انه لم يستطع فهم اسباب تناول الناس طعاماً كهذا. ولكن حتى الذين يمقتون الرائحة بادىء الأمر يؤخذون بطعمه. مايك براين مراسل «الواشنطن تايمز» في سيول يشبه أكل الكيمشي بالتدخين ـ الا أنه صحي أكثر. ويضيف: «حين تدخن لا تزعجك رائحتك. وهكذا هو الامر مع الكيمشي.»

جميع الخضر الكورية المخللة تسمى «كيمشي»، وهناك أكثر من ١٧٩ نوعاً مختلفاً بحسب دراسة حديثة. ولكن يمكن تصنيف جميع أنواع الكيمشي في فئتين: الشتوي والموسمي.

أما الشتوي، المصنوع من الملفوف الناضج، فيؤكل خلال فصل الشتاء وأوائل فصل الربيع. وأما الكيمشي الموسمي، المصنوع من الخضر المتوافرة بكثرة في الربيع والصيف وأوائل الخريف، فان مدة صلاحيته أقصر من الشتوي. في الربيع يتمتع الناس بالـ «هايت كيمشي» وهو نوع خفيف وطازج يصنع من الملفوف الطري. والأنواع المصنوعة من شرائح الفجل الهشة والخيار المحشو والفجل الأحمر الصغير تلقى رواجاً في فصل الصيف الحار. والكيمشي المعروف بـ «ذيل المهر» يؤكل في الخريف ويصنع من الفجل الأبيض المخلل مع أوراقه.

وصادرات الكيمشي، وخصوصاً الشتوي منها، في ازدهار مستمر. وفي إحصاءات «الجمعية التعاونية لصناعة الأطعمة المخللة والمنكهة» أن كوريا الجنوبية صدرت عام ١٩٨٨ ٥,١٧ ملايين كيلوغرام بقيمة تزيد على ١١ مليون دولار، بالمقارنة مع ٧٩٩ ألف كيلوغرام صدرت عام ١٩٨٥ بقيمة ٨٦٧ ألف دولار. ويذهب معظم الصادرات الى اليابان والشرق الأوسط حيث تؤمن الجاليات الكورية الكبيرة سوقاً جاهزة لتصريفها.


كيمشي الفجل الابيض الماوي

تحضير الكيمشي. من المفارقات أن اليابان تسبق كوريا بأشواط في صادرات الكيمشي. فثمة ٤٠٠ مصنع كيمشي في اليابان، يقابلها نحو ١٣٥ مصنعاً في كوريا الجنوبية. ونظراً الى ضخامة صادرات الكيمشي اليابانية الى دول جنوب شرق آسيا فإن بعض الناس هناك يعتقدون أن هذا الطبق الوطني الكوري الشهير هو ياباني أصيل.

قد يتغير كل ذلك. ويرى مون هيانغ لي من شركة «مزارع دوسان» أحد أكبر مراكز انتاج الكيمشي في كوريا الجنوبية، أن المبيعات الخارجية تزداد بسرعة أكبر من المبيعات المحلية. ويضيف: «اعتقدنا أن الطلب المحلي للكيمشي التجاري سيكون ضخماً، لكنه جاء دون توقعاتنا. أن الطلب الأجنبي هو الذي ينمو باستمرار.»

هذا لا يعني أن الكوريين توقفوا عن أكل الكيمشي. وفي حين تتوافر في أسواق كوريا الجنوبية أنواع عدة جاهزة من الكيمشي فإن معظم العائلات تتابع صنعه منزلياً. ولكل مقاطعة وقرية وعائلة وصفة خاصة لصنعه. ولا تدون الوصفات عادة بل تنقل من جيل الى جيل. وتتولى النسوة عملية التخليل. ويُحكم على مهارة ربة البيت ومقدرتها استناداً الى طعم الكيمشي الذي تصنعه.

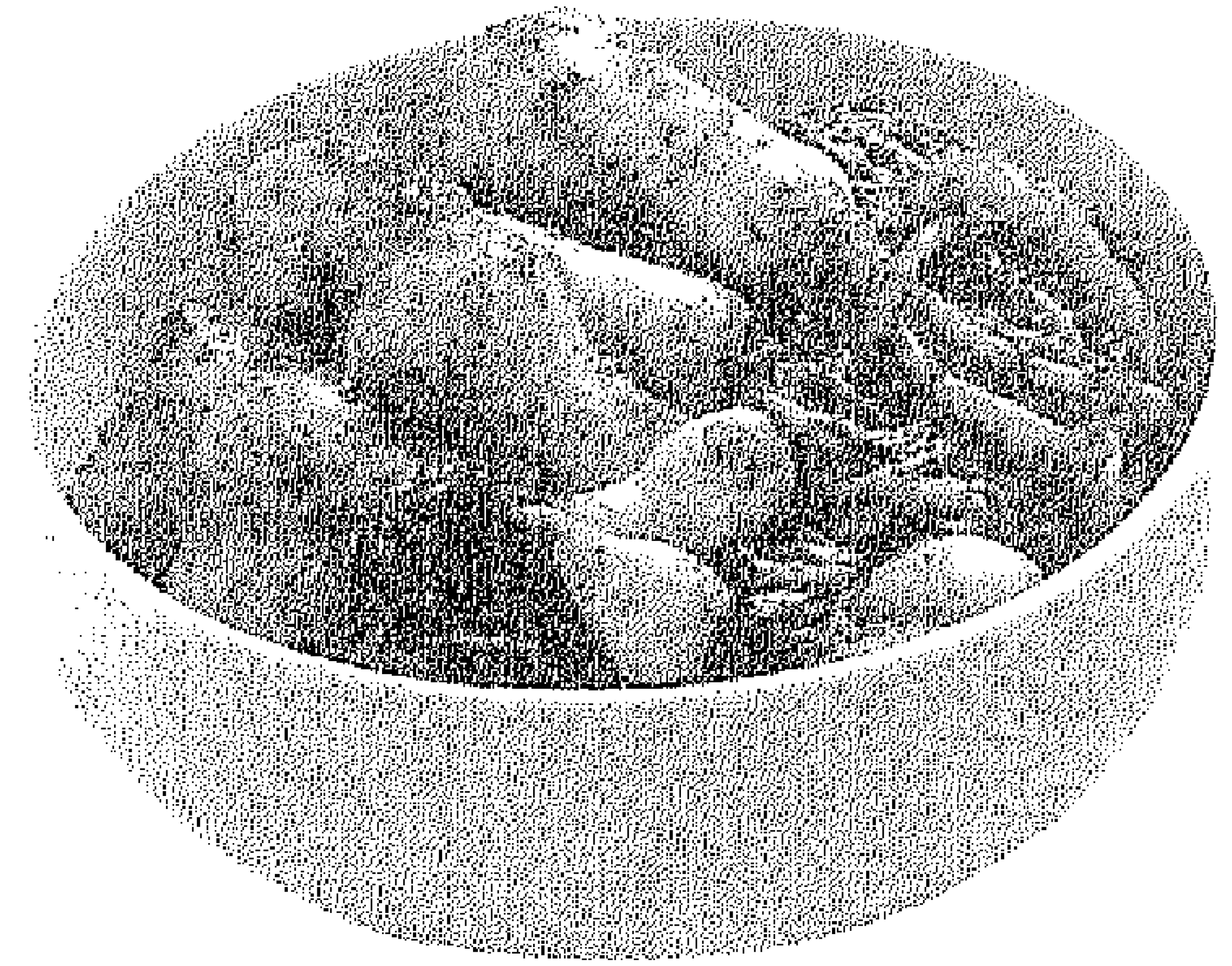
قبل عشر سنين كانت الزوجة تخجل اذا شوهدت تبتاع الكيمشي عوض صنعه. أما الآن وقد ازداد عدد النسوة العاملات والعائلات التي تقيم في شقق ضيقة في المدينة، فان هذه المعتقدات آخذة في الزوال. وعلى رغم ذلك يبقى صنع الكيمشي حدثاً مهماً في كثير من البيوت، حتى في العاصمة سيول ذات الطابع المديني الواضح.

يبدأ صنع الكيمشي الشتوي في أواخر الخريف عندما تتكوم أكداس الملفوف المقطوف والفجل الأبيض في كل زاوية خالية. تتجمع النساء مع الصديقات والجارات والقريبات بغية تحضير الكيمشي لتلك الأوقات من السنة حين تندر الخضر الطازجة وترتفع أسعارها وبتقاسم العمل الصعب تحوّل النسوة هذه المهمة احتفالاً عائلياً.

بادىء الأمر يغسلن عشرات الملفوفات ويملحنها ويشطفنها بالماء البارد. ثم يحشون ما بين الأوراق خليطاً غنياً بالتوابل مؤلفاً من شرائح الفجل والفلفل الأحمر المسحوق والبصل الأخضر المفروم والكثير من الثوم. وقد يتضمن الكيمشي المميز بعض العناصر الغالية الثمن مثل شرائح السمك المخمّر والقريدس (الجمبري) والمحار والفواكه

والكستناء. بعد ذلك توضع الملفوفات المحضرة في راقود، وهو وعاء ضخم من طين يستعمل للتخمير، يدفن في التراب حتى سدّته لمنع التجلد.

ان عملية التخمير التي تبدأ عندئذ هي أساس ديمومة الكيمشي ونكهاته المعقدة ومحتواه الغني بالفيتامين. وقد اكتشف العلماء الكوريون أنه عندما يصل الحمض اللبني الناتج من التخمير الى مستواه الأقصى، يكون الكيمشي في أوجه المذاقي والغذائي. أما الكيمشي الذي لا يعطى الوقت اللازم للتخمر فيكون طعمه حاداً. والكيمشي الذي يمضي عليه وقت طويل يصبح مراً.



كيمشي «ذيل المهر»

الكيمشي قليل الوحدات الحرارية (كالوري) وهو يحتوي على فيتامينات عدة مثل الكاروتين و«ب١» و«ب٢» و«ب١٢» و«ج» والنياسين. وإذا أضيف اليه السمك المملح وثمار البحر الطازجة فإنه يوفر البروتيين والمعادن الاساسية مثل الكلسيوم والحديد. وتساعد ألياف الملفوف والفجل عملية الهضم.

«يانغ» و«ين». قبل أن يشيع حديث الفيتامينات بوقت طويل، اكتشف الكوريون أن الكيمشي طعام صحي. وكان أحد تحذيرات الأهل لأولادهم: «إذا لم تأكل الكيمشي فلن تصبح راشداً.»

وأشهر الأساطير الكورية تمنح الثوم مكانة مميزة. والثوم أحد مقومات الكيمشي الأساسية. تقول الرواية ان نمراً ودباً اقتربا من ابن ملك وسألاه هل يسعهما التحول بشريَّين. فقدّم ابن الملك الى كل منهما باقة من «حبق الراعي» وعشرين فصاً من الثوم، وقال لهما: «تناولا هذا الطعام واحتجبا عن نور الشمس مئة يوم، تتحولا بعدها بشريين.»

دخل الاثنان مغارة مظلمة. الا أن النمر لم يستطع تحمل هذا الغذاء وتلك الظلمة فتبرّم ثم خرج. اما الدب فلبث بصبر وأكل كل الثوم والحبق. وبعد انقضاء مئة يوم خرج من المغارة امرأة جميلة تزوجها ابن الملك. ويُزعم أن ابنهما تانجان أسس كوريا قبل ٤٠٠٠ سنة وما زال يُحتفل بذكره.

في أرجاء شرق آسيا تقبَّل الناس الاعتقاد الصيني بقوَّتين متناقضتين: قوة الـ «يانغ» أو الذكر المتمثلة في الشمس والنور والدفع والنمو، وقوة الـ «ين» أو الأنثى المتمثلة في القمر والظلمة والتقهقر والاضمحلال. ويقال ان الكيمشي يظهر تناغماً بين اليانغ والين. الملفوف والفجل هما الين، والفلفل

الاحمر والثوم هما اليانع، والتوازن بينهما يجعل الكيمشي طعاماً صحياً.

أول اشارة في التاريخ الى الكيمشي وردت في كتاب صيني يعود الى ١٨٠٠ سنة جاء فيه أن الكوريين ماهرون في حفظ الخضر بتخليلها. وفي القرن الثاني عشر بدأ الدارسون الكوريون يكتبون عن العمليات المعقدة لتحضير الكيمشي.

ومن المدهش أن الفلفل الأحمر الملازم لهذا الطعام هو اضافة حديثة العهد نسبياً. وتختلف المصادر في طريقة وصول هذا التابل الى كوريا. ويرجح أن بهار «العالم الجديد» وصل الى آسيا مع التجار البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر.

متحف الكيمشي. نظراً الى أهمية الكيمشي في حياة الكوريين صار له متحف خاص في سوق «هيونداي» تحت سطح الأرض في مدينة سيول. ويكرس المتحف لتاريخ هذا الطعام الفريد وتقاليده. أسسه هون سوك لي وهو عالم متحمس للكيمشي، بدعم من شركة «بولموون» للمواد الغذائية. وكان في شبابه سحر بالكيمشي وجمع عدداً من الكتب القديمة حول هذا الموضوع. يقول: «عصارة الكيمشي هي دم كوريا».

ويعرض المتحف ٥٠ كتاباً قديماً عن الكيمشي وأكثر من ١٠٠ وعاء خشبي وحجري، يعود بعضها الى مئات السنين، كانت تستعمل لصنع هذا الطعام وحفظه. كما يعرض نماذج شمعية تظهر الكيمشي عبر العصور، وبعضاً من الأصناف المحلية. وتلقى في المتحف محاضرات عن عملية تحضير الكيمشي. لكن الجزء الأهم في المتحف هو المطبخ والمطعم حيث يمارس فن تحضير الكيمشي يومياً. ويستقبل المتحف قرابة ٣٠٠٠ زائر شهرياً، يختم كثيرون منهم زيارتهم في المطعم.

ان ادمان الكيمشي ظاهرة تحير حتى الكوريين عندما يكتشفون أن الأجانب المقيمين في كوريا يعتبرونه هم أيضاً جزءاً اساسياً من طعامهم. ولا تخفي سوزان اموس، الطالبة البريطانية في سيول، حبها الكيمشي. تقول متذكرة: «عندما ذقته للمرة الأولى شعرت كأن لساني يحترق. ولكن بعد سنة ونصف سنة اختلف الأمر. وعندما أشعر بالجوع فإن أول ما يخطر في بالي هو طبق من الكيمشي. انه كالسحر.»

يو هي بارك ■

الجذور

وُلدتُ لامراة ما عرفتها قط، وترعرعت مع اخرى تُؤوي الايتام. لست أعلم شيئاً عن جذوري الاجتماعية وسليلتي وارثي البيولوجي والثقافي. لكني عندما التقي اشخاصاً للمرة الأولى أعاملهم باحترام، فربما كانوا من انسبائي.

جايمس ميتشنر، كاتب امريكي

الضحك خير دواء

طعم!

كنت واقفاً أمام احد محلات الألبسة النسائية، فلاحظت شاباً تنمّ عيناه عن نفاد صبره، يقترب من امراة جذّابة جدًا ويسألها: «هلا تكرّمتِ بالتحدث اليّ لحظات معدودة؟»
فردت مرتابة: «لماذا؟»
فشرح لها: «دخلتْ زوجتي هذا المحل قبل وقت طويل. لكني أعرف أنها ستخرج حالاً اذا لمحتني أكلمك.»
وفعلاً، شاهدتُ زوجته توافيه على الفور.

إ.ك

هل سالم هنا؟

كانت فتاة تكتب فرضها المدرسي، فسالت والدها عن الفرق بين الغضب والسخط. فاتجه هذا الى الهاتف وأدار قرصه وناول ابنته السماعة الاضافية.
فردّ رجل على الخط الآخر، فساله الأب: «هالو، هل سالم هنا؟»
جاء الجواب: «ليس من سالم هنا. لماذا لا تتحقق من الرقم قبل ان تطلب المكالمة؟» وأقفل الخط.
طلب الأب الرقم عينه وسأل: «هالو، هل سالم هنا؟»
فهدر الرجل: «عجباً! إسمع يا هذا، اخبرتك أن لا وجود لسالم هنا!»
شرح الرجل لابنته: «هل سمعتِ؟ هذا كان غضباً. والآن سأريك ما هو السخط.»
وطلب الرقم ذاته من جديد فسُمع صوت يزأر: «هالو !»
فقال الأب بهدوء: «هالو، هنا سالم، هل اتصل بي أحد؟»

ب.ف.

زيادة راتب

قال رب العمل للموظف: «اني افكّر في زيادة راتبك؟»
فسأله الموظف: «ومتى تستحق الزيادة؟»
فرد رب العمل: «عندما تستحقها انت.»

د.ف.

«ثقوب»

اعتذر طبيب الأسنان من مريض اتصل به هاتفياً: «آسف، لا أستطيع اعطاء اي موعد آخر اليوم، إذ امامي ١٨ ثقباً عليّ أن أسدّها.»
قال هذا وأقفل الخط، ثم امسك بجعبة الغولف وغادر العيادة.

ث.د.ب.

أضواء على الفيلم الأكثر شعبية في التاريخ

"ذهب مع الريح" جوهرة القرن

شاهدت فيلم «ذهب مع الريح»[1] للمرة الأولى أيام الحرب العالمية الثانية. وكان أبي وأمي شاهداه من قبل، وكم استمعت واخوتي اليهما وهما يفيضان في الحديث عنه وكنا لا نزال صغاراً. ولما كبرنا وبتنا قادرين على مشاهدته ذهب أبي الى الحرب.

في عتمة الصالة سمعت أمي تنشج باكية عندما هجم الشماليون في اتجاه اطلنطا. وكانت سكارلت أوهارا، البطلة الخالدة، وبنت حميها ميلاني ويلكس تعتنيان بالجرحى في مستشفى ميداني. انحنتا على ضوء قنديل كيروسين فوق سرير جندي جريح يهذي. ولم نرَ وجه ذاك الجندي:

«... هناك قرب بيتنا عند الجدول شجرة برقوق تزهر مع حلول الربيع.»

وترد ميلاني معزية: «أجل، أعلم.»

ويضيف الجندي: «عندما كنا طفلين أنا وأخي جيف... لقد أخبرتك عن أخي جيف، أليس كذلك يا سيدتي؟ كان... لا نعلم أين هو الآن... لم نعد نعرف عنه

شيئاً منذ معركة فيرجينيا...»

فقاطعته ميلاني: «أرجوك، يجب أن أقيس حرارتك الآن. ضع هذا في فمك وحاول ألا تتكلم.»

قالت سكارلت: «ميلاني، أريد أن أعود الى البيت. أنا تعبة جداً، وأنت؟ الا تشعرين بالتعب؟»

ـ «لا، لست تعبة يا سكارلت، لعل أشلي في مثل حال هذا الجندي الجريح، محاط بغرباء يخففون عنه. لا، لست تعبة يا سكارلت. قد يكونون كلهم أشلي.»

لدى سماعها هذيان الجريح أجهشت أمي بالبكاء، كذلك النسوة اللواتي جلسن على مقربة منها وافتقدن أحباءهن الذي ذهبوا الى الحرب، فشاركن ميلاني في اشتياقها ومخاوفها.

مرت عقود على ذلك اليوم، وشاهدت «ذهب مع الريح» مراراً وتكراراً وتوصلت الى إدراك أسباب شعبيته الدائمة. فقد عبرت هذه الشخصيات التي لن يقوى عليها النسيان، عن مشاعر جماهير العالم وتعلقها بأوطانها.

كذلك تعاطفت مع شخصية سكارلت أوهارا في حبها الصريح لأرضها «تارا» وعزمها الراسخ على البقاء ومغالبة الأقدار ورفض السقوط والهزيمة تحت وطأة الحرب.

وكما يشرح المؤرخ السينمائي رونالد هافر، فإن سكارلت أوهارا ترفض الاقرار بالهزيمة منذ المشهد الأول عندما تكتشف أن آشلي ويلكس، الرجل الذي تحب، عزم على الزواج بميلاني: «حرب وزواج وفقر وولادة وموت واغتصاب وإجهاض وحب ضائع.» عندما تخلى ريت عنها أقسمت سكارلت «على العودة الى تارا والتفكير في طريقة ما لاسترجاعه. وفي كل حال، ان غداً ليوم آخر.» وهذه، لعمري، عبرة انسانية باقية.

[illegible] عام ١٩٣٧ نالت مارغريت ميتشل، وهي كاتبة مقالات عملت في «أطلنطا جورنال»، جائزة «بوليتزر»[٢] عن كتابها الأول والأخير الذي شرعت في تأليفه قبل عشر سنين. وقد بيع أكثر من ٢٥ مليون نسخة من هذه الرواية الملحمية في ٢٧ لغة. وطبقت شهرتها الآفاق ولا تزال من الكتب الأكثر رواجاً. وقد أقيم العرض الأول للفيلم في أطلنطا قبل ٥٠ سنة واستغرق ثلاث ساعات واثنين وأربعين دقيقة وبات أكثر الأفلام شعبية في التاريخ.

اشترى المنتج ديفيد سيلزنيك حقوق الفيلم في يوليو (تموز) ١٩٣٦ بخمسين ألف دولار، وهو من أغلى المبالغ التي دفعت لشراء باكورة أدبية. ثم شرع في البحث عن ممثلة لدور البطولة. فاختبر مئات الممثلات المغمورات والشهيرات أمثال لانا ترنر وبتي ديفيس وكاثرين هيبورن.

---

(١) Gone with the wind

(٢) هي جوائز سنوية تمنح لأصحاب الانجازات الفضلى في الصحافة والأدب والموسيقى.

وفي خضم البحث عن «سكارلت» كان سيلزنيك يعدّ الانتاج السينمائي الأكثر تعقيداً في التاريخ. وقد أصر على أن يبدو الجنوب حقيقياً لرواد السينما تماماً كما بدا له أثناء قراءة الكتاب. وبنى واجهة صرح «تارا» وقسماً من السقف في بقعته الخاصة في هوليوود. وصنع «تربة جورجيا الحمراء» من القرميد المسحوق. (يقول ريت لسكارلت في الفيلم: «أنت تستمدين قوتك من تربة تارا الحمراء، يا سكارلت. أنتِ جزء منها وهي جزء منك.»)

وبحلول شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٨ كان سيلزنيك أمضى سنتين ونصف سنة وأنفق خمسين ألف دولار على الأقل بحثاً عن الممثلة الفضلى لدور سكارلت. غير أنه لم يعثر عليها. وهدده المولون بالانسحاب. فقرر بدء الانتاج على رغم الضغوط وقبل أن يجد بطلة للفيلم. فبدأ بمشهد احتراق اطلنطا.

غريبان غامضان. ريت وسكارلت وخادمتها بريسي وميلاني ومولودها الجديد يعبرون المدينة في عربة تجرها جياد وسط حريق مستودع الذخائر. وقد بنيت واجهات مزيفة لتصوير المستودع. وقرر سيلزنيك إحراق كل «ديكورات» الأفلام السابقة في بقعته، بما فيها الجدار والبوابة اللذان استعملا في فيلم «كينغ كونغ» عام ١٩٣٣ يوم كان سيلزنيك مديراً للانتاج في شركة "RKO".

وقفت ثلاث مجموعات من الممثلين البدائل في ثلاث عربات متشابهة في انتظار إشارة سيلزنيك لبدء التصوير. غير أن سيلزنيك الواقف فوق منصة المراقبة قرر تعليق التصوير ريثما يصل أخوه مايرون الذي يعمل وكيلاً فنياً في هوليوود.

كان يعلم أن أخاه تناول العشاء مع نجمة سينمائية، لكن هذا ليس عذراً لوقف مشهد وضعت له موازنة مقدارها ٢٤٣٩٢ دولاراً (اليوم يكلف أكثر من نصف مليون دولار). لذا غضب المنتج عندما لمح مايرون قادماً بصحبة ضيفين.

أمر سيلزنيك: «أطلقها يا راي.» وعندئذ ضُخ مزيج من الزيت في شبكة أنابيب. واشتعلت النار في الخشب الجاف المشرب بالزيت وارتفعت ألسنتها ٩٠ متراً في ظلام الليل.

وانطلقت العربات في محاذاة ألسنة اللهب. وأدار سبعة وعشرون مصوراً سبع آلات تصوير لالتقاط الحركة من كل جانب. وصور المشهد ثماني مرات قبل أن ينال رضى سيلزنيك.

التهمت النار معظم الديكورات العتيقة، وأضاءت ألسنتها مايرون وضيفيه. كان الرجل لورانس أوليفييه، الممثل البريطاني الذائع الصيت الذي أدى دور هيثكليف في فيلم «وذرينغ هايتس.»[٣] ولكن من تكون هذه السيدة؟

حيّا مايرون أخاه ديفيد قائلاً: «هيا أيها العبقري، تعرَّف الى سكارلت أوهارا.»

(٣) Wuthering Hights

لحظات توتر. في اللقاء الأول مع المنتج وقفت المرأة الغريبة بثوبها الأسود ورفعت رأسها بثقة ونزعت قبعتها العريضة بأناقة فتطاير شعرها الكستنائي متموجاً حول وجهها الجميل. ومددت يدها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة وانثنى ثغرها بدلال عند زاويتيه. ولكن لم يراود سيلزنيك في تلك اللحظة الا وصف الكاتبة مارغريت ميتشيل لسكارلت: «كانت عيناها الخضراوان ترقصان.»

لقد عثر سيلزنيك على بطلته.

كانت فيفيان لي في الخامسة والعشرين ومتحدرة من أصل فرنسي وإيرلندي، تماماً كسكارلت.

وسبق أن مثلت في عشرة أفلام بريطانية محدودة النجاح. كانت مغمورة في أمريكا، واختيارها للدور سيثير دهشة عارمة.

لكن أحداً لم يعارض اختيار الممثل الذي سيؤدي دور ريت بتلر، فقد بدا كأنه كتب خصوصاً لكلارك غايبل الذي كان في السابعة والثلاثين آنذاك ونجم هوليوود بلا منازع. لكن غايبل كان مرتبطاً بعقد مع شركة «مترو غولدن ماير.» ولكي يحظى به سيلزنيك وافق على عرض الفيلم من خلال الشركة، مما يعني تقاسم الأرباح مع الاستوديو المنافس. لكن الفيلم كان يستحق هذه التضحية.

وعلى رغم عثور سيلزنيك على الممثلين الرئيسيين فإن متاعبه كانت في بدايتها.

فهو أضاع وقتاً ثميناً لأن النص لم يكن ناجزاً على رغم التنقيحات الكثيرة. وطرد سيلزنيك المخرج جورج كوكر الشهير بإدارته الناجحة للممثلات، ليأتي بفيكتور فليمنغ صديق غايبل. وعندما أصيب فليمنغ بـ «انهيار عصبي» تولى مخرجان آخران العمل الى أن تم اقناع فليمنغ بالعودة وإنهاء الفيلم.

وزاد في التوتر أن فيفيان لي كانت تحتفظ بنسخة من الكتاب طوال الوقت، حتى إذا انحرف فليمنغ عن القصة ذكرته بالفصل والسطر. لكن الغضب الذي كان فليمنغ يوقده في فيفيان لي هو الذي أشعَّ شخصية سكارلت في كل مشهد.

أيعود اليها؟ حلّت أزمة حقيقية عندما حاول فليمنغ حمل غايبل على البكاء حين اكتشف أن سكارلت حية ولم تمت من جراء اسقاط جنينها. لكن غايبل رفض البكاء حرصاً على صورته كنجم. وبدا أن أي حجة تقدم اليه لن تثنيه عن رفضه.

ووافق غايبل في النهاية على تصوير المشهد بدموع ومن دون دموع، مع احتفاظه بحق اختيار النسخة التي يريد. وبكى أخيراً كصبي صغير ضائع. وعندما رأى النتيجة على الشاشة اختار مشهد الدموع.

في المشهد الختامي المؤثر يقرر ريت هجر سكارلت ومغادرة أطلنطا. فتصرخ سكارلت: «ريت، إن أنت رحلت فأين

أذهب أنا؟ وماذا أفعل؟»

ويجيب ريت: «بصراحة يا عزيزتي، أنا لا أهتم.»

هل استعادت سكارليت ريت؟ تقول مارغريت ميتشل: «أظن أنها تستعيده.» لكن سيلزنيك، من جهته، أراد إغراق الناس في حيرة. فإن غادر ريت في يوم مشمس فسيخيل الى المشاهدين أنه سيعود. وإن غادر في يوم ممطر فقد يعتقدون أن سكارليت خسرته الى الأبد. لذا غادر ريت في يوم غائم، مبقياً النهاية عالقة في الهواء. (وقد تأخذ هوليوود القرار. ففي العام ١٩٨٨ فوضت دار «وارنر بوكس» للنشر الى كتّاب قديرين تأليف تتمة لرواية مارغريت ميتشل، ومن شبه المؤكد أن التتمة ستصور لاحقاً للشاشة.)

ليالي النصر. عُرضت رائعة سيلزنيك للمرة الأولى في أطلنطا ليلة ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٩. وتجمع حشد كبير خارج الصالة وقد ارتدى بعضهم ملابس تلك الحقبة، واضطر رجال الشرطة الى ضرب طوق أمني لابعادهم عن النجوم الذين وفدوا الى مسرح «لو» الكبير لحضور العرض الأول. وقد عدِّل مدخل المسرح ليشابه «تويلف أوكس» منزل أشلي الفخم.

عند انتهاء العرض شاهد الجمهور المهلل امرأة نحيفة في فستان وردي بسيط تتوجه نحو المذياع. انها مارغريت ميتشل مارش. قالت: «لقد مررنا معاً بتجربة عاطفية كبيرة، ذلك كان شعوري، وأعرف انني لم أكن الشخص الوحيد الذي اغرورقت عيناه هذه الليلة.»

بعد شهرين ونصف شهر خلال الاحتفال الثاني عشر بتوزيع جوائز الأوسكار، حقق «ذهب مع الريح» رقماً قياسياً جديداً وبات الفيلم الذي نال أكبر عدد من الجوائز حتى ذلك التاريخ: ثمانية أوسكارات بما فيها جوائز أفضل فيلم وأفضل ممثلة (فيفيان لي) وأفضل ممثلة ثانوية (هاتي ماكدانييل التي أدت دور مالمي بتنورتها الحمراء) وأفضل نص وأفضل إخراج. كما مُنح سيلزنيك «جائزة ارفينغ ج. ثالبرغ التذكارية».

على مر السنين كسبت رزقي من طريق إجراء مقابلات مع ممثلين وممثلات والكتابة عنهم. ويعود حبي لتلك المهنة الى أنني لم أفقد يوماً رهبة السحر الذي أحسسته في هذا الفيلم. سحر رواية القصص الرائعة.

ولمست هذا السحر بتأثر بالغ قبل سنوات عندما التقيت الفنان الراحل كليف ادواردز، المعروف أكثر بصوت «جيميني كريكيت» المرح المتفائل في فيلم «بينوكيو» من إنتاج والت ديزني. وقد اقشعر بدني عندما أخبرني أنه هو الذي أدى أيضاً صوت ذاك الجندي المجهول في مستشفى أطلنطا الميداني اذ يستعيد ذكرى شجرة البرقوق المزهرة عند الجدول قرب بيته.

جون كالهين ■

ثلاثة إبتعدوا عنهم

الشاكي والعيابي والحرون

كلنا نعرفهم اذ نلمحهم فهم مجادلون متأففون يطلبون اموراً متعذرة

ركبت امرأة ذات مركز مرموق في عالم الأعمال، سيارة اجرة في وسط المدينة. كان الازدحام شديداً وهي في عجلة من أمرها. فاقترحت على السائق سلوك احد الطرق فصاح بها: «لقد امضيت ١٥ عاماً سائقاً. أتظنين اني لا أعرف أقصر الطرق للوصول الى مقصدك؟»

حاولت المرأة ان تبين له انها لم تقصد الاساءة اليه، لكن السائق إستمر في الصراخ، فأدركت اخيراً انه بالغ الاضطراب ويتعذر عليه ان يكون صائب التفكير. فبادرته بأمر غير متوقع، اذ قالت له: «انت محق لعلي أبدو غبية اذ حسبت انك لا تعرف طرق المدينة جيداً.»

فوجىء السائق بكلام المرأة، فرشقها بنظرة حيرى من مرآته ثم انعطف الى الشارع الذي اشارت اليه وأوصلها الى محطة القطار في الموعد المحدد. وهي

تقول عن ذلك: «استمر السائق صامتاً طوال الطريق حتى خرجت من السيارة ونقدته أجرته. فشكرني.»

عندما يلتقي المرء اناساً كسائق سيارة الأجرة هذا، تحدوه رغبة شديدة في الاصرار والعناد. ويفضي ذلك الى جدل طويل، وصداقات مرة، وفرص عمل مهدرة، وزيجات فاشلة.

لقد تبينت، بحكم عملي طبيباً نفسانياً، قاعدة اساسية بسيطة ولكنها مستبعدة اجمالاً ومن شأن هذه القاعدة ان تحول دون تطور أي نزاع أو ظرف صعب الى كارثة.

وتقضي القاعدة بأن تضع نفسك في موضع الغير منقباً عن الحقيقة في قوله. اعثر على طريقة لموافقته على ما يقول، فتأتيك النتيجة مفاجئة.

الحردان. لوليد ابن اسمه يوسف في الرابعة عشرة، ظل ضيق الصدر عدة أيام. وحين سأله والده عن السبب، نهره قائلاً: «لا تزعجني، دعني وشأني» ومشى متباطئاً إلى حجرته.

كلنا يعرف اشخاصاً مثل يوسف. فإذ تبرز امامهم مشكلة ما يحردون أو يتصرفون بغيظ رافضين الكلام.

ما الحل اذاً؟

اولاً: ينبغي أن يسأل وليد نفسه عن علّة سكوت يوسف. لعل الفتى متضايق من أمر حدث له في المدرسة أو أنه مغتاظ من ابيه، غير انه يخشى الافصاح عنه لأن وليد يتخذ موقفاً دفاعياً كلما تعرض للنقد. وفي وسع الوالد أن يتقصى هذه الاحتمالات عندما يدور الحديث بينه وبين ابنه ثانية، فيقول: «لاحظت انك قلق، وارى أن من المفيد أن تجهر بما يشغلك. قد يكون في الأمر عسر لأني لم أصغِ دوماً الى ما تقول. وان يكن الأمر كذلك فإني آسف لأني احبك ولا أريد خذلانك.»

وان بقي يوسف معتصماً بالصمت، قد يتخذ وليد مساراً آخر: «اني معني بما يجري لك. دعنا نتداول الأمر في ما بعد عندما تكون منشرحاً.»

هذا الأسلوب يتيح للطرفين أن يخرجا منتصرين: فلا يساوم وليد على مبدأ ضرورة البحث في الأمر وحلّه، فيما يتجنب يوسف الارباك بأن يتاح له ان ينكفىء الى حين.

الناقد الصيّاح. كنت منذ عهد قريب، أعالج رجل اعمال يدعى عادل يميل الى الغطرسة عندما ينزعج. وهو اخبرني أن المال يستحوذ على تفكيري وليس عليه ان يدفع مالاً عن كل جلسة من جلسات المعاينة. وانه يريد ان يدفع شهرياً بموجب كشف حساب.

تكدرت من كلامه اذ بدا لي انه معتاد فرض آرائه. فشرحت له اني جربت الدفع الشهري، فلم ينجح لأن بعض المرضى لم يسددوا ما توجب عليهم. جادلني عادل بأن لديه سمعة طيبة، وانه يعرف عن الديون وكشوف الحساب اكثر مني.

ادركت فجأة اني لم اعرف مراده فقلت: «أنت مصيب. فموقفي دفاعي. فلنعرض الصعوبات التي تمر بها تاركين المال جانباً.»

لان عادل للتو، وشرع يتحدث عما يقض مضجعه، وهي شجون خاصة به. وفي الموعد التالي سلمني شيكاً بقيمة ٢٠ جلسة معالجة سلفاً.

هناك بالطبع أحوال يسيء فيها الناس التعامل والآخرين على نحو غير معقول، مما يضطر المرء إلى الابتعاد عن المشاكل. ولكن اذا ما رغبت حقاً في حل مشكلة تقلقك، فمن المهم أن تفسح للآخر في مجال الخروج بمقدار من احترام النفس. وثمة على الدوام ذرة من الحقيقة في وجهة نظر اي طرف. فإن اقررت بذلك، غدا الآخرون أقل مدافعة واكثر تقبلاً للإصغاء اليك.

الشاكي. منيف (٣٢ عاماً) طبيب يعالج الأمراض العصبية بتحريك المفاصل والظهر. حدثني عن احباط سببه له أحد المرضى: «سألت السيد حاتم: «كيف حالك؟» فأفرغ لي قصة حياته كلها... متاعبه مع عائلته ومشاكله المالية. حاولت نصحه فأعرض عن كل ما أقول.»

على منيف أن يعرف أن من اعتاد التذمر ليس في حاجة إلى النصح. فهو وأضرابه يريدون من يصغي اليهم ويتفهم وضعهم. وكان في وسع منيف ان يقول: «يبدو أنك مررت بأسبوع عصيب. وهي امور لا تدعو الى الراحة: فواتير غير مسددة وأناس شديدو الإلحاح، مما يضاعف ألمك.» وهنا تنفد، على الأرجح، طاقة المتشكي فيكف عن التذمر. والسر في الأمر الا تسدي النصح بل المصادقة على صحة الشكوى مما يشعر صاحبها بالارتياح.

صديق كثير المطالب. صعاب الخُلُق ليسوا من الغضاب أو الشاكين دوماً. اذ يصعب التعاطي واياهم أحياناً بسبب المطالب التي يرهقوننا بها. فيحرجك مثلاً أحد الأصدقاء بإلحاحه ان تؤدي له خدمة عندما يكون مسافراً، فتحقق طلبه على رغم مواعيدك الكثيرة، لكنك تغتاظ منه في نهاية المطاف وتنقم عليه. وان رفضت طلبه تخشى ان تجرح شعوره فيغضب. والمسألة الصعبة فعلاً هي أن تؤخذ على غِرّة، فلا تعرف كيف تتصرف بحيث تتحاشى الاحساس بالسوء.

وأحد الأساليب المسعفة في مثل هذه المواقف هو المراوغة والتسويف، كأن تخبر صديقك أنك ستفكر في طلبه وتحدثه في شأنه لاحقاً. مثالاً على ذلك: لو أن زميلي هاتفني ملحاً علي ان ألقي محاضرة في جامعته، فسأجيبه: «أنا مغتبط لاختيارك لي. ولكن دعني أراجع جدول مواعيدي، وسأهاتفك ثانية.»

لا شك في ان ذلك سيمنحني الوقت الكافي لمعالجة مشاعر الذنب التي تنتابني اذا ما رفضت الطلب. ولنفرض

اني عزمت على ردّ طلبه، فالتسويف في هذه الحال يتيح لي التفكير في ما سأقول له عندما ارد مكالمته. إذ قد ابين له: «اني اقدّر طلبك، لكني مرتبط بمواعيد كثيرة الآن. في اي حال، أرجو الا تتوانى عن الاتصال بي في المرة المقبلة.»

يشق على النفس التعامل وصعاب الخُلُق بالصبر والاحساس المتبادلين، خصوصاً عندما يكون المرء مضطرباً. لكن ما إن تتخلى عن حب السيطرة أو التشبث بقولك الصائب ابداً، حتى يسترخي محدثك ويأخذ في الإنصات.

لقد أدرك أحد فلاسفة اليونان ذلك، اذ قال قبل نحو ألفي عام: «اذا ما انتقدك احدهم، وافقه على انتقاده حالاً. واذكر أنه لو كان يعرفك حق المعرفة، لكان انتقاده أقسى بكثير.»

ان التواصل الحقيقي بين البشر ينبع من روح الاحترام لنفسك وللغير. والفوائد التي تجنى من ذلك تبعث على الدهشة حقاً.

الدكتور ديفيد د. بيرنز

حمية الحموات

التحقت حماتي بناد رياضي داعم للحمية الغذائية. وكان يتعين على الأعضاء دفع عشرة فلوس عن كل كيلوغرام يزدنه في وزنهن. وتوضع الفلوس في حُقَّة لتعطى أخيراً لمن تفقد أكبر وزن خلال الدورة.

وذات يوم عادت حماتي إلى المنزل واعلنت بحماسة: «لقد ربحت الحقة!»

فسألها زوجي: «وكم تحوي من المال؟

ـ ثمانين فلساً.

«انه لمبلغ زهيد!»

غير أنه كاف لشراء قطعة حلوى دسمة.»

ج.س.

رهاب الامتحان

قدَّمت أختي طلباً للحصول على وظيفة، وكان عليها أن تخضع لامتحان طباعة على الآلة الكاتبة. وإذ أوشكت المسؤولة على اعلان بدء امتحان السرعة في الطباعة تلقَّت مكالمة هاتفية، فطلبت من أختي أن تبدأ الطبع. وأختي عصبية عادةً خلال الامتحانات، لذا بدأت الطبع مسعورة غير مزيحة عينيها عن النص.

بعد خمس دقائق انتهت الفاحصة من مكالمتها وقالت: «كان ذلك حسناً، يا آنسة. والآن، هل تحبين أن تجربي الطبع على ورقة؟»

ب.ب

من كدحهما تفجَّر الجمال وتوثقت عرى حنان أبدي



حديقة بناها الحب

في مدرسة الحياة تخرّج، فعركته شباك الصيد في قرية يابانية. انه زنجورو شيباتا، والدي، الرجل الخشن الوجه. عائلته ادارت مؤسّسةً لبيع السمك بالمزاد، حيث ينبغي اتخاذ قرارات كبيرة بسرعة وبداهة. وهو تمرَّس بالصعاب فصهرته التجارب في بوتقة الذرائعية[1].

يوكوري، امي، جذورها ضاربة في التاريخ. سليلة عائلة بوذية تعود الى القرن الرابع عشر. نشأت في عالم من التأمُّل الوديع يبجِّل العطاءات الفكرية ويعتبر الفنون الكلاسيكية جزءاً مهمًّا من التربية.

يصعب تصوُّر زوجين على طَرَفَيْ نقيض مثل والديّ. ومع ذلك، فلا بُدَّ ان

(١) pragmatism اي فلسفة الذرائع التي تُعرِض عن النظريات لتاخذ بنتائجها العملية الناجحة.

PHOTO: COURTESY OF YOSHIMA SHIBATA

يكون شهود الزواج قد لاحظوا فيهما شيئاً يؤهِّلهما للعيش تحت سقف واحد. وعندما أُجريَتْ مراسم الزواج وفقاً للاعراف القديمة كان ابي وامي، فعلاً، غريبَيْن، ومما قلّل من حظوظ نجاح زواجهما قرار ابي السعي وراء الثروة في الولايات المتحدة.

ولأن والدي كان ثاني اخوته فهو علم أنَّ ما قد يتوفّر من ميراث سيعود الى اخيه البكر. فاختار استشراف ما وراء الأفق ويمّم مع امي الولايات المتحدة فوصلها في ١٨٩٨. وتقلّب في الأعمال الوضيعة في ارجاء متعدِّدة من كاليفورنيا، فتعلّم بعضاً من الطرائق الامريكية ومال الى ما خبره منها.

ما أن اقبل العام ١٩١٦ حتى كان على أُهبة الاستقرار لإعالة زوجته وولديه. فاختار مزرعة في «قمة عدن»، جنوب اوكلاند، مساحتها مئة الف متر مربع. هنا سيبني منزلاً ودفيئة[٢] يغرس فيها ازهاراً مخصّصة للتجارة.

لم يلاحظ اهلي انخفاض منطقة الارض في احدى نواحي المزرعة الا عندما احالتها السيول مستنقعاً. وبدلاً من الشعور بالكرب قال والدي: «اصبح عندنا الآن حوض طبيعي لتفقيس السمك الذهبي وبيعه.»

كان بناء مشتل زراعي واستثماره مشروعاً لا بُدَّ ان يعني كل اعضاء العائلة حتى يُقيَّض له النجاح. عمل ابي من الفجر الى النجر في هذا المشروع، وساهمتُ فيه مع اخوتي الأربعة بعد المدرسة وفي عطل نهاية الأسبوع. وامي بعد انتهائها من تدبير المنزل عُنِيَتْ بتوالد النباتات وقطْف الأزهار، وساعدتْ على دهن الدفيئة.

ما نمَّ عن امي شكوى قط. فحلم ابي ان يكون له دفيئة جعلته حلمها هي. لكنها في ليالي عدة، بعد ان يغرق افراد الأسرة في الرقاد، كانت تجلس منتصبةً في فراشها تقرأ او تؤلف القصائد او تكتب قصصاً قصيرة ومقالات نُشر بعضها في الصحف اليابانية في سان فرنسيسكو. وغالباً ما لامها ابي لبقائها ساهرة حتى هذا الوقت المتقدم، غير انه فهم ايضاً أنَّ لها جذوراً في عالم هو عاجز عن المشاركة فيه.

الحديقة اليابانية. توالت السنون واستقر المشتل، فانتفت الحاجة الى ارهاق النفس بالعمل. وذات يوم من ١٩٣٣ قالت امي لأبي: «ان عشب الدِّيْس البرّي آخذ بالانتشار في بركة الأسماك، وهو يبدو قذراً نخجل من منظره. فما رأيك لو نظّفنا البركة وأنشأنا حولها حديقة يابانية لا تجمِّل مزرعتنا فحسب بل تُظهر جانباً من الحضارة اليابانية لأصدقائنا الامريكيين؟»

اجاب والدي مقطِّباً: «لكنَّ مثل هذه الحديقة تتطلب مقداراً كبيراً من العمل والمال، فضلاً عن انها تقتطع من ارضنا مساحةً يصعب علينا فقدانُها.»

(٢) بيت زجاجي او بلاستيكي لوقاية النباتات.

بيد انه تذكّر كيف عملتْ زوجته الى جانبه لمساعدته على انجاز اهدافه. فأقل ما يمكن فعله لإظهار تقديره لها هو ان يعاونها على انشاء الحديقة.

ثمة سبب آخر كان يدفعه الى اتخاذ قراره. فأمي خضعت لجراحة استئصال سرطان، وبدا انها ابلّت تماماً، غير ان الطبيب قال إن السرطان قد يعاودها بعد خمس سنوات او ست وإنها قد تحتاج الى جراحة إضافية. فنظر ابي الى مشروع الحديقة كحافز يساعد امي على إبعاد ذهنها عن مشاكلها الصحية.

لم يكن ايٌّ من والديّ يعرف الكثير عن هندسة الحدائق. لذا تمعّنا في دراسة صور لحدائق يابانية شهيرة واستشارا اصدقاء حول افكارهما. وظلا يرسمان مخطّطاً تلو آخر حتى استبان لهما اخيراً ما يطمحان اليه.

وبدأت عملية البناء. نُقلت الأسماك الى بركة موقّتة وجُفّفت المياه. وأفرزتْ امي منطقة كلوبية الشكل. وكدن ابي حصانين يجرّان مِكشطة، واعاد تشكيل البركة ناقلاً الركام الزائد ليجعل منه هضاباً صغيرة مدوّرة من شأنها ان تضفي على الحديقة انطباع العمق، البعد الثالث بعد الطول والعرض.

ولسوف يتباحث ابي مع امي بعد كل خطوة. فالحديقة، في المقام الأخير، هي حديقتها، وهو يحترم مهاراتها الفنية المُبدِعة. شيئاً فشيئاً سوف يَظهَر للعيان انسجام المشاعر والمواهب والآمال عند هذين الزوجين.

في احد الأيام اتى السيد راسل، الذي يملك مقلعاً للحصى في الجوار، ليرى ما نحن فاعلون. وقال: «اعرف انكم تحتاجون الى صخور كبيرة لصنع حديقة يابانية، وفي مقلعي بعض الجلاميد المناسبة. يمكنكم اخذ كل ما تستطيعون نقله.»

ظل والدي خلال اسابيع ينقل بعربة الخيل مئات من الصخور ويُفرغها حول الفناء، ووُضعت الصخور واحداً واحداً على امتداد محيط البركة، بجانب المماشي وقرب الهضاب، وكان يحلو لأمي ان تقول: «لكل صخرة وجه وقفا، ورأس وقعر. انظروا الى هذه الأشنة الجميلة فوق هذا الجلمود. ينبغي أنْ نتأكّد عند تركيزه من ان الطحالب تتجه نحو الشمال، كما هي فعلاً في الطبيعة.» وهكذا كان علينا ان نعالج كل صخرة في موقعها الملائم، فتُطمّر بدقة على عمق يجعلها تبدو كأنها وُجدت في مكانها منذ بداية الدهر.

استغرق تركيز الخلفية الصخرية للشلال الاصطناعي الوقت الأطول. كان على المياه المتساقطة، وقد دفعتها مِضخّة مخفيّة، ان تبدو متعة للنظر وطرباً للسّمع. فكدح ابي في الصخور ودفعها الى ان قرّرتْ والدتي ان الشلال ذروة الكمال.

اخيراً انتهى العمل في البركة، فمُلِئت ماءً واعيدت اليها الأسماك. وبدت امارات الوجد على قسمات امي الهادئة التي قالت: «اظن اني سأغرس بعض

النَّيْلوفَر، فهذه الزنابق المائية اذا ازهرت هنا تعطي منظراً رائعاً في الصيف.»

كان ذاك اول الغيث، وما زال هناك الكثير يُعمَل. واهدى جار آخر الى والدي بعض اشجار الصنوبر الضخمة، فغرسها في الهضاب الصغيرة، واحاطها بعدة صنوبرات اصغر حجماً. وعنيت والدتي بليّ بعضها واعطائه شكلاً يضفي على الغيضة طابع الهَرَم. وغُرس الصفصاف قرب الماء لتعبّ منه جذورُه بعمق، اما الشجر الأحمر الذي يشبه سرو اليابان الضخم فغُرس في ارض منبسطة. وقالت امي: «نحتاج الى انواع مختلفة من الأشجار النامية في اتّساق مثلما هي فعلاً في الطبيعة. فالحديقة اليابانية هي منظر ريفي طبيعي مصغّر.»

التجذر في الأرض. خلال الأزمة الاقتصادية في ١٩٣٣ تعثّر بيع الزهور. وذات يوم جاء المصرفيون الذين يتعامل معهم ابي، لخوفهم غير المعلن من ان يغادر البلاد اذا ساءت الاحوال من دون ان يسدِّد ديونه. اخذهم لمشاهدة حديقته وكلمهم بانكليزية ركيكة: «ها قد انتهيت من غرس هذه الشجيرات. الآن طولها لا يتجاوز بضع اقدام، ولكنْ عندما تنمو وتكبر سأدعو عائلاتكم الى نزهة في ظلها.» كانت الرسالة واضحة وعرف المصرفيون ان والدي آخذ في الصمود حتى النهاية.

بعد ذلك بقليل زارنا حِرَفِيّ ياباني شهير، ولما شاهد ما انجزته يدا ابي قال: «انك لمبدع حديقة جميلة، ولكن يعوزها شيء ما، وبودي ان ابني لك صالة شاي.» والمبنى البسيط الذي اقامه هو ما كانت ترغب فيه امي تماماً.

كان ثمة مزيد من الأعمال تنتظر تفرُّغ ابي لها. فبنى سياجاً ومدخلاً ريفيين اضفيا على الحديقة بُعدها الخارجي. كما شُيِّد جسر مقنطر، ونُثرت حصى صغيرة لتشكيل شاطىء صغير، ورُكِّزت منائر حجرية. اخيراً، في العام ١٩٤٠، نظرت امي الى زوجها برضى وقالت: «الحديقة آخذة الآن بالتحلّي مع الزمن.»

ثم وقعت الواقعة. فبعد الهجوم على القاعدة الأمريكية في بيرل هاربر في هاواي امرت واشنطن اجلاء كل الرعايا من اصل ياباني عن الشاطىء الغربي. فاضطُرّت عائلتنا الى العيش في مخيم ترحيل داخل البلاد. وتُركت الدفيئة في عهدة غارس زهور آخر، لكنّ الحديقة آلت الى الهجر.

عندما عدنا بعد الحرب وجدنا الحديقة تغزوها الأعشاب الضارّة. وماتت غرسات عدة من نقص الماء. واعمل المخرِّبون في صالة الشاي تكسيراً ودمروا ستائر «الشوجي» وضفائر «التاتامي». الامر الذي حداني على البكاء غيظاً. واكتفى اهلي بالقول: «اننا سعداء لاسترجاع ملكيتنا» وبدآ مهمة الترميم الشاقّة.

ما ان باشرنا العمل بشق النفس

حتى مرض والدي. وكشفتْ الجراحة سرطاناً متطوِّراً. وأُخبرتْ والدتي ان زيت سراجه سينضب بعد اشهر معدودة، وللمرة الأولى في حياتي شاهدتها تذرف الدمع. قالت: «ما راودتني قط فكرة انهدام بنية قوية رصلبة، كبنية والدك، تحت وطأة المرض.»

عندما تقهقرت صحة والدي طلب ان يراني. قال لي: «اقحمتُ والدتك في حياة شاقة ثم بدأتُ اتفهّم حلمَها بإبداع شيء جميل. لذا بدأت الحديقة، وهي عملت معي على تكوينها. وانا لن احيا لأرأبَ الصدع، فأسألك الآن ان تكمل ما كنتُ بدأتُه.» فوعدته والدموع تنهمر من عينيّ.

بعد رحيل والدي كرّستْ امي مزيداً من وقتها للحديقة. وذات صباح اسرَّت الي: «كان ثمة غصن نافر في شجرة «البونساي» الرئيسة، لم اعرف كيف اتدبر امره. في الساعة الثانية بعد منتصف الليلة الماضية استيقظت وخرجت مع مشعل كهربائي وشذّبته، فارتحت كثيراً.»

تقاسمتْ امي حديقتها مع غيرها. فأقيمت فيها حفلة توأمة مدينَتيْ اوكلند الأمريكية وفوكووكا اليابانية في العام ١٩٦٢. وفيها تلاقت منظمات مدنية، وقصدها مواطنون للتنزُّه والاستجمام.

أُعلِمنا يوماً ان مشروعاً لطريق عام جديد سيستملك جزءاً من الحديقة. فاتصلت امي، بهدوئها اللفِت، ببعض صديقاتها المهتمات بالحقوق المدنية وطرحت عليهن سؤالاً واحداً: «لماذا يجب ان تمر الطريق وسط الحديقة؟» فأعيد تخطيط الطريق حول حديقتها من دون ضجة.

في العام ١٩٦٨ توفيت والدتي عن ٧٥ عاماً. لقد بقيت على قيد الحياة على رغم خمس جراحات سرطانية عجّلت في أجلها.

لا تبعد الحديقة كثيراً عن مكتبي. غالباً ما اتمشى فيها فاستعيد طلاوة روحي. هنا رجل صموت ومتحفِّظ وجد طريقةً ليعبِّر بها عن حبه العميق والثابت لزوجته. وهي بادلته حبًّا بحب لأنها فهمت ما كان يحاول قوله لها. وعلى مر السنين تحوّلتْ روحاهما جزءًا من كل صخرة وغرسة وشجرة وضعاها بعناية لامتناهية في تربة كاليفورنيا. هذه هي الحديقة التي بناها الحب.

يوشيمي شيباتا ■

الضدُّ يُظهِر حسنَه الضدُّ

عندما عاد ابني المراهق إلى المنزل من حفلة موسيقى «الروك» سألتُه هل أمضى وقتاً ممتعاً. فأجاب: «كانت حفلة عظيمة. يا ماما، كنت ستكرهينها لو كنتِ هناك!»

ج.ف.

أضواء من عالم الطب

"انترفرون" لالتهاب الكبد

«Hepatitis C» هو فيروس يصيب الكبد ولا يمكن اكتشافه بواسطة الفحص العادي للدم. والى اليوم لم يفعل الطب الشيء الكثير للمصابين بهذا الفيروس الذي ينتقل اليهم خلال عملية نقل الدم أو حقن المخدرات. لكن بصيص امل ظهر في دراستين جديدتين. فقد توصلت فرق ابحاث من ١٢ جامعة أمريكية ومن "المعهد الوطني لأمراض السكري والجهاز الهضمي والكليتين"، الى أن العقار "ألفا انترفرون" يمكنه الحدّ من الالتهاب الفيروسي المزمن في كثير من الحالات، مانعاً موت خلايا الكبد. وهذا الاكتشاف بالغ الاهمية كما يقول الدكتور جولز ل. دينستاغ مدير عيادة التهاب الكبد في مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن وأحد المشاركين في الدراستين.

ونشرت الدراستان في مجلة "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين." وفيهما ايضاً أن الانترفرون - وهو بروتيين موجود طبيعياً في الجسم البشري ويمكن انتاجه على نطاق واسع بواسطة جرثومة معدَّلة وراثياً - أوقف فيروس «Hepatitis C» لدى نصف المرضى تقريباً، وأعاد عمل الكبد الى طبيعته. وقد انتكس نصف هؤلاء مجدداً بعد وقف العلاج. ولكن، تبين للباحثين أن أقل من ١٠ في المئة من المرضى الذين لم يتلقوا علاجاً قد تحسّنت حالهم.

ويرى الدكتور دينستاغ وخبراء آخرون أن كمية الانترفرون ومواعيد الجرعات المتبعة في الدراستين ليست نهائية. ويضيف دينستاغ: "نحتاج الى تجربة جرعات أكبر لفترات أطول من أجل زيادة معدل الاستجابة للعلاج وخفض معدل الانتكاسات بعد وقفه." ومع ذلك فهو يعتبر أن هذه الخطوة الاولى فائقة الأهمية، وأن الانترفرون ناجح لا محالة.

«نيويورك تايمز»

أدوية الحساسية

قبل أن تأخذ حقنة ضد الحساسية تأكد من أن الطبيب على علم بأي دواء آخر تتناوله.

إن أدوية توسيع الشرايين* الشائعة الاستعمال قد تزيد احتمال اصابة مريض الحساسية بصدمة قاتلة. فالحقن المضادة للحساسية تحوي كمية ضئيلة من المادة المسبّبة للحساسية من أجل تنمية قدرة الجسم على احتمالها. وأدوية توسيع الشرايين التي توصف عادة لعلاج ضغط الدم المرتفع واضطرابات القلب والارتعاش وصداع الشقيقة (ميغرين) وكقطرة لعلاج الماء الازرق (غلوكوما) تزيد حدة ردود فعل الجسم للمواد المثيرة للحساسية.

مجلة "إميرجنسي ميدسين"

(*) Beta-blocker drugs

ادمان الستيرويد

يعتقد أطباء نفسانيون في كلية الطب بجامعة ييل في ولاية كونيتيكت الامريكية، أن الاشخاص الذين يتعاطون الستيرويدات الابتنائية* لتقوية اجسادهم وتحسين أدائهم الرياضي قد يصبحون مدمنين. ويلاحظ الطبيبان كنيث كاشكين وهيربرت كليبر أنّ التأثيرات والمضاعفات وأعراض الانقطاع التي يبديها المفرطون في تعاطي الستيرويدات شبيهة بتلك الناتجة من ادمان الكوكايين والكحول ومنتجات الافيون. وعلى سبيل المثال، فان جرعات كبيرة من الستيرويدات تؤدي الى النشوة وغيرها من تاثيرات ادمان المخدرات.

وتظهر ابحاث أخرى أن تعاطي الستيرويدات لفترات طويلة يؤدي الى اضطرابات نفسية شبيهة بتلك التي تصيب مدمني المخدرات، ومنها الانفعال المفرط وضعف القدرة على التمييز والقلق والذعر والاوهام الارتيابية والنزعة الانتحارية.

نشرة "الجمعية الطبية الامريكية"

عقار لالتهاب اللثة

"فلوربيبروفن" عقار فاعل مضاد للالتهاب يستعمل حالياً في علاج داء التهاب المفاصل. وقد يستعمل قريباً في علاج داء التهاب محيط الاسنان الذي يصيب اللثة ويؤدي الى تلف العظام المحيطة بالاسنان، وهو مرض يصيب ٧٥ في المئة من الراشدين بعد السن الخامسة والثلاثين.

وفي تجربة سريرية دامت سنتين وشملت ٤٤ مريضاً في كلية طب الاسنان بجامعة كامبريدج في ولاية مساتشوستس، وجد الباحثون أن الفلوربيبروفن خفض خسارة العظم بنسبة ٦٦ في المئة بعد مرور ١٢ شهراً على بدء الدراسة. وتبين أن العقار فقد تأثيره خلال الأشهر الستة الاخيرة. ولا يعرف الباحثون، الى الآن، هل كان ذلك ناتجاً من عدم تجاوب المرضى أم من فقدان العقار فاعليته بعد اعتماده لمدة طويلة. ومع ذلك فان الفوائد الاولية لهذا العقار لا بد وأن تُترجم بقاء أطول للاسنان الطبيعية لدى المجموعة الخاضعة للعلاج.

وهذه النتائج التي نشرت في "جورنال أوف بريودنتولوجي،" هي الأولى التي تظهر أن الفلوربيبروفن قادر على ابطاء تلف العظام من طريق وقف الالتهاب بدلا من مهاجمة الجراثيم المسببة للمرض.

نشرة "هارفرد ميديكال آريا فوكس"

منظار لاستئصال المرارة

في أسلوب جديد لاستئصال المرارة بواسطة منظار*، يفتح الجراح ثلاثة شقوق صغيرة في أعلى البطن، ويمرر داخل الجسم منظاراً على شكل أنبوب دقيق في طرفه عدسة مقرِّبة. فيصوِّر الانبوب المرارة تلفزيونياً للجراح الذي يمرر أدوات جراحية مصغَّرة عبر الشقوق. ثم تُستأصل المرارة من خلال شقّ صغير في السرّة.

والى الفوائد التجميلية الأكيدة لهذه الجراحة، فانها أقلّ ازعاجاً من الجراحة التقليدية، وتتطلّب وقتاً أقصر للتعافي.

صحيفة "واشنطن بوست"

(*) Anabolic steroids

(*) Laparoscopic cholecystectomy

مدرّب كروي: الهواية تصنع النجوم

في عصر تختلط لعبة كرة القدم في المدارس بتعاطي المخدرات وأفعال السوء الأخرى، لم يتخل المدرِّب جو باتيرنو عن ايمانه بحسنات تحصيل العلم والعمل الدؤوب والانقطاع المخلص للأهداف السامية. وجامعة بنسلفانيا الحكومية حيث يعمل باتيرنو رئيساً لمدربي كرة القدم، تخرج نحو ٧٠ في المئة من لاعبيه، وهم يشكلون نسبة ٥٥ في المئة من العدد الاجمالي للطلبة في تلك الجامعة. ويتذكر أحد اللاعبين السابقين في تلك الجامعة بعض الماضي: «لقد سعت المعاهد الأخرى الى اجتذابي تلميذاً فيها مغدقة علي وعوداً بأني سأصبح لاعباً، غير أن باتيرنو لم يعدني سوى بأني سأصبح انساناً أفضل.»

أذكر يوم اكرهت على اتخاذ القرار. اضطجعت الليل بطوله وقد هجرني



النوم، أغالب ماضيّ، ساعياً الى تشكيل رؤية للمستقبل. انه شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٧٢. وكان مضى علي في رئاسة مدربي كرة القدم بجامعة بنسلفانيا الحكومية مدة سبع سنوات تقريباً، وكنت قانعاً بعملي ذاك.

ثم جاءتني تلك المكالمة الهاتفية المفاجئة. انه عرض بأن أغدو ثرياً إن تركت الجامعة التي احب. كان محادثي بيل سوليفان الرئيس الأسبق وصاحب «نيوانغلند باتريوتس» وهو فريق محترف لكرة القدم في بوسطن. قال لي: «أود أن القاك للبحث في تدريب فريقي.»

اجبت سوليفان أن لدي عروضاً أخرى للعمل واني لا اكترث لتدريب اللاعبين المحترفين. وما لبث أن أمطرني بعرض مغر جداً... ١,٣ مليون دولار إضافة الى تملك جزء من رخصة الفريق ومكافأة مقدارها ١٠٠ ألف دولار عند توقيع العقد.

كان مجموع أجري السنوي في الجامعة ٣٥ ألف دولار؛ وهذا المبلغ كافٍ لسد حاجة عائلتي. لكن سوليفان تقدم بعرض اصابني بدوار. في نهاية المطاف اخبرت زوجتي سو أن علي قبول الوظيفة. فوافقتني: «اني الى جانبك في ما تقرر.» لم تقل لي انها لا تريد الانتقال الى بوسطن. فكلمت سوليفان وابلغته موافقتي.

ذلك المساء قلت لسو: «حسناً يا عزيزتي، الليلة انت زوجة مليونير.» في الثانية فجراً كانت سو في كرسيها الهزاز ترضع طفلنا، وقد لاحظت ان الدموع تسيل على وجهها. فأخذت اعرض، وانا مستلق في مكاني، صور الحياة التي سأبتعد عنها: الكلية التي التقيت فيها زوجتي، البيت الوحيد الذي عاش فيه أولادنا الخمسة، الطلبة، تمثال الغرانيت جالب الحظ لنا، ولاعبو كرة القدم ممن أدرب وهم غلاظ الاعناق اصحاب مشاعر مرهفة.

ترى، ما الذي دفعني الى ان أخبر سوليفان اني موافق؟ اجل، بوسطن مدينة كبرى، والعمل في ذاته تحد جديد. لكن السبب الحقيقي لقراري هو المال.

بغتة عرفت ما ينبغي ان افعل، وما أعزم حقاً على القيام به.

في الصباح اخبرت سو: «لقد نمت مليونيراً، لكني استيقظت جو باتيرنو المدرب. لن اذهب الى بوسطن.» الفكرة الأولى التي راودتها آنذاك، كما قالت لي لاحقاً، ان حمداً لله.

مدرب الهواة. منذ جلاء بصيرتي تلك الليلة، ادركت اهمية لعبة كرة القدم في الكلية بالنسبة الي؛ وان تدريب اللاعبين المحترفين ليس من شأني. اني اصبو، كسواي من المدربين، الى تأمين فوز فريقي في المباريات. لكني مدرك ان ثمة ما هو أهم من الفوز او الهزيمة. اذ يتوجب علي أن اتعهد لاعبيّ في انضباطهم الشخصي وتنشئتهم تربوياً، وتطورهم انسانياً. وهي مثوبة بعيدة

الأثر، مستديمة لا القاها في تدريب اللاعبين المحترفين.

وفي صميم اسلوبي في التدريب، علاقة عقدتها مع الشاعر فيرجيل وبطله آنياس، الشخص الاسطوري الذي شاد روما. وهما دخلا حياتي عبر انسان سامي الاخلاق يسعى ليكون خادماً للرب يدعى توماس برمنغهام من المدرسة الاعدادية «اكسلنس»* في بروكلين. وكانت الطريقة التي يلفظ بها برمنغهام ام المدرسة (ومعناها الامتياز) تجعلها مشرقة بنور ذهبي.

فحسب ملحمة فيرجيل، وبعيد سقوط مدينة طروادة في يد الاغريق، يسهّل آنياس فرار اهل قريته بحراً. واذ تطبق عاصفة على اسطوله، ويجنح الى شواطىء افريقيا، يقرّ عزمه على الاستسلام. ويأخذ في معاركة أصوات قدره منهكاً مخذولاً. الا انه كان عارفاً أن واجبه، والخيار الوحيد امامه، مواصلة قيادة رجاله. وهكذا، عبر سنوات من المشاقّ، يأخذ حذره على مضض، ولكن من دون هوادة، من مصيره الهالك، ويعود الى ايطاليا يستوطن المدينة التي غدت روما.

آنياس ليس نجماً بارزاً يؤدي دوره أمام النظّارة. انه لا يحيا لنفسه ولكن للمجموع. وهو لذلك المثال الأعلى للاّعب في فريقه.

السنة الأولى التي امضيتها رئيساً للمدربين عام ١٩٦٦ كانت حقاً اسعد سني حياتي، لكنها كانت اكثرها قتامة. فاللاعبون الأصغر سناً في الفريق يلعبون ويتمرنون بحماسة. بيد ان بعض اللاعبين المتمرسين يشعرون بأنهم أرفع مقاماً من مدربهم الجديد، ولا يكلفون انفسهم عناء تعلم اسلوبه في اللعب.

إثر ذلك الموسم الأول الكئيب أسررت الى نفسي: أيامك، على ما يبدو، معدودة في هذه الوظيفة. ثم افتتحنا العام ١٩٦٧ بمباراة ضد فريق قوي هو فريق الأكاديمية البحرية في آنابوليس، فهزمنا بتمريرة منخفضة في الدقيقة الأخيرة. كان فريقنا يلعب بطريقة استعراضية. لم يكن هناك التزام او توقّد. وإذا ابدلت بفتيان اللاعبين المصابين، تغيّر اداء الفريق ولعب الفتيان بشجاعة وثبات أكثر ممن هم اكبر سناً.

المدرب الأستاذ. أدركت الحاجة إلى تغيير جذري، ولكن كيف؟

اثناء عودتي بالحافلة الى البيت، طرأت علي فكرة مجنونة: ان أصرف الفريق بكامله وأبدأ تدريب فريق جديد. أن المدرب هو، في الدرجة الأولى، استاذ. ومسؤوليته الأولى تدريب العقول وان لم ينجح في ذلك فإن فريقه لن يفجر ابداً كوامن طاقاته.

قلت لسو تلك الليلة: «علي ان اكتشف ما اذا كنت مدرباً ام لا. علي ان اتخلّص من الكسالى.»

يوم السبت التالي لعبنا مع فريق ميامي. بعد اللعبات الافتتاحية، ارسلت

(*) Excellence

لاعبين شابين مندفعين محلّ لاعبين أكبر سناً لم يعجبني اداؤهما. ثم اتبعتهما باثنين آخرين. وقبل أن يشرف ربع الساعة الأولى من المباراة على نهايته، كان لدي فريق جديد تماماً في الملعب.

فزنا في المباراة تلك الليلة. لا تسألني كيف، المهم اننا ربحنا. بعد اسبوعين. شرعنا بكلية بوسطن في تنظيم الدورة التاريخية لجامعة بنسلفانيا والمؤلفة من ٣١ مباراة لعبناها جميعاً ولم نخسر واحدة منها. وتابعنا تنظيمها سنوياً حتى تخرّج اللاعبين الشباب من مجترحي الاعاجيب.

ان السر وراء هذه السلسلة من الانتصارات التي تفوق حد التصديق، يكمن في اننا زدنا نسبة الأدمغة في وصفة كرة القدم القديمة التي كانت تركز دوماً على قوة العضل. لقد اصبحت اللعبة شغل فتيان اذكياء حسني التدريب، ممن يتخذون قرارات سريعة ويستخدمون في اللعب عقولهم وعضلاتهم سواء بسواء. وهم يندمجون في اللعب بوجدانهم، ويتصرفون كفريق وليس كأفراد. وعلى غرار آنياس، لكل لاعب دور يؤديه في نظام اكبر منه. وكل واحد مدين لزملائه الآخرين بمعرفة الدور المنوط به وتحمل مسؤوليته.

اساليب اللعب لدينا في الجامعة جليّة، بسيطة، وقد نجحنا بها، سنة تلو أخرى. ولكن بعد انتخابنا في العام ١٩٨٦ افضل فريق بين الكليات في امريكا، بات في مستطاع اي قارىء بخت مبتذل أن يتنبأ بأن السنة التالية ستكون سنة خيبة بالنسبة الينا. كما اننا لم نحرز نجاحات كبيرة في ١٩٨٨.

كان فريقنا مؤلفا، على نحو استثنائي، من رهط فتيّ. ولم يدرك هؤلاء الشباب ان الفوز يتطلب التزاماً اساسياً مفرطاً. الى ذلك، فقد شاركنا عام ١٩٨٨ في مباريات جبهنا فيها سلسلة من الخصوم الأقوياء.

لعل ليس من حقي ان ابرز الأمر على هذا النحو. اليس هناك أمر آخر؟ أوَتكون العلّة في التدريب؟ اني لم اعط الفريق ارشاداً مباشراً في السنوات الماضية. ثمة وقت لإطلاق العنان للاندفاع، وأن تتاح للاعبين الفرص ان يتحركوا على هواهم ويرتكبوا اخطاءهم. ولكن ثمة أوان للانضباط وتوجيه الفريق نحو إيقاع موحد.

بدا الحل واضحاً في نهاية الأمر: يجب ان ابدأ من جديد. اعود إلى ما كنته عام ١٩٦٦، وأن اقرر دورة جديدة واختار لاعبين صغاراً بدلاً من الكبار المتباهين.

ذكريات ١٩٦٦ تصيبني بوخز. لكني لا ازال اعشق التدريب حتى هذه اللحظة.

جو باتيرنو ■

بمعاونة برنارد اسبل

حذارِ كلمات الفخر والغرور. فان أنت تلفظتَ بها سبق السيف العذل.

كارل ساندبرغ، شاعر وكاتب أمريكي (١٨٧٨-١٩٦٧)

نصائح رجل اعمال انتقل من فقر مدقع الى ثروة وقوة عظيمتين

CONTRACT

كيف تحصلون على ما تريدون

كنت فقيراً وطموحاً وخائفاً حتى الموت. وكنت أيضاً قانطاً أحتاج الى خمسمئة دولار ثمن طوابع ومغلفات لتوزيع مجلتي الجديدة «نيغرو دايجست.»[١] كنت قريباً من النجاح، أكاد أذوقه، ومع ذلك كنت بعيداً عنه جداً. في العام ١٩٤٢ كان مبلغ خمسمئة دولار مقداراً كبيراً من المال، ولا سيما لشخص ترعرع فقيراً في أركنسا.

فعلت شيئاً غير معروف تلك الأيام. ذهبت الى مصرف كبير في شيكاغو وطلبت قرضاً بخمسمئة دولار لأبدأ عملاً. لكن مساعد مساعد المدير الذي توصلت الى مقابلته ضحك بوجهي وقال: «نحن لا نعطي المواطنين السود قروضاً.»

شعرت بجذوة غضب، لكن الكتب التي قرأتها عن المساعدة الذاتية كانت تقول: «لا تكن أحمق، بل كن حاذقاً.» عليّ اذاً ان احوّل هذا العائق الى ما فيه مصلحتي. فنظرت الى عين الرجل وسألته: «من في هذه المدينة يقرضهم؟»

(١) Negro Digest

اجاب وهو يتطلع اليّ باهتمام جديد: «المكان الوحيد الذي أعرفه هو مؤسسة سيتزن للتسليف.»

سألته هل يعرف أحداً هناك، فأعطاني اسماً.

«أيمكنني أن أبلغه أنك أنت أرسلتني اليه؟»

تأملني لحظة ثم اجاب: «طبعاً.»

قال لي الرجل في «سيتزن»: نعطيك قرضاً، ولكن بشرط أن يكون عندك ضمان، كمنزل أو موجودات ترهنها.

لا منزل لي. لكنني كنت ساعدت أمي في شراء أثاث جديد، فسألتها أن تسمح لي باستعماله ضماناً. وهكذا اقترضت، على أثاث والدتي، خمسمئة دولار. وشرعت في اصدار «نيغرو دايجست.» وباصدار العدد الأول من المجلة نشأت شركة «جونسون» للنشر، وهي اليوم امبراطورية تقدر قيمتها بمئتي مليون دولار وتضم مجلتي «إبوني» و«جت» وشركة لمستحضرات التجميل ووكالة لتصميم الأزياء ومحطات اذاعة وتلفزة.

سر نجاحي بسيط. كنت محظوظاً، وكان التوقيت صحيحاً، وواظبت على عملي واثقاً بمنطق الأحداث الذي يساعد المرء المتأهب النشط الشجاع.

هل يتكرر ذلك؟

أيمكنك البدء بخمسمئة دولار لبناء امبراطورية تقدر بمليوني دولار؟

ما زلت أحسب أن الفرصة واسعة وسع هذا العالم، لكنني أظن أيضاً أن انطلاق المرء بمشروع ما بهدف الغنى أمر خطأ. من الأفضل التفكير في أن النجاح يكون في خطى صغيرة، وكل خطوة تعطيك ثقة بالمثابرة.

كيف اتخذت خطواتي؟

في بواكير حياتي العملية كبائع كنت أطلب من زبائني منحي خمس دقائق فقط من وقتهم. فمتى وضعت قدمك في الباب وأخبرت قصة جيدة فقد يدعك الزبون تكملها وإن استغرقت ساعة. واذا لم يكن مهتماً، فخمس دقائق من وقته كافية.

ومهما طال وقتي كنت دائماً ابني عرضي على ثلاث قواعد مجرّبة ومختبرة.

١. **ايجاد أرضية مشتركة والتشديد عليها.** قد تختلف أنت والزبون على أمور كثيرة، لكنك أنت هناك لابراز القيم والآمال والطموحات التي تربط بينكما.

مقابلتي البالغة خمس دقائق تسبقها أشهر من التحضير. وحين تبدأ الساعة تتكتك أعرف كل شيء عن اهتمامات الزبون وعواطفه وهواياته ورغباته.

استعملت مرةً هذا النوع من الاتصال للحصول على اعلان من «زينث راديو كوربوريشن.» كان على رأس هذه الشركة آنذاك أوجين ف. ماكدونالد الابن، وهو اداري لامع وهجومي. كتبت اليه رسالة أطلب فيها موعداً للتحدث عن الفائدة الاعلانية لشركة «زنيث» في أمريكا السوداء. وأجاب ماكدونالد للحال: «تسلمت كتابك، لكنني لا

أستطيع أن أراك. فأنا لا أتولى شؤون الاعلان.» وهكذا أيقنت أنه يريد التخلص مني.

لم تخمد همتي، ففي كل نقطة تحول في حياتي كان الناس يقولون لي في البدء: «لا.» وهنا لم أكن مستعداً لأن أدع ماكدونالد يتملص بذلك الجواب العادي. فأبيت التسليم.

فكرت: حسناً، انه رئيس الشركة ولا يعالج شؤون الاعلان، فماذا يعالج اذاً؟

الجواب واضح. انه يعالج سياسة الشركة، بما فيه السياسة الاعلانية. كتبت اليه ثانية اسأله هل استطيع المجيء للتحدث عن سياسته الاعلانية في المجتمع الأسود.

أجاب: «انت ملحاح أيها الشاب. سأراك، ولكن اذا حاولت التكلم عن الاعلان في منشورتك فسأنهي المقابلة.»

أحدث جوابه هذا مشكلة جديدة. عمَّ سنتكلم اذاً؟

لجأت الى كتاب فيه خلاصات سير رجال شهيرين[٢]. فوجدت أن ماكدونالد كان مستكشفاً زار القطب الشمالي بعد مرور سنوات على قيام ماثيو هنسون والكومودور روبرت بيري برحلتهما الشهيرة الى القطب الشمالي في العام ١٩٠٩. وكان هنسون زنجياً، وهو ألف كتاباً عن خبراته.

كان ذلك هو المر الذي احتجت اليه. طلبت من محرر مجلتنا في نيويورك ان يقابل هنسون ويطلب منه توقيع نسخة من كتابه كاهداء الى ماكدونالد. وخطر لي أيضاً أن هنسون موضوع جيد لقصة، فسحبت مقالاً من عدد مجلة «إبوني» المنوي اصداره في يوليو (تموز) وأدرجت مكانه نبذة عن سيرة هنسون.

أول كلام بادرني به ماكدونالد عندما دخلت مكتبه هو: «أنظر الى هذا الحذاء الثلجي. لقد أعطاني اياه ماثيو هنسون. انني أعتبره صديقاً. أتعرف شيئاً عن الكتاب الذي ألّفه؟»

أجبت: «نعم، ولدي منه نسخة، وقد كان لطيفاً جداً فوقع عليها اهداءً اليك.»

تصفح ماكدونالد الكتاب بسرور واضح ثم قال متحدياً: «أنت تصدر مجلة سوداء، يبدو لي أن مجلة سوداء يجب أن تورد مقالاً عن رجل مثل ماثيو.»

وافقته، وسلمته نسخة من عدد يوليو (تموز). فتصفح المجلة وهز رأسه استحساناً. قلت له انني أسست المجلة لابراز منجزات رجال مثل هنسون أثبتوا أن التفوق يحطم كل الحواجز.

قال: «أتعرف؟ انني لا أرى سبباً يحول دون الاعلان في هذه المجلة.»

٢. **أطْرق في المرء ما يثيره.** عزمت على أن أبني مكتباً في شيكاغو يكون المركز الرئيسي لشركتي. وبعدما تنقلت من مصرف الى مصرف ولم أحصل على قرض صممت على بدء المشروع مهما كلف الأمر. أخذت مليوني دولار من مالي الخاص، واتفقت مع مقاول على أن

(٢) Who's Who in America

يشرع في البنـاء ريثمـا أتمكـن مـن الحصول على خمسة ملايين دولار أخرى في مقابل رهن عقاري، علماً أنه اذا لم أحصل على هذا الرهن قبل أن يستنفد المقاول مالي فسيوقف البناء.

بدأ البناء واستمر حتى لم يبق من المال الا ما يكفي أسبوع عمل. وحدث أن كنت أتناول طعام العشاء في مدينة نيويورك مع مدير شركة «متـروبوليتـان لايف انشـورنس.» فسحبت نسخة من تصميـم المبنى كنـت أحملهـا دائمـاً، وحاولت أن أثير اهتمامه بتمويل البناء. وعنـدمـا اتضـح لـه أنني أهم ببسط الخريطة عـلى مائـدة الطعام قـال: «لا يمكن ان نتكلم هنـا. تعـال غـداً الى مكتبي.»

في اليـوم التـالي أخبـرنـي أن المتـروبـوليتـان قـد تعطيني القـرض المطلـوب. فقلت: «عظيم! انما المشكلـة الـوحيدة هي أنني احتـاج الى تنفيـذ التعهد اليوم.»

قال: «لا شك في أنك تمزح، نحن لا نعطي تعهداً بقرض في يوم واحد.»

وقفت عن كرسيّ وتقدمت منه قائلاً: «أنت المسؤول عن هذه الادارة. ربما آن لك أن ترى مـا اذا كانت لـك السلطة الكافية لتنفيذ هذا العمل في يوم واحد.»

ابتسم وقـال: «أنت تمـزح، لكنني سأحاول.»

حاول. وما قال إنه لا يمكن عمله قد عُمِل. وعدت أنا الى شيكاغو قبل نفـاد مالي بساعات.

البيع يكون في أن تكتشف في المـرء الناحية التي تجعله يقول نعم. وفي هذه الحال كانت الناحية الحسـاسة شعـور المدير بسلطته الخاصة.

٣. استغلّ ما يحـرك المرء. هنـالك شيء ما يجعل كل انسان يتحرك أو يقول نعم. قد لا يمت ذلك الى حياته العملية، فقـد يكون حلمـاً أو أملاً أو التـزامـاً لشخص أو مبدأ.

في ذهني مثل واحد على هذا. جـاء منـدوب شركة من تنيسي الى شيكـاغـو بغيـة التـرويـج لصنف جـديـد من مستحضرات التجميل. فاشتريت بعضاً منه لشركة مستحضرات التجميـل التي أملكهـا. ثم ذهب المنـدوب الى مـدينـة نيـويورك وبـاع هناك طلبـين أكبر من طلبي. ولما عاد الى تنيسي لم يجد وقتاً لتأمين طلبي الصغير.

أما أنا، فبناء على وعده تعاقدت مع المتاجر على أن تفسح لي رفوفاً لعرض هـذا الصنف. لكنـه كلمـا اتصلت بـه صرفني بسرعة. قلت لنفسي: علي أن أجد طريقة أقنـع بها هـذا الرجـل بالـوفاء بوعده. ماذا يحركه؟ ثم خطر لي خاطر: الشرف، انها كلمة غالية في الجنوب.

اتصلت بـه من جديـد وقلت: «أنت جنوبي، وأنا جنـوبي، وأريدك أن تعلم أنني اشتريت عمداً هذه المادة من شركة جنوبية مـع علمي أنها متـوافرة لـدى مستـوردين كثـيرين. عنـدمـا كنت في الجنوب لم يكن الرجال البيض يقطعون

للرجال السود وعوداً كثيرة، ولكن اذا ما أعطوك كلمتهم وثقت بها. لقد مضت على غيابي عن الجنوب أربعون سنة. فهل تغير الرجال البيض كثيراً؟»

ران صمت طويل على الهاتف، ثم قال لي المندوب: «يا جونسون، متى تحتاج الى هذه البضاعة؟»

أجبته: «في الأسبوع المقبل.»

قال: «ماذا عن هذا الأسبوع؟»

الأمر الأهم الذي يجب تذكره هو أننا نعيش منكمشين جداً على أنفسنا. وفي محاولتنا اقناع الآخرين بأفكارنا نحتاج الى مزيد من التركيز على ما يريدون هم لا على ما نريد نحن.

فإذا أردت أن يقضي شخص حاجةً حيوية لك، فعليك أن تبرز ما يريد هو وتقنعه بأن من مصلحته الذاتية دفع مصلحتك الى الامام. واذا أردت الآخرين أن يساعدوك فلا يجوز الا تكترث لهم.

جون هـ. جونسون ■

مع ليرون بنيت جونير

انفجار بالون

المعرض السنوي الذي يقام في مدينتنا وتشارك فيه فرقتنا الموسيقية المحلية يحوي ما يرضي الجميع، بما في ذلك البالونات المنفوخة بالغاز للصغار.

في أثناء مقطع كانت الفرقة تعزفه برقة فائقة أفلت أحد البالونات واصطدم بمسمار في جدار وانفجر كطلق ناري. فأجفل عازف الكمان وكاد يقع. وبدأت العازفة المجاورة له مذعورة. وهي أخبرت الأصدقاء لاحقاً: «عندما شاهدته يقفز راودتني هذه الفكرة: رحماك، يا ربي، لقد أصيب بطلق ناري وأنا لا أحسن عزف مقطوعته.»

س.س.

مهرِّبة الأصدقاء

كنتُ واقفة قرب براد الحلوى في أحد المحلات الكبرى فلاحظتُ امرأة بدينة تنقِّب فيه. فجأة دفعتها امرأة أخرى قالت لها: «اخرجي من هنا! لستِ في حاجة إلى هذا، فأنت سمينة كفاية!»

وإذ التفتت المرأة المجفلة لاحظتْ مهاجمتُها أنها امرأة غريبة لا تعرفها. فتمتمتْ: «أنا آسفة. لستُ أضع نظارتيّ. ظننتك صديقتي.»

أجابت الضحية بعد لحظة صمت: «وهل لديك صديقة حقاً؟»

الفرصة السانحة تكتفي بقرع الباب، أما الاغراء فيرفسه.

ب.ب.

الأجوبة الصحيحة

مصطفى لطفي المنفلـوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) من الكتّاب المجددين في مصر. تلقى علومه في الازهر وتتلمذ لمحمد عبده. له «النظرات» و«العبرات» ومقالات انطوت على موضوعات اجتماعية وخصوصاً وضع المراة العربية.

هنا كلمات مختارة من كتابات المنفلوطي. وقد وضع امام كل كلمة اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. شبيبة: فتوَّة ـ أولاد ـ نـاي ـ نغم خافت حزين.

٢. دوحة: غابة ـ أرجوحة ـ شجرة عظيمة ـ دوار البحر.

٣. نشيج: أنشودة ـ بكاء من غير انتحاب ـ دم ـ حياكة.

٤. ضالَّة: عروس ـ طريق مسدودة ـ ناقة ـ شيء مفقود تسعى وراءه.

٥. استهتر: اتبع هواه ـ اختبأ ـ قهقه ساخراً ـ تلعثم خوفاً.

٦. كيد: ظرف ـ مكر واحتيال ـ تعب ـ ضرب شديد.

٧. ذُبالة: قذارة ـ حشرة مجنَّحة ـ فتيلة ـ ذيل الفرس.

٨. وشيك: محنيّ ـ حاد الاطراف ـ ظليل ـ قريب وسريع.

٩. مُداراة: مناوبة ـ رجعة ـ منافسة ـ ملاطفة ومخاتلة.

١٠. مَدارك: منازل ـ درجات السلّم ـ حواسّ ـ جواسيس.

١١. حثا التراب: صبّه ـ حفره ـ نعَّمه ـ كوَّمه.

١٢. اكفهرّ: تراجع ـ عبس واغبرّ لونه ـ شتم ـ ركض هارباً.

١٣. غريرة: مطر خفيف ـ شاة ـ خصلة شعر ـ شابة لا خبرة لها.

١٤. باع: مقدار مد اليدين ـ ساق ـ جيب ـ عنق طويلة.

١٥. وعثاء: مشقة وتعب ـ صحراء ـ طريق وعرة ـ سفر.

١٦. شَزْرَ: تأنيب ـ نظرة غضب ـ شق اللحم ـ ردع.

١٧. جَزَع: جبن ـ حزن بالغ ـ عَرَق الجسد ـ صلب الشجرة.

١٨. لألاء: صفحة الماء ـ بياض العين ـ ثلج ـ ضوء.

١٩. سائغة: هانئة سهلة ـ ضائعة ـ سانحة ـ منحرفة.

٢٠. مدلهمّ: ماطر ـ شديد السواد ـ مفاجىء ـ كثير الهموم.

٢١. زُفْرة: زرقة قاتمة ـ نَفَس حار ـ مائدة ـ رائحة نتنة.

٢٢. صانَعَ: ساعد ـ عمل خادماً ـ قاوم وعصا ـ داهَنَ.

٢٣. غَشْية: ضحكة ـ لمحة ـ تعطُّل القوى والحواس ـ سرعة.

٢٤. مأرب: حاجة ـ بئر ضحلة ـ جِوار ـ ملجأ.

٢٥. سوابق: أيام ـ جرائم ـ خيل ـ أولاد.

١. **الشبيبة**: الفتوّة. وقيل هي الفَتاء أي من سن البلوغ الى الثلاثين. وقيل أيضاً هي خلاف الشيب. امرأة شبيبة: شابة.
٢. **الدوحة**: الشجرة العظيمة المتسعة. الدّوْح: البيت الضخم الكبير.
٣. **النشيج**: الغصّ بالبكاء من غير انتحاب.
٤. **الضالّة**: الشيء المفقود الذي تسعى وراءه. الضّلالة: الهلاك. الملك الضلّيل: لقب امرىء القيس.
٥. **استهتر**: اتبع هواه فلا يعقل ولا يبالي بما يفعل.
٦. **الكيد**: المكر والخبث والاحتيال والاجتهاد.
٧. **ذُبالة القنديل**: فتيلته.
٨. **الوشيك**: القريب. أيضاً: السريع.
٩. **المداراة**: الملاطفة والمخاتلة. المِدْرى والمدراة: المشط.
١٠. **المَدارك**: الحواس الخمس. مدارك الشرع: مواضع طلب الاحكام حيث يُستدل بالنصوص.
١١. **حثا التراب**: قبضه ورماه أو صبّه.
١٢. **اكفهرّ الرجل**: عبس. والليلُ: اشتد ظلامه. والسحابُ: تراكب بعضه على بعض واسودّ. يقال «وجه مكفهّر» أي مغبر اللون مع غلظ.
١٣. **الغريرة**: الشابة التي لا خبرة لها. أيضاً: المغرورة. الغرير: الخُلْق الحسن، ومنه المثل «أدبر غريره وأقبل هريره» أي أدبر حسنُه وجاء سيئُه.
١٤. **الباع**: مقدار مد اليدين. يقال «طويل الباع ورحب الباع» أي كريم مقتدر، و«قصير الباع وضيق الباع» أي بخيل عاجز.
١٥. **الوعثاء**: المشقة والتعب. أيضاً: كل صفة مكروهة. يقال «ركب الوعثاء» أي أذنب.
١٦. **الشَزْر**: النظر بجانب العين مع إعراض أو غضب.
١٧. **الجَزَع**: الحزن البالغ الذي يصرف الانسان عما هو بصدده. أيضاً: الاضطراب وقلة الصبر.
١٨. **لألاء السراج**: ضوءه. واللألاء أيضاً الفرح التام، وبائع اللؤلؤ.
١٩. **لقمة سائغة**: هانئة سهلة المدخل في الحلق. استساغ الشراب: وجده سائغاً.
٢٠. **ظلام مُدْلَهِمّ**: كثيف شديد السواد.
٢١. **الزُفْرة**: النَفَس الحار تشبيهاً له بزفير النار وهو صوت توقُّدها.
٢٢. **صانَعَهُ مصانعة**: داهنه وداراه. أيضاً: رشاه، ومنه المثل «مَنْ صانع بالمال لم يحتشم مِنْ طلب الحاجة.»
٢٣. **الغَشْية والغشْي والغَشَيان**: تعطل معظم القوى المحرِّكة والحاسَّة لضعف القلب من جوع ونحوه.
٢٤. **المأرَب والمأربة**: الحاجة. الأُربة: العقدة الوثيقة. الإرب والإربة: الدهاء والحيلة.
٢٥. **السَوابق**: أوَّل خيل السباق وهي عشرة أوَّلها المجلّي ثم المصلّي ثم المسلّي ثم التالي ثم المرتاح ثم العاطف ثم الخطيّ ثم المؤمَّل ثم اللطيم ثم السُكَيت.

المستوى

٢١ ـ ٢٥: ممتاز
١٤ ـ ٢٠: جيد جداً
٩ ـ ١٣: مقبول

زوجي الفاتن

كان عادياً في بعض النواحي لكنه تميز بحماسته وحكمته الطيبة

سـألت وارن ف. كلارك في لقـائنـا الأول الى مـاذا يرمـز الحرف «ف» في اسمه فأجـابني دونما تغـير في تعابـير وجهه: «فاتن.» وبعـد ساعتـين في أحد مقـاهي «غـرينيتش فيليـدج» بمـدينـة نيـويـورك جلس وارن يخـربش بعض الأسماء على محـرمة من الـورق وقال: «أنا أكتب أسماء المدعوين الى حفلـة الزفاف، فـلا تتصرفي كالمـراهقات. أنتِ تعلمين أننا سنكون رائعين معاً.»

كـان ذلك في التـاسع والعشرين من ابريل (نيسان) عام ١٩٤٩. وتزوجنا في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) في طقس ممطر عاصف. يومذاك فضّلت انتظار انقطاع الأمطـار كي لا أصل الى قاعة الاحتفال كجـرذ مبلول، فتأخرت اثنتـين وعشرين دقيقة. وكـان سؤال وارن الرومنطيقي لحظة وصولي: «ما الذي أخرك؟»

أنجبنا خمسة أولاد وعشنا بسعادة الى أن توفي وارن بعد خمس عشرة سنة وهو في الخامسة والأربعين.

وجـدت صعـوبـة كبـيرة في اختيـار الافكار التي أودّ ذكرها عن وارن عندما بدأت العمل على كتاب التقـدير هـذا[1]. ولم أستطـع أن أكتب بكآبـة اكرامـاً لروحه المرحة، فما زال الأهل والأصدقاء يقهقهون لمجرد ذكر اسمه. لذلك اطلعت على بعض الذكريات المتألقة التي كتبها آخـرون عن أحبائهم كي أحصـل على بعض الأفكار:

كـان الأول في صفـه. لكن هـذا لا ينطبق على وارن. فعلى رغم أنه كان من أذكى النـاس الـذين عـرفتهم إلا أن سجلّه المدرسيّ كان عادياً جداً. حصـل مرة في مادة الكيمياء على ١٧ نقطة من مئة فعلل ذلك بقوله: عندمـا لمحت تلك

(١) هـذا المقال مقتبس من كتـاب "Family Portraits" بقلم ماري هيغنز كلارك.

المعادلات الكيمائية على اللوح رحت اسائل نفسي أي فيلم سأحضرتلك الليلة.

كان بطل حرب عاد الى الوطن مكللاً بالغار. أُدرج إسم وارن في أول فوج من المجندين قبل غزو «بيرل هاربر»، لكنه رسب في برنامج لتدريب الطيارين لأنّهُ كان مصاباً بعمى الألوان. فقضى ٦١ شهراً «يدافع» عن بلاده.

كان ارتقاؤه صاروخياً في دنيا الأعمال. في الحقيقة لم يكن وارن كذلك أبداً. بدأ بائعاً في شركة بواخر. ومع أنّه كان بائعاً بالفطرة إلا أن راتبه كان هزيلاً ولا يتضمن علاوات أو عمولات. قال وارن: «الفوائد الجانبية عظيمة لأننا نستطيع الذهاب في رحلة بحرية حول العالم في الدرجة الأولى كل سنتين. المشكلة الوحيدة هي أننا لن نقدر على إعطاء المضيف بقشيشاً.»

ثم حصل على وظيفة في بيع أجهزة للسمع. وكانت عودته مرة الى البيت ومعه هاون ومدقّة وسخّان واناء مليء بالشمع وخيط هي إشارة أولى الى غرابة عمله. فهو لم يكن يعلم في البداية بوجوب أخذ «بصمة» شمعية لأذن الشاري العتيد.

ومن الطبيعي أن يتمرن وارن على «بصم» الأذن البشرية. لذلك أصبحت أنا حقل تجارب. وكان عمر ابنتنا البكر ماريلين ستة أسابيع، فكنت أجلس في الأريكة أرضعها فيما يبدأ وارن تجاربه فيقول: «حاولي ألا تتحركي.» وبحذر شديد يحشو أذني كتلاً من الشمع الذائب. وما ان يجمد الشمع حتى يشدّ الخيط آملاً الحصول على مجسم كامل. ونادراً ما نجحت العملية.

عاد وارن بعد فترة وجيزة الى حقل السفريات حيث ينتمي. وأصبح مديراً إقليمياً لشركة خطوط جوية حتى وفاته.

كان زوجاً لا مثيل له. كنت أشعر بانسجام تام مع وارن، ولكن ليس بالمقاييس الحالية حيث يتعاون الزوجان في التسوق وإدارة شؤون المنزل وحتى في تغيير حفاظات الأطفال. ولدت ماريلين قبل تسعة وثلاثين عاماً. وقد أوصلني وارن الى المستشفى ثم أُرسل الى البيت لينام بهناء.

كانت ولادة عسيرة وطويلة. وفي صباح اليوم التالي انتابتني آلام حادة في شكل نوبة كل نصف دقيقة. جلس وارن بقربي يبحث بصمت عن كلمات تواسيني، وقال أخيراً بابتهاج: «إنكِ على الأقل لا تتوجعين بين النوبة والأخرى.» عندئذ رفعت رأسي واستندت الى مرفقي وقلت له: «أخرج من هنا.»

عندما بلغت ماريلين أسبوعها السادس قال لي وارن: «انظري. سأساعدكِ في اطعامها ليلاً. كل ما عليك عمله هو تسخين زجاجة الحليب وتغيير الحفاظ وأنا أتكفل بالباقي.» حاولت إيقاظه تلك الليلة فقام بعد عشر دقائق. سلّمته ماريلين بامتنان وعدت الى النوم.

لكن عويل الطفلة أيقظني بعد بضع دقائق. وجدت وارن في نوم عميق والطفلة بين يديه وزجاجة الحليب تقطر بالقرب من أذنها.

كان أباً لا مثيل له. فشل وارن كمساعد للأم، لكنه نجح في أن يكون أباً رائعاً. فعلّم أولاده حسنات الاخلاص والكرم والمرح. كما علمهم أن يتقبلوا الحياة كما هي وأن يستمتعوا بها ما داموا أحياء. وهو تطوَّع لتدريب أولاد الحي على لعبة البيسبول (كرة القاعدة). وأصر على أن يلعب كل صبي في مباريات الفريق مهما يكن ضعيفاً أو غير موهوب.

كان مصدر إلهام لكل الذين عاشروه. بدأ وارن يشعر بآلام في صدره عندما بلغت ابنتنا الصغرى باتي شهرها الثامن. اعتقدنا لمدة ثلاثة اسابيع أن سبب هذه الآلام تقلّص أو التواء عضلي. بعد ذلك ألححت على وارن كي يخضع لفحص طبّي، فإذ بالطبيب يخبرنا أنه معرّض لنوبة قلبيّة. وتعيَّن على وارن أن يحمل في جيبه دائماً أقراص «نيتروغليسرين» وألا يركض وراء الحافلة أو يحمل حقيبة ثقيلة أو يمارس اللعب الخشن مع الأولاد.

عندما عاد وارن الى البيت في تلك الليلة قفز عليه الأولاد من كل صوب. وأحضرت أكواب الشراب التي حضّرتها قبل عودته، وشربنا نخب حياتنا معاً وعشنا سعداء حتى اللحظة الأخيرة.

تعرض وارن لثلاث نوبات قلبية خلال السنوات الخمس التالية: لكن روحه المرحة لم تهن أبداً. كان يقول لي: «لا تكوني أرملة نضرة منوّرة، حاولي أن تبدي هزيلة وكئيبة حقاً.» لم أعرف أحداً أسمى منه في حب الحياة، وفي تركها.

سيبقى دائماً معنا. أجل. لقد مضت على وفاته خمس وعشرون سنة، ومع ذلك فكأنه يعايش الأولاد في أثناء نموهم. فذات يوم بعد وفاته بثلاث سنوات عاد الأولاد من المدرسة فرحين: «لا بد أن بابا كان سيفخر بنا، فقد خضعنا لامتحان الذكاء وجاءت النتيجة أننا لا نحتاج الى أي تدريب في المهارات الآلية.»

لقد ورثوا جميعهم سرعة البديهة عن والدهم.

قال السر توماس مور[٢] لصديق له مواسياً قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهما: «أنا واثق بأننا سنلتقي في الجنة ونحن في كامل ابتهاجنا.»

وأنا متأكدة أنني عندما أصل الى هناك سيكون وارن ف. كلارك في غمرة الابتهاج. وقد يحيطني بذراعيه ويسألني ذاك السؤال الذي طرحه يوم عرسنا: «ما الذي أخرك؟»

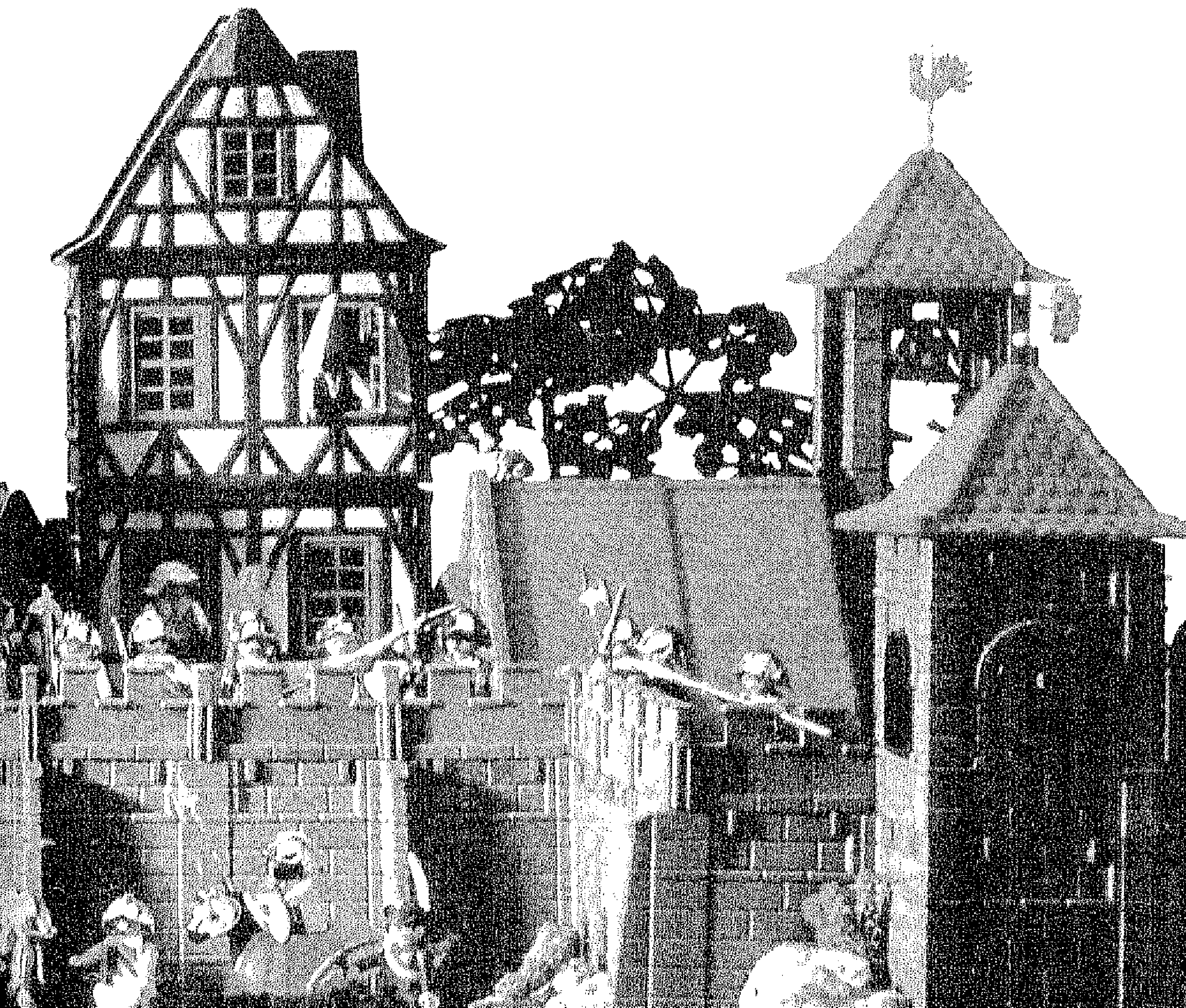
ماري هيغنز كلارك ■

(٢) سياسي وكاتب بريطاني أعدم عام ١٥٣٥.

بلايموبيل

دنيا من بلاستيك

رواد في محطة فضائية
وفرسان أمام قلعة
وقرويات في السوق. كا
زام من بلاستيك



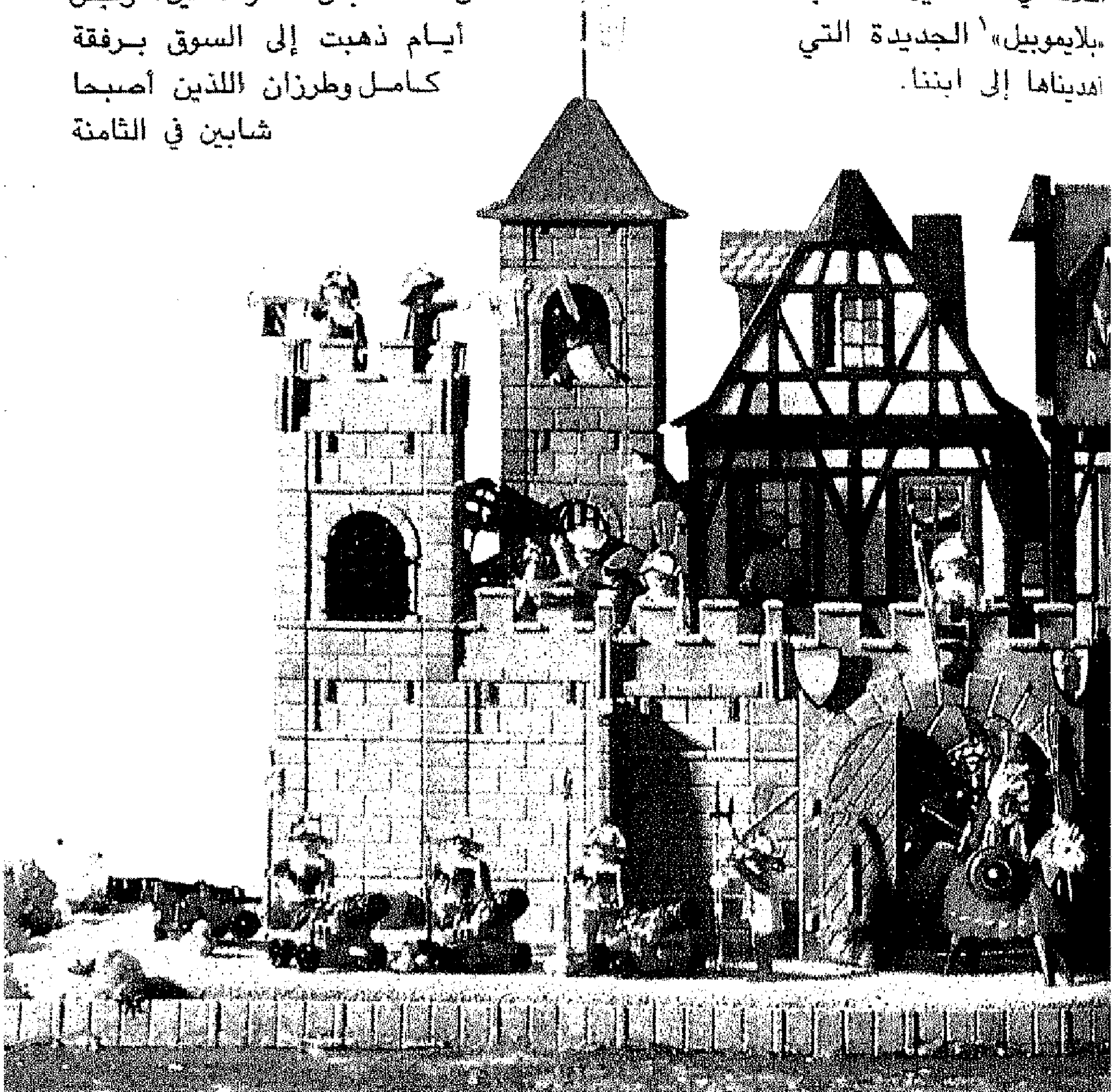
خيّم صمت مطبق على غرفة الاولاد. عندما يلعب ثلاثة صبية في الثامنة من العمر فان السكون مؤشر أكيد للام بأن شقاوةً ما ستُرتكب.

توجهت إلى الغرفة على رؤوس أصابعي، فرأيت ابني كامل وصديقيه طرزان وصافي منبطحين أرضاً يصفّون ملكاً وملكة وعشرات الفرسان والحرّاس والخيول استعداداً للمبارزة. لقد انشغل الثلاثة في «تدشين» ألعاب «بلايموبيل»[1] الجديدة التي اهديناها إلى ابننا.

كوّر طرزان يديه أمام فمه وأطلق ما يشبه صوت بوق، فتبدد السكون. وأخذ الصبيان الثلاثة يحركون الاشكال بأيديهم، وتعاقبوا على تمثيل أدوار الملك والملكة والفرسان المنتصرين والمهزومين.

عندما انتهت المبارزة فككوا مشهد القلعة وبنوا سوقاً ناشطةً. وتحوّل الفرسان تجاراً وحرفيين وغدت النساء زوجات مزارعين.

حصل ذلك قبل عشر سنين. وقبل أيام ذهبت إلى السوق برفقة كامل وطرزان اللذين أصبحا شابين في الثامنة

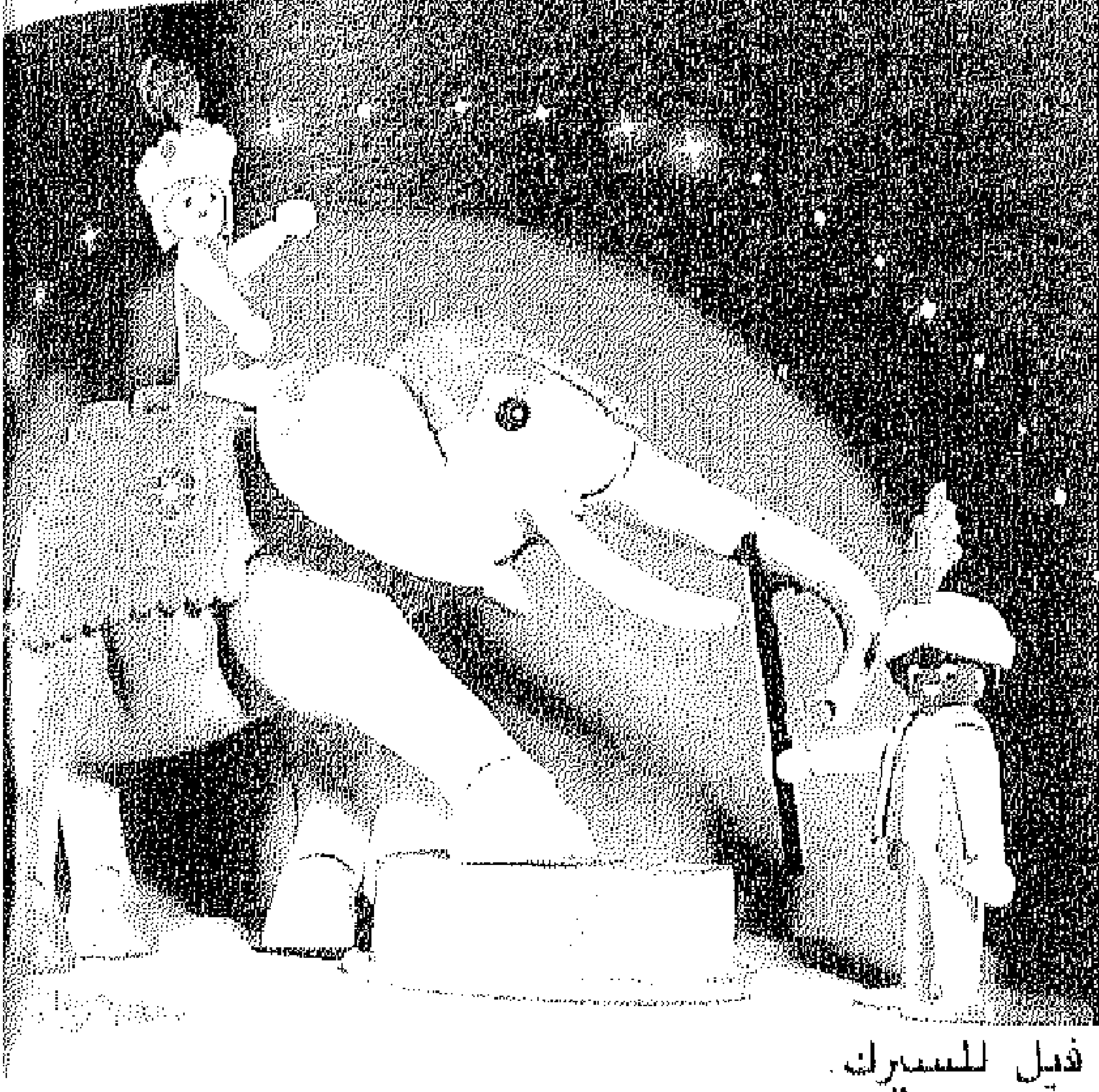


عشرة من العمر. وإذ بهما يتوقفان أمام واجهة متجر يعرض ألعاب طفولتهما المفضلة. فصرخ كامل بحماسة: «أنظر إلى كل هذه الانواع الجديدة، أليس مؤسفاً أننا أصبحنا بالغين لا نستطيع اللعب بها؟»

لقد تحوّلت «بلايموبيل» عالَم ألعاب بعد نشأة متواضعة عام ١٩٧٤ عندما أنزلت إلى الأسواق ثلاث مجموعات في رزم تحوي الواحدة منها خمسة بنائين أو فرسان أو هنود مع ملحقاتها. وهي تقدم اليوم أفكاراً من جميع الأنواع. فهناك ورشات بناء مع رافعات وخالطات اسمنت، وفي امكان الاولاد بناء محطة فضائية أو السفر عبر التاريخ والابحار على متن سفينة قراصنة.

هولا - هوب. «سكان» هذه المشاهد أشكال بلاستيكية يصل طولها إلى ٧،٥ سنتيمترات. وثمة ٧٠٠ مليون قطعة منها في أنحاء العالم. وهي صممت


اطفال في عربة جليد.


فيل للسيرك.

لتروق الاولاد الذين تراوح أعمارهم بين الخامسة والتاسعة. وفي العام ١٩٨٨ وحده استُهلك منها نحو ٦٠٠٠ طن.

رفع هذا النجاح الباهر شركة «جيوبرا براندستاتر» الالمانية الغربية إلى مصافّ كبرى شركات الالعاب العالمية. يقول هورست براندستاتر صاحب الشركة ومديرها: «تكرر على مسامعي طوال سنوات أن منتجات بلايموبيل شديدة التواضع والبساطة. لكننا تعمدنا ذلك، فالالعاب يجب أن تطلق العنان لعواطف الاطفال وخيالهم. ان الالعاب المتنوعة التي يمكنهم ابتكارها بواسطة بلايموبيل هي سبب رواج منتجاتنا.»

قطعت «جيوبرا براندستاتر» أشواطاً كبيرة منذ أسسها أندرياس براندستاتر عام ١٨٧٦ وهو صانع مسدسات وأقفال في فورث. وقد أمضى أربعين سنة في صناعة أشكال معدنية زخرفية، إلى أن بدأ ابنه جورج صنع ألعاب ومنتجات

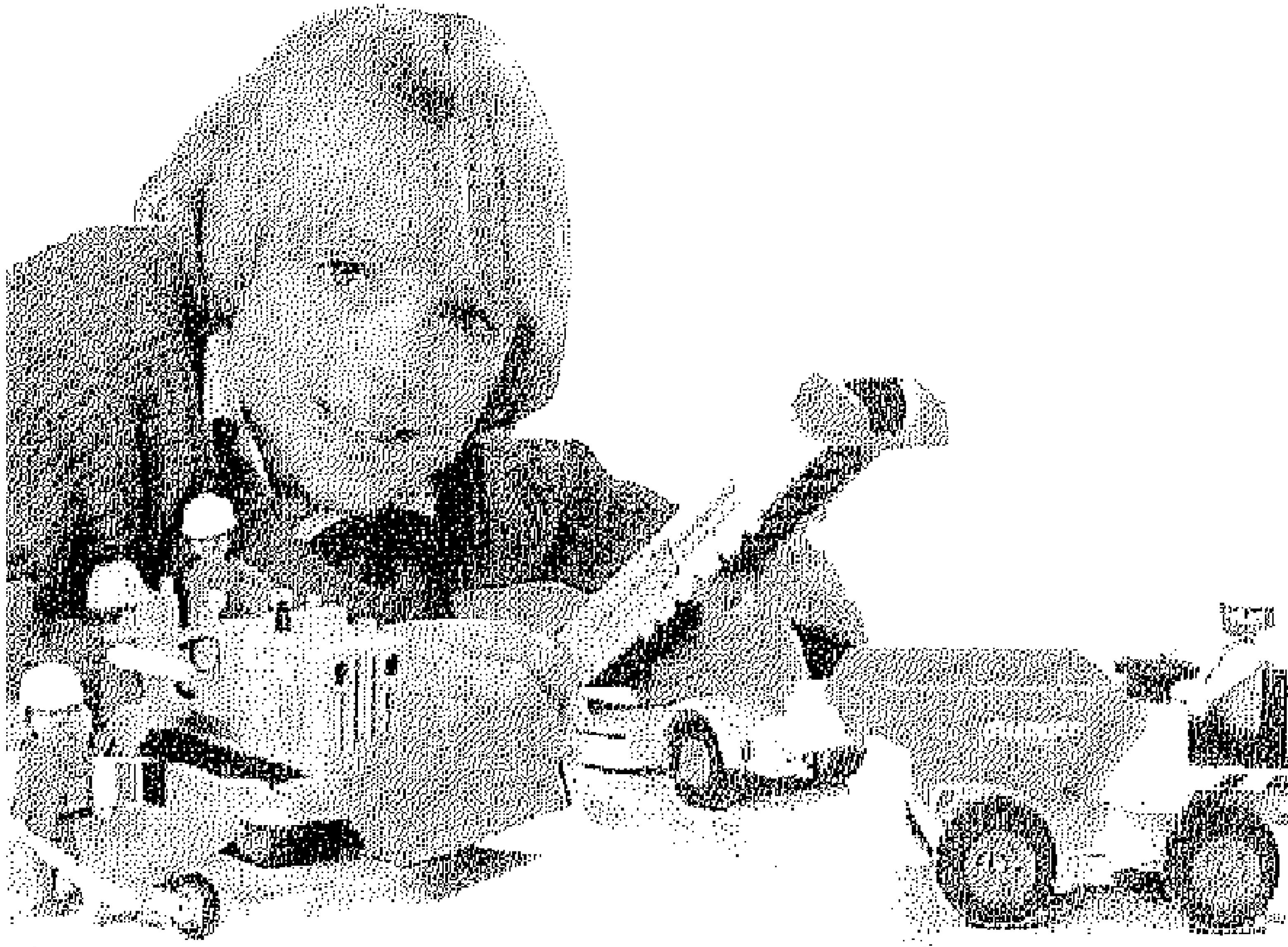
معدنية مختلفة وبيعها. ونُقلت الشركة عام ١٩٢١ إلى زيرندورف احدى ضواحي نورمبرغ حيث لا تزال مكاتبها الرئيسية.

بعد الحرب العالمية الثانية أبدلت الشركة المعدن بالبلاستيك وتركز إنتاجها على لعب الهاتف ولوازم متاجر الالعاب. وعندما وصلت صرعة الـ «هولا ـ هوب» من الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات أحرزت «جيوبرا براندستاتر» نجاحاً باهراً بانتاجها هذه الدواليب للسوق الالمانية.

شجّع هذا النجاح الشركة على العمل في ميادين جديدة: تجهيزات الكترونية ومراكب رياضية مطاطية وزلاجات وسواها. وسرعان ما فتحت فروعاً في مدينتي ديتنهوفن وانترنبيبرت المجاورتين وفي جزيرة مالطا. ويصرِّح هورست براندستاتر مدير الشركة منذ العام ١٩٥٤: «لكن الالعاب ظلّت إنتاجنا الرئيسي.»

صانع الالعاب. بدأ الوضع يتغير في أواخر الستينات. فالمنتجات المفردة، كحصالات النقود والجرارات المصغرة التي يتطلب تطويرها كلفة باهظة، لم تعد تلبي توق الزبائن إلى كل ما هو جديد عندما يحتشدون كل سنة في مهرجان الالعاب الذي يقام في نورمبرغ. ثم إن اليابان وهونغ كونغ اكتسحتا السوق الاوروبية بألعاب بخسة الثمن. فركزت «جيوبرا براندستاتر» انتاجها في ميادينها الأخرى، كما بدأت تنتج طاولات ومكتبات للاطفال.

لكن صاحب الشركة لم يكف عن التفكير في الالعاب. وهو رأى أن مصلحة الشركة هي في انتاج مجموعة ألعاب تُلحَق بها زيادات منتظمة مما يلبي حاجة السوق إلى التجديد، فتؤمن هذه المجموعة أساساً متيناً لا تبطل «موضته» مع الوقت. وفي العام ١٩٧١ طلب من مدير التطوير في الشركة هانس بك درس المسألة.



كان بك نجار أثاث في الثانية والاربعين من عمره ومدركاً لرغبات الصغار. ويقول: «كان لي ثمانية أشقاء وشقيقات وكلهم أصغر مني سناً. وكنت أصنع لهم ألعاباً وحيوانات، ومرة صنعت بيتاً للعبة.»

عاد بك إلى ابتكار أشكال مصغرة. وكان هناك عنصران مهمان في هذه الاشكال: تحرُّك اليدين والرجلين والرأس، واضفاء تعبير محايد على الوجه. يقول بك: «أردت لعبة تثير الطفل





نسكافه

قهوة اللحظات السعيدة!

نسكافه قهوة صافية
محضّرة من أجود انواع البن
في العالم.
كوبٌ من نسكافه في الصباح
وفي أيّ وقتٍ من النهار يُعيد
اليك الحيويّة والنشاط.
أهنأ الأوقات تقضيها مع عائلتك
والأصدقاء بصُحبة نسكافه
اللذيذة والمُنشّطة.

نسكافه

قهوة الشباب العصريّ الناجح

وتطلق العنان لخياله.»

بعد أربعة أسابيع عرض بك على رئيسه أول نموذج ملوّن من أشكال «بلايموبيل» البلاستيكية. وعلى رغم بعض الشكوك التي ساورت براندستاتر فانه أعطى الفنان الضوء الاخضر. وهيئت قوالب لاختبار نوع البلاستيك الذي اقترحه بك. غير أن الانتاج لم يبدأ الا عندما هزت الشركة أزمة خانقة.

عملية الانتاج. عندما بدأت أزمة النفط عام ١٩٧٣ ارتفعت أسعار البلاستيك الخام على نحو مفاجيء. وبات إنتاج السلع الكبيرة، كالطاولات، مكلفاً جداً. وهكذا تعرّف الجمهور إلى «بلايموبيل» في معرض نورمبرغ للالعاب عام ١٩٧٤.

وفي المعرض لاقت ترحيباً فاتراً. ويذكر براندستاتر زبوناً قال له: «لقد صنعتَ كثيراً من الاشياء الجميلة وبعضاً من الاشياء المتوسطة الرواج، لكنك لم تصنع أبداً أشكالاً ميؤوساً منها كهذه.» وبعد حين قدّم وكيل دانمركي طلب شراء، فحذا بعض الالمان الغربيين حذوه.

في أواخر صيف ١٩٧٤ حققت «بلايموبيل» نجاحاً فورياً على رفوف المتاجر. وبنهاية العام بلغت مبيعاتها من المجموعات ثلاثة ملايين مارك.[٢] وفي العام ١٩٨١ بلغت العائدات ١٠٠ مليون مارك، وهي حالياً تقارب المئتي مليون مارك سنوياً. وفتحت الشركة فروعاً في اسبانيا وفرنسا وهولندا وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا. ويتم تصدير نصف الانتاج. ويعمل في الشركة وفرعها ١٧٤٠ موظفاً، أربعون منهم في قسم التطوير الذي يديره بك. ويقول هذا: «كنت دائماً مقتنعاً بأن بلايموبيل لعبة جيدة لأنني لاحظت العفوية التي تقبلها بها الاطفال، لكني لم أحلم قط بأنها ستحقق هذا المقدار من النجاح.»

وتنتج الشركة اليوم تشكيلة رائعة من الرزم، بدءاً بنموذج واحد مع ملحقاته بـ ٤،٥ ماركات وصولاً إلى جهاز القطار والسكك بـ ٢٥٠ ماركاً. وتصمم كل قطعة جديدة على الورق أولاً، ثم يصنع لها نموذج بلاستيكي يُجعل «مسطرة» للانتاج. وتتطلب الاشكال المنحنية والمتعرجة نموذجاً بضعفي أو ثلاثة أضعاف حجم النسخة الاصلية. ويشرح هانس يواكيم فوهريش مدير الورش في ديتنهوفن عملية الإنتاج: «تقتفي آلة شكل النموذج وتنقل المعلومات إلى أقطاب كهربائية نحاسية تتولى النحت داخل قوالب فولاذية لاعطائها شكل النموذج المطلوب.»

ولانتاج القطع التجارية توصل هذه القوالب بآلات تضخ فيها البلاستيك الخام عبر أنابيب. وخلال ثوانٍ تنفتح القوالب وترمي القطع الناجزة التّي تبرد وتسقط في أوعية واسعة. وتُصنع غالبية ألعاب «بلايموبيل» في أجزاء تُجمع لاحقاً.

وفيما تُجمع الاشكال في مصنع

مالطا، ترسل قطع أخرى إلى متعهدين أو حرفيين يعملون في منازلهم أو إلى مشاغل المعاقين.

أفكار لا تنضب. تجرّب بعض الابتكارات الجديدة في دور الحضانة لاختبار تجاوب الاطفال واياها ومدى متانتها. وقد تبين أن البلاستيك متين جداً. لكن المكنسة الكهربائية هي العدو اللدود للالعاب اذ تلتهم أجزاء صغيرة منها كخوذة سائق الدراجة النارية أو مجرفة صندوق الرمل. لكن «جيوبرا براندستاتر» وجدت الحل في تشكيلة كبيرة من قطع الغيار.

ويشيع استعمال «بلايموبيل» في دور الحضانة والصفوف الابتدائية. وتقول آن كريتنر وهي عالمة نفس مختصة بالاطفال: «يلاقي معظم الاطفال صعوبة في التعبير عن مشاكلهم بالكلمات، وبلايموبيل تتيح لهم تمثيل أدوار مختلفة. فالطفل الذي يعاني مشاكل في المدرسة قد يختار دور المعلم الذي ينهر الطلاب. وهكذا أقف أنا على حقيقة مشاعره.»

و«بلايموبيل» وسيلة فاعلة للعمل مع الاطفال المتخلفين عقلياً. فبواسطة هذه الأشكال يستطيع الاهل أو المعلمون عرض التصرّف المرجو على نحو أبلغ من الكلام.

ويستعين المعلمون بالالعاب لاثارة اهتمام الاولاد المفتقرين إلى حوافز.

ويذكر برنارد فيشر: «عندما كان تلاميذي في الصف الابتدائي الثالث يقرأون قصة صياد سمك وجد بعضهم صعوبة في استيعاب النص ففقدوا اهتمامهم به. وذات يوم أحضرت إلى الصف مركب صيد من مجموعة بلايموبيل، فركبه الاولاد بسرعة متعلمين في الوقت ذاته اتباع التعليمات.» وفي الحصص التالية طلب فيشر من الاولاد قراءة مقاطع من النص وتمثيل المشاهد مستعينين بالمركب. وسرعان ما فهم الاولاد الكتاب جيداً.

على مر السنين حصدت «بلايموبيل» جوائز عدة في التصميم والصناعة. ومُنحت في بريطانيا وهولندا لقب «لعبة السنة.» ونالت في أسوج (السويد) جائزة «برونت» للعام ١٩٨٠. ويقول ليسلوت بي من لجنة «سبيل غوت» لاختبار الالعاب وتقويمها في المانيا الغربية: «لقد عمل الصانعون بفطنة وحس أكيد بالتصميم فجسدوا أناساً حقيقيين في عالم الالعاب.»

سئل هانس بك مرة عن احتمال أن يأتي يوم يعجز هو عن اختراع ألعاب جديدة، فأجاب: «قبل أن أخترع شكلاً أو حيواناً أو مشهداً لبلايموبيل أراقب الطبيعة والحياة اليومية. وأمام هذا التنوّع الذي أراه هناك لا أتصور أبداً أن الافكار ستنفد مني.»

إدلغارد سيمون ■



فنون الدّفاع عَن النفس

إن اتخاذ الموقف الدفاعي الحكيم قد ينقذك من حادث اعتداء

استغرق الحادث ثواني معدودة: عند الغسق، في شارع يعج بالمارة، رحت أسير الهوينا. جزداني يترنح على كتفي ويداي غارقتان في جيبي. فجأة دنا مني رجل آت من الجهة المقابلة ودس ذراعه تحت رباط الجزدان وتابع سيره. وفيما أنا أقسع أطبقت ذراعيّ لاشعورياً بإحكام، فجرني في الشارع وأنا أصرخ. لكن أحداً لم يبادر إلى مساعدتي. وأفلت الرجل ذراعه على حين غرة واختفى وسط الزحام وتركني دامية الركبتين ملوية الذراعين.

علمت لاحقاً أن في استطاعة أي امرىء أن يأخذ بعض التدابير الاحترازية البسيطة لحماية نفسه من الاعتداء. وتقضي القاعدة الاولى بألا تظهري مظهر ضحية أو تتصرفي كضحية: كوني متنبهة، وسيري بثبات، وابقي يديك على أهبة للدفاع. أنا كنت الضحية المثالية، أسير ويداي في جيبي حاملة بالحفلة التي دعيت إليها. وقد اختارني المهاجم من بين الحشد ومن بعد ٥٠ متراً على الأقل.

كذلك أخللت بالقاعدة الثانية: لا

ILLUSTRATIONS: ANDREW ALOOF, FROM "WHAT TO DO IN AN EMERGENCY,"

تتمسكي بمحفظتك أو بنفائسك. فما من غرض تقتنينه يعادل سلامتك وحياتك. والتصرف الصحيح الوحيد الذي فعلته هو الصراخ. فما من معتدٍ يحب اجتذاب الأنظار.

كلنا نملك أسلحة فاعلة: أظافير للخدش وأسنان للعض ومرفقين للوكز وركبتين وقدمين للرفس. ولكن يبقى السلاح الأقوى هو التصرف الملائم، وبه يستطيع المرء أن يتخلص من غالبية المعتدين ويصل إلى مكان آمن مهما يكن صغيراً أو عجوزاً أو ضعيفاً.

يحكى أن سيدة في السبعين تملك منها التهاب المفاصل حتى باتت عاجزة عن السير من دون عصا. وذات يوم حاصرها ثلاثة فتيان في زاوية شارع، وكانت قبضت لتوها معاشها التقاعدي. وحاولوا سلبها. فثار غضبها وأوسعت أحدهم ضرباً بالعصا حتى كسرت له ضلعين وأوقعته أرضاً وجلست فوقه في انتظار الشرطة. أما رفيقاه فوليا الأدبار.

يقول سيمون أوليفر الذي يعلّم قواعد الدفاع عن النفس في أحد المراكز الاجتماعية: «لقد نمّى المتقدمون في السن قوة في الشخصية. وموقفهم الواثق ازاء العنف ينقذهم مراراً.»

ويضيف فريد أدامز رئيس جمعية «هواة الكاراتيه» ومدير صفوف الدفاع



اجزاء الجسم الطرية هي الاكثر حساسية. وإذا سببت الماً للمعتدي في هذه الاماكن فقد تكسبين وقتاً يمكنك من الهرب. قاومي اعتداءً أمامياً برفع ركبتك وتسديدها إلى الاربية (اصل الفخذ) او بنقر العينين باصبعين موجهتين.

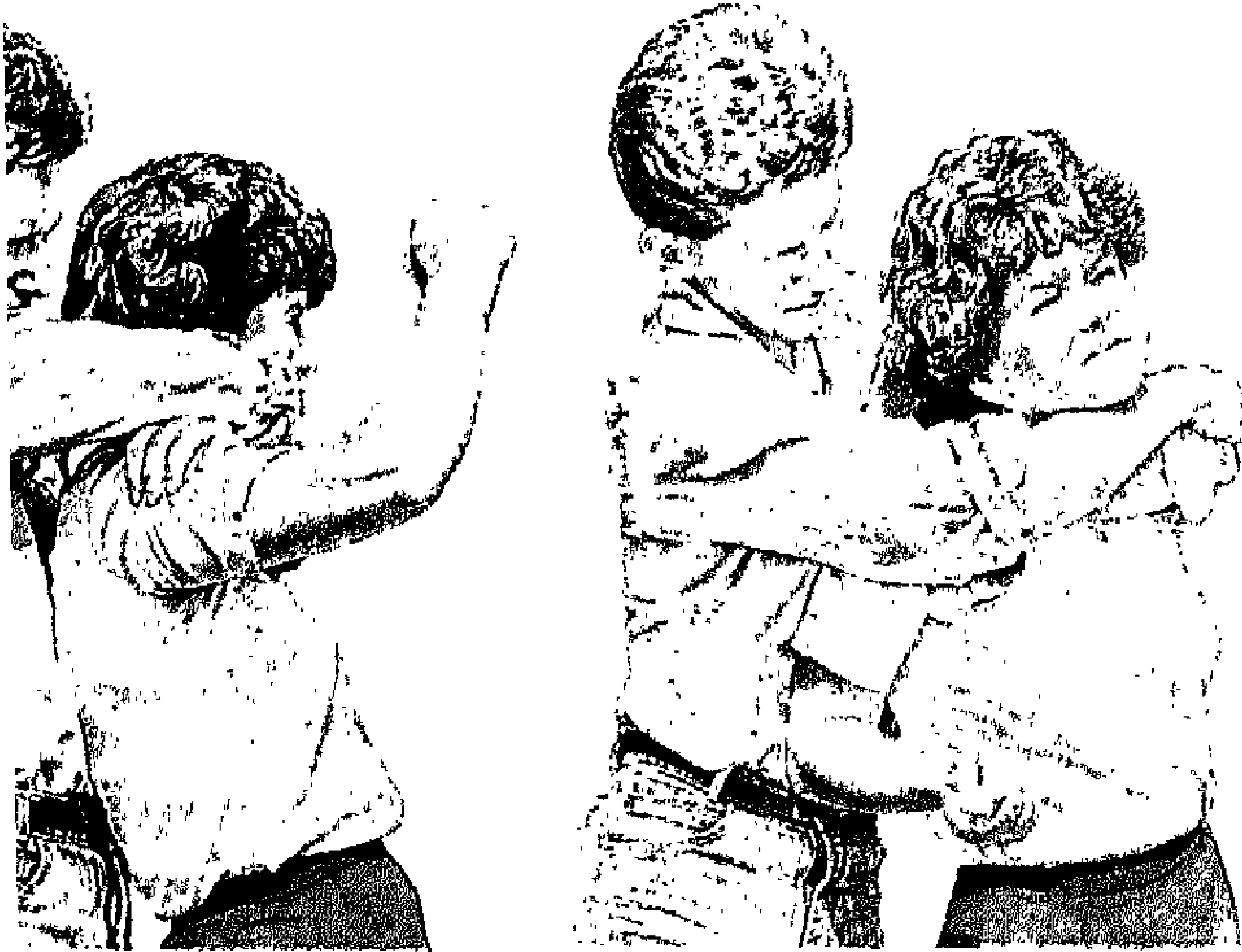


عن النفس للمواطنين المتقاعدين: «على النساء أن يطلقن عدائيتهن الطبيعية. فالاستسلام قد لا يحمي الضحية من الأذية الجسدية.»

ويلقن أدامز المسنّين حركات سهلة صممت لكي تسبب ألماً مبرحاً فجائياً يلهي المعتدي برهة تتيح للضحية الهرب. وأعطاني برهاناً عندما قرص الجلد تحت ذراعي ولواه وجذبه بحركة

جرائم العنف الذين شملهم الاستطلاع أنهم بذلوا بعض الجهد لحماية أنفسهم. ويعتقد ٦٠ في المئة من هؤلاء أن مقاومتهم كانت مثمرة.

ومع ذلك تتباين الآراء حول جدوى تلقين الناس وسائل الدفاع عن النفس. وتقول هيلين مديرة «الجمعية الوطنية لدعم الضحايا» في بريطانيا: «من الخطر إقناع الناس بأنهم قادرون على حماية



المعتدي من الخلف معرض للأذية فاغتنمي الفرصة وسددي بمرفقك ضربة إلى معدته فيما أنت تستديرين قليلا لدعم الضربة بثقلك.

واحدة. قال: «هذه الطريقة فاعلة في أي جزء طري من الجسم. أما إذا لم يسعك سوى الوصول إلى وجهه، فحاولي الإمساك بشفتيه بين سبابتك وابهامك مستعينة بأظفارك، ثم اجذبي الشفتين والويهما في اتجاهين معاكسين.»

أظهر استطلاع رسمي أجري حديثاً في الولايات المتحدة أن الضحية تكون محظوظة إذا قاومت الإعتداء في بعض الحالات. وأكد نحو ثلاثة أرباع ضحايا

أنفسهم من كل اعتداء في حين يكونون عاجزين أحياناً. كما أنهم في هذه الحال قد يشعرون بالذنب وبأنهم مسؤولون عن الهجوم.»

وتؤكد مصادر الشرطة أن على المرء تقويم الوضع قبل أن يقرر القتال أو الامتثال. لكن الشرطة تؤثر، عموماً، أن يأخذ المواطنون تدابير وقائية حكيمة ويبقوا على استعداد لجبه الخطر. ويقول الرقيب جون بلاي من شرطة لندن التي

تنظم للمواطنين دورات للدفاع عن النفس: «ان ما نريد قوله لكل مواطن من خلال هذه الدروس هو الآتي: لا تكن ضحية مستسلمة. لا تتحدَّ وتقاتل، إنما استغلّ عنصر المفاجأة ثم لذ بالفرار.»

ولكي أتبين الأمر بنفسي. قررت متابعة دورة من ثمانية دروس أسبوعية يعطيها شرطيون متطوعون. وكانت الصفوف مخصصة بالنساء القاطنات في مدينة لندن أو العاملات فيها. أما رفيقاتي في الصف فكن في أوائل العشرينات، وهذا أمر غير مألوف. فالدورات السابقة ضمت نسوة في العقدين الخامس والسادس، وبينهن عجوز تعرضت لثلاثة اعتداءات وأقسمت على ألا تكون ضحية اعتداء رابع.

بدأ مدرسونا، مايك وديان وبول، اعطاءنا بعض التمارين الشاقة على حشية جودو. ثم لقننا بول طريقة لكم المهاجم في أماكن حساسة من جسمه. قال لنا: «عندما تكنَّ خائفات حولن شعوركن هذا غضباً واضربن المعتدي تحت أنفه وعلى رقبته تحت الأذن وفي تجويفة العنق. ولكن أضربن بسرعة وبقوة.»

تمرنت مع شريكتي جاكي بحذر شديد أولاً خشية أن تؤذي الواحدة منا الأخرى. فقالت لنا ديان هازئة: «هذا لن ينفع إذا اعتدى عليكما أحد.» ثم استعانت بي لتظهر كيف نضرب مهاجماً بالمرفق على الضلوع بينما نلوي ذراعه إلى الوراء. وأضافت: «يتطلب الأمر حركتين: الاولى للالهاء والثانية لشل المعتدي، هكذا...»، وإذا بي أقع على الحشية في لحظة.

تمرنّا مداورة خلال ساعتين على ليّ الذراعين ورفس مقدم الساق. وكان مايك الذي أمضى ثماني وعشرين سنة كشرطي خاص يصحح أخطاءنا بكياسة ايرلندية: «إذا أمسكتِ بيد الرجل ولويتها إلى الوراء فيمكنك كسر معصمه بسهولة.»



البراجم (العقد) والاصابع الصلبة أسلحة فاعلة لضرب تجويفة العنق بقوة وسرعة.

ازدادت الدروس تعقيداً كل أسبوع. وتعلمنا جمع حركتين أو أكثر للحصول على فاعلية أوفى. ويرى بول أن «المفاجأة هي العنصر الأهم. أنقري عينيه بأصابعك لالهائه، ثم الكمي قصبته الهوائية أو بطنه بمرفقك، ثم سددي بركبتك ضربة إلى إربيته واهربي.»

أنهينا الدروس وقد غمرنا شعور مضاعف بالثقة وبقدرتنا على الدفاع عن

أنفسنا إذا دعت الحاجة. وزُودنا النصائح الوقائية العملية الآتية: تجنبي السير وحيدة في الطرق المظلمة. وإذا ركبت حافلة فاجلسي بالقرب من السائق أو الحارس أو احدى الراكبات النساء. ابقي أبواب سيارتك مقفلة أثناء القيادة، وأوقفيها في أماكن نيِّرة، وتحققي من داخلها وخصوصاً من المقعد الخلفي قبل ولوجها. وإذا اضطررت إلى ركوب سيارة أجرة فيستحسن الاتصال بمكتب معروف. احرصي على تركيب منظار ومزلاج في باب البيت، ولا تفتحي لغريب.

إن حمل السلاح للدفاع عن النفس أمر خطر ومناف للقانون أحياناً. وليس المقصود بالسلاح المسدسات والبنادق فقط، بل الامشاط الحادة الاطراف والسكاكين والمرشّات الكيميائية. إلا أن رذاذ الشعر (سبراي) والعصي وأجهزة الانذار الشخصية وسائل قانونية. ومفاتيح المنزل أو السيارة أسلحة فاعلة جداً أيضاً، فقد يتسبب المفتاح في أضرار جسيمة إذا استعمل كسكين. تعودي حمل مفاتيح المنزل في يدك قبل أن تصلي إلى المدخل.

ذات يوم في السنة الماضية كنت عائدة إلى البيت في ساعة متقدمة من الليل، فهاجمني أحدهم في الشارع. تملكني الرعب، ثم استبد بي الغضب؛ فطعنت ظاهر يده بمفتاح الباب وصرخت وأنا أرفسه بقوة على مقدم رجله، وركضت إلى متجر قريب يفتح ليلاً.

وفي اليوم التالي اشتريت جهاز انذار شخصياً بأربعة جنيهات استرلينية (٦،٥ دولارات). وبتّ أحمله في جيب معطفي، وعندما أضغطه يطلق زعيقاً يوقظ حياً بكامله.

وقد شرع بعض أرباب العمل في اعتماد دورات تدريبية للدفاع عن النفس. أعرف شركة تعرض على موظفيها شريط فيديو عن تقنيات الدفاع عن النفس، وهي زودت جميع الموظفات أجهزة إنذار شخصية. وينظم بعض دوائر الشرطة صفوفاً مجانية للتدريب، كما تعطي نوادي الفنون القتالية دورساً خاصة بأسعار متهاودة.

كلما زادت مهارتك الدفاعية أصبحت أقل عرضة للخطر. ويقترح الخبراء هذه التقنيات البسيطة:

□ أصرخي: «حريق!» ولا تصرخي: «النجدة!» فهكذا يزداد عدد الذين يستجيبون للنداء.

□ علقي صفارة عالية الصوت حول عنقك بخيط ينقطع بسهولة.

□ إذا وقعت أرضاً، أبقي إحدى ركبتيك مرفوعة إلى صدرك، لكي تتمكني من التدحرج ككرة فيصعب تثبيتك.

□ إن ضربة قوية بعقب اليد تسدد إلى ذقن المعتدي كفيلة بكسر فكه.

□ إذا أمسكك أحدهم من الخلف، اجمعي كفك وسددي قبضة قوية بالبراجم (عقد الاصابع) على ظاهر يده.

إليز بيكيه ■

الأب الصالح هكذا يعامل ابنته

أنت تعنى بها وتهتم لها، لكن العبرة التي يوحيها تصرفك قد لا تعزز ثقتها بنفسها واحترامها الذاتي

ان الدراسات التي أجريت على الاناث الناجحات والشهيرات أظهرت أن دور الأب خطير في نشوء ابنته، فللآباء المرشدين تأثير عميق في بناتهم. أنت السند الذكر الأول في حياة ابنتك، فأنت الذي تؤثر فيها مزوداً اياها احترام الذات والثقة بالنفس الضروريين للتحصيل الشخصي والمهني والأساس الراسخ الذي تبني عليه حياتها.

ليس ثمة أسلوب أمثل للتصرف. هنالك أوقات تكون فيها ليّنا وأخرى تكون فيها متشدداً. ولسوء الحظ ثمة آباء كثيرون عالقون بأسلوب واحد، وكل مشهد يمثلونه يستعملون فيه الشريط ذاته.

هنا بعض الأسئلة التي قد تتحداك لاعادة درس مواقفك وأعمالك أو تغييرها. ولا علامة على هذا الامتحان. أنت لا تستطيع قياس حبك كأب، فالقصد من هذا الامتحان هو وعيك أي نوع من الآباء انت، والتشديد على القاعدة الذهبية الخاصة بجميع الآباء الصالحين: ان ما تفعله هو أبلغ تأثيراً مما تقوله.

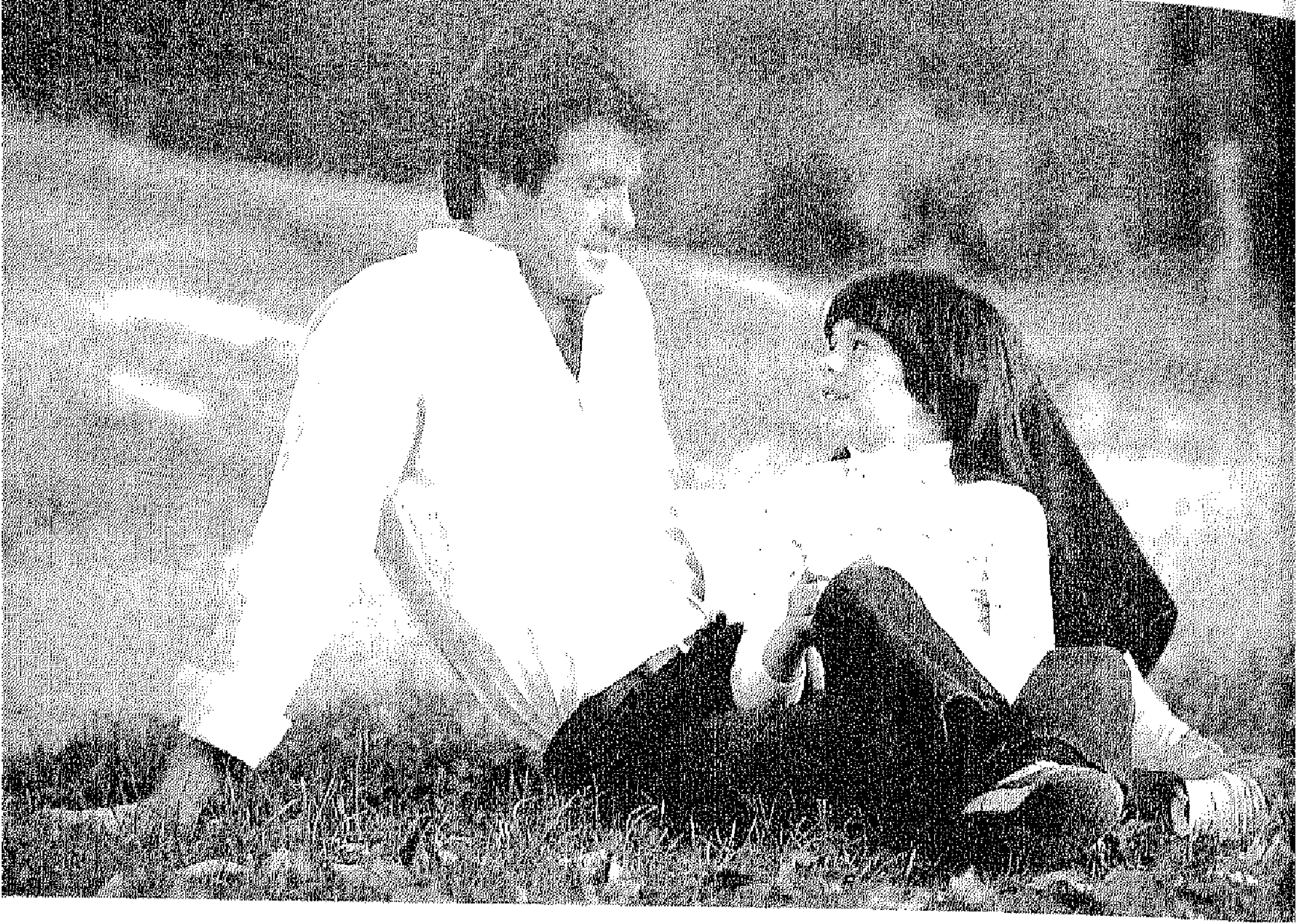
كل مجموعة من الأسئلة تساعدك على وعي تصرفك والعبرة التي يحملها.

في الأنوثة

١. هل تعذر تصرفاً انفعالياً غير لائق بقولك أو بتفكيرك: «البنات هكذا. انهن أكثر انفعالاً»؟ (هل تعذر تصرفاً انفعالياً غير لائق يبدر من ابنك؟)

٢. اذا ارتكبت ابنتك أخطاء كثيرة في فرض الحساب، فهل تقول أو تفكر: «لا بأس، لا يفرض في الفتيات أن يبرعن في الحساب»؟

٣. هل تجد صعوبة في معاقبة ابنتك اذا كانت دامعة العينين؟



٤. اذا ارتدت امرأة سروال عمل وأصلحت المغسلة في مطبخها، فهل تبدو لك غير ذات أنوثة؟

اذا كان جوابك «نعم» عن هذه الاسئلة فأنت الى حد ما تتقبل النموذج التقليدي للإناث مثالاً مناسباً لابنتك. واذا ظنت ابنتك أن مقومات «الأنوثة» تحدد قيمتها كإنسان، فقد لا تنمي فيها شخصية قوية ولا تهذب مواهبها ولا تحقق أحلامها.

في المجازفة

١. هل تحضّ ابنتك على اكتشاف بيئتها ومحيطها والبحث عن اختبارات جديدة وامتحان قدراتها الجسدية؟

٢. هل تتوانى في تأمين الراحة والطمأنينة لها؟ هل تنقذها حين تبدو مضطربة وكئيبة؟

٣. أتتقبّل عبارة «أنا خائفة» أو «لا أريد أن...» كمبرر لتجنب التحدي؟

٤. هل أريتها مرة كيف تدافع عن نفسها أو شجعتها على أن تتسجل في دورة لتعليم الدفاع عن النفس؟

نظراً الى المخاوف الواقعية حول سلامة بناتنا، ندربهن على أن يكنّ حذرات متنبهات. والنتيجة غالباً أن الفتيات ينشدن ملاذاً تحت جناحي رجل مجازف. ومما لا ريب فيه أن ثمة أوقاتاً تكون الفتاة ـ أو يكون الفتى ـ في وضع خطر وفي حاجة الى مساعدة الراشدين. لكن الحماية المفرطة والاسعاف المبكر قد يعززان الاتكال والخوف.

تفوّق الرجل

١. أتصنع معظم القرارات النهائية في بيتك؟

٢. أتشتكي زوجتك غالباً من أنك تعترضها؟

٣. أيغيظك أن تصرف زوجتك وقتاً اضافياً على مشروع أو صف دراسي يأخذها منك؟

٤. هل تهز كتفيك استهجاناً لاستغلال نساء جذابات في الاعلانات بهدف اغراء المستهلكين بالشراء؟

اذا أجبت «نعم» عن هذه الأسئلة، فقد تحتاج الى اعادة النظر في العبرة التي توحيها الى ابنتك: مهما قلت من كلام حسن عن مقدرتها، فأنت لا تعتقد حقاً أن الاناث هن في مقدرة الذكور أو أن أمورهن هي في أهمية أمورهم.

وقتكما معاً

١. هل تقضي وقتاً مع ابنتك، وحدكما؟

٢. هل تصحب ابنتك الى السوق لشراء ملابس لها؟

٣. هل تبحث مع ابنتك في أمور مالية أو في توظيفات واستثمارات؟

٤. هل أخذت ابنتك مرة الى مقر عملك؟ هل بحثت معها يوماً في شؤون تجارية أو مهنية؟

٥. هل تأخذ ابنتك في مهمات «خاصة بالذكور» كالذهاب الى متجر لقطع السيارات أو الخردة؟

٦. هل علمتها يوماً كيف تصلح الأدوات والآلات؟

٧. هل تصحب ابنتك الى مباريات الكرة؟ هل تحضر المباريات التي تشارك فيها؟

أهم كلام سمعته من الآباء هو أن كثيرين يريدون قضاء وقت وحدهم مع بناتهم، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون. قال أب: «فكرت في أن كل ما أستطيع فعله هو أن أصطحبها الى عشاء أو غداء أو الى السوق.»

مثلما يتمتع الأب برفقة ابنه، كذلك يتمتع برفقة ابنته. ثمة قاعدة أساسية هي: ما تستطيع أن تفعله مع الابن تستطيع عادة أن تفعله مع الابنة.

خذ ابنتك الى رحلات ترفيهية، الى ألعاب كرة القدم، الى المرأب لتعمل على السيارة. فهي، في معظم الحالات، ستكون مسرورة جداً بأن ترى أنك كلك لها بحيث لا تبالي ماذا أنتما تفعلان معاً.

قد يكون هذا انطلاقاً نحو مقاربة جديدة لدورك كأب، تكون في النهاية أكثر إرضاء وابهاجاً مما تتخيل.

نكي مارون ■

مهم لأصدقائنا أن يشعروا بأننا نصارحهم القول بلا حدود. ومهم لصداقتنا أن نتحاشى الصراحة المطلقة.

م.م.

عي طفلك ينمو مع سيريلاك

سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
بالقمح والموز

سيريلاك
Cerelac
Rice بالأرز

سيريلاك
Cerelac
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé

سيريلاك
Cerelac
Wheat-قمح



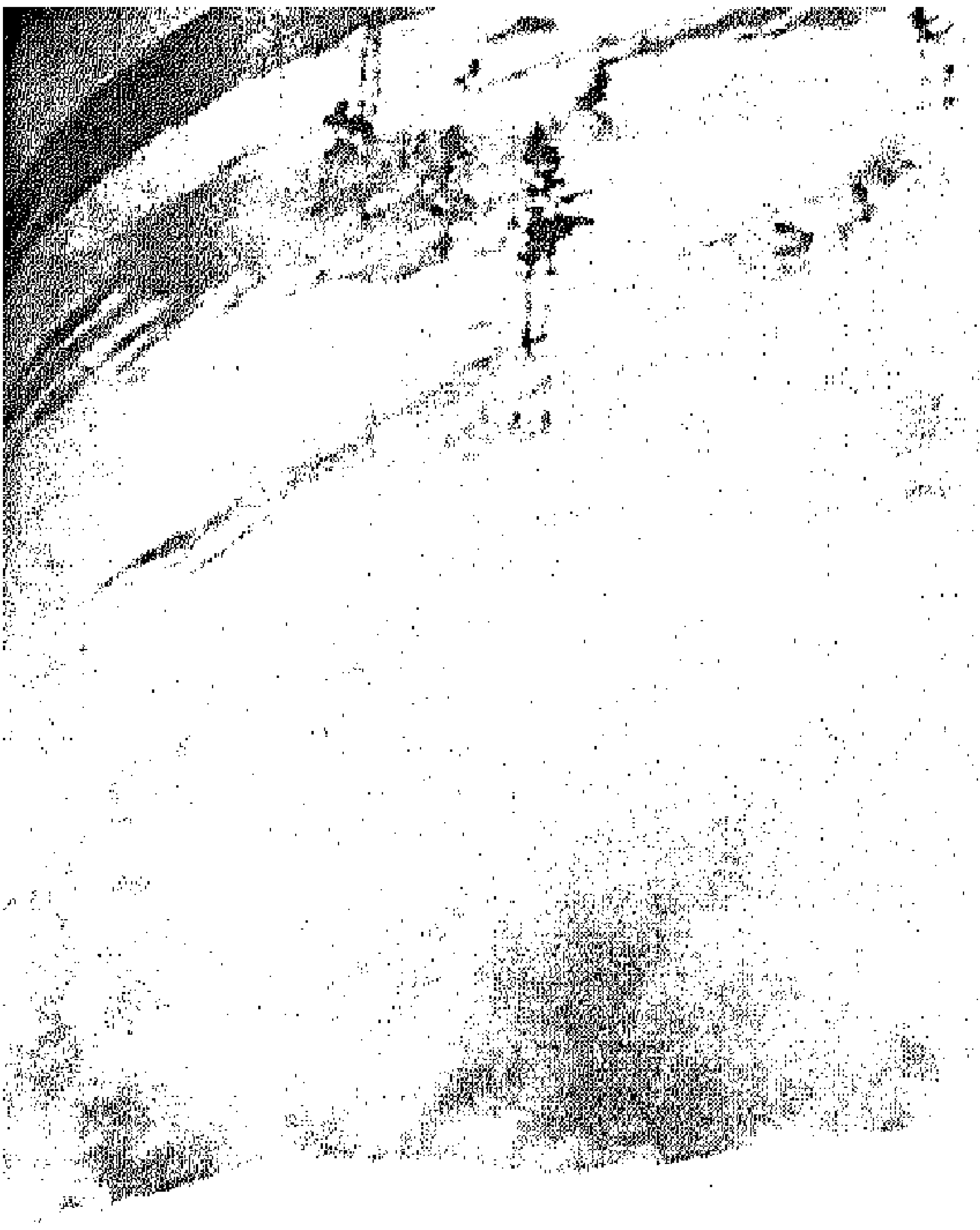
سيريلاك

الطعام الأول لطفلك بالملعقة

عندما يبلغ طفلك شهره الرابع
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذاق
طفلك. سيريلاك يحتوي على العناصر
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نمواً متناسقاً
وسليماً.

Nestlé

تضمنه
١ ٠ ٥



مأساة واقعية

الكابوس الأبيض

سمع الشابان فرقعة حادة ثم انهال الثلج ودفنهما

كـان الخـامس والعشرون من شهـر ديسمبـر (كـانـون الأول) عـام ١٩٨٨ قـارساً وكئيبـاً في دورانغو (كـولورادو) المكللة بالثلوج، والطقس ينذر بمزيد من الثلج. ومع ذلك قرر بريت وودز وكيث كاثكارت تسلق تلة شديدة الانحدار تعلو ١٥٠ متراً بغية رؤية مشهد للبلدة من فوق بجمال بطاقة بريدية.

لقد أمضى الشابـان عطلة مـوحشة، لكنهمـا حاولا الافـادة منهـا الى أبعـد الحدود. فقبل بضعة أشهر قطع بريت علاقته بخطيبته التي زفت بعد حين الى رجل آخر. أما كيث فكان يعيش وحيداً في شقة صغيرة بعيداً عن أهله وخطيبته كاري ويكس الساكنين في سيملا بولاية كـولورادو. ولم يستطـع كيث الحصول

PHOTO: © STOCK IMAGERY/RICK GODIN

على اجازة لتمضية العطلة معهم. كان هذا الشاب الودود (١٩ عاماً) عمل في مطعم محلي للبيتزا حيث يشغل بريت منصب مدير مساعد. واذ لم يكن لدى كيث أي مشاريع لليلة الميلاد، قرر بريت أن يدعوه الى منزل والديه. وكان قدومهما متوقعاً في الرابعة بعد الظهر.

قرابة الثالثة والنصف أوقف بريت سيارته وتوجه ورفيقه نحو التلة. وفي أثناء تسلقهما شعرا بسكون تام يخيم على المنحدر. في الأيام القليلة الماضية سقط ثلج بكثافة ٤٥ سنتيمتراً وحدثت مئات الانهيالات الثلجية في الجبال الواقعة شمال البلدة وشرقها. وحُذِّر من انهيالات أخرى يوم عيد الميلاد، لكن الشابين كانا يجهلان الأمر. وحتى إن علما لما قلقا، فهذه التلة تقع في نطاق البلدة، والطريق تحتها تعج بحركة سير كثيفة.

وبينما هما يجتازان الكوم الثلجية المتراصة شعرا بصعوبة في التنفس. وعلى ارتفاع نحو ٣٠ متراً قال كيث: «أريد أن أرتاح.»

توقفا يلتقطان أنفاسهما. وعلى مدى عشر دقائق جلسا يراقبان قطع الجليد الطافية في نهر أنيماس الجاري عبر هذه البلدة الحدودية التاريخية.

فجأة سمع بريت طقطقة ثم انهار الثلج تحتهما. وتدحرجت كتلة ثلجية صغيرة جرفتهما. وبلغا أسفل المنحدر سالمين ولكن مرتجّين. وقبل أن يتمكنا من الوقوف انهار فوقهما جدار ثلجي.

لم يتسنّ لبريت ان يصرخ، فقد غمره الثلج. وراح يسعل جاهداً لتنشق الهواء. وانقلب خوفه هلعاً عندما خطر له أنه سيختنق. فأخذ يحرك رأسه مسعوراً الى أن أحدث جيباً هوائياً صغيراً داخل الثلج.

دفنتهما الكتلة الثلجية خلال لحظات. وخيم الهدوء على التلة. وعلى بعد بضعة أمتار كانت السيارات تعبر الطريق مسرعة. لم يرَ أحد الجدار الثلجي يدفن الشابين.

قفّاز في ثقب. كان بريت يخاف الاماكن المغلقة. وها هو يعيش كابوس الاحتجاز. ولما كان محبوساً في وضع الجلوس فلم يتمكن من تحريك رأسه الا قليلاً. وكانت ذراعه اليسرى عالقة في شكل زاوية قائمة بعيداً عن وجهه مسافة ١٥ سنتيمتراً. وشعر كأن رجليه مثبتتان بالإسمنت، وأن ساقه اليمنى ملتوية تحت ركبته. حاول جاهداً السيطرة على هلعه المتنامي. كان يعلم أن أمله الوحيد في النجاة هو بالتزام الهدوء، كما كان يعرف السرعة التي تتجلد بها ذرات الثلج، لكنه قرر ألا يستسلم.

«كيث!» صاح بريت منادياً صديقه. فلم يأته جواب.

وتراءى له نور يرشح من الثلج، فظن أنه ليس بعيداً عن السطح وتمنى لو يستطيع أن يحفر مسرباً للهواء.

شعد بكد حتى حرر ذراعه اليمنى

وراح يخدش بها الثلج. وفيما هو يحفر كان ينادي كيث ويصلي لكي يرد عليه. ثم جاءه الجواب: «النجدة يا بريت، أخرجني من هنا!»

أدرك بريت أن كيث حي فشكر الله وناداه: «كيث، أين أنت؟»

كان صوت بريت قريباً، فدفع كيث ذراعه اليمنى جانباً حتى لامست حذاء بريت.

صرخ: «يا بريت، اننا قريبان جداً. يجب ألا نتوقف عن الكلام.» كانت ذراع كيث اليسرى عالقة أيضاً في شكل زاوية قائمة، ولم يكن يسعه أن يزحزح ساقيه. فحفر برأسه متسعاً أكبر للتنفس. وعندما رفع نظره ارتاح لرؤية ثقب في سطح الثلج قطره خمسة سنتيمترات، فنادى بريت: «هل يمكنك الخروج؟»

أجابه هذا: «انني أحاول.» وكان يعلم أن عليه الخروج وتنشق الهواء النقي لأنه بدأ يشعر بدوار، وأدرك أنه إذا غاب عن الوعي فقد يختنق.

حاول بريت الوصول بيده اليسرى الى السطح، فنزع بفمه قفاز التزلج الثخين الجديد وأخذ يدفعه عالياً بكل قوته، ومع ذلك لم يتمكن من اختراق الثلج. ثم راح يقذف القفاز عالياً الى أن انهار السطح. وأحس بريت دفق الهواء يملأ رئتيه.

بعد ذلك أخذ بريت يرمي القفاز عالياً عبر الحفرة التي أحدثها كلما سمع صوتاً. كان هذا مرشدهما الوحيد الى العالم الخارجي والدليل الوحيد على كونهما مدفونين تحت كومة الثلج الضخمة.

غيبوبة فوفاة. على بعد أقل من كليومترين كانت الروائح المنبعثة من أطعمة العيد تعبق في منزل آل وودز. وكانت أم بريت كارولين وأبوه تيري وشقيقته بام القادمة من الجامعة، يتشوقون الى بدء الوليمة.

كان آل وودز عائلة متماسكة. ولما كان الولدان يعيشان بعيداً عن البيت فقد كانت لهذا اللقاء اهمية كبرى للجميع. وكانوا فتحوا هداياهم عشية العيد، وسر بريت خصوصاً بقفاز التزلج الأزرق.

انها الرابعة والنصف، والعشاء جاهز. وتساءلت كارولين بصوت عالٍ: «أين بريت وكيث؟»

فقال الأب: «ربما تعطلت سيارتهما.» وكان بريت «ورث» سيارة أخته الستايشن القديمة البالية.

في الخامسة اقترح تيري بدء تناول العشاء، وأضاف: «سنسخن لهما الطعام حالما يصلان.»

على منحدر التلة حاول بريت تجاهل الألم في ساقه. فكر في الوقت الذي أضاعه في حياته وفي كل الأمور التي سيفعلها اذا كتبت له النجاة.

كان يسمع صدى انسياب السيارات المسرعة على الطريق. وحاول جاهداً ابقاء القفاز عالياً آملاً أن يلحظ أحد السائقين

القماش الأزرق المنتصب فوق الثلج، أو ان يرى أحد الأصدقاء سيارته المتوقفة على جانب الطريق. ومضى يصرخ: «النجدة! نحن هنا! النجدة!» الا أن الرصيف كان على الجهة الأخرى من الطريق، فأدرك بريت أن من المستحيل أن يسمعه أحد المشاة.

بدأ الظلام يخيم، لكن بريت رفض الاستسلام. كان يعلم أن عليه وكيث متابعة الحفر والأمل. «كيث، هل أحرزت تقدماً؟»

فأجابه: «كلا، أكاد لا أتحرك. هل اقتربت من السطح؟»

«انني أعمل على ذلك، وسنخرج من هنا قريباً.» كان بريت يدرك أن حظهما في الخروج ضئيل، وأن هبوط حرارتهما أصبح وشيكاً، وأن الغيبوبة ستتبع ولن تتأخر الوفاة بالتالي.

وقع اقدام. انها السابعة والنصف، وكان آل وودز اتموا العشاء قبل وقت طويل. الأب في غرفة الجلوس يستمع الى نداءات الشرطة على جهاز الارسال لديه، وهو لم يستطع طرد خوفه من أن تجيب الآلة السوداء الصغيرة في أي لحظة عن السؤال الذي يشغل باله: أين بريت وكيث؟

في تلك الأثناء دخل الشابان شبه غيبوبة لهبوط درجة حرارة جسديهما. كان الثلج يسقط بغزارة ومصباح الشارع يرمي وهجاً مخيفاً على موقع الانهيال الثلجي. ومر شخصان على بعد أمتار من المكان، الا أن الشابين لم يسمعا وقع أقدام لترجحهما بين الغيبوبة واليقظة، فتابع العابران طريقهما.

حين عاد بريت الى وعيه شعر بألم في ساقه اليمنى الملتوية وفي أنحاء جسده. وفي ما عدا ذلك لم يتغير شيء من عالمه المروع. شد ساقيه محاولاً تحريرهما وهو يئن: «ليت هذا حلم.»

كان كيث يقظاً ويحاول أيضاً تحريك ساقيه من دون جدوى. أخذ يردد أغنيات يحبها بغية رفع معنوياته. وفكر في عائلته وخطيبته كاري وقال لنفسه: «لن أموت، انهم يحتاجون الي.»

توقف الشابان عن الكلام بغية توفير طاقتهما للحفر. وأحياناً، عندما كان بريت ينادي كيث، لم يكن يتلقى جواباً.

اتصلت كارولين وودز من جديد بمسكن بريت كما فعلت مراراً خلال فترة المساء، ولكن لا جواب. حاولت ألا تقلق مقنعة نفسها بأن بريت بخير. ولكن كلما تقدم الوقت ازداد قلقها، فراحت تصلي: يا رب، لا أدري ماذا حصل لإبني. أتوسل اليك، ردّه الى بيته سالماً.

في العاشرة مساء كان مر على طمر الشابين ست ساعات ونصف ساعة. فقد كيث حسه بالمكان والزمان، أما بريت فكان يصفع وجهه ليبقى مستيقظاً، ويقول لنفسه: سأموت متجلداً اذا غفوت.

فجأة خيل اليه أنه سمع وقع أقدام،

لكنه ظن أنه يتوهم. ولبث هادئاً صامتاً، فتأكد له أن ثمة أحداً ما في الخارج. أخذ يصرخ: «تعالوا الى هنا! النجدة!»

وجه خير. في الخارج كان العابران هما الزوجان اللذان مرا من قبل وهما في طريق العودة. توقفا وراحت المرأة تصغي بانتباه. فأدركت أن الصوت آت من التلة.

رفع بريت قفازه فوق الثقب الصغير ولوح به منادياً: «النجدة! أخرجوني من هنا!»

اقترب الزوجان من المنحدر، فرأى الرجل شيئاً أزرق ينتصب فوق الثلج، وسمع صوتاً خفيضاً ينادي: «النجدة!»

صرخت المرأة: «هناك رجل مدفون في الثلج.»

هرعا نحو القفاز وسحبه الرجل خارجاً وحدق داخل الحفرة. ثم قال: «لا تخف، سنخرجك من هنا.»

نظر بريت الى وجه الرجل والبهجة تغمره.

راح الزوجان يحفران بأيديهما بضراوة، الا أن الثلج كان متجلداً ومتراصاً. ركضا الى الطريق وأخذا يلوحان للسيارات المارة. وطلبا من أحد السائقين الاتصال بالإسعاف. وأخرج سائق آخر رفشاً من صندوق سيارته وتوجه الى المكان وراح يحفر.

بعد قليل شعر بريت بأيد تنتشله، ثم بمعطف يُلف حول جسده المتجمد. فقال لمنقذيه: «صديقي مدفون هناك.»

وسرعان ما وصلت سيارة اسعاف وفيها تقنيون طبيون متخصصون بالحالات الطارئة. واخذوا يحفرون لانتشال كيث.

كان الشابان في حال خطرة عندما وصلا الى مركز «مرسي» الطبي. فقد هبطت حرارة بريت الى ٣٢ درجة مئوية كما هبطت حرارة كيث الى ٢٩,٥ درجة. وقد اختلّ انتظام نبضهما وأصيبا بتمزقات في العضل. وعجب طبيب غرفة الطوارىء من بقائهما قيد الحياة، لأن معظم ضحايا الانهيالات الثلجية الذين يدفنون مدة مماثلة، لا ينجون.

أمضى الشابان بضعة أيام في المستشفى. لم يصابا بأعطال دائمة، لكن محنتهما أكسبتهما نظرة جديدة الى الحياة.

صمم كيث على الزواج بخطيبته كاري، وعلى متابعة دراسة ادارة الاعمال وميكانيك السيارات وانشاء مرآب لاصلاح السيارات. وحظي بريت بوظيفة جديدة في شركة مطبعية. وتعرف الى فتاة جديدة تزوجها بعد أشهر.

وفي خضم عملية نقل الشابين الى المستشفى لم يلحظ أحد أن الزوجين اللذين أنقذاهما تواريا. إنهما بطلان مجهولان حملهما القدر في ميلاد مثلج.

رينا دكتور لوبلان ■

أجِّلْ دائماً إلى الغد ما لن تفعله أبداً. م.م



عيادة نفسية لـ... الكلاب

كان المريض كلباً صغيراً جميلاً لكنه يدعو إلى الشفقة. وشرحت صاحبته الأعراض للدكتور روجر مغفورد. رأى الطبيب أن الكلب يعرج فعلاً لدى سيره في الغرفة، وأنه يئن على نحو يثير الشفقة إذا حاولت صاحبته أخذه في نزهة، مما يضطرها إلى حمله.

لم تظهر صور الأشعة أي شيء يبرّر هذا الألم المبرح. واعترف عدد من الأطباء البيطريين بالحيرة إزاءه. لكن روجر مغفورد الخبير بأساليب الكلاب كانت له شكوكه، فأصرّ على أن يرافق الكلب في نزهة.

ظلّ الكلب يعرج بألم حتى تواريا عن المنزل، ثم راح يهرول بفرح إلى جانب الطبيب. وما ان لاح المنزل في طريق العودة حتى بدأ الكلب يعرج من جديد. وفي الباب كانت صاحبته تنتظره فحملته بعطف ودللته بحنان.

عندما أخبرها مغفورد ان العرج

PHOTOGRAPHS: JULIAN NIEMAN

والأنين ليسا إلا خدعة ذكية لاستدرار العطف رفضت تصديقه. فأحضر من سيارته آلة تصوير فيديو، وبعد نزهة أخرى قدم الدليل في فيلم. يقول: «الكلاب بارعون في تلاعبهم بالناس.»

روجر مغفورد صاحب شهرة دولية كمستشار في سلوك الحيوان. انه في الثالثة والاربعين، قوي البنية، لطيف المعشر، بسيط الملبس. وهو يزاول المهنة مع فريق يضم ثلاثة زملاء آخرين في تشرتسي بمقاطعة صاري البريطانية. وهم يقومون بزيارات تفقدية منتظمة لمراكز طبية في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ويعاينون أكثر من ألفي حيوان مريض سنوياً، يحيلها عليهم جراحون بيطريون.

يقول مايكل صموئيل رئيس أحد المستشفيات البيطرية في صاري: «نرسل إلى روجر تلك الحيوانات التي تعاني أحوالاً صعبة ذات خلفيات عاطفية ومزاجية. ثمة عدد لا يحصى من الحيوانات الأليفة الحية اليوم والتي كانت ستنفق لو لم يكشف روجر علتها.»

من السيد؟ يراوح مرضى مغفورد بين ببغاوات أوسترالية مصابة بالهستيريا وجياد ترفس أصحابها. لكن الغالبية كلاب، بما فيها الويلزية التي تعض الكواحل. ويعجب مغفورد مما يتحمله أصحاب هذه الحيوانات قبل طلبهم النصح. ومنهم سيدة عانت مصاعب مع كلبها الالزاسي المشاكس، فعمدت إلى ضبط ساعتها المنبهة لتوقظها في منتصف الليل لتأخذه في نزهة لا يصادفان فيها كلاباً أخرى.

يقول مغفورد: «يجد الزبائن أنفسهم منعزلين إذ يتوقف الاصحاب عن زيارتهم. ولعجز مرابي الكلاب عن التكيف وهذه الحالات، يمتنع أصحاب الكلاب المزاجية عن تمضية عطلهم خارج المنزل. ويصبح الكلب محور المشاجرات العائلية. والعيش مع حيوان سيىء الطباع يقود إلى الجنون.»

المشكلة الاكثر شيوعاً هي التعدي. ويؤكد مغفورد أن الكلب الأليف يظل في صميمه حيواناً يجب الانتماء إلى مجموعة، وهو في حاجة إلى مرتبة له ضمن العائلة. فإذا حسب مرتبته عالية جداً فقد يهاجم الزائرين الذين يعتبرهم غزاة لممتلكاته، أو يتحكم بأفراد العائلة المتساهلين الذين لا يظهرون سلطة عليه.

كان لاحداهن كلب صيد يرفض السماح لها بأن تجلس في أريكتها. وهناك زبونة أخرى كانت تعيش في خوف من كلبتها التي كانت تطردها من المطبخ وتتعلق بزوجها وتهرّ بشراسة كلما اقتربت هي منه.

ينصح روجر مغفورد بحرمان الحيوانات العدائية أي امتيازات تعزز غرورها: امنعوها من الجلوس على الكراسي والاسرّة أو في الاحضان. تجنبوا وضع أنفسكم في مستواها أثناء ممارستكم وإياها ألعاباً خشنة. اجعلوها تأتي إلى أقدامكم.



تفاهم بين مغفورد والكلب



الضغط القوي على الخطم يؤكد من هو السيد

يقول: «عليك أن تكون مسيطراً.» احدى الطرق للقضاء على غرور الكلب هي وضع اليد على خطمه والشد إلى أسفل، تماماً كما يفعل قطيع الكلاب بأحد رعاياه لترسيخ قيادته.

جارة طيبة. تبين لمغفورد أن اضطراب الكلب ينتج أحياناً من علاقته بصاحبه. «أوليفر» كلب صيد يوركشيري صغير أحضرته إلى العيادة سيدة أعمال ناجحة شكت من أنه يمسك بسروال كل رجل يدخل مكتبها ويحاول عضّ كاحله. وبينت تحريات مغفورد أن صاحبة «أوليفر» السابقة كانت تقفل عليه كلما زارها خطيبها. ليس مستغرباً إذاً أن يعتبر الكلب كل الرجال أعداء له. ولاحظ مغفورد أن المشكلة كانت تتفاقم كلما حملت السيدة كلبها الصغير لابعاده عن الزوار. فعندما يصبح بين ذراعيها يزداد غروره بسبب حصوله على دعمها.

نصيحة مغفورد: «اعكسي الوضع بحيث يصبح الزائرون حاملي تجارب حسنة وحرية زائدة عوض النكران والاحتجاز.» كان على صاحبة «أوليفر» أولاً أن تنهره لعدوانيته أو أن تعاقبه عليها. ثم دربته على الجلوس على حصير بعيداً عن الباب حيث يكافئه الزائرون بطعام لذيذ.

وتتطلب القضايا تحريات متعبة أحياناً كثيرة. مرة جاءه زوجان في محنة، إذ كانا يخشيان احتجاز كلبهما «الدوبرمان» وتصفيته بسبب شكاوى من نباحه المتواصل كلما غابا عن المنزل.

عندما تحدث مغفورد إلى الجيران تبين له أن جارة واحدة على الأقل كانت تحب الدوبرمان، وهي اعترفت بأنها كانت تمرّر له الأطباق الشهية عبر فتحة البريد كلما نبح أملة في إسكاته. وهكذا كانت تزيد الامور تعقيداً من غير قصد، إذ ان الكلب كان ينبح طالباً المزيد.

كان الحل في اتباع أسلوب معاكس. أعطيت الجارة الطيبة مفتاحاً، مع تعليمات بأن تنتظر الفترات القصيرة التي يتوقف فيها الكلب عن النباح، وعندئذ فقط تدخل البيت لتلاطفه وتقدم اليه الطعام. فتوصل الدوبرمان إلى ادراك أن سكوته هو الأسلوب الأجلب مكافأة له. ودفع صاحباه فاتورة روجر مغفورد بارتياح كبير.

لا تضربوا! ينبع فهم مغفورد للحيوانات من نشأته الريفية في مزرعة والده. وبعد حصوله على شهادات في علم النفس وعلم الحيوان ونيله درجة دكتوراه، عمل في شركة كبيرة لانتاج أطعمة للحيوانات الأليفة. وكانت وظيفته اجراء أبحاث عن الأسباب التي تجعل الناس يشترون صنفاً من دون آخر ومعرفة «رأي» حيواناتهم فيه.

ذعر مغفورد لاكتشافه، من خلال احدى الدراسات، أن واحداً من كل عشرة أصحاب كلاب في بريطانيا يفكر في القضاء على كلبه لأسباب مسلكية. فتخلى عن وظيفته في العام ١٩٧٩ ليعمل مستشاراً.

في بعض الأوقات اقتصر عمله على معاينة حيوان واحد في الاسبوع. لكن مع نهاية السنة الاولى كان مغفورد عاين مئة حيوان. وفي السنة التالية ثلاثمئة ثم ألفاً. وبعدما شكل فريقاً محترفاً ازدادت الاعداد باطراد. ومن أهدافه توعية الاطباء البيطريين إلى ما يمكن تحقيقه، لذا فهو يكتب ويحاضر لنشر معرفته التي اكتسبها بالكد.

الحيوانات العدائية أو الخطرة التي تسبب جلبة وفوضى في عيادة مدينية تحضر إلى مقره في احدى مزارع تشرتسي؟ ونسبة نجاح معايناته تبلغ ٨٠ في المئة، أي انه نادراً ما يحتاج إلى معاينة كلب أكثر من مرة واحدة.

في المزرعة يتقاسم هو ومساعدوه الشباب مكتباً فوضوياً بهيجاً مع ستة حيوانات أليفة تخصهم بما فيها كلب مغفورد الابله «سام» ودوبرمان جليل. يقول مغفورد: «تشكل هذه الحيوانات جزءاً من الفريق بسبب طبائعها المختلفة. فردود فعل الحيوانات المريضة تجاهها، أكانت عدائية أم خجولة، قد تكون المفتاح المناسب لمعالجة المشكلة. ما نفعله هو اعتماد موقف علمي مهتم وعطوف لتعديل سلوك الحيوان، هو نقيض ذلك التدريب الذي يعتمد العقاب. إنه اسلوب أبسط وأكثر لطافة.»

يصر مغفورد على أن ضرب الكلب ليس عملاً فظاً فحسب بل هو غير مُجد أيضاً. فما لم تتبع العقوبةُ الحماقةَ المرتكبة خلال ثانية، فلن يدرك الكلب الرابط بينهما. وتكون النتيجة الوحيدة الارتباك والخوف.

ويعارض مغفورد بشدة استعمال السلسلة الخانقة: «هل ترضى بأن تضع عنق أعز صديق لديك في أنشوطة جلاد؟» لذلك اخترع طوقاً خاصاً بالرأس يدعى «هالتي» يمنح أصحاب

الكلاب سيطرة ألطف على كلابهم. ويسوّق هذا الطوق اليوم في ١٨ بلداً.

ينصح مغفورد ببحث المشكلة السلكية - وهي أكثر الامراض تهديداً لحياة الكلب - مع طبيب بيطري أولاً للتحقق من أي مرض جسدي. ذات مرة في لندن عاين كلباً اسكوتلندياً ساءت طباعه على نحو غير مبرر. فلاحظ أنه يمضي وقتاً في لحس قوائمه وفروه.

ذات يوم رافق مغفورد كلباً وصاحبه في نزهتهما، فوجد أن خط سيرهما يمر بأرصفة قذرة وطريق مكتظ حيث الهواء ملوث بدخان السيارات. وأظهرت فحوص الدم أن الكلب أصيب بالتسمم الرصاصي في محاولته تنظيف بدنه. وبعد تعديل نظامه الغذائي ونمط تمارينه تحسنت حاله وشفي.

وللكلاب حقوق. من مرضى مغفورد كلاب حسنة السلوك تتحول مخربة عندما تترك وحدها، مثل «ماكس» وهو كلب «لابرادور» تملكه ايفون هاوز من لندن.

كانت ايفون وزوجها يعملان خارج البيت. وكانت عاملة تنظيف تأتي إلى المنزل كل صباح، وأحد الجيران يخرج «ماكس» في فترة بعد الظهر. وعلى رغم ذلك كانت قسوة الوحدة فوق طاقته. تقول ايفون: «تطور به الامر من لوك الأحذية إلى لوك الكتب فأشرطة التسجيل، حتى لم يبقَ شيء في مأمن منه.»

وبعد تحطيمه أريكة وطاولة لجأت ايفون إلى روجر مغفورد. فارتأى هذا، عوض ملاطفة «ماكس» لدى مغادرة المنزل في الصباح، أن يكون الزوجان فظّين معه بحيث يرتاح إلى رؤيتهما يغادران المنزل. أما اظهار المودة فيكون عند عودتهما، وبدل أن يظهرا الغضب من الخراب الذي أحدثه، عليهما ملاطفته واطراؤه: «سيتعلم أن الفراق يأتي أولاً ويتبعه الحب.»

وتقر ايفون بأنها وزوجها لم يقتنعا بكلام مغفورد بادئ الامر، لكنهما نفذا النصيحة. كانا يتركان الكلب لفترات قصيرة، لكنهما خفّفا قلقه بتركهما أشياء معزية تذكره بهما، كجهاز راديو دائر أو ثياب قديمة يتخذها فراشاً.

وتذكر ايفون: «ذهلنا للسرعة التي نجحت بها الطريقة. فخلال أسبوعين لم يعد يلوك جميع محتويات الغرفة. وخلال شهر توقف عن اللوك كلياً.»

ويرى مغفورد أن الطريقة المثلى لتفادي مشاكل مكلفة كهذه هي بتعويد الجرو ملازمة المنزل وحيداً منذ بلوغه الاسبوع العاشر.

ويضيف أن من الصعب على أي كلب القيام بدور الرفيق الوفي: «حياة من السكون البليد تقطعها من حين إلى آخر اثارة عارمة أو وجبة غنية. فلا عجب ان ضلّ سواء السبيل.» يجلب أصحاب الكلاب المشاكل على أنفسهم لعدم ادراكهم أن الكلابَ أيضاً تحتاج إلى مشوّقات، سواء أكانت نزهات ممتعة أم

ألعاباً مطاطية.

ويؤكد مغفورد أن لكل نوع من الكلاب خصوصياته المسلكية. فكلاب اللابرادور شديدة الحاجة إلى الرفقة البشرية. و«الكولي» شديدة التوتر. و«السبانيل» شبقة.

كلاب الدوبرمان قليلة الذكاء لكنها رقيقة القلب. والالزاسية واليوركشيرية مفرطة في عدائيتها وشعورها بالملكية الخاصة.

ويبدو أن الناس يستطيعون غالباً حل مشكلة مسلكية من دون مساعدة مغفورد، بتفهمهم وضع حيوانهم الاليف ولجوئهم إلى بعض المنطق.

أحضر إليه مرة كلب سيبيري قص صوفه الطويل أكثر مما ينبغي. وأخبر صاحبه مغفورد أن الكلب مصاب بانهيار عصبي إلى درجة أنه امتنع عن مغادرة المنزل. قال روجر: «ذلك ليس انهياراً عصبياً. كلبك، ببساطة، يشعر بالبرد ويرفض أن يخرج في منتصف الشتاء من دون معطف.»

بيتر بروان ■



طبخة رجال

أقيم مهرجان الحصاد السنوي في قريتنا. وفي أحد الأكشاك رأينا بضعة رجال يطبخون حساء الفاصولياء في قدر كبيرة فوق نار الحطب، وقد رفعوا لافتة كتبوا عليها: «حساء فاصولياء وخبز ذرة: ١,٥ دينار.»

وبعد قليل مررنا مجدَّداً أمام الكشك اياه، فرأينا السعر قد شُطب وكتب تحته: «جودتنا فاقت تقديراتنا: ١,٧٥ دينار.»

ب.ا.ر

«أبو الشنب»

يعمل اخي في شركة لمكيفات الهواء. ومع انه في أوائل العشرينات فهو يبدو يافعاً الى حد أن الزبائن يشيرون اليه احياناً بعبارة «هذا الولد.» ولانزعاجه من أنه لا يُعامَل بجدِّيّة ربّى شاربيه كي يبدو اكبر سناً. وسالتُه يوماً اذا كان مظهره الجديد غيَّر موقف الزبائن منه، فأجاب: «بالطبع تغيَّرت لهجتهم، فانا الآن الولد أبو الشنب.»

ب.س.

افضَل من الفكاهة ما يضحكني خمس ثوانٍ ويشغل فكري عشر دقائق.

تأملات معاصرة

في الزواج

السنوات الحرجة في الزواج هي تلك المتوسطة. ففي السنوات الأولى يرغب كل شريك في شريكه، وفي السنوات الأخيرة يحتاج كل منهما الى الآخر.

ر.ت.

الثلم الاعوج

وفقاً لتقليد شرقي قديم، يستطيع كل واحد منا أن يكبح رغبات قلبه، الصالحة والشريرة على السواء. ولا يكون ذلك بتدمير الحافز الشرير بل باخضاعه لتوجيه الدافع الصالح. وقد صوَّر أحد الحكماء ذلك بثور قوي جامح قُرن تحت نير واحد مع ثور حسن التدريب. وإذ يُحسن الثور الجيد القيادة فانه يوجه كل قدرة الثور السيىء في سبل مفيدة.

وعلى نحو مماثل، اذا وجهنا غضبنا وسلبيتنا وكآبتنا في مجار حسنة فقد تؤمِّن وقوداً وقوة لحياتنا. ولكن يجب أن يكون هناك ثور صالح. لذا علينا أن ننمّي الجانب الحسن من شخصيتنا ليتسلم قيادتنا. فكثيرون منا يشقّون في حقل الحياة أثلاماً عوجاً بلا انقطاع.

ف.ك.

أشواك وأفكار

يسير شاعر في الغابة فتعلق شويكات بسرواله الصوفي، فيصفها جمالياً: «ما أكثر ما تتعلق الطبيعة بالانسان، تماماً كما تتشبث هذه الأشواك الصغيرة بصوف سروالي وأنا أتجول وسط الخضرة.»

ويحصل الأمر ذاته لعالِم، لكن هذا يملك فكراً علميًّا، فيصرف ١١ عاماً في مختبر يخترع مادة «ڤلكرو» اللاصقة (شْليك ـ شْلاك).

ثم يمشي ممثل هزلي في الغابة، وفي الليلة ذاتها يرتقي خشبة المسرح ويقول: «ما بالها هذه الشويكات؟ أهي طريقة في الثأر مني لأني أمشي على العشب؟» هذا هو الفكر الهزلي.

ديفيد برينر، كاتب وممثل هزلي

الاصالة والتقليد

خير لك أن تفشل في الاصالة من أن تنجح في التقليد. فمَن لم يفشل أبداً في مكان ما لا يستطيع أن يكون عظيماً. واذا قيل إن النجاح المتواصل لامرىء برهان على أنه يعرف قدراته بحكمة، فحريّ أن يضاف أن المرء في هذه الحال يعرف أن قدراته محدودة.

هرمان ملفيل، روائي امريكي (١٨١٩ـ١٨٩١)

مأساة واقعية

العدالة تمحو الانتقام



قالت الأم الثكلى: «لا نبغين الانتقام، بل العدالة فحسب»

الحفلة التنكرية في اوجها. فالمناسبة عيد محلي، والوقت بعد منتصف الليل من يوم السبت في اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، والمكان ناد ليلي قرب «لايتهاوس بوينت»، على بعد ٥٠ كيلومتراً شمال ميامي بولاية فلوريدا.

مرّت اربعون دقيقة على انتصاف الليل عندما قرّر كيفن سميث (٢١ عاماً) ارجاع رفيقته اليسا ستوري، (٢١ عاماً) الى بيتها. وكانت النجوم تسطع في السماء عندما اجتاز الشابان الطريق العام، ذا المجازات الستة لكل من الذهاب والاياب، متوجهَيْن الى سيارتهما. عندما بلغا الفاصل المتوسط المُعشب سمع كيفن زأمة عجلات فتلفّت ليشاهد سيارةً تتّجه مسرعةً نحوهما. وإذ مال جانباً لتلافي الانصدام شعر بهبّة ريح ثم سمع صوتاً مكتوماً.

عندما استدار كيفن شاهد جسد اليسا يطير فوق غطاء محرك السيارة ويقع ارضاً على بعد ستة امتار. عدا نحوها ثم تطلع الى السيارة الجانية وقد غدت على بعد قرابة ٦٠ متراً في نزلة الطريق. لم يستطع كيفن قراءة رقم لوحة الترخيص، لكنّ السيارة ذات اللون الفاتح تشبه «الشفروليه كامارو». اما اليسا فقد نُقلت في سيارة الاسعاف الى مستشفى مجاور وتوفيت بعد ١٥



ساعة من دون ان تستعيد وعيها.

المنزل المتواضع في احد شوارع لايتهاوس بوينت يعبق بذكريات اليسا المحيطة بوالدتها ديان وزوج والدتها راي جونس: صور فوتوغرافية اخذتها للطبيعة، تذكارات من رحلات لها كعازفة مزمار ترتدي زي مدرستها الثانوية، وكتبها لدراسة تقنية الأشعة السينية.

تحسَّرت ديان في احدى الأمسيات، وقد اسندت رأسها الى كتف رايموند: «اشتاق اليها كثيراً. ينبغي لي ان اعرف مَن حطَّم حياتها على هذا الشكل... ولماذا حدث ما حدث.» في تلك الأثناء كانت شرطة لايتهاوس بوينت على علم بأن حظوظ ايجاد السائق الهارب تنخفض مع الأيام.

احياناً يعود الصادمون الهاربون الى المنزل وهم يعانون وخز ضمير او خوفاً، فيقصدون من تلقائهم دائرة الشرطة. واذا لم يظهر السائق بعد الحادث فوراً تعلق الشرطة آمالاً واهية على اعتقاله.

البحث عن الجاني. كانت مفاتيح اللغز شبه معدومة في دوائر الشرطة. فما من احد شاهد السائق، وحتى الشهود تضاربت اقوالهم حول لون السيارة.

راجع الزوجان الشرطة كل يوم ولا جديد. فلجأ الى الاعلان في الصحف المحلية، عارضين صورة اليسا الجميلة بشعرها المسترسل وهي تتقدم بهذا الالتماس: «قاتلي قد يكون صديقك او جارك او زميلك في العمل او نسيبك. ساعد على كشفه لإحقاق الحق.»

في اثناء ذلك نقَّب الزوجان في مكان الحادث عن ادلة حسّية قد يكون فات الشرطة اكتشافُها. كذلك طافا بالشوارع المحيطة بالنادي، باحثَيْن عن «كامارو» فاتحة اللون. وانّى لاحظا سيارة من طرازها تبعاها حتى يحصلا على رقم ترخيصها ويضعاه في تصرف الشرطة.

في الليل جلست ديان الى طاولة المطبخ تدبِّج الرسائل الى الحاكم والى الأعضاء في الهيئة الاشتراعية للولاية والى وسائل الاعلام والى كل انسان آخر في وسعه المساعدة. وكلما مر يوم زاد احباطها. وسرعان ما بدأ الاصدقاء يدعونها مع زوجها الى التخلي عن مطاردتهما للجاني والى معاودة حياتهما السوية. فترد ديانا: «لا استطيع ذلك. عليّ ان اعرف ماذا حدث. بودّي ان اعلم لماذا صدمها انسان وولّى.»

لماذا يغادر السائقون الصادمون مسرح الجريمة هاربين؟ الكثيرون انما يُذعَرون. منهم القاصدون مكاناً محظَّراً عليهم او العائدون منه، وفي الحالتين يخشون افتضاح امرهم. ومنهم المفتقرون الى رخصة قيادة او الى التأمين. ومنهم سارقو السيارات الجانية.

غير ان الصفة المشتركة لحوادث الصدم والهرب هي الكحول. ولأنَّ الغضب الشعبي زاد ضد السكارى من السائقين، والعقوبات اشتدت، يخاطر الكثير من هؤلاء في التعرُّض للتهمة

الأدنى - اي الهرب - بدلاً من ان يُمسَك بهم بالجرم المشهود وهم تحت تأثير الكحول.

الخيوط الأولى. في مارس (آذار) ١٩٨٧ دعا العريسان الجديدان إريكا وغلِن بالمر بعض معارفهما الى حفلة شواء. ودار الحديث عن الأماكن التي اعتاد الأزواج ارتيادها.

قالت إريكا: «دأبت على الذهاب مع زوجي غلِن الى نادي ج. ويلِّيكرز، لكننا توقفنا منذ العام الماضي عندما قُتلت صديقتنا اليسا ستوري في جواره بحادث صدم مجهول السائق.»

قال احد الضيوف، وهو مدير لمخزن البسة: «هذا غريب! لربما كان لدى احدى مستخدَماتي بعض المعلومات عن هذا الحادث.» فالشقيقة الكبرى للمستَخدمة عرفت نادلةً وقع لها حادث ليلة العيد في المنطقة نفسها.

ما إن انتهت الحفلة حتى اتصلت إريكا بديانا جونس وأعطتها اسم المستخدمة قائلة: «لا أعرف عنوانها ولكني أعتقد أنها تعيش مع أهلها.»

تعقب ديان وراي عنوان أهل الفتاة. وقالت ديان لراي: «إنها لرمية ضئيلة الحظ في النجاح. ولربما يجدر بي ان اتوجه الى هناك بدلاً من شرطي بالزي الرسمي.»

بعد الظهر قادت ديان سيارتها نحو منزل بائعة الثياب. فاستقبلتها امرأة في منتصف العمر، فسألتها ديان هل بناتها في البيت. فأجابت المرأة بالنفي. فوقفت ديان في العتبة واخرجت من حقيبة يدها نسخاً عن نشرات واعلانات حول موت اليسا مناشدة: «اتوجه اليك من امّ الى امّ. احتاج الى مساعدتك. ليس الأمر أن بناتك متورطات، لكنهنّ قد يعرفن المتورط.»

بعد ساعتين اتصلت المرأة بديان عبر الهاتف وقالت لها: «اعتقد ان الشخص المطلوب هو سينديلو بريدينغ التي تقيم في جوار مدرسة بالم كون بيتش.»

اتصلت ديان فوراً بالشرطة وسألت عن انج باتريسيا، المسؤولة عن التحقيق، فقيل لها إنها انهت خدمتها النهارية. عندئذ كلمت زوجها في العمل وقالت له: «هلم بنا نستعجل الامر ونجوب المكان.» وهكذا انطلقا الى منطقة المدرسة وطوّفا في الشوارع مسجلَين لوحات ترخيص ٤ سيارات «كامارو.»

في صباح اليوم التالي اعطت ديان الشرطية انج اسم بريدينغ وارقام اللوحات. فاتصلت انج بعد عدة ساعات لتقول إن احدى اللوحات مسجلة على اسم سينديلو بريدينغ.

في ١٦ مارس (آذار) اتصلت الشرطية انج هاتفياً ببريدينغ (٢٨ عاماً) التي وافقت على اعطاء افادتها والسماح للشرطة بفحص سيارتها وهي «كامارو» زرقاء فاتحة طراز ١٩٨٤. وقد وجدت انج تقعيراً في حاجز الاصطدام الامامي، وانبعاجاً في غطاء المحرك، ورقاقات طلاء.

قالت بريدينغ انها حضرت حفلة في تلك الليلة وشربت كحولاً. بعد ذلك عادت وحدها بالسيارة الى المنزل. وادَّعت ان الأضرار اللاحقة بسيارتها حصلت في صباح اليوم التالي عندما صدمت حاجزاً على الطريق العام.

أُخذتْ عيِّنة من طلاء السيارة ليفحصها الكيميائي الشرعي في مختبر الشرطة الجنائية. ولدى اعادة فحص ثياب اليسا اكتشف الكيميائي رقاقة صغيرة من الطلاء الأزرق الفاتح الملتصق بغلائلها اللاتِية. فجاءت متطابقة مع العيِّنة المأخوذة من سيارة بريدينغ. ووُجدت في ما بعد دمغات قماش فوق غطاء المحرك متطابقة مع الثيات التي كانت ترتديها اليسا ليلة الحادث.

بعد مرور ثمانية ايام على لقاء الشرطية انج وبريدينغ ذهبت الشرطية الى شقة اهل الفتاة برفقة الرقيب برنارد برومفيلد من فصيلة لايتهاوس بوينت. في بادىء الامر كررت بريدينغ انكاراتها السابقة. لكنّ برومفيلد كان جازماً معها: «مهلك، يا سينديلو، فالسيارة الجانية تخصك، ولا ريب في هذا الامر.»

ما عتمت بريدينغ ان استسلمت: «حسناً، كان يمكنني أيضاً ان اخبركم ما اعتقدته حصل تلك الليلة.» واخبرتهما انها تركت الحفلة وتوجهت بسيارتها نحو منزلها على الطريق العام. وسبّب لها شعرها المستعار الأسود حكاكاً في فروة رأسها، فتخلصت منه ومن بعض الحلى، محيدةً نظرها عن الطريق «مرتين اثنتين.» وتابعتْ: «سمعتُ... صوتاً مكتوماً... ظننتُ أنه كلب او شيء ما. لم يخطر لي أنه قد يكون انساناً. وعندما اطلعني احدهم في العمل أنَّ احد الاشخاص قُتل على ذلك الطريق تلك الليلة لم اعتقد اني انا الجانية.»

العدالة. في ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٧ أُوقِفتْ سينديلو بتهمة مغادرة مكان حادث نجم عنه وفاة. فاذا ثبت ذنبها بموجب الأحكام القضائية في الولاية سيكون جزاؤها سنةً حبساً على الأكثر، وقد لا تذهب الى السجن ابداً.

اسرّتْ ديان الى زوجها: «لا تبدو التهمة كافية.» لذلك امضت اياماً في المكتبة منقِّبة في الكتب القانونية. واستخلصت منها انه قبل موت اليسا بشهر غيّرتْ ولاية فلوريدا تشريعاتها حول جرائم القتل المرافقة للصدم والهرب. فبات في الإمكان اتّهام السائق بترك مكان الجريمة بعد الصدم، في حال حصول قتل بالسيارة. وهذان الجرمان يمكن ان تطاولهما سوِّيةً عقوبة حدها الاقصى ١٥ سنة سجناً، اما اذا دين المتهم بترك مكان الجريمة ـ في حال تعذر اثبات التسبب في القتل ـ فانه يواجه عقوبة تراوح بين ٣ و٥ سنوات.

في لقاء لديان وزوجها مع المدعي العام في الولاية ميكاييل ساتز ومع مساعده المهتم بالقضية، باري

غولدستاين اشتكت ديان من تقصيرهما عن اتهام بريدينغ بقتل اليسا، واضافت: «يبدو انكما في حوادث الصدم والهرب تكافئان السائق على هروبه!»

فشرح لها ساتز صعوبة إقامة الدليل على القتل بالسيارة. اذ على الجهة المدعية ان تبرهن ان السائق استخدم سيارته «بطريقة طائشة ربما سببت الموت او اذية جسدية جسيمة لشخص أخر.»

استمعت شرطة لايتهاوس بوينت الى قرابة ٤٠ شخصاً ممن قد يكونون شاهدوا بريدينغ في وقت ابكر من تلك الأمسية. وخلال صيف ١٩٨٧ وخريفه استقصى الزوجان جونز ايضاً شهوداً جدداً

عندما أُثير توقُّع حصول مهاودة قضائية* في الدعوى خشي راي وديان تعليق عقوبة بريدينغ، فقالت ديان لغولدستاين: «لسنا نبغي الانتقام وانما نريد العدالة.»

استدعى غولدستاين الملازم الأول ستان ستابك، وهو خبير في حوادث السيارات. فقصد هذا مسرح الحادث وتحقق من الإضاءة ومدى الرؤية وقاس المسافات وحسب السرعات. وخلص الى استنتاج ان الضحية ورفيقها كانا في مدى نظر الجاني من بعد ١٥٠ متراً على الأقل. وورد في تقرير ستابك حول الموضوع: «اعتقد ان السائقة اظهرت عدمَ انتباهٍ فاضحاً وهي تشغِّل محرك السيارة.» وبناء على إلحاح عائلة جونز رُفعت درجة التهمة ضد سينديلو بريدينغ لتشمل القتل بالصدم.

قُدِّمت بريدينغ الى المحاكمة في ٣ مايو (ايار) ١٩٨٨، وادلت بان نظرها حاد عن الطريق خلال «اقل من دقيقة.» وقالت إنها نظرت في مرآتها الخلفية بعد صدمها شيئاً ما، لكنها تابعت طريقها عندما لم تشاهد شيئاً.

لم يحتَجْ المحلَّفون الى اكثر من ساعة و١٥ دقيقة لاتخاذ قرارهم. فقد وجدوا سينديلو بريدينغ مذنبة، بموجب التشريع الجديد، بتهمة مغادرة مكان الحادث والقتل بالسيارة. فأمسكت ديان بيد زوجها وهمست: «وضعنا ثقتنا بالسلطة، وكنا على حق في ذلك.»

بعد خمسة اسابيع اصدر القاضي توماس م. كوكر الابن حكماً بسجن بريدينغ سبع سنوات، على ان تخضع للمراقبة خلال السنوات الثماني التي تلي اطلاقها. وقال كوكر لبريدينغ: «اشعر انه كان يستحيل ألاّ تكوني ادركت انك صدمتِ انساناً.»

وفي مايو (ايار) ١٩٨٩ اكدت محكمة الاستئناف في المقاطعة الرابعة بفلوريدا الحكم والعقوبة.

نادرة هي الحالات التي تلقى مصيراً يشبه حالة اليسا ستوري. فحالات الموت الناجمة عن الصدم والهرب هي من اعصى مشاكل القتل على الحل. وقد

(*) مساومة بين المدّعى عليه والمدّعي بان يعترف الأول بصحة التهمة في امور صغرى في مقابل اسقاط التهمة عنه في امور كبرى.

يساعد على حلها وجود قوانين اشدّ صرامةً. لذا يعتقد مسؤولون كثيرون ان الهرب بعد الحادث يلزمه عقوبة توازي في جسامتها عقوبة القيادة في حالة سكر. ويكتسب الأهمية ذاتها ان يتطوّع الشهود للادلاء بشهادتهم عند الحاجة. واي معلومة يوصلها الى الشرطة متفرجٌ على الحادث قد تكون نافعة، حتى وان تكن بسيطة كالادلاء بجنس السائق.

لم يخامر باري إ. غولدستاين ايُّ شك في السبب الذي اوصل سينديلو بريدينغ الى ايدي العدالة: «ما كنا استطعنا حلَّ هذه القضية أو إدانة الصادمة لولا الزوجان جونز.»

وتخفف ديان جونز من جهود العائلة. فتقول: «لقد قمنا بما استطعنا فقط. ونحن مدينون به لأليسّا.»

ديفيد مازي ■



السهل الممتنع

لعلّ أصعبَ عمل تأليفي واجهني ككاتب كان كتابة رسالة اعتذار مقتضبة الى معلمة ابنتي لتغيّبها يوماً واحداً عن المدرسة. فقد ناولتني ابنتي دفتراً وقلماً قائلة: "ستصل حافلة المدرسة بعد دقائق. أسرع يا أبي." فبدأت رسالتي كالآتي: "حضرة السيدة المحترمة، ان ابنتي كارولين..." ثم توقفت مفكّراً: "من البديهي أن ابنتي هي كارولين." وبدأت من جديد: "كانت ابنتي البارحة..." وهذه البداية أيضاً لم تعجبني، فهي أشبه بشهادة خطية.

وتابعت على هذا المنوال حتى سمعت بوق الحافلة ودبّ الذعر في ابنتي. وكانت الاوراق الممزقة تغطي أرض المدخل، فقالت زوجتي: "هذا غير معقول!" ثمَّ أخذت الدفتر والقلم وكتبت الرسالة بسرعة فائقة.

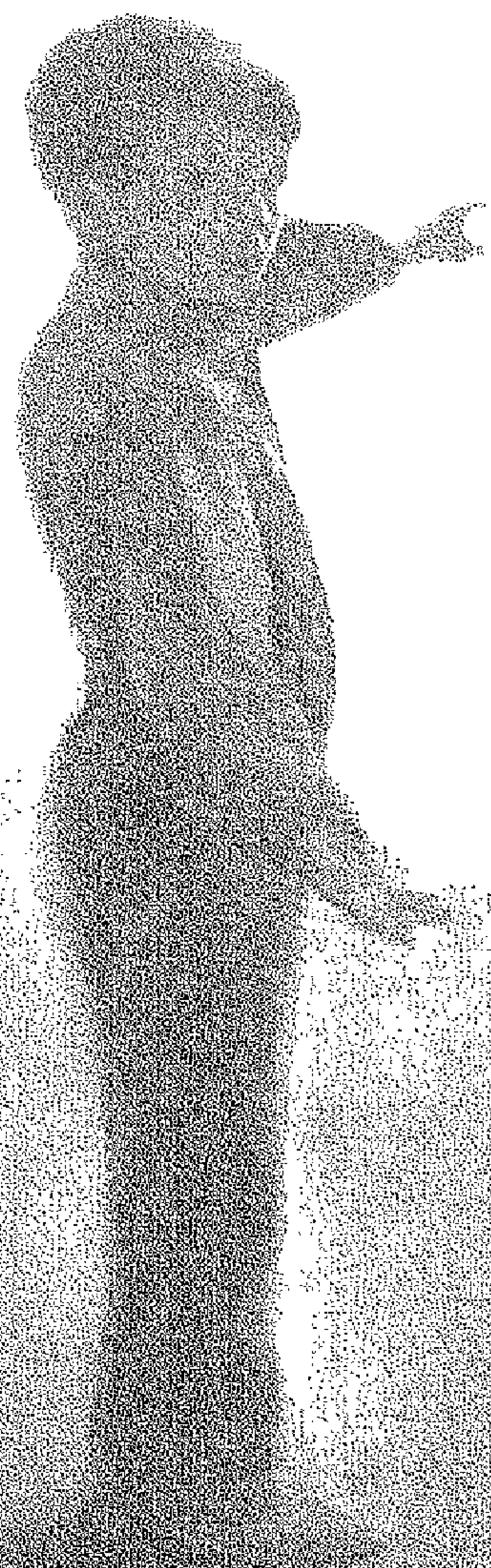
الروائي إ.ل. دكتورو

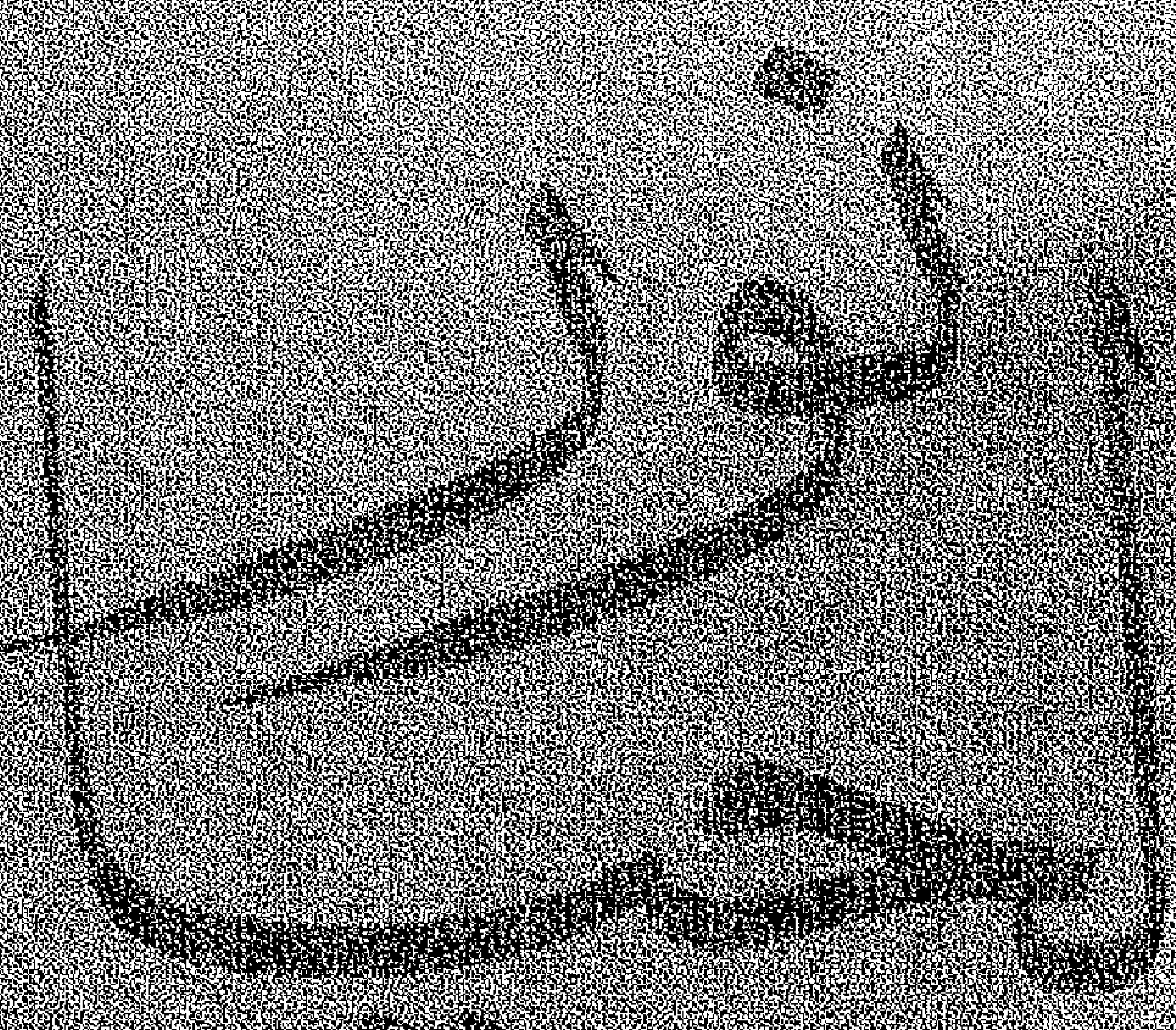
طبيب مشغول

ذات مساء تلقى جارنا فريد، وهو محاسب، اتصالات هاتفية متتالية من طبيب صديق قال انه يحسب بنفسه الضرائب المترتبة عليه ويحتاج الى بعض "المعلومات القليلة"، طالباً من فريد أن يزوّده هذه المعلومات عبر الهاتف لانه كثير الانشغال وغير قادر على الحضور الى مكتبه.

وبعد انتهاء المكالمة الرابعة من الطبيب اتصل به فريد قائلا: "ينتاب زوجتي ألم حاد، وأعرف أنها تحتاج الى جراحة استئصال الزائدة الدودية. وبما أنك منشغل كثيراً وغير قادر على المجيء الينا، فأنا لا أودّ ازعاجك، اذ جلّ ما أحتاج اليه هو بعض المعلومات القليلة. أين أشقها؟"

م.ج.





ملخص من كتاب انطلق نحو النور

بقلم كريس اوبلر بالاشتراك مع لوري نكلف وبيشا نوبيس

نور الحياة

عندما تعلم أن حبيباً لك سيموت تخال أن الزمان توقف لحظة. وحين تعود الساعة الى الدوران لا يبقى شيء كما كان.
تتذكر كريس أويلر الخدر الذي أصابها عندما قيل لها إن ابنها بنجامين (بن) ذا السنوات السبع مائت لا محالة.
قالت لنفسها: محال أن يحدث هذا لنا. لا بد أن يمنَّ الله علينا بأعجوبة. لا بد أن يغير الأطباء تشخيصهم أو يجدوا علاجاً شافياً.
لقد عاش بنجامين ٩٤ شهراً مرت سريعة كحلم. واليوم يقف على عتبة الموت مودعاً ولما يتسنَّ له أن يقود سيارة أو يحضر حفلة أو يصبح أباً يحتضن طفلاً له بحنان.
الموت دوماً أمر يخاله المرء بعيداً جداً عنه.
وفجأة يصبح قريباً، قريباً جداً.



ذهبتُ وأولادي الثلاثة الى «بارك سيتي» في ولاية يوتاه لقضاء عطلة الربيع مع أهلي. هناك التقى أولادي أبناء أخوالهم للمرة الأولى وأمضوا أوقاتاً ممتعة في التزلج واللعب. كانت حقاً أياماً ملؤها السعادة والوئام أمضيناها بعيداً عن كل مكدر.

وذات ظهيرة فيما العطلة تقارب نهايتها، تحلَّق الكبار حول المدفأة يرشفون القهوة فيما خرج الأولاد يلعبون ويتسابقون متزلجين نزولاً على تلة تكسوها الثلوج. خرجت الى الشرفة أراقب ما يجري، فرأيت أولادي الثلاثة وقد تألقت وجناتهم بجذوة الحياة كأنها صور لاعلان عن علب عصير. فهذا بو بوجهه النمش وهذا بن بابتسامته العابثة وذاك آبر بعينيه البراقتين. لم يسمح لنا الوقت بأن نفكر حينئذ كم كنا سعداء.

بدأ اليوم الأخير من العطلة مثلما بدأت أيام كثيرة عندما كنت طفلة. سمعت امي تسألنا وهي تحضر قائمة المشتريات: «هل تريدون شيئاً؟»

فصاح بن: «أجنحة دجاج!» وكان في السابعة من عمره وقد ولد يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٧ بعد سنتين من زواجي غرانت أويلر.

ان لكل أم وجبة خاصة يحبها أولادها. وكانت وجبة أمي المفضلة أجنحة الدجاج بالمرق المخلل. وعلى رغم اني كنت أتبع دوماً وصفة أمي في تحضير هذه الوجبة فإن بن لم يستسغ طعمها، وكان يتشوق دائماً الى أجنحة أمي. لذلك حين جلسنا الى المائدة بدا غريباً أنه لم يأكل شيئاً.

قال: «بطني يؤلمني.»

وفي اليوم التالي انتهت العطلة لكن ألم المعدة لم ينته. وطوال الطريق الى بيتنا في كرمل بولاية كاليفورنيا لم يكن بن على عهدي به. كان يشكو من اسهال

حاد استوجب استدعاء طبيب العائلة. اذ لا بد أن يجد له الدكتور بان علاجاً، وهو الذي اعتنى به منذ ولادته.

وأذكر أنني حين ولد بن أُخبرت اني ناقلة لداء النزف الوراثي[1]. وكان أخي سكوت مصاباً بهذا الداء، كذلك أصيب به بن. ومعروف أن النساء ينقلن هذا الداء، أما الرجال فيصابون به. ومع كل حمل تبقى الاحتمالات الوراثية للاصابة هي ذاتها: يقدَّر احتمال اصابة المواليد الذكور بهذا الداء بنسبة ٥٠ في المئة، واحتمال كون المواليد الاناث ناقلات للمرض بنسبة ٥٠ في المئة كذلك.

وهكذا فإن احتمال اصابة أي من أولادنا بالداء هو واحد الى أربعة. ولكن على رغم هذه النسبة أصيب ولدانا الأصغران بو (٥ سنوات) وآبر (٣ سنوات) بالمرض اياه. واليوم، لحسن الحظ، يُعالج المصابون بداء النزف بجرعات من محلول الدم المركَّز والمتضمن بروتييناً مخثِّراً ينقصهم، مما يتيح لهم العيش حياة نشطة نسبياً.

وكنت اعتدت هذا الداء لاصابة أخي به، لكن الأمر كان جديداً على زوجي غرانت. وكم ازدادت محبتي له بعد أن تكيف وهذا الواقع وتعلم كيف ينقل الى الأولاد محلول الدم المعروف بـ «العامل ٨»[2] كلما نزفوا.

عندما عاين الدكتور بان بن اعتقد أن الأمر لا يتعدى اصابته بداء جرثومي. فوصف له مضاداً حيوياً (أنتيبيوتيك) وأخذ، على سبيل الاحتياط، عينات من دمه للفحص. وقال إن النتائج ستظهر بعد أسبوع.

توقعت أن يفيد الدواء، لكن اسهال بن تفاقم وازداد تقيؤه. اذ ذاك بدأت أشعر بالخوف والعجز. فأخذت بن في مطلع الأسبوع التالي الى عيادة الدكتور بان حيث أجرى له مزيداً من الفحوص وقال إنه يود مراجعة حالات سابقة في مستشفى الأطفال في ستانفورد حيث تقوم عيادة لداء النزف الدموي. ووعد بأن يتصل بنا هاتفياً فور تلقيه النتيجة.

اتصل بنا الدكتور بان في اليوم ذاته مقترحاً أن ننقل بن الى المستشفى في ستانفورد.

قلت: «سنأتي صباح غد.» لكن الطبيب نصحني: «كريس، أعتقد أن من الأفضل أن تذهبي فوراً.»

تلا ذلك أسبوعان من الفحوص الغامضة التي تطلبت مزيداً من عينات البراز والبول والدم. وذات يوم اقتادنا طبيب عبر باب مزدوج الى غرفة تختلف عن بقية الغرف. ظننتها «غرفة خاصة.» يا لحظنا الحسن! ثم لاحظت أن للغرفة حماماً خاصاً. طبعاً، بن يحتاج الى حمام خاص.

شجعتني الفحوص الناشطة أول الأمر. وراودني الأمل أن يتوصل الأطباء

الى تشخيص الداء بسرعة. لكن جميع النتائج جاءت سلبية مما استوجب اللجوء الى اجراءات طبية أخرى كان معظمها أليماً، ومنها تخطيط للدماغ وأخذ عينات من سائل النخاع الشوكي ومن نقي العظم.

لكن حال بن زادت سوءاً، واكتسى لسانه وحلقه بطبقة بيضاء بشعة وتورمت غدد رقبته وأصيب بطفح جلدي.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٥ بلغني أن النتائج الأولية للفحوص التي أرسلت الى مراكز مراقبة الأمراض في أطلنطا بولاية جورجيا، ستصل في أواخر الأسبوع وربما يوم الجمعة.

وكان بو وآبر ذهبا للمكوث عند والدي غرانت، فيما واظب غرانت على قيادة سيارته أربع ساعات يومياً ليتمكن من متابعة عمله في ورشة بناء في كرمل وتمضية بعض الوقت معنا ليلاً في المستشفى. ولكن يوم الجمعة اتصل بي غرانت وأخبرني انه مضطر الى التأخر، وأنه سيأتي حالما ينهي التزاماته. وبقيت أراقب الساعة وموقف السيارات في الخارج، فلم ألمح زوجي. وعلمت أن عليّ أن أواجه الأطباء وحيدة.

تذكرت أني أجلت بصري في أنحاء غرفة الاجتماعات ورأيت عدداً من الأطباء في انتظاري. وبدا لي ان لا حاجة الى مثل هذا العدد من الناس لنقل خبر جيد. ثم ناولني الدكتور برتل غلادر، رئيس قسم أبحاث الدم الخاص بالأطفال، نتائج المختبر التي اكدت أن بن يعاني اصابة طفيلية، وتورماً في الغدد، والتهاباً فطرياً يتميز ببقع بيضاء على اللسان والحلق. لكننا كنا نعلم ذلك قبلاً.

ثم انبرت جودي لي، وهي ممرضة متمرنة تعمل لدى الدكتور غلادر، وسألتني: «أتفضلين يا كريس انتظار غرانت لسماع ما تبقى؟»

«كلا،» قلت وأنا أتساءل كيف يتوقعون مني مزيداً من الانتظار. «ارجوكم تابعوا.»

سألني الدكتور غلادر: «هل سبق أن سمعتِ بمرض قصور المناعة المكتسب[٣]؟»

فأجبته: «أتعني الايدز؟ هل بن مصاب بمرض الايدز؟» فجأة رأيت الأمور بوضوح. غرفة بن الخاصة، والفحوص التي أرسلت الى أطلنطا، والأمراض التي لم يقوَ بن عليها.

تابع الدكتور غلادر قائلاً إن محلول الدم الذي يحتاج اليه بن عولج بالحرارة

(١) Hemophilia

(٢) Factor VIII

(٣) Acquired immune deficiency syndrome

لبضع سنوات، وبما أن بن في السابعة من عمره فربما التقط الاصابة وهو طفل. فهو كان يخضع سنوياً لأكثر من ٢٤ عملية نقل للمحلول الدموي المركّز، يحصل في كل منها على خلاصة قدمها نحو ١٠٠٠ متبرع. وكان أحد المتبرعين مصاباً بالايدز.

كدت لا أسمع ما قاله الطبيب وسط طنين صم أذني. وسمعتني أسأل عن التفاصيل والعلاج وكل ما راودني من أفكار، الى أن قاطعني الدكتور غلادر قائلاً: «كريس، هل تدركين أهمية ما نقوله لك؟»

شعرت بخدر يعتريني. طبعاً، فهمت ما يعني. فالإيدز مرض قاتل. وعندما تُبلغ أن ابنك سيموت تخال أن الزمان توقف لحظة. وحين تعود الساعة الى الدوران لا يبقى شيء كما كان. تشعر كأن صوتك ينبثق من شخص آخر. وتحس عينيك تحدقان الى أشياء غير مهمة، كلطخة على نظارتي الطبيب أو بلاطة مختلفة في أرض الغرفة. عندما يكون الشخص الذي سيموت ابنك تدرك أن كل شيء تغير وأن الألم سيلازمك الى الأبد.

قلت: «هل لك أن تخبرني كم سيعيش؟»

أجاب الدكتور غلادر: «كل ما نعرفه إحصائياً أن ٨٥ في المئة من مرضى الإيدز يموتون خلال سنة.»

خلال سنة؟ كيف يحدث هذا؟ لقد عاش بن ٩٤ شهراً لا غير. وعادت بي الذاكرة الى يوم كان طفلاً يحبو.

قال الدكتور غلادر: «آسف لأني لا أستطيع اخبارك المزيد، اذ ان بن هو الأول عندنا.»

فقلت له: «وهو الأول عندي أيضاً.»

قائد القطيع

قبعت أنتظر غرانت وأنا أعلم أنه الوحيد الذي يمكنه تعزيتي على رغم أن حزنه سيكون كبيراً كحزني. وملأت الدموع عيني وأنا أخبره بحالنا. لكني قرأت في وجهه أنه كان يتوقع شيئاً من هذا القبيل منذ البداية. وكم من رحلة طويلة قطعها وحده والمخاوف ترافقه، لكنه حرص على تأجيل معاناتي أياماً قليلة أخرى.

ذهبنا معاً الى اللقاء الثاني والفريق الطبي. قالوا انهم سيباشرون معالجة الأعراض. وكان الطفح الجلدي بدأ يتلاشى، كما تمت السيطرة على الطفرة التي كست حلق بن بفضل الرشاش الذي كرهه وكان عليه تقبله في أي حال. وبالنسبة الى الطفيليات التي شكلت المعضلة الرئيسية، ارتأى الأطباء معالجتها بدواء اختباري جديد.

سألنا عن طريقة المعالجة، لأننا علمنا أننا اذا أتقنّاها ففي وسعنا نقل بن الى

البيت حيث نحيطه برعايتنا ودعمنا نفسياً وجسدياً. كما سيكون أخواه الى جانبه مع كلبنا دارسي للترفيه عنه.

ومع ذلك كنت متوترة حين بدأنا نوضب أغراض بن استعداداً للرحيل. فقد تيقنت أني سأكون المعنية مباشرة برعاية بن. وتذكرت أني حين بلغت التاسعة والعشرين من عمري شعرت بأني كبرت. لكني أحسست الآن أني صغيرة جداً ولا خبرة لي في مثل هذه الأمور. كان عليّ الاعتناء بثلاثة أولاد، وهناك رابع في احشائي. فكيف سأقوى على كل ذلك؟

تذكرت ما كانت والدتي تقوله لي في مثل هذه الحال: «لا ترتبكي، وعالجي كل يوم على حدة.» وهذا بالضبط ما يجب أن أفعله الآن.

كان يوماً جميلاً في أوائل الصيف عندما غادرنا المستشفى. لذلك قررنا سلوك طريقنا المفضلة عبر الغابة. استلقى بن على فراش وضعناه له في مؤخر شاحنتنا الصغيرة المقفلة (فان) وراح يسرح نظره في الاشجار الحمراء العملاقة والمشاهد العابرة. وبعد حين طلب أن يجلس في حضني. ولو طلب ذلك في الماضي لقلت ان في ذلك خطراً على سلامته، لكن خطر الحوادث بدا الآن مضحكاً.

جلس عند بطني المنتفخ ورأسه الى كتفي وقدماه في حضن غرانت. وسألنا: «هلا أخبرتماني مما أشكو؟ ماذا قال الأطباء؟»

وكنت اتفقت وغرانت على ما سنخبر بن. لكننا لم نتفق كيف ننتقي الكلام المناسب. وكنت نجحت سابقاً في انتقاء العبارات التي تطمئن أولادي، لكني لم أجد في تلك اللحظات عبارة مناسبة من تلك التي تلجأ اليها الأمهات.

بدأت: «حسناً يا بن، علمنا أن الدكتور بان كان محقاً في تشخيصه للداء الطفيلي، اذا أثبتت الفحوص أنك مصاب به في معدتك. ولهذا السبب تعاني الاسهال.»

وانتظرت سؤاله التالي، لكنه لبث ينتظر مزيداً من الشرح.

تابعت: «والسبب في صعوبة التغلب على هذا الداء هو أنك مصاب بشيء آخر يدعى الايدز. وهذا مرض مخيف قليلاً لأن الأطباء لا يعرفون الكثير عنه، خصوصاً لأنك أول صبي صغير شاهدوه مصاباً به.»

سأل بن: «متى يعتقدون أني سأتحسن؟»

أجابه غرانت: «ليسوا أكيدين من الوقت. لكنهم أعطونا أدوية ستحسن حالك، ومنها أقراص ورشاش أصفر للحنجرة ستحب طعمه.»

وهنا غيّر بن ملامح وجهه وقبض على حنجرته متظاهراً بالتسمم.

تابع غرانت: «سنعود الآن الى البيت وستشعر بالتحسن. فلنفكر بشيء مسلٍ نفعله معاً؟»

مددت يدي الى محفظتي وتناولت قلمي ودفتر الملاحظات لأن التدوين يمدني بحس تنظيمي. وقلت لبن: «لنضع لائحة بالأشياء التي تود عملها. اذا قيض لك أن تختار ما تفعله هذا الصيف، فماذا تختار؟»

فسارع بن الى القول: «ديزني لاند! واجتماع عائلة أويلر!»

كانت عائلة غرانت درجت على الاجتماع سنوياً على مقربة من بحيرة تاهو. ومن الأمور التي تعلمتُها خلال زواجي أهمية المساندة العائلية في الأوقات العصيبة والأوقات الطيبة. وكان لاجتماع عائلة أويلر طابع خاص، اذ كان بن الاكبر بين أربعة عشر حفيداً ويدعوه الجميع «قائد القطيع» وهو مركز ملأ قلبه سروراً. ولكن هذه السنة جُمِّدت المخططات بسبب مرض بن.

قال غرانت: «سأتصل بجدتك لدى وصولنا الى البيت لأرى اذا كان في وسعنا ترتيب ذلك.»

سألت ابني: «الى ماذا تتشوق أيضاً يا بن؟»

أجاب: «أود التعرف الى أصدقاء جدد عندما تبدأ المدرسة في سبتمبر (أيلول).»

قال غرانت: «قد تكون في مدرسة أخرى، لأننا نفكر في الانتقال الى منزل جديد قبل ولادة طفلنا في نوفمبر (تشرين الثاني).»

سأل بن: «هل يعني ذلك أني لن أرى جسيكا بعد الآن؟»

فطمأنته: «طبعاً لا، فالمرء لا يخسر الاصدقاء لمجرد انتقاله الى مدرسة أخرى.»

فتمتم بن: «نعم، معك حق. لكن هل أستطيع محادثتها عندما نصل الى البيت والاطمئنان الى صحتها؟»

فأومأت برأسي موافقة. لكن شعوراً ما جعلني أتردد في وضع اسم جسيكا على القائمة. والسبب أن جسيكا كانت رفيقة تعرف اليها بن ذات يوم عندما اضطر الى البقاء داخل الصف خلال الاستراحة لاصابته بنزف. وكانت جسيكا، «الفتاة التي لا شَعر لها،» في الداخل أيضاً. وهي أخبرته أن شعرها تساقط بعدما اكتشف الأطباء أوراماً في دماغها وعالجوها بالأشعة.

فهم بن أن جسيكا معرضة للموت. وقد حدثته أنا وأبوه حول هذا الأمر بعد مكالمة تلقيناها من والدة الفتاة التي لاحظت مدى الصداقة بينهما وأبدت قلقاً من أن يؤذي ذلك بن. حصل كل هذا قبل أشهر.

لاحظ بن ترددي فتناول القلم من يدي وكتب تحت عبارتي «منزل جديد» و«مدرسة جديدة» اسم جسيكا.

وهنا غيّر غرانت الموضوع: «ماذا تريد يا بن عندما تبلغ الثامنة؟»

أجاب: «سأحتفل بعيد ميلادي. أكتبي هذا يا أماه.»

ثم نظر الى القائمة الطويلة وقال: «هناك شيء ناقص... أخي الصغير.»

قلت مصححة: «تعني أختك تشلسي.» فنظر الي مبتسماً. لقد تكرر هذا الحوار بيننا حتى غدا شبيهاً بقصة مألوفة. أراد بن أخاً، وأردت أنا ابنة. قلت له مبتسمة: «لننتظر ونرَ. وستفرحنا النتيجة أياً تكن، أليس كذلك؟»

وافق بن، فكتبت كلمة «طفل» في أسفل القائمة.

شعرت وكأني أنجزت شيئاً. على الأقل، حددنا نقطة البداية في الرحلة الصعبة وبعض المعالم التي توجه مسارنا في طريقنا المجهولة. علمت بالتأكيد أن علينا أن نكون معاً

صور في القلب

حدد الأطباء حياة بن المتبقية بسنة واحدة، ولكن فاتتهم معرفة عائلتنا. وفاتهم مدى ايماننا.

كان غرانت مؤمناً بأن الله سيشفي بن. قال: «تعرفين يا كريس أن العجائب تحدث. كل ما يلزمنا هو الوقت. الوقت ليجد الباحثون الدواء الشافي.»

أصغيت الى كلماته ووجدت فيها قوة. فإذا استجمعنا كل مواردنا من الحب العائلي واخلاص الأطباء وايماننا بالله فقد نستطيع انقاذ بن.

كانت الأسابيع الأولى عصيبة بالنسبة الينا جميعاً، ولاسيما غرانت الذي اضطر الى العمل بين ١٢ و١٤ ساعة يومياً ليتمكن من تسليم تعهداته في الأوقات المحددة.

وفي البيت كان التحدي الكبير الذي واجهته مع الأولاد هو تفادي استنزاف طاقتي في الأمور التافهة والمزعجة. وكنت أملت أن أعوض الأولاد أجواء المرض والصعوبات برحلات الى الحديقة العامة ومربى الأسماك. لكن إسهال بن اضطره الى دخول الحمام كل ساعة أو ساعتين طوال النهار وطوال الليل أحياناً، فضلاً عن تقيؤه المتكرر. وكنت أغسل خمس أكداس من الثياب يومياً.

وكانت النظافة هاجسنا. والواقع أننا لم نخشَ الاصابة بمرض الايدز لعلمنا أن عدوى هذا الداء تتأتى من المجامعة أو انتقال السوائل الجسدية، كنقل الدم مثلاً. وقد أكدت الفحوص لاحقاً أن أياً منا لم يصب بالايدز. لكن أمراضاً أخرى أصيب بها بن كانت معدية، وخصوصاً القُلاع الذي أصاب حلقه. لذلك وضعنا في الحمام آلة لصب الصابون السائل وأكواباً من الكرتون. لكن مراقبة بو وآبر كانت صعبة جداً، كذلك التأكد من أنهما لا يشاركان بن في أكل الحلوى والبوظة (آيس كريم).

وازداد تشاركنا في أعمال بسيطة كالاعتناء بالحديقة وصنع أقنعة من ورق. وأحياناً، عندما يشعر بن بالتعب وأنا بالإجهاد من جراء الحمل والقلق، كنا نستلقي معاً على أرض غرفة الجلوس لأخذ سِنة من النوم. أنا لم أمض مثل هذه الأوقات مع بن مذ كان رضيعاً. وما مدَّني بالقوة على الاستمرار سوى بعض هنيهات هانئة، وإن تكن نادرة، قضيتها مع بن.

وفيما كنت ذات يوم في دكان البقال التقيت سائق الحافلة في مدرسة بن وعلمت منه أنه جسيكا توفيت قبل بضعة أيام. شعرت بأني قصَّرت مع بن اذ لم أتصل بوالدتها منذ رجوعنا الى البيت. والآن فات الأوان.

ذهبنا ذلك النهار الى الحديقة العامة، وجلست مع بن على حافة بركة رمل فيما مضى بو وآبر يلعبان على مقربة منا. قلت: «أريد أن أحدثك عن جسيكا يا بن.»

حدجني بنظرة سريعة ثم أطرق وبدأ يكتب في الرمل بأصبعه. قال: «أخبار غير جيدة، أليس كذلك؟»

وضعت يدي على كتفه وقلت: «أخبار سيئة. لقد ماتت جسيكا قبل أيام.»

تابع رسم دائرة في الرمل وقال: «أكان ضرورياً أن أخسرها بهذه السرعة؟ كانت أصغر مني سناً.»

أجبته وأنا غير واثقة من اختيار العبارات المناسبة: «لا يخسر المرء من يحبهم حقاً. ان في وسعك الاحتفاظ بهم دائماً... في قلبك.» وهنا تناولت من محفظتي صوراً له ولأخويه ووالده وناولته اياها قائلة: «أتعلم أن قلبك قادر على التصوير؟ صور القلب أجمل الصور لأنك تلتقطها في لحظات خاصة، وهي ملك لك وحدك.»

- هل ستذهب جسيكا الى السماء؟

«نعم.»

- هل سأراها يوماً؟

«أنا واثقة بذلك يا بن.»

تبع ذلك صمت طويل. وظل بن مطرقاً يكتب في الرمل. ثم قال: «متى يكون ذلك يا أماه.»

قلت: «لا أدري. لا أحد يعلم متى يموت. لذلك من المهم جداً أن نحب بعضنا بعضاً ما دمنا معاً.» وجهدت لكي أُبقي عينيّ مفتوحتين كي لا تنهمر دموعي.

لا أدري لماذا شعرت بأن بن عالم بدنو أجله. أردت أن أحوطه بذراعي وأهدهده وأبكي معه. لكني لم أفعل. كان عليّ أن أبقى قوية ومرحة. لذلك جلسنا هناك وكل منا غارق في أفكاره.

وأخيراً قال لي: «أماه، هلاّ دفعتِني في الأرجوحة قليلاً؟»

من الأمور المدرجة في قائمة بن واحد لن يتحقق: اللعب مع جسيكا غير أننا

ابنا الى «ديزني لاند» خلال الصيف. وتمكن غرانت من جمع آل أويلر في وقت قصير بحيث التقى ستة فروع من العائلة في جمع كان له أبلغ الأثر في بن وفي جميع افراد العائلة.

ولكن بعد وقت قصير اضطـر بن الى دخول المستشفى مجـدداً اذ أصيب بالاجتفاف[٤] من جراء الاسهال وقلة الطعام. وبدأ يستعيد وزنه بتغذيته وريديـاً. وبعد أسبوع عدنا الى البيت وقد استعاد بن شكله المألوف.

ويوم عيد ميلاده أقمنا حفلة في حديقتنا. وفي تلك الليلة سألنا: «ماذا أفعل الآن وقد غدوت في الثامنة من عمري؟»

وددت ألا أفكر في مستقبل بن. وكان سادني شعور بأن بن سيغدو على أهبة الموت متى بلغ هذا العمر.

اجتمعت العائلة في تلك الليلة وانصرفنا بكليتنا الى ذكر الله ورحنـا نصعد ابتهالاتنا بحرارة وايمان طالبين أن يمنّ الله علينا ببركاته ويشملنا برعايته متقبلين قضاءه العادل بنفوس رضية.

سأل بن ببراءة طفولية: «هل هناك أشجار في السماء؟ وهل هناك شوارع؟ وكم يلزم من الوقت للوصول الى هناك؟» أسئلة حزّت في نفسي لبراءتها وواقعيتها.

ثم سأل: «أبي، هل يعيش الناس هناك في منازل؟»

أجاب غرانت: «يعيش الناس في كنف الله جل جلاله وفي حرزه الحريز. تشعر كأنك عدت الى بيتك بعد رحلة طويلة، الى حيث يطيب العيش.»

وفي الصباح شعرنا براحة تغمر كياننا. نظرت الى بن طويلاً وراقبت كم يغير مرض الايدز جسد الانسان على نحو لا يصدق. ولاحظت كذلك أن التغيير لا يتناول الجسد فحسب، بل النفسية كذلك. كان جسد بن ينكمش مع تقدم مراحل المرض، لكن روحه كانت تنمو.

والتقط قلبي تلك الصورة.

حلو ومرّ

انقضى شهر يونيو (حزيران) وبدأ شهر يوليو (تموز)، فلف الضباب الصيفي منطقة كرمل كما في كل سنة. ووجدنا منزلاً أكبر يحوي حمّامـين. وفيما انهمـك غرانت في إعادة ترتيبه انصرف الأولاد كل الى شأنه. في هذه الاثناء أسقط بو اثنين من اسنانه اللبنية، وغدا آبر كبيراً على دراجته الثلاثية العجلات فأبدلناها بواحدة ذات عجلتين. ومر بن بأيام حلوة وأخرى سيئة. في الأيام الجيدة كنا نستمتع بكل

(٤) dehydration اي الجفاف بفعل استنزاف سوائل الجسم.

ابتسامة وضحكة. وفي الأيام السيئة كنا نشتاق الى الأيام الجيدة ونأمل عودتها.

لم يكن هناك من سبيل لتعويضه المعاناة الأليمة، ولا من وسيلة لاعادة الساعة الى الوراء، الى يوم تلقى بن تلك الحقنة اللعينة التي نقلت اليه العدوى، الى لحظة استطيع فيها أن أمنع ما حصل.

وهنا شعرت بالغضب يحل محل الخوف. أردت أن أوجه اللوم الى شخص ما.

وذات ليلة دخل بن المطبخ حيث كنت وغرانت نجهز طعام العشاء، وسأل: «ماذا يعني أن يكون المرء شاذاً؟»

قلت: «لمَ تسأل؟»

أجاب: «سمعت ذلك على التلفاز. قالوا إن الشاذين يصابون بمرض الايدز.»

تبادلت وغرانت النظرات ثم قلت: «إنهم لا يتحدثون عنك يا بن.»

وهنا اقترح غرانت أن نعود الى غرفة الجلوس. وكان بـو وآبر يلعبـان في الخارج.

وكان غرانت جلس وبن هكذا قبل سنة لدى عودته من المدرسة وقد سمع كلمة بذيئة لم يفهمها. ولم نكن خططنا أن نحدثه عن الجنس بعد، لكننا لم نود أن نتركه يتأثر بمفاهيم خاطئة. لذلك عمد غرانت الى شرح ما يكفي لافهامه عن ولادة الأطفال وماهية الجنس كجزء طبيعي من المحبة بين الزوج والزوجة.

وها هو بن يسأل الآن عن الشذوذ.

قال غرانت: «أنت تذكر ما قلناه لك عن اصابتك بمرض الايدز من طريق نقل الدم. ولكن هناك وسيلتان أخريان للإصابة. فمدمنو المخدرات يصابون بالمرض من جراء استعمال إبر ملوثة. أما الوسيلة الاكثر شيوعاً فهي انتقال العدوى بين الشاذين. وتعني كلمة شذوذ قيام علاقات بين افراد من الجنس المماثل. وعندما يتحدث الناس عن مرض الايدز لدى الشاذين فهم يعنون الرجال غالباً.»

بدا بن مرتبكاً، وهنا مددت يدي وعانقته متمنية لو أستطيع تبسيط الموضوع على نحو يفهمه. قلت له: «إن هذا المرض جرثومة انتقلت اليك تماماً كالزكام.» بدا بن مقتنعاً بهذا المنطق.

وحل يوم الجمعة وتأهبت وغرانت للسهرة خارج المنزل كما تعودنا أن نفعل كل أسبوع. وكنت أنتظر ليلة الجمعة على أحر من الجمر، لأن الساعات القليلة التي كنا نقضيها معاً كانت تمدنا بالقوة اللازمة لاحتمال الضنك الآتي وتذكرنـا بقدرتنا على اجتياز المرحلة الصعبة معاً.

وفيما كنت أرتدي ملابسي رن جرس الهاتف. انها أمي تريد أن تتحدث الى بن، وكانت بينهما صلة مميزة. أصغيت وتبسمت لما كان يقوله بن.

وعندما أقفل بن السماعة أخبرنا أن جدته رتبت كل شيء. قال انه سيذهب لزيارتها هي وجده رالف. فقد أمضى بو وآبر أياماً لدى والدي غرانت حين كان بن في المستشفى، والآن جاء دوره.

فقال له أبوه اننا سنبحث في الأمر في الصباح.

ذهبتُ وغرانت الى مطعم صغير وجلسنا الى طاولة حميمة في الزاوية. بدا لنا ذلك أقصى ما نطمح اليه من رفاهية: شموع وطعام طيب وأنا وهو.

مد غرانت يده وتناول يدي بحنان.

استمتعنا بهذه الأمسية وبحثنا في امكان الذهاب معاً في عطلة وحدنا لبضعة ايام فيما بن يزور والديّ.

أعجوبة صغيرة

ذهب بن لزيارة جدته وذهبنا نحن الى الشاطىء لقضاء بضعة أيام. واتصلتْ امي لتخبرني أن بن بصحة جيدة وأنهما تبادلا حديثاً طويلاً. لقد بدا لها أن بن يعلم أنه على وشك الموت، وهو يخشى أن نغضب منه من أجل ذلك لأننا نحبه كثيراً.

فكرتُ كم كان ذلك صعباً على أمي. وكم أحببتها حينئذ. فهي لم تكن تراقب عذاب حفيدها وحده، بل عذاب ابنتها أيضاً.

نقلنا بن الى المستشفى بعد عودته، اذ بات عاجزاً عن الأكل وعاد يخسر من وزنه.

في تلك الليلة جلست وبن على حافة سريره في المستشفى وقلت له: «لقد اشتقت اليك كثيراً خلال غيابك عنا. لكنك تعلم أني لا أغضب منك أبداً لذهابك في رحلة، وإن استغرقت وقتاً طويلاً جداً. انني أشعر بالحزن فقط لأننا لسنا معاً.»

أجابني بن بايماءة من رأسه ثم تعانقنا بصمت. علمت أن عليّ أن أزيد على ما قلت، لكنني لم أقوَ على الكلام.

صعب علي أن أترك بن وحده في المستشفى في اليوم التالي، ولكن كان عليّ أن أعود الى البيت لحزم الأمتعة للانتقال الى منزلنا الجديد. وعند الظهر قبّلت ابني مودعة.

كان ذلك يوم الخميس وعليّ الاستعداد لمغادرة منزلنا يوم السبت. لم أدرك مدى الجهد الذي يتطلبه حزم الأمتعة. كانت شقتنا صغيرة، ولكن عندما عدت بولديّ بو وآبر مساء من منزل أحد الأصدقاء تبين لي أني لم أنجز الا القليل.

ارتميت على الأريكة وأغمضت عينيّ. جلست هناك وأنا في الشهر الثامن من حملي يلفني الذهول والارتباك والاجهاد. لم أقو على التفكير إلا في ما ينتظرني من عمل وفي المخاوف السوداء التي غمرت كياني. ماذا لو كان الطفل المنتظر صبياً،

ماذا لو كان مصاباً بالنزف الدموي؟ لقد درجتُ على إخبار الجميع أني قادرة على مواجهة الأمور. لكن الأمور بدأت تزيد صعوبة مع تقدم الأولاد في السن وازدياد نشاطهم. وفي تلك اللحظة لم أدرك كيف أستطيع الاستمرار وانجاز ما يتوجب عليّ.

أخيراً تناولت الهاتف وطلبت والدتي. قلت بصوت حزين كأنه لامرأة أخرى: «أماه، لم أعد أقوى على التفكير. لا أعلم ماذا أفعل. ساعديني...»

أخبرتها بكل الأعمال المقبلة علي من حزم الامتعة وتنظيف البيت الجديد وتحضير الطعام للأولاد وعيادة بن وملاحقة مواعيد الأطباء.

قالت أمي: «رويدك يا حبيبتي.»

قلت: «ولكن علينا يا أماه أن نخلي هذا المكان يوم السبت.»

قالت أمي: «حسناً، سأملي عليك قائمة بأمور يجب أن تفعليها أولاً، ومن ثم يمكنك الاعتناء بنفسك وبغرانت وبالأولاد. أولاً، أريدك أن تخلدي الى النوم وأن تنهضي نشطة في الصباح. وعندما تستيقظين...»

وضعتُ القائمة الى جانب سريري، وعندما استيقظت في الصباح اتَّبعتها كآلة مبرمجة. «انهضي. ارتدي ملابسك. رتبي السرير ليكون لديك مكان نظيف تعودين اليه. حضري الفطور. احزمي أمتعة غرفة النوم، ثم الحمام...»

قرابة السابعة صباح يوم الرحيل سمعت صوت سيارة آل لايسي وهي تتوقف. كان جو عقيداً متقاعداً وزوجته ماري معلمة متقاعدة. وهما ساعداني كثيراً بالاعتناء ببو وآبر.

خرجتُ الى الحديقة لاستقبالهما، لكني لم ألقَ جو وماري فحسب بل آل يونغ وآل سميث أيضاً. ورأيت كذلك موكباً من السيارات والشاحنات ضم أصدقاء لنا من الجمعية الخيرية التي ننتمي اليها. أناس طيبون لم يتركوا مناسبة إلا وسألونا كيف تتسنى لهم مساعدتنا.

باشر الرجال نقل المفروشات والصناديق فيما ساعدتني النساء على استكمال التنظيفات. وأولى أحد الفتيان بو وآبر عنايته. ولم يحل المساء إلا وقد انتقلنا الى المنزل الجديد الذي وجدته نظيفاً وخزائنه مجهزة بأغطية من ورق والثلاجة ملأى بالأطعمة والحلوى.

ورأيت السرير الخشبي والمنضدة اللذين كانا للجد أويلر وهو صبي موضوعين في غرفة نوم بن ينتظران حضوره. وثبتنا على الحائط ملصق «حرب النجوم» الذي يحبه بن وعلقنا في السقف دينوصوراته الخشبية ونماذج طائراته المفضلة. وبذلك بدت الغرفة تتناسب وشخصية بن.

وأذكر أنني كنت مستندة وغرانت الى حائط غرفة الجلوس نرمق عملنا، فانزلقنا معاً الى أرض الغرفة وجلسنا جنباً الى جنب. سألته: «ما رأيك لو وضعنا

قرب المدفأة رفوفاً للكتب؟»
قال: «ربما علينا توسيع المطبخ وبناء طبقة أخرى. فقد نحتاج الى مساحة اضافية عندما تولد تشلسي.»
ملتُ نحوه وقبلته. وفي تلك اللحظة شعرت بأني أتحكم بحياتي من جديد. لقد عدنا نتحدث عن المستقبل كأنه يحمل شيئاً نتطلع اليه.
وصممت على ألا أدع الرياح تتقاذفني بعد الآن بسبب حال بن، خصوصاً وان الأمور ستزداد سوءاً، لذا يجب أن أكون مستعدة لمواجهتها.
وبعد مضي بضعة أسابيع اتصلت بوالدتي وطلبت منها أن تزورني. لم أبدُ هذه المرة كطفلة تتوسل من أمها المساعدة، بل كابنة ناضجة تدعو الجدَّة الى المشاركة في بهجة الاستعداد لاستقبال المولود الجديد.
أطلقنا على ابننا الرابع اسم دانيال، وهو ولد يوم ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ وكان وزنه عند الولادة نحو أربعة كيلوغرامات.
مر الدكتور بان لزيارتنا وفحص الوافد الجديد. وهو دخل علينا بابتسامة عريضة وقال: «جاءتني نتائج الفحوص مؤكدة أن الطفل بصحة جيدة وهو غير مصاب بالنزف الدموي.»
غمرني شعور بالارتياح. لقد نال بن أخاً جديداً كما تمنى. ونلنا نحن أعجوبتنا الأولى.

منهل شجاعة

فيما كنا ننتظر ولادة دانيال قررتْ ادارة المدرسة عدم قبول تسجيل بن في الصف الابتدائي الثالث. وعلى رغم خيبتنا قررنا عدم معارضة هذا القرار علناً رغبة منا في تفادي مواجهة المصورين والصحافيين.
وكان بو الأكثر تأثراً بهذا القرار لأنه كان دائم الفخر بكونه شقيق بن أويلر. واليوم دخل مدرسة جديدة حيث لا يعلم عنه رفقاؤه سوى أنه شقيق الصبي المصاب بالايدز. وهو بدا عاجزاً عن التركيز في المدرسة، كذلك في المنزل حيث رأيته كثيراً يحدق الى الفضاء البعيد.
وذات يوم فيما كنت أنشر الثياب على حبل الغسيل جاءني بو راكضاً. وأخبرني أن بن طلب منه ومن آبر عدم دخول غرفته. وتساءل لماذا توقف بن عن اللعب معه ومتى يعود الى مرحه المعهود ومتى تتحسن حاله.
قلت له: «قد يبقى بن مريضاً فترة طويلة جداً. وعليك أن تجد ألعاباً هادئة تشاركه فيها، ألعاباً لا تتطلب الركض ولا تحدث ضجيجاً صاخباً. يجب أن تكون صبوراً معه كما كان هو معك عندما كنت صغيراً. هل أنت قادر على ذلك؟»

أطرق بو، لكني رأيت دموعه تتساقط عن أنفه. فحضنته وتركته يبكي بين ذراعيّ.

وفي الصباح التالي خرج بن من الحمام وهو يرتجف مترنحاً. نظرت اليه وقد أدار ظهره فهالني مدى هزاله. بدا جلده معلقاً فوق عظامه. رباه! متى استحال بن هيكلاً عظمياً؟ هل بالغت في تفاؤلي بشفائه فلم الحظ واقع مرضه الرهيب؟

أجرينا الترتيبات اللازمة لادخال بن مستشفى الأطفال في ستانفورد. ولدى وصولنا حاولت الممرضات ايلاج إبـرة المصل في أوردتـه، فلم يستطعن الى ذلك سبيلاً. لقد غدت أوردته واهنة الى حد الانهيار.

وفي اليوم التالي طالعني بعض الأمل لدى رؤيتي أحد الأطفال يسير في رواق المستشفى وقد تدلت منه قثطرة «هيكمان»، وهذه أنبوبة مطـاطية صغـيرة تولـج جراحياً في وريد كبير في أعلى الصدر. وهكذا يمكن ضخ الأدوية وسوائل التغذية المناسبة في الجسم. لم تَطرح هذه الوسيلة وعداً بأن بن سيعيش، لكن القثطرة ستوفر له الغذاء الذي سيحول دون موته جوعاً.

لم يكن في الامكان اجراء العملية قبل شهر أكتوبر (تشرين الأول). في هذه الاثناء قررنا التأكد من سلامة هذا الخيار الذي يستوجب تعليق بن بآلة خاصة بضع ساعات يومياً، مما يعني مزيداً من العناية الطبية والمراقبة المستمرة.

لذلك اتصل غرانت بصديقنا الدكتور جايمس رازباند وزوجته إستر ودعاهما الى زيارتنا. ولدى وصولهما شرح لهما غرانت الأمر، قال: «اذا استمر بن على هذه الحال فإن نهايته وشيكة. ويبدو أن قثطرة هيكمان هي الوسيلة الوحيدة.»

فرد الدكتور رازباند: «ربما. لكن ذلك قد يطيل عذاب بن. أهذا ما تريدونه؟»

كان وقع ذلك قاسياً على غرانت. لكن الدكتور رازباند أثار سؤالاً تداولناه مراراً وأسقطناه لأننا كنا ننتظر حدوث أعجوبة. غير أن بن لم يتظاهر يوماً بأن حاله تتحسن، كان التظاهر مقتصراً عليّ وعلى غرانت.

كان في صميم بن منهل يستمد منه الادراك والقبول وعدم الخوف. نحن كنا خائفين من النهاية، أما بن فكان يتطلع الى بداية، بداية تأخذه منا الى مكان علّمناه ألا يخشاه.

من أصعب الأمور على الوالدين تحضير طفلهما للموت ثم الأذن له بالموت. هل كنا نحاول الابقاء على بن حياً لخشيتنا مواجهة موته؟ هل كنا غير مستعدين لمثل هذه الساعة على رغم قبول بن بها؟ واذا لم نكن بعد على استعداد لتجرع هذه الكأس، فمتى يكون لنا ذلك؟

أُجريت الجراحة وبدأ بن يتحسن بعد اليوم الأول. وعندما أعدناه الى البيت بدأ الخسوف ينحسر في خديه ولم أعد أرى هيكله العظمي تحت الجلد. وبدا لنا

كأن الوقت يعود الى الوراء.

أيمكن أن نكون قطعنا المرحلة الأسوأ؟ أتحل الأعجوبة التي انتظرناها طويلاً؟ لا، فالأطباء حذرونا من أن قثطرة «هيكمان» ليست علاجاً للإيدز. وناجيت نفسي: تمتعي بحضور بن ما استطعتِ ولكن لا يساورنّكِ ظن أن في الإمكان استبقاءه، لأن ذلك مستحيل.

«أريد العودة الى البيت»

بعد ولادة دانيال (داني) ومكوثي في المستشفى شعرت بالراحة للمرة الأولى منذ أشهر. أخذ غرانت إجازة وراح يساعدني في تجهيز الطعام والعناية بالأولاد، وانصرفتُ أنا الى الاهتمام بالمولود. لكننا اضطررنا الى توظيف ممرضة لابقاء سير الأمور طبيعياً في المنزل.

كان داني هدية الى العائلة كلها، ولاسيما بن ومن بين الأمور التي أدرجها بن في قائمته كان الاخ الأصغر هو الأهم بالنسبة إليه. وحتى بعد فتور حماسة بو وآبر بعد فترة من ولادة داني تابع بن اهتمامه به ورغبته في احتضانه.

ولكن بعد انصرام الخريف عادت صحة بن الى التدهور، وأصيب بسعال متكرر وعادت معدته الى التشنج. وبدا حائراً مضطرباً، فخامرني شك في أن الايدز بدأ يغزو دماغه. أخذناه الى المستشفى لاجراء تخطيط للدماغ، لكن الأطباء وجدوه سليماً وقالوا ان الايدز يسبب أعراضاً لا سبب ظاهراً لها.

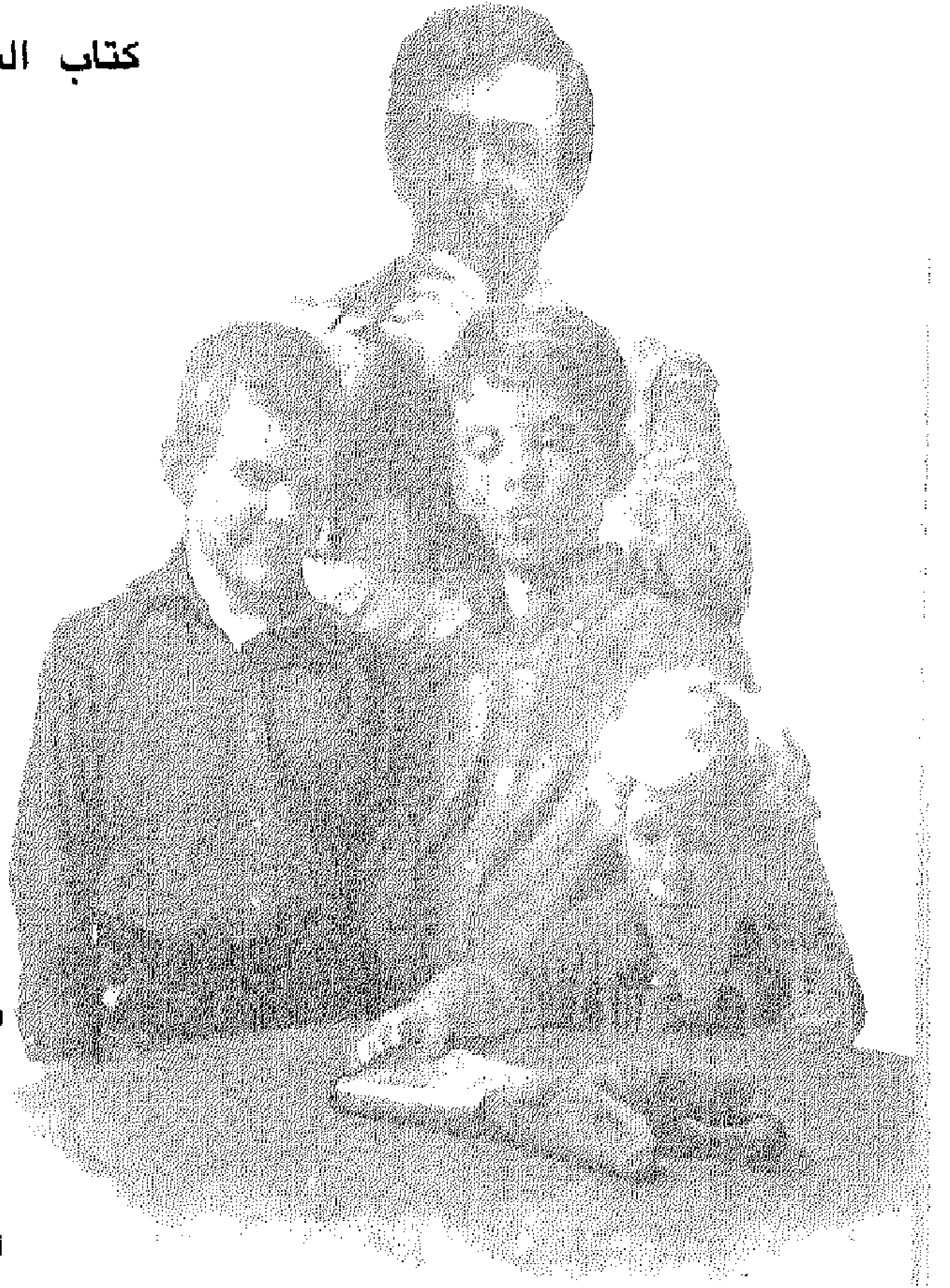
ورحت أفكر في جسيكا التي وقعت في غيبوبة قبل الوفاة. أيمكن أن يحدث مثل هذا لابننا؟ لم نشأ أن يفوت الأوان قبل أن يطمئن بن الى ايماننا بالحياة الاخرى في دنيا البقاء.

لذلك دعونا الأولاد الى اجتماع عائلي في المساء. بدأ غرانت اللقاء قائلاً: «لنتحدث عن حال داني عندما وُلد. كان داني قبل ولادته روحاً ـ لنتصورها شبيهة باليد.» وهنا رفع غرانت يده وحرك أصابعه ثم تابع: «وعندما وُلد...» وهنا تناول من جيبه قفازاً وأدخل يده فيه وأضاف: «عندما وُلد داني اتّخذت روحه بدناً كهذا القفاز.»

نظر اليه الأولاد ذاهلين ولم ينطقوا.

تابع غرانت: «وعندما يموت المرء يبدو الجسد كأنه ينزلق.» وهنا نزع غرانت القفاز ووضعه على الطاولة أمام الأولاد الذين راحوا يحدقون الى القماشة الخالية من الحياة.

«لكن الروح تبقى.» قال غرانت وهو يحرك أصابعه مجدداً. «أجسادنا تموت لكن أرواحنا باقية الى الأبد.»



قلت: «انها مشيئة الله ولا داعي الى الخوف لأن الموت شكل آخر من أشكال الحياة. فبعد الموت ننتقل الى حياة من نوع آخر في السماء." بدا بن صامتاً مما جعلني أتساءل عما اذا فهم أنه المقصود بهذا الدرس.

سمحت قثطرة «هيكمان» ببقاء بن اربعة أشهر في البيت اضطررنا بعدها الى ادخاله المستشفى. وكان عانى تقيؤاً واسهالا شبه متواصلين على مدى سبعة أشهر. والآن بدأ يقاسي آلاما لا تطاق وغدت الأدوية المنزلية غير كافية لتسكين الألم.

وكانت له بضعة أيام جيدة، لكن أيامه السيئة زادت على ما قبل. وكان تحسن على نحو ملحوظ في الآونة الأخيرة، لذا غدا كل تدهور في صحته يسبب له ألماً وأسى مضاعفين. كانت تغمره الاثارة حين نحضر له مجموعة جديدة لتركيب طائرة، ثم يعجز عن اكمالها اذ تشرع يداه في الاهتزاز بعنف.

مرّت الأيام والأسابيع وغدوت لا أرى غرانت إلاّ لماماً لانصرافه هو الى العمل ولانصرافي انا الى المستشفى حاملةً داني. وكنا نترك بو وآبر في عهدة أصدقاء لنا أو أقارب. وبتُّ أبكي أحياناً لأوهام عن مرضهم هم أيضاً، وأتوق الى رؤية وجوههم وسماع أصواتهم المرحة.

أخيراً قرّرنا فصل بو عن المدرسة والاتيان به مع آبر الى المستشفى للبقاء معي. وكان غرانت يعمل أيام الثلثاء والأربعاء والخميس ثم يأتي لقضاء أربعة أيام متتالية في المستشفى. وكانت ساعات عمله طويلة على نحو لا يصدق، وكان يعمل أحياناً طوال الليل.

استأجرت غرفة كبيرة في مبنى متاخم للمستشفى حيث ينزل أقرباء المرضى بأجر زهيد. وكان التحرك عسيراً داخل الغرفة لاكتظاظها بالأسرّة، لكنها بالنسبة الى بو وآبر كانت كمخيم. وأسعدني وجودهما معي.

صباح السبت مكث غرانت مع بن فيما ذهبت انا أتمشى. فجأة سمعت مكبر

الصوت يعلن: «الغرفة ٢٠٥ فوراً!» وكانت تلك غرفة بن. لم أدرك ما يعنيه ذلك الاعلان، لكني أدركت أن نبرته طارئة.
سارعت الى الغرفة. ومن خلال جمهرة من الأطباء والممرضات رأيت جسم بن يهتز صعوداً وهبوطاً في السرير. لم أرَ في حياتي جسداً ينتفض بمثل هذه الحركة العنيفة. فجأة توقف الاهتزاز وجمد بن في السرير. أخذت يده في يدي، وكان غرانت يمسك يده الأخرى من الجهة المقابلة. كان وجهه بلون الرماد. قلت: «نحن هنا يا بن، أنا وأبوك. اننا نحبك كثيراً.»
فهمس لي: «أماه؟ أريد العودة الى البيت.»
حدجتني ممرضة بنظرة أفهمتني أن الذهاب الى البيت أمر مستحيل.
قلت: «سيكون كل شيء على ما يرام.»
فهمس بإلحاح: «أماه، أريد أن أذهب الى البيت.»
ردد بن هذه العبارة مرتين قبل أن أفهم مراده. انه لم يكن يعني العودة الى منزلنا في كرمل، بل كان يتذكر ما قاله غرانت من أن الموت هو كالعودة الى البيت. وهو الآن أصبح جاهزاً.
قلت له: «لا بأس يا حبيبي، إني أفهم.»
ـ هل ستزورينني هناك؟
«نعم يا بن، سأفعل يوماً.»
أخبرنا الدكتور بان أن بن أصيب بنوبة صرع حادة يرجح أن سببها اقتراب مرض الايدز من جهازه العصبي المركزي. وقد يسبب ذلك عطلاً في الدماغ أو شللاً، وقد لا تكون له مفاعيل جانبية على الاطلاق. وأضاف الى قائمة الأدوية التي يتناولها بن دواء مضاداً للصرع قيل انه قد يغرق بن في نوم طويل.
نام بن يومين متتاليين. وفي صباح اليوم الثالث فتح عينيه ولم يتذكر نوبة الصرع التي أصابته. وبعد أيام قليلة بدا كأن النوبة لم تحدث أبداً.

غرانت في ورطة

لم نستطع ابداً نسيان نوبة الصرع التي أصابت بن. بتُّ أخاف أن أنام أو أن أتركه وحيداً. وعاد غرانت الى عمله لكنه ظل قلقاً وعاجزاً عن التركيز.
وذات يوم كنت أنتظر وصول غرانت الى المستشفى، لكن الساعة دقت الحادية عشرة ليلاً ولم يأتِ بعد. أخيراً رن جرس الهاتف وسمعت غرانت يقول متوتراً: «لا أُريدك أن تقلقي يا كريس، اني بخير.»
شعرت بالهلع وسألته: «ماذا جرى؟ أين أنت؟»
كان يكلمني من منزل صديق له في كرمل، قال: «أعتقد أني أصبت بنوبة

قلبية فيما كنت أنهي ورشة.»

أخبرني أنه عندما أنهى تبليط أرض أحد المطابخ تذكر أن عليه الذهاب الى متجر خردة في التاسعة ليلاً. لذلك ترك عمله وأسرع الى المتجر. ثم التهم لوحاً من الشوكولاتة في طريق العودة لأنه لم يأكل شيئاً منذ الفطور.

ولدى رجوعه عمل بهياج لازالة الاسمنت عن البلاط قبل أن يجف.

قال: «فجأة ضربني ألم انحدر في ذراعي. وعجزت عن التنفس وكدت أقع. والآن أنتظر قدوم جيم رازباند و«سأتصل بك حالما يأتي. أريدك ألا تقلقي علي.»

لا أقلق؟ كنت مذعورة الى حد شل حركتي. قبعت في سريري في الظلام أفكر في أسوأ الاحتمالات. كان غرانت في الحادية والثلاثين من عمره، والناس في هذا العمر يقضون من جرّاء النوبات القلبية.

وعندما كلمني غرانت ثانية كانت أخباره جيدة، اذ لم يجد الدكتور رازباند أثراً لنوبة قلبية. قال ان غرانت كان يعمل بجهد مضن. وصباح اليوم التالي جاء غرانت الى المستشفى وبدا صحيحاً معافى ووسيماً. قال انه بخير وانه يريدني أن أصدقه.

وفي أوائل يونيو (حزيران) أصيب غرانت بنوبة أخرى. شعر بأنه يختنق ولا يستطيع التنفس. وكان قلبه ينبض بسرعة، وخيل اليه أنه سيفقد وعيه. وانتهى به الأمر الى قسم الطوارىء في المستشفى.

أكّد الطبيب الذي عاينه تشخيص الدكتور رازباند، واقترح أن يستشير غرانت طبيباً نفسانياً ويأخذ إجازة ويحاول إزالة التوتر والاجهاد في حياته.

هذه المرّة قلقت فعلاً. لقد قلل غرانت من أهمية الحادث الأول، ولكن لا سبيل الى ازالة التوتر من حياته. كانت أجواء التوتر مهيمنة على حياتي وحياته.

وذات أمسية عدت وداني الى البيت، فاستقبلني بو وآبر دامعين. قال آبر: «لقد حطّم أبي سرير داني!» وقاداني الى الغرفة وأشارا الى السرير الذي نام فيه غرانت وهو طفل. رأيت ثقباً بحجم قبضة اليد في حافة السرير المتاخمة للرأس. هل فعل غرانت هذا؟ غرانت أويلر؟

هدأت من روع الأولاد ودخلت غرفة النوم. كان غرانت جالساً على السرير ورأسه بين يديه. فسألته أن يفسّر ما حصل.

قال: «تشاجر الولدان ولم يهدأا الى أن... فقدت أعصابي وضربت السرير. إني آسف.»

قلت: «انسَ السرير يا غرانت. اني قلقة عليك أنت. أنت وأنا والأولاد! أنا في حاجة اليك يا غرانت. ماذا حل بنا؟»

رمقني غرانت والدموع تترقرق في عينيه وقال: «اني خائف يا كريس وغاضب

جداً لأن بن يموت وليس هناك ما أستطيع فعله. هل تعلمين كم يحفر هذا في صميمي؟ لقد اعتدت طوال حياتي أن يساعدنا أبي في كل شيء. كان يجد حلاً لكل مشكلة مهما عظمت. الآن أجد نفسي عاجزاً عن مساعدة ابني وهو في أمس الحاجة إليَّ.»

ضم غرانت يداً وراح يضربها براحة الأخرى. ثم توقف فجأة ومال نحوي وعانقني وهو يبكي. فشددته الي بكل ما لديَّ من قوة وبكيت معه.

أظن أن ذلك كان يوم يئس غرانت من حصول أعجوبة. لقد آمن بذلك الى الآن، وهذا ما ساعده على اجتياز الساعات الصعبة التي كان يقضيها بعيداً عن عائلته. أما أنا فكنت قطعت الأمل من شفاء بن.

والآن حان لنا أن ننسى آلامنا ونركز على آلام ابننا.

ساعات حميمة

أصيب بن بالعقبولة المنطقية[٥] وهي قروح جلدية حساسة فوق الأعصاب تسبب آلاماً حادة في أسفل الظهر. وكان بن يصرخ ألماً كلما لمسه أحد.

اتصلت بالمرضة جودي لي في عيادة الدكتور غلادر، فطلبت مني احضار بن الى المستشفى. ترددت في الامر وأخبرت غرانت، ثم اتصلت بالمرضة وأبلغتها أننا قررنا عدم أخذ بن الى المستشفى. قلت لها: «انه مريض جداً ويحتاج الآن الى أن يكون في البيت.»

وبدا أنهما فهمت ما أعني.

وذات يوم زارتنا رئيسة قسم التمريض المنزلي. وكانت المرضات يتناوبن على خدمة بن ٢٤ ساعة في اليوم، وأظن أن إحداهن أخبرتها أن نهاية بن غدت وشيكة. سألتنا السيدة هل نحتاج الى أي شيء. فترددتُ لحظة ثم سألتها: «هل شاهدتِ كثيراً من الناس يموتون؟»

أجابت: «نعم.»

قلت: «ماذا يجب أن أتوقع؟ كيف هو الأمر بالنسبة اليهم؟»

أخبرتني أنها تحدثت الى كثير من المرضى الذين أشرفوا على الموت ثم شُفوا. قالت: «يتحدث هؤلاء عن راحة غمرت كيانهم، وعن نور يقول بعضهم إنه كضوء في نهاية نفق مظلم، ويقول آخرون إنه كضوء ساطع في زاوية غرفة. لكنه في جميع الحالات نور طالعهم. وجميعهم شعروا بالتردد بين سلوك سبيلين: يودون اللحاق بالنور لكنهم لا يريدون مغادرة أحبائهم. إن أفضل ما تفعلينه يا كريس هو إعلام بن أنك لا تمانعين رحيله وأنك تحبينه.»

(٥) Herpes zoster or shingles

تابَعتْ الساعة دقاتها. وظلت الصحف توضع على بابنا كل يوم. واستمر علماء الأرصاد الجوية يصدرون تقديراتهم لحال الطقس كل يوم.

أردت إيقاف الزمن، وإيقاف الشمس في كبد السماء. لكنني لم أستطع ذلك. ثلاثة أيام كانت تفصلنا عن عيد الاستقلال في الرابع من يوليو (تموز).

ومذ قررنا عدم ادخال بن المستشفى دأبتُ وغرانت على تخصيص ساعتين أو ثلاثة ساعات له وحده كل يوم. كنا نجلس قرب السرير في غرفته، تلك الغرفة الرائعة المزينة بالملصقات الرياضية ونماذج الطائرات، فنلعب معه أو نقرأ له قصصاً مشوقة أو نتحدث اليه. أردنا من كل ذلك أن نكون معاً.

وذات ظهيرة حين استيقظ بن شعرت كأن الحياة بدأت تغادره سأل: «أماه، هل لك أن تعطي جدي هذه؟» كان ينظر الى نموذج سيارة سباق.

قلت: «طبعاً يا بن.»

لاحظت أنه يود أن يتكلم وأن الكلام صعب عليه.

سألته: «هل سمعت يوماً بشيء يدعى وصية؟» فأومأ بالنفي.

قلت: «حسناً، عندما يشعر بعض الناس بدنو أجلهم يودون اعطاء أحبائهم أشياء خاصة يعزّونها. لذلك يكتبون رغبتهم ويوقّعونها. تلك هي الوصية. فهل تحب أن تفعل شيئاً كهذا؟»

أومأ بالإيجاب.

قال غرانت: «ماذا لو أشرت الى أشيائك الخاصة الموجودة في غرفتك وأخبرتني من تود اعطاءها.»

تناولت القلم لأدون ما يقول فيما وقف غرانت وراح يمشي في انحاء الغرفة. وأشار بن الى نموذج لسيارة «جيب» أراد أن يكون لأخيه آبر. كان هناك شيء لكل واحد منا، لوالديه وأشقائه وجدوده وأبناء عمومه وأخواله.

قال بن: «اكتبي يا أماه. دراجتي أعطيها لأخي بو.» ورحت أكتب ودموعي تنهمر فوق وصية بن.

وعندما اكتملت الوصية وقعها بن في ٢ يوليو (تموز) ١٩٨٦. كان توقيعه بسيطاً كتوقيع طفل وواهياً كتوقيع رجل عجوز.

في طرفة عين

قاسى بن آلاماً مبرحة طوال الليل. كنت أسمع المرضة وهي تفتح باب الخزانة ثم تقفله مرة تلو أخرى لتحضر مزيداً من الأدوية. حفرت تلك الأصوات في ذاكرتي ثلماً أبدياً.

جلست مع بن في الصباح. ورحنا نزيد الجرعة المسكنة للألم ساعة بعد

ساعة. ولم تنجح الأدوية في تسكين أوجاعه إلا بعد حلول الظلام ليل ٣ يوليو (تموز). كنا آنذاك وحدنا في الغرفة.

قلت: «لقد بدأ الستار الأسود يرقّ، أليس كذلك يا بن؟»

هز رأسه ثم قال: «ألن أشعر بالألم يا أماه؟» رفعت شعره المتدلي فوق جبهته وقبلته. ثم قلت له: «لا يا بن، لن تشعر بأي ألم. ليس بعد الآن. وليس هناك ما يخيفك الآن. ستشعر كأنك تعود الى البيت من رحلة طويلة. أتذكر؟ سوى أن عودتك لن تكون الى هذا المنزل، لكنك ستشعر بالدفء والراحة كأنك في البيت. وقريباً جداً سنكون معك، والدك وبو وآبر وأنا. سيمر الوقت كطرفة عين قبل أن نجتمع ثانية والى الأبد. سيحدث هذا بسرعة خاطفة، تماماً كطرفة عين.»

قال: «أنا... أحبك... يا أماه.»

وأغمض عينيه. وجلست أحدق الى وجهه وأمسد شعره بحنان.

همَست في أذن الممرضة لدى دخولها الغرفة: «النهاية غدت وشيكة، أليس كذلك؟»

فردت: «نعم، ولكن من الصعب تحديد الوقت. ربما غداً.»

أخبرت غرانت بذلك فأتى وجلس بجانب سرير بن الذي تململ وفتح عينيه.

قال غرانت: «بن، أود أن أقول لك إني... إني فخور بكونك ابني.»

وانهار الدمع مدراراً من عينيه. فأضاف: «حاولت أن أكون أباً صالحاً وأن أعلمك التمييز بين الخير والشر. لكنك أنت من علمني ذلك. علمتني الكثير. علمتني ان أقدر قيمة الحياة ونحن نعيشها. علمتني الايمان والركون الى الله وإن تكن النهاية غير ما اشتهيت.»

قال بن: «أبي... أبي... لا عليك... أعرف ذلك.»

لكن غرانت تابع من غير أن يستطيع لجم دموعه: «أتعرف يا بن، لقد أردت دائماً أن أكون أباً. منذ نعومة أظفاري أردت أن أكون أباً. تزوجت والدتك ومنَّ الله علينا بك وكنا في غاية السعادة. كنت أحلم بأشياء كثيرة نفعلها معاً. حسناً، يبدو الآن أننا لن نتمكن من القيام ببعض تلك الأشياء. سأفتقد ذلك يا بني. ولن يمضي يوم لا أشتاق اليك. جميعنا سيفتقدك يا بن. ولكن مهما بلغ شوقنا اليك فأودك أن تعلم أننا لا نمانع في ذهابك. واني أعني ما أقول. حقاً أعنيه. لكني لا أستطيع أن اتركك تذهب... من دون أن أخبرك... كم أحبك.»

مال بن نحو غرانت وطوقه بذراعيه واحتضنه. كان غرانت غارقاً في بكاء مرير.

قال بن: «أحبك يا أبي... أحبك... أحبك.»

قبّله غرانت وخرج من الغرفة مسرعاً. لم يتحمل البقاء بجانب فراش موت

ولدنا. وأنا لم أتحمل مغادرته.

بقيت وحيدة مع بن وعلمت أننا سنكون آخر المودِّعين. لقد حانت ساعة الفراق لكننا رحنا نحدق كل في عيني الآخر من دون أن ننبس ببنت شفة. كانت معاناتنا أكبر من الكلام.

ضغط بن يدي وعيناه مغمضتان ثم استسلم لنوم عميق.

وبعد حين جاءت المرضة وأخبرتني أن من الأفضل لي أن آخذ قسطاً من الراحة. قالت: «ستحتاجين الى كل قواك لاحقاً.» طلبت منها أن تبلغني أي طارىء يحدث.

في الخامسة مساء جلس بن فجأة في فراشه، فاستدعتنا المرضة. وعندما دخلنا غرفته رأيناه ممدداً ثانية. كانت عيناه مغمضتين. جلست الى يمينه وجلس غرانت الى جانبي. أحطت بن بذراعيّ وهمست في أذنه: «بن، أنا وأبوك هنا. نحن نحبك كثيراً.»

شعرت بجسده يسترخي قليلاً.

قلت: «بن هل ترى النور؟ النور الدافىء المريح. استرخِ الآن واتبعه. ستكون بخير.»

تراخى جسده فجأة وشعرت بمدى الألم الفظيع الذي ينزاح عن كاهله. انفتحت يده على السرير وراحته الى أعلى. فمددت يدي عفوياً وتناولتها، تماماً كما كنت أفعل عندما كان صغيراً أخاف عليه أن يقع.

ثم تلاشى خوفي سريعاً كما حلَّ بي. انكفأت الى الوراء واستندت الى غرانت.

كان بن يملأ الغرفة. كان يحوطنا من كل جانب، محباً عطوفاً. وها هو تخلَّف برهة ليودعنا. ليقول لنا ألا نقلق وألا نخشى شيئاً اذ ليس هناك ما يخيف.

إنطلقْ الى النور يا بن.

إنطلقْ الى النور.

ضمة واحدة

توفي بن في ٤ يوليو (تموز). وفي اليوم التالي شعرت بفراغ رهيب يلف كياني. إنه اليوم الأول أقضيه بعيدة عن بن منذ تسع سنوات. تمددت على فراشه أتنسم رائحته، وأغمضت عينيّ مراراً محاولة أن أطبع في ذاكرتي تعابيره الحبيبة.

لم نشأ أن نتبع شعائر المآتم المألوفة. أردنا شيئاً يعكس خصائص عائلتنا، يعكس الحياة. لذا، بدلاً من عربة الموتى والليموزين السوداء، وضعنا تابوت بن المصنوع يدوياً من خشب الصنوبر في مؤخر سيارتنا التويوتا البيضاء.

اخترقت أشعة شمس الصيف الساطعة نوافذ القاعة التي سجي فيها جثمان

بن والتي امتلأت بالزهور وبالأصدقاء الذين جاؤوا يلقون نظرة الوداع الأخير.

القت الجدة أويلر كلمة تأبين مؤثرة، ثم تحدث غرانت لبضع دقائق عن بن. كان صوته قوياً فخوراً، ولكن خانته العبرات المنهمرة على وجنتيه.

أود القول اني وجدت عزاء في زوجي وأولادي الباقين. لكن ذلك غير صحيح تماماً، على الأقل في البداية. شعرت أول الأمر بهوة فارغة كبيرة في داخلي لم يقوَ احد على ملئها.

وواجه بو الواقع الجديد بصعوبة كبيرة بحيث لم ينم جيداً لعدة أشهر بعد وفاة بن. وكثيراً ما كان يستيقظ مذعوراً من جراء الكوابيس. وأعتقد أنه «سيصبح



عندما يكبر رجلاً رحيماً من جراء الآلام التي قاساها في ما مر به من أحداث.

أما غرانت فكان رد فعله الانصراف الى العمل. وقد ملأني نجاحـه فخراً وخصوصاً عندما اختير ليحل محل الدكتور رازباند رئيساً لجمعيتنا. واعتاد الناس اللجوء الى غرانت ملتمسين النصح كما كانوا يفعلون في عهد رازباند. وهم يقولون إن غرانت يتفهم مشاكلهم ويعالجها من صميم قلبه.

أما أنا فقد عاودت نشاطي بادئة بوضع قائمة جاء في بندها الأول: «فتشي عما يسعدك.» وعندما فعلت وجدتني أعود كلياً الى الأمور التي كـانت تمنحني السعادة في السابق. حدث ذلك بعد سنة ونصف سنة من وفاة بن حين كنا عائدين من رحلة تزلج. نظرت حولي فرأيت الناس يبتسمون والسماء زرقاء والشمس ساطعة وكل شيء على ما يرام.

مدَّني إدراك هذا الواقع بشعور من الراحة والاطمئنان. فالغد ملكي أقضيه مع أبنائي الثلاثة وزوجي المحب. بدا كل شيء على ما يرام.

لكني ما زلت أفكر في بن الذي، وإن قضى، فإن عاطفة الأمومة في قلبي باقية له أبد الدهر.

تصف كلمة «ثكلى» الام التي فقدت ولداً. لكن الأم تبقى أماً وإن ثكلت. فهي تحمل طفلها في أحشائها وتشارك في أعجوبة الحياة عنـدما تلـده. ولا يمكن أن يضمحل كل هذا الحب وكل تلك التضحية من دون أثر يذكر.

ولأنني أم فأنا على يقين بأن الحياةلا تتوقف. قد تتبدل أو تتغير أو تأخذ شكلاً جديداً، لكنها لا تنتهي.

وأعلم حق العلم أني سأرى بن يوماً. كما أعرف أن شمل عائلتنا سيلتئم ثانية. لكن ذلك لا يعني أني لن أتخلى عن العالم كلِّه من أجل ضمة واحدة.

كريس أويلر ■

بالاشتراك مع لوري بكلنيد وبيث بولسن

ترجمة فريد شديد

متشائم ومتفائل

ذهب متشائم ومتفائل في رحلة لصيد البط. وبعد الطلقة الأولى ارسل المتفائل كلبه الجديد لاحضار الطريدة. فركض الكلب فوق الماء وأحضرها. ولم يعلّق المتشائم على الامر. ثمّ أحضر الكلب الطريدة الثانية فالثالثة بالطريقة ذاتها - مشياً على الماء - والمتشائم محافظ على صمته. وأخيراً نفد صبر المتفائل فسأل رفيقه: "ألم يلفتك أمر غريب في كلبي الجديد؟"

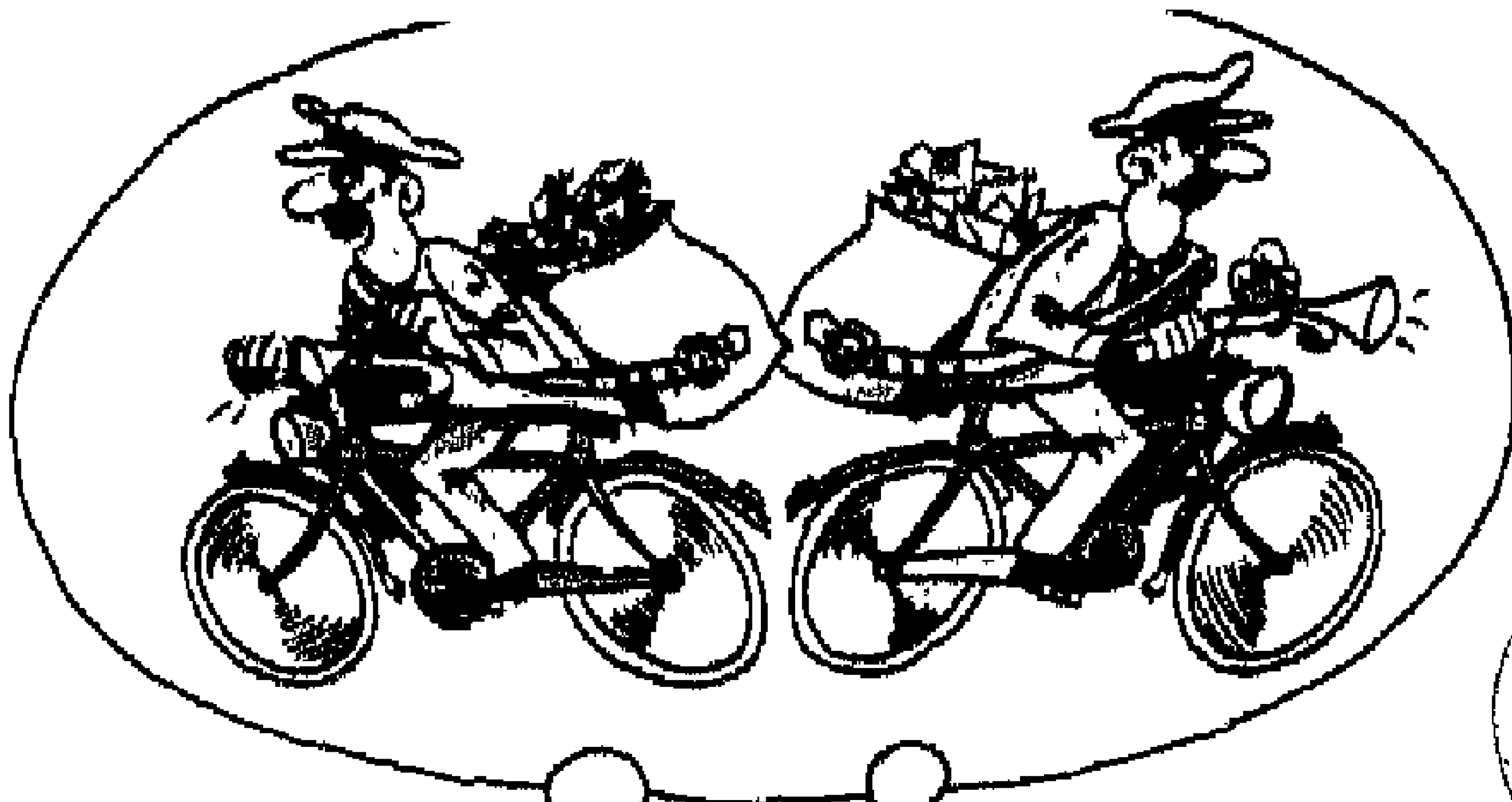
فأجابه المتشائم: "بلى، انه لا يجيد السباحة."

ب.ف.



«باقة مرغريت» للفنان الامريكي نيل بلين

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.

★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.

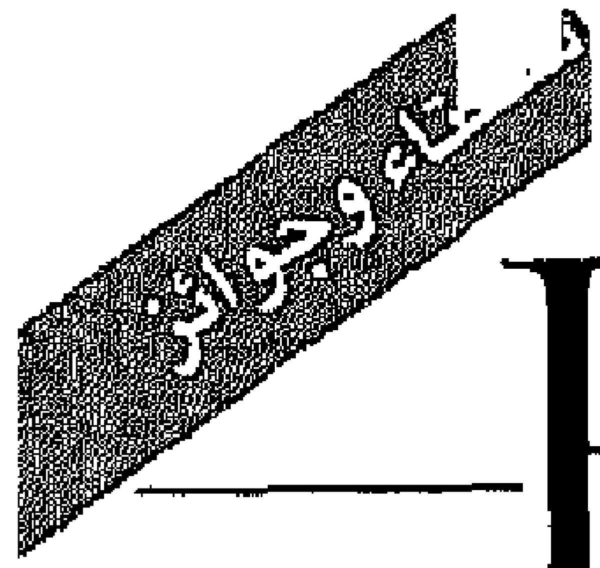
★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).

★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.

★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.

★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



يونيو (حزيران) ١٩٩٠ ذو القعدة ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '90 N° 139

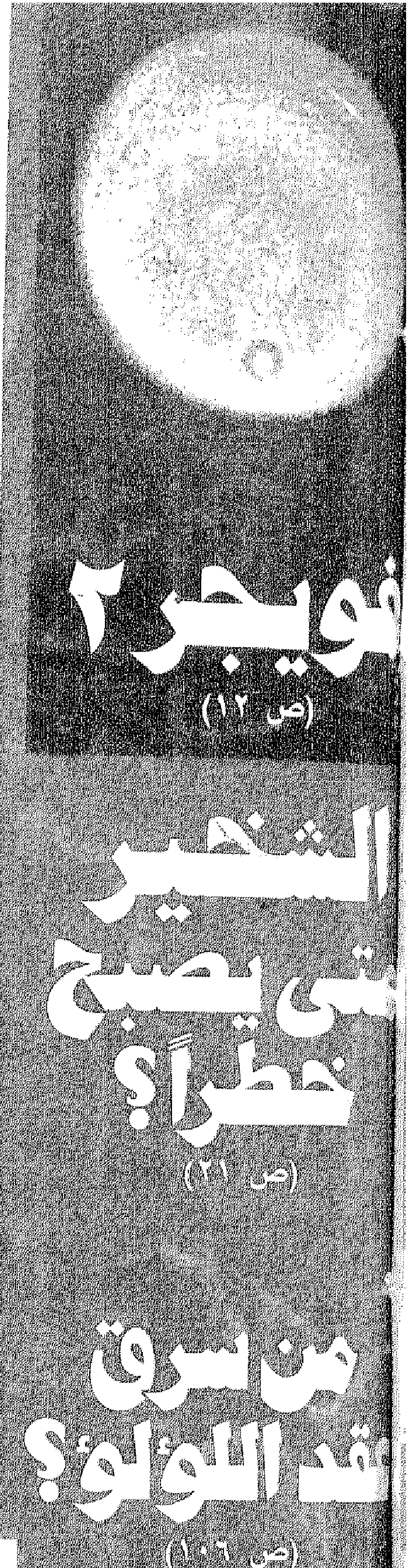
احياء البارثينون ٢٦
ج.ل. لاهاي، نجم المشردين ٣٤
ليلة "العصفور الازرق" (مأساة واقعية) ٤٠
فضيحة الغجر السويسريين ٤٩
مهاجرون فوق طاق كسرى ٥٦
فن الخطابة السهلة ٦٢
عقد الازدهار (ملحق خاص) ٦٥
مدينة الحدائق في الصين القديمة ٧٣
خدعة العصر: الرياضة والسيجارة ٨٠
اوفير، ملهمة الرسامين ٨٦
الصحارى تغزو البحار ٩١
لتربية اولاد ناجحين ٩٦
زرع كلية نادرة ١٠٠
تبسيط المسائل الحسابية ١١١
كلاب ١١٤
"عيون" العميان ١١٦

مشاكل الجنس والزواج ٧

العمل مفتاح النشاط ١٢٣
ابني كبر واصبح طياراً ١٢٦
كتاب الشهر: اقتحموا الامازون ١٣٠

قصص الحيّات ٣ - حديقة افكار ٥ - صور من الحياة ٣٣ - الطب ٥٤ - الضحك ٧٩ - تاملات ٩٩ - دائرة المعارف ١٢١

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا





المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: نورا نفاع. الاشتراكات. فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

June '90 N° 139 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلي اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية

لبنان ٥٠٠ل - سورية ٢٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
السعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - اليمن ٨ر - عدن ١٥د - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب
تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

يالها من نكهة غنية ولذيذة !

Carnation®

Coffee-mate®

كريمة مبيضة للقهوة

كوفي-ميت يجعل طعم قهوتك سلسًا لذيذًا

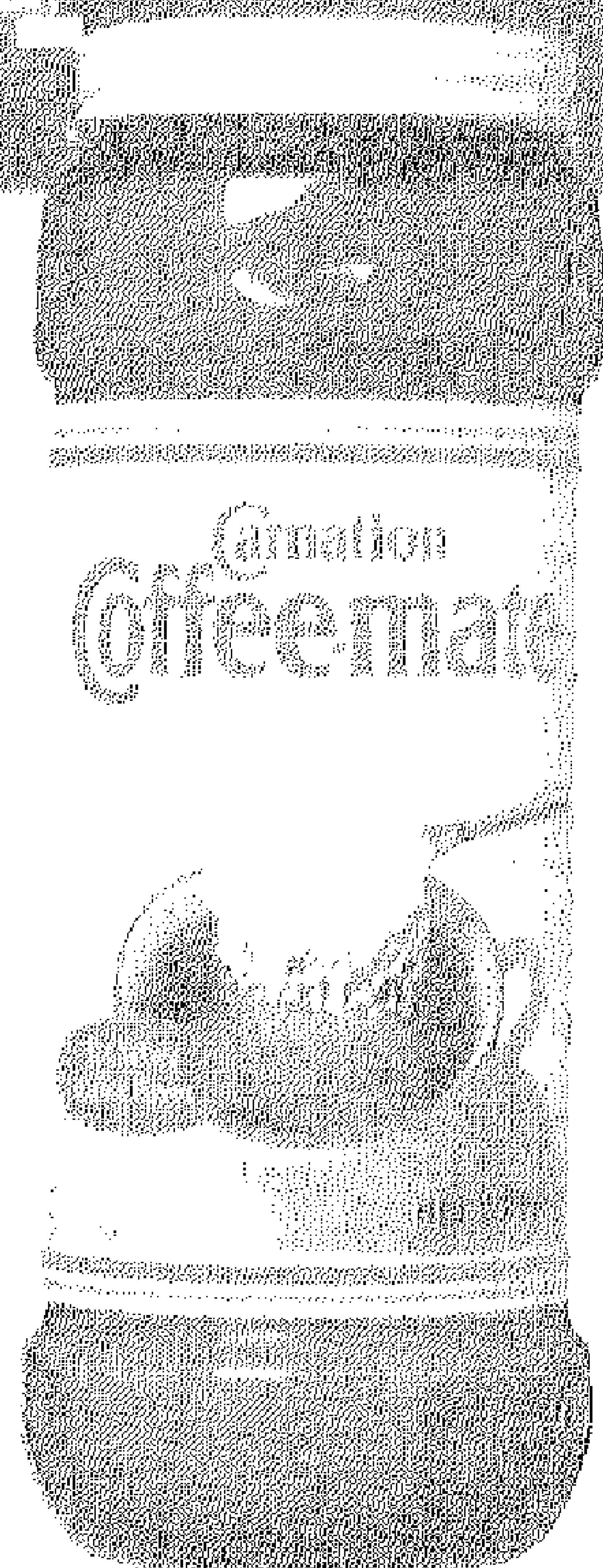
ويُغنيك عن المواد الدسمة

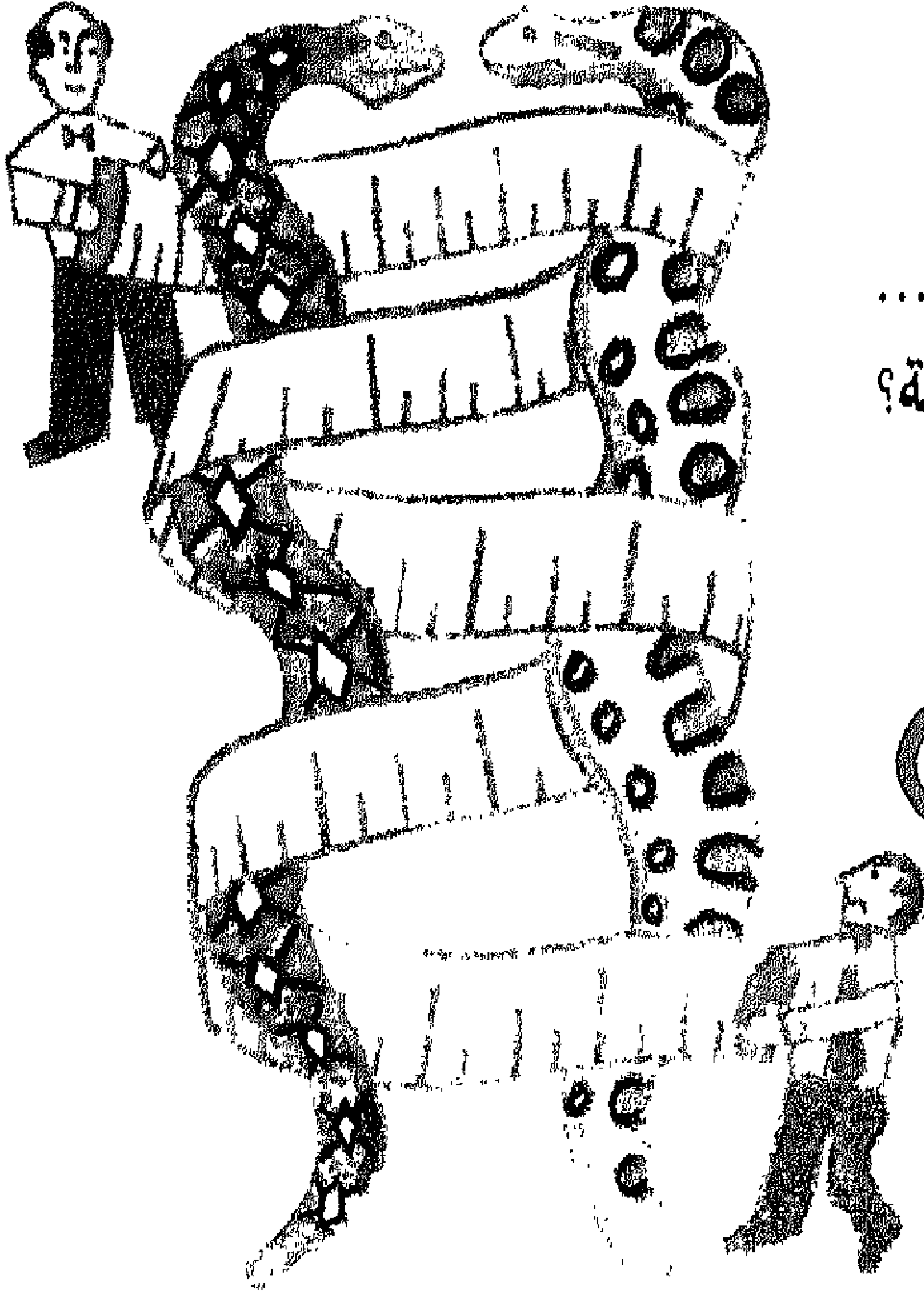
كارنيشن

كوفي-ميت

يُضفي إلى قهوتك نكهة غنيّة

من إنتاج Carnation كارنيشن





الاناكندة أعظم الافاعي... أم هي الاصلة؟

قصص الحيّات

صباح كل يوم تزحف كتائب من الاولاد المتجهمي الوجوه الى المدارس حيث يتعلمون حقائق مهمّة مثل عدد السنتيمترات في المتر (مئة) وما هي عاصمة سورينام (باراماريبو). ولكن اذا كان التاريخ يعيد نفسه، فإن الحقيقة المهمّة الوحيدة التي لن يتعلموها هي الجواب عن السؤال الآتي: "ما هي أكبر أفعى في العالم؟"

ابني تلميذ في الصف الابتدائي الثاني. ومفروض أن يكون تعلّم اسم أضخم أفعى في العالم السنة الفائتة. فلو حصل ذلك لما اضطرّ الى سؤال والده، ولكنّا تفادينا المأزق الذي وقعنا فيه.

وصادف أنني كنت أعرف بالتحديد اسم كبرى أفاعي العالم، وهي المعلومة الوحيدة لديّ عن الأفاعي. فقلت له: "انها الأناكندة، وهي حية استوائية جنوب – أمريكية."

فرد على الفور: "كلا، الأصَلة هي كبرى الأفاعي."

قلت له: "الأصلة تنمو وتصبح كبيرة جداً، لكنها بالنسبة الى الأناكندة تبدو بحجم دودة أرض." وفي ذلك مبالغة طبعاً، لكني هدفت الى اثبات نقطة معينة.

وألحّ ابني: "الأصلة هي كبرى الأفاعي. هكذا أخبرني بيلي."

فسألته: "أقلت بيلي؟ بيلي الذي يقطن

في آخر الشارع؟ أهو خبير الأفاعي الشهير في الصف الابتدائي الثاني؟ إسمع. معروف عن افاعي الأناكندة التي تعيش في البرازيل أن استدارة محيطها تصل الى ١١٢ سنتيمتراً."

– وما هو المحيط؟

"إنه قياس دائرة الجسم. فدائرة جسم الاناكندة تبلغ ثلاثة أضعاف دائرة جسمك."

– وهل تستطيع الأناكندة التغلب على الأصلة؟

"اذا رأت أصلة حية أناكندة ذعرت وتحوّلت حزاما."

– لن يصدّق بيلي ذلك.

"في الواقع، من السخافة الجدل حول مسألة كهذه. ومن الافضل أن تعرف أنك على حقّ من دون أن تمس بشعور الآخرين."

– آه.

"أخبر بيلي أن أباك يقول إن الأناكندة هي كبرى الأفاعي، وأنّ من يظن خلاف ذلك عليه تصحيح معلوماته."

ومشى ابني الى آخر الشارع لحسم موضوع الأصلة والأناكندة. فجلست مرتاحا في مقعدي بعدما سددت نقصاً في البرنامج التربوي للبلاد.

رنّ جرس الهاتف بعد بضع دقائق، وكان المتكلّم غلين والد بيلي. قال لي: "أخبرني بيلي أنّ ابنك قال له إنك تدّعي أن الأناكندة هي أضخم أفاعي العالم، وأن كل من يقول غير ذلك هو غبي بلا شك. لا أريد أن أضيع وقتا طويلا على هذه المسألة، لكن كبرى أفاعي العالم هي الأصلة التي تقطن في جنوب شرق آسيا. وبتعبير أدق، اسمها بايتون ريتيكولاتوس، ومعروف أن طولها يصل الى عشرة أمتار. أمّا أطول أناكندة جنوب – أمريكية فلم يتعدَّ طولها ثمانية أمتار و٤٥ سنتيمتراً."

فقلت له: "غلين، أنا أقدر جهودك في تثقيف أولاد الحيّ، لكن كبرى أفاعي العالم هي الأناكنـدة، أو أونكتيس مورينوس، التي يبلغ وزنها ضعفي وزن أصلتك، وهي بالتالي أضخم أفاعي العالم."

لكن ذلك لم يردع غلين الذي رد بهدوء: "فكر في الأمر جيداً فتوافقني على أن معظم الناس يقيس الأفاعي من الأنف الى الذنب وليس حول وسطها وكأنها برميل نفايات. ما هي الكلمة التي استعملها ابنك؟ المحيط؟"

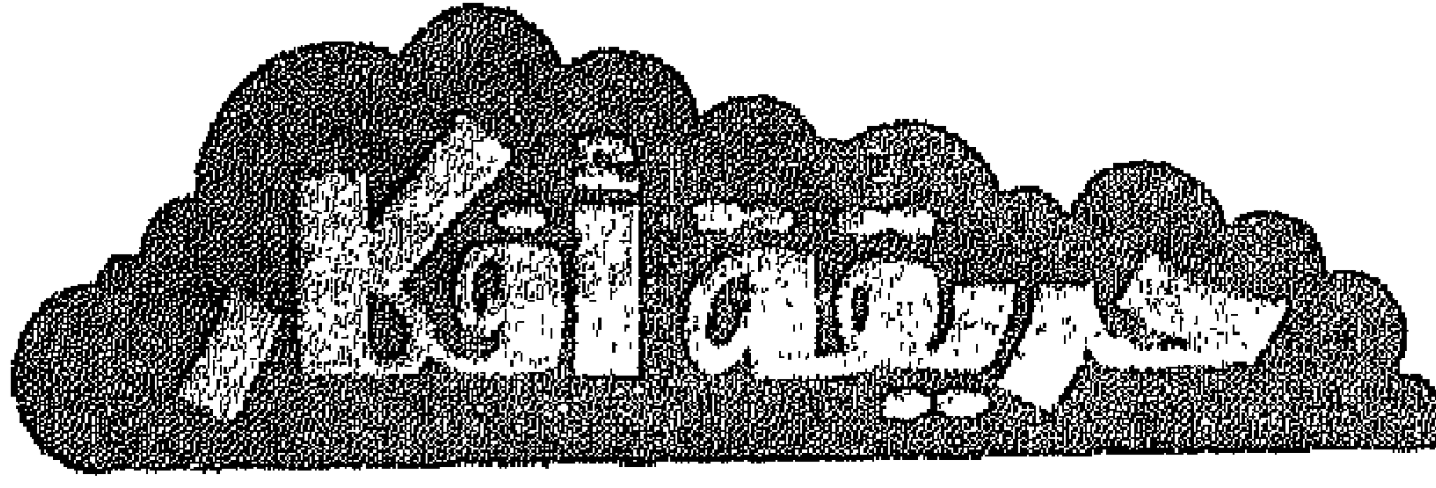
فقاطعته: "أعرف ما تقصده يا غلين، ولكن عليك أن تفهم أن قياس أفعى هو أكثر تعقيداً من قياس طول خرطوم مياه في حديقة."

فسألني غلين: "وما أدراك كيف يقاس خرطوم المياه؟ نظرة واحدة الى حديقة منزلك تكفي لمعرفة أن المامك بالخراطيم ليس أفضل من معلوماتك عن الافاعي."

وأقفل الخط.

ثمة أمثولة مهمّة نتعلمها من هذه الحادثة المزعجة. هذا ما قلته لابني. أن الدفاع عن الحقائق والوقوف في وجه الموجة العارمة من المعلومات الخاطئة التي يطلقها الحمقى الجهّال، لعمل يتطلّب رجالا أشداء.

باتريك أونيل ■



- ليست المغامرة سوى اسم رومنطيقي نطلقه على المشاكل.

لوي لامور

- لم يخلُ عصر من الاشادة بالماضي والتاسّف على الحاضر.

ل.أو.و.

- لنكن شاكرين الحمقى، اذ لولاهم لما استطعنا النجاح.

مارك توين

- لا وجود للظلمة، بل هناك قصور في الرؤية.

مالكوم ماغريدج، صحافي بريطاني

- اذا لم تَرسُ سفينتك، إسبح اليها.

جوناثان ونترز، كوميدي

- أؤثر أحلام المستقبل على تاريخ الماضي.

توماس جفرسون

- كل أحمق يستطيع الانتقاد والادانة والتذمّر.

د.ك.

- المرجع الثقة هو من صحَ تخمينه أكثر من مرةٍ واحدة.

ف.ك.

- الحظ هو التقاء الاستعداد بالفرصة.

أوبرا وينفري، ممثلة امريكية سوداء

Reader's Digest
المختار
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
يونيو (حزيران) ١٩٩٠
ذو القعدة ١٤١٠
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

كيف تخطون عقبات الزواج؟

أسئلة يطرحها المتزوجون انقاذاً لحياتهم المشتركة

طرأ في السنوات الاخيرة تغيير على الاسئلة التي يطرحها عليّ الازواج. فقبل عقد كان رد الفعل الاول لدى الازواج الذين يصطدم زواجهم بعقبات يلخص عادة بعبارة "أريد الانفصال." أما حالياً فان الرجال والنساء الذين أقابلهم ينشدون غالباً علاقات وثيقة دائمة. وهم اكثر نزوعاً الى نشدان مساعدة اختصاصية حين تبدأ المشاكل. وهنا اسئلة جديدة بتُّ أسمعها كثيراً:

١. أنا وزوجتي نعمل ونعتني بالاولاد. فأنى لنا أن نجد وقتاً للجنس؟

الجواب عن هذا السؤال يكون عادة: استخدما حاضنة للاعتناء بالاولاد في نهاية الاسبوع، وانطلقا في عطلة. فلا لوم عليكما في التمتع بعطلة قصيرة من وقت الى آخر تقضيانها بعيدين عن الاولاد والواجبات البيتية. لكني أرى أن الازواج الذين لا يجدون وقتاً وطاقة للتمتع بالعلاقة الزوجية حين يكونون في المخدع

الزوجي لن يتركوا البيت، على الارجح، لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في ممارسة الحب.

الجنس عادة منشّط ومنعش وليس منهكاً. لذلك، حين أستمع الى الازواج يشتكون من أشغالهم الكثيرة التي تحول دون بقائهم "في الأحضان" يمرّ في خاطري بيت من أغنية قديمة: "إني أتوق الى الحب لمجرد كونك بقربي."

هناك كثيرون من الازواج المنهمكين الذين لا يتسنى لهم أن يكونوا "قرب" الشريك. فبعد نهار عمل تهيىء الزوجة طعام العشاء وتنظف المطبخ، فيما يساعد الزوج الاولاد في دروسهم ويراجع الفواتير. وبعد ذلك يجلسان منهارين أمام التلفاز.

حين كانا عروسين كانا يقومان معاً بالاشغال البيتية، هو الى جانبها في المطبخ يضمها ويساعدها، وهي الى جانبه لدى غسل السيارة.

ان الرفقة أمر مهم وحيوي للرضى الزوجي. فالازواج الذين "لا يتسع وقتهم" لممارسة الجنس عليهم بالاكثار من الرفقة، فهي تحسن مزاجهم وتحفزهم على الجماع وإن كانوا منهكين مرهقين. ولهذا الامر حسنته لدى الاولاد اذ يشهدون سلوكا نموذجياً يحتذونه.

٣ لماذا نتخاصم كثيراً؟

بات خليل وليلى فجأة في خصام دائم بعد ست سنوات من حياتهما معاً. وحين أخبرتني ليلى أنهما خلال معظم سني زواجهما لم يتبادلا كلمة نابية، أدركت أنهما لم يكونا منفتحين وصادقين. فكانا يختزنان الاساءات التي ظنا أنها ستضر بزواجهما اذا كشفا عنها. لكن الغضب المكبوت لا بد من أن يطفح.

خلال جلسات الارشاد تعلّم خليل وليلى التعبير بلباقة عن شعورهما. وباتا يمضيان نصف ساعة كل مساء يعرضان معاً الاساءات والخيبات التي شعر بها كل منهما في النهار، بروح خالية من العداء، ويعبران عن لحظات الحنان التي راودتهما، كل تجاه الآخر.

قالت ليلى لخليل اثناء احدى الجلسات: "أغضب عندما تأخذ سيارتي وتترك خزان الوقود فارغا. ويؤلمني عدم مراعاتك لمشاعري."

وبدلا من أن يأخذ خليل موقف الدفاع عن تصرّفه، كما كان يفعل في السابق، سألها بهدوء: "تعنين أنك لن تغضبي اذا ملأت الخزان؟"

فردت ليلى: "نعم! لن أغضب، بل سأشعر بأنك تحبني وتهتم بي."

"حسنا، هذا ما سأفعله، لاني أحبك كثيراً وأهتم بك." قال خليل ذلك وقبّل زوجته.

بهذه الطريقة سعى خليل وليلى الى معالجة الغضب على نحو يقوي زواجهما.

فاذا كان تخاصمكما يهدد علاقتكما، فحاولا اتباع القواعد الآتية لـ"الخصام العادل":

□ التزما موضوعاً واحداً ولا تنبشا النزاعات والاساءات الماضية.
□ احسما الخصام بأسرع ما أمكن.
□ لا تتخاصما في الأماكن العامة.
□ لا تتضاربا.
□ لا تغادرا المكان في منتصف الخصام.
□ لا تشيرا الى الرغبة في الانفصال.

ان الزواج الناجح ليس ذلك الذي يخلو من الخصام والمنازعات، بل هو الذي يحوّلها فرصاً لزيادة التفاهم والأمانة بين الزوجين.

أعتقد أن زوجتي تتظاهر بالحصول على رعشة الجماع. فلماذا تفعل ذلك؟

هناك خرافة تقول بأن النساء يتظاهرن بالرعشة لانهن لا يردن أن يعرف أزواجهن أنهن لا يتمتعن بالجماع. والحقيقة أن النساء يعمدن الى هذا التصرف أحياناً للسبب ذاته الذي يجعل الرجال أحياناً يلاقون صعوبة أثناء الجماع. فالحياة العصرية تفرض ضغوطاً على الزوجين لممارسة الجنس "عند الطلب." لذلك فهم يمثلون أدوارهم، وبعض التمثيل لدى النساء هو الرعشة الزائفة حين يكنّ مرهقات أو مشتتات الافكار أو – كما يحدث غالباً – حين لا يحصلن على إثارة كافية.

اذا اعتقد أحد الرجال أن زوجته تتظاهر بالحصول على الرعشة، فليجلس وإياها بحنان، من دون أن يحضها على الجماع، الى أن تستجيب فتأتي الدعوة منها وتتدرج الى أفضل السبل لبلوغ متعتها.

لماذا تبالغ زوجتي في التعلق بي؟ هل من دواء شاف؟

أحبت سامية خطيبها جهاد لذكائه وثقته بنفسه. وبعد زواجهما باتت تتكل عليه في كل شيء. وكان ذلك يروقه إذ يُشعره بلذة الحماية والرجولة. لكنه مع الوقت انتهى الى الشعور بالاختناق. وعندما قصداني كانت سامية قلقة لأن جهاد لم يعد حامياً لها وموضعاً لثقتها واعتمادها. وكان جهاد يحاول التحرر منها.

ان رغبة سامية الملحة في عناية جهاد بها نابعة من شعورها بعدم كفايتها. فقلت لها ان السبيل لتنمية الثقة بالنفس هي في زيادة الاستقلال والاعتماد على الذات. وكانت خائفة في البداية من تعزيز استقلالها، فأقنعتها بالمحاولة مرة واحدة. فذهبت ذات مساء الى السينما. وصُدم جهاد حين اتصل ليخبرها بأنه سيتأخر على العشاء ولم يجدها في البيت. كان اعتماد سامية عليه يضايقه، لكنه كان أيضاً مطَمْئناً ومعززاً لثقته بنفسه. وحين عادت قالت له ببساطة: "تناولت شطيرة وانا عائدة الى البيت."

بدأت سامية تدريجاً تنمية شخصيتها واحترامها لذاتها، وهي اليوم تعتز

بقدراتها ولم تعد اتكالية. وفي المقابل، اكتشف جهاد أنه ليس في حاجة الى اتكالها عليه لاثبات رجولته.

٥. كانت لزوجي مغامرة عاطفية، وهو الان يطلب مني الصفح والنسيان. فكيف أستطيع ذلك؟

لم تكتشف دلال علاقة زوجها منير الغرامية الا بعد مرور سنة. ومثل نساء كثيرات في وضعها شعرت بالخيانة والاذلال.

وكلماتي الاولى التي بادرتها بها تنطبق على كل زوجة تتعرض لخيانة زوجها: "ان القضية ليست بسبب خطأ منك. لست أنت التي ترتكبين الذنب، بل زوجك. ليس في امكانك كبت عواطفه نحو أخرى. لكن ما تقدرين عليه، ومن واجبك أن تفعليه، هو أن تقرري النتيجة التي تريدينها من هذه المحنة."

أنا أنصح بتقويم عميق للزواج. فاذا شعرتِ بأنه جدير بالانقاذ فناضلي من أجله.

قررت دلال انقاذ زواجها، ونجحت. أما أمينة، وهي زوجة "مغدورة" أخرى استشارتني، فتوصلت الى الاستنتاج أن زوجها لن يكون أبداً أمينا لها، وتركته. وهي لاقت صعوبات مالية شديدة في البداية، كما هي حال معظم النساء المطلقات، لكنها تغلبت على واقعها وأصبحت وسيطة عقارية ناجحة.

لانقاذ الزواج، على الشريكين العمل على إعادة الثقة والاتصال بينهما. ولهذه الغاية ينصح العالمان النفسانيان ك. دانيل أوليري وهيلاري توركيفتز باتباع القواعد الآتية:

- أطلبوا من الشريك تغييرات ايجابية في سلوكه بدلا من مهاجمة تصرفاته السلبية.
- استجيبوا توّاً للانتقاد بدلا من التصدّي باتهامات مضادة.
- أقصروا المحادثة على الحاضر والمستقبل. ولا تتصوروا الدوافع أو تحلّلوا الشخصية.
- أصغوا الى كلام الشريك!

حين تحاولون جاهدين أن تغفروا أو تنسوا، تذكّروا أن كثيرين من الازواج الذين يحتفلون بعيد زواجهم الخمسين قد اجتازوا قبلكم أزمات عاطفية صعبة. تشجعوا، لا تيأسوا.

٦. بعد ١٥ سنة أصبحت حياتنا الزوجية رتيبة. كيف نعيد اليها الشعلة الدافئة؟

كان الازواج يطرحون هذا السؤال بعد أن تمضي على زواجهم مدة تراوح بين ٦ سنوات و١٠ سنين. أما اليوم فان الازواج يؤخرون انجاب الاولاد، فتحل الذكرى الخامسة عشرة لزواجهم وهم منهمكون في تربية أولاد صغار، وهذا عبء ثقيل على أي زواج.

ويعجبني ما يرتأيه الباحثان وليم ماسترز وفيرجينيا جونسون في العلاقات

الزوجية الناجحة: المحبة والرغبة الجسدية تقويان وتضعفان مداورة طوال العمر، "وفي الامكان تقبّل ذلك، وحتى الاستمتاع به، اذا حافظ الشريكان على ندرة الاتصال."

اما اذا كان الزواج ينحو الى الرتابة وفقدان الاثارة، فيجدر اعتبار ما يقوله العالم النفساني ر. وليم بتشر من أن معظم الناس لا يقدرون دور اللهو والمرح في الزواج.

هل تذكرون أول أيام حبّكم وكيف كنتم تلهون وتمزحون وتتنادون بأسماء محبّبة؟ كان حبكم في ذلك الحين زاخراً بالضحك والمرح. وعندما أصبحتم آباء وأمهات غلبت عليكم الجدية والرصانة. وقد نصحت كثيرين من الازواج المتألمين بأن يحاولوا العودة الى اللهو، اذ انه يوثق بين الشركاء ويتيح لهم التعبير عن رغباتهم وحتى الانتقاد على نحو لا يجرح المشاعر.

في بعض الاحيان ليس سهلا أن نعود الى اللهو بعد انقطاع، لكن ذلك جدير بالمحاولة. وقد عبّر أحد الازواج عن ذلك بقوله: "ان اللهو والمرح بدّلا وحشة أيامنا ورتابتها بالبهجة والانشراح."

جويس براذرز ■

الكاتبة حاملة شهادة دكتوراه في علم النفس من جامعة كولومبيا، واحدث كتبها "المرأة الناجحة."

رسالة من عالم الخيال

خلال مؤتمر للطبّ النفساني سأل طبيب زميلا له: "ما هي أصعب حالة مرضية صادفتها؟"

فأجابه زميله: "كان لديّ مريض يعيش في عالم الخيال متوهماً أن له عمّاً في أمريكا الجنوبية سوف يترك له ثروة طائلة. فعاش منتظراً رسالة خيالية من محام وهمي. ولم يكن يغادر المنزل أو يفعل أي شيء سوى انتظار تلك الرسالة."

– وكيف اتت نتيجة العلاج؟

"كان علاجاً شاقاً دام ثماني سنوات، تمكّنت بنتيجته من شفاء المريض. ثم وصلت تلك الرسالة اللعينة."

م.ب.

كُلوا تَنْموا

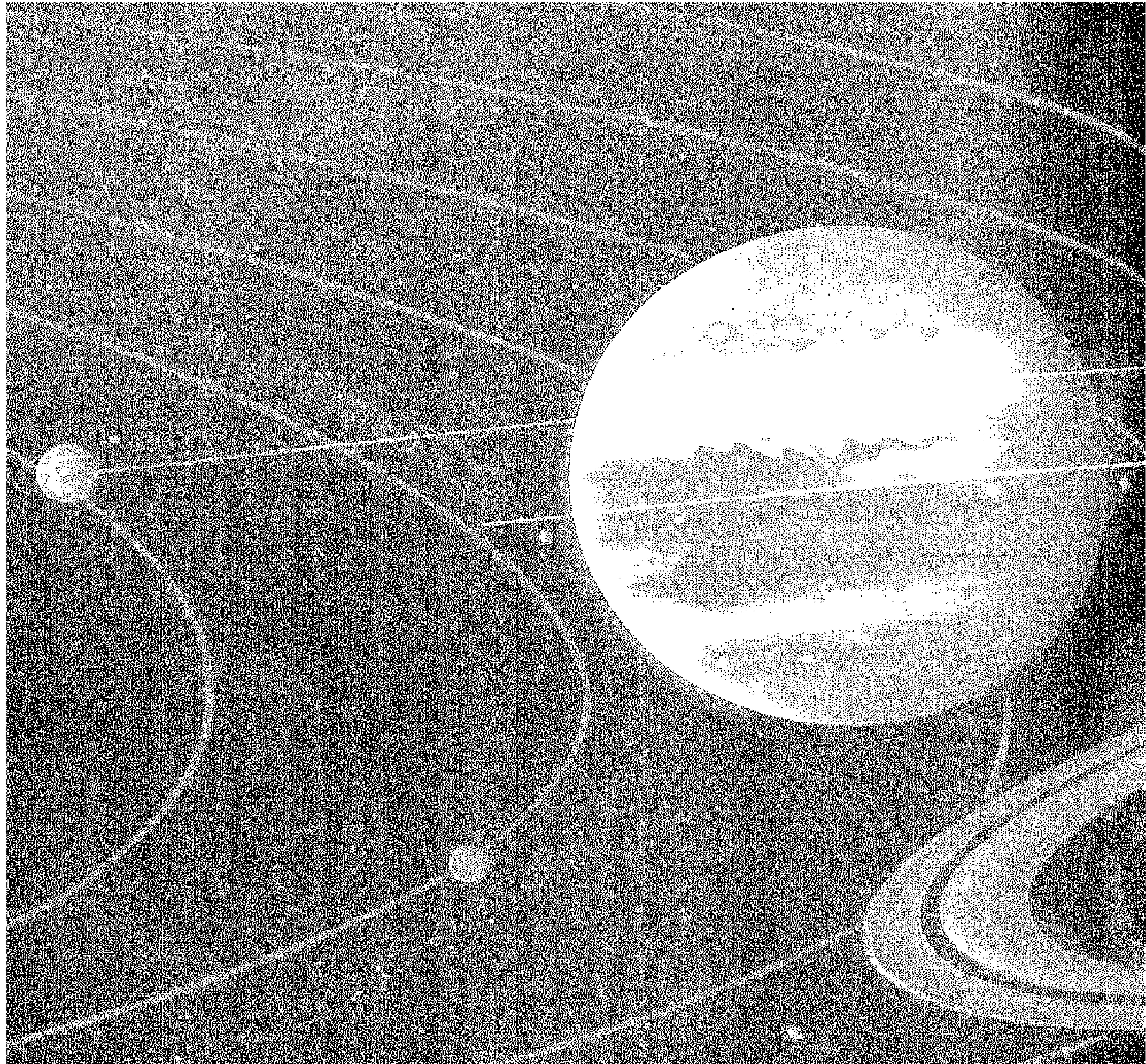
عندما سكبت زوجتي طعام العشاء في صحفة ابننا سامي البالغ الخامسة من العمر، اعترض قائلا: "لماذا تنال أختي ندى دائماً حصة أكبر من الطعام؟" ففسّرت له زوجتي أن ندى، وعمرها سبع سنوات، هي أكبر منه. فقارن سامي الصحفتين مجدّداً وقال: "على هذا المعدل ستظل أكبر مني دائماً."

ا.ف.

"فويجر-٢"

سفيرتنا إلى النجوم

كان وصول المركبة الفضائية "فويجر ٢" الى مقصدها يعادل تسديد كرة غولف كونيا الى حفرة تبعد ٣٦٤٠ كيلومترا



انقضّ طائر الالومنيوم الأخرق فوق القطب الشمالي لكوكب نبتون في اغسطس (آب) ١٩٨٩، ولم يكن هناك ما يشير الى وصوله سوى جهاز إرسال لاسلكي. كانت المركبة الفضائية غير المأهولة "فوييجر ٢" تخترق الأبعاد النائية من النظام الشمسي وتبث صورا وبيانات مذهلة عبر ٤،٥ مليارات كيلومتر الى "مختبر الدفع النفاث" في باسادينا بولاية كاليفورنيا، حيث قبع علماء الفلك ينتظرون بشوق لقاء الكوكب الأزرق. وبعد إتمام المهمة استخدمت "فوييجر" جاذبية نبتون مقلاعا فلكيا وسارعت الى موعد مع اللانهاية.

وكانت "فوييجر" حلقت عبر النظام الشمسي على مدى ١٢ عاما وبثت صور مدهشة للمشتري وزحل وأورانوس ونبتون، إضافة الى أكثر من خمسة الاف مليار نبذة من البيانات العلمية.

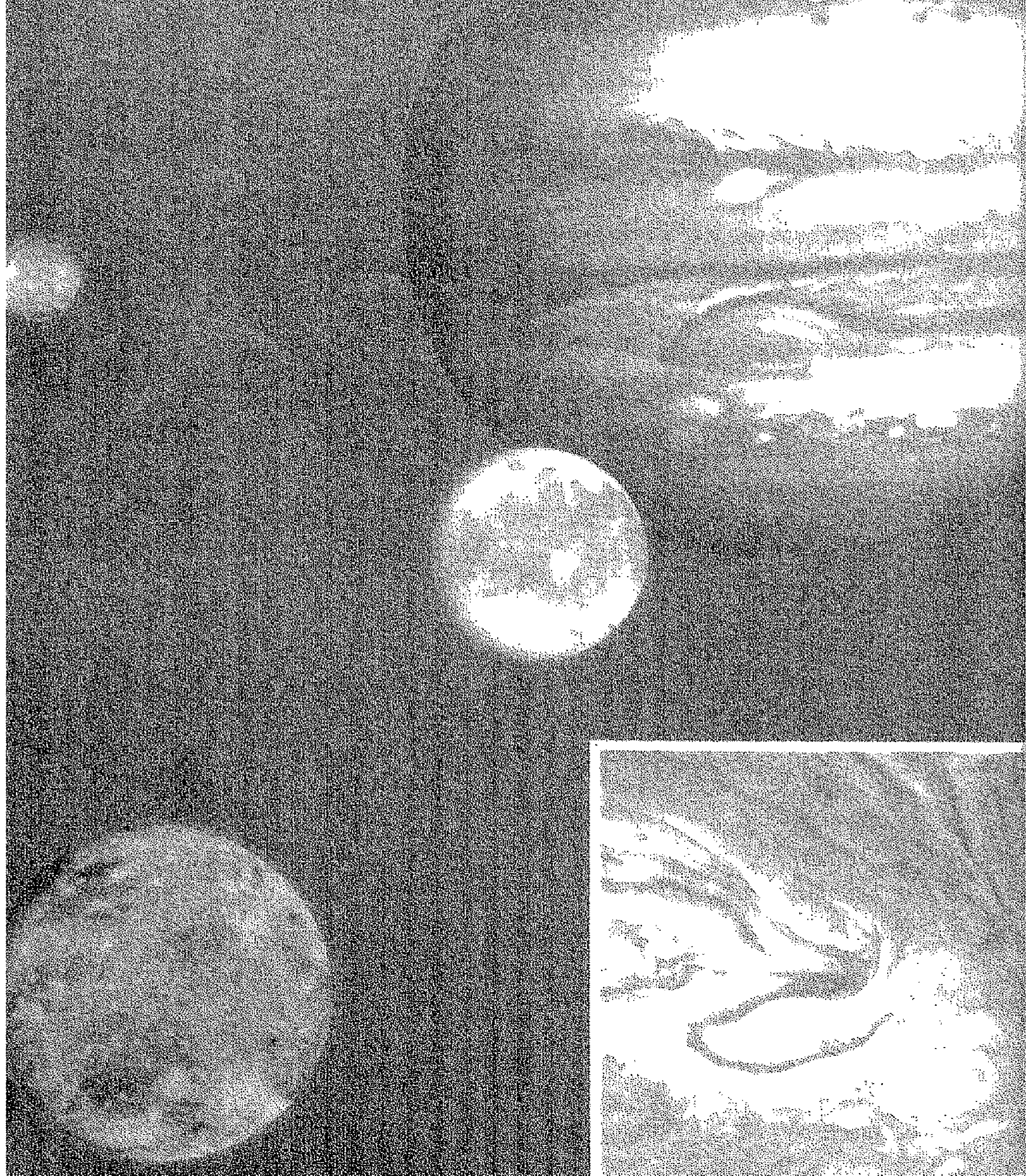
لقد برهنت "فوييجر" انها انجح م

أُطلق من المسابير الفضائية. وما إن انطلقت هذه المركبة البالغ وزنها ٨٢٥ كيلوغراماً من قاعدة "كيب كانافرال" يوم ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٧٧ حتى بدأت مسارها التاريخي في رحلة ملأى بالمشاكل الكأداء. فسرعان ما أصيب اللاسلكي اللاقط بعطل تلاه آخر في الجهاز البديل بحيث توقف عن التقاط ذبذبة محددة. (وهذا ما حدا المراقبين على تقدير ما يسع "فويجر" سماعه استناداً إلى حرارتها وبُعدها وحركتها.) وبعد تجليق المركبة فوق المشتري تعطلت رقاقة سيليكون مما تسبب في محو ٣ في المئة من ذاكرة الدماغ الالكتروني. ولدى اقترابها من أجواء زحل تشابكت منصة الرصد التي تحمل آلات التصوير وآلات أخرى. لكن زيت التزليق عاد وتسرب الى نواقل الحركة وقت التلاقي بأورانوس. وبطريقة ما وصلت "فويجر ٢" العاجزة الى نبتون على رغم صممها الجزئي وتعطل بعض آلاتها.

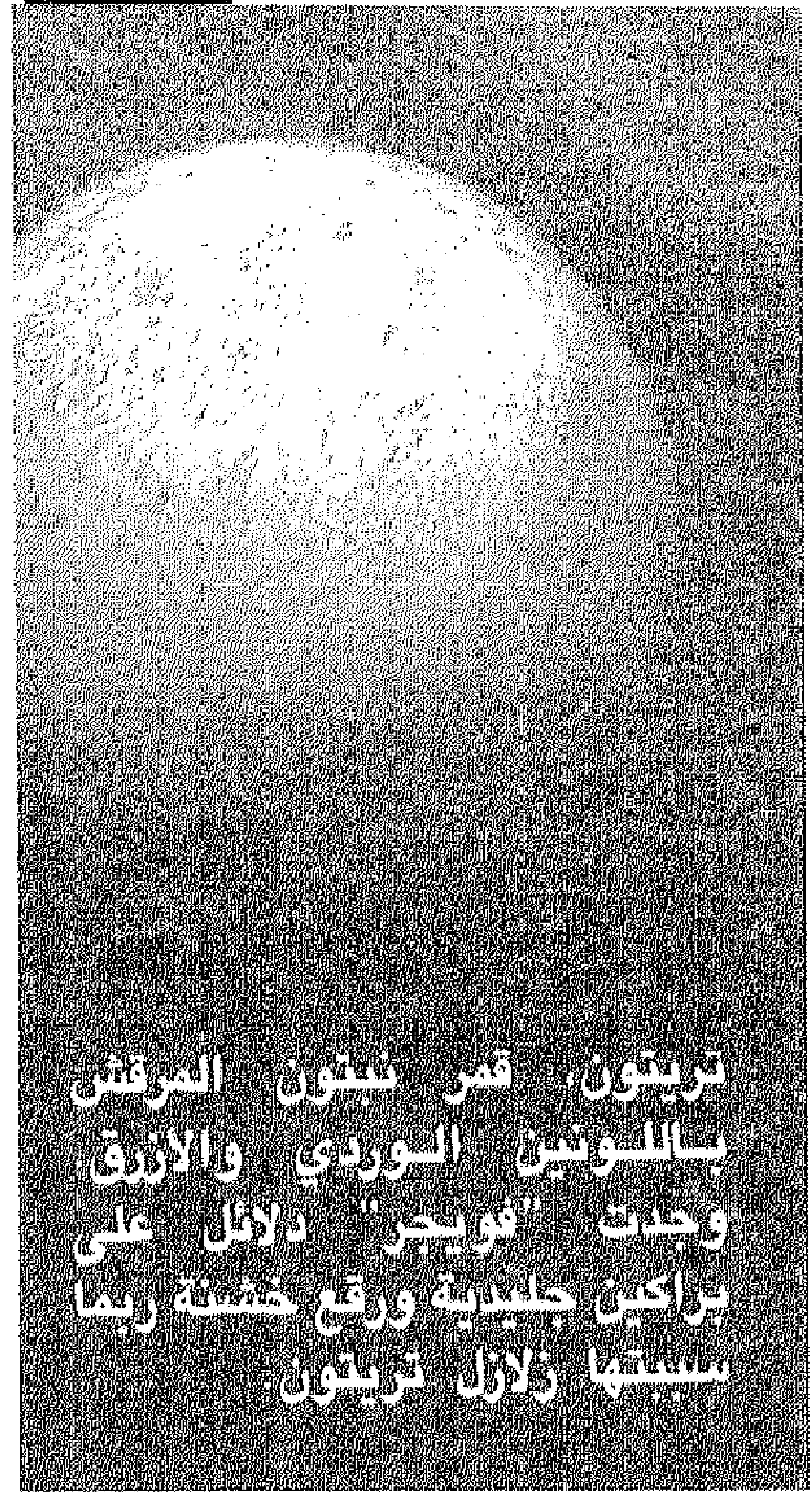
أما اختراق "فويجر" مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر من غيوم الكوكب العليا بسرعة ٩٨٤٠٥ كيلومترات في الساعة فاستلزم فنوناً هندسية معقدة لم يسبق لادارة "ناسا" أن واجهتها قبلاً. وقد عمل مهندسو مختبر الدفع النفاث، حيث صممت المركبة وبنيت، على تحديد مسارها بدقة متناهية خلال سنوات من العمل. وعندما وصلت "فويجر" الى نبتون كانت على بعد ٣٤ كيلومتراً فقط من المكان الذي حدده العلماء. وهذا يعادل، كونياً، اسقاط كرة غولف في حفرة تبعد ٣٦٤٠ كيلومتراً. ويقول مدير المشروع نورمان هاينز: "كانت رمية حسنة."

رسالة هامسة. علي مر السنوات بث خبراء الدماغ الالكتروني في "ناسا" تحسينات كثيرة الى "دماغ" المركبة التي تلقت "زرعاً دماغياً" بعيد المدى. ولدى اقترابها من نبتون عمل مهندسو المختبر بلا انقطاع على بث الارشادات. لكنهم لم يحددوا المواقع الفعلية للحطام الفضائي المحيط بالكوكب، وبالتالي لم يتسنَّ لهم توجيه مسار المركبة في الدقائق الأخيرة لأن الاشارات تستغرق أربع ساعات لبلوغ نبتون. وكان أدنى اصطدام كفيلا باحباط المهمة، لكن "فويجر" نجحت في تفادي الحطام المداري.

وتلقت المحطة الأرضية بيانات "فويجر" عبر إشارات غاية في الضعف (بلغت عشرة أجزاء من مليون مليار من الواط) مما استلزم اعتماد ٣٨ هوائياً لاسلكيا عملاقا في أربع قارات لاستقبال رسالة "فويجر" الهامسة. ويا لها من رسالة! لقد كشفت أن نبتون هو عالم ديناميكي عاصف متدثر بضباب كثيف من غازي الهيدروجين والهيليوم وسط رياح تضرب الكوكب بسرعة ٢٥٠٠ كيلومتر في الساعة وتدفع غيوماً من غاز الميثان المتجمد. أما النصف الجنوبي للكوكب



كوكب المشتري، وبقعته الحمراء الكبيرة
ماثلة بوضوح، مع الأقمار "يو" و"أوروبا"
و"غانيميد" (من فوق الى تحت)
وفي أسفل اليمين لقطة قريبة
لحركة الغيوم المضطربة
فوق أكبر كوكب في النظام الشمسي


تريتون، قمر نبتون المرقش باللونين الوردي والازرق وجدت "فويجر" دلائل على براكين جليدية ورقع خشنة ربما سببتها زلازل تريتون

فهو موئل لنظام عواصف هائل من أعاصير متضادة ينتشر فوق بقعة في حجم الأرض ويعرف باسم "البقعة السوداء الكبيرة."

وخالط رؤية "فويجر" لنبتون منظر قمره الاكبر "تريتون" الذي وصفه العالم الجيولوجي لورنس سودربلوم بأنه "شيء لم يسبق أن رأينا ما هو أكثر منه إثارة للفضول." وتريتون هو القمر الكبير الوحيد في النظام الشمسي الذي يدور عكس دوران كوكبه الام. وقد أطلّ تريتون بوجهه المرقش الشبيه بالرخام الايطالي الوردي البهي.


ويتراءى تريتون كأن تاريخه مر بمراحل شبيهة بما تتعرض له الجيلاتي (آيس كريم) عندما نحملها الى المنزل في قيظ الصيف بحيث تتحول من حال التجمد الى حال السيلان ثم تعود فتتجمد ثانية. فلربما كان تريتون يوما كوكبا انتزع من مداره الشمسي بجاذبية نبتون الحاضنة.

رحلة الى اللانهاية. جاءت الاكتشافات الجديدة سريعة بحيث باتت محاولة فهمها كلياً شبيهة بالشرب من خرطوم سيارة إطفاء. والتاريخ العنيف للنظام الشمسي هو الأكثر شخوصا للعيان في ما اكتشفته "فويجر" من حلقات وأقمار، أولا حول المشتري وزحل، ثم حول أورانوس ونبتون. يقول رئيس علماء المشروع ادوارد ستون: "لقد ركزت فويجر انتباهنا على أهمية التصادم." اذ قد تنتج من التصادم الكوني الذي يماثل عملية نحت قوية للنظام الشمسي، حلقات متباينة تراوح أشكالها بين الحزام المضيء حول زحل والدوائر الاحدى عشرة الضيقة الحادة حول أورانوس.

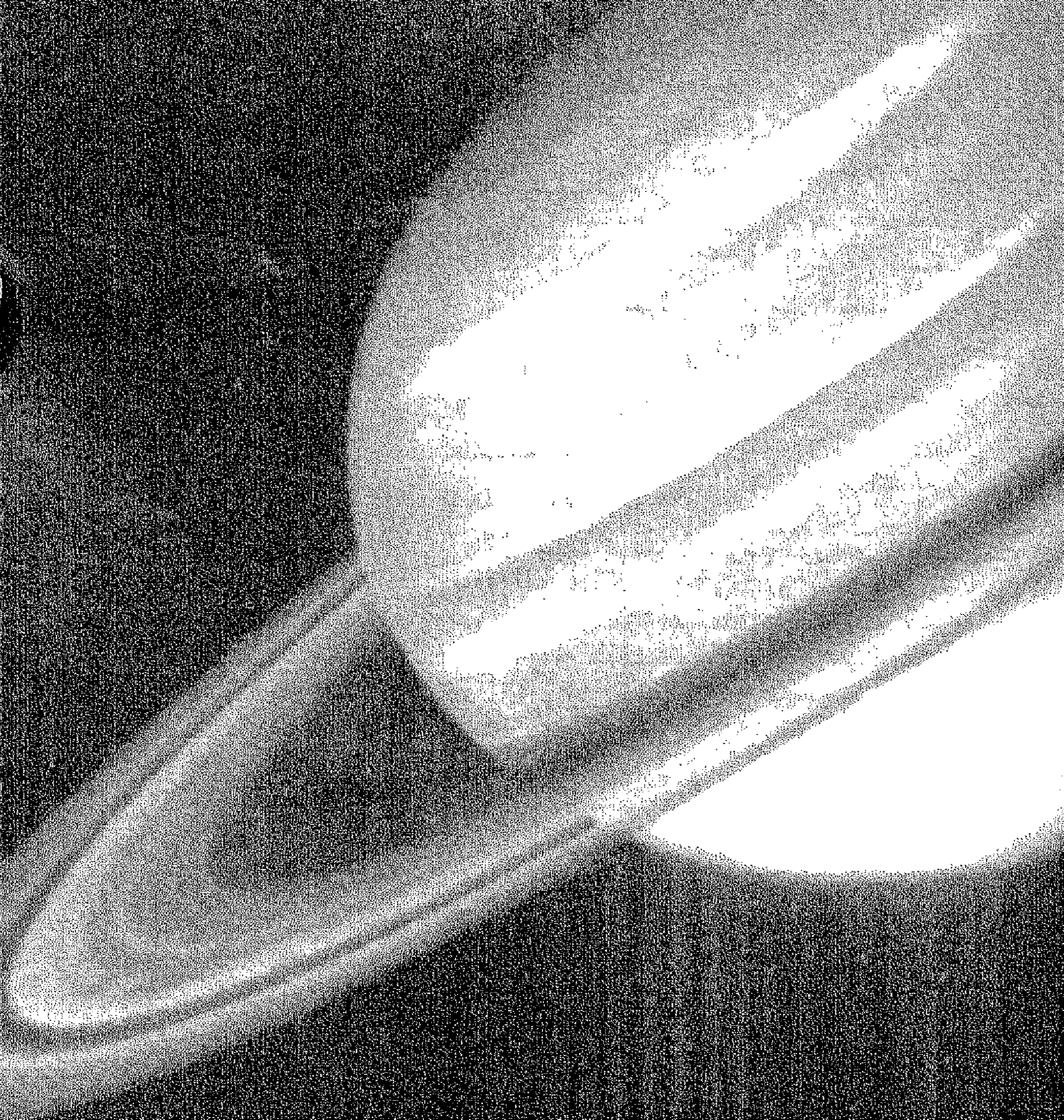
وبعدما أنجزت "فويجر ٢" مهمتها الاساسية سيُعمد هذه السنة (١٩٩٠) الى إيقاف عمل آلتي التصوير ومكشاف الأشعة دون الحمراء والمقطاب.[1] وسيفاد من الكهرباء المدَّخرة لتشغيل آلات تقيس

(١) Photopolarimeter وهو اداة لتعيين مقدار استقطاب الضوء.

يتباهى نبتون الازرق بثمانية اقمار، ستة منها بقيت مجهولة الى ان بثت "فوبجر ۲" اخبارها. واكتشفت المركبة كذلك اربع حلقات على الاقل حول الكوكب. يقول العالم الجيولوجي في المشروع لورنس سودربلوم "يا له من اسلوب لمغادرة النظام الشمسي!"



تتألف حلقات زحل الشهيرة
من ألوف الأحزمة المتموجة اللولبية
التي يراوح عرضها
بين ١٠ كيلومترات و١٠٠ كيلومتر
في أعلى اليمين النصف الشمالي لزحل
تحت حلقات زحل
وتشير المتغيرات اللونية
الى محتوى كيميائي متباين



الحقول المثيرة والجسيمات دون الذرّية المتناثرة في المسار الى الفضاء النجمي.

ومن المرجح أن تتوقف "فويجر" عن العمل في السنة ٢٠٢٠ من جراء قصور محركاتها عن امداد أجهزة الاتصالات بالطاقة. ويُتوقع أن تغدو سنة ٤٠١٧٦ على مسافة ١،٧ سنة ضوئية[٢] من النجم "روس ٢٤٨" وهو بقعة غازية حمراء متلألئة. وفي السنة ٢٩٦٠٣٦ ستمر "فويجر" على مسافة ٤،٣ سنوات ضوئية من نجم الشِعرى اليمانيـة (سيريوس).

قد يبدو الاحتمال بعيداً، ولكن ربما كان أحد هذه الكواكب مأهولا بكائنات ذكية تكتشف هذا الجوّال الصغير الصامت. فإن حصلت على "فويجر" فستجد في جنبها اسطوانة نحاسية مطلية بالذهب ومزودة ابرة فونوغراف ولفائف. فاذا عرفت كيف تديرها استمعت الى تحيات في ٦٠ من لغات الأرض (وواحدة بلغة الحيتان) إضافة الى أصوات الطبيعة الأرضية كقصف الرعد ونقيق الضفادع وبكاء طفل رضيع.

وإن لم تصادف المركبة أحدا، فستطفو الى الأبد عبر مجرتنا "درب اللبانـة" كسفيـرة لسكـان الأرض الفضوليين الذين أطلقوها على أمل ترك بصماتهم في اتساع الزمن الكوني.

شارون بيغلي وماري هاجر ■

(٢) السنة الضوئية وحدة طول تعادل المسافة التي يقطعها الضوء في الخواء في سنة واحدة، اي نحو ٩،٥ آلاف مليار كيلومتر.

إفرست محجوز!

منذ تسلق السر ادموند هيلاري وابن قبيلة الشيربا تنزنغ نوركاي قمة افرست في العام ١٩٥٣، توالى متسلقو هذه القمة وبلغ عددهم ١٦٤ رجلا وامرأة من أحد وعشرين بلداً مختلفاً. وقد نجح نيبالي وياباني في تسلق قمة افرست ثلاث مرات، وتمكن ايطالي من تسلقها مرتين. وما زالت قمة افرست تأسر ألباب المتسلقين. ويتوجّب على من يودّ تسلقها تقديم طلب الى وزارة السياحة النيبالية. ولكن ليعلم الطامحون الى تسلّق هذه القمة بالطريقة السهلة: افرست محجوز حتى السنة ١٩٩٧.

د.د.ك.

... وعاقل يفهم

أعمل مهرِّجاً في الحفلات. مرة بدأ أحد المدعـوين يضايقني في منتصف أدائي زارعاً الفوضى في وصلتي. حاولت تجاهلـه فما ارعـوى، فلجأت الى وسيلـة أخرى: احطت كتفه بذراعي وحدّقت الى عينيه قائلاً: «يا سيد، انا يُدفع لي لألبس هذا الزي وأقوم بأعمال مجنونة، وانت ما عذرك؟»

فلم يعد ينبس بكلمة.

ن.ج.

الشخير

متى يصبح خطراً على الحياة ؟

مرض يبعده خفض الوزن والانقطاع عن التدخين والكحول

مضت أشهر على ليس باتون المحاسب في مدينة سيدني بأوستراليا، وهو يعاني نعاساً متفاقماً أثناء النهار. وغلب عليه التعب ذات صباح الى حد أنه اغفى لحظة فيما كان يشرح لزميل ميزات مطبعة مكتبية صغيرة، فاجتُذبت أصابعه داخل الآلة التي سحقتها بين أسطواناتها. وتمكن الاطباء من انقاذ أصابع باتون، لكنه بقي رهين المرض الذي سبب الحادث: "الأبنيا"، أي انقطاع التنفس أو الاختناق أثناء النوم.[1]

حتى السبعينات لم يكن انقطاع التنفس أثناء النوم معترفاً به كعلّة تستوجب العناية الطبية. لكن الابحاث اعتبرتها مشكلة صحية واسعة الانتشار تصيب نحو ٢٥٠ ألفاً من الاوستراليين.

يقول الدكتور بول زيمرمان مدير الطب الصدري في مستشفى "برنس تشارلز" في بريزبين: "نعتقد أن خمسة في المئة من البالغين قد يكونون مصابين بنوع ما من الابنيا."

والذين يعانون الابنيا ينطلقون في رحلة خطرة كل مرة يأوون الى مخادعهم. فهم يتوقفون عن التنفس مئات المرات في الليل ويبدأون نوبة اختناق حتى الموت. فأنسجة الحنجرة الرخوة لدى المصابين بالابنيا الانسدادية[2] (وهو النوع الاكثر شيوعا) تنهار مما يؤدي الى تقلص الحنجرة، فيهبط مستوى الاوكسيجين في الدم وتعصف الانقباضات بالحجاب

(١) Sleep apnea

(٢) Obstructive sleep apnea

الحاجز الى أن يستجيب الدماغ لاشارات الخطر. عندئذ يبدأ النائمون استعادة وعيهم وتنفّسهم اذ يندفع الهواء بغزارة الى داخلهم. وهم في الصباح لا يتذكرون اختناقهم ولا غطيطهم في نومهم، الا أنهم يشعرون بالارهاق قبل أن يبدأوا نهارهم. أما أولئك الذين يعانون الأبنيا المركزية[٣] الأقل شيوعاً فانهم ينقطعون عن التنفس لفترات طويلة دونما سبب ظاهر.

عيادات النوم. يتذكر مدير مصرف في جنوب أوستراليا يدعى إيان دوسون مناسبات أغفى فيها فوق طاولة مكتبه. وهو يقول: "كان ذلك مربكاً أشدّ الارباك، اذ كان الموظفون يسمعون الغطيط منبعثاً من مكتبي." والغطيط يترافق غالباً والابنيا الانسدادية. (انما لا يعود سبب الغطيط دائماً الى الابنيا.) فنسيج الحنك الرخو في أعلى الحلق يهتز حين يندفع النفَس عبر مجرى هوائي ضيق أو مسدود جزئياً. فأثناء نوبة أبنيا ينسدّ المجرى كلياً. ويقول الدكتور زيمرمان: "يحدث هذا حين ترتخي عضلات الحلق اثناء النوم، والسبب الجذري هو كون مجرى الهواء الاعلى أضيق من الطبيعي، إما وراثياً وإما بسبب البدانة."

ومما يزيد في مأساة ضحايا الأبنيا أنهم معرضون للاصابة بمرض القلب والسكتة الدماغية (الفالج) وارتفاع ضغط

(٣) Central apnea



مريض "ابنيا" يتنفس عبر الة «CPAP»

PHOTO: TONY MAGUIRE

الدم. كما أن نقص الاوكسيجين الذي يعانونه في الليل قد يؤدي الى تلف في الدماغ. وفي الحالات المعتدلة قد يسبب هذا التلف نقصاً في الذاكرة، إنما في الحالات الشديدة قد يتسبب في اضطراب نفساني حادّ. والى ذلك، فحتى خبل الخرف قد يعزى الى الابنيا. وتشير الابحاث الحديثة الى أن الأبنيا قد تؤدي دوراً في متلازمة الموت الفجائي أثناء الطفولة.[٤] وتظهر دراسات أن المصابين بالابنيا معرضون أكثر من سواهم لحوادث اصطدام السيارات. يقول الدكتور مايكل دود الطبيب في "وحدة اضطرابات النوم" في مستشفى "رويال برنس ألفرد" في سيدني: "إننا ننظر الى رأس جبل جليدي طبّي مغمور."

وفيما تزداد المعرفة بالابنيا تتدفق طلبات المعالجة على الهيئات الطبية المختصة. ففي قائمة الانتظار لدى وحدة "رويال برنس ألفرد" ألفا شخص، قد يطول انتظار بعضهم سنتين ليحظى بالمعالجة. وهذه هي حال "عيادات النوم" العشر الأخرى في المستشفيات الحكومية في أنحاء أوستراليا. وقد افتتح حديثاً عدد من العيادات الخاصة في أماكن مختلفة من البلاد.

شخير فاختناق. يوصَل المرضى في عيادات النوم بأسلاك الى أجهزة مراقبة متنوعة كي يتسنّى للاطباء الاطلاع على صورة كاملة لحالاتهم. وذات ليلة، في ساعة متقدمة، رحت أراقب التقنيين في احدى العيادات الخاصة في سيدني وهم يثبتون الالكترودات[٥] اللاصقة الى صدر نويل ادواردز (٤٢ عاماً) الذي قدم من بابوا نيو غينيا للمعالجة، ووصلت سبعة من أطرافها الى جهاز تخطيط القلب، وخُصِّت أربعة أخرى بقياس التنفس. ثم ثبت الكترودان في رجلي ادواردز (حركات عضلات الرجلين تكشف الكثير عن أنماط النوم) وفي ذقنه (هنا يهبط نشاط العضل قبيل نوبات الابنيا الحادة). بعدئذ جاء دور الرأس. زرع الكترودان على جانبي عيني ادواردز واثنان خلف اذنيه واثنان في أعلى رأسه وواحد على جبينه لقياس حركات العينين ونشاط الدماغ. وأولجت في منخريه شوكتان بلاستيكيتان لقياس تدفق الهواء. وأخيراً ثبت مقياس للاوكسيجين في اذنه لمراقبة مستوى الاوكسيجين في الدم. والمجموع ٢١ سلكاً متعددة الالوان موصولة بجسم ادواردز. وهو قال مبتسماً: "أشعر كأني مسخ فرنكنشتين."

وادواردز هو من الذين يغطون في نومهم (يشخرون) شأن معظم ضحايا الابنيا الانسدادية. لذا فانه وزوجته ينامان في غرفتين منفردتين، لكن زوجته لا تني تسمع غطيطه. ويقول ادواردز مكتئباً: "ان غطيطي يسمع عن بعد ١٠٠ متر من منزلنا." وقد خبرت لاحقاً بعضاً

(٤) Sudden - Infant - death - syndrome
(٥) الالكترود او اللاحب قطب كهربائي.

من معاناة عائلته فيما كان في عهدة الاطباء تلك الليلة.

كان رفيق ادواردز في الغرفة موظفاً حكومياً من العاصمة كانبره. وبعدما أطفئت الأنوار ساد السكون ولم يعد يسمع في الغرفة سوى صوت مكيف الهواء وحفيف ١٨ قلماً على لفة ورق في المرسمة المضاعفة.[٦] وبعد ساعة اذا بصوت خشن ينبعث فجأة عبر جهاز الاتصال الداخلي من غرفة ادواردز. توقف الصوت لبضع ثوان ثم عاد أعلى من السابق. وتعاظم الشخير الى ضراوة كأنه صادر عن وحش غاضب واقع في شرك منصوب له في الغرفة ٣.

عندئذ بدأت نوبات الابنيا. دامت النوبة الاولى ٢٠ ثانية. فحبست أنفاسي الى أن قطع السكون القلق شخير هائل. وبعد بضع عشرة شخرة تكرر الانقطاع، انما كان هذه المرة صوت اختناق خفيف. وأخذت نوبات الابنيا تطول وتزداد تكراراً. وبعيد منتصف الليل باتت تمتد ٤٥ ثانية وتتكرر بين فترات من ست شخرات.

مشي على الهواء. حين بدأت احدى النوبات شرحت لي التقنية ماريا بريك ما تدل عليه الخطوط المرسومة على الورقة: "إن الذرى والوهاد في مقياس التنفس تتقلص الى خطوط مستقيمة في أثناء الاصابة بالابنيا. لكن المرسمة العضلية[٧] الموصولة بالحجاب الحاجز تظهر نمطا من لطخات الحبر، مما يدل على أن الحجاب الحاجز ماضٍ في الانقباض على رغم عدم وصول الهواء اليه." وهناك خط آخر في الرسم البياني يظهر قراءات مقياس الاوكسيجين الملقوط على الاذن، ويفاد منه أن مستوى الاوكسيجين في دم ادواردز أخذ في الهبوط بحدة. والمستوى الطبيعي أعلى من ٩٥ في المئة. تقول باريك: "لقد هبط الآن الى ٦٠ في المئة." ولا يلبث ادواردز أن يطلق احدى شخراته الطويلة المكبوتة التي أصبحت مألوفة، فيرتفع خط الاوكسيجين عمودياً على ورقة المرسمة البيانية.

صباح اليوم التالي بانت أحداث الليل التي مرّ بها ادواردز مسجّلة على ٩٠ متراً من الورق. وقال مدير العيادة إن عدد نوبات الابنيا التي تعرض لها ادواردز تلك الليلة زاد على أربعمئة. وأضاف: "دامت أطول هذه النوبات ٩٠ ثانية،" وهي التي سجلت قبيل الثانية ليلاً.

عند هذا الحد دخل ادواردز مرحلة حركة العينين السريعة أثناء النوم، وذلك هو الوقت الذي يرتخي فيه الحلق او ينسدّ. وهبط مستوى الاوكسيجين الى ٤٩ في المئة وانخفض معدل نبض القلب الى ٤٠ في الدقيقة. قال الطبيب: "هذا هو نصف المعدل الطبيعي. ومثل هذا الاجهاد قد يؤذي القلب ويجعل من الابنيا

(٦) Polygraph . وهي اداة لتسجيل عدة نبضات مختلفة في آن، كنبضات القلب والشرايين معاً.
(٧) Electromyogram . وهو جهاز يسجل الانقباضات والاسترخاءات العضلية.

حالة مرضية تهدد الحياة."

ولحسن حظ ادواردز وأمثاله أن مساعدتهم باتت ممكنة. ففي العام ١٩٨٠ نجح البروفسور كولين سوليفان مدير وحدة "رويال برنس ألفرد"، في تكييف آلة تستخدم في غرفة الطوارىء للحؤول دون انهيار رئتي المريض التالفتين. واستخدم نموذجه الاول «CPAP»[٨] لدفع الهواء برفق في منخري ضحايا الابنيا لابقاء مجرى الهواء الاعلى مفتوحاً.

وكانت الآلة تبعث ضجيجا مزعجا وتحدّ كثيرا من التحرك أثناء النوم، لكنها حققت نتائج مثيرة. يقول العامل الميكانيكي رون وود: "بعد الليلة الاولى شعرت كأني امشي على الهواء. فقد منحتني نوماً هانئاً للمرة الاولى منذ سنين." وقد ادخلت تحسينات على الآلة، وهي تنتج الان تجارياً في أوستراليا. وهناك آلات مماثلة في أوروبا والولايات المتحدة.

التشخيص المبكر. في وحدة "رويال برنس ألفرد" عمدت الى تجربة الآلة «CPAP». انها مجهزة بكمامة بلاستيكية شفافة ذات أطراف محشوّة كيما تنطبق براحة حول الأنف. ويمتد من مقدّمها أنبوب طويل شبيه بخرطوم الفيل يوصل الى صندوق معدني على الطاولة بجانب السرير. ثبّتُ الكمامة على وجهي وأدرت الآلة فانبعث منها صوت حفيف. وشعرت بدفقَيْن من هواء بارد انسابا داخل منخريَّ نزولا في مؤخر حلقي. وغمرني احساس بالانتعاش كالذي يبعثه تمرين التنفس العميق.

وهناك ضحايا أبنيا مثل كين مايلز أشعرهم استخدام كمامة «CPAP» بفرق هائل. فقد كانت زوجته اعتادت شخيره، وهي تروي: "كنت أرتعب للفترات الطويلة التي بدا فيها كأنه انقطع عن التنفس." ثم قرأت ذات يوم عن مرض الابنيا في احدى المجلات الطبية في المكتبة حيث تعمل، واكتشفت ما صحَّ أنه علة زوجها. واليوم غاب شخيره باستخدام آلة «CPAP» التي لا يُسمع لها سوى دندنة ناعمة.

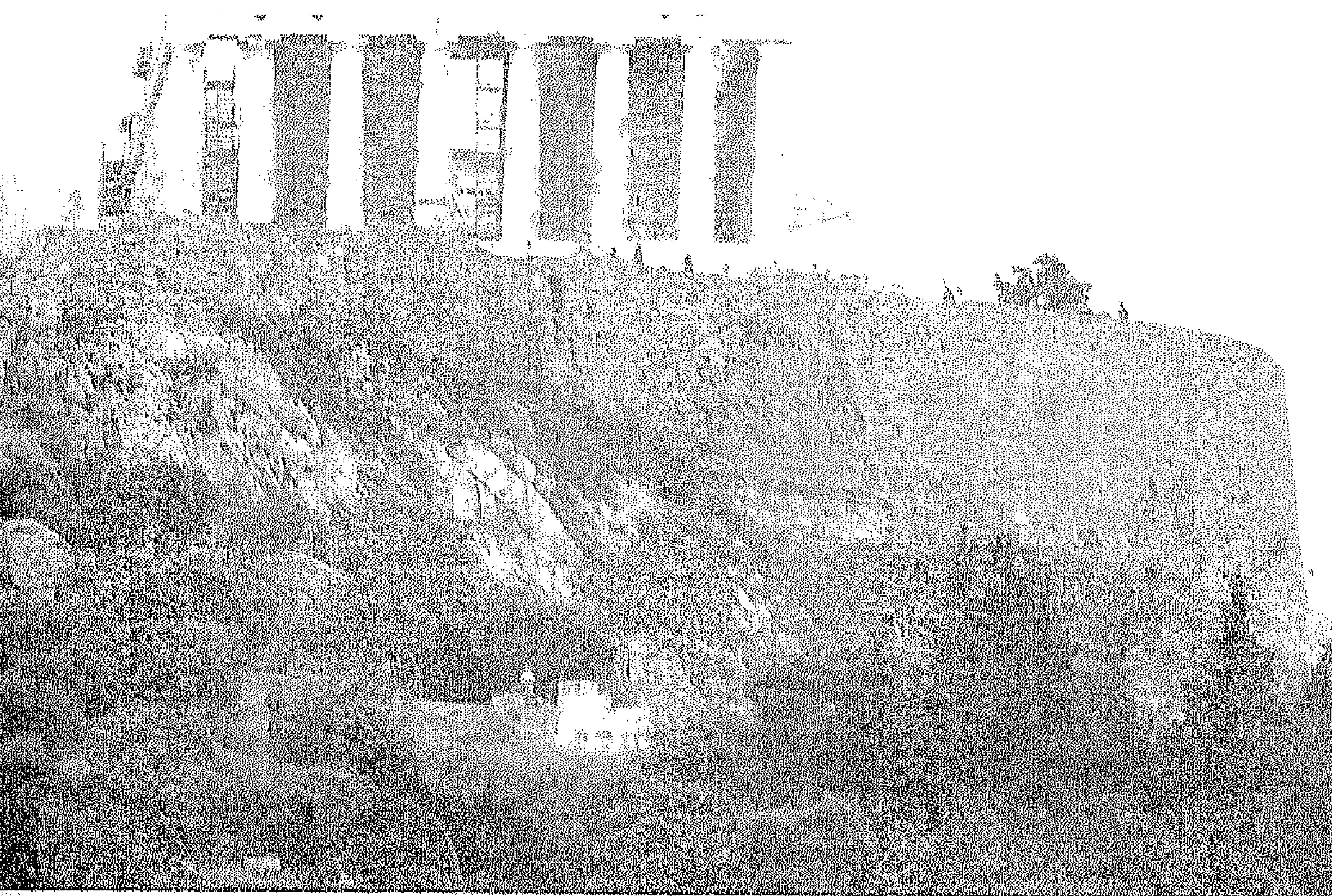
تقول وندي ويل وهي ربة منزل في سيدني يعاني زوجها وابنتها (٧ أعوام) الابنيا: "المشكلة الكبرى اليوم هي ادراك الناس أن هناك علة تدعى الابنيا."

ان تشخيص الاصابة بالابنيا لا يعني بالضرورة الحكم بالنوم مدى الحياة الى جانب آلة «CPAP». يقول الدكتور دود: "إذا حدّدت الاصابة في وقت مبكّر، فان خفض الوزن والحدّ من تناول الكحول والانقطاع عن التدخين كافية في بعض الاحيان."

ومتى ألمَّ الاوساط الطبية بهذه الحالة المرضية فسيتاح لضحاياها نوم ليلي هانىء.

طوني ماغير ■

(٨) continuous positive airway pressure، أي "الضغط الايجابي المتواصل عبر مجرى الهواء."



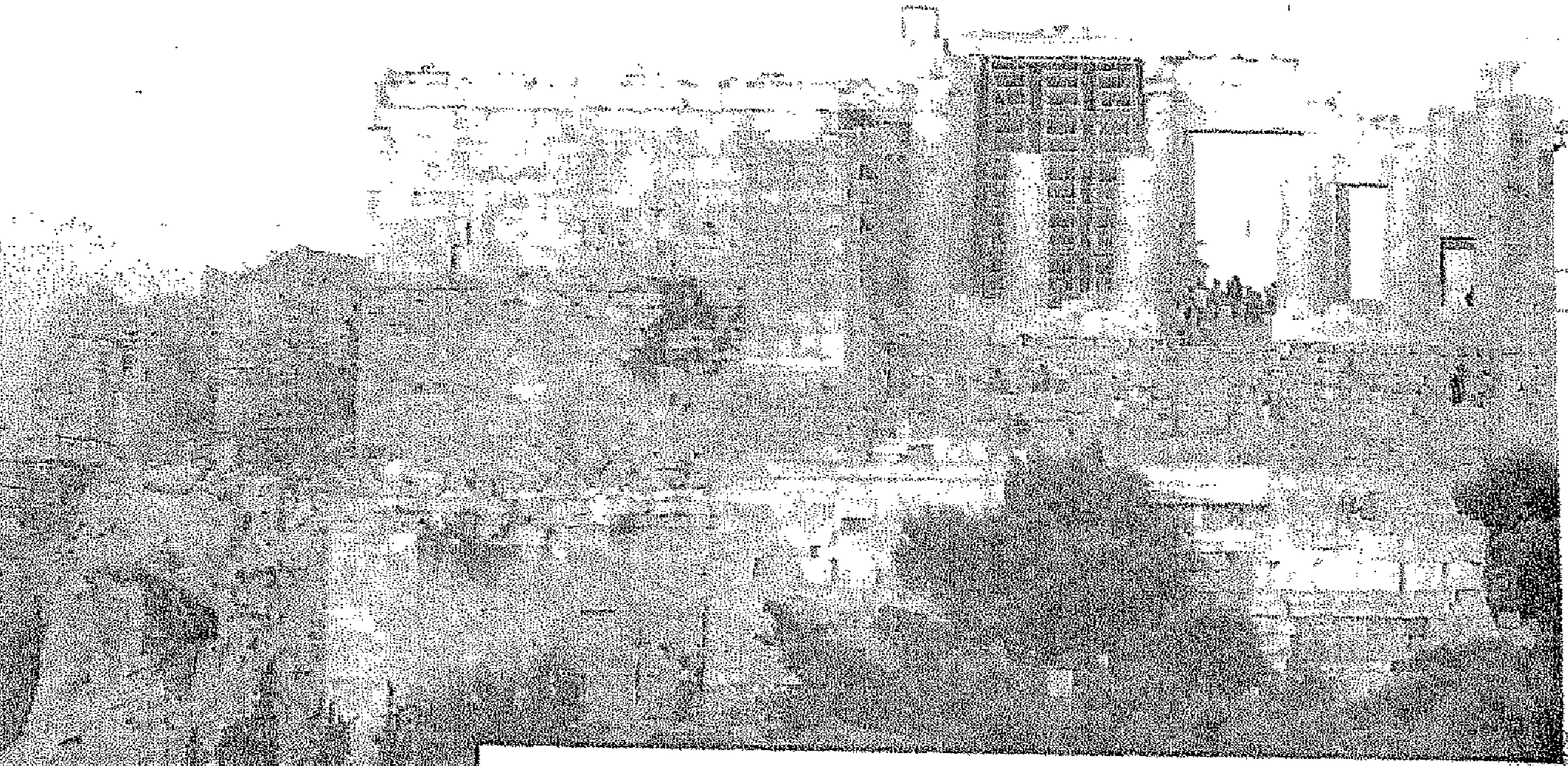
إنها لمن تجارب الحياة المثيرة أن تعبر رواق بروبيلايا الفخم الرخام، وتقف على سطح الاكروبوليس الأبيض الرمادي الاملس متأملا هيكل البارثينون المتصدع الذي يطل فوق قمة الصخرة نموذجاً للآثار المنطبعة في أذهاننا، عظيماً في سقوطه، كما كان في علاه يوم تصدَّر روائع أثينا القديمة. وتشاهد عند الطرف الشمالي للصخرة نصب الاركتيوم، أو مقام أثينا، فيما يتراءى عند حيد ضيق وراء البروبيلايا نصب "أثينا نايكي."

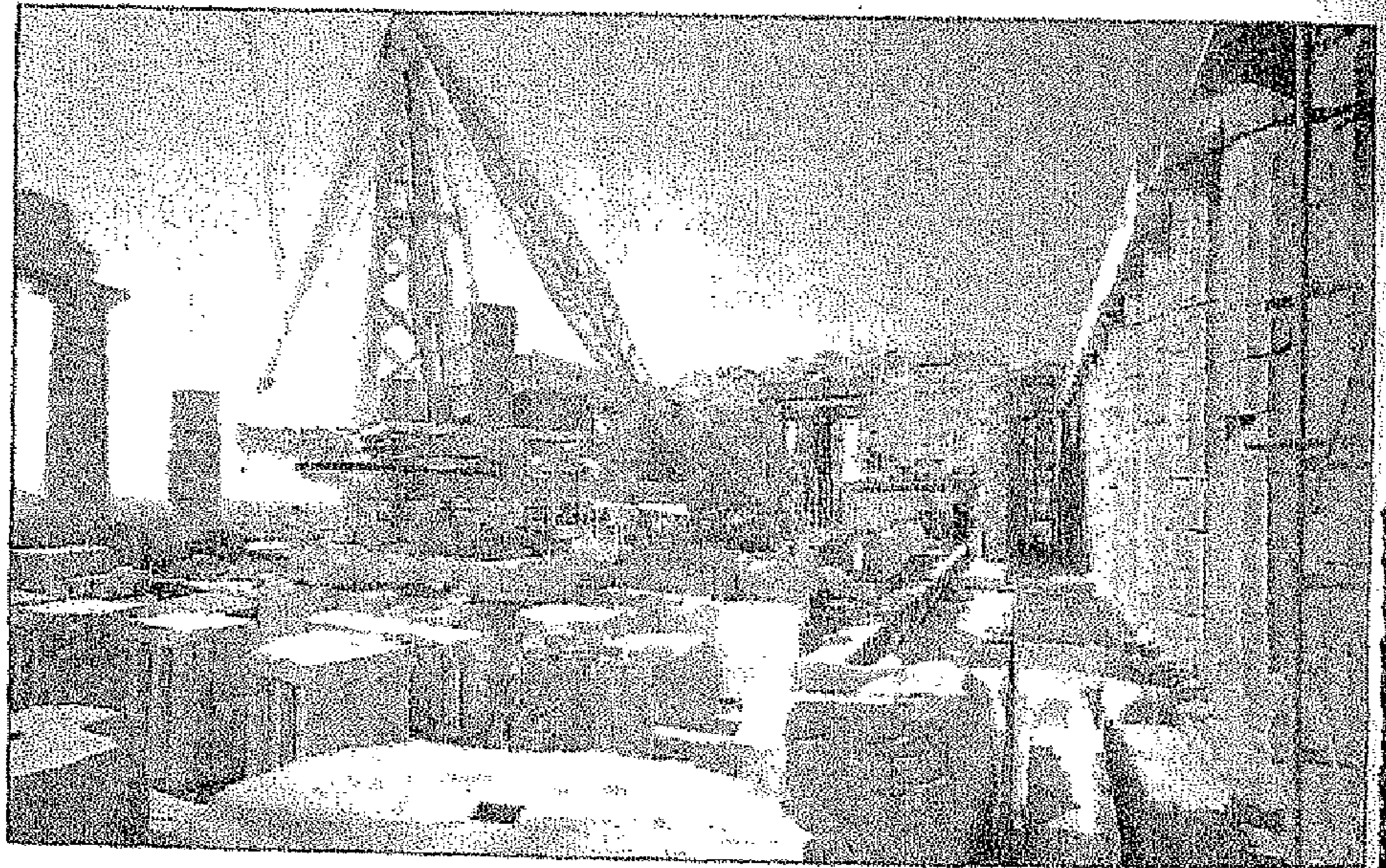
لتأمُّل هذه الحجار القديمة، يؤم الأكروبوليس نحو خمسة ملايين زائر سنوياً.

تُعتبر معالم الاكروبوليس الأثرية الأربعة التي بُنيت في الفترة الممتدة بين عامي ٤٤٧ و٤٠٥ قبل الميلاد، مثالا لا

بين الأمس والغد

هل سيؤدي ترميم البارثينون الى تشويه هذا الأثر الحضاري البارز؟





فوق: منظر شامل للاكروبوليس.
تحت: اعمال الترميم واعادة البناء في الهيكل الرئيسي.

يضاهى في فن العمارة القديم. وهي، الى ذلك، أبرز الذخائر المحسوسة التي تناهت إلينا من "العصر الذهبي" أيام كان بريكليس وأفلاطون وسقراط ويوريبيدس يتمشون في شوارع أثينا.

في أوائل السبعينات صُعق اليونانيون عندما تحققوا من أن هذا الكنز الوطني معرض للانهيار. وكانت هذه المعالم الأثرية دعمت بالملازم في أوائل هذا القرن في محاولة خاطئة لتقويتها. إلا أن الملازم صدئت وراحت في تأكلها تشقق الجدران الرخامية القديمة. والى ذلك، تبين أن تلوُّث الهواء والمطر الحمضيّ تسببا على مدى نحو ثلاثة عقود في أضرار بمنحوتات البارثينون المتبقية تفوق ما سببته الحروب وأعمال النهب خلال ٢٥ قرناً.

مبنى أم أطلال؟ في العام ١٩٧٥ شكلت لجنة للحفاظ على معالم الاكروبوليس، مهمتها الاساسية الاشراف على صيانة هذه الآثار. وهي تضم اليوم أحد عشر عالماً يونانياً في حقول الآثار والهندسة والعمارة والكيمياء. وفي السنوات التي تلت، عمد تقنيون من "مركز ديمقريطس للابحاث النووية" الى تخطيط شقوق البارثينون التي تكاد لا ترى بالعين المجردة، بواسطة جهاز لقياس المتغيرات في الحرارة السطحية. وقُصفت الجدران بأشعة "غاما" للحصول على صور ثلاثية الأبعاد للشقوق الداخلية. وعمد الكيميائيون منذ فترة قريبة الى تخطيط دقيق ومفصل للاضرار الناتجة من أنواع مختلفة من التلوث. وتستخدم رافعة لانزال التماثيل المتضررة وحفظها في صناديق استعداداً لنقلها الى متحف جديد يزمع بناؤه على مقربة من الاكروبوليس.

لكن ما بدأ عملية إنقاذ واضحة تحوَّل برنامجاً ضخماً ومثيراً للجدل. إذ حين يُستكمل تنفيذ هذا البرنامج في التسعينات، ستكون أعمال الترميم غيرت جذرياً مظهر الأكروبوليس والنظرة الى التاريخ اليوناني في آن. يقول ستيفن ميلر الرئيس السابق لـ"الكلية الامريكية للدراسات الكلاسيكية" في أثينا: "إنه أعظم مشروع يُنفذ في الأكروبوليس مذ تم بناء البارثينون قبل ٢٥٠٠ سنة. وعندما ينتهي العمل به سيسهل تقدير هذا المعلم كمبنى وليس كأطلال."

وتقول جودث بايندر عالمة الآثار الأمريكية وأحد أبرز المختصين بالأكروبوليس: "إن إعادة البناء هذه لأمر مفرح، بل مفرح جداً. وكان لزاماً القيام بها لأن الاكروبوليس يتداعى فعلاً منذ ١٥ سنة، وقد صار على قابي قوس أو أدنى من نهايته."

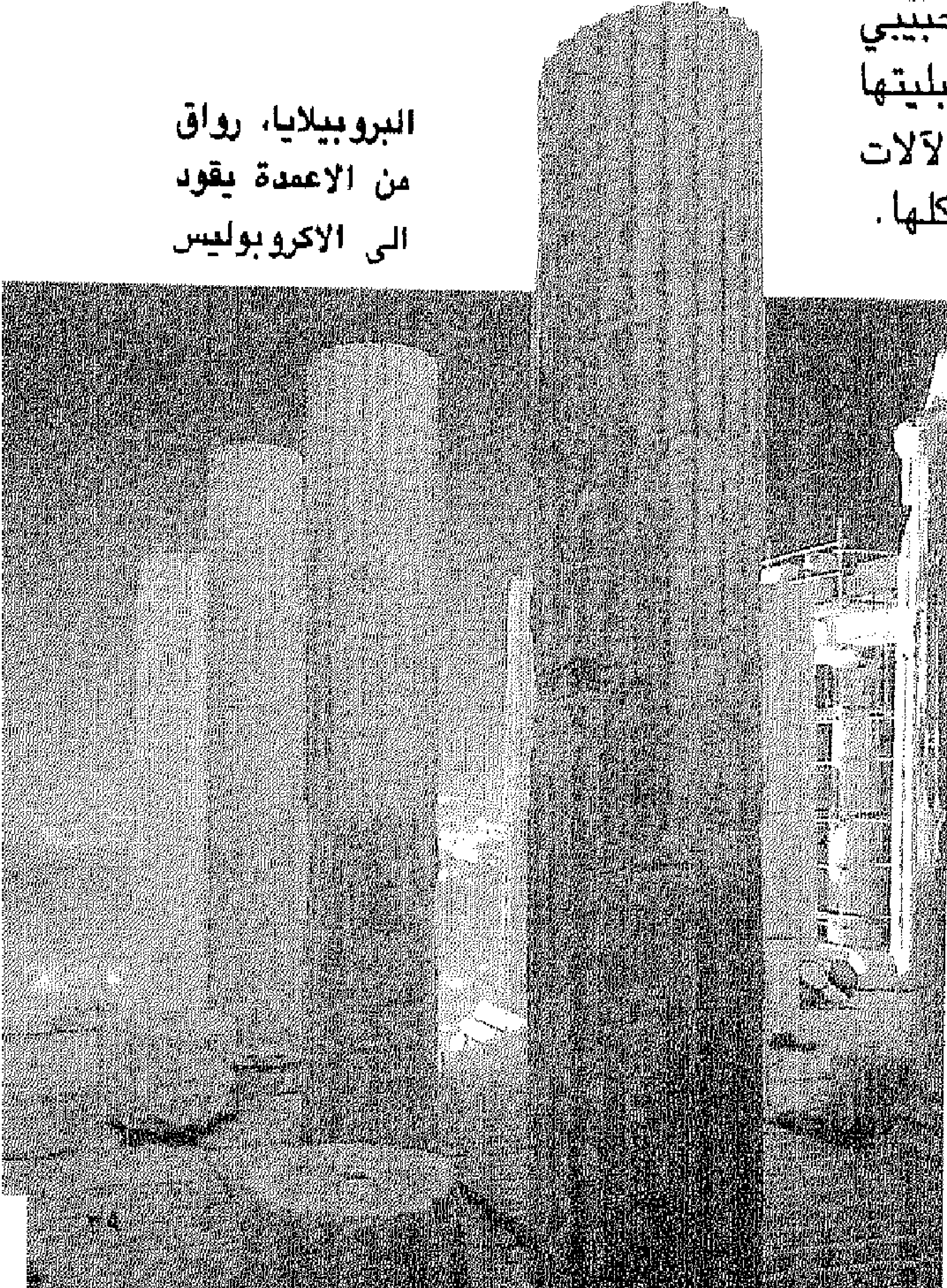
أما كيف سننظر الى الأكروبوليس في السنوات المقبلة فأمر يتوقف الى حد بعيد على رؤيا مهندس العمارة اليوناني مانولس كوريس (٤١ عاما) الذي يتولى منصب المدير الأعلى لأعمال الترميم في الموقع منذ العام ١٩٧٥، ولا يشير إليه كل من عرف عمله بأقل من صفة

"عبقري." يقول هرمان ج. كيناست عضو "المعهد الالماني للآثار" في أثينا: "يتصف كوريس بمقدرة تمكنه من التفكير في المبنى تماما كما فعل بانوه الأولون، وتماما كما يفعل حَجَّار الرخام ومدير الانشاءات والمموِّل. وهو في الوقت نفسه عالم رزين وفنان مبدع."

أحجية حجار. تنتشر في أرجاء الاكروبوليس شظايا من رخام البارثينون التي عقد كوريس العزم على فرزها وجمعها ما أمكن، وإعادتها الى مواقعها الأساسية. أما كيف يحدد كوريس مصادر الشظايا الرخامية الشاردة، فذاك متاح من طريق قياس التركيب الحبَيْبي لكل قطعة ودرجة صلابتها وقابليتها للتطريق ومدى استجابتها لعمل الآلات على سطحها وانماط شقوقها وتآكلها.

وفي يوم قاس من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، فيما كانت ريح آكلة تسوط صف أعمدة البارثينون، راح كوريس يتجول في أنحاء الاكروبوليس متنقلا بين كتل الرخام وهو يقيس آثار الأزاميل القديمة على وجه الرخام الاملس ظاهرا. ثم قال مشيرا الى أربع بلاطات أفقية بالغة التضرر: "لا بد من أن هذه القطع جزء من كتلة واحدة." وهو يفترض أنها من إفريز ضيق يحوط قاعدة قاعة البارثينون المركزية. ويشرح: "إن آثار الازميل تتبع نمطاً يدل على أن يداً واحدة أنجزت هذا العمل. وترى عند طرف هذه الكتل شريطاً طوله ٢٠ سنتيمتراً يدل على تآكل الحجر بفعل الأمطار. وهذا يُظهر أن الحجر كان ناتئاً بمقدار ٢٠ سنتيمتراً من الجدار، وبالتالي فإن مكانه هو قاعدة القاعة المركزية. إلى ذلك يمكن الاستنتاج تحديداً أن مكان هذه الكتل هو الناحية الشمالية من المبنى التي هي أكثر تعرضاً للعوامل الجوية."

ومنذ العام ١٩٧٦ تعرَّف كوريس الى نحو ١٠٠٠ قطعة عائدة الى البارثينون وركّب بها نحو ٢٠٠ مدماك أوثقها بملازم لا تصدأ من التيتانيوم بعدما ملأ الفجوات



البروبيلايا، رواق من الاعمدة يقود الى الاكروبوليس

برخام جديد. وهو يأمل بذلك أن يجعل البارثينون أقرب الى شكله السليم مما كان مذ مزّقه حصار البنادقة عام ١٦٨٧.

ثورة النقاد. على رغم أن المشروع لا يزال في حال تطور، فلقد وافقت "لجنة الحفاظ على الاكروبوليس" على المبادىء الاولية الواردة في برنامج كوريس. وهو يقترح رفع جدران القاعة الداخلية في البارثينون ثلاثة أمتار أو أربعة وإعادة بناء خمسة أعمدة ضخمة كانت تقف وراء صف الأعمدة الشرقي. إلى ذلك يقترح إعادة نصب بضعة أعمدة رومانية أقيمت خلال عملية إعادة بناء قديمة وشكلت جزءاً أساسياً من القبة التي علت المبنى منذ تحويله كنيسة لمدة ٩٠٠ سنة. وينوي كذلك عرض أجزاء من المسجد الذي أقيم داخل البارثينون بعد الفتح الاسلامي. وهكذا لن يرى الزائرون فقط وجهاً مخشّناً لمبنى البارثينون، بل قرائن واضحة عن العهود الروماني والبيزنطي والافرنجي والاسلامي التي تطاول ٨٠ في المئة من تاريخه.

لكن هذه المخططات أثارت سخطاً عارماً لدى النقاد في اليونان وفي الخارج على السواء. وبين هؤلاء من يؤكد أن دمج عناصر تاريخ البارثينون يُفقد أعمال الترميم فرصة ابراز "العصر الذهبي" اليوناني. وقد كتب سيمون جنكنز في صحيفة "صندي تايمز" البريطانية مقالا اتهم فيه مرمّمي البارثينون بـ"الجبن الاكاديمي" لأنهم فوّتوا فرصة إعادة بناء المعبد البريكلي الأصلي على رغم امتلاكهم المعرفة والمهارة للقيام بذلك.

ونظر آخرون بكآبة الى مبادرة كوريس الرامية الى ابدال قطع الميتوب★ المتضررة بفعل التلوث بنسخ بغية الحفاظ على شكل البارثينون القديم. ويؤكد المؤرخ الفني الأمريكي فنسنت سكلي أن هذه "فكرة سيئة لن تؤدي الى الشكل الصحيح."

ويبدي فريق آخر من النقاد قلقاً من أن يشوه أي عمل ترميمي روعة التأثير الجمالي للبارثينون. ويتمحور هذا النقد حول ما يشكله الترميم من خطر يتهدد الانطباع النفساني في المجتمع الغربي منذ أجيال عن جوهر النمط الكلاسيكي اليوناني. ويدافع عن هذا الرأي جوردان ديماكوبولوس مدير مصلحة ترميم الآثار في وزارة الثقافة اليونانية، إذ يقول: "البارثينون رمز تجب معاملته برقة. ولن يؤدي ترميمه الا الى احداث صورة جديدة تماما. فان أردنا إعادة بناء البارثينون لاهداف تربوية، فلماذا لا نبني واحداً جديداً في مكان ما من ضواحي أثينا؟"

ويدور الجدل في أساسه حول معنى الماضي. ويقول كوريس: "ترى احدى المدرستين المتنازعتين أن من الخطأ استكمال الآثار لأنه يؤدي الى تزوير التاريخ. وتنحو مدرسة أخرى الى الاعتقاد أن من الأفضل إضافة بعض

(★) الميتوب (metope) فسحة فاصلة بين واجهتين في إفريز او طنف، وتكون عادة مزدانة بصورة منحوتة.

زوائد لجعل الآثار أوضح وأكثر ارشاداً."

وقد جاهدت "لجنة الحفاظ على الأكروبوليس" بقوة للوصول الى تسوية بين دعاة الحد الأدنى ودعاة الحد الأقصى. وأكد رئيسها شارلميوس بوراس وهو أستاذ آثار مرموق، أن في سياق عمليات الترميم لا يُعاد تقطيع الرخام الأصلي، وتمكن إزالة الزوائد الجديدة اذا دعت الحاجة. ويضيف: "لقد أخذنا في الاعتبار مبدأ المعكوسية في مشروعنا، بحيث اذا وجدنا لاحقاً قطعاً أصلية نعمد الى إزالة ما زدناه من رخام أو اسمنت ونعيد القطع الأصلية الى مكانها."

عظام تحت الشمس. ظل الأكروبوليس مدى قرون مكاناً يلجأ إليه المزارعون الاغريق في أزمنة الخطر. وتدريجاً تطورت بلدة أثينا الى مدينة، وتحولت مقاماتها البسيطة معابد. وحدث في القرن الخامس قبل الميلاد تطور جعل من الاكروبوليس نصباً يلهم العالم. إذ بعدما قادت اثينا الولايات اليونانية آنذاك الى النصر في الحروب الفارسية، أقنع بريكليس مواطنيه بإقامة مبان جديدة على الاكروبوليس دلالة على القوة الجديدة للمدينة. فغدا الأكروبوليس خليطاً من المقامات والمعابد المطلية بألوان صارخة يغلب عليها الأحمر والأزرق الغامق والمطلية بماء الذهب.

وخلال أكثر من ألفي سنة تغير شكل الأكروبوليس باستمرار شبه دائم. فلقد غير الرومان بنية معظم مقاماته واكتظت تخومه بتماثيل النذور من أغنياء الامبراطورية وأقويائها. واعتُمد في القرن الثالث كقلعة في وجه الهجمات البربرية. وفي القرون الأربعة التي تلت عمَّت اليونان موجات بشرية من القوط والمغول (الهُوْن) والعرب والسلاف خلَّفت قبائل جديدة تشرَّبتها الامبراطورية البيزنطية.

وفي وقت لاحق حولت البروبيلايا منزلا للاساقفة البيزنطيين، والبارثينون كاندرائية، والاركتيوم مع "رواق العذارى" التابع له، مسكناً لعائلة نافذ تركي، فيما اقتُلعت حجار معابد أخرى لبناء القصور والكنائس والقلاع.

وفي القرن الثالث عشر احتل الصليبيون الافرنج القلعة، وتلاهم أدواق فلورنسا الذين سلّموا الاكروبوليس الى الأتراك عام ١٤٥٨. ومع نهاية العام ١٨٠٠ اكتظ الاكروبوليس بمساجد ومنازل تعلوها أبراج وحصون من القرون الوسطى توزعت بغير انتظام في أرجائه وسط حماية المدفعية العثمانية المنصوبة في دائرة من الشرفات ذات الفتحات الحربية.

وفي العشرينات من القرن التاسع عشر انضم أكثر من ألف أجنبي متيَّمين بأسطورة الكمال اليوناني القديم الى صفوف الثورة اليونانية التي أطاحت الحكم العثماني. وبعدما فرضت بريطانيا وفرنسا وروسيا أميراً بافارياً على اليونانيين، شرع الرومنطيقيون الاوروبيون في إعادة بناء البلاد الجديدة

والأكروبوليس وفق مثالهم الكلاسيكي.

بدأ العمل في ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٨٣٤. وأعلن ليو فون كلنز مهندس العمارة البافاري الذي تولى إدارة المشروع: "يجب إزالة جميع آثار الأقدام البربرية." فدمر عماله كل أثر بيزنطي وتركي وافرنجي حتى توهج "العصر الذهبي" كعظام ماشية نافقة تحت الشمس.

"نظيف أخيراً." خلال العقود التالية تابعت أجيال من المرممين التصور إياه. وفي العام ١٨٣٦ أُزيلت آخر آثار القلعة عن البروبيلايا، وأُعيد بناء معبد "اثينا نايكي" من عناصره الأصلية التي نظفت من بقايا الأسوار التركية المفككة.

وبحلول العام ١٨٤٥ أعيد ١٥٨ مدماكاً الى قاعة البارثينون المركزية. ومع نهاية القرن أعلن مدير الآثار ب. كافاديس بفخر أن الاكروبوليس قد "نُظِّف أخيراً من جميع البقايا البربرية."

وفي العام ١٩٠٠ بدأت عملية ترميم أخرى قادها المهندس المعماري نيكولاس بالانوس الذي استعمل ما طاولته يداه من رخام من دون مراعاة الموضع الأساسي الملائم لكل قطعة، كما عمد الى تفصيل كتل رخامية قديمة بشكل يؤمن سد النقص الحاصل. وبالانوس هو مَنْ بدأ استعمال الملازم الحديد التي أدى تأكسدها الى التصدع الحاصل اليوم في النصب القائمة. وعندما انتهت "ولايته" في العام ١٩٣٧ كان أعطى الاكروبوليس شكله الحالي. يقول كوريس: "إن صورة الاكروبوليس الحالية عَرَضية. وهو يبدو كما هو اليوم لأن بالانوس لم يحصل على التمويل اللازم لترميمه بمقدار أكبر أو لتأمين الرخام المناسب."

وخطط كوريس الرامية الى زيادة القرائن الحية عن الفترة التي تلت العصور الكلاسيكية تمثل جهداً متواضعاً لتذكير العالم بأن لليونان تاريخاً يتجاوز حقبة "العصر الذهبي" القصيرة جداً.

يقول إفي تولوبا القيِّم السابق على الاكروبوليس: "لا يحق لنا أن نتجاهل حقبة ما لمجرد اعتقادنا أنها سيئة. علينا أن نبرز كل فترة بكل ما لها وما عليها."

إن الاضفاء المتعمد للمثالية على الأكروبوليس في القرن التاسع عشر، ومشاريع إعادة بنائه في القرن العشرين، وحتى الأضرار المتأتية من التلوث العصري، كلها جزء من تاريخ البارثينون. وأعمال الترميم في ذاتها تعبير تاريخي وتجسيد لموقف من الماضي.

فرغوس م. بوردفيش ■



شرح لنا أستاذ علم النفس ان الدراسات أظهرت أن معدل فترة الانتباه المتواصل لدى الانسان العادي لا يتجاوز اربعين دقيقة. ثم تابع محاضرته التي استمرت ثلاث ساعات.



حبل الكذب...

■ اتفقت وزوجتي على الخروج لتناول العشاء في مطعمنا المفضل، لكننا لم نحجز طاولة. وعندما وصلنا، وجدنا أن كثيرين سبقونا وينتظرون إخلاء طاولة. فسجّلت اسمي لدى المضيفة، وجلسنا ننتظر دورنا في ردهة الاستقبال.
وبعد قليل غادر زوجان المطعم متذمرين من طول الانتظار. ولم تمضِ دقائق حتى نادت المضيفة: "السيد حديد؟" فلم يجب أحد. وأعادت الكرّة من دون جدوى. فأقنعت زوجتي بأن ندّعي أننا الزوجان حديد فنحصل على طاولة من دون انتظار. وإذ تقدّمنا من المضيفة، قالت: "السيد حديد؟" فأومأت بالايجاب. فقالت: لقد كنا نتوقع وصولكما، فعائلتكما تنتظر في الداخل."

ت.س.

عواطف مختلطة

■ بعد مرور أشهر على انضمامي كعازف غيتار الى فرقة موسيقية، سألنا أحد الحاضرين في حفلة لماذا سمّينا فرقتنا "العواطف المختلطة." فأجابه عازف البيانو: "لأنك عندما تسمعنا لا تعرف ما اذا كان عليك أن تضحك أو أن تبكي."

أرقام مهمة

■ قرر ابن صديق لي تاسيس عمل خاص عندما بلغ السن الحادية والعشرين، فساعده والده في شراء بعض تجهيزات المكتب، وبينها آلة هاتف مجهزة بذاكرة الكترونية تتسع لعشرة أرقام.
وذات يوم زار صديقي ابنه في مكتبه الجديد. وفيما هو ينتظر، لاحظ ان الهاتف مبرمج بأرقام مهمة. وفي أعلى اللائحة قرأ كلمة "طعام." واشباعاً لفضوله، رفع السمّاعة وكبس الزر الاول، فردت زوجته في المنزل.

م.س.

رومنطيقيان

■ كنت واقفاً في ردهة فندق انتظر دوري لحجز غرفة، فسمعت زوجين أمامي يطلبان غرفة بسرير مزدوج. فاعتذر موظف الفندق قائلا إن جميع الغرف المتوافرة مجهزة بسريرين منفصلين. فقال الزوج، وقد خاب ظنه: "لست أدري ما العمل، فنحن ننام في سرير واحد منذ ٤٤ سنة."
وسألت الزوجة: "أيمكن وضع السريرين جنباً الى جنب؟"
فتبسّم الروّاد المنتظرون وتمتم أحدهم: "يا للرومنطيقية!"
فاضافت الزوجة: "اريد ان أكون قريبة منه لكي أنخسه عندما يشخر!"

ب.س.



جان - لوك لاهاي
نجم المشرّدين

كان جانحاً متشرداً فبات مغنياً شهيراً ورمز أمل للمشردين

"جان – لوك، السيدة سيغولين رويال مستشارة الرئيس فرنسوا ميتران للانعاش الاجتماعي تنتظر منك اتصالا هاتفيا بقصر الايليزيه."

حدّق المغني الطويل الناحل الجسم من تحت شعره الكثيف الفاحم السواد الى وجه المنتج جيرار بدرون وسأله مندهشا: "هل قالت لك ماذا تريد؟"

– نعم. الأمر يتعلّق بالمؤسسة.

بعد حلول أغنيته "بابا المغني"[1] في المرتبة الاولى على لائحة الأغاني الشعبية، وبلوغه الشهرة وهو في الثامنة والعشرين من عمره، بدأ جان – لوك انشاء مؤسسة لمساعدة الاولاد المشردين.

ولم يكن شيء أنجز بعد، اذ كان لا يزال يبحث عن مبنى للمأوى الأول. وسأل

(١) Papa Chanteur

PHOTO: SIPA PRESS / BENAROCH

...ني الشاب بدرون وهو يدير قرص ...ف طالبا القصر الرئاسي: "أتظنها ... سمجة؟"

...بعد أسبوع، في ١٧ فبراير (شباط) ...١٩، دخل المغني مكتب الرئيس ...نسي فرنسوا ميتران. وبنتيجة ...يثهما وضعت مدرسة مهجورة في ...ية "كليشي" على أطراف باريس في ...سرف جان – لوك. وفي ٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ افتتح الرئيس ميتران أول مراكز "العائلات المئة" وقال للاهاي: "إن المهمة التي أخذتها على عاتقك ليست سهلة. سوف تحتاج الى الجرأة، ولدي حس باطني بأنك تملك منها الكثير."

أثار كلام ميتران مشاعر جان – لوك، فعاد بتفكيره متذكراً رحلته الطويلة. لقد كان جانحاً متشرداً تخلّى عنه والداه. وها هو رئيس فرنسا يكرمه اليوم. يا لغرابة الاقدار!

حياة تشرد. جان – لوك مغنّي روك تباع مئات الآلاف من أسطواناته سنوياً. وهو أمضى نحو سنتين مضيفاً في عرض تلفزيوني شعبي فرنسي رائج بعنوان "لاهاي دونور"[١] كرّس معظمه لأعمال المنظمات الانسانية. وهو في عيون الجمهور شاب كريم الأخلاق الى حد أن استقامته المفرطة تجعله مملا أحياناً. لكنه بالنسبة الى جيل من المراهقين المعدَمين يمثل رمزاً للأمل. لقد صنع نجاحه بنفسه رافضاً الخسارة والاستسلام اللذين أثقلا كاهله ولم تكن له فيهما يد.

وطفولة جان – لوك تشبه فصلا من رواية "البؤساء." فقد وضع في وصاية الدولة وهو رضيع في شهره السادس. وفي السن السادسة أعيد لفترة قصيرة الى كنف والدته إيفيت العاملة الفقيرة في "باساج دو ليبارن"[٢] أحد أحقر شوارع باريس. وبعد ثلاثة أشهر، إثر شجار عنيف بين إيفيت وشركائها في المسكن، أعادته عاملة اجتماعية الى الميتم.

حاولت السلطات الحكومية ايجاد عائلة مناسبة تتبنى جان – لوك، لكن مساعيها خابت. وفي السنة ١٩٧٠ وحدها هرب الصبي من الميتم عشر مرّات. وفي السنّ الحادية عشرة، خلال مخيّم صيفي تقيمه السلطات الحكومية، سرق سيارة مدير المخيم وقادها الى أن سقطت في حفرة. وتخطى ذلك حدود احتمال مصلحة الانعاش الاجتماعي، فأعادته الى والدته في باساج دو ليبارن.

بات جان – لوك يقطن في وسط مكتظ بالمتسولين واللصوص ومدمني الكحول وتجار المخدرات. والتحق بزمرة من عصابات الشوارع، وزاول مهنة النشل التي بلغ بها الذروة بعد سنتين عندما سرق ساعة يد وأقراطا من واجهة صائغ. فرتّب له ضابط محلي في الشرطة، كان صادقه، أمرَ نقله الى مأوى "دانفير – روشرو" في باريس.

على رغم اكتفائه المادي في المأوى، شعر جان – لوك بوحدة قاتلة. وكان

(١) Lahaye d'Honneur

(٢) Passage de l'Epargne

يمضي نهاره مستمعا الى الاغاني المفضلة لديه من راديو ترانزستور. وحفظ أغنيات المطربين أنطوان وجوني هاليداي وبدأ يقلّدهما. ومرة تسلل الى قاعة "الاولمبيا" حيث حضر حفلة موسيقية أحياها ميشال بولناريف. وافتتن بالاصوات والاضواء والمعدّات الفنية والجو المشحون، فصمم، وهو في عمر الثانية عشرة، على أن يصبح مغنيا.

أغنيات خائبة. عندما بلغ جان - لوك السادسة عشرة غادر حضن مصلحة الانعاش الاجتماعي طوعا ليعود الى الشارع بعدما يئس معلّموه من تلقينه مهنة ما. وعاش في الأحياء الفقيرة القذرة وزاول أعمالا عرضية مختلفة. وكان في الامسيات يملأ دفاتره بكلمات الأغاني الشعبية، ويتطوع من وقت الى آخر كمغن بديل. وهو يتذكّر: "أنني لم أتعلّم مهنة، لذا تمسكت بأحلامي في أن أصبح مغنيا."

وفي الثامنة عشرة دبر له أحد أصدقائه عملا كنادل في ناد ليلي، وقال له صاحب النادي: "اذا أردت الغناء بعد الثالثة صباحا فلا مانع لدي."

كان صوت جان - لوك جميلا وشكله حسنا. وفي الليلة الثالثة لفت انتباه صاحب مطعم مجاور يدعى جيرار بدرون، فقال له: "هذا ليس مكانك. سأساعدك في امتهان الغناء، وفي هذه الأثناء يمكنك أن تعمل لدي." وعملا بنصيحة بدرون، أرسل لاهاي أشرطة مسجّلة الى عدة شركات للاسطوانات.

لم تحظَ أغنيته المسجلة الاولى التي موّلها بدرون، باهتمام يذكر. فباع المنتج مجموعة البطاقات البريدية القديمة التي يملكها، لكي يمول تسجيل أغنيتين جديدتين، لكن حظهما لم يكن افضل من حظ الاغنية الاولى. وتساءل جان - لوك، وقد ثبطت همته، هل سيتسنى له النجاح يوما.

ثم في مارس (آذار) ١٩٨٠ أوقفته الشرطة لركوبه دراجة نارية من دون خوذة. فمثل أما المدّعي العام مدركا أنه في ورطة حقيقية بسبب حكم سابق مؤجل التنفيذ لارتكابه سرقة سيارة للمرة الثانية. وحدّق القاضي الى عيني جان - لوك وقال له: "اسمع يا لاهاي. إنّ الخيار يعود اليك. فإما ان تعد بتصرف حسن واما أن تذهب الى السجن." وفهم جان - لوك قصد القاضي. وهو يقول: "شيء ما في أسلوب ذلك القاضي أقنعني بأن لا مجال للعودة الى الحياة التي كنت أعيشها." والى ذلك كانت الفتاة أوريلي، وهي أيضا من قدامى مشردي مأوى الانعاش الاجتماعي، دخلت حياته قبل بضعة أشهر. لذا قطع جان - لوك عهدا لقاضي المقاطعة ان يدير ظهره لماضيه نهائيا.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ اعطاه ميكاييل، وهو ناظم أغان التقاه قبل حين، لحنا لاغنية شعبية. فدندن جان - لوك الكلمات الاولى: "المرأة، المرأة التي أحبها..." ثم قال: "الإيقاع غير مناسب. إجعله أسرع." فوافقه ميكاييل وغيّر ايقاع اللحن. وقدم جان - لوك النسخة

المعدّلة الى بدرون الذي وافق على أن يكون المنتج للمرة الأخيرة.

ذهبيتان! في احدى أمسيات يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ كان مدير محطة «NRJ» الاذاعية في ملهى حيث يعمل صديق لجان – لوك منسقاً للاسطوانات والاشرطة الموسيقية. فسمع الاغنية وقرر ان يبثها على الهواء. فانهالت الاتصالات الهاتفية على المحطة من مستمعين معجبين. وبعد ستة أشهر بيع من الاسطوانة مليون نسخة واحتلت المرتبة الاولى على لائحة الاغاني الشعبية الرائجة.

ونمت ذخيرة جان – لوك بأغان كتبها له ميكاييل والملحن ألان لانتي. وفي العام ١٩٨٣ أطلق أسطوانته الكبيرة الاولى بعنوان "ادعني براندو"[٤] التي فازت أيضاً بجائزة "الاسطوانة الذهبية." ثم تألق في الاولمبيا. وفي السنة التالية قدم عدة حفلات في أنحاء فرنسا. وبالمال الذي كسبه اشترى واحداً من أحب احلامه، وهو بيت يخصه. ففي احدى جولاته الفنية في منطقة "فانديه" استهواه بيت قديم على شاطىء بحيرة فاشتراه.

ثم حلّت عليه سعادة أخرى. اذ أخبرته أوريلي انها تنتظر مولوداً. وليلة ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ وضعت طفلة سمياها مارغو. وكانت بهجة جان – لوك عارمة فلم يستطع النوم. والتقى بعض أصدقائه في مقهى صباح اليوم التالي، وأتاه الالهام فكتب أغنية "بابا المغنّي." وهي تهويدة لطفلة لن تعرف أبداً الوحدة التي يعانيها طفل تخلّى عنه والداه، وقد باتت أكبر نجاحاته.

ومع أن حلمه بالشهرة تحقق، فانه لم يشعر بالرضا التام. وفي أوائل ١٩٨٥ ألغى فجأة كل ارتباطاته وانصرف الى التفكير في أهداف حياته. وحضّه الناشر ميشال لافون على كتابة سيرته، وكان جان – لوك أخبره عن طفولته في المأوى. فاعتزل في منزله وأنجز الجزء الأول من "العائلات المئة" الذي يروي تفاصيل نشأته. وأنزل الكتاب الى الاسواق في ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ وبيع منه مليون ومئتا ألف نسخة خلال ١٢ شهراً.

دفء المنزل. فتحت الكتابة عيني جان – لوك، وهو يقول: "أدركت أن هناك أعمالا أهم من الغناء علي انجازها في الحياة. وفكرت في ألوف الأطفال التعساء الذين تخلّى عنهم والدوهم، مثلي. وشعرت أن علي واجبا تجاههم. فمن يتفهم حاجتهم الماسة الى الحب أكثر منّي؟"

وبعد أحاديث مطولة مع الصديق والمحامي المالي باتريك روكسل، ظهرت معالم مشروع جديد لانشاء سلسلة من الملاجىء تؤوي الصغار المفصولين موقتاً عن عائلاتهم. ويشرح جان – لوك عمله: "أردت أبداع مكان لا يؤمن حاجات الأطفال المادية فحسب، بل كذلك جداً ينعمون فيه بدفء المنزل."

وكانت الصعوبة الاساسية إيجاد

(٤) Call Me Brando

مكان مناسب للمأوى الأول. وفي أوائل ١٩٨٦ أطلق لاهاي نداءات في الاذاعات يطلب المساعدة لانجاز المشروع. وكان الاتصال الهاتفي من القصر الرئاسي أحد الردود على نداءاته.

كانت المدرسة القديمة التي قدّمها الرئيس فرنسوا ميتران تحتاج الى ورشة اصلاح شاملة. وطوال الصيف عمل جان - لوك وزوجته أوريلي وباتريك وزوجته مومو في كشط جدران البناء وتجصيصها وطليها. وجلبت النداءات الاذاعية التي أطلقتها مؤسسة "العائلات المئة" مئات المتطوّعين، اضافة الى هبات من مؤسسات الطلاء والسجاد وورق الجدران والاسرّة وأدوات المطابخ والحمامات. وتحوّل البناء تدريجا ملاذاً مشرقاً بهيجا لخمسة وثلاثين ولداً. وفي ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ بات المركز جاهزاً. وفي احتفال مؤثر حضره جان - لوك وكلّ المتطوّعين، استُقبلت المجموعة الاولى من الاولاد. ويذكر جان - لوك: "سرعان ما حلّت صيحات الفرح مكان الدموع، وشعرت أن البناء القديم استعاد علة وجوده."

منذ ذلك اليوم استقبل مركز "العائلات المئة" في كليشي أكثر من ٢٠٠ ولد. وما يميزه عن الملاجىء العادية، انفتاحه. فالوالدون يشجّعون على زيارة أولادهم كلما اتيحت لهم الفرصة. وعندما يتأخرون عن الحضور تكتب اليهم المؤسسة أو تتصل بهم هاتفيا حاضّة إياهم على المجيء. ويقول جيرار سوريس مدير مأوى كليشي: "هدفنا ايقاظ حسّ المسؤولية لدى هؤلاء الوالدين. فنطلب منهم توقيع دفاتر علامات أولادهم واصطحابهم الى طبيب الاسنان أو الى صفّ الرقص. وهكذا نتمكن من مقابلة أولياء الاولاد، وكثيرون منهم يأتون الى الملجأ بانتظام."

"لاهاي دونور." بات على جان - لوك ايجاد طريقة للمحافظة على سير عمل المؤسسة ومتابعة مهنة الغناء في آن. وجاءه حل من معدّ البرامج التلفزيونية دومينيك كانتين الذي اقترح عليه تقديم برنامج تلفزيوني طويل. وبُثّ برنامج "أعطني يدك" حياً من مسرح "الأمبير" في باريس في ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦. وأطلق جان - لوك، وهو محاط بنجوم من عالم الفن، نداء طالباً فيه دعما ماليا لتوسيع مؤسسته. وكان صادقا وعاطفيا الى حد أنه جمع خلال السهرة نحو ٢٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ٤ ملايين دولار). وانطلق روكسل، الذي عيّن رئيسا للمؤسسة، لمباشرة انشاء ملاجىء أخرى.

وبعد مرور بضعة أشهر على تقديم البرنامج التلفزيوني الخيري الطويل، اقترح كانتين عرضا تلفزيونيا نصف شهري يكون جان - لوك مضيفه. وتردد لاهاي في القبول، ففي السن التاسعة والعشرين قد لا يملك خبرة كافية للاضطلاع بهذا النوع من المسؤولية، بل ربما عرض مهنته كلها للخطر. ولكن بعد مناقشة الامر مع زوجته قرّر أن يقبل التحدي.

وبث برنامج "لاهاي دونور" في مارس (آذار) ١٩٨٧. وكان المشاهدون، بين عرض ترفيهي وآخر، يعرّفون الى فاعلي خير وقيمين على أعمال انسانية وتطلب اليهم المساعدة في مساعيهم. وبفضل البرنامج تمكنت منظمات انسانية كثيرة من جمع تبرعات سخية. كما كان البرنامج، الذي توقف عرضه في صيف ١٩٨٨، مصدراً لتبرّعات قدّمت الى مؤسسة "العائلات المئة" وما زالت تتدفق عليها. وهي موّلت مخيماً صيفيا في "دوردون." وبالتعاون مع "تضامن فرنسا – البرازيل" موّلت المؤسسة مأوى للأولاد المشردين في ريو دي جانيرو. ولا يعتمد أي من هذه المشاريع على دعم مالي حكومي. وقد اشترت المؤسسة بناء بسبعة ملايين فرنك (نحو ١،٢ مليون دولار) في كليشي بدلا من المبنى الحالي.

اختبر جان – لوك لاهاي عدة أنماط من الحياة ولمّا يتجاوز الثلاثين. فهو نجم ساطع في عالم الروك ورجل اعمال، ومؤلف كتاب هو أحد الاعمال الأكثر رواجاً. ولكن عندما تسأله عن موضوع فخره الاكبر يجيبك: "عائلتي والمؤسسة، أما الباقي فعابر." وهذا ليس قليلا في صبي تخلّى عنه والداه.

كاترين غاليتزين ■



نصيحة طفلة

جف الحبر في قلمي فتقطع خطه ثم توقف كلياً عن الكتابة. فقالت لي طفلة الجيران التي تبلغ الرابعة من عمرها: "أبي أشعل عود ثقاب ووضعه تحت قلمه." أعجبتني الفكرة، فاشعلت عود ثقاب متسائلا لماذا لم يخطر لي استخدام هذه الطريقة القديمة. ولكن، واأسفاه! أقلام الحبر الحديثة مصنوعة كلياً من البلاستيك. وما ان مس اللهب قلمي حتى سقط طرفه باعثاً رائحة حادة وناثراً رذاذاً من الحبر.

فقالت الصغيرة: "هذا تماماً ما حصل لقلم ابي."

ج.ن.

نخوة في محلها

دخل رجل متجراً للآلات الموسيقية لشراء كاتم يخفف صوت كمانه. وعندما عرف سعره قال انه ليس قادراً على دفع ثمنه، وغادر المتجر مسرعاً. وبعد ايام قليلة عاد وبدأ يعدّ الاوراق النقدية ثمن الكاتم. فبادره البائع: "ظننتك غير قادر على دفع ثمن الكاتم."

فأجابه عازف الكمان: "أنا غير قادر على ذلك فعلا، لكن جيراني ساهموا في الدفع."

ا.س.

مأساة واقعية

ليلة "العصفور الأزرق"

استسلم الصياد وابنه للقدر
فيما المنقذون يصارعون الأمواج



ILLUSTRATION: JEFFREY MANCIAT



ابتلع فجر العاشر من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ وأضاء نورة المياه قبالة ساحل بلدة سيتكا في ولاية الاسكا، ولاح صباح التيه ذات الرؤوس البيضاء من الجبال المكسوة بأشجار الصنوبر الممتدة على طول الخط الساحلي.

وتوهج نور مصباح من نافذة بيت صغير عائم مستكين في حوض ظليل. بينما ارتطمت الأمواج برفق على جانبي زورق طوله ثمانية أمتار ربط بجانب البيت. وما لبث نور الصباح الطالع أن كشف عبارة "العصفور الأزرق" مرسومة بأحرف أنيقة على مؤخر الزورق. سأل جيم بليدي ابنه كليت: "هل نصطاد في منطقة الرأس اليوم يا بني؟"

وكان كلنت نوتيا بارعاً مع انه لم يتجاوز السن السادسة، فوافق أباه بايماءة من رأسه ملؤها حماسة وتلهّف.

يقع رأس إدجكومب على طرف جزيرة كروزوف ويعج بسمك السلمون، لكن عيبه الوحيد أنه غير محميّ من البحر. ففي ما عدا جزيرة سانت لازاريا الصغيرة، لا يفصل بينه وبين اليابان سوى مياه المحيط.

قبّل جيم زوجته جيل مودعاً وذكّرها بأن تُبقي جهاز الاتصال اللاسلكي البحري على القناة ٧٠ كي يتسنى لهما الاتصال الدائم. ووقفت جيل على شرفة البيت العائم تراقب "العصفور الازرق" يهدر مبتعداً عن الجون.

كانت جيل دائمة القلق حيال سلامة عائلتها. ومع ذلك، فهي وزوجها جيم لم يكونا ليفضلا اي شيء على كسب عيشهما من البحر. فمنذ صباح ذلك الأحد، عندما التقيا في وايومنغ قبل سنوات، وهما يحلمان بألاسكا. وقد أنعم عليهما الله بولدين رائعين.

ارتجفت جيل برداً في الهواء الجليدي، فجمعت ملء ذراعيها حطباً وهرعت الى الداخل لتوقظ ابنها كيرت البالغ الثالثة من عمره.

"اننا نغرق!" في منطقة الرأس، بعد ظهر ذلك اليوم، ارتفع موج المحيط على نحو غير مألوف. وراح الزورق يعلو مع كل موجة وافدة، فيرى جيم وكلنت اليابسة، ثم يهبط فترتفع المياه حولهما كالجدران.

بيد أن جيم وكلنت اعتادا الصيد في مثل تلك الظروف. ولأن موسم صيد سمك السلمون شارف الانتهاء مع فصل الصيف الذي لم يبق منه سوى ٢٣ يوما، فلم يسعهما أن ينتظرا طقساً أفضل. والى ذلك كان الصيد وفيرا. ومع حلول الساعة الثانية بعد الظهر كانا اصطادا عشر سمكات كبيرة يقدّر ثمنها بـ ٧٥٠ دولاراً وزنة الواحدة منها نحو تسعة كيلوغرامات.

في اللحظة التي قرر جيم العودة، أطربه رنين الاجراس المعلقة في أطراف صنارة الصيد إذ حمل له الأمل في كسب مئات أخرى من الدولارات. فأرخى الصنارة ثم راح يتصارع مع بضع سمكات حتى رفعها الى متن الزورق. أما كلنت الذي أصابه دوار البحر، فاستلقى في قمرة الزورق.

نظر جيم حوله ولاحظ أن زوارق الصيد الاخرى غادرت المكان ولم يبق الا واحد. وعلم ان الظلام سيدركه قبل أن يتمكن من قطع مسافة العشرين كيلومتراً الى سيتكا. ولأن "العصفور الأزرق" لم يكن مزوداً رادارا، قرر جيم أن يرسيه وراء جزيرة سانت لازاريا. واتصل بزوجته لاسلكيا ليعلمها بقراره فقالت له مضطربة: "اسمعني يا جيم، أنا لست مطمئنة الى هذه الفكرة." وهي علمت أن اقتراحه سيضطره الى العمل طوال الليل في اعادة تركيز المرساة كي لا ينجرف الزورق ويرتطم بالصخور المميتة في الجزيرة. لكنها علمت أيضاً أنها لم تكن المرة الاولى يمضي الليل هكذا.

أدار جيم الجهاز اللاسلكي الى القناة

الخاصة بنشرات الاحوال الجوية واستمع الى التقرير ذاته تُعاد تلاوته. ولم تكن النشرة الجديدة متوقعة قبل الثالثة صباحاً، لذلك اعاد تحويل الجهاز الى القناة ٧٠.

ولو أبقى الجهاز مضبوطاً على القناة الخاصة بالاحوال الجوية لاستمع الى نشرة الطوارىء التي أذيعت في الساعة ٦،٥٧ مساء محذرة من "عاصفة متوقعة، وازدياد في سرعة الرياح الغربية وصولا الى ٤٠ عقدة (نحو ٧٥ كيلومتراً في الساعة) خلال الليل، وارتفاع موج البحر ستة أمتار."

في وقت لاحق وقف جيم في عنبر الزورق يزيل الجليد العالق على السمك. وشعر فجأة بعصفة ريح عنيفة أدارت الزورق، فانتقل فكره الى ابنه في حجرة الدفة، فهرع اليه وقال له: "ارتدِ بذلة النجاة." أطاع كلنت الامر من دون أن يتملكه ذعر، ثم اعاده والده الى السرير المثبت في جدار الزورق.

من مزايا بذلة النجاة المصنوعة من مطاط اسفنجي برتقالي أنها تغطي الجسم كله وتحفظ حرارته وتبقي الشخص عائماً. ومن دونها، فان مياه المحيط التي تتدنى حرارتها الى أربع درجات مئوية قد تسبب الوفاة في أقل من نصف ساعة.

أدار جيم محرّك الزورق وهو يعمل على الديزل وقوته ٣٥ حصاناً، وسلّط الضوء الكاشف على المياه فرأى أمواجاً عاتية ترتفع ستة أمتار وتتحطم على جرف مثلّم يبعد حوالى ٢٠ متراً. ففكّر في انهما اذا اصطدما بذلك الصخر تمزّقا إرباً.

زاد جيم سرعة المحرّك ورفع المرساة. وكانت الريح تصفر في اذنيه والثلج المتطاير يلسع عينيه. وبلغ سوء الرؤية حداً لم يعد يرى معه أبعد من مترين، حتى في الضوء الكاشف.

ثم وقع المحظور، إذ انقضت على "العصفور الازرق" موجة عاتية حملته وارتفعت به. وبعد هنيهة خالها جيم دهراً، شعر بقاع الزورق ينفصل عن الهيكل، وصمّ أذنيه دوي طاحن يشبه صوت مطرقة ثقيلة تنهال ضرباً وسحقاً. فشغّل ناقل الحركة الارتدادي لكي يبعد الزورق عن الصخور، وقلبه يخفق بعنف.

مرة أخرى، رفعت الزورق موجة عالية، وأرتجّ الخشب اذ ارتطم الزورق بالصخور. فحوّل جيم الجهاز اللاسلكي الى القناة ١٦ التي يشرف عليها خفر السواحل وراح يصرخ مستغيثاً: "النجدة! النجدة! النجدة! هنا زورق الصيد العصفور الازرق. لقد ارتطمنا بصخور سانت لازاريا. اننا نغرق!"

جنح الزورق الى اليمين ثم الى اليسار، وتطايرت أدوات المطبخ من الخزائن في غرفة الدفة، ودوى صوت صفارة الخطر منذراً بامتلاء جوف المركب بالماء.

مهمة شاقة. كانت جيل بليدز تقرأ في علّية المنزل العائم عندما عصفت به ريح شديدة وتكسّرت على جدرانه أمواج عاتية بلغ ارتفاعها متراً ونصف متر. فقالت في

نفسها: يا إلهي! ماذا حلّ بجيم؟ ثم هرعت الى الجهاز اللاسلكي ونادت: "العصفور الازرق؟ العصفور الأزرق!"

وعندما لم تتلق جوابا تحوّلت الى قناة خفر السواحل، فسمعت صوت جيم يقول بصوت هادىء: "لست متأكداً من موقعي."

فاستنتجت أنه ضلّ طريقه. وما لبثت ان سمعت صوتاً يسأله: "كيف السبيل للاتصال بزوجتك؟" فقاطعته جيل: "هنا قاعدة العصفور الأزرق. بالله عليك يا جيم، توخَّ الحذر!"

وعلى الأثر اتصلت بصديقي العائلة بن ولورا هوبارد اللذين عمما الخبر بدورهما على الاصدقاء، فحوّل هؤلاء اجهزتهم اللاسلكية لاستقبال القناة ١٦.

في المحطة الجوية في سيتكا أجفل خفير السواحل المنقذ السبّاح جيفري تنكس، اذ انطلقت صفارة الانذار فجأة وسمع صوتاً عبر نظام الاتصال الداخلي يعلن: "هناك زورق مشرف على الغرق قرب صخور لازاريا."

صُعق تنكس عندما رأى من النافذة جورب الهواء* يطير مع الريح في اتجاه معاكس، وقطرات المطر تنهمر على المبنى كأنها حصى. ارتدى بذلة الغطس وتناول زعنفتيه ومنظاره وأنبوب التنفس تحت الماء، وجرى الى الطوافة التي حملت الرقم ١٤٨٦. وخلال دقائق كان الرائد البحري جون ويدون، وهو طيار متمرس أمضى ١٣ سنة في الخدمة، يشد حزام الامان حول جسده ويجلس متأهبا والى جانبه مساعده الملازم الأول غريغ بريثويت. وجلس وراءهما قرب الباب المفتوح رقيب الآليات الجوية كارل سايلور، وكانت مهمته تشغيل رافعة الانقاذ. وتولى فني الالكترونيات في سلاح الجو مارك ميلن مهمة الاتصالات اللاسلكية بالمحطة الجوية.

اما تنكس فجلس وراء الجميع منتظرا إقلاع الطوافة. كانت شفرات المروحة تهتز وتترجح في الهواء كالالواح التي يقفز عنها الغطاسون. وفكر في أن المهمة ستكون شاقة ومعقدة.

الطوافة في خطر. بدأ مؤخر "العصفور الازرق" يغوص تدريجا في الماء، وكانت الامواج تتكسر على ظهره. وفي حجرة الدفة المترنحة نظر جيم الى وجه كلنت الذي لفته بذلة النجاة، فلم يصدّق ما رأت عيناه: الفتى يغط في نوم عميق.

علا في الجو صوت يقول: "العصفور الأزرق! هنا طوافة الانقاذ ١٤٨٦ من خفر السواحل. هل تسمعني؟"

وكان طاقم الطوافة يبحث عن الزورق وسط ظلام دامس بينما الطوافة تتمايل وتهتز في الرياح العاتية والثلج يسقط على علو ٢٥٠ متراً فوق الماء.

شعر جيم بالدم يغلي في جسده إذ أدرك ان الطوافة قد تصطدم بهوائي جهازه اللاسلكي. فظل يصرخ حاملا المذياع في احدى يديه والضوء الكاشف في يده الاخرى يلوّح به نحو السماء.

(*) كيس مخروطي الشكل مفتوح من الجانبين. ومعلّق على سارية للاشارة الى اتجاه الريح.

هتف الميكانيكي سايلور عبر سماعات الرأس: "يا كابتن، هنا الميكانيكي سايلور. اني أرى وميض ضوء كشاف." وإذ كان "العصفور الازرق" في تلك اللحظة راكباً ذروة موجة مزبدة، شاهد ربان الطوافة ومعاونه بقعة بيضاء. فنادى بريثويت: "لقد رأيناك. سوف نكون عندك خلال دقيقتين."

بدأ ويدون هبوطاً دائرياً في اتجاه معاكس للريح. وعندما استوت الطوافة في اتجاه "العصفور الأزرق" كان الزورق اختفى.

تفحّص ويدون وبريثويت آلاتهما فتبين لهما أن هبة ريح جارفة عصفت بالطوافة وأبعدتها حوالى ١٠ كيلومترات من دون أن يتنبّها الى ذلك، فتبادل الاثنان نظرات مشدوهة.

أما في الزورق تحت، فاجتاحت موجة عملاقة حجرة الدفة قاذفة كلنت ومغرقة المكان بالمياه. فتبلل جيم حتى وسطه وراح يصرخ في الجهاز: "أسرعوا! الزورق يمتلىء ماء، إننا نغرق!"

ذعرت جيل لدى سماعها الاستغاثة على الجهاز اللاسلكي في المنزل العائم. فهي لم تكن تدري أن "العصفور الأزرق" يغرق. وللحظة سيطرت على مخيلتها صورة مخيفة لولدها يتخبط في الماء ويضرب الهواء بذراعيه كي يبقى عائماً. فصلّت بصمت: "أتوسل اليك يا الهي أن تحفظه فهو ما زال طفلاً."

بعد جهد وكفاح مرير تمكّن أفراد الطاقم من العودة بالطوافة الى مسرح الاحداث. وسلطوا أضواءهم الغامرة على الزورق فرأوا مياه البحر حوله خضراء تنذر بشر عظيم، وتتسابق فوقها أمواج مزبدة يزيد ارتفاعها على ثمانية أمتار تنهال على جانب الزورق فينهار عاجزاً ازاءها. وما ان لمح ويدون شخصاً متشبثاً بحبال الاشرعة والصواري حتى عصفت بالطوافة ريح عنيفة دفعتها نزولاً والى الوراء وأفقدت الطاقم السيطرة عليها. وإذ شاهد سايلور المحيط يقترب وهو جالس قرب الباب المفتوح حاملاً سلة الانقاذ، صرخ بذعر شديد: "ارتفع! ارتفع! ارتفع!"

بعد الارتفاع حاول ويدون وبريثويت دفع الطوافة بأقصى قدرتها، إلا أن أضواء "العصفور الأزرق" ما فتئت تتلاشى امام أعين أفراد الطاقم وكأنهم يراقبونها من النافذة الخلفية لسيارة مسرعة.

فجأة، لاحظ ويدون أن مؤشر طوق التدوير في الطوافة المرتعدة ارتفع الى ١٢٣ في المئة، وهي الدرجة التي يتعطل معها جهاز نقل الحركة الذي يصل المحرك بالشفرات. ولكن إن هو حاول تخفيف سرعة الطوافة بواسطة المخنق، فهي ستتحطم لامحالة.

تابع الطياران محاولتهما دفع الطوافة الى أقصى حدود قدرتها، ومع ذلك ظلّت تندفع الى الخلف وكأنها طائرة من ورق في مهب الريح، فظن كلاهما أن لا سبيل الى النجاة.

وفي الزورق تحتهم أوثق جيم رباط بذلة نجاة كلنت برباط بذلته التي ابقاها السحاب مغلقة حتى أسفل صدره فقط.

ثم أدخل ذراعي ابنه في الجزء الأعلى وغطى رأسه بالقلنسوة. الا انه شعر باحباط عندما عجز عن اغلاق السحّاب كله. فهو هكذا لن يكون محميا.

قرار خطير. اخيرا حالف الحظ خفر السواحل إذ خفّت الرياح المعاكسة الضارية موقتا، وعادت الطوافة تحلّق في اتجاه الزورق على رغم هبّات ريح متقطعة.

لكن مشكلة من نوع آخر واجهت افراد الطاقم، اذ لم يستطيعوا تبين فتحة بين الصاري وحباله والمقصورة، تتسع لتمرير سلة الانقاذ. فتناول بريثوبت المذياع وقال: العصفور الأزرق! يجب أن تغادر الزورق." فلا سبيل للنجاة سوى القفز الى ذلك الخضم الهائج.

حمل جيم ابنه الى مؤخر الزورق وجلس على السياج موليا ظهره البحر. ثمّ ضم ابنه الى صدره ورفع ركبتيه وارتمى الى الخلف.

وللحال ابتلعتهما موجة عاتية علوها ثمانية أمتار، وتدفقت المياه الفائقة البرودة عبر الفتحة في بذلة جيم فاصطكت أسنانه بعنف وانبهرت أنفاسه.

حاول جيم عبثا أن يسبح مبتعداً عن الزورق إذ ظلت الامواج العاتية تجرفهما نحوه حيث لا مجال لوصول سلة الانقاذ. وأخيراً سنحت فرصة لافراد الطاقم إذ ارتفع مقدم الزورق عموديا وانزلق "العصفور الأزرق" الى القعر حيث رأى ويدون أضواءه الكاشفة على عمق ثمانية امتار تحت سطح الماء.

أنزل سايلور السلة، إلا أن موجة عاتية قلبتها قبل أن تصل اليهما. وهو أعاد الكرة مراراً من دون جدوى، إما بسبب الامواج وإما بسبب الريح الهائجة التي ما فتئت تبعد الطوافة. وفي إحدى المرات اقتربت السلة من جيم لكنه لم يستطع امساكها.

وتناهى الى تنكس، عبر سماعتي الرأس، صوت ربّان الطوّافة يقول له متردداً: "جيف، لن نتمكن من انجاز مهمة الانقاذ ما لم ننزلك الى البحر. هل تريد ذلك؟"

تسارعت نبضات قلب تنكس، فهو أدرك تماماً أنه لم يسبق لأي من سبّاحي الانقاذ أن أُنزل الى بحر في مثل ذلك الهيجان. وفيما هو يحدّق الى البحار البائس الذي رآه في الضوء الغامر يعلو ويهبط وسط المحيط الغاضب، كان رذاذ المطر المتجمد يجلد وجهه. وقال في فكره: "ما داموا عاجزين عن انزال سلة اليه، فكيف يخرجونني أنا من الماء؟"

كان القرار عائداً اليه، فالقفز في ذلك المحيط عمل انتحاري، ولكن هل سيتمكن من العيش مطمئن الضمير ان هو لم يفعل ذلك؟

أخذ نفسا عميقا وأجاب: "فلنحاول."

"لقد قتلته!" شعر تنكس بالرباط يضغط تحت ابطيه وهو ينزل نحو بذلة النجاة الطافية تحت زعنفتيه. وفجأة هبّت ريح أبعدت الطوافة. وما ان انزلق تنكس من رباطه حتى ابتلعته الامواج. وعندما ارتفع الى سطح الماء ارتعب اذ لم يكن

يدري في أي اتجاه يسبح.

فوقه مباشرة، قوّم ويدون الموقف بسرعة وكان تنكس شاخصاً بنظره الى الطوافة وبينه وبين الضحيتين البائستين ٧٠ متراً.

وجّه الربّان تعليمات الى سايلور بإلّا تفارق عيناه تنكس. أما هو فسلط أنواره الكاشفة على بليدز. وعلى الفور، فهم تنكس قصده فسبح في اتجاه الضوء بكلّ ما أوتي من قوّة. وبعد كفاح مرير ضد أمواج الجبال شاهد شيئاً فضياً يلمع: انه شريط عاكس للضوء أُلصق على بذلة نجاة. فتابع السباحة حتى وصل الى وراء جيم بليدز مباشرة. وعندما أداره، وجد نفسه يحدّق في عيني طفل متسعتين، فصعق وانتقل بفكره الى ابنه الصغير مما زاد اصراره على انقاذهما. وهو قال لهما مطمئناً: "لا تقلقا، اننا معتادون هذه الاعمال."

أنزل سايلور السلة مرة أخرى. لكن الريح العاصفة أبعدت الطوافة من جديد، وقذفت الامواج الهادرة السلة بعيداً.

بعد نصف ساعة من المحاولات اليائسة التي كادت تودي بحياة جميع افراد فريق الانقاذ، فكّر ويدون بالتخلي عن العملية، فاستمرار المحاولات قد يودي بحياة سبعة اشخاص. وسأل رفيقيه: "ما رأيكما لو انزلنا اليهم قارب نجاة ينقلهم الى اليابسة؟" وعندما لم يجبه أحد، قال: "لا بأس، فلنحاول مرة أخيرة."

خفّت الريح قليلا فتمكن تنكس من الامساك بالسلة، ودفع جيم وكلنت داخلها. ثم أشار الى سايلور لكي يرفعها. كان بوده أن يتسلّقها هو أيضاً، لكنه اندفع مبتعداً فالرافعة لا تقوى على حمل أكثر من ٢٧٠ كيلوغراماً، وبذلة جيم ممتلئة بالمياه.

رفع سايلور جيم بليدز وابنه الى الطوافة فارتميا على أرضها التي بللتها المياه المنسابة من بذلتيهما.

أنزل سايلور السلة تكراراً، وما ان تمكن تنكس من الصعود اليها حتى هبّت ريح هوجاء ادارت الطوّافة. فنظر ويدون وبريثويت هلعين من وراء الحاجب الزجاجي ورأيا السلة وفيها تنكس تتقاذفها أمواج عاتية. وكان كل ارتطام لها بالماء يعقبه انفجار قوي أبيض فتهتز الطوافة. فصرخ سايلور: "اي الهي!" اما ويدون فردد بصمت: "لقد قتلته!"

أخيراً تحررت سلة الانقاذ من الامواج، لكنها ظلت تترجح بعنف، ولم يتمكن ميلن وسايلور من رفعها مرة واحدة من دون أن يضرباها بأسفل الطوافة. وهما تشبثا بالحبل محاولين ايقاف تدويمها الى ان سحباها داخل الطوفة.

تدحرج تنكس من السلة. ولفرط ما أصابه من دوار ظل عاجزاً عن الحركة. وبعد بضع دقائق رفع رأسه قليلا، ورأى جيم وابنه جالسين بالقرب منه، فرسم لهما بأصابعه اشارة النصر، التي بادلاه بمثلها وقد افترّ ثغراهما عن ابتسامتين عريضتين. فالكابوس ولّى الى غير رجعة.

نال أفراد طاقم الطوافة ١٤٨٦ أوسمة رفيعة تقديراً للبسالة التي ابدوها. ومنحتهم "جمعية الطيران البحري" لقب

"أفضل طاقم طوافة" لتلك السنة. كما فازوا بجائزة "المؤسسة الامريكية لخفر السواحل" ومنحوا "وسام الاسكا" و"وسام الطيران المميز"، وهذا هو ارفع جائزة للطيران غير الحربي يمكن أن ينالها خفر السواحل. وكان تنكس أحد الفائزين بـ"جائزة الاميرال تشستر ر. بندر" التي تمنحها مؤسسة خفر السواحل.

يقول ويدون: "الحقيقة أننا تجاوزنا حدود قدرتنا، فأننا بذلت كل ما اكتسبته من مهارة، كما اننا استنفدنا حظّنا. لكن الأمر تطلّب أكثر من ذلك، ومع أنني لست واعظاً، فلا بدَّ لي من أن أشير الى الصلوات التي رفعت من أجلنا. لقد نلنا الجوائز، لكنّ الفضل في نجاحنا يعود الى الله."

آلن سيكورا ■



"أوريغامي"

ادرّس اللغة الانكليزية للاجانب. وبحكم عملي، التقي أولاداً من حضارات مختلفة. ومن تلاميذي فتاة يابانية في الثامنة من عمرها بارعة في فن الـ"أوريغامي" الذي يعتمد طيّ الورق. فسألتها، وقد ادهشتني موهبتها، كيف اكتسبت الأساليب الفنّية المدهشة تلك. ثمّ استرسلت في الخيال، فتصورتها طفلة في اليابان تجلس في حضن جدّها العجوز وهو يلقنها فنّاً تناقلته الاجيال اليابانية منذ القدم. وكم كانت دهشتي عندما أجابتني: "لقد تعلمتها من كتاب استعرته من مكتبة المدرسة."

ج.ك.

نصيحة سياحية

كنت مسافرة برفقة اختي وصديقتنا في رحلة طويلة الى أوروبا. فرافقنا والدانا الى المطار لوداعنا. وكانت الرحلة بالنسبة الينا مغامرة حقيقية، فلا اقارب لنا في أوروبا ولا اصدقاء، وسنتكل على انفسنا ونتعرف الى اناس جدد كل يوم. وإذ دنا موعد اقلاع الطائرة ودَّعَنا والدانا وتوجها الى المخرج. ولم تنفك امي عن الالتفات الينا محاولة التفكير في نصيحة اخيرة تسديها. وفجاة انفرجت اساريرها وصاحت عبر البهو: "اياكنّ والحديث مع غرباء!"

م.ل.هـ.

عريس في البيت

بعد مرور أسبوع على زواجنا تاخر عريسي ساعة عن موعد رجوعه من عمله. فشعرت بقلق تحوّل غضباً بعد وصوله. لكنني لم أستطع تمالك نفسي عن الابتسام عندما شرح لي بحياء انه نسي انه متزوّج، فعاد الى "البيت" لتناول طعام العشاء مع والديه.

ن.ا.

الغجر السويسريّون: مأساة جوّالة

فشل محاولات القضاء على أقلية منبوذة

ليس سهلا أن تترعرع كغجري في سويسرا. وبالنسبة الى مارييلا مير (٤٢ عاما) كان الأمر كابوسا مروعا. ففي العام ١٩٤٧ حاولت أمها قتلها وهي طفلة ليأسها من المستقبل الذي ينتظر غجرية. اذذاك تدخلت مؤسسة خيرية للاطفال تدعى "برو جوفانتوت"[1] وآوتها في منزل لدى أسرة تربيها. غير أن مارييلا أُخضعت في عامها الخامس لعلاج بالصدمات الكهربائية، ونقلت بعد ذلك الى منزل آخر ثم آخر.

وعلى رغم حبها للقراءة وتفوقها في المدرسة اتهمت بصعوبة المراس، ونقلت الى عيادة للعلاج النفسي وهي في التاسعة من عمرها حيث عولجت مجدداً بالصدمات الكهربائية ثم أودعت منزلا جديداً لدى أسرة أخرى.

وفي العاشرة من عمرها علمت مارييلا أن لها أما. لكن مسؤولا في مؤسسة "برو جوفانتوت" قال لها: "لا تذكري اسم أمك أبدا! فهي فاسقة وأبوك رجل محتال!"

وعندما بلغت الثانية عشرة تلقت رسالة من والدتها. اذذاك شعرت مارييلا برغبة جامحة في رؤيتها، فسرقت ١٠٠ فرنك من المدرسة وحاولت شراء بطاقة قطار. لكن شرطيا قبض عليها وأحالها على اصلاحية. فاحتجت: "لا أدري لماذا تقولون دائما انني مجرمة. جل ما أريده هو رؤية أمي."

وبعد وضعها بضعة أشهر في سجن انفرادي أحيلت على عيادة للعلاج النفسي ووضعت قيد المراقبة. وأخضعت لمزيد من جلسات التقويم والعلاج بالصدمات الكهربائية.

وحين بلغت مارييلا العشرين من عمرها وغدت طليقة من تحكم مؤسسة "برو جوفانتوت" كانت مكثت في ١٦ منزلا مختلفاً وترددت على خمس عيادات نفسية وثلاث اصلاحيات وسجن واحد.

لقد قاسى مئات الاولاد في سويسرا مآسي مماثلة كجزء من خطة سرية للقضاء على نمط حياة أقلية منبوذة هي جماعة الجانيش[2] المعروفة غالباً بالغجر. وقد نفّذت هذه الخطة — المعروفة

(١) Pro Juventute

(٢) Jenische

باسم "مشروع الاحسان الى الاولاد الرحَّل" - مؤسسة "برو جوفانتوت" التي تحظى بدعم حكومي وهي من أكثر المؤسسات الخاصة احتراما في سويسرا.

والمروع أن هذا البرنامج الذي ساعد في تنفيذه رجال شرطة وسلطات محلية، استمر حتى العام ١٩٧٣.

أقلية منبوذة. بدأت سويسرا حملتها المناهضة للغجر عام ١٩٢٦ عندما تورطت عائلة غجرية في كانتون تيتشينو في نزاع مع السلطات التي اتهمتها باهمال أطفالها. وتفجَّر نزاع آخر في بال عندما أرادت عائلة غجرية سحب أولادها من المدرسة للمشاركة في رحلة القافلة السنوية. حينذاك طلب قاضٍ اتحادي من مؤسسة "برو جوفانتوت" وضع الأولاد في منزل لدى أسرة ترعاهم. وكان ألفرد سيغفريد، وهو أستاذ سابق ومسؤول قديم العهد في "برو جوفانتوت"، تبرع بالعناية بأي طفل غجري يحال على منظمة الأطفال هذه. وسرعان ما بنى سيغفريد امبراطورية بيروقراطية بعدما أولى هذه المهمة عنايته الفائقة.

بدت نية سيغفريد في مساعدة الأطفال على النمو في "ظروف منتظمة" حسنة من حيث المبدأ. لكنه كان متعصباً آمن بأن التشرد "مرض" وأن الغجر شعب متحدر من عرق دونيّ. ورأى أن السبيل الوحيد لازالة هذه "اللطخة" عن وجه المجتمع السويسري هو في ابعاد أطفال الغجر عن والديهم واعطائهم هويات جديدة وجعل رجوعهم الى أصولهم أمراً مستحيلا. قال: "على من يريد مكافحة التشرد ازالة مجتمعات الشعوب الجوالة وتشتيت العائلات اذا لزم الامر. ليس هناك من سبيل آخر."

يقول فريدي فاسلر أمين سر "ناشيت جانيش" وهي منظمة مناصرة للغجر: "لقد قضى هتلر على ٤٠٠ ألف غجري، لكن سويسرا حاولت القضاء على أقلية منبوذة من طريق الدمج الاكراهي لاطفالها في المجتمع."

أم ملوَّعة. آنا روش (٦٥ عاما) غجرية تعيش على مقربة من بال انتُزع منها خمسة من أطفالها. حُرمت عام ١٩٤٩ رعاية ابنتها (٣ أعوام) وابنها (عام واحد) عندما مرضت واضطرت الى دخول المستشفى. وكان زوجها تعرض لحادث أقعده عن رعاية الطفلين، فأودعتهما موقتاً أقارب لها. تدخلت "برو جوفانتوت" وأخذت الطفلين رافضة الكشف عن مكانهما.

وبعد بحث دام عدة أشهر اهتدت آنا الى ولديها في بيت للاطفال في بلدة شير. وسُمح لها برؤية ابنتها، لكنها لم ترَ ابنها الذي قيل لها انه نائم ولا يمكن ازعاجه. وبعد مدة تلقت رسالة أنبأتها أن ابنها قد مات. قالت: "لم أقوَ على زيارة قبره الصغير كي لا يتحطم قلبي."

وبحجة او بأخرى سُلبت آنا روش

اطفالها الثلاثة الآخرين. ومع خسارة كل طفل كانت تشعر بيأس متعاظم. قالت: "حتى الحيوانات تدافع عن صغارها أما نحن الغجر فلا يسمح لنا بذلك."

لم تكف آنا عن البحث عن أطفالها. ولكن عندما وجدت ابنة لها بعد سنوات، رفضت هذه رؤيتها. ومع ذلك تقدمت بشكوى لاستعادة رعاية أولادها، غير أن المحاكم أسقطت دعواها.

وفي العام ١٩٧١ قررت آنا إخبار الصحافة بقصتها. فأتصلت بهانس كابريه مراسل صحيفة "بيوباكتر." لم يصدق كابريه روايتها بادىء الأمر، فقصد حيَّها وتحدث الى جيرانها ومعارفها الذين أكدوا له أن آنا تتصف بأخلاق رفيعة وهي أهل للمسؤولية. كما اكدت له القابلة التي حضرت ولادة اطفالها: "لا أجد كلاما يفيها حقها كأم."

تشتيت عائلات. تابع كابريه تحرياته، وتحدث الى مسؤولين وأناس آخرين عرفوا آنا، فاكتشف أنها تقول الحقيقة. وروى له غجر آخرون قصص رعب حقيقية. من ذلك قصة روبرت هوبر تاجر التحف الناجح ورئيس المنظمة الغجرية "راجنوسنشافت در لاندستراس" الذي انتُزع من عائلته وهو في الثالثة من عمره وقضى السنوات التالية وهو يُنقل من منزل الى آخر، الى أن أُدخل السجن وهو في السادسة عشرة من عمره. وعلى رغم براءته لم يخلّ سبيله حتى بلغ التاسعة عشرة. قال: "في معظم المنازل والمزارع التي أرسلت اليها مع أولاد في مثل وضعي، لم يُنظر إلينا الا كأيدٍ عاملة رخيصة."

كذلك انتُزع كليمنس ج. من منزل والديه وهو في الرابعة من عمره. مكث فترة قصيرة في أحد المنازل، ثم وُضع في منزل مزارع حيث كان يُضرب بقسوة. وما لبث أن نُقل الى منزل آخر، ولمّا فرَّ منه حوِّل الى اصلاحية. وعندما بلغ التاسعة عشرة التقى مصادفة شقيقته أنيتا التي انتُزعت هي أيضاً من والديها اضافة الى ثلاثة اخوة آخرين. فما كان من "برو جوفانتوت" إلا أن أرسلتها الى السجن، لا لسبب ظاهر إلا لأنها وجدت شقيقها. ومضى كليمنس يبحث عن والديه لسنوات، وعندما وجدهما كانا مطلقين.

وبعدما جمع كابريه قصصا مماثلة أولى اهتمامه مؤسسة "برو جوفانتوت" حيث كشف عن عملية للقضاء على نمط الحياة الغجرية. قال: "اقتنعت بأن الهدف من هذه العملية هو القضاء على حياة الغجر بتشتيت عائلاتهم."

وعندما طلب كابريه تفسيراً من "برو جوفانتوت" تلقى جوابا لم يرضه. وبعد سنة من الأبحاث نشر كابريه روايته في ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٧٢. وفي مارس (آذار) ١٩٧٣ أعلنت "برو جوفانتوت" وقف "مشروع الاحسان الى الاولاد الرحّل." وكان سيغفريد توفي قبيل ذلك

غير آسف على ما أتاه من أعمال.

غير أن "برو جوفانتوت" مضت في وضع سد منيع في وجه الصحافة آملة نسيان هذه القصة المؤسفة. ولم يتغير موقفها الا عام ١٩٧٩ عندما عُيِّن فرنر ستوفاشر أمينا عاما للمؤسسة، اذ أعلن أنه بعد كشف ملفات سيغفريد أصيب بصدمة. قال في اجتماع لمجلس الأمناء وهو يقرأ مقتطفات من رسائل الاطفال الى أهلهم: "أكاد لا أصدق كم عانى هؤلاء الأطفال. لقد كتب أحدهم رسالة الى أهله جاء فيها: أكتبوا الي وإن مرة واحدة لاعلم أنكم ما زلتم أحياء. لكن الرسائل لم تصل لأنها لم ترسل أبداً."

ترميم الماضي. عانى الغجر مشاكل كثيرة مذ غادروا الهند عام ٨٠٠. وهم قبائل رُحّل اقتبسوا لغتهم "الرومانية" من الهندية وعاشوا في عربات تجرها الخيول. وكانوا يحطون الرحال حيثما يجدون مكاناً يناسبهم، ويكسبون قوتهم من عملهم في الحدادة والسمكرة والتجارة وقراءة البخت والتسول. وصلوا الى أوروبا في عصر النهضة، فقوبلوا بالعداء والريبة لأنهم كانوا عديمي الجذور وذوي حضارة مختلفة وبشرة دكناء.

لم تتقبل سويسرا، الحريصة على النظام والنظافة والانضباط، الشعب الغجري المنطوي على ذاته والضارب ترحالا في الأرض. وحتى في أيامنا لا تتجاوز نسبة السويسريين الذين يؤيدون إفْراد أراض لمخيمات الغجر، الثلاثة في المئة. ولكن خلال السنوات الأخيرة ظهرت دلائل على أن الحكومة السويسرية ترغب في معالجة قضية الاقلية الغجرية التي أجبرت على حمل الجنسية السويسرية عام ١٨٥٠.

وتحاول مؤسسة "ناشيت جانيش،" بمساندة الحكومة، مد يد العون الى ٦١٩ طفلا وعائلاتهم الذين وقعوا ضحية لبرنامج القضاء على نمط العيش الغجريّ. يقول أمين سر المؤسسة فريدي فاسلر: "اننا نحاول ترميم الماضي. لقد ساعدت هذه المؤسسة الغجر في العثور على الاقرباء المفقودين. ومن ذلك ما حدث عام ١٩٨٧ في سان غال عندما وجد جاكوب فازر (٧٥ عاما) شقيقته ايدا (٧٢ عاما) بعد انفصال دام



الفرد سيغفريد.

٦٨ عاما. بالنسبة الى جاكوب كانت تلك خاتمة سنوات من البحث المستمر. وقالت ايدا: "شعرت دوما بأن لي اخوة واخوات، لكنني لم أكن متأكدة من ذلك."

اعتذار رسمي. خصصت الحكومة السويسرية ثلاثة ملايين ونصف مليون فرنك (٢،٣ مليون دولار) لمساعدة الضحايا الذين يعانون ضائقات مادية. وحتى مؤسسة "برو جوفانتوت" تبرعت بمبلغ نصف مليون فرنك (٣٣٠ ألف دولار) هو ريع مشروع سنوي لبيع الطوابع خصص لهذه الغاية.

وفي ٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٦ أعلن رئيس الاتحاد السويسري آنذاك ألفونس ايغلي: "أود أن أعتذر علنا الى الغجر بسبب ما حدث قبل أكثر من عشر سنين." وبعد سنة قدمت "برو جوفانتوت" اعتذاراً رسمياً اعترفت فيه "بالاساءة الى أقلية الجانيش من جراء الاعمال التي قامت بها الادارة السابقة." واليوم يرئس ايغلي لجنة شكلتها مجموعة "ناشيت جانيش" لتوزيع المساعدات.

كذلك أُحيلت جميع سجلات "برو جوفانتوت" والملفات الشخصية للضحايا، العائدة الى برنامج سيغفريد، على المحفوظات الحكومية. وشُكلت لجنة لجمع شمل العائلات الغجرية المشتتة تولّى ادارتها برنهارد هانلوسر الأمين العام المساعد لوزارة الداخلية.

يقول هانلوسر: "انني أحاول المساعدة لشعوري بأن ظلما كبيراً قد أصاب هؤلاء المواطنين السويسريين."

ومن كلامه أن الدولة تعتبر نمط الحياة الغجرية شرعيا. ويرى هانلوسر أن على الكانتونات السويسرية أن توفر للجانيش أراضي لاقامة مخيماتهم، وأن على المجتمعات السويسرية ايجاد حل لمشاكل الغجر التعليمية وذلك بتوفير الدروس للاولاد الرحُل كما فعل كانتونا برن وبال بنجاح. ويأمل هانلوسر أن يستيقظ الضمير السويسري على ادراك أن الغجر جزء حيوي من حضارة سويسرا المتعددة الجوانب. يقول: "لقد آلت الدولة على نفسها الآن المحافظة على هذه الاقلية الحضارية."

وقطعت الدولة الخطوات الاولى نحو بلسمة جروح الماضي. واليوم جاء دور الشعب السويسري ليتخلص من تحامله على هذه الاقلية ويخفف من معاناتها. يقول هانس كاربيه: "لا يجوز أن تتكرر مآسي الجانيش في الأمس مع أقليات أخرى في الغد."

راول تونلي ■

مسح ابني اثر القبلة التي طبعتها على خده قبل اخلاده الى النوم. فسألته: "لماذا تمسح قبلتي يا حبيبي؟"

فقال لي: "انا لا امسحها، بل اشدها الى خدي."

أضواء من عالم الطب

عقار جديد للصلع

■ أظهرت أبحاث جديدة أن دواء قيد التجربة قد ينجح في تنمية شعر بعض الرجال الصلع. ففي اختبار أجري على ٣٢ رجلا في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس انجلس، وجد طبيب الجلد ريتشارد أ. ستريك أن المرضى الذين استعملوا عقار "كيوكتول"[١] زاد شعر رؤوسهم بنسبة ١٢ في المئة مع نهاية السنة، بينما خسر الذين استعملوا عقاقير وهمية ٩ في المئة من شعورهم.

ويشير التقرير الذي عرض على "الاكاديمية الامريكية لأمراض الجلد،" الى أن عقار "كيوكتول" يبدو كأنه يعيق تفاعل هورمونات ذكرية معينة مع خلايا جُريبات الشعر. وكانت أبحاث سابقة أظهرت أن الصلع الذكري[٢] يحدث غالباً في حضور الهورمونات المنشطة للذكورة. وكشفت أبحاث الدكتور ستريك أن ليس للعقار اي تأثير في القدرات الجنسية للرجل.

ومع أن رجالا قليلين فُحصوا للتأكد من فوائد "كيوكتول"، فإن النتائج التي توصل اليها الدكتور ستريك هي باهمية نتائج الدراسات الأولية لعقار مينوكسيديل[٣] وهو العقار الوحيد لمعالجة الصلع الذي وافقت عليه الادارة الامريكية للأطعمة والعقاقير.

"وول ستريت جورنال"

---

(١) Cyoctol

(٢) Androgenetic alopecia

(٣) Minoxidil

حصى المرارة

■ إن خطر الاصابة بحصى المرارة هو أكثر احتمالا لدى البدينين. لكن هذا الخطر قد يزيد اذا ما اعتمد الشخص البدين حمية صارمة. هذان الاكتشافان ظهرا في دراستين منفصلتين أكدتا على العلاقة بين الوزن وحصى المرارة.

وتظهر دراسة "الهيئة الصحية للممرضين" في بريغام والمستشفى النسائي في بوسطن بولاية مساتشوستس أن خطر الاصابة بحصى المرارة يتضاعف لدى النساء اللواتي يزيد وزنهن بين ٧ و٩ كيلوغرامات على المتوسط. والمرأة التي يزيد وزنها بين ٢٣ و٣٤ كيلوغراماً على المتوسط تواجه ستة أضعاف الخطر الذي تواجهه امرأة عادية الوزن.

لكن اعتماد نظام صارم لخفض الوزن، كالامتناع المطوّل عن تناول الطعام أو الخفض الحاد لكمية الوحدات الحرارية التي يتناولها المرء يومياً، يزيد احتمال الاصابة بحصى المرارة. وهذا ما تظهره دراسة ثانية رأسها الدكتور رودجر ليدل الذي يعمل حالياً في المركز الطبي بجامعة ديوك في دورهام بولاية كارولينا الشمالية. فمن بين ٥١ بديناً اتبعوا نظام حمية لمدة ثمانية أسابيع لم يستهلك خلالها الواحد منهم أكثر من ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً، تكونت حصى المرارة لدى ١٣. فالبدانة و"الصَوْم" عاملان يبدلان في تركيبة عصارة الكبد مما يزيد احتمال تكوُّن حصى المرارة.

صحيفة "إنسايت"

الماريوانا والذاكرة

■ يعاني المراهقون الذين يتعاطون الماريوانا مشاكل في الذاكرة القصيرة الأمد خلال مدة ستة أسابيع أو أكثر بعد توقفهم عن تعاطي المخدر. هذا ما اظهرته الابحاث في كلية الطب بجامعة جورجتاون الامريكية.

وفي الدراسة التي نشرتها "المجلة الامريكية لامراض الاطفال" تمّ امتحان عشرة مراهقين يسرفون في تعاطي الماريوانا، إذ أوكلت اليهم مهمات تتطلب ذاكرة قصيرة الأمد. وهم اظهروا ضعفاً واضحاً في الذاكرة بالمقارنة مع الذين لا يتعاطون الماريوانا. واستمرت نتائج اختبارات بعضهم على هذا المنوال لمدة ستة أسابيع بعد توقفهم عن تعاطي المخدر.

ويقول الدكتور ريتشارد هـ. شفارتز الذي اشرف على الدراسة: "إن فقدان الذاكرة هو من أهم المشاكل التي يعانيها المراهقون الذين يتعاطون الماريوانا."

صحيفة "ساينس نيوز"

القرنية والكولسترول

■ ان الحلقة البيضاء التي تحوط قرنية العين هي مؤشر الى ارتفاع مستوى الكولسترول في الدم. وتظهر نتائج دراسة جديدة صدرت في نشرة "الجمعية الامريكية لفحص البصر" أن المرضى الذين تحوط قرنياتهم حلقات بيضاء يعانون درجات مرتفعة من الكولسترول في الدم، بصرف النظر عن أعمارهم، وهم بالتالي معرضون اكثر للاصابة بأمراض القلب. وكانت هذه الحلقة تعتبر سابقاً علامة طبيعية للتقدم في العمر.

وتنصح الدراسة من لديهم حلقات بيضاء حول قرنياتهم بمراجعة أطبائهم لفحص مستوى الكولسترول في دمهم.

نشرة "الجمعية الامريكية لفحص البصر"

النيتروغليسرين والذبحة

■ ينصح الاطباء مرضى الذبحة الصدرية باستعمال رقعة نيتروغليسرين لاصقة كل صباح وابقائها لمدة ٢٤ ساعة. لكن ثلاثة من أهم مصنّعي رقع النيتروغليسرين اكتشفوا حديثاً أن الاستخدام المتواصل لهذه الرقع قد يضعف مفعول العقار. ويشير أودهو تاداني، طبيب القلب في جامعة أوكلاهوما، الى أن كثيرين يكتسبون مقاومة للنيتروغليسرين المستعمل لتوسيع جدران الاوعية الدموية. فإذا تواصل دوران العقار في الدم، توقفت جدران الاوعية الدموية عن الاتساع.

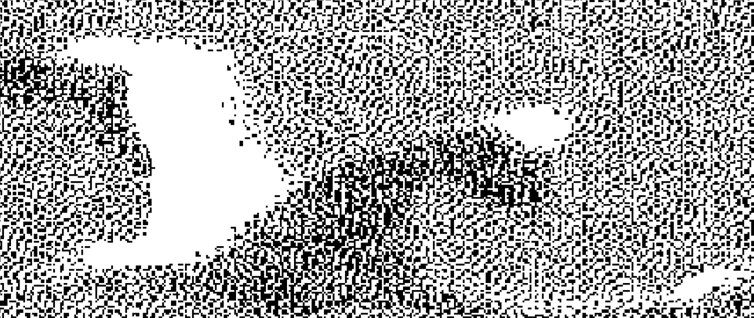
ومن شأن رقع النيتروغليسرين منع الذبحة الصدرية اذا نزعت لبعض الوقت كل يوم.

وعلى المرضى مراجعة أطبائهم، إذ ان بعضهم قد يحتاج الى عقار آخر لتأمين حماية متواصلة من الذبحة الصدرية.

صحيفة "هيلث"

مهاجرون

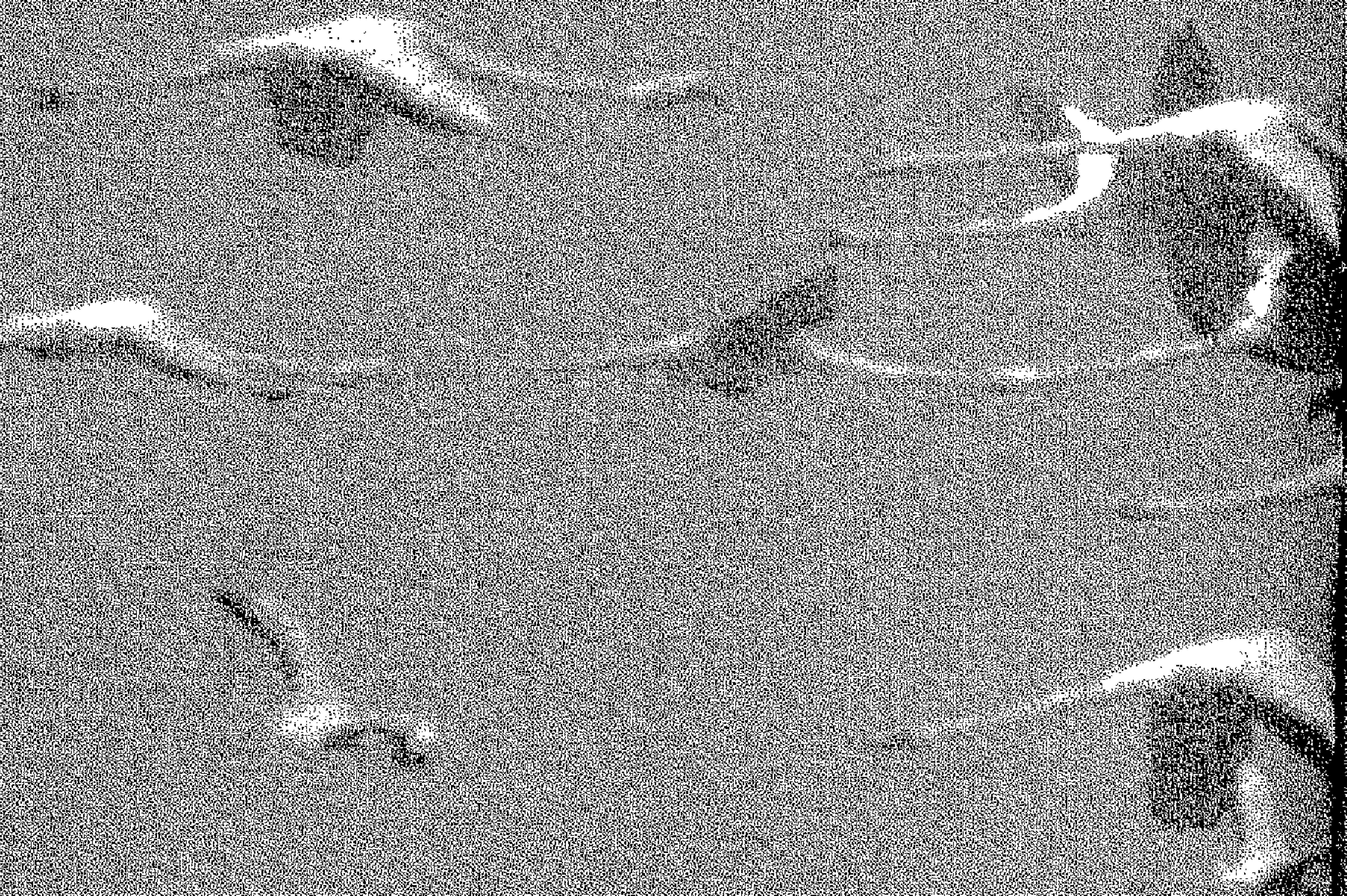






فوق طاق كسرى

ها هي تأتي طيور الماء وطيور الوقواق
وصائدات الذباب وغيرها من الطيور
المهاجرة التي تعبر العالم العربي رفوفا اليوم كما كانت تفعل
قبل عصر بساط الريح



خلال زيارتي الاولى لبغداد في صيف ١٩٧٠، اصطحبني جداي الى طيسفون القريبة، وهي مدينة فرثية قديمة. وتعود شهرة الموقع الى آثار قاعة مقنطرة عملاقة في "طاق كسرى."[١]

واذ أجلت بصري في القاعة سمعت رفرفة قوية ثم رأيت لقلقاً ضخماً أبيض يحط في عش بأعلى القنطرة.

كنت حينذاك في الثامنة من عمري، أي أصغر من أن أتساءل كيف وصل اللقلق الى ذلك المكان. ولكن، خلال رحلتي الثانية الى بغداد في الشتاء الماضي (١٩٨٧) أدركت السبب عندما شاهدت العش خالياً. واللقلق الابيض واحد من طيور العالم العربي المهاجرة. الكثير منها يتوقف في الطريق بين وسط أوروبا ومواطنه الشتوية في افريقيا الجنوبية. أما البقية فتزور العراق في الصيف ويكون وصولها مدعاة سرور عظيم لمحبي الطيور في الشرق الاوسط.

مجازات ثلاثة. منذ ما قبل بابل القديمة وقوافل الطيور المهاجرة تعبر العالم العربي. وللوصول اليه، يتعين على كل الطيور تقريباً، سواء أكانت آتية من صقلية القريبة أم من شمال غرب أوروبا، أن تعبر البحر الابيض المتوسط الهائل. لكنها في النهاية تصل عابرة المياه على امتدادات تبلغ ٦٥٠ كيلومتراً. وسنة بعد سنة، أثناء استراحة هذه الطيور في طريقها من المناطق الافريقية المجاورة للصحراء واليها، تتحول المجاري المائية العربية والغابات والحدائق معرضاً للطيور حيث تتزاحم رفوف ضخمة فوق الاشجار أو على رقعة من مرج أو على قصب نابت على ضفة نهر.

ثمة ثلاثة مجازات جوية مفضلة لدى الطيور المسافرة من أوروبا الى افريقيا. الاول ينقلها فوق مضيق البوسفور وجزر المتوسط الشرقية، عبر الشرق الاوسط والخليج العربي الى السودان أو عبر مصر الى ساحل افريقيا الشرقي. اما الثاني، وهو مجاز جبل طارق – شمال افريقيا، فينقلها من شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال) نحو المغرب والجزائر. أما الثالث فيتيح لها مجال دخول تونس أو ليبيا من الطرف الجنوبي لايطاليا.

خلال رحلة على امتداد المجاز الجوي الشرق الاوسطي، أجرى الكولونيل ريتشارد مينرتزاغن، وهو عالم طيور بريطاني، دراسات عن الطيور في سورية. فوجد أجناساً أوروبية معششة في خرائب القنوات والمعابد والابراج الرومانية القديمة. اما جبل الدروز، او جبل العرب، الذي يبعد حوالى مئة كيلومتر الى الجنوب الشرقي من دمشق والواقع على حافة الصحراء السورية، فكان يعج بقبرات الكلندرة والقبرات ذوات الاعراف وطيور الابلق (أبو بليق). اما بحيرة اليمونة التي قامت على ضفافها

---

(١) طيسفون، أو قطيسفون او سلمان باك، انقاض مدينة جنوب بغداد ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد. احتلها الفرثيون وجعلوها عاصمة لملكهم. ثم احتلها الفرس عام ٢٢٤ واقام فيها كسرى الثاني قصراً ضخماً هو "طاق كسرى."

مستوطنة رومانية قديمة ويتفجر فيها نبع كبير من منحدر جبلي، فزاخرة بعصافير الخوري والشماس[٢]، والذعرة وأنواع اخرى.

وعلى امتداد المجاز الجوي عينه، تشهد مناطق الاردن الجبلية أكبر تجمع للطيور المهاجرة. وكانت محمية شوماري للحياة البرية في منطقة واحة الازرق مخصصة اصلا لحماية الحيوانات المحلية المنقرضة أو المعرضة لخطر الانقراض مثل المارية العربية وهي ضرب من البقر الوحشي. ولكن عندما اظهرت الاحصاءات أن قرابة ١٣٥ نوعاً من الطيور، معظمها مهاجر، تحتشد حول مقرها الرئيسي، حولت هذه البقعة محطة كبرى لتجمع الطيور.

ويشاهد سنويا ما يزيد على ٢٠٠ نوع من الطيور في الانحاء الاردنية. بعضها يتوالد أو يحاول التوالد هناك، وهذا الامر يمنح الاردن أهمية حيوية.

المحطة اللبنانية. تتخذ الطيور المهاجرة من أشجار الارز العملاقة في لبنان محطات استراحة. اما تيارات الهواء الدافئة فوق سهول البلاد وأوديتها وبحيراتها فلا تزال جزءاً من المجاز الجوي الذي تسلكه الطيور الكاسرة المهاجرة، والذي يعتبره علماء الطيور من اجمل المشاهد المؤثرة.

وفي سياق وصف هذا المشهد كتب عالم الطيور البريطاني س. فير بنسون: "عندما شاهدت الممر الخريفي العظيم للمرة الاولى كدت لا أصدق عيني، اذ في غضون ٤٥ دقيقة مر من هناك اكثر من ٤٠٠ نسر."

وتعتبر دلتا النيل في مصر مكانا حيوياً للطيور المهاجرة التي تسلك المجاز الشرق الاوسطي. وأبرز المستوطنات هناك برك ساحلية وداخلية عدة بالاضافة الى منطقة المحلة/ بور سعيد. وتؤوي هذه الاراضي المهددة بالاستصلاح قرابة ٦٥٠ الفا من الطيور المائية المشتية و١٣٠ الفا من الطيور المخوِّضة المشتية. وهكذا تتجاوز هذه الاعداد معايير الاهمية التي وضعها في العام ١٩٧٤ "المؤتمر الدولي للمحافظة على الطيور المائية والمستنقعات" والذي حدد "المنطقة الحيوية" بتلك التي تستطيع ايواء ما يزيد على واحد في المئة من العدد المقدر لطيور المجاز الجوي لاي من الانواع المهاجرة، أو بتلك التي تتسع لاكثر من ١٠ آلاف طائر من ذلك النوع. وهكذا فإن حماية مستنقعات دلتا النيل تعتبر مسألة حرجة.

وقد أفاد الاقتصاد النفطي العربي الطيور المهاجرة على نحو مدهش. ففي وسع ملايين الطيور التي تحلق عبر المناطق الشمالية للمملكة العربية السعودية أن تتبع خط انابيب النفط الذي يجتاز الصحراء الشاسعة. وتحوط كل محطة ضخ هناك جزيرة خضراء نمت بفضل المياه التي جرّت لتشغيل المحطة مما اقام بقعاً خضراء غنية بالنبات.

(٢) هي من نوع "ابو قلنسوة" الذي يعرف ذكره بالخوري وانثاه بالشماس.

وفي المملكة العربية السعودية أنشأت "دائرة الظهران للمنافع العامة" في شركة "ارامكو" ما يعرف بـ"البقعة الممتازة لتربية الطيور في المنطقة الشرقية" او "بحيرة لانهارت" التي تتدفق اليها المياه من محطات تكرير مياه المجاري في الظهران. وما كان في الامس صحراء أصبح اليوم بحيرة مسيجة بالقصب وأشجار الطرفاء، يقصدها عشاق الطيور لمشاهدة النحام والصقور (الباز) والشنقب (الشكب أو البكاسين) والصُرَد (النهس او الدغناش) والسمامة والوروار (الخُضّار) والدخلة (الهازجة) والذعرة والابلق.

أما مجاز جبل طارق – افريقيا الشمالية فيفيد من قرب اسبانيا من المغرب. وتفضل القبرات سلوك هذا الممر لانها تشعر أنها في موطنها بين المساحات المزروعة بالخضر على نحو متفرق. كما يسعها أن تعشش في الصحارى المحصّاة الواقعة جنوب شرق المغرب، حيث يندر ان تعيش مخلوقات أخرى.

خط ايطاليا – تونس. أكثر المجازات مدعاة للاهتمام هو مجاز ايطاليا – تونس الذي سلكته المراكب الرومانية للوصول الى قرطاجة. واليوم، كما في الايام الغابرة، تحلق أسراب من الطيور تفوق أنواعها الـ٢٠٠ متوجهة الى بحيرة اشكول في تونس، الواحة الطبيعية الوحيدة الدائمة الاخضرار في افريقيا الشمالية. وفي حين تم تجفيف معظم مستنقعات العالم العربي الشاسعة من أجل استثمار ارضها وتلبية حاجات السكان الذين يتزايد عددهم على نحو هائل، فان بحيرة اشكول محمية بثلاثة اتفاقات دولية.

في فصل الشتاء تغذي هذه البحيرة ستة أنهر، أما في فصل الصيف فتغذيها مياه البحر المتوسط. وهي تؤوي طيوراً من بيئات متفاوتة، فتختلط فيها طيور النّكات الآتية من المجر (هنغاريا) وأسوج (السويد) والدانمرك وألمانيا بطيور النحام المحلية. وفي الربيع، عندما تتفتح الزهور في المنطقة المحيطة بالبحيرة، تزخر التلال بالفراشات الملونة وبرفوف السنونو (الخطاف) التي تهاجر معاً الى أوروبا. وعندما تتضاءل مياه البحيرة في الصيف تتحول مستنقعاً من المياه المالحة يبيض فيه السمك وتندفع اليه مجموعات خاصة من أسماك المحيطات بحثاً عن القوت. وفي الشتاء، عندما تحول فيضانات الانهر الستة البحيرة ملاذاً للمياه الحلوة، تجتاحها عواصف من الطيور التي تقتات بالحشرات. وتحوم هذه الطيور كالغيوم فوق البحيرة. وتأتي اليها ثلث أعداد البط في أوروبا لالتهام الجذور المغذية وبراعم عشب الديس الوافر (الاشقيل أو بصل الفأر).

ان موقع هذه البحيرة المهم في المجاز الجوي – (تبعد مسافة دقائق عن المتوسط و٤٠٠ كيلومتر الى شمال الصحراء الكبرى). يوفر للطيور المهاجرة منتجعاً مميزاً قبل انطلاقها في الايام الحارة والليالي القارسة البرد.

العمل والراحة. معظم الطيور تبدأ هجرتها من أوروبا قبل زحف الجليد اليها. وتتحرك تلك الطيور عموماً، أثناء الهجرة، على نحو أسرع مما تفعله أثناء سفرها العادي، فيهاجر بط البلبول من أوروبا الى اماكن مثل تونس والعراق وعُمان بسرعة تبلغ ٨٢ كيلومتراً في الساعة.

وعلى رغم ان في وسع الطيور المهاجرة التحليق من دون انقطاع بسرعة فائقة تمكنها من الوصول الى مواطنها الشتوية بوقت قصير نسبياً، فانها تتوقف عادة، في طريقها، لفترات طويلة. فالصُرَد ذو الظهر الاحمر مثلا يقطع مسافة ١٠٠٠ كيلومتر خلال خمسة أيام يطير اثناءها ليلتين ويرتاح ثلاثاً. اما فترات النهار فيقضيها باحثاً عن الطعام.

تعتبر بعض الطيور، بما فيها اللقلق، مهاجرة بطيئة. فاللقالق التي عثر عليها وهي تتوالد في شمال افريقيا واسبانيا وهولندا واليونان وأوروبا الوسطى وتركيا والشرق الاوسط، تحلّق عادة على ارتفاعات شاهقة في أسراب هادئة وطليقة. ويقول عالم الطيور روجر توري بيترسن: "ان اللقالق محترفة الانزلاق، وهي تفضل ركوب تيارات الهواء الصاعدة ولا تطير فوق المياه الا اذا رأت اليابسة على الجانب الآخر. اذاً لديها مشكلة في اجتياز المتوسط. والكثير منها يحل هذه المشكلة بسلوكه الطريق الشرقية عبر تركيا وفلسطين ثم ينحرف جنوباً الى افريقيا، أما المجموعات الاخرى فتختار جبل طارق."

البعد الروحي. يعود تاريخ رصد الغرب لطيور الشرق الاوسط الى العام ١٩٧٨، عندما طاف رجال وجنود ومستكشفون بريطانيون العالم بحثا عن المغامرة. في تلك الاثناء جمع الكولونيل إ.أ. باتلر بيض طيور من جزر في الخليج العربي وأودعه متحف لندن للتاريخ الطبيعي. وفي غضون ٢٠ سنة، أكد باتلر وآخرون وجود ثماني فصائل مختلفة من الخراشن تتناسل في الخليج العربي.

وثمة أنواع عدة تتوالد في الهلال العراقي الخصيب، الذائع الصيت. ففي العام ١٩٤٦ عمل بشير إ. اللوس، مؤسس متحف التاريخ الطبيعي العراقي، مع شقيق جدّي المحنّط ابرهيم رسام، على وضع تصنيف متكامل للطيور العراقية.

ولا يزال العلماء يدرسون ملياً أسباب هذه الهجرة.

ان منظر الطيور وهي تعبر الارض من غير خطأ سنة بعد سنة – وان هي حادت فالى مقاصد صغيرة خارجة عن الطريق المرسوم – يعطي هذه الخطوة صفة تكاد تكون سراً خفياً. ان لهجرة الطيور، بالتأكيد، بعداً روحياً في العالم العربي يعززه تفضيل اللقلق الابيض بناء عشه في أماكن العبادة والسكن فيها باطمئنان.

ويزداد الاهتمام بتأمين استراحات للطيور المهاجرة وتستمر الطيور في المجيء الى بلادنا، جالبة الى العالم العربي أهازيج الصحة والسعادة.

ت.هـ.رسام ـ كلهان■

الكاتب، امه عراقية ووالده امريكي



فنّ الخطابة

سبع نصائح من اجل خطابة بلا خوف

إن مخاطبة جمهور من المستمعين عمل يتحاشاه معظم الناس. وسبب ذلك خوف الظهور مظهر الحمقى امام الآخرين. وكلما زادت اهمية الخطاب عظم الخوف.

ولكن لا داعي الى الخوف، فالقاء الخطب عمل سهل. انه ليس أكثر من كلام عادي، وأنت من يتكلم طوال الوقت. ومع انني خجول بطبيعتي فما زلت القي الخطب والاحاديث الاذاعية والتلفزيونية منذ اكثر من ثلاثين سنة. ويمكنني ان أؤكد لكم ان الخطابة ليست "موهبة" مثل الموسيقى والرسم. فكلّ من يستطيع الكلام يمكنه ان يصبح خطيبا. واليكم بعض الامثولات التي تعلمتها:

بسّط حديثك. يروى عن كالفن كولدج الرئيس الثالث عشر للولايات المتحدة (١٩٢٣ – ١٩٢٩) انه بعد سماعه عظة طويلة سألته زوجته عن موضوع العظة.

فأجابها: "الخطيئة." لكنها أرادت أن تعرف ما قاله الواعظ عن الخطيئة، فأجابها كولدج: "لقد كان ضدَّها."

إنّ المستمعين اليك سيستخلصون فكرة أو فكرتين من خطبتك، على الأكثر، لا عشر افكار ولا عشرين. فإذا كنت لا تستطيع التعبير في جملة أو جملتين عما تبغي ايصاله الى الجمهور، فهذا يعني أن خطابك يفتقر الى التركيز. واذا لم يكن ما تريد قوله واضحاً تماماً في تفكيرك، فلا سبيل لايصاله الى الجمهور.

نظِّم أفكارك. لا فرق إن قصر خطابك أو طال، عليك تنظيمه: كيف تفتتحه، وما هي النقاط الأساسية التي تريد معالجتها، وكيف ستنهيه.

عندما أهيِّىء عملا للاذاعة أو التلفزة أعمد غالباً الى كتابة الجملة الأخيرة أولا. فعندما تكون متأكداً من هدفك تستطيع اختيار أي طريق يوصلك اليه. والخاتمة حاسمة، فآخر ما تقوله هو، على الأرجح، ما سيذكره جمهور المستمعين.

اختصر. إنّ الوقت المعتمد لفصل من ملهاة هو ١٢ دقيقة. فإذا كان كل هؤلاء الممثلين الموهوبين الذين يستميتون رقصاً وغناء لا يستطيعون اطالة عرضهم أكثر من تلك الفترة، من دون اضجار المشاهدين، فكيف تظن أنك أنت تستطيع ذلك؟

كن صادقاً. إذا حاولت أن تبدو على غير حقيقتك، فالأرجح أنك لن تنجح في ذلك. فإذا لم تضحكك قصة ما فلا تتوقع أن يضحك جمهورك لسماعها. وإذا كانت المعلومات التي تفصح عنها لا تثيرك فهي لن تحرك ساكناً في مستمعيك. وقد كتب الشاعر روبرت فروست مرة: "إذا لم يذرف الكاتب دموعاً فلن يذرف القارىء دموعاً." وهذا ينطبق على الخطيب أيضاً. أنت تتحدث لأنك مررت بتجربة لم يمر بها مستمعوك. أشركهم فيها. اجعلهم يشعرون بما أحسسته، برداً كان أم حراً، خوفاً أم حزناً، انزعاجاً أم ارتباكاً. إن استخدام صيغة المتكلم المفرد وسيلة فاعلة.

تولَّ زمام الأمور. ان اللحظات الأولى من حديثك ترسي العلاقة بينك وبين المستمعين اليك. ابتسم وعبّر عن شكرك للعريف بإيماءة من رأسك وكلمة "شكراً". ثم انتظر. ولا تبدأ الكلام حتى تستحوذ على انتباه الجميع فيشعر كل واحد من الحضور أن الكلام موجّه اليه شخصياً فيوليه انتباهه، وهذا تماماً ما تبغيه. وعندما يصمت الحضور حدّق الى أعين المستمعين. اختر ثلاثة وجوه ودودة: واحداً الى اليسار وثانياً الى اليمين وثالثاً في الوسط. وبالتكلم مرة الى واحد منهم ثمَّ التوجه الى الآخر تستحوذ على انتباه الجميع.

تكلّم ولا تقرأ. طرت يوماً الى لوس أنجلس برفقة جين جانكوفسكي رئيس فريق «CBS» الاذاعي، وكان متوجهاً لتسلم جائزة صحافية. وفي الطريق أمضى

ساعات يكتب خطاب الشكر.

وفي الليلة التالية تكلّم المضيف داني كاي عن الجائزة ثم دعا جانكوفسكي الى المنبر. مشى جين وفي يده نص خطابه. فقال له كاي: "لا تقرأ، بل أخبر الناس عن شعورك." ثمّ حاول سحب الورقة من يد جين فتمسّك بها هذا. وتعاركا مازحين، فربح جانكوفسكي. لكن كاي كان على حق، فالقراءة للجمهور ليست بفاعلية الكلام المباشر الصادر عن القلب. وإن لم يكن بالسلاسة ذاتها فهو يبقى أفضل من القراءة.

أنا ضد الخطب المكتوبة. لكن كتابة الملاحظات عمل فطن، فهي تذكّرك بما تريد قوله وأين وصلت بحديثك.

إسترخِ. يركز الكوميدي روبرت كلاين في مشهد هزلي عن طريقة "لاماز" في الولادة الطبيعية، على أن الدور الرئيسي للزوج هو تذكير الزوجة بأن تتنفس. وهذا مضحك اذ لا يعقل أن يحتاج أحد الى من يذكره بأن يتنفس. ولكن عندما نقع تحت وطأة ضغط ما ننسى أحيانا كيف نتنفس بطريقة صحيحة.

لا تأخذ أنفاسا عميقة ولا تتنفس أسرع من العادة فيصيبك افراط في التهوئة، بل تنفّس بسهولة وايقاع من حجابك الحاجز، فهذا يساعدك على الاسترخاء.

إن مخاطبة الجمهور ليست أصعب من استعمال العودين الصينيين للأكل أو عقد ربطة العنق. فالغامض يغدو بسيطا عندما تعرف كيف تؤديه.

تشارلز أوزغود ■

خوف مزدوج

فتّش الرجل في جيوبه مذعورا بحثا عن حافظة نقود تحوي الف دينار. فسألته زوجته محاولة البقاء على هدوئها: "هل فتّشت في جيوب سروالك؟"

– نعم.

"وفي جيوب سترتك؟"

– نعم.

"وفي الجيوب الداخلية للسترة؟"

– كلا.

"ولماذا لم تفعل؟"

– أخاف إن لم أجدها أن أصاب بنوبة قلبية!

ر.هـ.

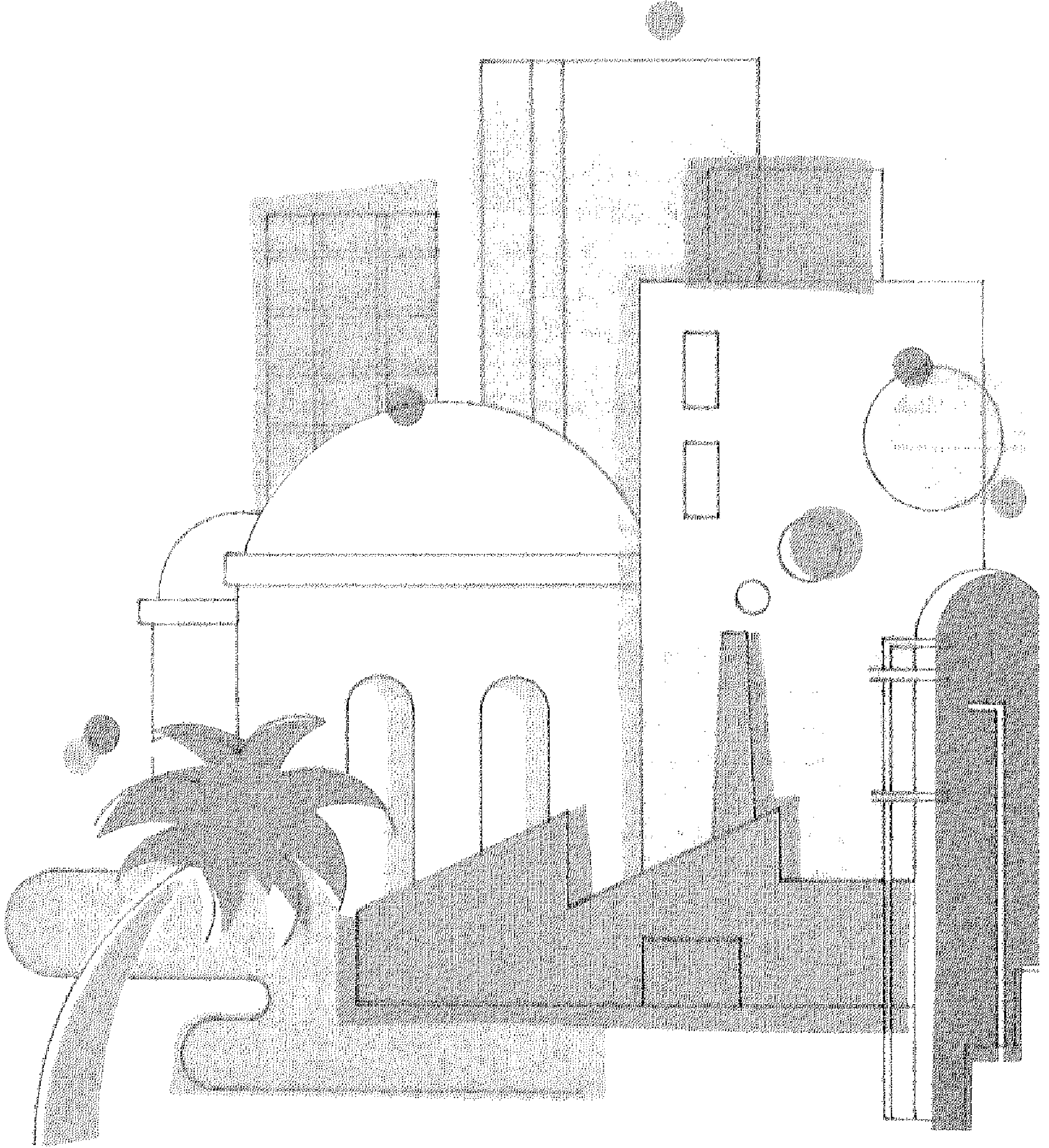
سائقة عتيقة

كانت امرأة تقود سيارتها، فرأت في البعيد رجلين يتسلقان عمود هاتف. ولدى مرورها قربهما صاحت: "لا تخافا، فأنا أقود السيارة منذ سنين."

ك.ن.

ملحق خاص

عقد الازدهار



التسوّق في السعودية ودول الخليج العربي

"المختار" - حزيران (يونيو) ١٩٩٠ - العدد ١٣٩

عقد الازدهار

مطلع هذه السنة دخلت دول مجلس التعاون الخليجي عقدا جديدا من الازدهار. ويستدل على ذلك من ارقام اجمالي الانتاج المحلي الذي بلغ في العام ١٩٨٩ قرابة ١٣٦ مليار دولار، رافقته نسبة نمو بلغت ٤ في المئة.

ويستفاد من تقرير اعده الدكتور هنري عزام رئيس الدائرة الاقتصادية في بنك الخليج الدولي، "ان الاداء الايجابي عموماً لاقتصادات دول المنطقة يبشر بتعزيز النمو وتعميق الانتعاش خلال العام الحالي، بما يخرج بها من حالة الركود."

ويتوقع التقرير تحسناً في ايرادات النفط وزيادة في الصادرات الصناعية والبتروكيميائية وانتعاشا في اسواق الايجارات والعقارات ونموا في الودائع والطلب على القروض. كما يتوقع تحسنا في التجارة وتعاظما في الاهتمام بفرص الاستثمار المحلي، وخصوصا الاستثمار المشترك في نطاق دول مجلس التعاون.

من جهة اخرى، تشكل العمالة العمود الفقري للتنمية في منطقة الخليج. وتشير دراسة اجرتها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في دولة الامارات الى ان ٧٩ في المئة من اجمالي تاشيرات العمل التي منحت في العام ١٩٨٨ وبلغت ١٠٨٧٠٠، تناولت مواطنين اسيويين. وتصدر الهنود (٤٣٪) قائمة العمالة الوافدة منذ العام ١٩٧٩، يليهم الباكستانيون (١٧٪) والعرب (١٣٪) والاوروبيون (٢٪).

وفي ما ياتي بعض المعلومات والعناوين المفيدة للعمال الوافدين الى تلك المنطقة:

القاعدة الذهبيّة: احترام القانون

لم تضعف الحياة العصرية تمسك السعوديين وابناء الخليج بدينهم وتراثهم. فالمسلمون يمارسون طقوس دينهم كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد مكنتهم نظرتهم الواقعية هذه من استيعاب فوائد التكنولوجيا الغربية مع الاحتفاظ بهويتهم ومبادئهم الاسلامية.

هذه المبادىء دمجت ببراعة في جميع مظاهر الحياة العصرية وهي محددة بوضوح بحيث يستطيع كل من يريد التمتع برفاه الحياة العصرية ان يفعل ذلك شرط أن يراعي القوانين والقواعد المعتمدة.

إن الرفاه الذي توفره الحياة العصرية مؤمن عبر بنية تحتية متطورة تسهّل التجول والتنقل واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية، فضلا عن خدمات بريدية متطورة وخدمات طبية من الدرجة الاولى وتسهيلات للسكن ومناطق تسوّق هي في غاية التطوّر، مؤلفة من متاجر كبرى ومجمعات ومراكز تسوّق تعرض بضائع استهلاكية و"لوكس" بأسعار تنافسية مستفيدة بذلك من رسوم جمركية مخفوضة. وتعرض هذه المراكز مجموعة متنوّعة من المنتجات وأحدث الطرز. وهي أوسع من تلك المتوافرة حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب في البلدان الاخرى، وهذه كلها جعلت من الخليج فردوسا للتسوّق.

وتقابل هذه الميزات حاجة ماسة الى معرفة عملية للتقاليد والقوانين التي تشمل كل نواحي الحياة.

وفي ما ياتي بعض النصائح العملية التي تعينك على العيش في سلام وطمانينة.

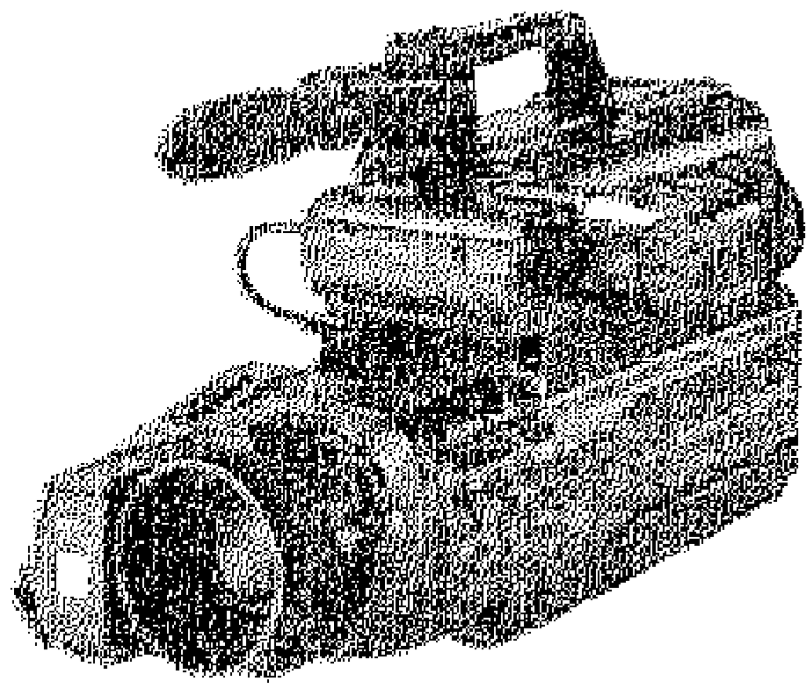
□ يجب مراعاة التقاليد في الحياة الاجتماعية :

- الحنث بالوعد يعتبر عملا شائنا للغاية.
- من غير اللائق ان تصل متاخرا.
- لا تسال الرجل عن زوجته وبناته بل عن عائلته.
- تناول الطعام يتم بصمت وباليد اليمنى.
- يجب ان تحتشم المراة في لباسها وان تكون حذرة في تجوالها. لا تجلس المراة قرب السائق في سيارة الاجرة كما انها لا تتجوّل برفقة رجل ليس من اقاربها الادنين.

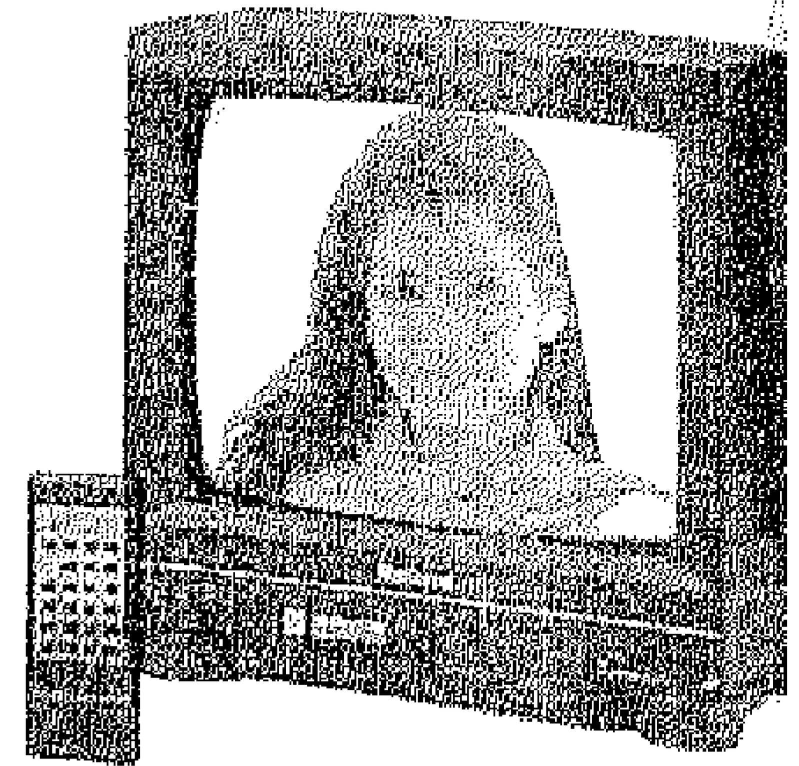
□ استيراد الكحول والمخدرات وحيازتها وتعاطيها هي ممارسات ممنوعة عقوباتها صارمة. وهذا ينطبق كذلك على المنشورات الخلاعية.

ابتكارات في الالكترونيات

تنتج شركة ناشيونال بعض اكثر الابتكارات التي انجزت الى الآن في حقل الالكترونيات والادوات المنزلية. من الريادة في مسجلات الفيديو والكاميرات الى شاشة التلفزيون العملاقة... ومن الستيريو النقال ذي الطراز الديناميكي الى الادوات المنزلية التي توفر في الوقت. ومع كل انتاج من ناشيونال يمكنك ان تتوقع نوعية ممتازة واختياراً متوسعاً وخدمة بعد البيع تؤمنها لك مراكز ناشيونال المتعددة. انظر، اختبر بنفسك وبسرعة ابتكارات ناشيونال.

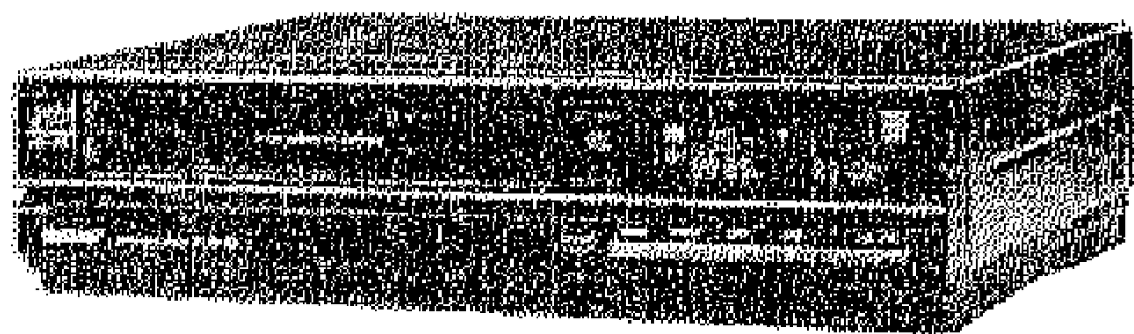


NV-M1000 VHS
كاميرا فيديو VHS مع جهاز تعديل بؤري تلقائي

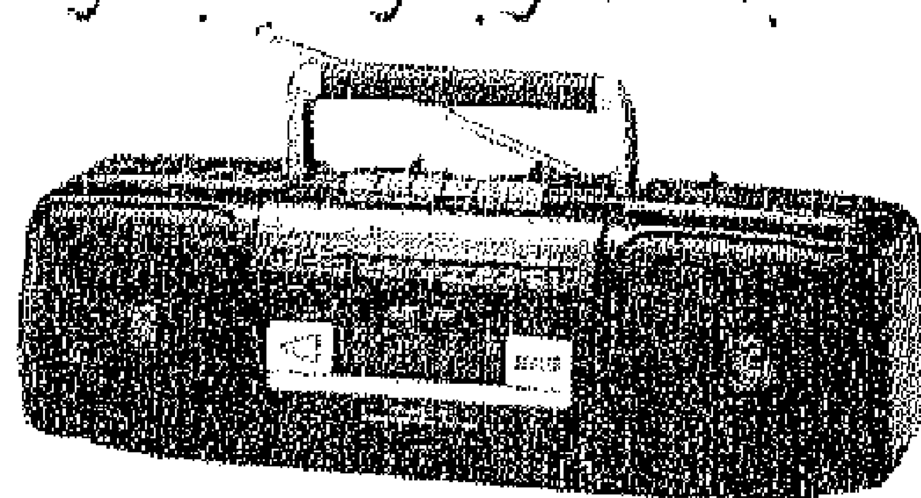


TC-491TR
تلفزيون ملون ١٤ بوصة (٣٦ سم) بـ٣ انظمة عالمية.

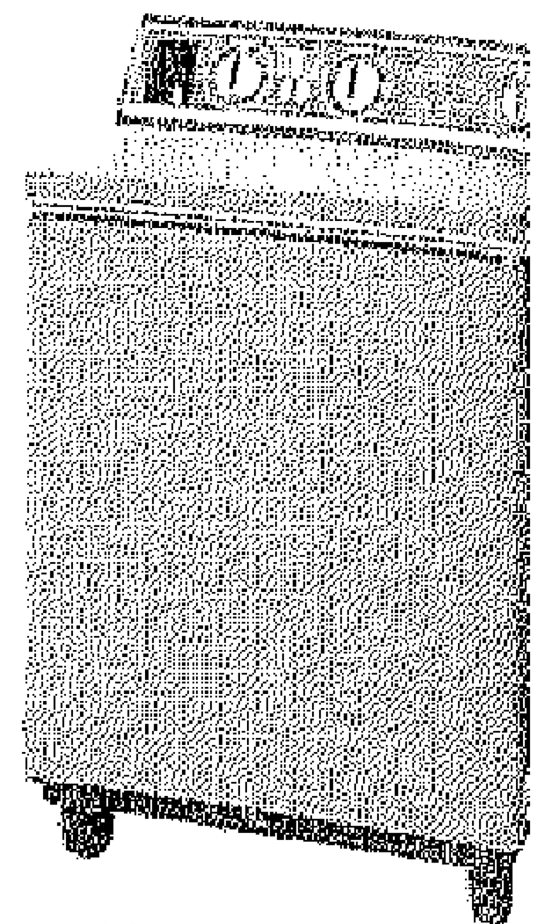




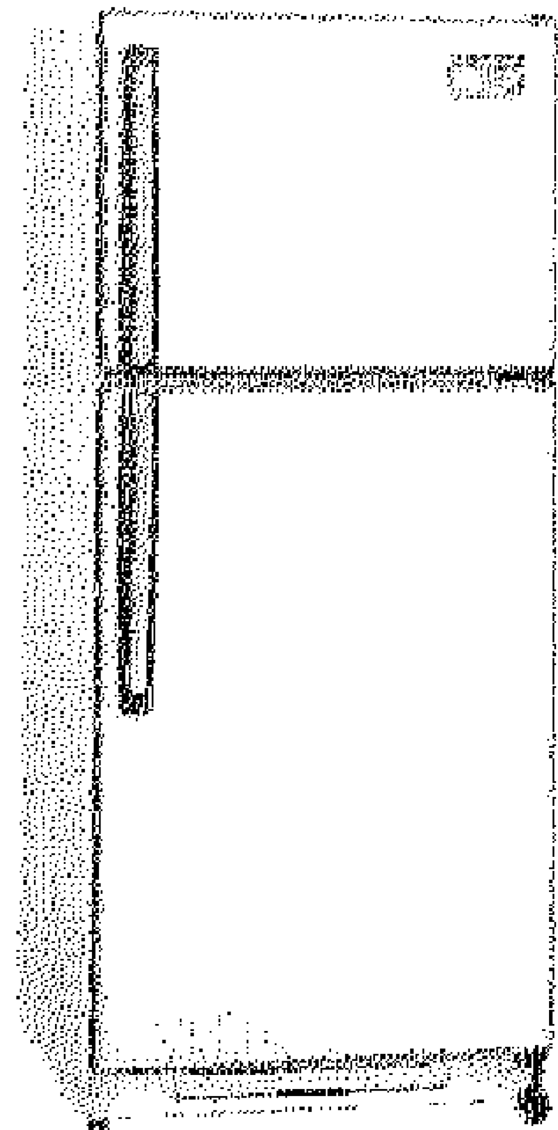
NV-J101 VHS
مسجلة فيديو كاسيت ذات نظامين (بال/سيكام MIE) تؤمن سرعة غاية في البطء



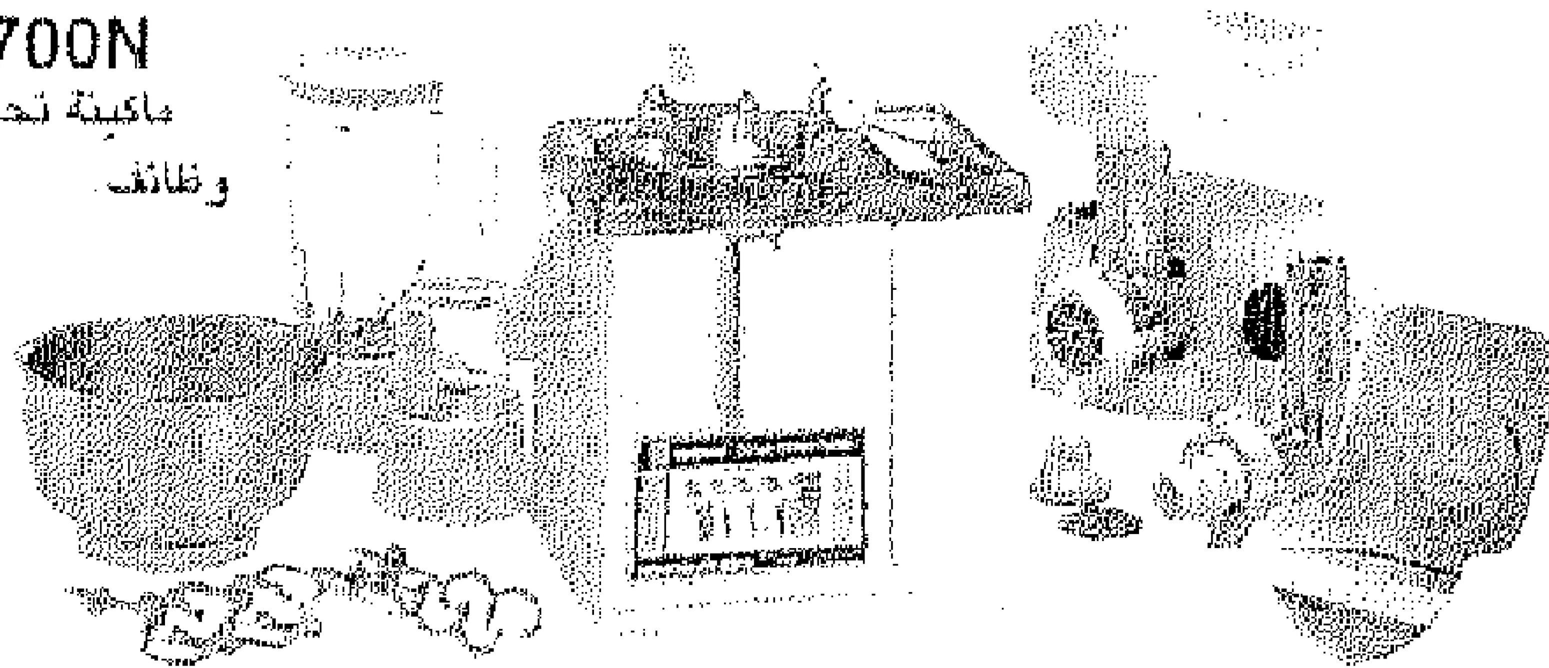
RX-FS400
راديو مدمج ٤ موجات (اف. ام. متوسطة، صغيرة ١، صغيرة ٢) ومسجلة كاسيت تؤمن تياراً متناوباً.



NA-250X/D
غسالة اوتوماتيكية بالكامل ذات سعة كبيرة

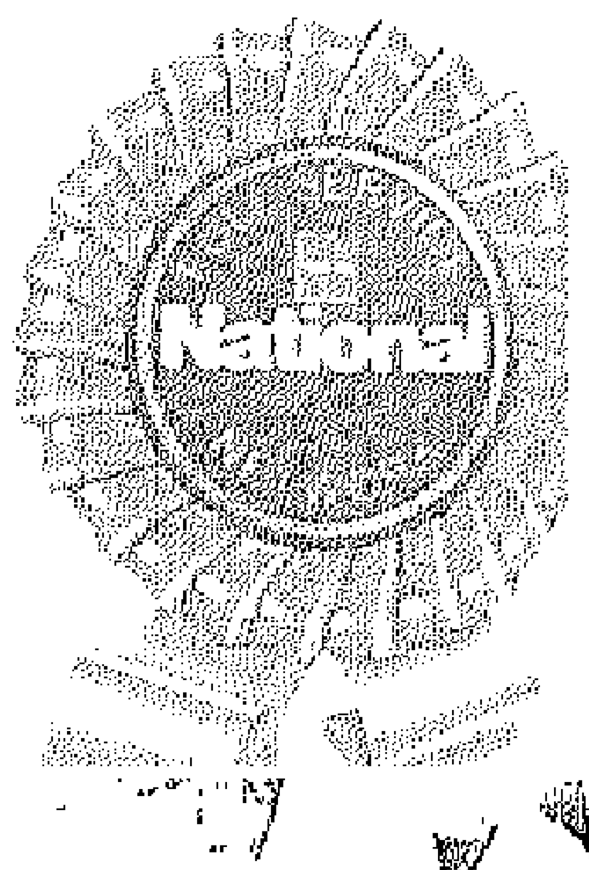


NR-B43AE/AES
ثلاجة واسعة مع تشغيل No-Frost





MK-8700N
ماكينة تحضير ذات ١٠ وظائف



National

البحرين ■ مركز الجامعة للتجارة. المنامة. ت ٢٥٢٢٩٢ / ٢٥١٨٣٠

قبرص:

■ س.د. هاي (ادوات كهربائية) نيقوسيا. ت ٢٤٤٥٨٣٩.

مصر:

■ شركة بغداد للتجارة ▲ القاهرة. ت ٨٣٨٣٦٥ / ٢٦٠٧٥١٦ / ٢٦٠٧٥١٧ / ٢٦٠٧٥١٨ – الاسكندرية. ت ٤٨٢٧٩٨٥.

■ مركز التحرير للتجارة والخدمات ▲ القاهرة. ت ٧٧٧٧٧٠ / ٧٧٧٩٩٩ / ٣٩٣١٥٨٢ / ٣٩٢٢٣٦٢ – الاسكندرية. ت ٥٤٦٠٣٤١ – الاقصر. ت ٨٢٤٤٦ – سوهاج. ت ٣٢٢٦٨٥

■ مركز تنبولي للخدمات ▲ القاهرة. ت ٦٦٠٦٢٩ / ٦٧٢٢٥٠

■ الشركة المصرية للالكترونيات ▲ القاهرة. ت ٢٤٠٩٤١٣ / ٢٤٠٠٢٢٨ / ٣٤٠٣٨٦٨ / ٣٥٢٦٧٠١ / ٣٤٤٩٥٠٨

■ شركة مصر حلوان للاستيراد والتصدير ♦ القاهرة. ت ٣٩٠٠٤١٦ / ٣٩٠٨٥٨٤

الهند:

■ مركز اسكواير للخدمات ▲ بومباي. ت ٢٣٤٢٣٦ / ٢٣٠٣١١ / ٤١٣١٨٥٧ / ٤١٣٣٤٧٠ / ٥٣٣٥٠٦ مدراس. ت ٤٧٩٥٠٧ نيودلهي. ت ٦٩٧٢٨٥ / ٦١١٣٢٧. كالكوتا. ت ٤٤٠٨٤٠

■ الوكالات الكهربائية المتحدة. بومباي. ت ٤٩٣٠٠٧٤ / ٤٩٣٠٠٧٥ – مدراس. ت ٤٧٨٥٥٩. بنغلور. ت ٢٢٧٤٦١

■ اندس للتكييف ♦ بومباي. ت ٤٣٠٢٧١٩

■ باراس الكترونيكس. بومباي. ت ٢٨٦٩٧٨

■ شركة بوزيتيف للتجارة. نيودلهي.

■ شركة ماستر الكترونيكس ▲ تريفاندريم. ت ٦٤٣٦٢ – كوشين. ت ٣٦١١٧٨٨

▲ منتجات سمعية / بصرية فقط. ♦ ادوات منزلية.

الكويت:

■ عيسى حسين اليوسفي. الكويت. ت ٢٤٢١٤٣٩ / ٢٤٢٤٩٩٨ / ٢٤٤٠٠٢١ / ٢٤١٧٦٦ – العارضية ت ٤٣٤٦٤٠٣ / ٤٣١٥٤٣٤ / ٤٣١٦٤٧٤ – الاحمدي. ت ٣٩٨٦٧٢٧ / ٣٩٨٢٧١١

عُمان:

■ شركة عمان للتسويق والخدمات.
مسقط. ت ٧٩٤١٨٠ / ٧٩٦١٨٢ / ٥٦١٨٤٦ – صلالة. ت ٢٩٣١٩٩

باكستان:

■ مركز خدمة ناشيونال كراتشي. ت ٤٢٣٣٧٣ / ٤٤٤٢٥٦ / ٤٣٣٩٥١

■ مركز خدمة تلفزيونات ومسجلات الفيديو ناشيونال ▲ كراتشي. ت ٤٢٣١٦١

■ متجر ناشيونال. حيدراباد. ت ٢٢٥٦١. روالبندي. ت ٨٤٤٠٠٧ – فيصل اباد. ت ٢٦٠٢٥ / ٢٤٦٦٠ – بيشاور. ت ٧٤٦٩٠. لاهور ت ٢٢٨٤٨٦

الفيليبين:

■ شركة ناشيونال باناسونيك. مانيلا. ت ٦٧٣٦٨٠١. سيبو. ت ٨١٣٣٥ / ٨٢٧٥٢

قطر:

■ شركة نصير بن عبدالله ومحمد صديق للتجارة الدوحة. ت ٤١٧٥٧٥

السعودية:

■ شركة م. جميل الدملوي. جدة. ت ٦٤٧٤٦٦٦ / ٦٤٨٤١٤٤ – المدينة. ت ٨٣٨٠٦٦٤ / ٨٣٨٤٧٨١ – مكة. ت ٥٣٧٠١٧٤ – الطائف. ت ٧٣٨٣٥٢٤ – خميس مشيط. ت ٢٢٣٣٢١٦ – الرياض. ت ٤٦٣٠٣٠٢ / ٤٦٣١٥٤١ – القصيم. ت ٣٢٤١٢٣٣ – الخبر. ت ٨٩٥٤٦٦٦ – الدمام. ت ٨٣٤٢٧٦٢ – الحسا. ت ٥٨٧٢٢٠٨ – تبوك. ت ٤٢٣٠٧٦٤ – جيزان. ت ٣١٧١٢٢٨

الامارات العربية المتحدة:

■ عمان ناشيونال الكترونيكس ▲ دبي. ت ٢٣١٩١٧ – دبي ♦ ت ٨٥٨٢٨٤ – ابو ظبي. ت ٣٤٢٨٧٢ – العين. ت ٦٦٧٠١٨ – الشارقة. ت ٥٩٢٩٤٥ – راس الخيمة. ت ٣١٤٣٩ – الفجيرة. ت ٢٢٩٢٦

اماكن التسوق الرئيسية

المملكة العربية السعودية

الرياض

مناطق التسوّق الرئيسية هي: طريق المطار (شارع الملك عبد العزيز)، ومنطقتا التسوّق المركزيتان في شارع الوزير وشارع البطحاء، والملز (معظم المتاجر يقع في شارع الستين وهو الشارع الرئيسي، او في شوارع صغيرة متفرعة منه)، وشارع البيبسي كولا والعليا وهي أحدث المناطق السكنية في الرياض وتحتوي على بعض افضل متاجر المدينة.

بندة: طريق خريص، لجهة "بترومين" من مصنع البيبسي كولا.

ستاد: قبالة الملعب في الملز.

سيتي: العليا، الطابق الأول يبيع ساعات ومستحضرات تجميل وأدوات رياضية وأجهزة تلفزيون وفيديو.

سيتي: السليمانية.

مركز العقارية: العليا.

مركز السدحان للتسويق: طريق العليا - قرب فندق عطاالله "شيراتون".

البيت الأخضر: طريق المطار.

جوهر: شارع جرير في العليا، وهو من المخازن التنويعية الضخمة.

مركز نجد: شارع جرير في العليا.

اسواق الدائرة: شارع الأربعين في السليمانية.

اسواق حسام: طريق خريص.

مركز العزيزية: منطقة ام الحمام.

الخبر والدمام والظهران

مركز الخليج: آخر طريق المطار، الخبر.

مركز الامير مشعل التجاري: طريق المطار، قرب النافورة، الخبر.

مجمّع الخبر التجاري: الجهة الجنوبية لطريق المطار.

مركز السويكت للتسوّق: على بعد ثلاثة مقاطع غرب شارع الملك خالد، و١،٥ كلم. شمال طريق المطار، الخبر.

السواني. شارع الملك عبد العزيز، الخبر.

مركز التسوّق للعائلات: خلف عمارة البابطين، قرب البنك السعودي - الهولندي، الخبر.

سوبر ماركت السوق: له ثلاثة فروع في المنطقة:

١ - الفرع الرئيسي - الطريق العسكرية شمال غرب الخبر، قرب "بالاست نيدام".

٢ - الدمام - خلف صالة عرض "تويوتا"، على طريق قطيف.

٣ - الخبر - شارع العزيزية، على بعد مقطع واحد الى جنوب طريق المطار.

مركز الدمام التجاري: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الاخضر للتسوّق: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الحربي للتسويق: قرب مستشفى الدمام العام.

مركز الظهران التجاري: طريق المطار، في محيط منطقة التسوّق الرئيسية في الظهران.

جدة

ردك بلازا: غرب طريق المدينة (جنوبا) وبالقرب من مركز القافلة التجاري.

مركز جدّة التجاري: طريق المدينة، شمال جسور شارع فلسطين مباشرة.

مركز القافلة التجاري: يقع على طريق الكورنيش (شارع حائل)، غرب طريق المدينة وجنوب الرويس.

سوق جدة الدولي: طريق المدينة لجهة الغرب، قبالة معمل البيبسي كولا.

عمارة الملكة: شارع الملك عبد العزيز في مركز المدينة. خلف البناء طبقتان من المتاجر المتخصصة بالثياب والعطور والساعات والمجوهرات والالكترونيات وآلات التصوير.

السواني: قرب المطار القديم، وبجنب عمارة "عرب نيوز" عند اطراف الشرفية وفي مركز المساعدية - طريق المدينة.

مركز شاكر: مستديرة الدراجة.

مركز المحمل: شارع الملك عبد العزيز.

مركز الكورنيش للتسويق: شارع الملك عبد العزيز.

مركز المساعدية: طريق المدينة.

مركز جمجوم التجاري: الحمرا.

مركز الحمرا للتسويق: الحمرا.

مركز الغاليريه: شارع التحلية.

مركز باروم: الرويس.

سوق الخيمة: قرب مبنى التلفزيون.

سوق اليمامة: طريق المطار القديم.

المختار: منطقة الحمراء بقرب شارع حائل.

مركز ساند: ما بين شارع خالد بن الوليد وطريق المدينة في الشرفية.

مركز الشرق الاوسط للتسوّق: طريق فلسطين.

حسين القزاز واولاده: طريق المدينة.

"برنتان" العمودي: طريق فلسطين.

الخبراء بالفيديو يعرفون "جي.في.سي."

بات VHS المرادف للفيديو في انحاء العالم. ومنذ ١٤ عاما، اي منذ انزلت "جي.في.سي." هذا الجهاز للمرة الاولى الى الاسواق، لم يعد فقط الاوسع انتشارا في العالم من حيث حجمه – علما ان هناك اكثر من ٢٦٠ مليون جهاز قيد الخدمة – بل اصبح كذلك اداة لا غنى عنها للتسلية والاتصال بين الناس في حياتهم اليومية.

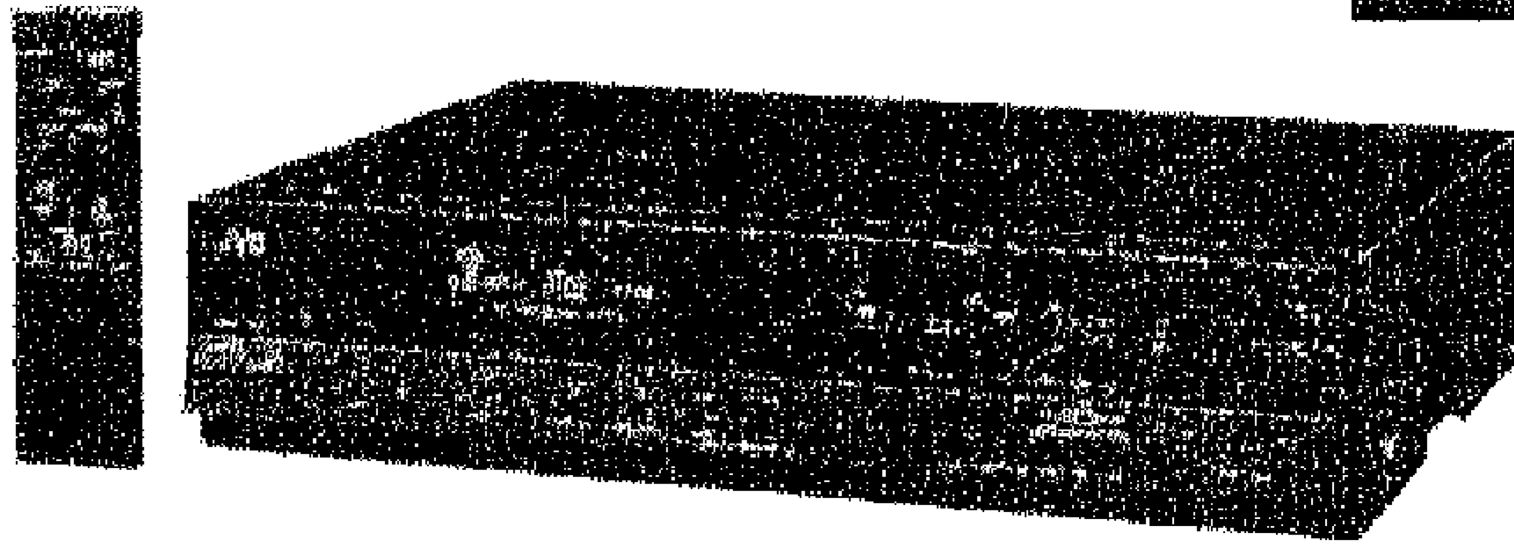
الا ان النجاح العالمي يستتبع ايضا مسؤوليات عالمية. لذلك نحن في "جي.في.سي." نقدّم اليكم يا زبائننا الدوليين، مجموعة واسعة حقا من مسجلات فيديو VHS بما فيها موديلاتنا ذات الانظمة المتعددة.

ان مسجلات الفيديو المتطورة لدينا والتي تنطوي على انظمة متعددة للتسجيل والعرض واجهزة التوليف المتعددة الانظمة التي ترمي الى منحكم اقصى متعة من الفيديو، اينما كنتم ومهما يكن ما تشاهدون – يعززها اداؤنا العالمي وابتكاراتنا المحببة التي تجعل مسجلات "جي. في. سي." سهلة الاستعمال وسهلة الاختيار.

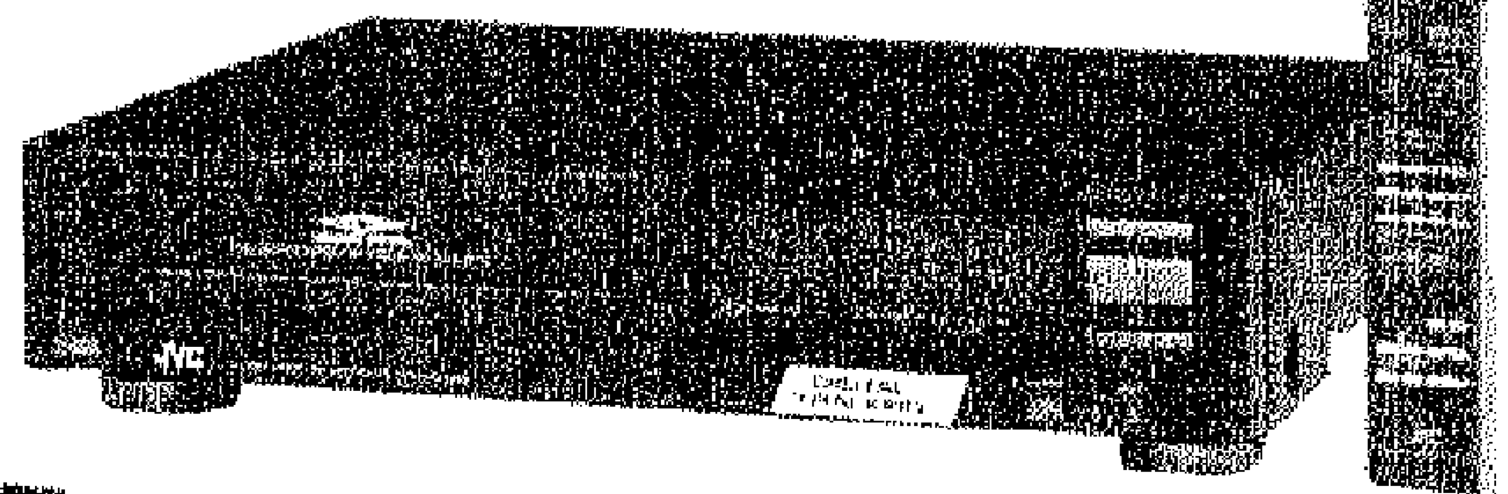
اننا نعرف ما يريده الناس من الفيديو، لذلك ابتكرنا الـ VHS، ولذلك ايضا فان الناس الذين يعرفون الفيديو في العالم يعرفوننا نحن كذلك.

"جي. في. سي." نحن الفيديو الاروع.

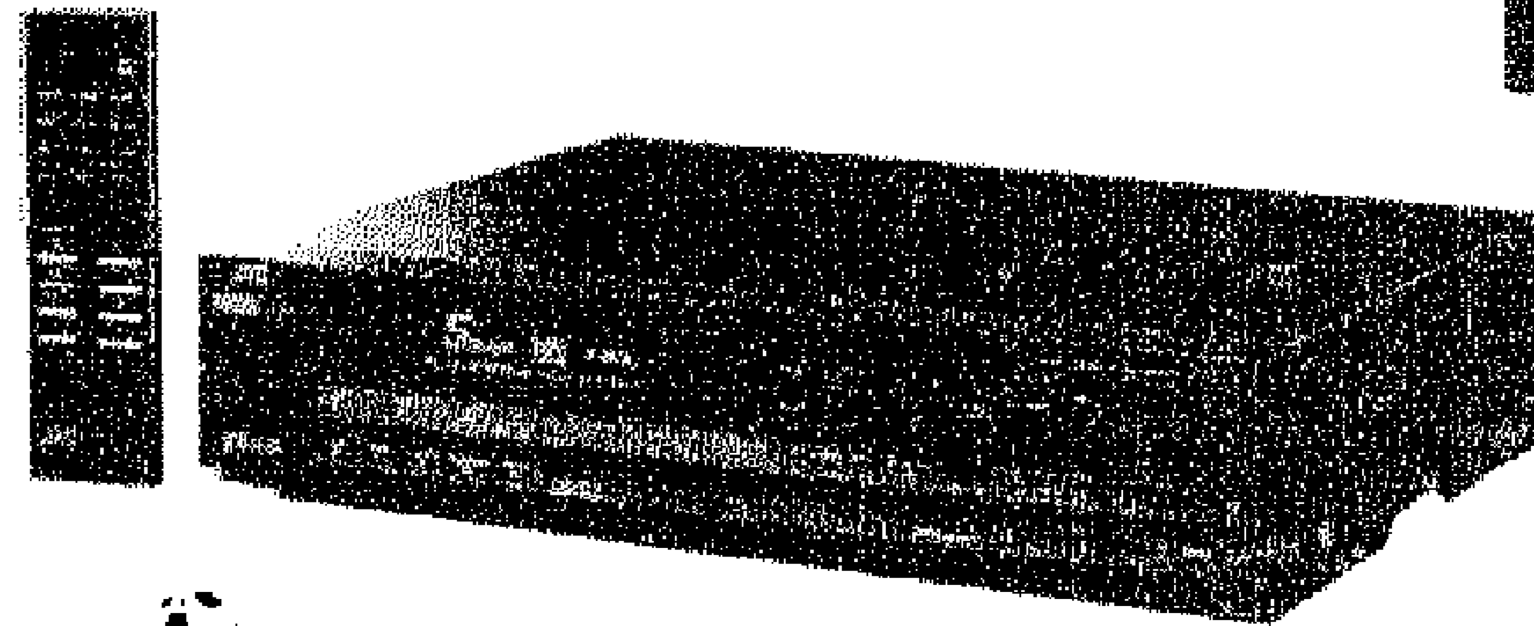
JVC
The INVENTOR of VHS



HR-D217MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام NTSC 4.43 / ME للتسجيل والعرض.



HR-D527MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام NTSC 4.43 / NTSC 3.58 / ME للتسجيل
والعرض مع موالف متعدد الانظمة (BIG, I, D / K, M)



HR-D337MS مسجلة فيديو كاسيت HQ
بانظمة بال/سيكام ME / سيكام/ NTSC 4.43 / NTSC 3.58
للتسجيل والعرض مع موالف متعدد الانظمة (BIG, I, D / K, M).



Official Hi-Fi & Video Systems Of The World Cup 1990

VHS: The Universal Video Language

JVC

الامارات العربية المتحدة

ابو ظبي

جاشنمال: شارع النصر.

مؤسسة عباس اسماعيل: شارع نجدة.

سبينس: تحوي شبكة المخازن المعروفة بهذا الاسم تشكيلة واسعة من البياضات والصيني والادوات المنزلية.

دبي

شركة جمبو المحدودة للالكترونيات: شارع خالد بن الوليد، بر، دبي.

محلات الفجر التجارية: طريق زبيل، قرب المخابز الحديثة.

الايدز: شارع بن ياس.

محلات النصر: طريق دبي - الشارقة. له فروع في: طريق زبيل ومركز دبي التجاري ومركز الغرير.

السوق المركزي: مركز الغرير، ديرة.

جاشنمال واولاده: مخازن في مركز الغرير، وقبالة عمارة دناتا، ديرة.

محمد ناصر الساير واولاده: عمارة اللؤلؤة، شارع بن ياس.

الشارقة

تقتصر مناطق التسوّق بشكل خاص على شارع الوحدة وسوق الشارقة وشارع العروبة والسوق القديمة بمحاذاة الخليج، وطريق الميناء/منطقة جادة البرج وساحة الزهراء. وسوق الشارقة وحدها تحتوي على اكثر من ٢٠٠ متجر فيها كل شيء من الالعاب حتى الادوات المنزلية الالكترونية، والمجوهرات.

رأس الخيمة

النصر: بناية بورسلي، الى الجهة اليسرى من شارع الصباح. تعرض تجهيزات منزلية والعابا وقرطاسية وبعض السلع الترفيهية.

ستوديو ومحلات ابولو: شارع المنتصر الى جانب فندق النخيل. يعرض تجهيزات فوتوغرافية.

الكويت

مدينة الكويت

مجمع الصالحية التجاري: شارع الهلالي، مباشرة بعد ملتقى الطرق مع شارع فهد السالم، وعلى بعد دقيقة واحدة فقط من موقف السيارات في السوق المتحدة.

السوق المتحدة: شارع محمد الثنيان، قبالة مجمع الصالحية.

سوق الوطية: خلف فندق شيراتون، على مسافة من شارع فهد السالم.

السوق الكبير: على مسافة قصيرة من شارع فهد السالم، قرب ملتقى الطرق مع شارع الهلالي.

السوق الوطنية: قرب ساحة الصفاة. تتالف من خليط من المتاجر الصغيرة المتشابهة التي تبيع الاقمشة او اشرطة الفيديو والساعات.

سوق الكويت: شارع مبارك الكبير، الى جانب البنك التجاري.

حولي

مجمّع النقرة الشمالي: الى جانب مركز الشرطة في حولي. انطلاقا من الطريق الدائري الرابع، انعطف نزولا في شارع المغرب ثم الى اليمين عند اول اشارة مرور. يحتوي المجمع على مجموعة متنوعة من المتاجر.

السالمية

السالمية مركز تسوّق شعبي فيه اماكن متعدد لايقاف السيارات.

الفحيحيل

فيها تشكيلة صغيرة ولكن مفيدة من المتاجر. والاسهل ايقاف السيارة في الارض البور قبالة سوق الخضر والفاكهة.

الأحمدي

تسهيلات التسوّق ملائمة. هناك سوق صغيرة و٣ سوبرماركت حديثة، ومتجر للتجهيزات الكهربائية، ومتجر عام وفروع للمتاجر الرئيسية في المدينة.

جاشنمال وشركاه: يديرون مخازن تنويعية في كل انحاء الخليج ولديهم ثلاثة فروع في الكويت:

- الفرع الرئيسي: شارع فهد السالم.
- الأحمدي - السالمية.

متاجر متخصصة بآلات التصوير

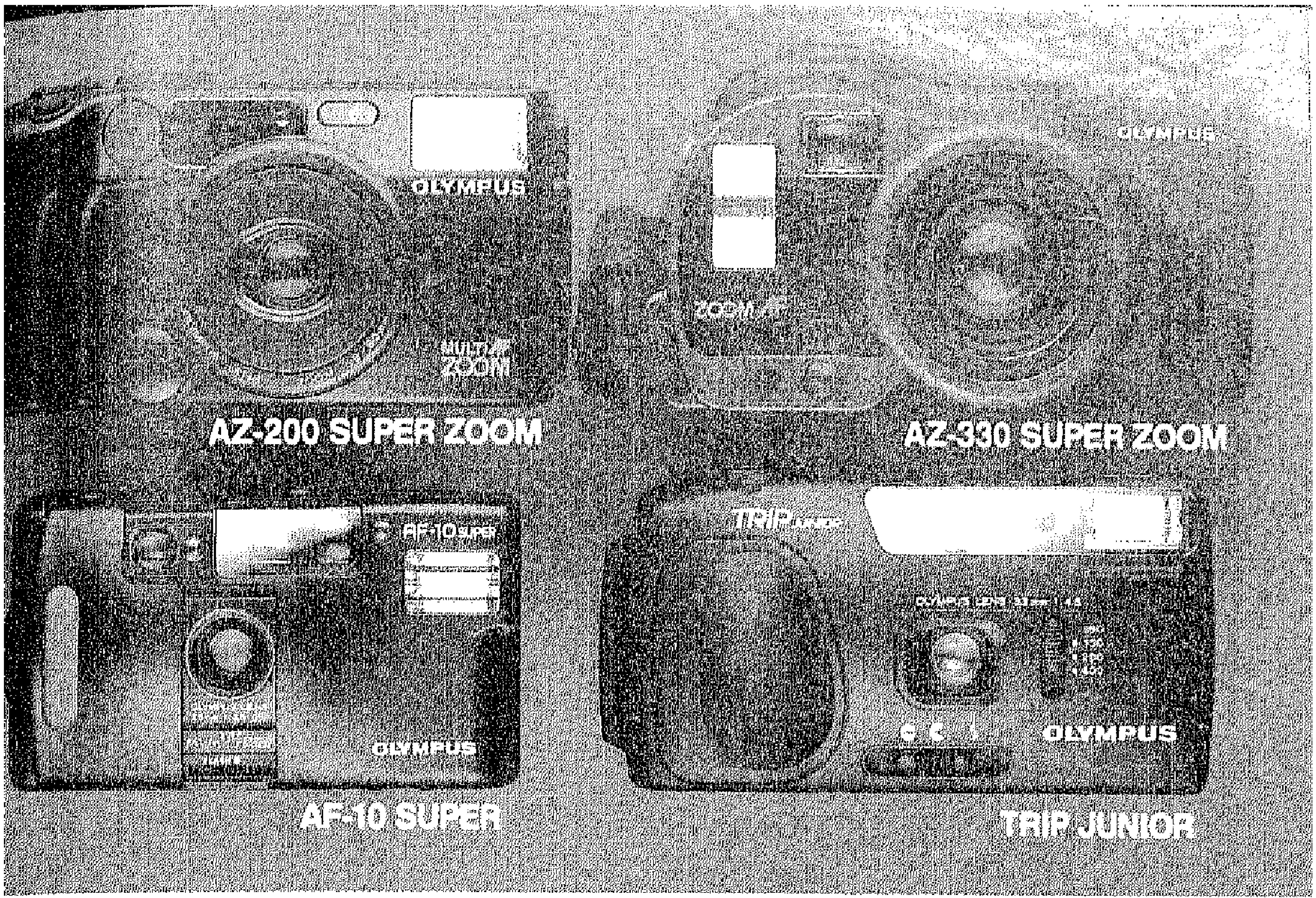
شركة اشرف: ولديها فروع عدة:

- شارع سالم المبارك.
- السالمية - الفحيحيل.

شركة بوشهري للافلام الملونة: ولديها فروع في:

- الدعية - السالمية - الفحيحيل.

شركة آلات التصوير والسينما المحدودة: ولديها فروع في شارع فهد السالم والسالمية والفحيحيل.



لالتقاط صور رائعة
تحتاجون الى ادوات مناسبة

AZ-200 SUPER ZOOM

لم تكن هناك قبلا مثل كاميرا اولمبوس AZ-200 Super Zoom.

لأن AZ-200 Super Zoom ليست كاميرا ٣٥ ملم أخرى بعدستي "زوم" بل انها جديدة اوتوماتيكية بالكامل، اول كاميرا في العالم مزودة فلاشا ذا طاقة متبدلة وتحكم عن بعد (ريموت كونترول) جديد يعتمد التركيز البؤري الذاتي. كل ذلك في حجم مدمج وهيكل خفيف تميزه خطوط اولمبوس الانيقة.

الكاميرا الجديدة ذات AZ-200 Super Zoom الزوم الاوتوماتيكية الكاملة، هي الامتياز في عينه.

AF-10 SUPER

كاميرا اولمبوس AF-10 Super المدمجة للغاية، جذابة في مظهرها ودقيقة في التركيز البؤري للعدسات. تعبيء الفيلم اوتوماتيكيا وتدفعه الى الامام وتلفه. فيها فلاش داخلي اوتوماتيكي. كل ذلك في هيكل جميل وانيق. وهي صغيرة الى حد يمكن وضعها في الجيب او المحفظة.

AZ-330 SUPER ZOOM

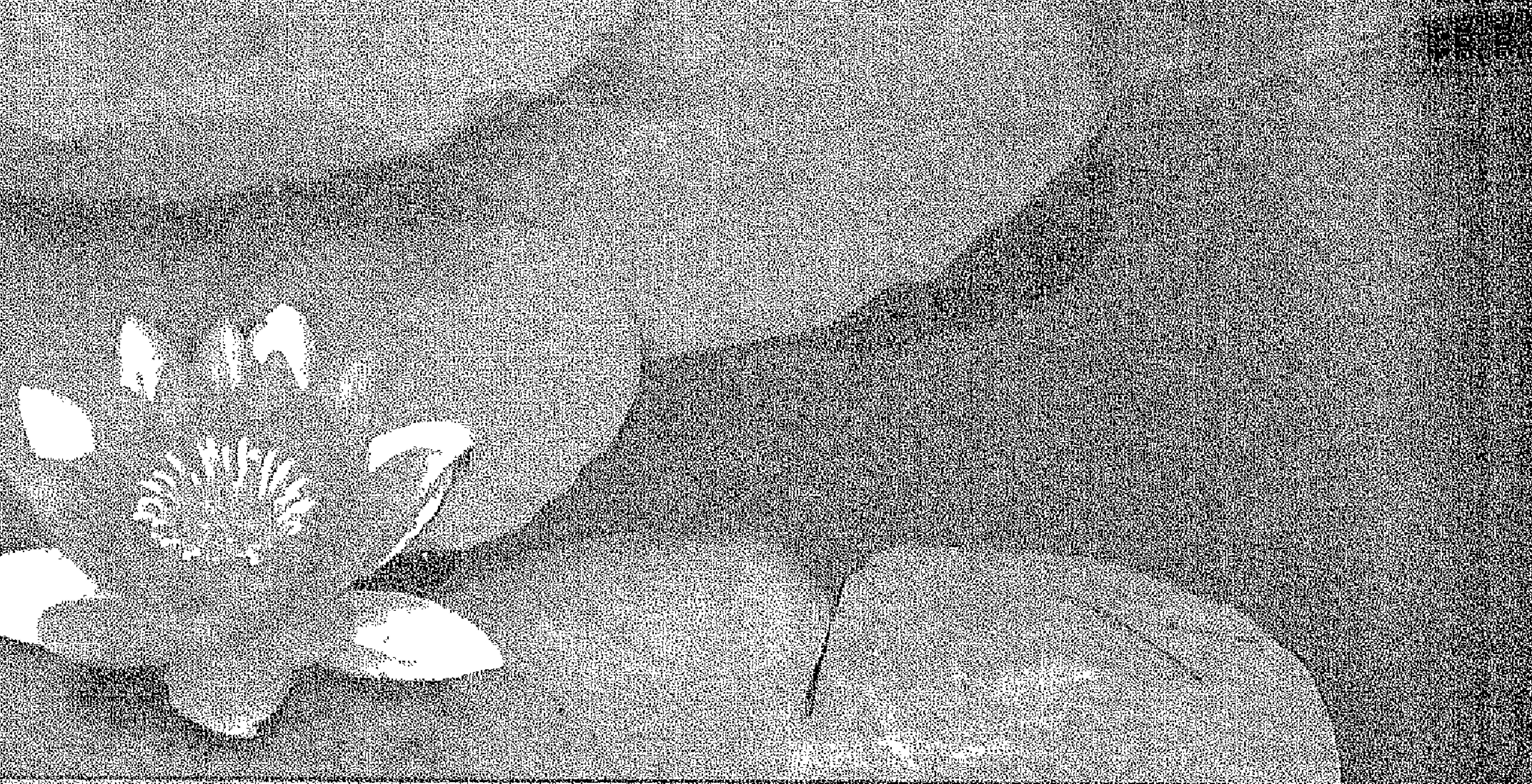
انها انجاز مدمج آخر من اولمبوس. كاميرا AZ-330 Super Zoom تخلف AZ-300 Super Zoom التي حازت جائزة. فيها العدسة المتعددة الأداء ٣٨ ملم – ١٠٥ ملم والفلاش الداخلي الثوري Auto-S الخاص بالتقاط صور الوجوه والمشاهد القريبة. ولديها ايضا جهاز تحكّم عن بعد يتيح لكم الظهور في الصور بينما انتم تصورون! ابحثوا عنها اليوم.

TRIP JUNIOR

كاميرا جميلة وفي المتناول. تمنحكم Trip Junior انطلاقة جيدة لالتقاط صور جميلة. بفضل دقة بصريات اولمبوس وتحريك الفيلم اوتوماتيكيا كذلك الفلاش الداخلي. Trip Junior رفيقة ممتازة في اي رحلة.

OLYMPUS®

البحرين: تجربة الكترونيكس، ص.ب ٢٠٥ المنامة. ت ٢٥٦٨٩٢.
الكويت: شركة كيرتاس بهبهاني، شارع فهد السالم، ص.ب. ٢٨٧، ت ٢٤٠٨٠٥٣ – ٢٤٠٨٠٥٤.
[illegible] ٨٩٠٦٨، الرياض – ١١٦٨٢، ت ٤٦٤٣٨٣٣.



تمشي في سوجو فترى في كل مدخل سحراً بنادبك

ظلّ القطار طوال بعد الظهر يزحف شرقاً بمحاذاة نهر يانغتسي قطع نانكينغ ويدخل المنطقة الساحلية التي تكثر فيها المستنقعات، حيث "القناة الكبرى" التي شقت في القرن السابع تجري بين بلدات قديمة وبحيرات ضحلة.

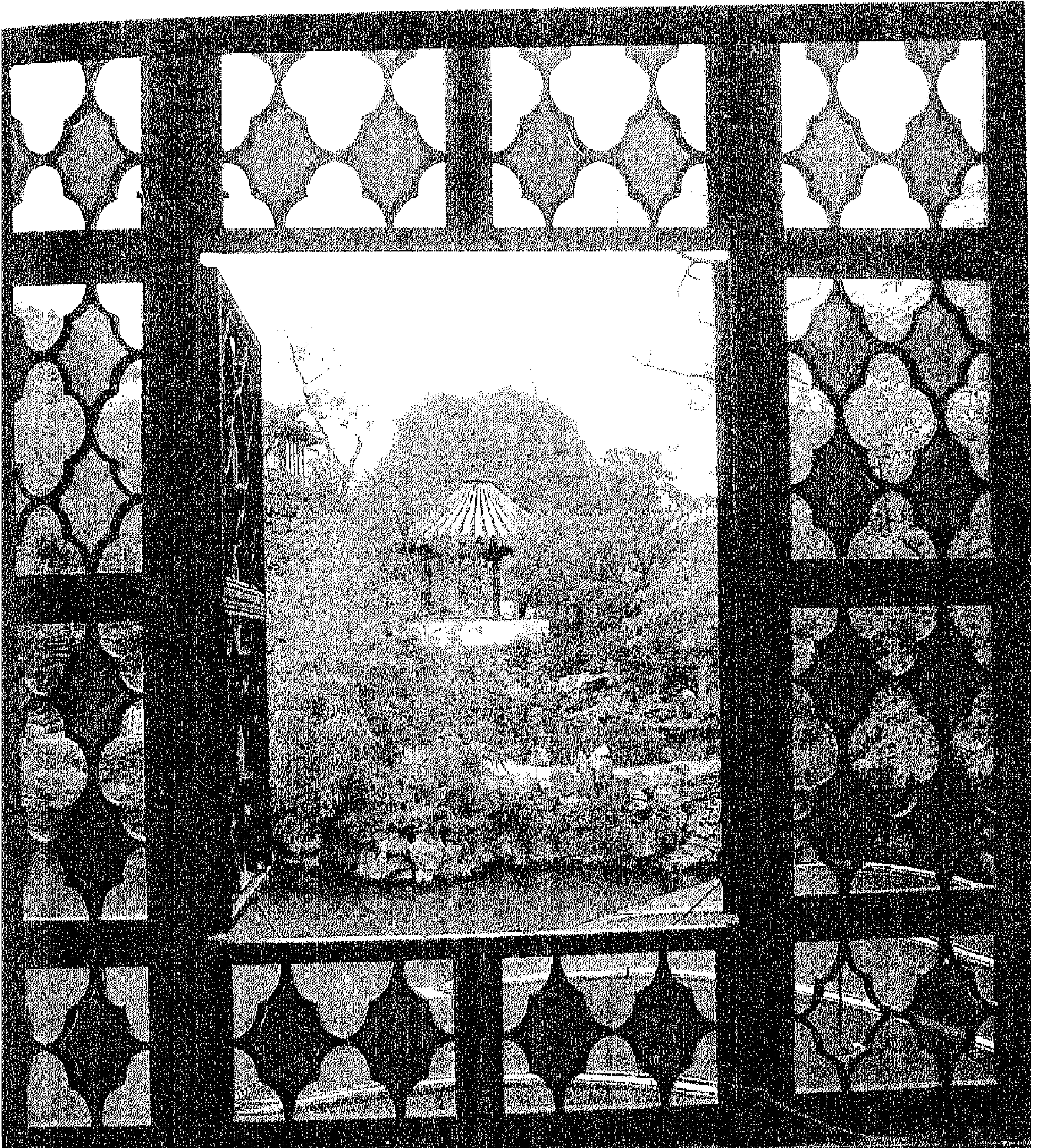
وتعتبر هذه من الاراضي الاكثر خصبا في الصين. فهي تغل مقدار ثلاثة محاصيل من الرز والقمح سنويا. وكان الفلاحون "الاثرياء" يوسعون بيوتهم تدريجا كلما توافر لهم مال، فيبنون طبقة ثانية او يضيفون غرفة في فناء الدار المهمل الذي تحوّل مرتعا للماعز.

كان الليل انتصف عندما توقف القطار في سوجو. وعلى امتداد ساعتين رحت أجوب الشوارع المظلمة واطرق أبواب الفنادق من غير ان يفتح لي أحد. ثم عثرت على جدار خلفي لمنشرة حجبتها بعض شجيرات، فأخرجت كيس النوم وأويت اليه.

طلع النهار على مدينة قديمة رائعة عظامها جادات تحف بها اشجار دلب، وشرايينها قنوات رصفت جوانبها بالحجر وفوقها جسور مقوسة في شكل قناطر.

هذه القناطر شدهت حتى الرحالة ماركو بولو ابن البندقية. وحملت الشوارع الرئيسية في المدينة طابعاً مميزاً أضفته عليها بيوتها المطليّة بماء الكلس ذات العتبات المنحوتة والنوافذ المجهزة بشَعْريات. وتحوّلت الطرق الضيّقة حول قنوات المياه دروب مشاة. وكانت المراكب تتهادى فوق المياه التي حرّكتها الريح شاقّة طريقها عبر أكوام من أوراق الخريف، وتتلالأ فوقها شرفات وسطوح تدلّت منها نباتات معترشة.

أزهار متفتحة في كل مكان تعترضك في الدروب وفي أفنية المنازل. لقد نمت بدافع الحب الخالص وليس امتثالاً لقرار من البلديّة، ووجدت طريقها الى شقوق الجدران وتحت أشجار الصفصاف. المدينة كلها حلوة، هاجعة، أجواؤها ناعمة وحميمة.



ذكر وأنثى. كانت سوجو طوال قرون منارة لطلاب العلم وللعلماء. وفيها ينتج الحرير وتصنع أرفع أنواع ريش الرسامين. وكانت حُجَّة في أمور الملبس والكلام، ولهجتها الايقاعية المرحة ما زالت تثير الاعجاب، وما زالت نساؤها الرقيقات العظام يُعتبرن أجمل نساء البلاد. وكان موظفو الدولة في عهد سلالة مينغ يمضون فيها سنوات تقاعدهم، ينعمون بالعزلة والهدوء في حدائق تصونها أسوار مرتفعة، ويستغرقون في صقل نفوسهم وتهذيبها، فيتحدثون في الجمال ومقاييسه ويمارسون فن الخط ويدوّنون تعليقاتهم حول مواضيع أدبية وفنيّة كلاسيكية.

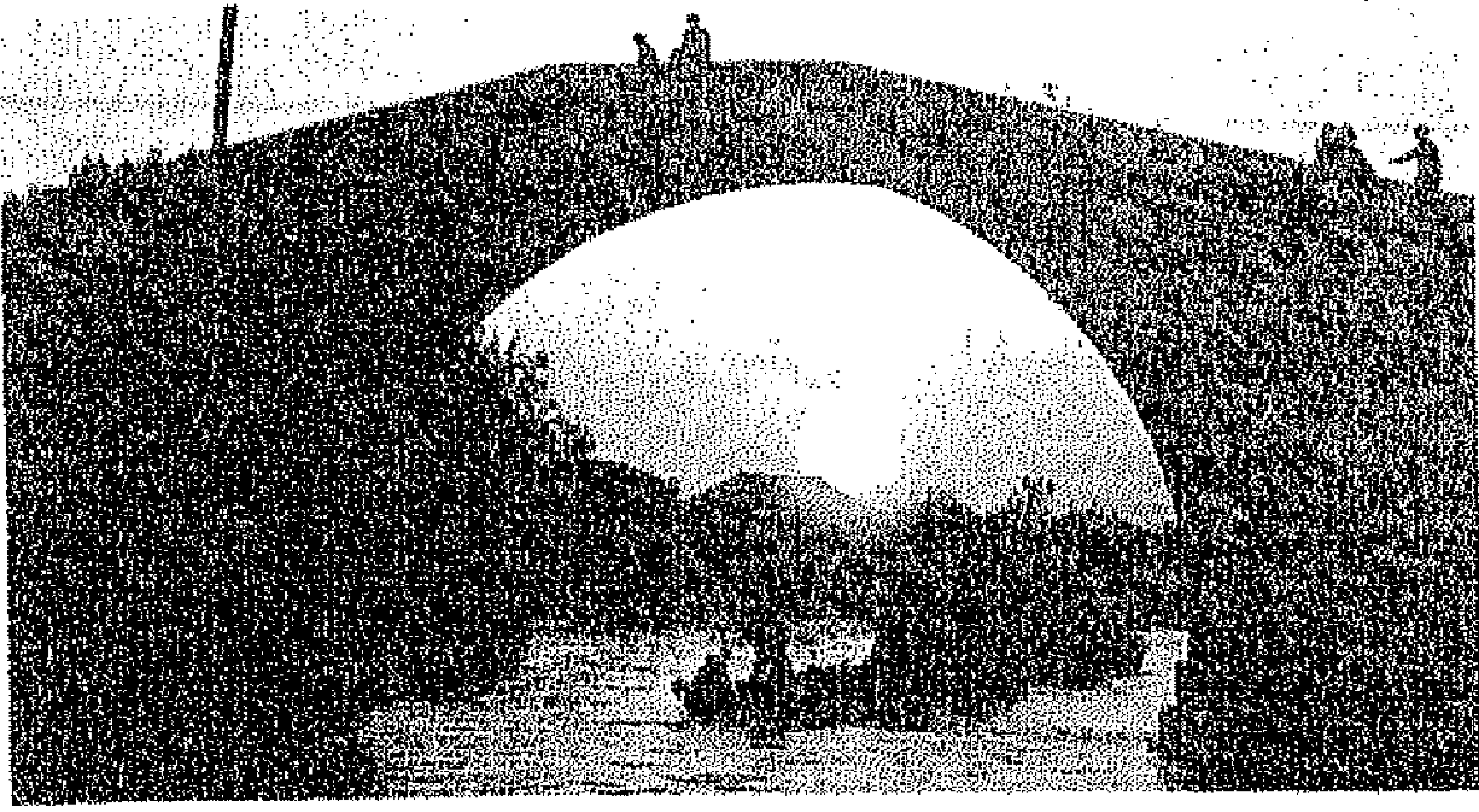
جاء في الكتيب السياحي الذي حملته أن جنائن سوجو "تبلور الحكمة الجماعية للناس العاملين في بلادنا." لكن الواقع أنها غير ذلك، فلهذه الحدائق خصوصية فيها كثير من المغالاة. فموظفو الحكومة والتجار والرسامون والشعراء الذين أبدعوا المدينة وسكنوا فيها تمتعوا بحسٍّ محافظ مرهف، وهم حرصوا على جعل حدائقهم في أماكن منعزلة، وأقاموا حولها جدرانا عالية لها بوابات متواضعة لا تلفت الانظار. فهم أرادوها بساتين يختلون فيها بأنفسهم، لا تتحكم بالطبيعة فتخضعها بل تعبّر عنها وتجلّها.

وحملت هذه المساحات الصغيرة معاني كبيرة. فكل حديقة صورة مصغرة للكون. عنصراها الرئيسيان الصخر (الهيكل العظمي للأرض) والماء (العروق) تتدافع فوقهما الفصول وتتزاحم الاشجار والنباتات وكل منها يرمز الى معنى سام.

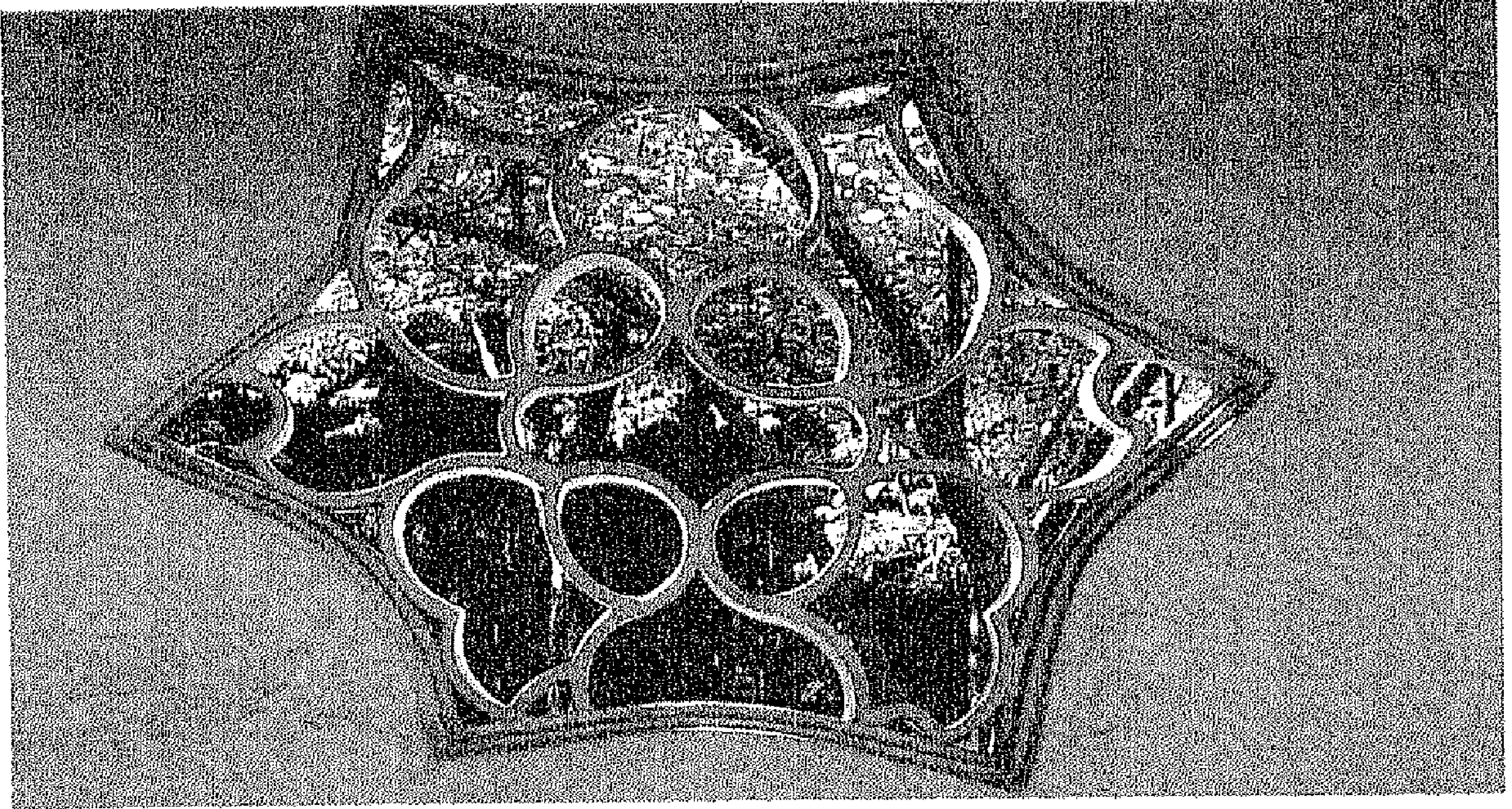
الصخور هي العنصر الأهم. وكانت أشكالها وتركيباتها تثير اهتمام الخبراء. وأجود الصخور وأثمنها كانت مغمورة في بحيرة تاي، فثقوبها وشقوقها المميزة التي شكلتها طَرْقات الموج تخلف لدى الناظر اليها انطباعاً بصرياً دائم التغيّر وشعوراً بأن جنوح الطبيعة واندفاعها محتشدان في تلك الصخور التي تجسّد "اليانغ" أي الذكر. أما الأُنثى أو "الين" فهي المياه الخيّرة في البحيرة. ومن اجتماع اليانغ والين تولد أجمل مشاهد الأرض وأكثرها تناغماً وانسجاماً.

المشي في تلك الحدائق أشبه بوطء أرض عذراء. فالدرب يفضي الى طبيعة سرّية تختفي فيها الخطوط المستقيمة. وتتلوى البحيرات ومجاري المياه وتتمعج حتى تختفي. وتغيب الجداول والسواقي تحت أجراف مصغّرة لتعود وتظهر كأنما من وراء تلال خفيّة. أما الدروب المتلوية فتمتد وتطول بجسور متعرّجة. وهذه الصور مجتمعة تترك في النفس سلاما لذيذاً.

ضيافة صينية. كنت قرأت أن سوجو نجت من فوضى "الثورة الثقافية" بين ١٩٦٦ و١٩٧٦ التي اضطهد فيها نحو ٣٠ مليون صيني وقضى منهم نصف مليون. وفيما أنا أتمشى بمحاذاة إحدى القنوات انغمست في حديث مع رجل قال لي: "لقد وصل الحراس الحمر الى هنا فعلا. ووُصمت عائلتي بالرأسمالية لاننا كنّا نملك أربعة محلات لتجارة الحرير.



(فوق) الغروب فوق سوجو. (تحت) نظرة الى "حديقة مقصورة الموج الاخضر." (اقصى اليسار) زائر في "حديقة الصياد."



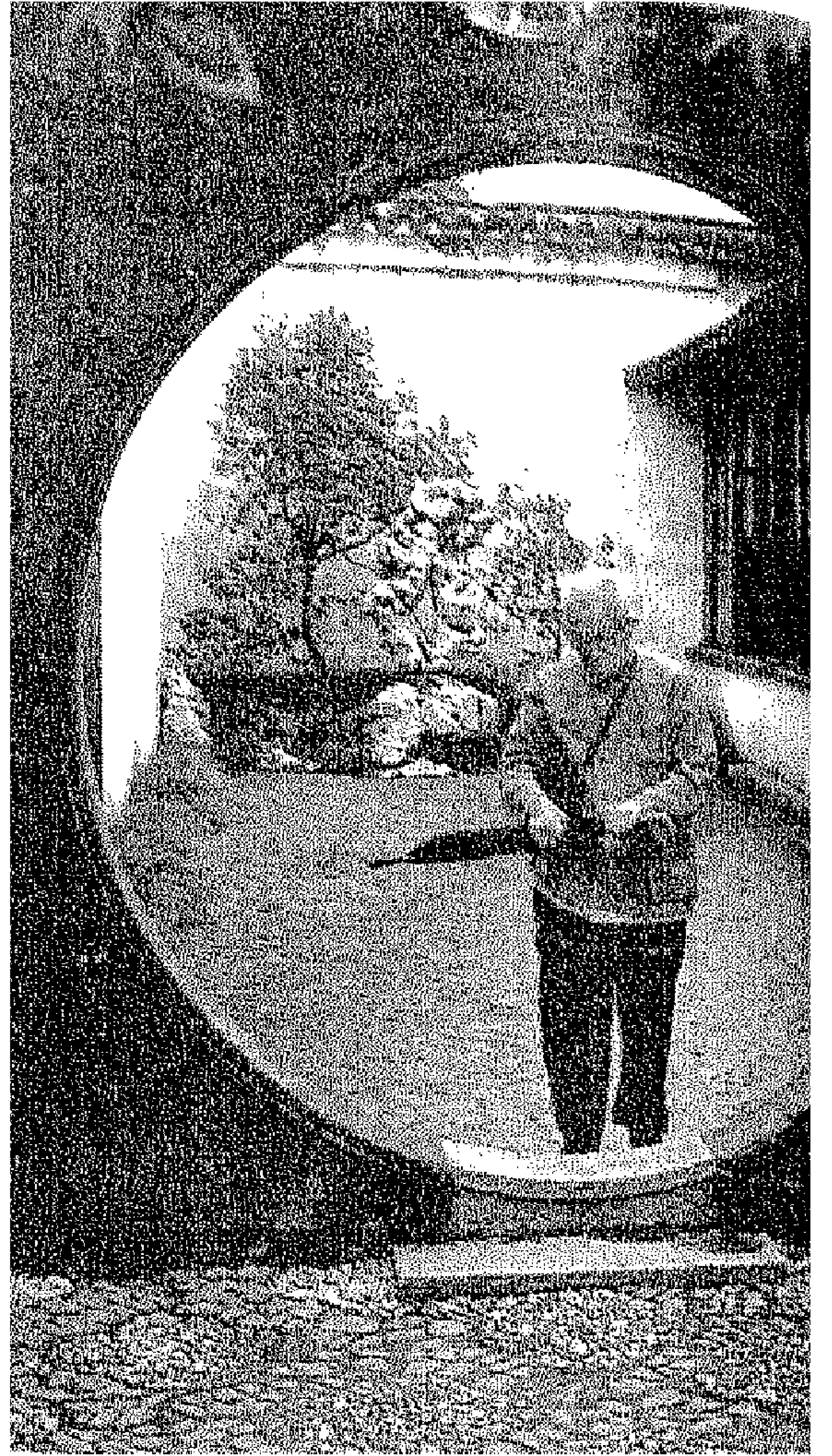
وقتل جدّي وشقيقي الاكبر ودمر كل شيء في المدينة، المعابد والتماثيل ومجموعات تحف فنّية يملكها أفراد عاديون."

كان شاباً لكنه تكلّم كأن هذه الامور حدثت بالأمس.

مع حلول المساء انزلق حديث رواد المطعم الى القيل والقال. وتجمهر الناس أمام دور السينما. وتنوعت أساليب الترفيه على الأرصفة بين سحرة ومشعوذين ومنصّات مرتجلة للرماية ورجل يرقص على عُقد أصابعه.

وكان معي عنوان أُستاذ جامعي اسمه زو يقطن في ضاحية خارج أسوار المدينة. قصدت منزله وقرعت بابه من دون موعد، ففتحت لي فتاة صغيرة تدلت من رأسها ضفيرتان غزيرتان، وأعلمتني أن والديها في الخارج وأن اسمها رينبو - سكاي (قوس قزح - سماء).

وجدت نفسي في شقة من ثلاث غرف، أثاثها اسرّة من حديد تتحول أرائك. أما الزينة الوحيدة فكانت بعض ملصقات وريشات طاووس في زهرية وحجراً من تلك الحجار المنقرة التي يعشقها الصينيون استقرّ في طبق من البلاستيك فيه ماء. قدّمت الي الفتاة كوب شاي وحلوى، ثم وضعت مجلّد صور العائلة في



بالنسبة اليهم دواء لجميع الامراض، لا بل هو هاجس عام. وهم يبدون في شأنه اهتماماً يفوق اهتمام الامم التي ابتليت بمجاعة. وغالباً ما يتبادلون التحية بالسؤال: "هل أكلت؟" بدلا من السؤال عن الصحة والاحوال.

كانت رؤوس أفراد الاسرة تلتفت بين الفينة والاخرى الى الوراء حيث جهاز التلفاز الذي تسارعت البرامج على شاشته بايجاز وفوضى وتخللتها اعلانات لساعات يد ومستحضرات تجميل وزينة وأجهزة ستيريو وكلها تحمل أسماء مزيفة لطرازات غربية.

فكّرت في التأثير الهائل الذي يحدثه التلفاز في سكان المناطق الصينية النائية، حيث أبعد ما وصل اليه السكان في الماضي القريب لم يتعدَّ سوق البلدة المجاورة، وفجأة انهال عليهم ذلك الدفق من الافكار المختلفة.

حضنني وانصرفت الى دروسها.

ما ان وصل زو وزوجته وابنه حتى غمرتني العائلة بضيافتها، وهذا يعني طعاماً. أزال زو ما كان على طاولته، وللحال شكل أفراد العائلة ورشة لصنع الزلابية. فوقفت رينبو - سكاي في طرف وراحت ترقّ العجين ووقف شقيقها في الوسط يتناول منها العجينة فيلفها ويقطعها دوائر، فيتسلمها والده الذي تولى حشوها وصفها (اكثر من مئة قطعة) على صوانٍ لتأخذها زوجته وتغليها.

راقبتهم بتعجّب وإعجاب. فبين الصينيين والطعام علاقة عاطفية. والطعام

ليلة مثل هذه. في نهاري الأول في سوجو وجدت الحدائق غارقة في بحر من السياح والمتفرجين، هي التي ما وجدت أصلا الا توسلاً للعزلة والأنفراد. وقد بدت بألوانها الخضراء والرمادية الباهتة كرسم لمنظر طبيعي في الريف الصيني. لقد داست الاقدام سحرها. أسرعت الخطى الى الزوايا البعيدة والكآبة تملأ نفسي. كان مشهد الافق من خلال الاشجار مختلفاً من كل زاوية، لكنه لم ينجُ من الانتهاك، فالمصورون المحترفون صادروا النقاط المشرفة التي صممت بدقة ورهافة. ولا بد أن رأسي ظهر في

صور لا تحصى التقطها الزوار بعضهم لبعض في أوضاع مختلفة أمام الخيزران، وهي صور ربما كانت مرضية لولا رأسي الغاضب ذاك.

في الصباح الباكر من اليوم التالي قبل تدفق الحشود، تسلّلت الى حديقة عمرها ٢٠٠ سنة تدعى "حديقة سيّد شِباك الصيد." وهناك في مساحة لا تتعدى نصف هكتار زللت في هوة الزمان.

في الفناء الخارجي انتصبت صخور هامدة ساكنة. وثمة رواق يفضي الى فرجة صغيرة بين الاشجار، ثم تتفرع الدرب. بعد ذلك تحتار العين أمام الامكانات والمفارقات في كل مكان. وعلى بعد خطوات قليلة يتكشف المنظر عن مداخل وبوابات وشعريات تظهر من سطيحة. وخلف افاريز سوداء تسطع شجرة وحيدة وتتألق.

وفي غرف الدارة وقاعاتها بدت النوافذ كأنها جزء من الجدران المطليّة بماء الكلس في الخارج. ومن الغرف المظلمة تلألأت الصخور وأوراق الشجر كأنها صورة ضمن اطار. هنا كان الموظفون المتقاعدون في الامبراطورية الصينية القديمة ينعمون بسباحة هانئة في بحر الخيال، يصقلون اتزانهم ويتبادلون رسوماً خُطّت بالحبر، ويقلّبون بحنان نُسخاً نادرة طبعت من كليشيهات خشبية. وفي جلساتهم المؤنسة البعيدة عن التكلف يحلو لشاعر أن ينظم بعض أبيات، فينحتها أحدهم في صخر أسود مصقول يثبت في حائط قريب. وتتكاثر القصائد فتبدو الحديقة مثل لوحة للتسلية تتسابق عليها إلماعات أدبية.

أرض كالفضة بلا غبار،
أقحوان كالذهب في أوج إزهاره،
وعلى الطحلب المكسو بالأشنة
يسقط الاجاص الليلكي والبلح الأحمر.
شعاع من مياه الخريف وقمر مستدير.
ألست آتياً يا صديقي
في ليلة مثل هذه؟

في ليلة مثل هذه يتوهج النور داخل نوافذ الاكشاك فتبدو كزخارف مشجّرة وسمت على ورق الرز أو على عرق لؤلؤ شبه شفاف. ويجلس السمّار حول البحيرة يتأملون القمر وهو "يغسل روحه" وينقّيها على أنغام أوتار العود وغرغرة الشراب.

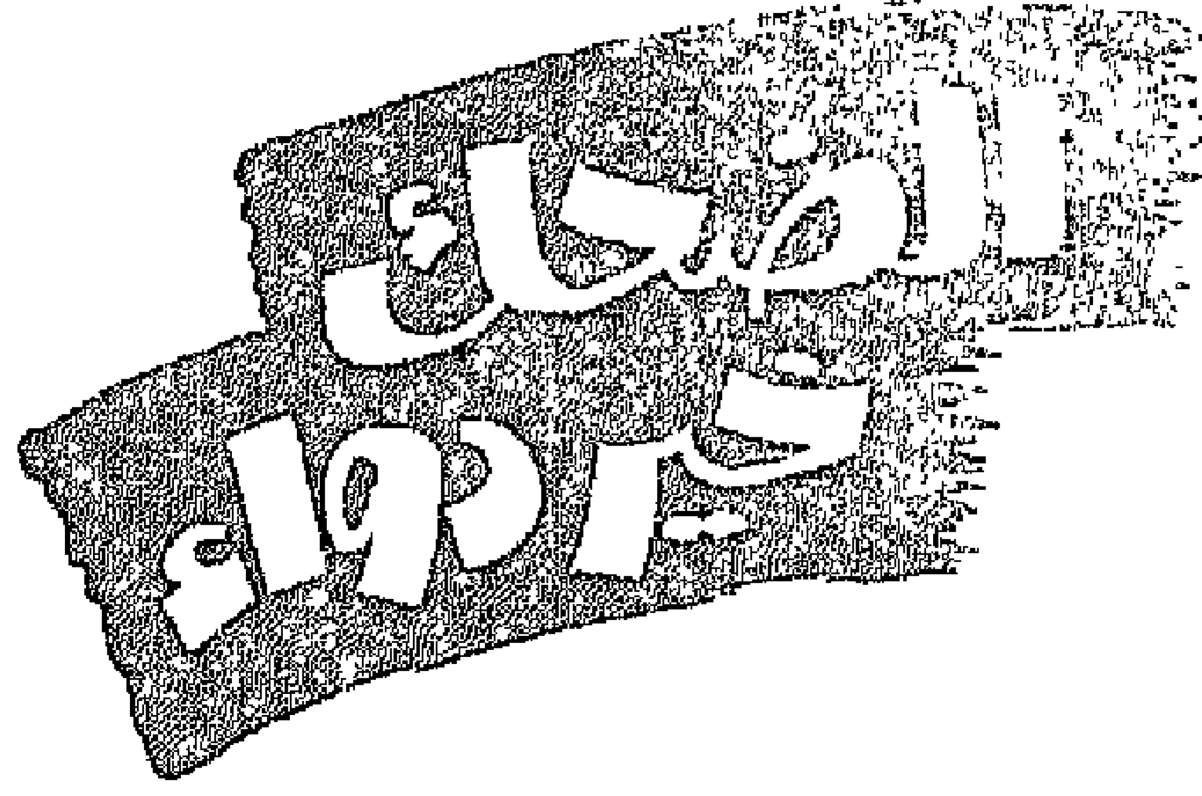
وهناك قول مأثور: إذا رام رجل سعادة أسبوع فليتخذ لنفسه زوجة، أما إذا أحبّ أن يسعد طوال العمر فليغرس حديقة.

كولين توبرون ■

القاضي وأستاذ الموسيقى

نظر القاضي الى المتهم وسأله: "ألم أرَ وجهك من قبل؟"
فأجابه المتهم وهو يأمل خيراً: "بلى يا سيدي القاضي، فانا من اعطى ابنك دروساً في العزف على الكمان الشتاء الماضي."
فقال القاضي: "آه، الآن تذكرتك." ثمّ حكم عليه بالسجن عشرين سنة.

ب.ك.



مريض القهوة

■ قال مريض لطبيبه: "كلما شربت فنجان قهوة انتابني ألم حاد في عيني اليمنى. ما العمل يا دكتور؟"
فأجابه الطبيب: "أخرج الملعقة من الفنجان."

س.ج.

زوجة حنون

■ استقبلت امرأة زوجها بحنان عند مدخل البيت بعد يوم عمل شاق أمضاه في المكتب. فبادرته: "لا بدّ أنك مرهق وجائع يا حبيبي. ما رأيك في طبق من اللحم المشوي على الفحم مع بطاطا مقلية وسلطة تتبعها قطائف محشوّة باللوز والسكر؟
فأجابها: "لا، شكراً، فأنا مرهق وأفضل تناول العشاء في البيت."

أ.ب.ل.

كرم بخيل

■ انزعج مزارع بخيل من أجير لديه كان يتوقف عن العمل لكي يتناول وجبات الطعام. فقال له ذات صباح بعد الفطور: "إنه لأمر مزعج أن نعود من الحقل ونغسل أيدينا ونمضي الوقت في تناول طعام الغذاء. لماذا لا نوفر الوقت ونتناول الغداء الآن؟"
فوافقه الأجير الرأي. وأحضرت زوجة المزارع طبق لحم وبطاطا مقلية، فأكل الرجلان ثانية. وبعد انتهائهما قال المزارع:
"ما دمنا جالسين الى المائدة، فلنتناول طعام العشاء أيضاً." فقدّمت اليهما شرائح اللحم مع البطاطا المسلوقة والخضر، وأكل الأجير مرة ثالثة.
ثمَّ قال المزارع: "الآن وقد تناولنا الوجبات الثلاث ولم يعد لدينا ما يعيقنا، نستطيع العمل طوال النهار من دون توقف."
فأجابه الأجير: "لا، بالله عليك، فأنا لا أعمل بعد العشاء."

و.غ.

موظف مثالي

■ سأل رجل صديقه: "هل أعجبتك وظيفتك الجديدة في المصنع؟"
فصاح الصديق: "لن أعود الى ذلك المصنع ثانية."
- لماذا؟
"لأسباب عدة. فالعبارات البذيئة والقذارة ورداءة العمل أمور لا يتحملونها."

م.ل.

عضة ثعبان

■ سأل ثعبان صغير أمه: "هل نحن سامّان؟"
فأجابته: "نعم يا حبيبي، لماذا تسأل؟"
قال: "لأنني عضضت لساني!"

م.ك

خدعة العصر

حذار، النجوم الرياضيون قد يشكلون خطراً على صحتك

لاعبات كرة المضرب المحترفات هن اليوم رموز للياقة البدنية الرائعة. والدليل الصحافي للاتحاد النسائي الدولي لكرة المضرب، الصادر عام ١٩٨٩، زاخر بصور رياضيات في ذروة اللياقة الصحية. فها هي مانويلا ماليفا منحنية لتطلق ضربة، وهذه هانا ماندليكوفا تتأهب لرد ضربة، وتلك غبرييلا ساباتيني تسدد رمية ساحقة.

ونحسد ساباتيني للقوة التي تعرضها ولجبروت ذراعيها وصلابة بنيتها. وهذه الخصائص تحديداً هي التي تجعلها موضع اعجابنا وتحملنا على التوقف لحظة للنظر الى صورتها. ونقلب صفحات الدليل فنرى ساباتيني حاملة كأساً ضخمة تمثل امرأة أنيقة ممشوقة في احدى يديها مضرب وفي الاخرى سيجارة. وفوق الصورة عبارة: "بطولة دورة فيرجينيا سليمز."* والواقع أن كثيراً من الصفحات الرياضية والبرامج التلفزيونية الرياضية يبرز رياضيات أمثال ساباتيني وهن يعرضن مواهبهن أمام لافتات تروّج للسجائر.

إن هذا لمستهجن حقا، اذ ان تدخين السجائر يفقد اللاعبين اللياقة التنفسية التي تتطلبها الرياضات الحيهوائية (ايروبيك) ككرة المضرب. وتدخين السجائر، كما ورد في تقرير رسمي حديث لمديرية الصحة العامة في الولايات المتحدة، هو المسبب الرئيسي للوفاة،

(*) «Virginia Slims» ماركة سجائر من انتاج "فيليب موريس" تستهدف سوق الاستهلاك النسائية.



وتحديداً بأمراض القلب والرئتين.

ان رياضيات "فيرجينيا سليمز" اللواتي يشاركن في دورة تقام برعاية صنف معين من السجائر ويقبضن مبالغ ضخمة من شركات سخية لصنع السجائر، لسن سوى قلة من الذين يشملهم الترابط الوثيق بين التبغ وعالم الرياضة. وهناك عدد متزايد من الرياضات التي "تعير" صور لاعبيها كنماذج جسدية رائعة لشركات التبغ التي – وفق تقدير خبراء الصحة – تقتل منتجاتها نحو ألف شخص يومياً في الولايات المتحدة.

تلاحم خطير. يستغل صانعو السجائر الاحداث الرياضية بطرق شتى تترجح بين الاعلانات المعروضة على جدران الملاعب وابتكار أحداث مثل "سباق ونستون" للسيارات أو "سباق مارلبورو" للتزلج. وإعلان "فيرجينيا سليمز": "لقد نجحت الى حد بعيد يا فتاتي،" هو بمثابة تهنئة ذاتية لنجاحها الباهر في إشراك بعض أفضل الرياضيين والرياضيات في الدعاية لترويج بضاعة تؤدي بمستهلكيها الى أمراض قاتلة.

لم يكن بمقدور أباطرة السجائر القيام بذلك لوحدهم، اذ انهم احتاجوا الى تضامن الرياضيين وقد حصلوا عليه.

كذلك احتاجوا الى مساعدة الصحافيين الرياضيين فحصلوا عليها. وأهم من ذلك مؤازرة شبكات التلفزة التي على رغم علمها التام بحظر بث اعلانات السجائر، لم تتورع عن اظهار ملاعب مزدانة بأعلام "مارلبورو" وسيارات سباق تحمل لافتات مصورة لسجائر "كامل" ومسؤولين يعلقون شارات "ونستون."

ان تلاحم عالم الرياضة بعالم صناعة السجائر أفرز ثلاثة عوامل خبيثة على الاقل. الاول، وربما الاكثر اثارة للقلق، أنه يحجب العلاقة بين السجائر والمرض. فاذا ذكرت سجائر "فيرجينيا سليمز" تبادرت الى كثيرين من الناس صورة كريس أيفرت لا صورة جناح السرطان في مستشفى. (وقوة الايحاء هذه هي التي تجعل نجم كرة القدم البرازيلي بيليه يتمنّع عن الوقوف قرب لافتات السجائر لالتقاط صور له.) والعامل الثاني هو أن هذا التلاحم يساعد شركات التبغ على اختراق سوق الشباب، فهي في حاجة ماسة الى مراهقين مدخنين لأن قلة من الناس تبدأ تعاطي التدخين بعد بلوغ سن الرشد، لذا تراهن شركات التبغ على افتتان المراهقين بنجوم الرياضة. والعامل الثالث هو ايصال اعلانات السجائر الى شاشات التلفزة.

حملة مدروسة. حين صدر تشريع في الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ يحظر اعلانات السجائر في شبكات التلفزة، واجهت الشركات المنتجة عائقاً يحول دون اقناع الناس بأن التدخين يقود الى السعادة، فزاد ذلك دعاياتها تعقيداً. وفي وجه التحدي الاقتصادي المتمثل بصعوبة تعويض ألف شخص يموتون يومياً من جراء تدخين منتجاتها، تحولت الشركات الى توظيف جزء من موازنتها الدعائية البالغة ٢٥٠ مليون دولار في ذلك التاريخ في رعاية الاحداث الرياضية. وسرعان ما استعادت قدرتها الاعلانية على الهواء، اذ ولدت "دورة فيرجينيا سليمز" عام ١٩٧٠ وولد "سباق كأس ونستون" للسيارات عام ١٩٧١ و"سباق مارلبورو" للخيل عام ١٩٧٣.

ومن الألعاب الرياضية التي اخترقها منتجو السجائر:

كرة القدم. توفّر هذه الرياضة شعبية دولية لصانعي السجائر فيما هم ينمّون تجارتهم في العالم الثالث. فقد كانت سجائر "كامل" التي تنتجها شركة «RJR» أحد الرعاة الاربعة الرئيسيين لدورة كأس العالم عام ١٩٨٦ في المكسيك. وبذلك أتيحت لها الفرصة لنصب أربع لافتات "كامل" ترتفع سبعة أمتار في كل من ١٢ ملعباً في تسع مدن مكسيكية. أما نهائي الكأس في مدينة مكسيكو فنقلت التلفزة وقائعه بواسطة الاقمار الاصطناعية وشاهدها نحو ٥٨٠ مليون شخص لم تفتهم ملاحظة تلك اللافتات التي تحمل اعلانات "كامل".

البايسبول (كرة القاعدة). لشركات السجائر ملصقات اعلانية في ٢٢ من أصل ٢٤ ملعباً رئيسياً في الولايات المتحدة، وهي تحتل مواقع مثالية تركز عليها آلات التصوير أثناء النقل التلفزيوني. ففي "ستاديوم شيا" في نيويورك، مثلا، تلتقط الكاميرا صورة أحد اللاعبين السائرين الى مراكزهم في الملعب، والى جانبه لافتة "مارلبورو". وفي "بارك فنواي" في بوسطن لافتة لـ"صندوق جيمي" لأبحاث السرطان وبقربها لافتة معلّقة لسجائر "مارلبورو."

ويحظر اتحاد فرق البايسبول المحترفة على لاعبيه التدخين في الملعب وعلى مقاعد اللاعبين الاحتياطيين. فلماذا اذاً لا تحظر اعلانات السجائر في ملاعبها؟

سباقات السيارات. منذ العام ١٩٧١ وشركة التبغ «RJR» هي الراعي الرئيسي لمباريات "كأس ونستون" باشراف "الجمعية الوطنية لسباق السيارات." يقول واين روبرتسن أحد المسؤولين في شركة «RJR»: "اننا لا نتعاطى تجارة اللوازم الرياضية، كل ما نفعله هو استخدام الرياضة وسيلة لترويج منتجاتنا. ونلاحظ زيادة في مبيعاتنا في أثناء الاحداث الرياضية وبعدها."

ومن المناسبات الرياضية الاخرى المشمولة بالرعاية "كأس RJR للغولف" و"سباق سالم للقوارب الشراعية" و"بولنغ لاكي سترايك" و"روديو ونستون" و"دورة بنسون اند هدجز للتزلج على الجليد."

المال يولد اللامبالاة. مثلما يتعين توافر حالة فيزيولوجية ملائمة للسرطان كي يفتك بالرئة، كذلك يقتضي توافر مناخ صحافي ملائم للتسلط على عالم الرياضة. وهذا المناخ وفّره الى حد بعيد المعلقون الرياضيون. والعاملان الرئيسيان اللذان أديا الى احلاله، هما اللامبالاة والتسويغ العقلاني. (انها سلعة مشروعة. وللناس أن يقرروا خياراتهم الخاصة.)

ثم ان هناك واقعاً أساسياً في الصحافة عموماً هو أن الناشرين يستسيغون الدخل الذي يجنونه من اعلانات السجائر، وقلة ضئيلة منهم تعتبر الحملة ضد السجائر نعمة لمصالحها. كيف بدلت ايرادات اعلانات السجائر مواقف عالم الصحافة؟ فلنسمع آراء جورج غروس نائب رئيس دار النشر "ماغازين بوبلشرز اوف اميريكا" الذي حذر الكونغرس الامريكي اخيراً من أن القيود الجديدة المقترحة على اعلانات السجائر في الجرائد والمجلات تقلص معرفة الناس لاخطار التدخين. قال: "ان التحذيرات الصحية المهمّة المرفقة بجميع اعلانات التبغ في الصحف ستفوت ملايين القراء."

يا للحجة التي لا تردّ!

في غضون ذلك بينت المعلومات التي جمعها باحثو كلية الصحة العامة في جامعة ميشيغن عام ١٩٨٦ أن ليست هناك فئة من المجلات أكثر اعتماداً على اعلانات السجائر من المجلات الرياضية. فقد أمَّنت هذه الاعلانات ١١،٣ في المئة من دخل المجلات الرياضية في الولايات المتحدة، بعدما كانت هذه النسبة ٢،١ في المئة عام ١٩٦٦ قبل حظر الدعاية في شبكات التلفزة. وبلغت النسبة من دخل مجلة "سبورتس إلوسترايتد" الجبارة ١١،٤ في المئة أي ٢٨ مليون دولار سنوياً.

وكانت نتيجة ذلك تحويل انتباه العموم عما تفعله شركات التبغ في الواقع: إغراء الناس، وخصوصاً الشباب، بشراء مخدر إدماني يقود الى الموت. في مجتمعنا اليوم يلاحَق تجار المخدرات ويُحتقرون ويُنبذون. لكن الأمر يختلف في ما خصّ بائعي السجائر، لان الرياضيين يضفون عليهم مسحة من الاحترام الغالي جداً والذي لا يسعهم نيله بسبلهم الذاتية.

ويبدي ممثلو شركات التبغ شعوراً بالاساءة والانجراح لدى الاشارة الى أنهم يخططون لإغراء الشباب، حتى ان "معهد التبغ" يموّل برنامجا تثقيفيا يقدم، من بين أمور أخرى، معلومات لتجنيب المراهقين عادة التدخين. يقول ستيف فايس الناطق باسم شركة "فيليب موريس" مقتبساً جانبا من خلاصة تقرير مديرية الصحة العامة في الولايات المتحدة للعام ١٩٨٩ عن عواقب التدخين: ليست الاعلانات ونجوم الرياضة السبب الذي يغري المراهقين بالتدخين، بل السبب هو "الرغبة في التشبه بالأصحاب." وكأن هذه الرغبة هبطت من الفضاء الخارجي من دون أن تكون لها صلة بسيارات السباق ونجوم كرة المضرب!

المطلوب: موقف حازم. ان قبول الرياضيين أن يكونوا أمثلة تُحتذى لا يتمثل في نشاطهم الترويجي وانما في صمتهم المطبق، الضروري لتأمين نجاح بائعي السجائر. ويدعي معظم الرياضيين أنهم يولون القضية قليلا من الاهتمام، ولكن ما زعم بيلي جين كنغ وكريس إيفرت ومارتينا نافراتيلوفا، النجمات الثلاث البارزات في رياضة متلاحمة مع شركة سجائر؟ ان الجواب المعتاد هو: اننا لا ندخن، ولا نطلب من الناس أن يدخنوا بمجرد كوننا تحت رعاية "فيرجينيا سليمز."

لكن سيطرة شركات التبغ على الرياضة ليست كاملة، اذ حصلت انتفاضة مثيرة في كندا. ففي موسم ١٩٨٣ – ١٩٨٤ عمدت شركة "RJR ماكدونالد" وهي فرع من شركة «RJR» للتبغ الى التعاقد على أن يكون صنف سجائرها "اكسبورت A" الراعي الرسمي لـ"الدورة الوطنية لجمعية التزلج الكندية." وقد نصّ العقد الاساسي على

أن يكون للراعي "الحق الحصري للاعلان عن ذاته أو عن منتجاته على الرايات والاعمدة ولافتات السباق ولوحات النتائج ومنصات الجوائز وأعلام الانطلاق والأبنية وأنحاء الملعب الخلفية." وعلى الجمعية "أن تبذل قصارى جهدها لعرض الاحداث في شبكات التلفزة الوطنية."

لكن بعض المتزلجين ثاروا معترضين على إسناد الرعاية الى شركة تبغ، فجرى لاحقاً تعديل نص العقد. وساهمت هذه المشادّة في اصدار حظر لكل اعلانات السجائر في كندا. وكان كين ريد الذي مثل كندا مرتين في مباريات التزلج الاولمبية ويعمل الآن مذيعاً، أحد قادة المعترضين. سألته عن رأيه في زعم شركات السجائر انها تروّج فقط لاقناع المدخنين بجودة سجائرها، نافية تشجيعها الفتية على التدخين، فقال: "هذا هراء، فانك حين تستخدم الرياضة تؤثر في الشبيبة."

ان المجموعة الصغيرة في شبكات التلفزة، التي يتحكم أفرادها ببرامج الرياضة، تتمتع بسلطة فريدة في حقل التبغ والرياضة. وليس على مديري شبكات التلفزة الرئيسية الا أن يقولوا: "هاي! هذا اعلان عن السجائر! لا تعرضوه!" فتنتهي اللعبة.

وبانتفاء المؤثرات المضخّمة للبث التلفزيوني تبرد حمى السجائر الرياضية المتفشية منذ ٢٠ سنة. وقد يغيب بعض الاحداث الرياضية البارزة نتيجة لهذا الشفاء. ولكن، اذا لم يكتب البقاء لدورة في كرة المضرب أو لسباق خيل أو سيارات، أفلا يعني ذلك أنه كان دعاية للسجائر اكثر منه حدثاً رياضياً؟

جايسون دوبارل ■



نقد مشروط

لم يسمح لزوجي بقيادة السيارة خلال فترة تماثله من نوبة قلبية. فعرضت عليه مرة أن أنقله من مزرعتنا الى المدينة بشرط ألا ينتقد قيادتي.

حافظ زوجي على صمته التام بعد انطلاقنا، الى أن عبرنا جزءاً من الطريق مليئاً بالحفر، فقال بهدوء: "لقد فاتتك واحدة."

ل.ب.

قانون النسبية

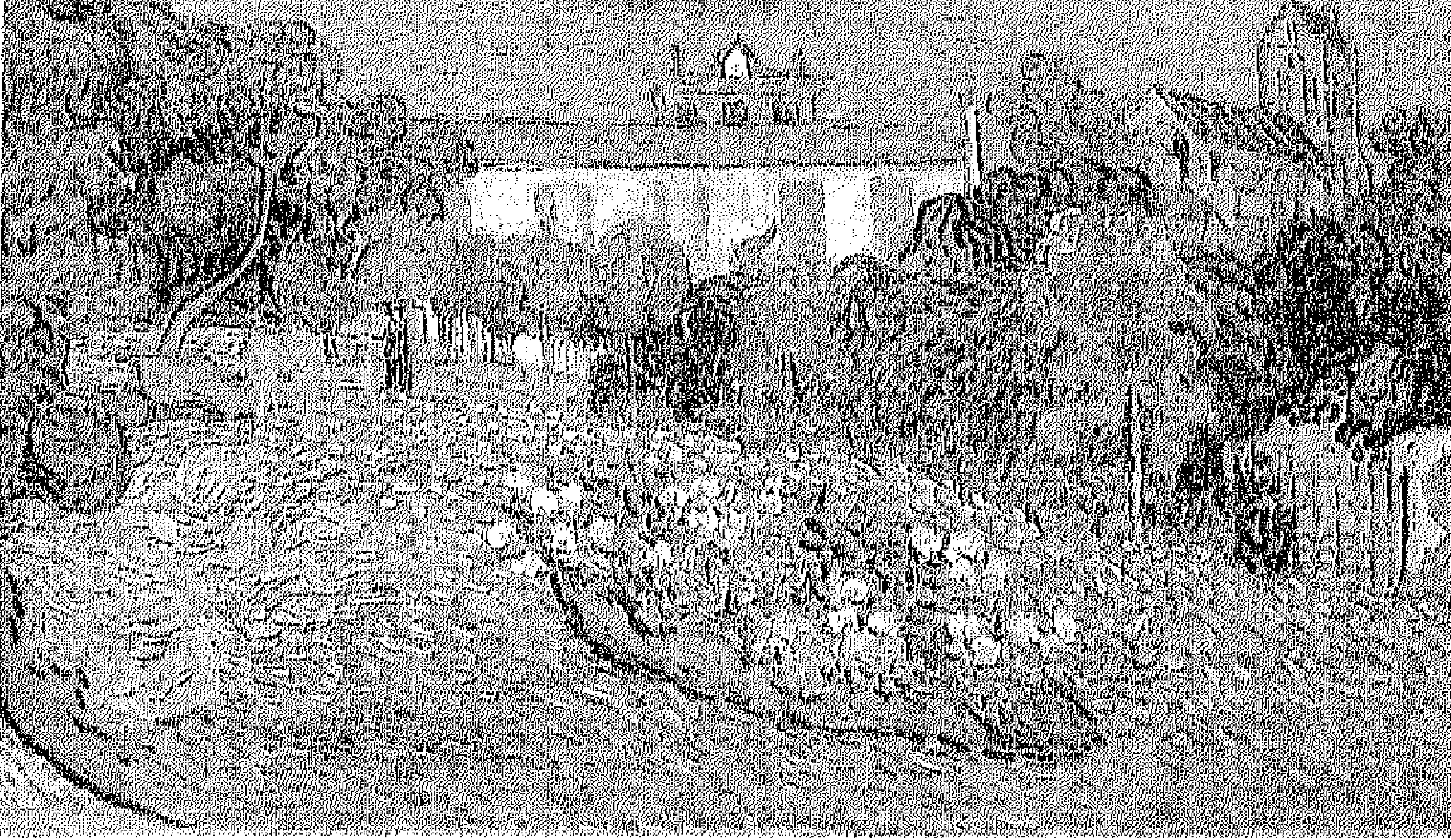
أقنعت أختي والدتنا بصبغ شعرها الشائب. وأعجب به الجميع ما عدا أبي، فسألته: "لماذا لا يعجبك يا أبي، ماما تبدو أصغر خمس عشرة سنة."

فأجاب: "أعلم ذلك، فأنا من تبدو أصغر منه بخمس عشرة سنة."

ف.ك.

أوفير ملهَمة الرسّامين

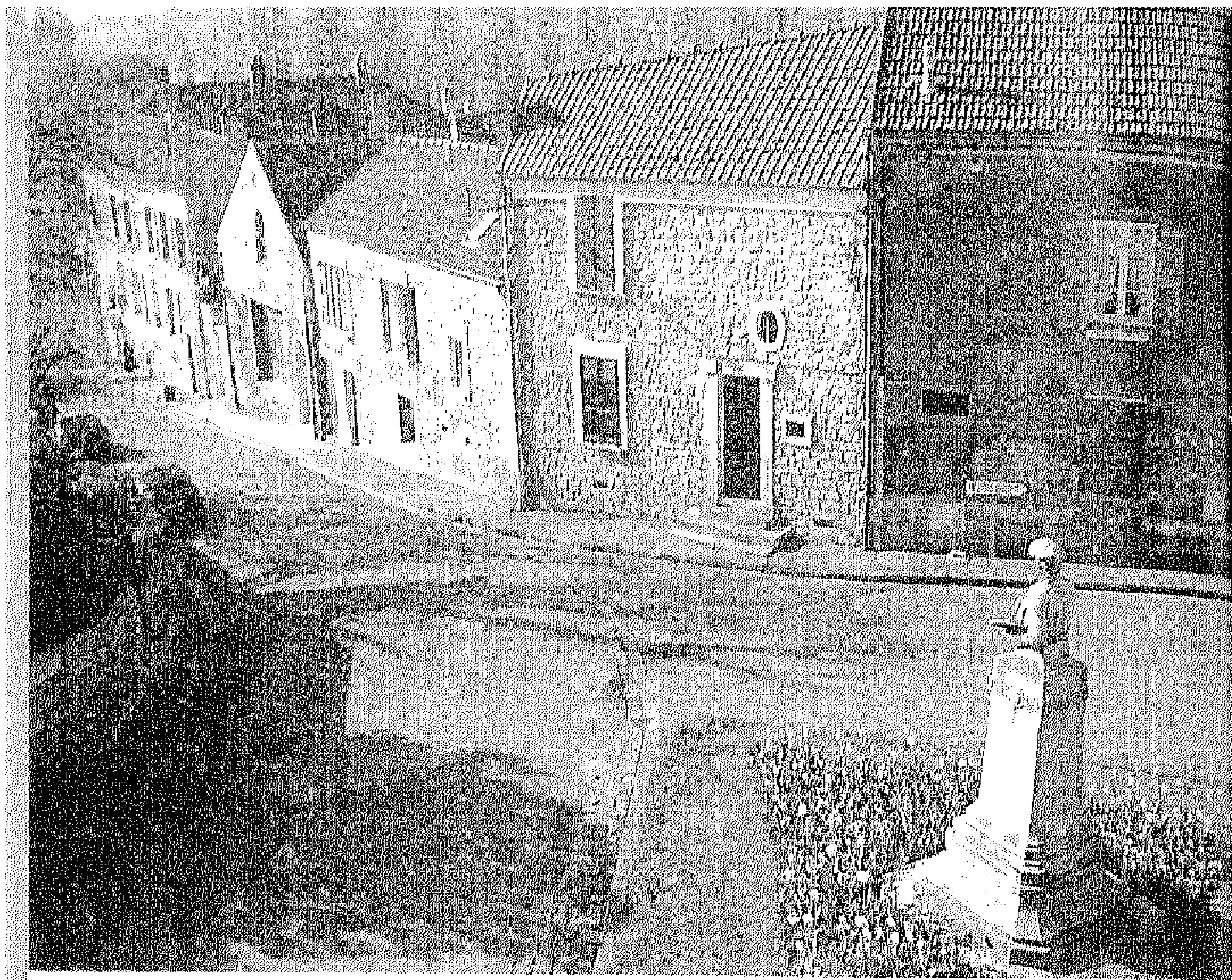
عرفها فان غوغ وسيزان ودوبيني ودوميه وبيسارو وآخرون



حديقة دوبيني (١٨٩٠) للرسام فنسنت فان غوغ.

تخيَّل أنك حللت بقرية عاش فيها رسام شهير في التاريخ. وأن النزل الذي أقام في احدى حجراته ومات فيه على نحو غريب لا يزال ماثلا في مكانه مشرفا على مبنى البلدية الذي رسمه. وافترض أيضا أن الفنان مدفون إلى جوار أخيه في الجبانة الواقعة عند طرف القرية بين حقول القمح التي جعلها الرسام بلوحاته مأنوسة للعالم، وعلى بعد نزهة قصيرة ترتقي فيها الرابية التي تطل من احدى تحفه الفنية المشهورة. وأن القرية تلك تقع على أقل من ٤٠ كيلومتراً من احدى المدن الاكثر ارتياداً في العالم، وأنها لا تزال تبدو كما كانت قبل مئة عام، حين رسمها هذا الفنان وسواه...

ذاك كله قد يكفي وصفا لمتنزه تاريخي في مدينة كبرى. أما في "أوفير – سور – واز" بفرنسا فهو يحكي قصة يوم في الريف يمضيه المرء على انفراد. لقد ذكر الرسام الهولندي فنسنت فان غوغ في رسالته الى أخيه ثيو بعد بضعة أيام على استقرار مقامه في أوفير في شهر مايو (أيار) ١٨٩٠: "هاهنا المرء على مبعدة كافية من باريس ليشعر بأنه في الارياف حقا." ثمة أكواخ ودور حديثة لأهل الطبقة الوسطى، ساطعة،



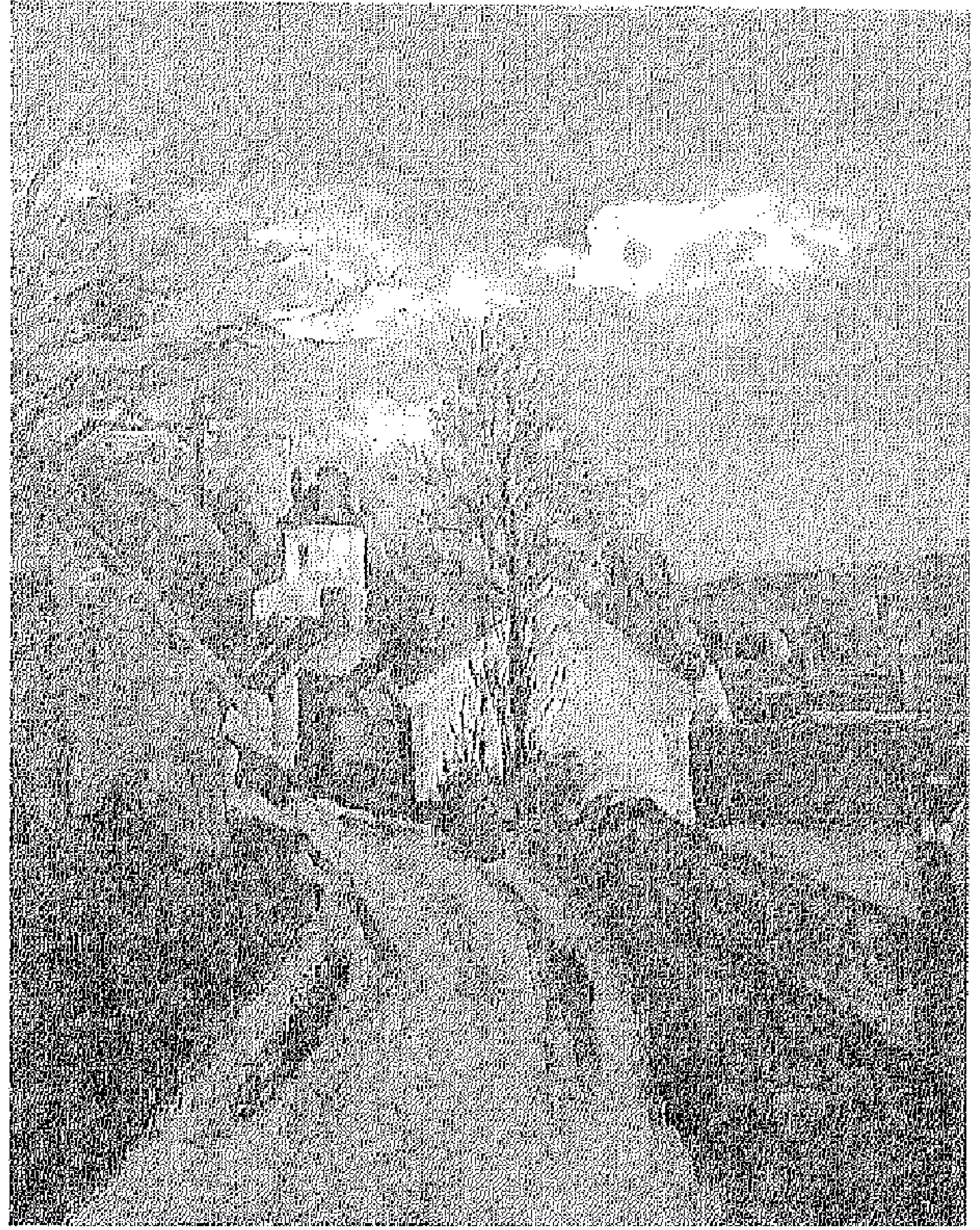
اجتذب انتقال شارل فرنسوا دوبيني إلى أوفير رسامين آخر. وهنا تمثاله النصفي.

مشمسة، تغطيها الازهار. والجو ينضح صحة وعافية. ولا مصانع، بل خضرة وافرة معتنى بها وذات جمال.

وببعض ترفق في الحكم، فإن فان غوغ كان سيجد أوفير – سور – واز اليوم كما عهدها سابقاً. اذ قد أتاها "كالشهاب فأضاءها إلى الأبد،" كما يردد بعض أهليها. وفي نحو ٧٠ يوماً رسم قرابة ٧٠ لوحة عن القرية وجوارها والمقيمين فيها. وقد قصد أوفير – سور – واز فنانون آخرون ليرسموها، أمثال دوبيني ودومييه وكورو وبيسارو وسيزان وموريسو.

ويمكن القول إن أوفير وسفوح روابيها والاراضي الزراعية التي تحف بها في محاذاة نهر واز، يزورها الناس على الدوام ويسرحون الطرف في مناظرها في عدد من متاحف الفنون في العالم، مثل متحف "دورساي" في باريس ومتحف "متروبوليتان" للفنون في نيويورك والـ"ناشونال غاليري" للفنون في واشنطن و"تايت غاليري" في لندن و"كونستموزيوم" في بال بسويسرا و"المتحف الوطني" في استوكهولم ومتحف "هرميتاج" في لينغراد، وهي قليل من كثير. وتنتشر صور أوفير في

PHOTO: CHRISTIAN ARBELOT



MUSEE D'ORSAY, R.M.N.

لوحة "بيت الدكتور غاشيه في أوفير" (١٨٧٣) لبول سيزان.



CHRISTIAN ARDELOT

بيت الدكتور غاشيه كما يبدو اليوم.

ألوف من كتب الفنون وملايين البطاقات البريدية.

ومع ذلك لا تزال القرية مجهولة الى حد بعيد.

قبل يوم من زيارتي الأولى لقرية أوفير وقفت أراقب جماعات من الزوار في متحف "دورساي" اذ يمشون بتثاقل أمام مشاهد مصورة للقرية. وكانت في المتحف لوحات "كنيسة أوفير" لفان غوغ و"طريق فرعية في شارع ريمي بأوفير" لسيزان و"بيت المشنوق،" اضافة الى اللوحة النازعة الى الكآبة لفان لغوغ بعنوان "الدكتور بول غاشيه" وهي نموذج احتذاه عدد من الفنانين الذين قصدوا المكان، وهناك أيضاً "حديقة الطبيب" لفان لغوغ أيضاً و"بيت الطبيب" لسيزان.

في اليوم التالي خوت أوفير - سور - واز من المعجبين. هاته القرية التي تحتضن ملهمات فان غوغ والطريق المتشعبة وبيت المشنوق ومنزل الدكتور غاشيه، هي مرتع لفكر كل من يود أن يتأمل براحة. أوفير، بالطبع، ليست تماما كما تبدو في لوحات رسمت قبل قرن. ولم تكن كذلك قط. فالفنانون الانطباعيون رسموا لنا أثر أوفير في نفوسهم.

في وسعك أن تتوجه من باريس الى أوفير بالسيارة في أقل من ساعة. كما تستطيع أن تصل اليها كما فعل بعض الفنانين، في القطار من محطة سان لازار

(التي رسمها مونيه) الى محطة أوفير (التي رسمها موريس دوفلامنك)، مع الانتقال من قطار الى آخر في بونتواز (العزيزة على قلب بيسارو).

تنساق أوفير صعوداً من نهر واز مرتقية حتى المبنى البلدي الذي صوّره فان غوغ، الى الكنيسة، بلوغاً ذروة الرابية والجبّانة حيث يرقد فنسنت فان غوغ وأخوه ثيو تحت لبلابة خضراء معترشة جيء بها من حديقة الدكتور غاشيه. وتخترق القرية في أطرافها حقول القمح التي تنبسط حتى الأفق المترامي.

أهلها جماعة هانئة من الطبقة الوسطى لا يزيد عددها على ٦٠٠٠ شخص. وكانت أوفير في القرن الماضي موطن نحو ألفي نسمة فحسب. في وسط القرية ساحات مزارع يربّى فيها الإوز والدجاج. سقوف القش العتيقة لم تعد هناك، فالبيوت المتقاربة تكتسي اليوم قرميداً أحمر. وينتشر عبق العافية في السوق المسقوفة وفي جو المتنزه الظليل قرب تمثال فان غوغ وعلى ضفة نهر واز وفي حقل يموج بالسنابل المتراقصة.

في الربيع والصيف تنبجس من منحدرات الهضاب أزاهير تنتشر على الجدران وتحت الشبابيك، متفشية في كل شبر من الأرض.

وتملأ الازهار على الإنسان حواسه: نبات الحلوة المعترش وبقاع الورد والليلك والخزامى والخبازى والفوشية والقطيفة.

اصطحبتني جيزيل بيز (٨٠ عاماً) الى العقار المعروف باسم "حديقة دوبيني" التي رسمها فان غوغ وظلت في حوزة اسرتها منذ العام ١٩١٩. سرت واياها صوب بيت دوبيني الذي يسهل التعرف إليه من اللوحة، متبادلين الاحاديث عن الزهور والجنائن. قطفت جيزيل ملء كفها ورودا من حديقة دوبيني. لفتّ نظرها الى أن أزهارها كانت محط اعجاب فني، فقالت لي وعيناها تومضان: "انه أمر يبعث على اعتزازي. ان لهذا المكان سمة مميزة، ورفعة، ألا ترى رأيي؟"

وشارل - فرنسوا دوبيني رسام من أتباع مدرسة باربيزون، وهو أقل شهرة ممن جاء بعده إلى أوفير. ومع ذلك فهو اعتبر ابن القرية البارّ. ويلمح المرء تمثاله تحت الكنيسة مباشرة إن دخل البلدة بالسيارة آتيا من جهة نهر واز. لقد شاد بيته في أوفير عام ١٨٦١، وتولت أرملته من بعد غرس النباتات في الحديقة. واجتذبت رسومه لوادي واز فنانين أخر. واذ وصل فان غوغ الى أوفير، وهو أحد المعجبين بفن دوبيني، بعث من توه برسالة الى أخيه ثيو جاء فيها: "حقاً، إنها بالغة الروعة."

أوفير قرية يلذ فيها التنزه على الاقدام في مشي لا تعوقه السيارات. وتتموج الدروب في ارتفاع وانخفاض على طول السفح. تقطع العصافير الصمت، وتسمع خطوك اذ تجول في طريق "الدرب العتيقة" (كانت تسمى كذلك أيام فان غوغ أيضاً) من أوفير إلى بونتواز. وهذه

الدرب التي رسمت مراراً مخططة بالمنازل المغطاة باللبلاب والكروم المرقّطة بالزهور. وبيت الدكتور غاشيه ثاو الى جنب الطريق، خلف جدار، عال أبيض اللون ذو مصاريع خضر، كأنه خرج لتوه من لوحة سيزان في متحف "دورساي." والى أسفل الدرب، على مسافة بضعة أمتار، التقاطع مع شارع ريمي الذي خلّد ذكره الرسام سيزان أيضا.

ومن الميسور الحصول على خريطة مذيلة بشروح وعلى كراسات من مكتب السياحة في أوفير – سور – واز، وهو المكتب المستكنّ قابعا في زقاق غير نافذ على موقع مصوّر في لوحة فان غوغ "درج مزين بالرسوم." أما البيوت التي رآها فان غوغ فتمكن رؤيتها على نحو جلي في شارع دوبيني.

وعلى منعطف قرب مكتب السياحة يقوم "أوبيرج رافو" (نزل رافو) حيث عاش فان غوغ وانتحر مطلقا النار على صدره في ٢٧ يوليو (تموز) ١٨٩٠. آنذاك كان فان غوغ يدفع ٣،٥٠ فرنكات يوميا ليسكن في علية فوق المقهى. وهي تدعى اليوم "بيت فان غوغ" وتقع مباشرة قبالة مبنى البلدية الذي رسمه الفنان مزينا بالاعلام في ذكرى سقوط الباستيل عام ١٨٩٠، قبل وفاته بأيام.

وتسعف الخريطة التي يزودك اياها مكتب السياحة في اكتشاف مناظر طبيعية أخرى وحدائق ومبان رآها الرسامون.

أما البيت الوارد في لوحة "بيت المشنوق" لسيزان فمشغول بالسكان. ويوضح مندوب مكتب السياحة في الكراسة: "لم يُشنق رجل هنا قط، بل عاش رجل اسمه باندو."*

لم يبدل الزمان طباع أوفير. ويبدو أهلوها، والكبار في السن على نحو خاص، شبيهين بسكانها قبل قرن. وإن كنت سعيد الحظ مثلي فستصادف ذات صباح عند بدء العمل في السوق عجوزاً تلبس رداء أزرق ومنديلا أبيض وتتأبط سلة وتسير متباطئة في الطريق المنحدرة الى أسفل الرابية. فقد لمح فان غوغ امرأة مثلها وهو يرسم احدى اللوحات فأبقاها الى الابد حيث هي في يسار اللوحة.

ليس دالي ■

(*) pendu بالفرنسية تعني "المشنوق."



نعم... نعم...

افترق زميلان بعد تخرجهما في الجامعة ولم يلتقيا الا بعد مرور عشر سنين. فقال احدهما للآخر: "لقد مضى على افتراقنا زمن طويل. هل تزوجت، ام انك ما زلت تطبخ وتغسل؟"

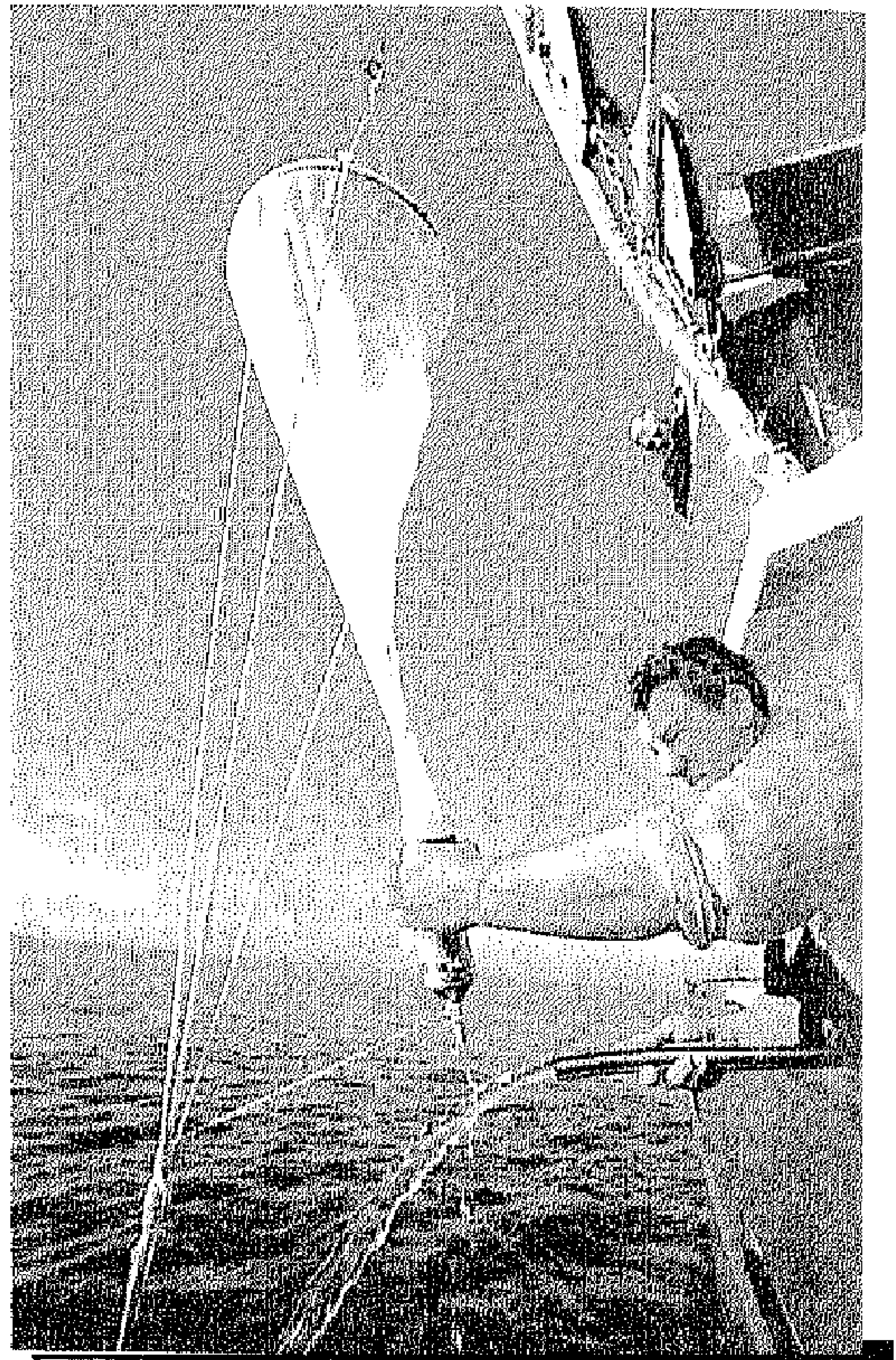
فأجابه زميله: "أجل."

و.ب.



لم يعد هناك بحر نظيف في العالم و"عملية البلطيق" مثال يحتذى

الساعة السابعة والنصف من صباح ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٨ رست سفينة الأبحاث "ألكور" في ميناء كييل. وكان أربعة علماء وخمسة بحارة من "معهد علم المحيطات" عملوا خلال الساعة الأخيرة على تحميل السفينة البالغ طولها ٣١ متراً والمطلية باللونين الازرق والابيض. فامتلأت العنابر بصناديق تحوي أنابيب اختبار وقوارير



من سفينة الابحاث "الكور" (فوق). احد اعضاء الطاقم بجمع العوالق بشبكة خاصة.

ومصافي وغيرها من لوازم الابحاث.

وثمة رافعة يديرها عريف الملاحين ألفرد توران تنقل الى السفينة معدات كبيرة تولى المساعدون تثبيتها برباطات من المطاط. وهبت رياح خفيفة من البر في اتجاه البحر واعدة بأمواج طفيفة سُرّ لها بحارة "ألكور." لقد غدت السفينة على أهبة الانطلاق في رحلتها الشهرية التي تدوم يومين الى خليج كييل.

بعد ساعتين من الابحار لعلع صوت القبطان هانس سيشو من مكبر الصوت معلنا الوصول الى المحطة الأولى "بوكنس إك" وهي مجرد إحداثية على الخريطة، وموقعها على ٥٤ درجة و٣٢ دقيقة في ١٠ درجات ودقيقتين شرقا. وكان على الجميع الشروع فورا في العمل لأن كل يوم في البحر يكلف نحو ١٠ آلاف مارك (٥٤٠٠ دولار).

وهنا تولّت رافعة إنزال مسبار الى الماء مترا مترا لقياس الحرارة والمحتوى الملحيّ لكل متر من الأعماق على حدة، وبث المعلومات الى لوحة رقمية يقرأ مندرجاتها عالِم العوالق[1] بيتر فريتش. وانهمكت المساعدة التقنية رجينا هانسن في تسجيل البيانات. هذه الارقام الأولية هي الأساس الذي يُستند اليه لاحقا في مقارنة التحاليل.

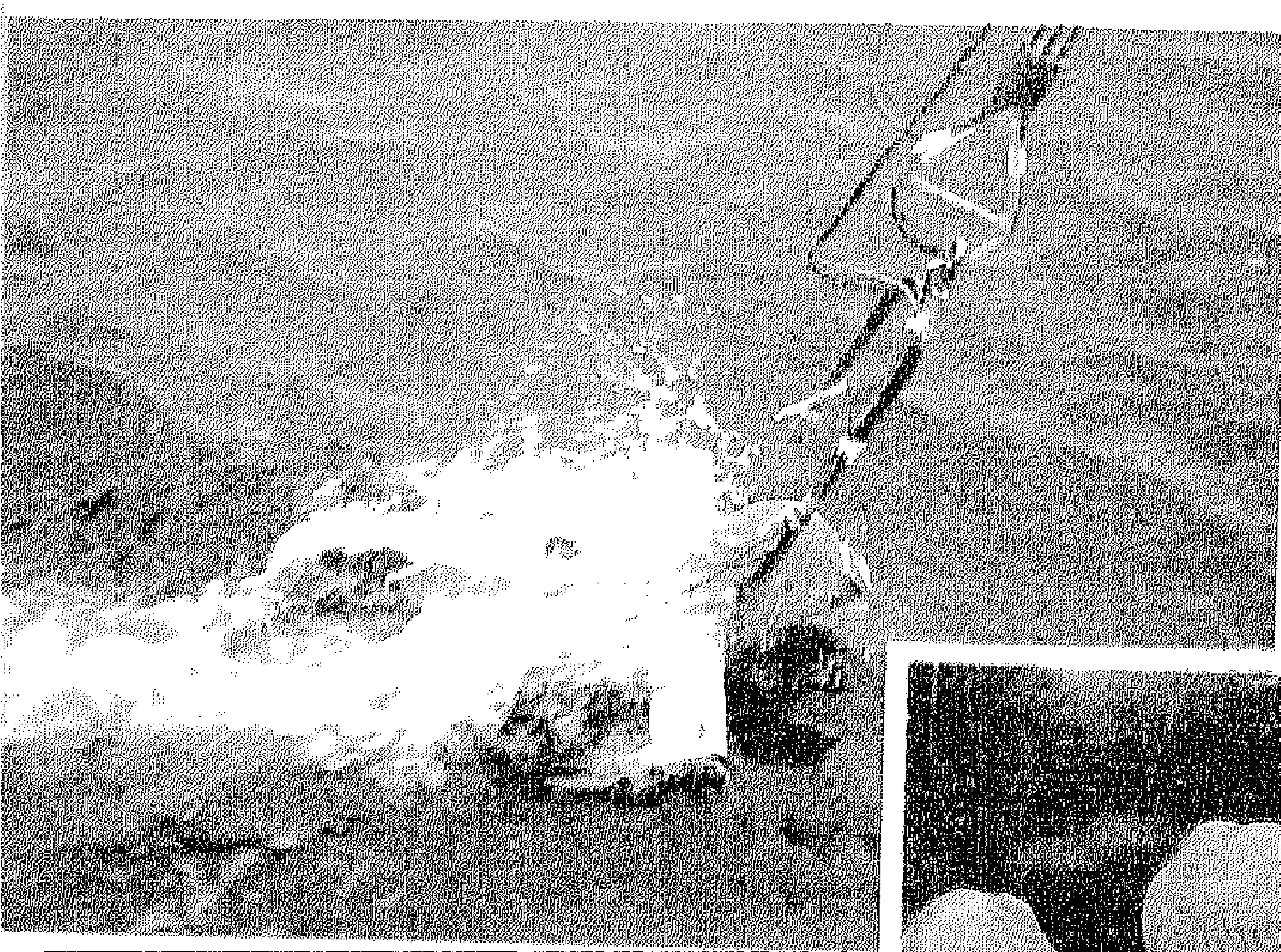
وفضلا عن المعدات العالية التقنية، عمد الباحثون الى الافادة من "قرص سيتشي" وهو جهاز سمي بعد العالم الايطالي أنجلو سيتشي الذي عاش في القرن التاسع عشر واختبر أقراصا (ديسكات) لقياس تعكّر المياه. يقول عالم الاحياء البحرية هاي رومور: "ان لهذا الجهاز البسيط أهمية كبرى اذ كان قيد الاستعمال على مر عشرات السنين." ونتيجة ذلك توافرت لدى العلماء اليوم احصاءات طويلة الأمد عن مدى اختراق الضوء – الضروري لنمو النباتات البحرية – لمياه البلطيق.

وتولى العلماء العاملون عند حافة السفينة غرف عينات من المياه من أعماق مختلفة وحفظها في قوارير. واستعملت شبكات خاصة لالتقاط العوالق النباتية والحيوانية. وجمعت عينات من الرخويات والديدان والحيوانات الشبيهة بالنبات (كالمرجان) بواسطة مقابض وشبكات ومجارف خاصة. وفي الحادية عشرة والنصف صباحا واصلت "ألكور" إبحارها.

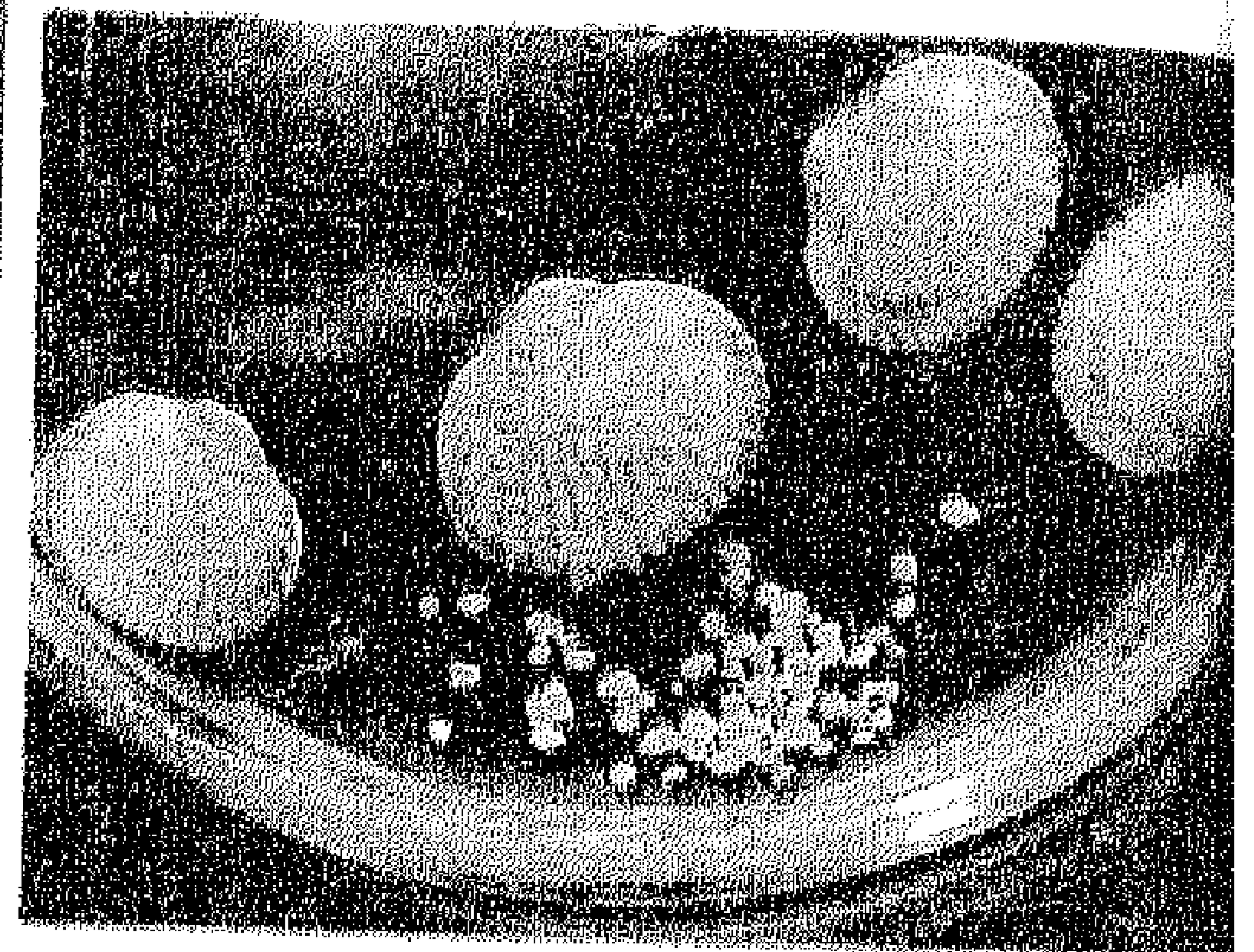
تحضير عيّنات. هذه الرحلة هي جزء من "برنامج مراقبة البلطيق" الذي ينفذ برعاية "لجنة هلسنكي" (HELCOM). وهو أقرَّ في ٣ مايو (أيار) ١٩٨٠ وفقا للمعاهدة التي وقعت عام ١٩٧٤ في مؤتمر هلسنكي وضمت ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية والدانمرك وأسوج (السويد) وفنلندا والاتحاد السوفييتي وبولونيا. وبموجب هذه المعاهدة تعمل

---

(١) Planktologist. العوالق هي الكائنات الحيوانية والنباتية الصغيرة المعلقة او الطافية في المياه.



سمكة التجارب الدلفينية الشكل تسجل حرارة الماء ومحتوى الملح.



عبئة من قعر البحر تظهر اربع محارات.

البلدان السبعة التي تحوط البلطيق على سد النقص في معرفة الأخطار التي تتهدد التوازن البيئي في مياه هذا البحر.

وقد اختير معهد كييل بقرار من حكومة المانيا الغربية التي تقدم للبرنامج مليوناً ونصف مليون مارك (قرابة ٨٠٠ ألف دولار) سنوياً، باعتبار أن هذا المعهد عمل في حقل الأبحاث البحرية في البلطيق منذ العام ١٨٧٠. وتتولى ثلاث سفن هي "ألكور" و"بوسايدون" و"ليتورينا" فحص محطات التسجيل شهرياً ضمن المياه الاقليمية الالمانية الغربية في البلطيق. وتتضافر جهود ١٦ عالماً وخبراتهم في حقول علم العوالق والكيمياء البحرية وعلم الاحياء المجهرية البحرية لهذه الغاية.

ويحضّر العلماء الأربعة على متن "ألكور" العينات لتحليلها لاحقاً في كييل. وقد صممت هذه السفينة لتكون هادئة وخالية من الاهتزاز ما أمكن.

تسكب رجينا هانسن محتويات القوارير في صف من الأقماع، وتسحب السائل بواسطة مضخة خوائية عبر مصافٍ بيض رقيقة. تقول: "تظهر الفحوص اللاحقة بواسطة الفوتومتر[٢] كمية الكلوروفيل، وهي المادة الخضراء الملوِّنة في الخلايا النباتية، وبذلك تبين كثافة العوالق النباتية في المياه." وفي وسع الكيميائيين اجراء تحاليل على متن السفينة لتحديد كمية مركّبات النيتروجين (الآزوت) والفوسفور في المياه.

(٢) الفوتومتر جهاز قياس الشدة الضوئية.

PHOTOS: FRIEDER BLICKLE / BILDERBERG

نفوق جماعي. المشكلة الرئيسية التي يعانيها البلطيق هي تدفق كميات ضخمة من مغذيات العوالق النباتية. ففي كل عام يصب في مياهه، من طريق الانهر والمطر، أكثر من ٥٠ ألف طن من الفوسفور وما يزيد على مليون طن من النيتروجين مصدرها الأعمال الزراعية والمواد البرازية. وهذا التسميد المفرط يطلق العنان لنمو فائض من النباتات البحرية. وتذوي الطحالب بعد بلوغها وتترسب في الأعماق. وتستنزف عملية التحلل مادة الاوكسيجين. في هذه الاثناء يكون ربع الطبقات المائية السفلى (نحو ضعفي مساحة الدانمرك) خالياً من الاوكسيجين. وبذلك تنتفي الحياة في هذه الصحراء المحدثة.

والواقع أن البلطيق لا يتغذى الى درجة الموت فحسب، بل يتسمم من جراء المعادن الثقيلة كالزئبق والكادميوم والنحاس التي تحويها النفايات الصناعية. وتستعمل مركّبات "بوليكلوريتد بيفينيل" (PCB) كسائل ناقل يتبخر أولا في الجو ثم يعود فيسقط مع المطر. وتتجمع كل هذه الملوِّثات في الطحالب والأسماك واللبونات. وقد تناقصت أعداد الفقمة الرمادية في البلطيق من مئة ألف عام ١٩٠٠ الى ألفين عام ١٩٨٩. والى ذلك وجدت كميات عالية من الـ «PCB» والمعادن الثقيلة والمبيدات في دهون الفقم ويُعتقد أنها تسببت في عقمها.

كانت حياة الحيوانات البحرية في البلطيق مشوبة بالخطر على الدوام. وقد روي عن حوادث نفوق جماعي للاسماك منذ القرن الحادي عشر. ولهذا سبب طبيعي مفاده أن لبحر البلطيق نظاما بيئيا شبه مغلق. فمعبره الى بحر الشمال (وبالتالي الى المحيط الاطلسي) لا يتجاوز عرضه ٢٥ كيلومترا. لذلك لا يتنفس البلطيق الا متى خفضت الرياح الغربية القوية المتواصلة مستواه ما يتيح للمياه الغنية بالاوكسيجين التدفق عبر سكاغراك وكاتيغات. وقد سُجل آخر تدفق رئيسي للمياه الغنية بالاوكسيجين عامي ١٩٥١ و١٩٧٥، ومنذ ذلك الحين قبع البلطيق منتظرا "التنفس الاصطناعي". وخلال العقود الأخيرة زادت البلدان المحيطة به مصائبه باستعماله مرمى للنفايات مما رفع معدل النفوق الجماعي للاسماك.

حصاد بحري. وصلت السفينة "ألكور" بعد الظهر الى محطتها الثانية "فهمارن بلت" حيث انتشل مزيد من العينات. ثم أبحرت الى هايلجنهافن لترسو ليلا.

وفي الصباح أبحرت نحو خليج كييل حيث محطتها الثالثة والأخيرة. وكان رومر، المكلف تسجيل المتغيرات في الحياة النباتية والحيوانية في قعر البحر وسرعة امتداد "صحراء" ما تحت الماء، قد بدأ حديثا استعمال آلات تصوير فيديو

الضوء الخافت إضافة الى الأبحاث التقليدية بواسطة الآلات القابضة. وكانت آلات التصوير تُدلى بأسلاك الى قعر البحر وتبث الصور أثناء إبحار السفينة. وتمكن رومر، بفضل الفيديو، من تقديم البرهان الحسي الدامغ عن مدى سوء حال البحر المائت.

ويرى هورستمان أيضاً المستقبل "الصوري" لبرنامج المراقبة. فعلى مدى سنوات أفاد من صور الاقمار الاصطناعية لدراسة تأثير التسميد المفرط في النباتات البحرية. وهذه الصور توفر معلومات إضافية عن الحرارة ومحتوى الكلوروفيل في البحر. فإذا ما أُخذت العينات في وقت يكون القمر الاصطناعي فوق "ألكور"، فإن التحاليل تعطي نتائج أفضل بدمج نتائج هذين المصدرين للمعلومات.

وتعود "ألكور" الى الرصيف الذي انطلقت منه بعد رحلة غطت فيها مسافة ٣٧٠٠ كيلومتر، فيما تجمَّع لدى العلماء "حصاد" بلغ عشرين ليتراً من مياه البحر.

حقائق خافية. تبدأ التحاليل التفصيلية في اليوم التالي. وبما أن عينة واحدة تحتاج الى ثلاث ساعات من العمل المتواصل، فإن قضاء يومين في البحر يتطلب شهراً كاملا من العمل في المعهد. واستناداً الى الفوتومتر والمجهر الضوئي والمجهر الالكتروني يعمد العلماء الى جمع صورة متكاملة كأحجية الصور المقطعة. ومن أعمالهم فحص انتشار المغذيات والعوالق ومحتوى الاوكسيجين على أعماق مختلفة، كذلك التدقيق في مستويات الملوثات في الكائنات البحرية. ومن أهدافهم التحقق من احتمال حلول أشكال حياتية قادرة على تحمل الملوثات مكان تلك الأقل مقاومة.

وتُرسل جميع البيانات الى "لجنة هلسنكي" التي تزود البلدان الاعضاء أسطوانات للدماغ الالكتروني تحتوي على المعلومات التي تم جمعها.

وعلى رغم أن البلطيق هو من أكثر المناطق البحرية خضوعا للابحاث المكثفة، فان كثيراً من الحقائق عن نظامه البيئي ما زال مجهولا. وفي وقت يواصل السياسيون طلب مزيد من التحاليل الطويلة الأمد قبل أخذ أي إجراء أو صرف أي أموال، يرفض العلماء هذا الموقف. يقول هورستمان: "يجب أخذ الاجراءات الوقائية الآن."

ويضيف البروفسور يان س. دوينكر مدير معهد كييل: "على رغم الأخبار الجيدة التي تفيد أن مستويات المبيدات والزئبق تدنت في السنوات الاخيرة، فعلينا ألا نألو جهداً في خفض الملوِّثات في البلطيق الى كميات مقبولة. إن التعاون الوثيق بين البلدان السبعة المجاورة وتنفيذ برنامج المراقبة هما الخطوتان الاوليان في هذا الاتجاه."

مايكل ف. غليش ■



لتربية أولاد ناجحين

أستاذ مرموق يشرح ماذا يتوجب على الوالدين أن يفعلوه لتنشئة أولاد موهوبين وسعداء



مغفورة غيرة الآباء والامهات الذين يعرفون أولاد سوزان وديفيد دوس. فابنهما بيلي نال منحة دراسية لعلاماته المرتفعة في المدرسة الثانوية، وهو حاليا طالب في السنة الاولى في جامعة برنستون المرموقة. وابنهما الثاني جيم في السنة الثالثة في جامعة بنسلفانيا، وهو كان أختير لالقاء خطبة الوداع في حفلة التخرج المدرسية عام ١٩٨٧. وابنهما البكر دونالد، الذي ألقى خطاب التخرج في العام ١٩٨٥، تخرّج بامتياز مهندسا كهربائيا في جامعة كورنيل.

وأولاد دوس ليسوا من أولئك الطلاب الاذكياء المجتهدين المنطوين الذين لا يعرفون من ضروب المجتمع سوى الكتاب. فجيم تورط في معارك عدة مع فتيان آخرين. وبيلي زير نساء. لكنهم جميعهم مهذبون ولائقون ومن فئة الطلاب الذين أفتقدهم بعد التخرّج.

ما سرّهم؟ كيف يربي الآباء أولادا متعددي المواهب وسعداء وقادرين على الافادة من كامل طاقاتهم الكامنة؟

من مقابلتي آباء تلامذة لامعين تكشّفت لي خيوط كثيرة مشتركة بينهم.

الآباء أنفسهم ناجحون في أعمالهم، لكنهم ليسوا مأخوذين كليا بالسعي المحموم الى النجاح. والتضحيات القيّمة التي يقدمونها ليست من نوع الانفاق المسعور للمال والوقت من دون حساب، كتسجيل الولد في كل صف لتعليم الباليه أو ركوب الخيل أو السباحة أو اللغات الحديثة. الآباء الناجحون حقا يشيعون في بيوتهم أجواء مريحة تسمح ببعض الاسترخاء.

لم يكن ديفيد وسوزان دوس طالبي علم خارقين. فلقد كانت علامات ديفيد في جامعة كاليفورنيا الجنوبية فوق المعدل قليلا، فيما قطعت سوزان دراستها في كلية أليغني وهي في السنة الثانية. لكن الزوجين منحا أولادهما دائما نعمتين يستنكف معظم الآباء اليوم عن تقديمهما، ألا وهما الوقت والاهتمام.

يتذكر دونالد: "كنت أقذف بكتب الرياضيات والعلوم الى الحائط وأصرخ

منادياً أبي. وهو كان أكثر صبراً من معظم المدرسين."

يُجمع الاولاد الثلاثة على القول ان والديهم أحدثا جواً كان للدرس فيه الاولوية. فلم يسمحا لهم بالعمل بعد الانصراف من المدرسة، وأفهماهم بوضوح تام أن مسؤوليتهم الأولى هي أن يكونوا تلاميذ.

أصحاب مواقف. قبل ثلاث سنوات درَّستُ مادة اللغة الانكليزية للسنة الجامعية الرابعة، وكانت في الصف طالبة اسمها ويني تيت. وقد أظهرت مقالاتها بصيرة وكياسة ورهافة جديرة بامرأة تبلغ من العمر ضعفي عمرها. ثم اكتشفت أن ويني قارئة نهمة لا تعرف الشبع، كذلك شقيقتها فرنسيس. ولم يكن ذلك لمجرّد أن الفتاتين "خُلقتا هكذا،" بل لانهما تلقتا عناية غير عادية من والديهما بيل وسوزان تيت اللذين درجا على القراءة لهما ساعة كل مساء وعلى امتداد سنوات.

كثير من المراهقين اليوم يمضون أوقاتهم منغمسين في ثقافة للشباب ملأى بأسباب الالهاء ومعزولة عن عالم الكبار البالغين. أما الأولاد الذين يتركون في النفس انطباعاً حسناً وعميقاً فهم أولئك الذين يصرفون وقتاً طويلاً في التحدث مع ذويهم وسواهم من الراشدين.

في مطلع احدى السنوات الدراسية لاحظت أن الفتاة ارين مالولان وجدت لذة كبيرة في المقارعة حول المعنى الرمزي للكهف في كتاب "الجمهورية" لافلاطون.

وعندما سألتها من أين لها ذلك الشغف بالفكر، أجابتني: "من مائدة العشاء. فقد اعتدت وأبي أن نتناقش في أمور الفكر والسياسة. وأنا أخالفه الرأي أحياناً كثيرة، لكن ذلك لا يزعجه. وأمي مثله، ويمكنني أن أبحث معها في أعمق الامور من دون أن أشعر بأي حرج."

ان دان مالولان، والد ارين، مدير تنفيذي في مركز للابحاث تابع للكونغرس الامريكي، وهو منهمك حالياً في تأليف كتاب، كما أنه عضو نشيط في رابطة المعلمين والأهل. ومع ذلك يجد الوقت لتناول طعام العشاء مع عائلته كل مساء.

عدد كبير من التلاميذ المؤثرين الذين عرفتهم كانوا يعيشون مع أحد والديهم. جويس رولنغز مستشارة تعليم ربَّت ابنين ناجحين: دوين الطالب في جامعة براون، ودونيل الذي أكمل سنوات التدريب الاربع في سلاح الجو.

تقول جويس ان انفرادها بتلك المهمة لم يكن سهلاً عليها. وتضيف: "ان اتخاذك موقفاً بمفردك أمر أكثر صعوبة. فانك تشك في نفسك وتظن أنك مفرط في القسوة والانتقاد. لكن الاسوأ من ذلك ألا يأخذ المرء موقفاً."

غربة الابناء. قد يكون الاولاد محور الدائرة التي يدور حولها الأب او الأم، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكونوا مترددين أو سريعي الانقياد أو مفرطين في الحماية. وجعل الاولاد يواجهون بعض تحديات الحياة ليس بالطلب الكبير، فهم أيضاً يحتاجون الى التحدي، كما أن

بعض الانزعاج مفيد لهم.

يقول اريك بيترسن ان أصدقاءه شككوا في صلاح الخيارات التي اعتمدها هو وزوجته جين في تربية أبنيهما جوش ونيك. فعندما سنحت لاريك فرصة للعمل في منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٧٦، نصحه البعض ألا "يرمي" ولديه في ثقافة أجنبية ونظام مدرسي أجنبي.

ويتابع اريك: "يفوّت معظم الأهل فرصا ثمينة لاغناء حياتهم خشية إفساد النظام الذي درج عليه أبناؤهم." وتجربة الغربة تلك لم تتح للصبيين تعلّم اللغة الفرنسية فحسب، بل "حرمتهما" مشاهدة التلفاز أربع سنوات، وذلك في نظر والدتهما ميزة كبيرة. وجوش الآن في السنة الثالثة في جامعة هارفارد يدرس تاريخ الشرق الأوسط.

وينسى الاهل أحيانا أن للعمل الجاد المفعول نفسه الذي للمنهج الدراسي المتماسك. وتقول جويس فان تاسل - باسكا الاستاذة في كلية وليم وماري في فرجينيا: "أنا لا أعرف راشدين ناجحين لا يعملون بجدّ. فالعادات العقلية والنفسية تسود بعد مرحلة الدراسة الثانوية. وفي عالم الراشدين ترجح كفة العمل الجاد والمثابرة على كفة المقدرة المجردة."

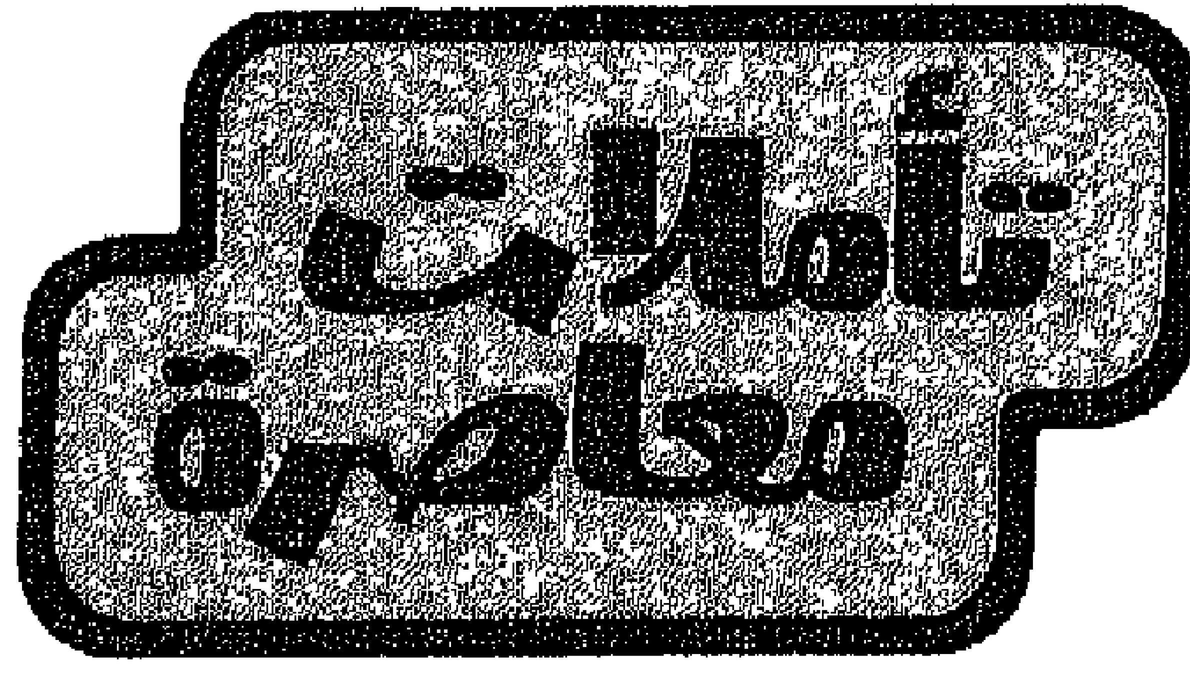
قلّة من الأولاد تقدر هذا الأمر مثل جوناثان غير الذي كان يعاني صعوبة في تعلم اللغة ومفرداتها. وهو أمضى ثماني سنوات في مدرسة ابتدائية خاصة.

ويتذكر جوناثان تلك السنوات: "كنت مسحوقا عاجزا عن تأدية واجباتي المدرسية بسبب ما تعرّضت له من ضغط وإجهاد. وبدا لي أن المدرسين اعتقدوا أنهم كلما ازدادوا صراخا ازددت تعلُّما. ووُضعت في صفوف المشاغبين الذين رفضوا العلم. لكن والدتي ما فتئت تردد على مسامعي أنني ذكي وحذق مما بعث الثقة في نفسي. وهي التي علّمتني القراءة في نهاية الامر. وما أن أجدتها حتى رحت ألتهم الكتب."

وجوناثان، الذي ملأ صفي اشراقا طوال سنة بنفاذ بصيرته الادبية، قُبل طالبا في جامعة تولان.

ويرى جيم ماكلور مدير مكتب الارشاد المهني والتعليمي في جامعة ت.س. وليمس، أن العقلية السائدة بين أهالي الطلاب ذوي الأداء المتدني هي عقلية "الاصلاح السريع." ويضيف: "هم يأتون الي طالبين حلا فوريا لمشاكل أولادهم. انهم غالبا من الأهل الذين لم يكرسوا الوقت الكافي لاولادهم وهم في طور النمو بسبب افتقارهم الى سلم أولويات صحيح في المقام الأول." ولا يمكن أن يحلّ مكتب الارشاد، في أحسن حالاته، محل الأهل على الاطلاق. انه مكان مناسب لطلب المساعدة، ولكن علينا أن نواجه الحقيقة، وهي استحالة "تلزيم" الأبوة. فلا يسع المرء أن يحصل على أولاد ناجحين بالاستقواء أو بالمال. وهم لا يربون على "وقت ثمين" بل على وقت حقيقي، وقتك أنت. ويلزمهم الكثير منه.

باتريك ولش ■



النقد واليقين

■ ينبغي تجاهل الانتقادات عندما تأتي من جهة واحدة. ولكن عندما تكثر الجهات التي تطلق هذه الانتقادات يحين الوقت لاخذها في الاعتبار. وكما قيل يوماً: "اذا دعاك أحدهم حماراً، فتجاهله. وإذا دعاك اثنان حماراً، فابحث عن آثار الحوافر. أما اذا دعاك ثلاثة حماراً، فعليك بشراء سرج."

مارشال شيلي

خطر الاصلاح

■ لا تنفجر الثورات فقط عندما تتحول الأمور من سيىء الى أسوأ، بل كثيراً ما يحدث بعد فترات طويلة من الحكم الجائر الذي يصبر عليه الشعب أن يشعر الناس فجأة بأن الحكومة تتساهل معهم، فينقلبوا عليها. وهكذا، فأن النظام الاجتماعي الذي تطيحه ثورة يكون في معظم الاحيان أفضل من النظام الذي يسبقه مباشرة. وتعلّمنا الخبرة، عموماً، أن اللحظات الأشدّ خطراً على الحكم هي تلك التي تصبو فيها الحكومة الى اصلاح ذاتها. فالضيم الذي يصبر عليه الشعب حين يبدو التخلص منه مستحيلا، يغدو لا يطاق متى لاح في الافق امكان ازالته.

الكسي دي توكفيل، كاتب وسياسي فرنسي (١٨٠٥ - ١٨٥٩)

التلفاز الغبي

■ لعلّ أربعين سنة من مشاهدة التلفاز هي سبب مهم لتراجع ذكائنا. واشبِّه برامج المحطات التجارية بالأطعمة غير الصحية. ولا أعني بذلك أن مشاهدة عرض ثان مدة ثلاثين دقيقة فقط تُسقط جزءاً من الدماغ من الأذن اليسرى، تماماً كما أن تناول قطعة من الخبز الأبيض لن يؤدي الى سقوط احدى أسنانك. لكن أربعين سنة من تناول الخبز الابيض والسكّر الابيض وما شابههما لا بدّ وأن تصيبك بأذى صحّي. كذلك، فان أربعين سنة من مشاهدة البرامج التلفزيونية السخيفة لا بدّ وأن تترك أثراً هدّاماً في الذكاء.

ستيف آلن، فكاهي ونجم تلفزيوني

أمريكيات ويابانيات

■ نشر فريق من الباحثين عام ١٩٨٦ دراسة عن الامهات اليابانيات والامريكيات. وسئلت الامهات تصنيف أهم الأمور التي يحتاج اليها الاولاد للنجاح في الدراسة. فأظهرت الاجوبة فروقاً واضحة بين الحضارتين اليابانية والامريكية اليوم.
اختارت الامهات الامريكيات "المقدرة."
واختارت الامهات اليابانيات "الجهد."

ريتشارد فينان
عضو في مجلس الشيوخ الامريكي

زرع كُليَة نادرَة

الكلية الموهوبة جاهزة للزرع
لكن المريض مخيِّم في مكان ما من الصحراء
فهل تفوته فرصة الحياة؟

[illegible] BY JACQUELINE SHANNON. CONDENSED FROM SPECIAL REPORT: LIVING
(AUGUST-OCTOBER [illegible]), 505 MARKET ST., KNOXVILLE, TENN. 37902. ILLUSTRATION: GARY MEYER

أعادت آن بريكنردج سماعة الهاتف ببطء الى موضعها ووقفت هنيهة تفكر انها في منزلها في اورانج بولاية كاليفورنيا والساعة السادسة والنصف من مساء ٢٥ مارس (آذار) ١٩٨٩...

وأن ممرضة منسقة في قسم "زرع الأعضاء الحيوية" في مركز وسترن الطبي في سانتا انا سألها زوجها جورج "من كان يحدثك على الهاتف؟"

قالت: "المستشفى. لقد تم الحصول على كلية من الفئة ب. لا أصدق أنهم وجدوا واحدة بهذه السرعة. يجب أن أعثر على تشارلز ريدجواي".

توافرت كلية من الفئة "ب" النادرة لأحد مرضى آن الخمسة والعشرين الذين ينتظرون أعضاء موهوبة. سألها جورج: "ألا يسعك الاتصال به على

المنبه الالكتروني (١)" وكان جميع مرضـ... آن مزودين أجهزة كهذه.

راحت آن تتصفح الملفات: "إنه ... نطاق الـ ١٥٠ كيلومتراً. يخيم في ... غلاميس الصحراوية النائية قرب الحد... المكسيكية".

قبل نحو ثلاثة أسابيع أدرج ... ريدجواي على لائحة تتضمن أسماء ... ألف أمريكي يحتاجون الى كلى. ... لذلك قال له الأطباء: "إن فئة ... النادرة قد تضطرك على الانتظار ... الحصول على كلية".

وكانت آن تدرك تشجيع مرضاها ... متابعة حياتهم الطبيعية. وتركت ...

---

(١) Pager or beeper وهو جهاز صغير للتنبيه ... يحملها حاملها ... ويستعمله الأطباء عادة.



مسامعهم: "اذهبوا حيثما أردتم، وسنجدكم عند الحاجة وإن اضطررنا الى الاتصال بالشرطة."

وها هو الوقت حان لتبرهن ذلك. فقالت لزوجها: "يريد الطبيب تجهيز ريدجواي للجراحة قبل السابعة صباحا. والمريض في حاجة الى ثلاث ساعات ديلزة[٢] على الاقل قبل الجراحة."

تناول جورج خريطة وحدد موقع غلاميس عند نقطة التقاء حدود كاليفورنيا وأريزونا والمكسيك. قالت آن: "لنتصل باعضاء فريق البحث والانقاذ، وهم يخبروننا من أين نبدأ."

مريض متعب. على بعد ٣٠٠ كيلومتر تناول تشارلز وبيتي ريدجواي وابنتهما روبن طعام العشاء داخل مقطورتهم ثم جلسوا يقرأون فيما المطر الغزير يقعقع على السطح.

ألقت بيتي نظرة عاجلة على زوجها، وهو في السابعة والاربعين ويعمل مدير محاسبة لدى شركة كبرى. فوجدته متعبا، لكن ذلك التعب بات طبيعيا، فقبل ١٢ سنة حدد الاطباء مرضه وهو تكيُّس الكليتين. وهذا اعتلال وراثي يتسبب في نمو أكياس في الكليتين وربما ادى الى اتلافهما. ولم يشكل ذلك عائقا الا منذ سنتين ونصف سنة حين بدأ تشارلز يشعر بتعب مضن. آنذاك أخبره أحد الاطباء أن كليتيه تعملان بفاعلية لا تتجاوز ٢٠ في المئة من طاقتهما.

في أواخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ تضخمت كليتاه بالاكياس الى حد ابراز معدته خارج قامته الناحلة. وفي منتصف شهر يناير (كانون الثاني) تدنت فاعلية كليتيه الى ٥ في المئة فبدأ يخضع للديلزة ثلاث مرات في الاسبوع.

وكانت رحلة آل ريدجواي للتخييم في غلاميس الاولى منذ بدء تشارلز المعالجة. واعتبرتها بيتي نوعا من التجربة: فهل يتحمل تشارلز رحلة ست ساعات في السيارة؟ كان في المدينة يحتاج الى كل ذرة من طاقته لتمضية أيام العمل الاسبوعية. وهو بدا في حال جيدة، ولم يتذمر على الاطلاق.

ألقت روبن كتابها وأدارت جهاز الراديو. أما المحطة الوحيدة التي استطاعت التقاطها فكانت «KNX» التي تبث الاخبار من لوس انجلس. لكن الارسال كان مشوشا، فأطفأت روبن الراديو قائلة: "تبا لهذه العاصفة!"

اتصالات محمومة. قبيل ذلك المساء كان بوب تور مراسل «KNX» جالسا متعبا في منزله في باسيفيك باليسدس. لقد شغلت أخبار المطر نهاره، وكان عليه أيضا الاهتمام بعمله الخاص في "وكالة لوس انجلس للانباء" التي يملكها والتي تزود محطات التلفزة أشرطة إخبارية يصوِّر بعضها من طوافته.

رن جرس الهاتف وكان على الخط غاري ستوكدايل من "فريق البحث والانقاذ" يحمل اخبارا عن تشارلز ريدجواي: لم يعثر عليه حراس الغابة. فعمد ستوكدايل الى الاتصال بمراسلي

(٢) Dialysis، وهي ما يعرف بـ"غسل الكليتين."

محطات التلفزة والراديو لاذاعة هذا الخبر.

اتصل بوب هاتفياً بقسم الاخبار في «KNX» فبث المذيع الخبر مباشرة على الهواء مكرراً الرسالة كل عشر دقائق، وكان بوب يغلي كلما سمعها.

في تلك الاثناء اتصلت أن بريكنردج بمنزل آل ريدجواي في أناهيم على أمل أن يكونوا عادوا اليه باكراً بسبب المطر. فرد الابن مات ريدجواي وهو طالب جامعي لم يرافق أهله في رحلة التخييم لانشغاله ببعض الابحاث. فشرحت له آن الوضع، فقال لها: "لا يجوز أن نضيع هذه الفرصة اطلاقاً." واتصل بأقارب له لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن أهله.

قرابة الحادية عشرة ليلا كان بوب تور اتصل بفريق الانقاذ أربع مرات. وزمجر غاضبا: "كيف تعذر على حراس الغابة العثور عليه؟ ليست غلاميس سوى متجر وسكة حديد."

اتصل بمنزل آل ريدجواي علّه يجدهم، وعرَّف مات بنفسه. وكان هذا قلقاً فلم يستطع أن يصف له مقطورة العائلة على نحو أفضل مما وصفها لستوكدايل: قاطرة بيضاء تجر مقطورة جمراء من عربتين تصلحان لجميع المناطق. سأل مات: "الا ينبغي علي الذهاب الى هناك والبحث عنهم؟"

نصحه بوب بالبقاء قرب الهاتف. لقد طلبت آن بريكنردج أن يكون ريدجواي في المستشفى قبل السادسة صباحاً. وذلك يعني أن آخر موعد لايجاده هو الرابعة فجراً، إذ تتطلب عودتهم الى المستشفى ساعتين في الطائرة. قال بوب للابن: "لن تتمكن أنت من الوصول ضمن المهلة. اذا حددوا مكانه فسأطير أنا الى هناك وأحضره بنفسي."

ولكن اذ أقفل بوب خط الهاتف بدأ يتساءل: "هل ينطلق الآن ويبدأ بحثا بالطوافة؟ لقد حضه ستوكدايل على الطيران الى هناك. راجع بوب خرائطه واتصل بمركز الارصاد الجوية، فأفيد أن المطر الذي أغرق لوس انجلس طوال النهار، تحول عواصف رعدية فوق الصحراء. عندما سمع بوب ذلك عدل عن المخاطرة.

فوق المخيم. بعيد الحادية عشرة ليلا علم بوب ومات أن حراس الغابة ألغوا حملة بحث ناشطة بعدما كشفوا على المنطقة التي كان ريدجواي أخبر بريكنردج أنه سيخيم فيها. فقال مات لابن عمه وزلي الذي جاء يزوره: "انهم لم يبحثوا جنوباً كفاية. دعنا نذهب الى هناك ونجده." وللحال قفز الشابان الى شاحنة تشارلز وانطلقا مسرعين.

في ذلك الوقت قال بوب لزوجته بنبرة خائبة: "لقد يئس حراس الغابة من البحث، مما يعني أن ريدجواي سيخسر هذه الكلية."

فعلقت على كلامه بالآتي: "اذهب وجده، انك تتحرق شوقاً الى ذلك."

اتصل بوب بغاري ستوكدايل للبحث في الامر، ثم اتصل بصديقه جيم كينغ وهو ضابط في شرطة لوس انجلس رافقه ملّاحاً في رحلات سابقة. واتصل أيضاً

بشقيقه ستيف الذي عمل لديه مصوراً. واجتمع الثلاثة في مطار سانتا مونيكا وأقلعوا من هناك في الاولى فجراً.

اتجهت الطوافة شرقاً فوق الجبال. وفي الثانية فجراً كانت تحلق فوق أضواء بالم سبرينغز المتلألئة. بعد ذلك بدت الصحراء حالكة السواد، وتعين على بوب الاعتماد كليا على أجهزته. وعلى بعد ٢٥ كيلومتراً شرقاً من بالم سبرينغز واجه الثلاثة عواصف رعدية فأخذت الطوافة تترجح وتهتز، كما واجهوا خطر اقتحام أسلاك التوتر العالي. وأدرك بوب ورفيقاه هذه المخاطر لكنهم حاولوا التركيز على بلوغ غلاميس ضمن المهلة.

بعيد الثالثة فجراً اتصل بوب بمركز الشرطة عبر الراديو وحصل على معلومات عن موقع المخيم. قيل له: "اتجه جنوباً - غرباً، وعندما تلمح طريقاً ترابية وسكة حديداً تكون بلغت الهدف."

بعد دقيقة صاح جيم: "ها هو المخيم." لكن بوب شعر كأنه تلقى لطمة على معدته، فقد كانت عشرات القاطرات البيضاء متناثرة على امتداد النظر، وكان قرابة ٢٥ ألف شخص يخيمون في هذا الموقع خلال العطلة.

في تلك الاثناء وصل مات ووزلي الى منطقة المخيم الممتدة ٤٠ كيلومتراً والمقسمة مواقع رملية واسعة يبعد الواحد منها عن الآخر حوالى ٤٠٠ متر. والمواقع مرقمة، وكان مات يعرف أن عائلته مخيمة، على الارجح، بين الرقمين ١٥ و٢٥ لان مواقع التخييم الشمالية تعج عادة بالمزعجين. وانطلق مات ووزلي يبحثان في كل موقع بدءاً بالرقم ١٥، مسلطين المصابيح الكاشفة في الشاحنة.

صوت من عَلُ. طلب بوب تور من جيم كينغ أن يسلط أضواء الطوافة، فأنارت المكان الذي عج بالناس حول الكثبان وفي عرباتهم. هبط بوب بطوافته حوالى ٤٥ متراً وأطلق مكبر الصوت: "تشارلز ريدجواي! لدينا كلية لك! عرف بنفسك! ألفت انتباهنا! أو اتصل بمركز الشرطة."

تطلع المخيمون صوب الطوافة ورفعوا أيديهم بأسف. توجه بوب جنوباً وكرر اعلانه.

قال بوب لرفيقيه: "الارض مضاءة كالنهار، وصوت من فوق يتحدث عن كلية لرجل ما. هذه عطلة غريبة لن ينساها هؤلاء المخيمون."

في الثالثة والربع فجراً بدأ مات ووزلي بحثهما في الموقع الرقم ٢٠. فجأة غرقت الشاحنة في الرمل وعجلاتها تدور بلا فائدة. لَكَمَ مات عجلة القيادة حانقاً. وفي تلك اللحظة تحول رذاذ المطر انهماراً غزيراً. فقفز الشابان من الشاحنة وركضا مسافة ٨٠٠ متر الى آخر مجموعة من المقطورات هناك. وشاهدا طوافة تحلق فوق منطقة تبعد ستة كيلومترات شمالا. وسمع مات اسم والده يذاع عبر مكبرات الصوت.

قرع مات باب احدى المقطورات صارخا: "النجدة! حالة طبية طارئة!" ففتح له أحد المخيمين وهو نصف نائم. أشار مات نحو الطوافة مذعوراً، وقال:

"أبي في حاجة الى كلية موهوبة، وتلك الطوافة تبحث عنه. هل تساعدني في اعتراضها؟"

خلال ثوان كان مات في سيارة الرجل، وانطلقا شمالا في الطريق الموحلة الوعرة.

أذاع بوب تور وجيم كينغ نداءهما الى ريدجواي نحو ١٥٠ مرة. ثم وقع نظرهما على رجلين متوجهين نحوهما داخل سيارة مكشوفة تومض أنوار الطوارىء. سلط بوب عليهما أنواره الكاشفة وراح يحوم حولهما، ثم انحنى على مكبر الصوت وسألهما: "هل تعرفان تشارلز ريدجواي؟"

صرخ مات: "انه في الناحية الجنوبية! انه في الناحية الجنوبية."

حط بوب بطوافته فصعد اليه مات. كانت الساعة الثالثة والنصف فجراً، ولم يتبقَّ سوى ١٠ دقائق للموعد الاخير. ولم يعد في الطوافة من الوقود الا ما يكفي للعودة.

في أحد المسطحات الجنوبية لمح مات مقطورة عائلته فصرخ: "انهم هناك!"

في الرابعة الا خمس دقائق حطّ بوب على بعد خمسين متراً من المقطورة وقفز مات من الطوافة وراح يطرق الباب: "أبي! أمي! هذا أنا، مات. لقد حصلوا على كلية! افتحوا الباب!"

مرت ثلاثون ثانية قبل أن يفتح تشارلز ريدجواي الباب في ثياب النوم وبعينين متعبتين: "ما الامر؟"

اقتحم بوب المقطورة فيما تشارلز يحاول ارتداء سرواله وصاح حانقاً: "ستذهب الآن، ولا يهمني ان ذهبت عاريا. لدينا نقص في الوقود." وجر تشارلز داخل الطوافة وهو حافٍ. وبقي مات في المخيم.

في الرابعة والدقيقة الخامسة هبط بوب بطوافته في براولي على بعد ٣٠ كيلومتراً من المخيم. وبعد دقائق وجد تشارلز نفسه داخل طائرة تابعة لفريق البحث والانقاذ أقلعت من المدرج في اتجاه المركز الطبي في سانتا آنا.

وصل ريدجواي الى المستشفى قبيل السادسة صباحاً. وبعدما أجريت له ديلزة نقل في كرسي مدولب الى غرفة الجراحة في العاشرة والنصف. استغرقت عملية الزرع ٩٠ دقيقة. وعلى رغم انه وصل متأخراً ثلاث ساعات ونصف ساعة عن الموعد الاولي الذي حدده الجراحون فقد كان في حال جيدة خلال الفترة الحرجة التي تحسم نجاح جراحة زرع الكلى والمراوحة بين ٢٤ ساعة و٣٠ ساعة. لقد تكللت العملية بالنجاح وبدأت الكلية الجديدة تعمل على الفور.

وفي غلاميس جمع مات وباتي وروبن وولزي أمتعة العائلة وانطلقوا في الشاحنة الى المستشفى. وهناك علموا أن تشارلز في صحة جيدة.

واذ سمعت باتي الخبر السار بادرت الى عمل طالما ترددت في الاقدام عليه. أخرجت رخصة القيادة ووقعت على قفاها موافقتها على أن تكون واهبة أعضاء.

جاكلين شانون ■



من سرق عقد اللؤلؤ ؟

اعتاد السر سبتيموس شيل أن يفرض سلطته مرة في السنة، مرة وحيدة. فهو سمح لزوجته الشابة العصرية أن تملأ بيته بأثاث تكعيبي حديث وأن تجمع لوحات لفنانين معاصرين وأن تسرف في ارتداء ما حلا لها من الملبس الفاخر. لكنه أصرَّ على الاحتفال بعيد الميلاد بطريقة تقليدية بطلت منذ زمن. فكان يستدعي الخدم ليعلقوا أغصان السنديان والهدال (الدبق) على المصابيح الكهربائية. وحرص على تحميل الخوان الجانبي المصنوع من الصلب أشهى المأكولات.

وجعل الخدم ينزعون المشعاعات الكهربائية من المواقد العصرية ويشعلون مكانها حطباً.

بعد ذلك كان يجمع عائلته وأصدقاءه حوله ويتخمهم بأطايب الطعام والشراب. وبعد العشاء يجلسهم في قاعة الاستقبال حيث يتلهون بألعاب شتى يختتمها بلعبة "الغمّيضة" في الظلام في أنحاء البيت. ولأنه رجل ثري، كان ضيوفه يسايرونه ويخفون عنه أي ضجر أو انزعاج.

ومن عاداته التقليدية الاخرى تقديمه لؤلؤة كل سنة الى ابنته مارغريتا في ذكرى مولدها التي تصادف عشية عيد الميلاد.

وذات ليلة ميلاد استقبل السر سبتيموس والليدي شيل وابنتهما مارغريتا ضيوفاً تصلهم جميعاً روابط قربى، قريبة أو بعيدة، وهم: أوزوالد تروغود وهو شاب يطمح الى مقعد نيابي، وجورج كومفري ابن عم الليدي شيل وهو شاب في الثلاثين معروف بسعة اتصالاته الاجتماعية، ولافينيا بريسكوت التي دُعيت من أجل جورج، وريتشارد وبيريل دينيسون اللذان تجمعهما بالليدي شيل أواصر قربى بعيدة ويعيشان في لندن حياة بذخ على موارد لا يعرف أحد حقيقتها، واللورد بيتر ويمزي الذي دعي على أمل أن تعجبه مارغريتا.

وكان هناك بالطبع وليم نورغيت ـ أمين سر سبتيموس والآنسة تومكنز أمينة سر الليدي شيل، فلولا كفايتهما الهادئة لما أُنجزت ترتيبات الحفلة.

أخيراً، بعدما بدا كأن ألوان الطعام المتابعة لن تنقطع، انتهى العشاء الذي تصدر السر سبتيموس مائدته منفرج الاسارير. وارتدت مارغريتا الجميلة عقداً صيغ من لآلئها التي بلغت تلك السنة ٢١ حبّة. وكانت اللآلىء، وكل واحدة منها بحجم حبّة بازيلاء، تتوهج بدفء ورقة حول عنقها الرقيق.

بعد العشاء سيق الضيوف الى قاعة الاستقبال، متخومين لا يرومون إلا التمدد والراحة. وأُجلسوا في كراس من المنيوم تحت إنارة كهربائية هائلة عكسها سقف من النحاس الاصفر. وراحوا يجرّون أقدامهم التعبة على أرض من زجاج أسود. لعبوا لعبة "الكراسي الموسيقية" (بمرافقة عزف الآنسة تومكنز على البيانو) ولعبة "فتّش عن الشبشب" (وقدّمت الشبشب الآنسة تومكنز) ولعبة "حيوان أم خضار أم معدن" المفضلة لدى السر سبتيموس الذي يجيد طرح الاسئلة المبدعة. وهو افتتح اللعبة بـ"الخروج" أولا وقصد غرفة داخلية متصلة بقاعة الاستقبال.

حزر اللاعبون في وقت وجيز أموراً كثيرة بينها صورة فوتوغرافية لوالدة الآنسة تومكنز، والكوكب بلوتو، ولفاع السيدة دينيسون (وكان محيّراً، فلو انه من الحرير لكان من فئة الحيوان، ولو أنه من الحرير الاصطناعي لكان من فئة الخضار، لكنه من الزجاج المغزول، فهو إذاً من فئة المعادن. وكان اختياراً موفقاً كأحجية).

تقرر أن يحزر الضيوف كلمة أخيرة قبل أن ينتقلوا الى لعبة الغميضة.

وتوارى أوزوالد تروغود في الغرفة الداخلية ريثما يتفق اللاعبون على الكلمة. فجأة قطع السر سبتيموس النقاش اذ نادى ابنته: "مارج! ماذا فعلت بعقدك؟"

أجابته: "لقد نزعته خشية أن ينفرط. إنه هنا على الطاولة. لا، ليس هنا!"

نهض الجميع وبدأوا التفتيش. ولم يكن في تلك الغرفة المصقولة وشبه العارية من الاثاث أماكن كثيرة تصلح لتخبئة عقد. وبعد عشر دقائق من التفتيش غير المجدي، بدا ريتشارد دينيسون منزعجا، وكان جالساً بالقرب من الطاولة حيث كانت اللآلىء. وقال لويمزي: "أتعرف؟ انه وضع مربك وحرج."

وتوجه الباحثون الى الغرفة الداخلية فأخضعوها لتفتيش دقيق. وأخذ الامر يتحوّل جدّياً، وبعد نصف ساعة بات جليّاً أن اللآلىء ليست في أي مكان.

قال ويمزي: "إنها حتماً في موضع ما في هاتين الغرفتين."

وبكفايته المعهودة، كان وليم نورغيت أول من واجه القضية بجرأة إذ قال: "اعتقد يا سر سبتيموس أن الجميع يشعرون بانفراج وراحة بال إذا ما فُتشنا كلنا."

إستفظع السر سبتيموس الفكرة، لكن الضيوف أصروا عليها. وأجري التفتيش: السيدات في الغرفة الداخلية والرجال في قاعة الاستقبال.

بدا طبيعياً أن يعثر في جيب اللورد بيتر ويمزي على عدسة مكبرة، أوَلم يكن هو شرلوك هولمز المجتمع المخملي؟ أما أن يحمل شخص مرتّب ودقيق مثل نورغيت لفّة من القطن الابيض وثلاثة أطوال من الخيوط و١٢ دبوساً لاقطاً (إفرنجياً) فأمر بدا غريباً، الى أن تذكر الحاضرون انه هو من أشرف على إقامة زينة الميلاد. ووجد في حوزة أوزوالد تروغود قرصا دواء للكبد وفي حوزة جورج كومفري مقصّ يطوى.

ووسط ارتباك وضحك تبيّن أن ريتشارد دينيسون يحتفظ برباط جوارب نسائية وبعلبة بودرة وبنصف حبّة بطاطا قال إنها للوقاية من داء العصبي، أما الرباط والعلبة فقال إنهما لزوجته.

وفي جهة السيدات كانت أغرب المستندات المعروضة ثلاثة دبابيس خفيّة للشعر وصورة طفل (الانسة تومكنز) وعلبة صينية للسجائر (بيريل دينيسون) ورسالة شخصية جداً (لافينيا بريسكوت).

باختصار، لم يثمر التفتيش الا شعوراً عاماً بالخجل. لا بدّ من أن اللآلىء هي في مكان ما. أوَليس في وسع اللورد بيتر ويمزي الخبير في الحوادث الغامضة أن يساعدهم في شيء؟

أجاب اللورد: "أوه، طبعا. أتسمحون جميعا بالجلوس في قاعة الاستقبال؟ وليبقَ معي شخص واحد، فمن المستحسن أن يكون معي شاهد يشهد على أعمالي وعلى أي شيء قد أعثر عليه. يا سر سبتيموس، انك الشخص الأمثل لهذا الغرض."

بدأ ويمزي جولة دورية بطيئة في محيط الغرفتين. استكشف كل سطح،

حملق في السقف النحاسي، زحف على الارض السوداء اللامعة واجتازها من جنب الى آخر.

وصل وشاهده الى الغرفة الداخلية حيث تمدد ويمزي على بطنه وراح يحدّق بعينين نصف مغمضتين تحت خزانة من الصلب كانت إحدى قطع الأثاث القليلة القصيرة القوائم. شيء ما لفت نظره. ثنى كمه ومد ذراعه تحت الخزانة وخرج بشيء صغير جداً -- دبوس ابرة له رأس صغير، من النوع الذي يستعمله العلماء لتثبيت حشرة على لوحة التشريح.

سأل ويمزي: "هل بينكم أحد يجمع الفراشات أو الخنافس؟"

أجابه السر سبتيموس: "لا أظن أن أحداً يفعل ذلك."

حدّق ويمزي الى الأرض التي عكست صورة وجهه وقد غرق في التأمل. وبعد برهة قال: "نعم، هكذا تمّت العملية. انني أعرف مكان اللآلىء يا سر سبتيموس. لكنني لا أزال أجهل من الذي سطا عليها. حالياً، لا خطر عليها. أرسل جميع هؤلاء الناس الى أسرّتهم وأقفل باب قاعة الاستقبال. وسوف نمسك السارق -- أو السارقة -- غداً صباحاً.

٢٢ دبوساً

في الليل، دوّن ويمزي قائمة بأسماء الاشخاص الذين ربما استهوتهم اللآلىء. صحيح أن أمين السر وأمينة السر جاءا للعمل لدى سيدي البيت وهما يحملان توصيات جيدة، ولكن أليس ذلك بالضبط ما يفعله أي شخص مدفوع بأغراض ومقاصد خفيّة؟ أما بيريل وريتشارد دينيسون فمعروفان بانفاق كل ما تصل اليه أيديهما، وجورج كومفري يعمل في المضاربات التجارية، وأوزوالد تروغود يتردد على ميادين سباق الخيل. لقد كان البحث عن دوافع أمراً سهلاً.

بدا الجو مشحوناً حول مائدة الفطور. ولم يأت أحد على ذكر اللآلىء إلا بعد انتهاء وجبة الطعام. تنحنح السر سبتيموس وهو ينظر الى ويمزي كمن ينتظر إشارة البدء. ثم قال: "إنه لأمر كريه حقاً، وفي عيد الميلاد. لقد أفسد الحفلة. لم أعد أطيق رؤية كل هذه الاشياء في البيت." وأشار بيده الى أغصان السنديان والهدال وتابع: "أنزلوها كلّها. أحرقوها ولا تبقوا منها شيئاً."

سأله وليم نورغيت: "هل أستدعي جايمس؟" لكن كومفري قاطعه: "كلا، لنفعل ذلك بأنفسنا."

ووافقه السر سبتيموس: "هذا صحيح. انني أمقت منظرها!" وانتزع غصن سنديان تدلّى من رفّ فوق المستوقد وقذفه الى النار. هبّ ريتشارد دينيسون واقفاً وهتف: "لنوقد ناراً عظيمة! لننزلها كلّها، عن السقف والجدران وعن السلّم ومن قاعة الاستقبال أيضاً."

استفهم أوزوالد: "أليست قاعة الاستقبال مقفلة؟"

وأكد ويمزي ذلك: "هذا صحيح. أراهن بسمعتي على أنها في أي مكان سوى قاعة الاستقبال."

فقال كومفري: "في هذه الحال، هيّا يا لافينيا، أنتِ ودينيسون انزعا الزينة من قاعة الاستقبال، وأنا أنزعها من الغرفة الداخلية. سنقوم بسباق." راح أوزوالد ومارغاريتا ينزعان أغصان الهدّال واللبلاب عن السلم وسط رنين الضحك. أما فوق فكانت أعمال التخريب تتم بسرعة كبيرة بعدما راهن جورج لافينيا ودينيسون على أنهما لن ينجزا عملهما قبله.

عندما اجتمع المحتفلون في البهو السفلي حيث كانت النار تزمجر، بدا جورج كومفري تعباً.

خاطبه ويمزي: "يا سيد كومفري، أعتقد أن هذه لك." وبسط يداً استقرّ في واحتها ٢٢ دبوسا صغير الرأس.

لؤلؤ في الزجاج

قال اللورد ويمزي: "انه عمل فكر مبدع يا سر سبتيموس. ولكن من سوء طالعه أنك ذكرت اللآلىء عندما فعلت. فهو كان يأمل ألا يكتشف الأمر إلا بعد انتهاء لعبة الاحاجي والانتقال الى لعبة الغميضة، فيتسنى له عندئذ أن يخفي اللآلىء في أي جانب من البيت.

"ولأنه أمضى أعياد ميلاد كثيرة هنا قبل الآن، كان يعلم أن لعبة "حيوان أم خضار أم معدن" هي جزء أكيد من برنامج التسلية. وعندما جاء دوره لينسحب الى الغرفة الداخلية التقط عقد اللآلىء عن الطاولة ظانا أن في امكانه الانفراد خمس دقائق على الاقل، وهو الوقت الذي يستغرقه الجدل حول الكلمة المختارة. ولا يبقى عليه عندئذ الا أن يقصّ الخيط بمقص الجيب الذي يحتفظ به، ويفرط العقد ويرمي الخيط في النار. أما حبات اللؤلؤ فيثبتها بالدبابيس في أوراق الهدال.

"وكانت أغصان الهدال معلقة بالثريا التي تدلّت من سقف عال. ولكن ما همّ؟ ففي امكانه الوصول اليها بالوقوف على الطاولة الزجاجية التي لا تنطبع عليها آثار الاقدام. وهو كان على يقين شبه تام من أن أحداً لن يتفحص أغصان الهدال بحثا عن بعض ثمرات اضافية.

"ولقد انتزعت حبات اللؤلؤ من نبتة الهدال الليلة الماضية، حتى المشبك كان مثبتاً بين الاوراق. ها هي كلها. وعندما اقترح كومفري أن ينزع الضيوف الزينة بأنفسهم وأن يتولى هو الغرفة الداخلية، علمت أنه الرجل المطلوب.

سأله السر سبتيموس: "هل حلّلت اللغز كله بمجرد عثورك على الدبوس الذي سقط منه؟"

فرد ويمزي: "نعم."

فقال السر سبتيموس متعجباً: "لكني لم أرَك تنظر الى الهدال."

أجابه ويمزي: "لقد رأيت صورة الاغصان منعكسة في الارض الزجاجية السوداء. وخطر لي آنذاك كم تشبه ثمرات الهدال حبّات اللؤلؤ."

دوروثي سايرز ■

دوروثي سايرز (١٨٩٣ - ١٩٥٧) روائية ومترجمة، اشتهرت برواياتها الجنائية الاثنتي عشرة التي تدور جميعها - ما عدا واحدة - على عبقرية التحري الاريستوقراطي اللورد بيتر ويمزي.

تبسيط المسائل الحسابية

صيغة حسابية مدهشة وضعها احد أشهر الفيزيائيين في العالم

صبيحة يوم اثنين من يونيو (حزيران) ١٩٤٥ فجرت أول قنبلة نووية في صحراء نيومكسيكو. وبعد أربعين ثانية وصلت هزة الانفجار[1] الى مخيم القاعدة حيث وقف العلماء مشدوهين. وكان أول من تحرك الفيزيائي الايطالي - الامريكي انريكو فرمي (١٩٠١ - ١٩٥٤).

قبل حصول الانفجار مزق فرمي ورقة. وعندما شعر بأولى الاهتزازات رمى نتف الورق فوق رأسه. رفرفت هذه النتف وحطت وراءه على بعد مترين. وبعد عملية حسابية ذهنية أعلن فرمي أن قوة القنبلة تعادل قوة عشرة آلاف طن من الـ"ت.ن.ت." أما الآلات المعقدة التي استغرقت أسابيع لتحليل سرعة الموجة وضغطها، فأكدت صحة تقدير فرمي الفوري.

أعجب الفريق العامل على القنبلة ببداهة فرمي، لكنه لم يفاجأ، إذ ان عبقرية هذا العالم عمّت الاوساط العلمية. ففي العام ١٩٣٨ حاز فرمي جائزة نوبل. وبعد أربع سنوات حقق أول تفاعل نووي ذاتي الاغتذاء[2] مبشراً باقتراب العصر النووي. ومنذ وفاته في العام ١٩٥٤ لم

(١) Shock wave

(٢) Self-sustaining nuclear chain reaction

يتوصل أي فيزيائي آخر الى أن يكون مختبراً بارعاً ومنظراً رائداً في آن.

مثل سائر العلماء، كان لفرمي أسلوبه المميز. وهو فضل طريقة الإجابة المباشرة على الاجابة التي تعتمد الوسائل العقلية الانيقة. وتفوّق في تفكيك المسائل الصعبة أجزاء تمكن معالجتها. وهي موهبة يمكننا استخدامها في حياتنا اليومية.[3]

وبغية تنمية هذه الموهبة في الجيل الصاعد كان فرمي يطرح على طلابه نوعاً من الاسئلة عُرف بـ"مسائل فرمي." لدى سماعك أحد هذه الاسئلة للمرة الاولى تشعر بأنك لا تملك ادنى فكرة عن الاجابة، وأنك متأكد من أن المعلومات لديك ضئيلة جداً لحلها. ولكن عندما تفكك المسألة الى أجزائها التي تسهّل الاجابة عنها من دون عودة الى الاختصاصيين والكتب، تكون اقتربت جداً من الحل الصحيح.

لنفترض أنك تريد تحديد محيط الكرة الارضية من دون الاستعانة بالمراجع. الامريكي يعلم أن نيويورك تبعد عن لوس انجلس مسافة ٤٨٠٠ كيلومتر، وأن الفارق الزمني بينهما ثلاث ساعات، وان الساعات الثلاث تشكل ثمن (١/٨) اليوم الواحد، وأن الارض تستغرق يوماً واحداً في دورانها حول ذاتها. اذاً، يجب أن يساوي محيطها ثمانية أضعاف الـ٤٨٠٠ كيلومتر، أو حوالى ٣٨٤٠٠ كيلومتر. هذا الرقم يختلف عن محيط الأرض الحقيقي (٤٠٠٧٥،٥ كيلومتراً) بأقل من ٤٪

ما عدد مدوزني آلات البيانو في شيكاغو؟ طرح فرمي هذا السؤال الغريب على طلابه في جامعة شيكاغو. احدى الطرق للوصول الى جواب هي: إذا كان عدد سكان شيكاغو ثلاثة ملايين، بمعدل أربعة أشخاص في العائلة، وإذا كانت ثلث العائلات تملك آلات بيانو، فثمة ٢٥٠ ألف بيانو في المدينة. واذا كان كل بيانو يدوزن مرة كل خمس سنوات، فعدد الدوزنات ٥٠ ألفا في السنة. واذا كان كل مدوزن يستطيع دوزنة أربع آلات بيانو في اليوم على مدى ٢٥٠ يوماً في السنة، أي ما مجموعه ١٠٠٠ دوزنة في السنة، فنستنتج أن عدد المدوزنين في المدينة هو خمسون. الجواب ليس دقيقاً، وقد يراوح الجواب الصحيح بين ٢٥ و١٠٠. ولكن استناداً الى دليل الهاتف فالجواب على طريقة فرمي هو في نطاق الحقيقة.

وكانت غاية فرمي أن يظهر امكان الوصول الى تقديرات قريبة من الواقع من خلال الافتراضات. والسبب أنه، ضمن أي سلسلة من الحسابات، تلغي الاخطاء بعضها بعضاً. فاذا افترض أحدهم، مثلاً، أن سدس العائلات بدل ثلثها يملك آلات بيانو، فقد يفترض أيضاً أن آلات البيانو تدوزن مرة كل سنتين ونصف سنة وليس كل خمس سنوات. وسوف تصب النتائج في الرقم الصحيح لان التخمينات الخاطئة تنزع الى تعويض بعضها بعضاً.

(٣) بقياس سرعة اندفاع الهواء خارجا بفعل انفجار القنبلة الذرية الاولى، كان في وسع فرمي تقدير الكمية الاجمالية للطاقة المتبددة في الجو. وبمعرفة كمية الطاقة التي يطلقها انفجار طن من الـ"ت.ن.ت." كان في وسعه عندئذ تحديد النتاج الاجمالي للانفجار الذري.

لا علاقة تذكر بين السؤال المطروح عن القنابل الذرية وذلك المطروح عن مدوزني آلات البيانو، الا أن أسلوب الاجابة عنهما واحد ويمكن تطبيقه على الاسئلة الاكثر عملية. فسواء أكانت المسألة متعلقة بالطبخ أم باصلاح السيارات أم بالعلاقات الشخصية فان المتردد يلجأ الى مرجع ما: كتاب أو مدير أو مستشار أو طبيب. أما صاحب الرأي المستقل فينقب في مخزون منطقه السليم وفي المعرفة الواقعية التي يحملها كل انسان، ويطرح الافتراضات المنطقية، ثم يستنبط لها حلولاً تقديرية. وهذه الروح الاستقلالية عينها هي التي سعى فرمي الى غرسها من خلال طرحه مسائله غير التقليدية.

كم يستغرق جز العشب في مرجة البيت الذي تنوي شراءه؟ بقياسك الابعاد بالخطوات - على أساس أن الخطوة تساوي متراً ونصف متر - تجد أن عرض المرجة يبلغ ٣٠ متراً وطولها ٤٥. ويبدو لك عرض الجزازة التي في المرأب نحو نصف متر. نأخذ الجانبين في الاعتبار ونفترض أنها تجز نحو ٣٠ سنتيمتراً في كل ضربة. إذاً يتطلب الجز في عرض ٣٠ متراً ١٠٠ ضربة، وكل ضربة بطول ٤٥ متراً، فيكون الطول الاجمالي ٤٥٠٠ متر. وبما أن الكيلومتر يساوي ١٠٠٠ متر فان على الجزازة أن تسير ٤٫٥ كيلومترات. وبما أن الشخص الذي يدفع الجزازة يسير حوالى ثلاثة كيلومترات في الساعة فان العمل يجب أن يستغرق ساعة ونصف ساعة.

تطلب فطيرة بيتزا بالهاتف من قسم الخدمة المنزلية في أحد المطاعم. وبعد أن تقفل الخط تدرك أن نقودك لا تكفيك. هل ثمة ما يكفي داخل الحصّالة الزجاجية الملأى بالقطع النقدية على منضدة غرفة النوم؟ تلقي نظرة عليها فتلاحظ أن غالبية القطع داخلها هي من فئة السنتات (١/١٠٠ من الدولار). تحصي القطع التي تغطي قعر الحصّالة فتجدها ١٠. لنفترض أن ارتفاع الحصّالة ١٠ سنتيمترات، وأن سماكة القطعة ١٫٥ مليمتر، فهذا يعني أن الحصّالة تحتوي على ٦٦ طبقة من السنتات أي ما يعادل ٦٫٦٠ دولارات. لكنك قد تلاحظ ايضا أن عُشر القطع على الاقل هي من فئة العشرة السنتات، إذاً ثمة ٦٦ قطعة يساوي كل منها ١٠ سنتات مما يعني ٦٫٦٠ دولارات أضافية ولا يخفض عدد السنتات المفردة الا بمقدار ٦٦ سنتا. من الواضح أن المبلغ الذي في حوزتك لا يقل عن ١٢ دولاراً، وقد يبلغ عشرين، وهو كاف لدفع ثمن البيتزا.

أن قيمة معالجة المسائل اليومية بطريقة تكمن في لذة الاكتشافات والاختراعات المستقلة. ليس مهماً أن يكون الاكتشاف مهماً جداً، مثل تحديد قوة القنبلة الذرية، أو أن يكون تافهاً مثل تقدير عدد السنتات داخل حصالة. ان بحثك عن الجواب في كتب الحساب، أو سماحك لغيرك بأن يجده لك، يحرمك اللذة والفخر اللذين يرافقان الابداع، كما يحرمك الخبرة التي تعزز الثقة بالنفس.

هانس كريستيان فون باير ■

LO LINKERT IN HORZU

«يـا مامـا، ذهبنا إلى سبـاق البـراغيث
وبـودو سرق النجوم.»

بدون تعليق.

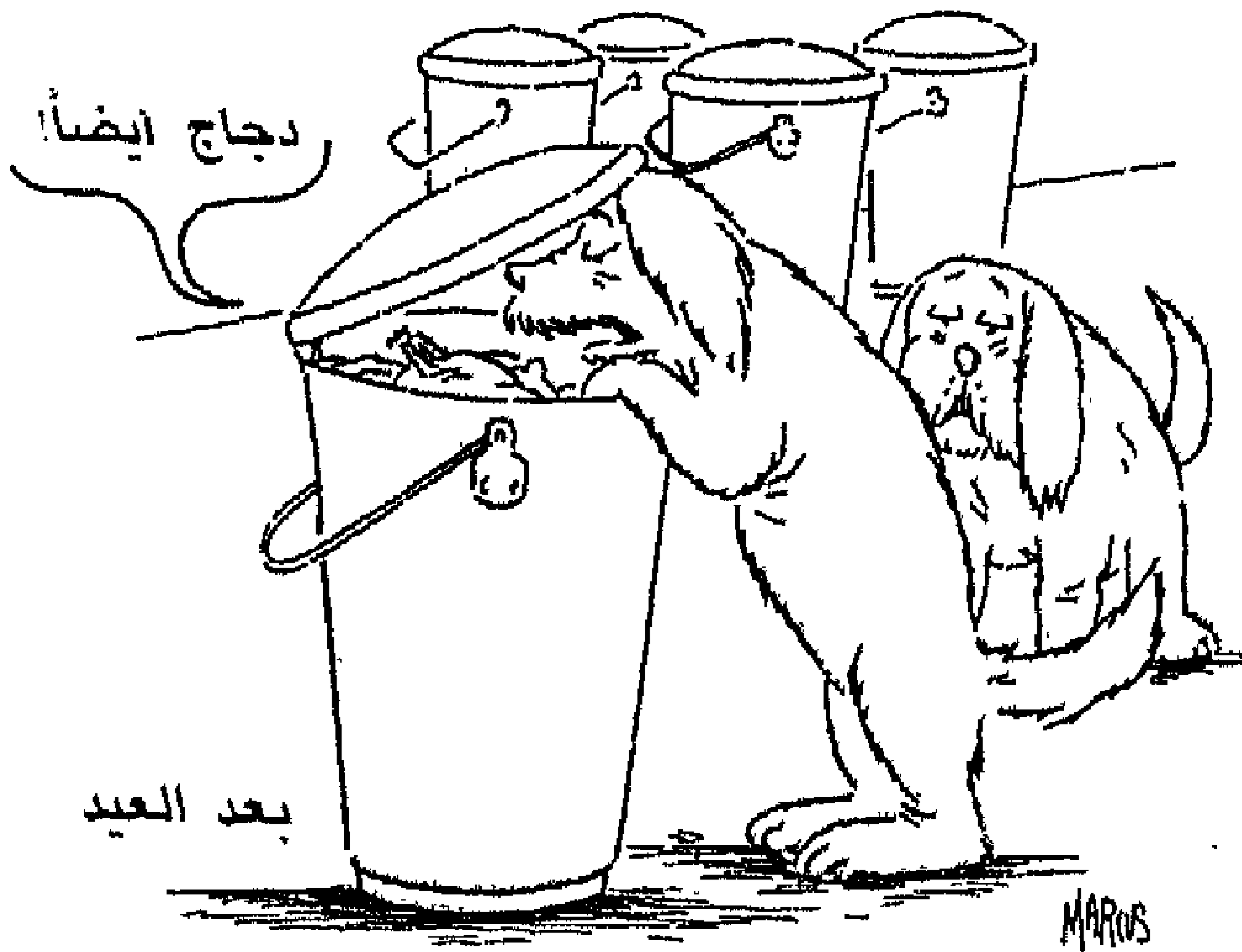
كلاب

JACKL IN DIE WELT



« لا تكن مشاكساً،
ممَّ تشكو هذه الشجرة؟ »

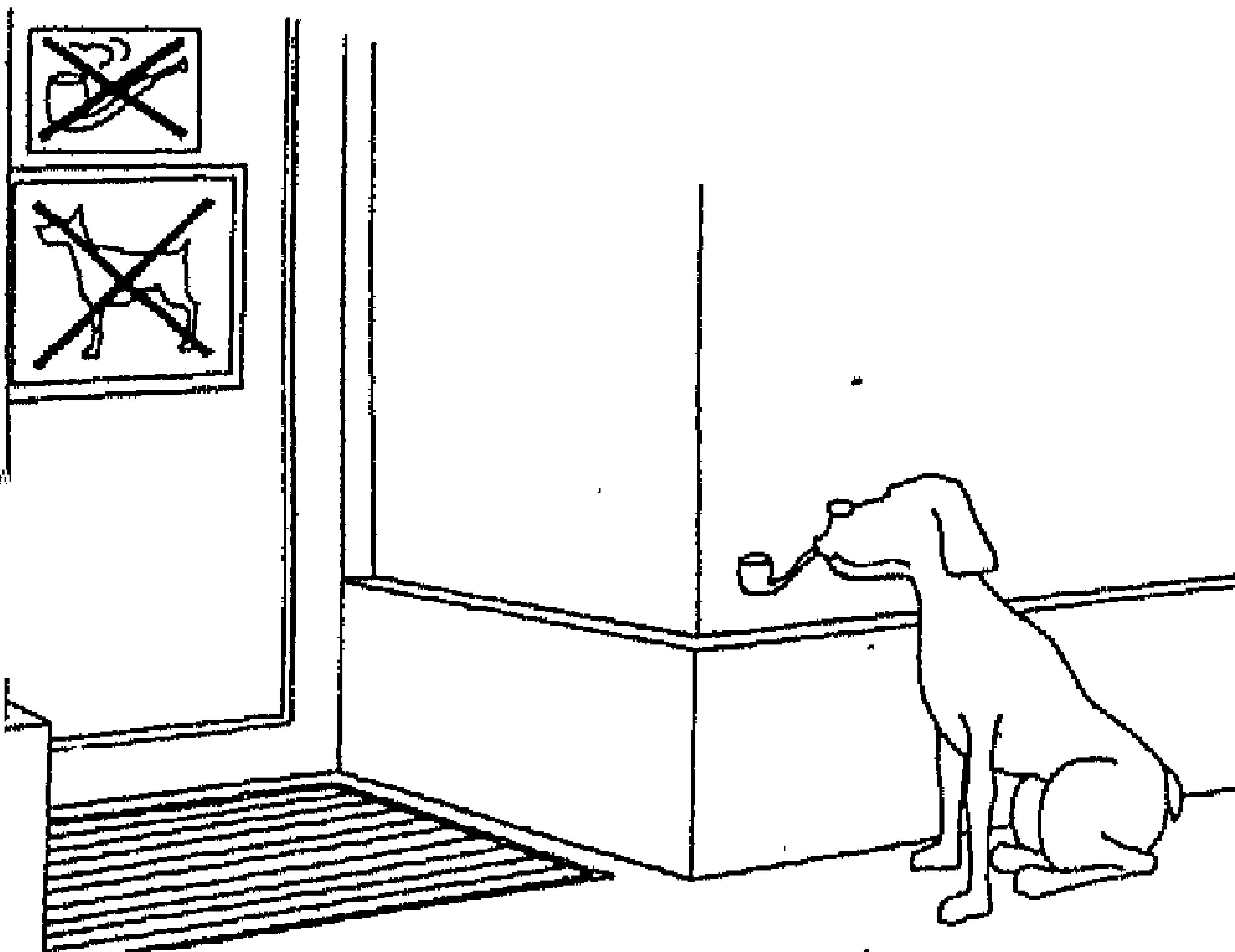
FRED MARCUS IN DIE WELT



بعد العيد







بدون تعليق.

ما زال جرواً لا يحسن التصرف
لكنه أذاقني طعم الحرية

العين المبصرة

أُعاني مشكلة بصرية هي التهاب الشبكية الخضابي[1]. وهذا تلف موروث في شبكية العين، أي الحجاب الرقيق في مؤخر العين الذي يتلقى الصور من العالم الخارجي. والمعروف عن هذا المرض أنه يتطور على نحو لا يلين بحيث يخفف الرؤية درجات لا يمكن التكهن بمداها. وكلما تصورت أني أتكيف مع ما جدَّ لدي من قصور في الرؤية، يطالعني مجدداً عالم خفتت معالمه ويعاودني ما كدت أنساه من وهن وغيظ.

وحين بدأتُ في صيف ١٩٨٨ اصطدم بمقابض أبواب منزلي علمتُ أن الأوان قد آن لطلب المساعدة. فاتصلتُ بمعهد "العين المبصرة"[2] في موريستاون بولاية نيوجرزي.

على متن الطائرة التي نقلتني الى نوارك تذكرت كلبي تشارلي الذي نفق قبل مدة، فغلب علي الخوف. هل سأوكل حياتي حقاً الى حيوان من فصيلة تشارلي؟

تأسس معهد "العين المبصرة" عام ١٩٢٩، وهو يستند اليوم الى وقف تزيد قيمته على ٦٠ مليون دولار. والمعهد الذي تبلغ مساحته ٢٢ هكتاراً من الأرض المشذبة، يضم نحو ١٦٠ من كلاب الـ"لابرادور" والـ"جرمان شيبرد"، وقصراً من طراز العهد الجورجيّ يؤوي ٢٠ تلميذاً ومدرباً، ومقراً لتسعين موظفاً. ويؤم هذا المعهد سنوياً نحو ٢٣٠ كفيفاً يدفع كل منهم ١٥٠ دولاراً ثمناً رمزياً لأول كلب يقتنونه من كلاب "العين المبصرة" و٥٠ دولاراً ثمناً لكل كلب لاحق. ويدفع المعهد ثمن تذاكر سفر التلاميذ ذهاباً وإياباً وكلفة الاقامة والطعام لمدة شهر.

بلغ عدد التلاميذ في دورة التدريب التي تابعتها، ستة عشر بينهم ستة يأخذون كلبهم الاول، وأنا منهم. أما الباقون الذي يطلقون على أنفسهم صفة

(١) Retinitis pigmentosa
(٢) The Seeing Eye

"المجدِّدين" فكانوا سيبدلون كلابهم المريضة أو النافقة. ورحنا، نحن الجدد، نصغي حابسي الأنفاس الى قصص القدامى عن تفاني الكلاب في الفيضانات والعواصف الثلجية والكوارث الأخرى، وعن ذكائها الخارق وفتنتها الأسرة.

كان اسم مدربتي كريس فردي. وهي قالت لي: "سأرشدك الى طريقة التعامل مع كلبك. وستتولى أنت تسيير جونو يا سيد بوتوك." وناولتني الرسن الذي خلت للوهلة الاولى انها تلف طرفه الآخر حول عنقها.

قلت لمدربتي مجربا: "اتبع خطاي يا جونو." وكانت فردي تعلمني كيف أصحح أخطاء كلبي بجذب خاطف من الرسن وعلمت لاحقاً أنها كانت تمسك بالرسن.

وكانت هذه التجربة، إضافة الى الاستبيان الاستطلاعي الذي أجبت عن أسئلته قبل بضعة أشهر، ما يقرر مدى التلاؤم بين الكلب والتلميذ.

لحظات قلق. طال يوم انتظار الكلب الملائم. وبدت غرفة الاجتماع مشحونة بضغط الانتظار. وبعد لأي، جاءت فردي ومعها قائمة قرأت منها: "يا سيد بوتوك، إن اسم كلبك داش، وهو شيبرد ذكر أسود ضارب الى السمرة."

ارتجفت وأنا أمسك برسن رفيقي الجديد، وقلت مربتاً رأسه العريض: "مرحباً يا داش." وقد هالني واقع أننا سنتلازم على مدى نحو عشر سنين.

مشينا على أرصفة مكتظة بالمارة أحدق جاهداً ببقايا بصري التي خلتها رُشّت بوحل، فلم أر ما يكفيني لاقوِّم أداء داش. كانت رغبتي ملحة في وضع ثقتي فيه، لكنني فضلت عدم المجازفة فأبقيت يدي أمام وجهي احتياطاً.

قالت لي فردي: "استرخِ يا سيد بوتوك، فأنت متوتر جداً." وقد بذلت قصارى جهدي لأروض إرادتي على الاستسلام لارشاد كلبي. وكان ذلك كمن يلقي بنفسه من طائرة مصلياً كي تنفتح المظلة.

كنت أركض وداش على الرصيف ثم نتوقف فجأة عند الزاوية. فتعلِّق فردي: "تهانيّ يا سيد بوتوك."

وأقول: "إنك رائع يا داش."

ولكن كانت هناك لحظات من الذعر والألم أيضاً. وحين قادني داش الى الاصطدام بعدّاد موقف للسيارات، اشتعلت غيظاً وصرخت: "كيف تفعل ذلك بي؟ أهذا ما تدعوه تقوية لروابط الود بيننا أيها الجبان الخسيس؟"

وبعد قليل، حين توقف داش عند المنعطف كما كان يجدر به أن يفعل، بدا مديحي له ضعيفاً ومصطنعا. فقالت فردي: "داش لا يفهم لماذا ما زلت غاضباً يا سيد بوتوك. يجب أن تتعلم كيف تنسى غضبك حالما تصوِّب خطأً ارتكبه كلبك." وللحال فكرت كم من العذاب كنت تداركت في حياتي بين الناس لو كانت فردي دائماً الى جانبي ترشدني.

وحين توقف داش عند سيارة تسد منفذ الرصيف، قلت له: هاب، أب." وهذا يعني في تلك الحال: "ابحث عن طريق

أخرى حول هذه العقبة." وبتؤدة قادني حول مؤخر السيارة، ثم جذبني فجأة الى الوراء وجسده مشدود ومترقب. فأخبرتني فردي أن نفث دخان العادم أنذر كلبي الرائع بأن السيارة على وشك التراجع.

مخالفات. مر شهر من التدريب القاسي شعرت بعده بأن يدي اليسرى الممسكة بالرسن غدت حساسة لأدنى حركة أو شرود أو "فكرة" تمر في دماغ الكلب المدهش. واستطال جسدي نحو ٩٠ سنتيمتراً تنتهي عند أنف داش الحساس. كذلك استطال حسّ داش الحيِّزيّ ليشمل الفسحة التي اشغلها، وهي بعرض ثلاثة ارباع متر الى يمينه وارتفاع نحو متر فوق رأسه.

وآن الأوان كي أتحقق مما اذا كان الأمر قابلا للتطبيق في عالم الواقع، حيث تكتظ الشوارع بالمارة ويكثر السائقون الرُعناء ولا مرشد يتبعك.

وبعث معهد "العين المبصرة" رسالة الى عائلتي ترشدها الى طريقة التصرف حيالي في المنزل: "تحاشوا الانفعال حين وصوله، استقبلوا الكلب بهدوء، لا تلحقوا بهما الى الشارع لتروا كيف يتصرفان." وكان هذا كافيا لإثارة فضول اولادي الثلاثة وكثير من الأصدقاء.

حضر العشاء ليلة وصولي ١٤ شخصا. ولما حاولت السيطرة على ارتباك داش بأخذه الى غرفتي من وقت الى آخر، شبهتني زوجتي شارلوت بأم تأتي بوليدها من المستشفى، وشبهت هي نفسها بالاب الذي يراقب مبتسما ما يجري عن بعد.

وبدأت نظاما جديداً لحياتي اليومية: المشي نزولا على التلة الى مكتبي صباحاً، والإياب ليلا. ولم أكن تمشيت في الليل وحيداً مذ كنت طفلا. لكن ذلك لم يكن مشياً، بل ما يشبه الطيران. نحن السبّاقان في عالم العميان.

وصادفتني صعوبات سبَّبها تغاضيَّ عن بعض مخالفات داش، كأن يهرُّ هرَّة منقوصة حين يُفترض فيه أن ينذرني الى خطر ما. وبعد ثلاثة أشهر غدا داش متململا ونزاعا الى التلهي. وكنت مضطرا الى السفر بالطائرة بعد أسبوعين الى الشاطىء الغربي من الولايات المتحدة للمشاركة في سلسلة محاضرات. لكني غدوت متردداً في الذهاب.

اتصلتُ بمعهد "العين المبصرة"، فأوفدت الي مدربة اسمها بيغي غيبون لتقويم الأمور. ذهبنا لنأكل في أحد المطاعم حيث تكثر مخالفات داش من نباح وهَرّ وصدم بالطاولات. غير أنه أدى عمله في الشوارع على نحو لا تشوبه شائبة. وعندما نظرتُ اليه بعيني غيبون، أدركت أنه يعكس توتري وقلقي. وإذ كُنت أنا القلِق، كنا نسير معا بخطى سريعة ولا نأخذ الأمور بتؤدة بسبب الارهاق ونفاد الصبر.

قالت لي غيبون: "إنه لكلب رائع، لكنه ما زال جرواً. ثابر على العمل معه وكن صبوراً."

كان لارشادها فعل الاكسير الشافي، فانطلقتُ وداش في رحلتنا الى الشاطىء الغربي من دون أدنى معكر.

انتقام داش. في بورتلاند بولاية أوريغون طُلب مني الظهور مع داش في برنامج تلفزيوني صباحي. فهالني أن أشاهد الاستوديو مكتظاً بالقطط ومدربيها. لكن داش تمكن من السيطرة على ارتباكه.

وفي كلية ريد تداعت شركتنا اذ راح داش يجرني وراءه مندفعاً في أثر الكلاب السارحة في الحرم. وكانت قاعة الاجتماعات مكتظة بجمهور من الطلاب والأساتذة اضافة الى مجموعة من العميان وكلابهم.

خلال المحاضرة راح داش يذرع الأرض ورائي وهو يئن ويهر. وحاولت تبرير جموحه كأم نافدة الصبر تعتذر لصراخ طفلها متذرعة بأنه مرهق.

في الربيع أعارنا أحد الاصدقاء منزله في نيويورك قائلا: "يمكنك أن تتمرن وداش في المدينة."

وذات أمسية تركت داش في المنزل وذهبت وزوجتي لزيارة أصدقاء. وفي الطريق بدأ القلق يراودني. فقالت شارلوت: "ماذا يمكن أن يحدث؟ استرخ."

وفي منزل أصدقائنا، تأكلني الغيظ لتركي داش وحده، وخلت أنه لا بد منتقم لذلك. ورحت أتذكر الأشياء الثمينة في الغرفة. وحالما انتهينا من العشاء سارعت بالخروج مع شارلوت بأسرع ما تسمح به اللياقة.

وفي سيارة الأجرة رحت أقدر الاضرار المحتملة مضيفاً الى ديوني عشرات الوف الدولارات. لكن الشقة بدت سليمة في ما عدا غرفة الضيوف التي انتثرت في ارجائها كوم من المواد الليفية. وتبين أن تلك كانت بقايا سجادة حريرية رائعة. وللحال فهمت مقصد كلبي: "اقتصر الأمر هذه المرة على سجادة قديمة لا قيمة لها. اتركني ثانية فأحطم سريرك الثمين."

نصر مبين. قررت أن الوقت حان لأجرب وداش التنقل في أنفاق القطارات الكهربائية (المترو). وحين وطئت قدماي الرصيف رحت أتصبب عرقاً مخافة الوقوع في مجرى السكة الحديد.

وعندما قعقع القطار مقترباً قادني داش الى الباب المنفتح وجرني برفق عبر بحر من الركاب. وهناك ساعدتني امرأة على الجلوس في أحد المقاعد. وعندما توقف القطار في المحطة هزني الفرح بأن أقاد خارجاً الى نور النهار.

سألت عن الطريق الى متجر التسجيلات الموسيقية، فأشار رجل بيديه الى الجهة المطلوبة. قلت له: "إني كفيف." فأبدى أسفه وتابع ارشادي بيديه. وفي المتجر قادنا أحدهم الى قسم الموسيقى الهادئة حيث ابتعت بعض الأشرطة وخرجت لا ألوي على شيء. إنه لأمر عادي في حياة الناس اليومية، لكنه بالنسبة الي كان نصراً مبيناً.

سرّنا أن نعود، نحن الثلاثة، الى منزلنا في فرمونت. وجلست في ساعة متقدمة من تلك الليلة أصغي الى ثلاثية موزار وداش متمدد عند قدميّ.

لقد أذاقني داش طعم الحرية الحقيقية. مددت يدي الامس أنفه الطويل

الأنيق. أردت أن أنقل اليه محبتي بكلمات لا تعبر عنها المداعبة ولا الصوت. أردت أن أحدثه عن شكري لما قدمه وما سيقدمه الي. أردت أن أعبر عن مدى أسفي لكونه ممنوعاً من اللعب مع أترابه في الحدائق ومن مطاردة القطط، ولأنه ضرورة ماسة في حياتي ولن أسمح له أبداً بالانطلاق على سجيته. وهنا غيّر داش وضعه عند قدميّ وكأنه يقول: "هذا يكفي."

ينام داش الى جانب سريري على سجادته. وذات صباح ضبطته نائماً في السرير، فنهرته قائلاً: "السجادة لك والسرير لي."

وفي اليوم التالي حضّرتُ القهوة وصعدت بفنجانين الى غرفة النوم. فسبقني داش وطبع قبلة الصباح على وجه شارلوت وهي نائمة. ولمّا وصلت وجدته متمدداً قربها بهناء وقد جر السجادة فوق السرير. فكيف لا أرتاح وقد أوكلت حياتي الى حيوان له مثل هذا الدماغ المخطط؟

ومع مرور الأيام ترسخت معرفة واحدنا بالآخر، كذلك معرفتنا بالطرق التي تسعد كلينا. وسنواصل العمل من أجل مواجهة الحياة وانجاز الأعمال الكثيرة التي تنتظرنا.

أندرو بوتوك ■

اقتصاد الماني

أنا اوسترالية متزوجة المانيا ونعيش في اوستراليا. ويواظب زوجي على الاتصال بوالدته في فرنكفورت، لكنه واجه صعوبة في الاتصال بها لمناسبة عيد مولدها الاخير. وإذ لم يرد احد في منزلها، اتصل باخته في نورمبرغ التي اعلمته ان والدتهما تزور اختها في هامبورغ.

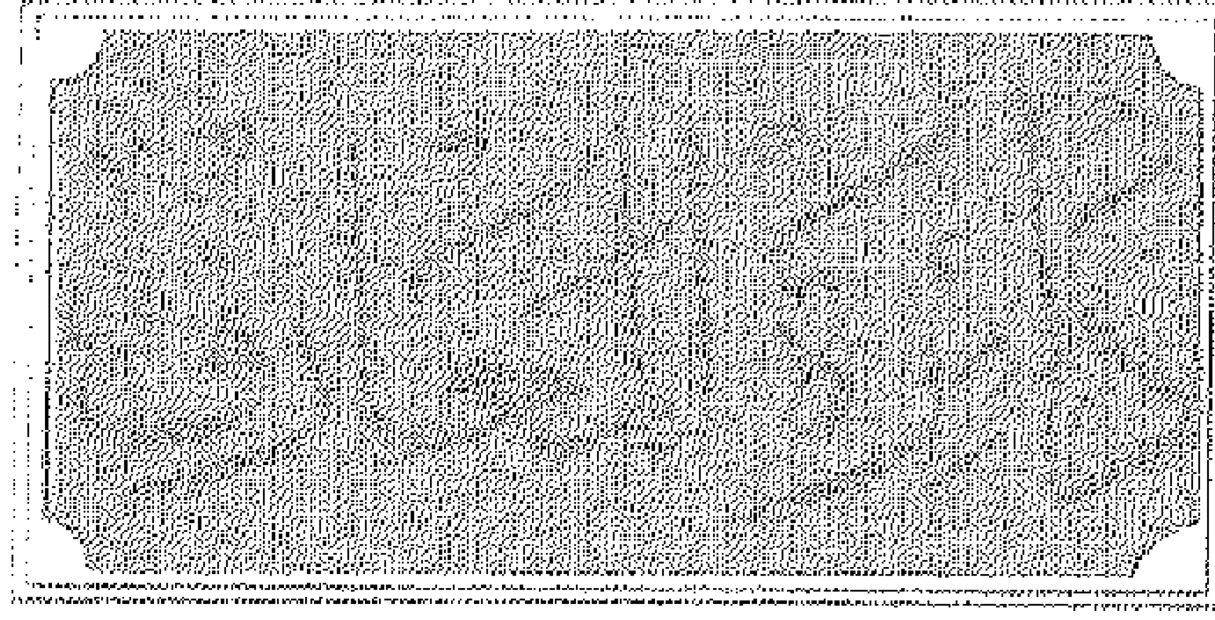
واخيراً ردت الخالة على الهاتف، لكنها استغرقت وقتا طويلا للتعرف الى زوجي بسبب سمعها الثقيل، ومن ثم نادت والدته التي اخذت السماعة وقالت: "ان المكالمة الهاتفية من اوستراليا الى المانيا باهظة الثمن." واقفلت الخط.

ب.ج.

لسان مارشال

كان المارشال البريطاني الفيكونت مونتغمري، بطل معركة العلمين، يتميّز بعين ثاقبة تكشف نقاط الضعف في الآخرين، وبلسان لاذع في النقد. وذات مرة كان في مصعد احد الفنادق في بريطانيا متوجّها الى صالة الطعام. فتوقف المصعد في احدى الطبقات وهم أحدهم بدخوله، ففوجيء بالمارشال وسقط على ركبتيه واجهش بالبكاء اذ غلبته العاطفة لالتقائه المارشال الذي خدم في إمرته خلال الحرب والذي عوّض بلاده نصرا بعد هزيمة. فانتهره مونتغمري: "انهض!" ثمّ دفعه خارج المصعد آمرا: "اذهب وقصّ شعرك."

ن.هـ.



قليلة هي الكلمات العربية التي تنتهي بحرف الهاء. هنا بعض منها، وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عَمَه**: ملل – عمى البصيرة – عَجَلة – نفاد صبر.

٢. **رَفاه**: تسلية – تخمة – لين العيش وطيبه – علوّ.

٣. **فَكِه**: ضَحوك مزّاح – وقح – جميل – بيِّن الذكاء.

٤. **تِيْه**: حياء – حَوَل العينين – جهل – صَلَف وكِبْر.

٥. **مفوَّه**: مغسول – بليغ الكلام – مكتوم – كبير الفم.

٦. **شَرَه**: عطش – نزعة الى الشر – هزال – اشتداد الميل الى الطعام.

٧. **كُنْه**: جوهر – زوج الابنة – لون – مظهر.

٨. **نبيه**: فطن – رقيب – مؤدِّب – داهية ماكر.

٩. **مشوَّه**: منحرف – معلَّق – قبيح الشكل – مغطى.

١٠. **نزيه**: عريق النسب – عفيف – محقّ – لطيف المعشر.

١١. **تافه**: بغيض – مجنون – شديد البياض – قليل خسيس.

١٢. **فِقْه**: لغة – ظرف – علم بالشيء وفهمه – طب.

١٣. **جاه**: قَدْر وشرف – ثروة – حُسْن – جور واستغلال.

١٤. **شبيه**: حبيب – مضلِّل – مثيل – موضع ارتياب.

١٥. **مدلَّه**: ذليل – مدلَّل – ساهي القلب – دائم الخطأ.

١٦. **إكراه**: بغض – إزاحة – إقناع – حَمْل على ما يُكرَه.

١٧. **تأوُّه**: تلوّ – شكوى وتوجع – زجر – زغردة.

١٨. **سفيه**: رديء الخلق – واطىء – غبي – وسخ.

١٩. **تمويه**: محو – طرْف العين – تلبيس وتنكير – مدح.

٢٠. **شده**: خبل – وسع الفم – جوع – حيرة ودهش.

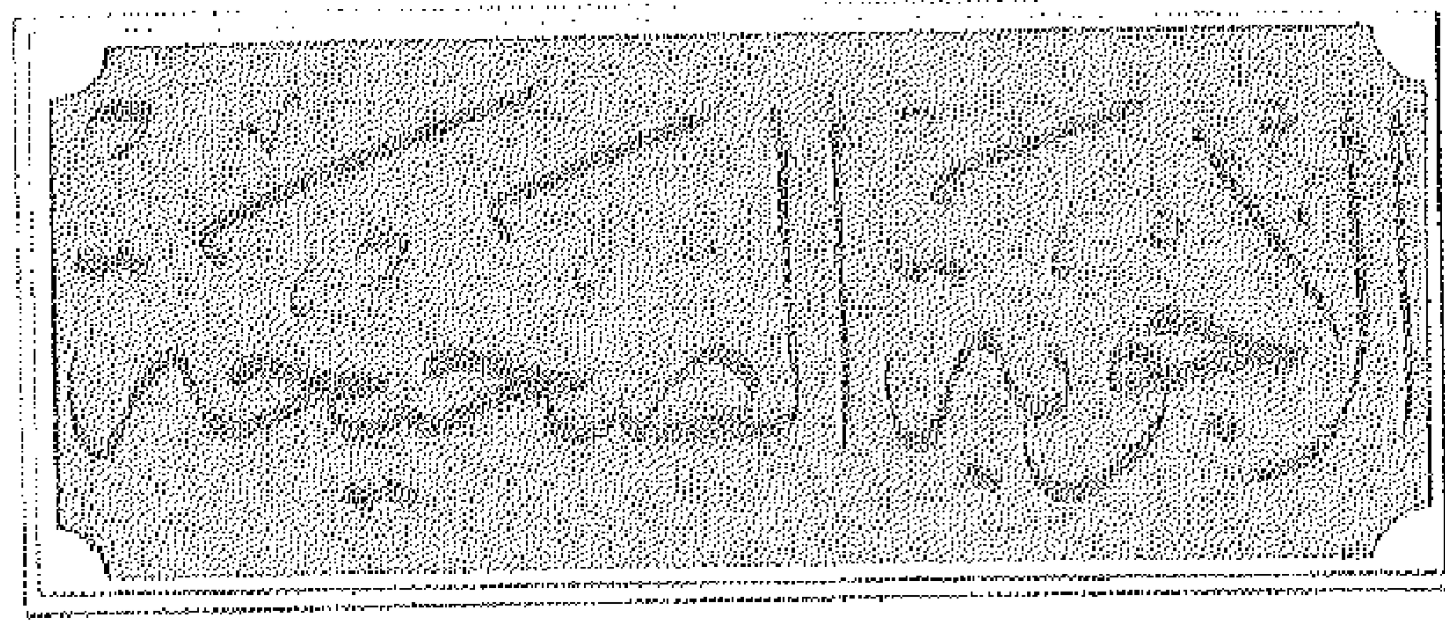
٢١. **فُوْه**: جب ماء – فم – بركان – كلام مهموس.

٢٢. **تنويه**: تذكير – إشادة وتعظيم – تلوين – تحسين.

٢٣. **بَلَه**: ضعف العقل – عشق – غفلة – شَرّ البلايا.

٢٤. **وجيه**: كبير الوجه – شجاع – سيد القوم – صادق.

٢٥. **أفاويه**: حيّات – روائح – أضاليل – توابل.



١. العَمَه: عمى البصيرة. العَمِه: المتحير في أمره والمتردد في الضلال.
٢. الرَفاه: لين العيش وطيبه. الرِفاه: الاتفاق.
٣. الفَكِه: الطيِّب النفس الضحوك المزّاح. الفاكهاني: بائع الفاكهة.
٤. التِيْه: الصَلَف والكِبْر. أيضا: الضلال. تاه: ضلّ، تكبّر.
٥. المفوَّه: البليغ الكلام. يقال "خطيب مفوَّه."
٦. الشَرَه والشراهة: اشتداد الميل الى الطعام. الشَرِه: من يأكل فوق الحاجة.
٧. الكُنْه: جَوهر الشيء واصله وحقيقته وغايته. أيضاً: الوقت.
٨. النبيه والنابه: الفطن وذو النباهة. أيضا: الشريف.
٩. المشوَّه: القبيح الشكل وكل شيء من الخَلْق لا يوافق بعضه بعضا.
١٠. النزيه: العفيف المبتعد عن السوء. المتنزَّه: مكان التنزه.
١١. التافه: القليل الخسيس. والطعام التافه هو ما ليس له طعم حلاوة أو حموضة أو مرارة.
١٢. الفِقْـه: العلم بـالشيء وفهمـه، وخصوصاً العلم بالاحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية.
١٣. الجاه: القَدْر والشرف وعلو المنزلة.
١٤. الشبيه: المثيل.
١٥. المدلّه: الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه.
١٦. الاكراه: الحمل قهراً على ما يُكره. المكروه: الشر.
١٧. التأوُّه: الشكوى والتوجع وقول "آه." والآهة اسم من تأوَّهَ.
١٨. السفيه: الرديء الخلق والجاهل والاحمق. سافَهَهُ: شاتمه.
١٩. موَّه الامر أو الخبر تمويهاً: زوَّره وزخرفه ولبَّسه أو بلَّغه خلاف ما هو. والتمويه تنكير المعدات الحربية بحيث تخفى على العدو، وهو في الاجنبية «camouflage» .
٢٠. الشُدْه والشَدَه: الحيرة والدَهَش. شُدِه: دهش.
٢١. الفُوه والفاه والفيه: الفم، جمعها أفواه. فاهَ بكذا: نطق به.
٢٢. نوَّه به تنويهاً: رفع ذكره وأشاد به وعظَّمه.
٢٣. البَلَه والبلاهة: ضعف العقل وعجز الرأي. الأبله: الضعيف العقل.
٢٤. الوجيه: سيد القوم وذو الجاه والوجاهة.
٢٥. الافاويه: التوابل، وواحدها فُوْه.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

العمل مفتاح النشاط

كثيرون منا يعرفون أعاجيب النشاط وفعله فينا من اثارة وإلهاب حماسة، وأنه يخرج بعض الناس عن أطوارهم، أولئك الذين يجاوزون نصيبهم من العمل واللهو. واذ نفكر ملياً، نستذكر كلنا، من دون استثناء، فترات كنا فيها نتفجر نشاطاً. زمنذاك كانت الأيام تبدو قصاراً. والفواصل بين العمل واللعب غبشة لا تلبث ان تمحي.

أتذكرون اذ كنتم تجاهدون لابقاء عيونكم مفتوحة في قاعة الصف، فيما تكونون في أعلى درجات اليقظة خلال ساعات الرياضة بعد قرع جرس الانصراف؟ أوتنسون فورة النشاط تلك التي تدب فيكم عند بداية علاقة حب، أو خلال معضلة مهنية تطرح تحدياً، أو عند دنو خطر ما؟

لكننا كثيراً ما نشعر بأننا مستنزفون، لا نقوى على جر أنفسنا لانجاز أبسط الاعمال. فنترك الرسائل من دون رد، وصنبور الماء راشحا، ونهدر قوانا في عمل لا طائل تحته، أو نتسمر أمام شاشة التلفاز. لماذا؟

الانسان كالآلة تبلى لعدم استعمالها. نحن نعرف من مادة الفيزياء التي تعلمناها على مقاعد الدراسة الثانوية أن الطاقة الحركية مقرونة بالتحرك. والأمر نفسه يصح على الطاقة البشرية، فهي تولد بالاستعمال، ولا يسعنا أن نختزنها.

كلنا نملك خزيناً ضخماً من الطاقة الكامنة، أكبر كثيراً مما نرجو استعماله. واذا ما استطعنا استغلال نسبة اضافية ضئيلة تبلغ عشرة في المئة من هذا المورد الغزير، فستتبدل حياتنا. وهاكم السبيل لبداية سليمة:

حسِّنوا صحتكم وحافظوا عليها. ان اللياقة البدنية تزيد من النشاط في كل أوجه حياتنا. ولعل أفضل علاج للكلال الذي يدهمنا هو ممارسة الرياضة الحيهوائية (ايروبيك) لمدة نصف ساعة.

صرِّفوا الغضب في مسارب نافعة. كل إنسان يغضب. لكننا نكبت شعورنا بفاعلية فنهدر الطاقة المرافقة له. ثمة أوقات يحسن فيها أن نفقد اعصابنا وندع

العالم يعرف بالأمر. ولكن من الممكن أيضاً توظيف الطاقة المشبوبة الناتجة من السخط أو الحنق، في العمل لبلوغ أهداف ايجابية. حين تشعرون بالغضب يضطرم داخلكم، اذهبوا واعملوا بهوج في مشروع محبب إليكم.

ابرزوا الوجه الايجابي. تشير دراسات عدة إلى أن الاشخاص ذوي النظرة الايجابية في الحياة غير معرضين للسقام كأولئك الذين لا يرون الا السلبيات. وهم أوفر نشاطاً أيضاً.

يتحدث طوم بيترز وروبرت واترمان، وهما من أبرز المستشارين الاداريين في الولايات المتحدة، عن شبَه في التعبير يصل الى حد التطابق بين مديري أنجح الشركات الأمريكية. هؤلاء يشيرون الى قيمة السلوك الايجابي وجدوى الاطراء والأنواع الأخرى من ردود الافعال الايجابية. ويستشهد بيترز برأي مدير يعتقد أن الرجال الناجحين جداً "نعموا في طفولتهم بثناء جم بلغ أحياناً حد الارباك."

وتزودنا النكسات الكبيرة في الحياة طاقة إضافية، اذ انها تهزنا من خمودنا شرط أن لا نتعامى عن وجودها. إن الاقرار بوجود السلبيات لا يعني التباكي، بل جبه الحقيقة ومتابعة العمل.

بوحوا بالحقيقة. يرى ويل شوتز، أحد مستشاري الشركات أن "لا شيء يبعث الهمم ويزيد النشاط في شركة ما كالمصارحة وقول الحقائق." فالبوح بالحقيقة يجدي حين ينطوي على الإفصاح عن المشاعر وليس عند استعماله لإهانة الغير وانفاذ ما يحلو للمرء. وثمة أمور محمودة ترافق ذلك البوح، كالمخاطرة والتحدي والاثارة، ولعل أهمها اطلاقا الافراج عن الطاقة.

ضعوا سلم أولويات. عند أي اختيار تجبهنا واقعة مهمة: إن سلوك اتجاه واحد يعني نبذ الخيارات الأخرى كلها. فانتقاء هدف واحد يستلزم بالضرورة استنكافا عن عدد كبير من الغايات والأهداف الممكنة. لكن إبقاء جميع الخيارات في الحسبان يعني عدم القيام بأي شيء. اذ ان التلكؤ في اتخاذ قرار يؤدي الى التراخي الذي يفضي بدوره إلى خفض النشاط والى الغمّ والقنوط.

ان دواء الكسل الذهني والروحي العزم الواضح على الفعل. فالمرء لا يقدر على القيام بكل الأمور في آن، ولكن في مستطاعه أن ينهض بأمر واحد، يتبعه آخر فآخر. وأخذ قرار خاطيء أفضل من عدم الاختيار أصلا. ابدأوا بادراج أولوياتكم في اليوم والاسبوع والشهر، وصنفوها في مجموعات "أ" و"ب" و"ج". وانجزوا الأعمال الواردة في المجموعة "أ" على الاقل.

وجربوا الأمر عينه مع الأهداف الطويلة الأجل. قد تتبدل الاولويات، وفي

وسعكم تغييرها متى شئتم، لكن تدوينها يضيف الوضوح إلى حياتكم.

التزموا مواعيد محددة. ليس هناك ما يحفز على النشاط كوجود موعد أخير جازم صارم، وذلك ما يعرفه جيداً كل من واجه رفع الستارة عن خشبة المسرح ليلة الافتتاح، أو الموعد الختامي لصفقة تجارية، أو موعد تسليم أطروحة جامعية.

ان الموعد المفروض على المرء ليس متاحاً على الدوام، وعلى الانسان أن يضرب لنفسه مواعيد يلتزمها. خذوا الأمر بجدية، وأحد السبل الى ذلك هو أن تعلنوه على الملأ. أخبروا الأشخاص ذوي الشأن لديكم. ان الموعد كلما كان أكثر جزماً شق على النفس نقضه.

واظبوا على الحركة. خذوا مُتسعاً من الوقت للتخطيط المتزن، ولكن لا تأخذوا وقتكم كله. باشروا كل ما تقدرون على عمله، أو تعتقدون أن في وسعكم القيام به. وتذكروا دوماً أن ليس في إمكانكم أن تكنزوا الحيوية، ولا يمكنكم تكديسها بعدم استعمالها. إن الراحة جزء من أي خطة عمل، لكن الاخلاد إليها من دون عمل ايجابي، يصيبكم بالكآبة.

ولعل جزءاً وافراً من الكآبة والسخط اللذين نقاسيهما مرجعه الى طاقاتنا العاطلة، والكوامن غير المستغلة فينا. ثمة أعمال خلاقة كافية لكل الناس، وتبقى وفرة منها تنتظر من ينهض بها. إن في مقدورنا جميعاً أن نزيد من طاقتنا.

جورج لينارد ■

صوت الصَدَفة

كنت أتنزه على شاطىء البحر مع ابنتي البالغة الرابعة من عمرها. فالتقطَتْ صدفة صغيرة ووضعتها على اذنها. فقلت لها: "لا أعتقد أنك تستطيعين سماع صوت البحر في هذه الصدفة، فهي صغيرة جداً.

فأجابتني: "لا، ولكن أعتقد أنني أسمع صوت بركة سباحة."

زوج امين

استخدمت المرأة التي كانت تقف أمامي في الطابور بطاقة اعتماد لدفع ثمن مشترياتها. فطلب منها امين الصندوق أن تكتب رقمها الهاتفي في أسفل الفاتورة وتوقعها. وإذ كنت أنوي الدفع بواسطة بطاقة اعتماد، سألت الموظّف ما إذا كان يريد رقم هاتفي. فأجابني: "آسف يا سيدتي، فأنا متزوج."

ل.س



إبني كَبر وَأصبح طيّاراً

"انه يتكلم عن حلمه منذ بدأ الكلام فيجب أن يكبر ويكون له ما يريد"

ذات عصر في منتصف فصل الصيف تلقينا مكالمة هاتفية تفيد أن سيارة صدمت ابننا وهو راكب دراجته. وعندما وصلنا الى مكان الحادث كانت سيارة الاسعاف وسيارات الشرطة سبقتنا وأضواؤها الوامضة تلتمع.

ورأينا جو ممددا وسط الشارع في بركة من الدم. واذ قفزنا من سيارتنا شاهدنا حراما يرفع كأنما لتغطية وجهه. كانت تلك لحظة مروعة كتلك التي يقاسيها الاهل في كوابيسهم، وهي أكلح لحظات حياتنا.

قلت لنفسي: لا! هذا ليس ممكنا. انه يستحق حظا أوفر في الحياة. هو في الحادية عشرة من عمره. وكان يريد أن يلعب البايسبول وكرة القدم وأن يصبح

طياراً. كان يتكلم عن حلمه هذا منذ بدأ الكلام. يجب أن يكبر وأن يكون له ما يريد.

وأسعدنا الحظ. لم يكن جو ميتاً. كان المسعفون يغطونه بالحرام لابقائه دافئاً. وهم جمعوا جسده بتأن على محمل خاص بحوادث الصدمات، ورفعوه على نقالة وأدخلوه سيارة الاسعاف.

بدأت الرحلة بطيئة وسهلة. جلست والدته الى جانبه ممسكة يده. وقد بقيت عيناه مفتوحتين وبدا يقظاً وهادئاً على نحو مخيف. فجأة قال المسعف الطبي للسائق: "أسرع، سيتعرض لصدمة!"

ولولت الصفارة واندفعنا في شوارع المدينة الى المستشفى، حيث تولى فريق طبي نقل جو سريعاً الى غرفة الطوارىء.

كان عظم الفخذ الايمن مكسوراً قرب الورك، والركبة مصابة بكسر شعري، وفي الرأس جرح بالغ استلزم ١٨ قطبة. وأصيب الدماغ بارتجاج طفيف، لكن الجمجمة سلمت من الأذى.

تحمل جو تعاسة شهرين ونصف شهر وهو مقعد في المستشفى. وعاد الى البيت بجبيرة تلف جسده من ابطيه الى أصابع قدميه. وسبب له هذا القيد رد فعل عصبياً شبيهاً برهاب الاحتجاز.* فكل ثلاثة أيام كان يصاب باعتلال عنيف وبصداع حاد بحيث يستحيل عليه تحمل النور في غرفته. وبقيت الجبيرة تلفه لمدة شهرين، عاد بعدهما يمشي على عكازين ويستمتع بحريته السليب.

(*) Claustrophobia

ولكن على رغم زياراته اليومية للمستشفى للمعالجة الفيزيائية فانه لم يستردّ قوته بالسرعة التي تمنيناها. ظل نحيلا الى حد أنني كنت أتصور أن في استطاعتي تطويق خصره بقبضتي. وفي مجالسنا الخاصة كنت وأمه متخوفين من ألا يعيش طويلا.

لقد أغدق الله علينا تسعة أولاد. وكان جو الوحيد بينهم عرضة للمرض، منذ طفولته. فهو الذي يصاب بالغثيان لدى ركوب السيارة. وهو دائماً أول من يلتقط أمراض الطفولة. واذا مرت الانفلونزا بأفراد العائلة فانه يلتقطها مجدداً.

ولو أدركنا الحقيقة لما قلقنا، ففي مكان حريز داخله كان يحدث أمر مدهش.

تدمر المحنة بعض الاشخاص، في حين أنها تحفز آخرين وتدفعهم الى الانجاز. وقد اختار ابننا أن يكون منجزاً. وهو لم يفصح عن عزمه لأحد، ولكن اذ أستعيد ذكرياتي وأتأملها يتجلى لي أن جو صمم على العمل بكل قدراته.

عندما عاد الى المدرسة على عكازين أثار مظهره الناحل ولونه الشاحب قلق الجميع. حتى رفاقه بدوا شديدي القلق لحاله. وأغضبه ذلك، فانتزع ثقتهم — واعجابهم — اذ سار على عكازيه من أول رواق المدرسة الى آخره من دون أن تلمس قدماه الارض. وتحدى رفاقه فحاولوا السير مثله لكنهم لم يفلحوا.

بعد فترة وجيزة جهز مع اخوته غرفة للتمارين في الطبقة السفلى من المنزل، ووضعوا فيها أثقالا وسوى ذلك من



مستلزمات كمال الاجسام. واكب جو على نظام تدريبي بتركيز قوي أصبح في ما بعد سمته المميزة. وعندما استعادت رجلاه قوة كافية أتبع تمارينه بالعدو مسافات طويلة وبالعدو السريع لتنشيط الرئتين.

وكرت السنوات. كنا نراقبه وهو ينمو ليصبح شاباً قويا، عقلا وجسداً. واظب على دراسته الثانوية باجتهاد غير عادي، مكباً على كتبه الى وقت متقدم من الليالي وفي عطلات نهاية الاسبوع. ولم يكن اخوته الذين سبقوه الزموا هذا المقدار من الفروض المنزلية، فاعتقدنا أن الامور تغيرت في المدارس أو أن أحد معلميه يلهمه العمل.

لم يكن الامر كما اعتقدنا. لقد أدرك جو أنه غير راضٍ عن تحصيله العلمي، فقال لنا يوماً: "انَّ قلة من المعلمين تهتم فعلا للافادة التي يجنيها الطلاب. فالامر عائد الي وحدي."

بعد حادث الاصطدام حذر الاطباء جو من ممارسة الالعاب الرياضية "الاحتكاكية." وعندما أنهى الصف الثانوي الثاني اتفقنا، أنا وأمه، على أنه معافى وقوي مثل أي فتى في عمره، فسمحنا له بالانضمام الى فريق كرة القدم في المدرسة حيث لعب موسمين رائعين.

لكن حبه القوي كان للبايسبول (كرة القاعدة). وهو أعد في الطبقة السفلى مرمى من السجادات القديمة علقها على حبل غسيل. وكان يمضي ساعات وهو يقذف الكرات التي يوجهها اليه أخوه الاصغر داخل هذا المرمى. ذلك الربيع أصبح واحداً من أفضل هدافي المدرسة، وحاز منحة لمتابعة دراسته في جامعة جايمستاون بولاية نورث داكوتا، حيث رشح للاشتراك في المنتخب الجامعي. وهو نال شهادته الجامعية بعلامات ممتازة.

بعد تخرجه في الجامعة حقق نجاحا في حقل التوظيف المالي. لكنه قال ذات يوم: "أتعلمون؟ لطالما أردت أن أطير."

وتذكرت. فتابع: "لا أريد أن أصحو يوما وأنا في الاربعين من عمري وأقول: ليتني فعلت ذلك."

بعد ذلك بعشرين شهرا جلست أنا وأمه بين الحضور في حفلة في قاعدة

PHOTO: CLAIR B. PETERSON

"وايتنغ فيلد" الجوية في فلوريدا. وسمعنا أميرالاً يقول: "لا مجال للاعتدال في هذه المهنة. فلا نقاط تسجل لحائزي المرتبة الثانية." وتابع أنه من أصل كل عشرين الفاً يتقدمون لحيازة "الاجنحة الذهبية" المشتهاة كطيارين في سلاح البحرية، يكون أقل من عشرة في المئة مؤهلين لنيلها. وأضاف: "ان هؤلاء الشباب الذين سيضعون هذه الاجنحة على صدورهم للمرة الاولى اليوم قد أثبتوا مرة بعد مرة أنهم يستحقونها."

حينئذ كان ابننا يقف على المنصة وسيماً في ثيابه البيض الناصعة. وكانت أمه هناك أيضاً جاهزة لتعلق على سترته شارة الجناحين الذهبيين.

وعادت بي أفكاري الى سنوات مضت مستحضراً صورة تلو أخرى. لقد قال لي يوماً حين كان في الرابعة: "سوف أصبح طياراً عندما أكبر." ثم مثل أمامي وهو في الحادية عشرة. ففكرت: كان يريد أن يلعب البايسبول وكرة القدم وأن يصبح طياراً. انه يتكلم عن حلمه هذا منذ بدأ الكلام. يجب أن يكبر وأن يكون له ما يريد.

في تلك اللحظة علقت أمه على سترته شارة الجناحين. لقد أصبح طياراً. وكانت تلك أجمل لحظات حياتنا.

جون هوبل ■



بيت الاحلام

أهم ما في البيت أنه يستر أحلام يقظتنا. فأين يسعنا أن نطلق عنان خيالنا كما في البيت؟ أفي المكتب أم في المعمل أم في الشارع؟ ربما استطعنا اطلاقه لفترة وجيزة في حديقة عامة قبل أن يقترب منا متسول أو بائع صحف. ومن الخطورة بمكان أن نحلم ونحن نقود سيارة.

قليل من الاماكن في المدن العصرية يناسب التامل، وربما كان هذا سبب توجهنا الى شاطىء البحر بين حين وآخر. لكن قليلين يستطيعون العيش على شاطىء البحر. إذاً، ليس لنا سوى بيوتنا. نحن نسر لدى عودتنا الى البيت، اذ نلوذ بمكان نألفه ونرتاح اليه ونشعر فيه بالأمان إذ نطلق العنان لتفكيرنا.

و.ر.

عيون الصغار

في أول زيارة لطفلتي لحديقة الحيوان توقفنا أمام قفص الزرافة. فعلت وجه صغيرتي نظرة تعجّب وهي تنقل نظرها صعوداً من قوائم الزرافة الى جسمها فرقبتها الطويلة. وعندما وصلت الى رأسها صفقت مبتهجة وصاحت. "ها هي!"

كتاب الشهر

إقتحموا

لم يسبق أن اقتحم أحد كامل مجاهل نهر الأمازون العظيم الغامض. فعمد فريق من المستكشفين الى تسلق أعالي جبال الأنديز، فبلغوا منبعه وانحدروا في قوارب تجذيف مندفعين فوق الشلالات والمنحدرات المائية في أحد أخطر أنهار العالم. ومن بقي من الفريق ليتابع المغامرة كان عليه أن يجذف حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر في

مجاهل الأمازون



حوض الأمازون للوصول الى الأطلسي. كانت تلك مغامرة أصيلة قاسية حتّمت على أعضاء البعثة الصامدين بذل أقصى طاقاتهم لقهر نهر جامح شديد المراس.

فاذا كتب لهم البقاء أحياء فسيكونون أول من اقتحم أعظم أنهار العالم، متتبعين مجراه من منبعه الى مصبّه.

إقتحموا مجاهل الأمازون

لو توقفنا قليلا للتفكير في تلك المغامرة لربما أدركنا الحماقة الرائعة التي كنا مقدمين عليها. فقد عزمنا على تحدي نهر مزبد زاخر بالشلالات والمنحدرات المائية هو أحد أشد الانهر جموحاً وغدراً في هذا الكوكب، بطاقم يفتقر الى مقدار كبير من الخبرة.

ولكن عوض مواجهة هذه الحقائق المرة شربنا نخب النجوم وأرسلنا تحية الى صقيع ليل الأنديز. ثم شرعنا في التحضير لرحلتنا. اذا سارت الأمور وفق الخطة المرسومة فلن نغادر النهر الا وقد اجتاز القارة بكاملها الى مصبّه.

يقع نهر الأبوريماك عند منبع الامازون. وخطره ليس في حجمه وانما في صخوره وانحداره الشديد. قد لا يفقد المرء وعيه بلطمة موجة عملاقة، لكنه قد ينشدُّ الى شرك حيث يعلق تحت صخر أو يُمْتصّ في "مصفاة" مغمورة من جلاميد، فلا يجد خلاصا.

ولحسن حظنا لم يضع قائد طوفنا الاخفاق في حسابه. وكان بيوتر شميلنسكي رجلا ناحلا مفتول العضلات وفي عينيه الزرقاوين برودة ورباطة جأش كعيني جرو ذئب. وهو من أشد الرجال الذين عرفتهم تصميما وبأسا. كان يحضّنا على النهوض قبل الفجر ويبقينا في النهر حتى ساعة متقدمة من النهار. وهو اكتسب بنفسه مهارة فائقة في قيادة زوارق الكاياك[1] وكانت لديه غريزة فذّة تجتذبه الى مساقط المياه المزبدة. كان يحسّ النهر يجري في دمه ويكنّ له الاحترام، كقائد يجلّ عدواً جديرا بالاكبار.

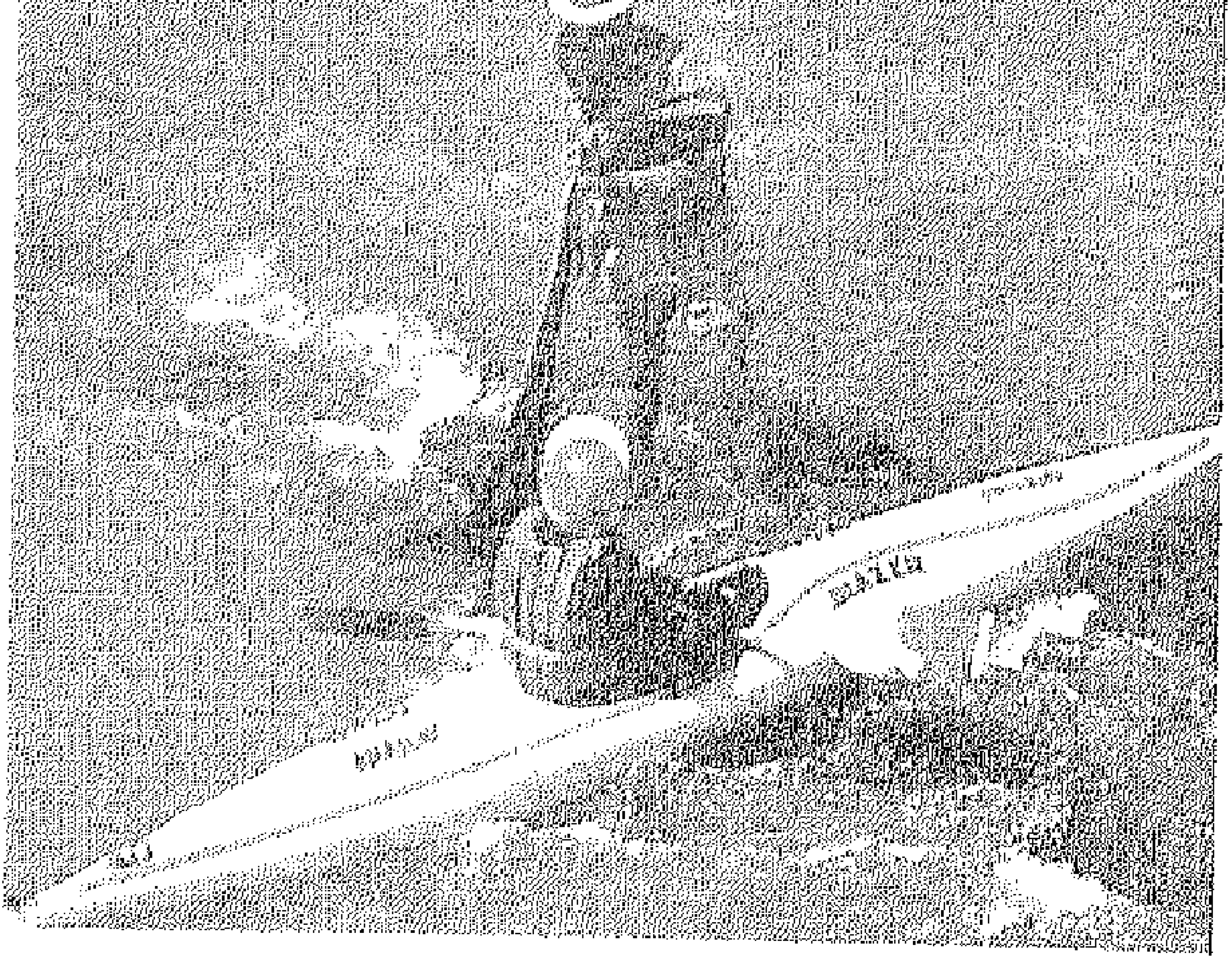
لم ينته اليوم الثاني الا وقد أكرهنا شميلنسكي على المجازفات وصنع منا طاقما لا بأس في كفايته. ومع أننا لم نكن أقوياء الا أننا بتنا قادرين على التجذيف معاً كفريق منظّم، نضرب بمجاذيفنا باهتياج مسعور استجابة لتوجيهاته الملحّة.

كانت وظيفتي "سائقا" في طوفنا اذ عُهد الي في استكشاف المنحدرات المائية بقدميّ قبل اقتحامها. لكن الحقيقة أن شميلنسكي هو الذي تولى الاستكشاف فيما كنت أنا أجر نفسي وراءه. ولكم زلت قدماي على الصخور الملساء، حتى اصطبغت ساقاي بعد يومين بلون أرجواني مزرقّ وغشت القروح والندوب وجهي ويديّ.

وندب شميلنسكي نفسه لعمل لا يحسد عليه هو تعليمي سبيل انتقاء مسار آمن عبر نهر الأبوريماك المتعرج. وكنت كلما طلب مني انتقاء طريق أختار دربا لو اقتفيناها لأدت بنا الى هلاك محتم، كأن نتسمّر تحت "مصفاة" من الجلاميد. كان

---

(١) هي زوارق تجذيف طويلة قليلة العرض يتسع كل منها لمجذف واحد.





(الى اليسار) فريق البعثة عند منبع الأمازون على علو حوالى ٥٢٠٠ متر. (فوق) على نهر الأبوريماك، بيوتر شميلنسكي يسترشد من صياد سمك محلّي

شميلنسكي ينظر الي آنذاك باحباط يائس ثم يروح يدلني على طريق أكثر سلامة. واذ نستذكر الانعطافات والتوقفات والانطلاقات التي يتعين علينا القيام بها خلال اقتحامنا الفعلي للمساقط المائية كان يخاطبني بلغته الانكليزية الركيكة. فتجري محادثتنا كالآتي:

"حسناً يا جو، صخر بوينتي."

— صخر. بوينتي.

"انه قاتل من غير ريب. أضرب أنا بمجذافي، فتتوقف أنت. ننعطف الى اليسار ثم نستقيم في سيرنا. نقتحم. إننا نكافح حفاظا على حياتنا. انه قاتل، لكنه ليس مشكلة."

— صخر بوينتي، قاتل، لا مشكلة.

ولكن ما ان ندخل أحد المساقط المائية حتى تتبخر خطتنا الايقاعية المرسومة والمدروسة في أذهاننا، فيضبط شميلنسكي تجذيفنا بأوامره الحازمة التي يصدرها بنبرة قاسية جافة.

في اليوم الاخير لاندفاعنا نحو جسر كونياك أخضع نهر الأبوريماك شميلنسكي لاختبار عسير كقائد ومعلم. فهناك واجهنا أسوأ منحدراتنا المائية. وهو كان في الواقع سلسلة من مساقط "الدرجة الخامسة" التي تنذر بعواقب مميتة في حال حصول صعوبات فنية. وتعتبر مساقط الدرجة الخامسة قريبة من الحد الاقصى للمياه القابلة للاقتحام.

استكشفنا هذه السلسلة البالغ طولها حوالى ٨٠٠ متر على مدى ساعتين. وبعد ذلك انتقى شميلنسكي خط النزول. كان هناك جلمودان يشكلان مسقطا ضيقا في أعلى السلسلة. واذ يشق النهر طريقه عبرهما يتفجر كالوقود المندفع من مكربن سيارة ويتساقط على شلال قصير مكونا في الاسفل "سجّانة" هي موجة تدور على ذاتها. والذين يعلقون في شرك السجّانة يدورون بضع دورات جنونية قبل أن يتسنى لهم التخلص منها.

وتحت كل ذلك تزبد المياه الكدرة الهائجة التي تدرك بمجرد النظر اليها انها قادرة على تهشيمك وارسالك الى البيت في كرسي للمعاقين.

قال شميلنسكي: "إنه قاتل."

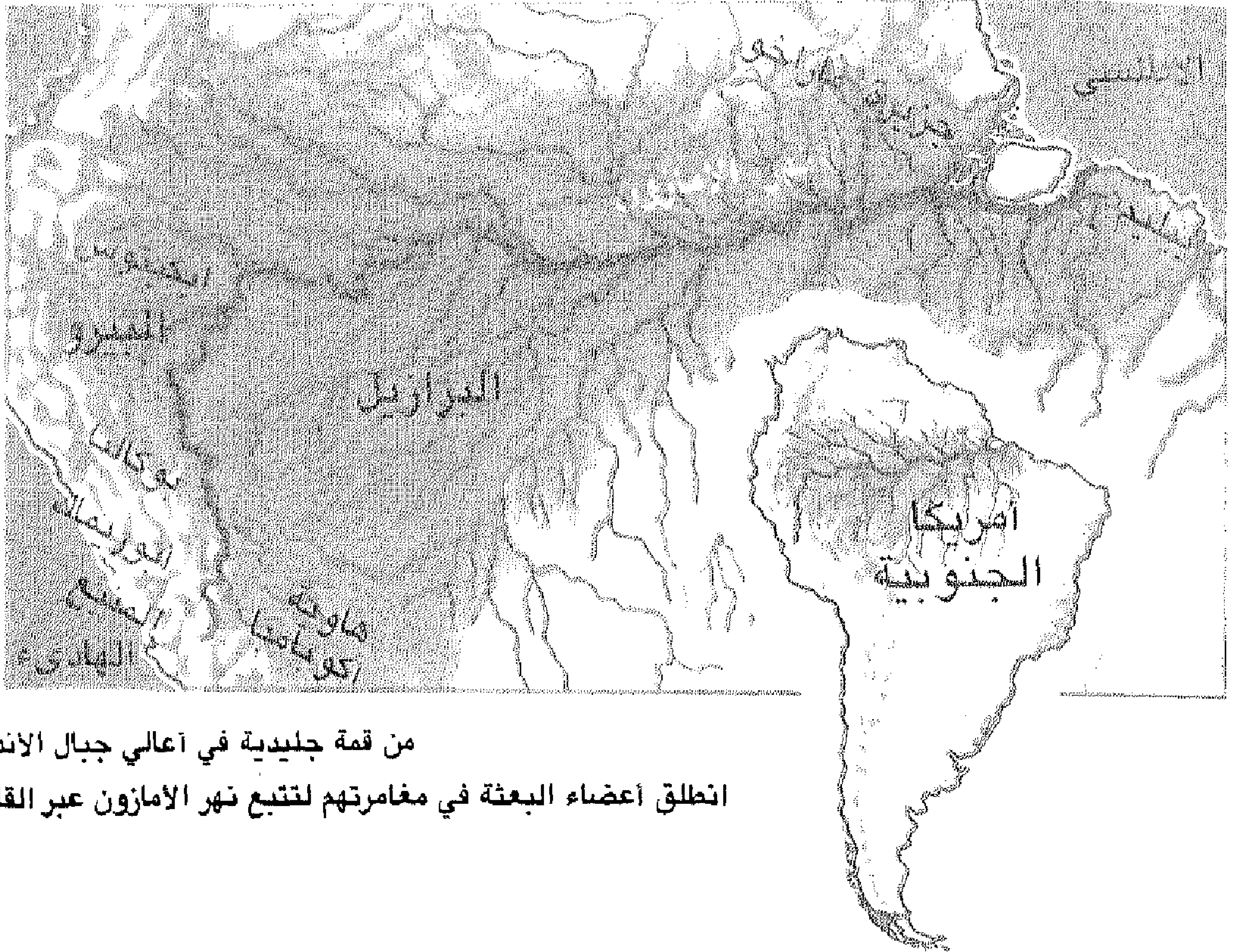
وكنت أعرف الرد الصحيح: "لا مشكلة."

صعدنا الى طوفنا وجذفنا الى الوراء متملصين من الدوّامة واستدرنا عكس مجرى النهر، (في التجذيف ضد التيار تسنى لنا ضبط الطوف الى حد ما) ثم أدرنا مقدم الطوف ودخلنا ببطء مجرى الماء المتسارع.

وفيما اندفعنا كلنا فوق الشلال أحسست انا كمن يهبط في قطار أفعواني سريع في مدينة الملاهي. وانتابني شعور مرضيّ لذيذ كمن يهبط في الفراغ. ارتفعت الامواج جدرانا حولنا ورمتنا على جلاميد عدة. وكانت أصوات ارتطامنا بالصخور تطغى على هدير النهر.

فجأة وجدنا أنفسنا مسمَّرين الى أحد الجلاميد وقد مال الطوف على جنبه. فتسلقنا الى الجانب المرتفع والشلال يهدر عند أقدامنا. وحدّقت الى صخر حاد كالسكين في أسفل الشلال، وتشبثت بالطوف بكل قوتي. وتعالى صراخ شميلنسكي يائسا وملحاحا محذراً كما لم أسمعه من قبل. واذا بنا بعد لحظات ننساب بهدوء في النهر تحت الشلال ونحن نلهث مجهدين. ولفّنا الصمت ونحن ماضون في المياه الساكنة وكأننا تمازجنا والنهر في كيان واحد ساكن. تمر بنا الجبال والجَلَد مواكب لا تلبث أن تغيب وراءنا.

قال شميلنسكي بعد برهة من التقاط الانفاس: "احسنتم يا شباب! ممتاز! كدنا ننقلب، لكننا لم ننقلب." ثم صافحنا واحداً واحداً فغمرنا الابتهاج بانجازنا الرائع.



من قمة جليدية في أعالي جبال الانديز،
انطلق أعضاء البعثة في مغامرتهم لتتبع نهر الامازون عبر القارة.

قال شميلنسكي: "ليست الفكرة أن نقهر النهر، فالنهر ينتصر دائماً، وهو لا يبالي. نحن نحاول اقتحام النهر لأن بنا حاجة الى المحاولة. المياه المزبدة تسري في دمنا. انه شيء لا يُنسى أبداً."

في تلك الليلة دلفت الى خيمتي منغلقاً على مخاوفي وحاولت القراءة. ولكن سرعان ما ألقيت الكتاب جانباً. كنت مضطرب الفكر. فقد طلبت البقاء على الطوف حتى اقتحام كامل النهر الزاخر بالمساقط المائية وحين استجيب طلبي لم أعد مقتنعاً بأنني أريد ذلك حقاً. فبدأت تنتابني كوابيس مخيفة أراني فيها أغرق في اللجج من دون أن أموت فعلاً. وبدأت أدرك الى أي حد يبعث النهر الخوف في النفس.

البعثة الرائدة

بدأت مغامرتي الغريبة باتصال هاتفي تلقيته من أحد الغرباء فيما كنت جالساً في مكتبي أسعى الى اكمال مقال أكتبه لصحيفة "سان فرنسيسكو كرونيكل." كان الرجل من جنوب افريقيا ويعتزم أن يصبح أول بشري يجتاز نهر الأمازون، أعظم الأنهار، من منبعه الى مصبه.

تنطلق البعثة في أغسطس (آب) ١٩٨٥ متسلقة الى حقل من الثلج في أعالي

جبال الأنديز حيث منبع الأمازون، ومن هناك يركب الفريق زوارق الكاياك المصممة للمجاري العنيفة ويجذف مسافة ٨٠٠ كيلومتر نزولا في أحد أخطر مساقط المياه على الأرض. ولدى بلوغ منطقة الأدغال تبدل هذه بزوارق كاياك بحرية لقطع مسافة ٦٠٠٠ كيلومتر الى المحيط الاطلسي.

أخبرني مكلِّمي أن بعض الاصدقاء أشاروا الى أني قد أستطيع المساعدة في جمع المال اللازم من أحد الناشرين على أن أكتب لاحقا عن البعثة. فاذا قررت الانضمام فسيتعين علي مرافقة الفريق عن كثب: في شاحنة مساندة أولا، وعندما تنتهي طريق الآليات أرافق البعثة في طوف أو زورق نهري أو أي شيء آخر.

درست الخريطة بدافع الاستطلاع. لقد رُسمت الجبال زاهية باللون البرتقالي المتوهج، والغابات الغائمة بالزهري والذهبي الصارخ، والأدغال بالأخضر.

وثملت بتتبع الخط الازرق الذي يرسم الرحلة. وسحرتني أسماء الأنهر: أبوريماك، يوكايالي، مارانيون، أمازون. انها تثقل اللسان، لكنها حافلة بالاغراء.

ورأيتني مأخوذاً بالبعثة. فهي ستتسلق الجبال وتقتحم الأنهر الجامحة، ومنها ما لم يقتحمه أحد من قبل، وستسير في مناطق لم توضع لها خرائط مفصلة بعد، مثل "المنطقة الحمراء" حيث كانت حكومة البيرو تخوض نزاعا شرسا مع ثوار "سانديرو لومينوسو" (الممر الساطع). كانت المنطقة الحمراء خاضعة لنظام طوارىء ومقفلة في وجه الغرباء، فتعين على البعثة التسلّل اليها خفية.

ولم اكن أنا مؤهلا للرحلة. صحيح أنني أتكلم الاسبانية وأنني كنت في وضع جسدي لائق، انما لم يسبق لي أن ركبت طوفا وانحدرت في مساقط الأنهر، ولم أكن سباحاً ماهراً. باختصار، لم أكن "مستكشفاً." فلي صديقة، ونحن على أهبة الزواج. وان تكن وظيفتي غير مرموقة الا أنها كانت مضمونة. لذا فان رجلا مثلي ليس أهلا لمغامرة في نهر الأمازون.

ولكن لازمني شعور بأن حياتي هي في طور انتقالي، بعيدة قيد خطوة عن تحقيق ذاتها. وهكذا، بعد ستة أسابيع من تلقيّ الاتصال الهاتفي الأول، تركت وظيفتي وودعت صديقتي وركبت طائرة الى ليما عاصمة البيرو وأنا محموم مبلل بالعرق من جراء الحقن الكثيرة التي تلقيتها في الليلة السابقة.

وما لبثت أن وجدت نفسي في مؤخر شاحنة تتسلق جبال الانديز العالية وتعلو وتهبط في الطرق الوعرة. كانت طبيعة الأرض هناك شبيهة بما في القمر: مسطحة، خالية من الشجر، تطوقها قمم رمادية ناتئة حادة. وعلى ارتفاع ٤٥٠٠ متر يهبط مستوى الاوكسيجين في الهواء الى نحو نصف معدله على سطح البحر. فأحسست نبضاً في رأسي، وفي اللحظات التي جلا فيها الجو كان نور الشمس يخز عينيّ.

في سبيل الابحار في نهر الأمازون من منبعه الى مصبه للمرة الاولى في التاريخ، كان علينا اكتشاف مصدره الكامن في تلك الاعالي الجرداء جنوب البيرو. ولكن الى الآن لم نعثر الا على الغبار الذي ذرته الريح المولولة داخل أفواهنا وآذاننا وعيوننا ومسام أجسادنا.

الى المنبع

جلس الى يميني بولوني فظ في الثلاثين يدعى زبيغنيو بزداك، ربع القامة، ممتلىء البنية، ذو لحية حمراء عارمة وشعر أشقر. قال لي: "نادني زبيشك، فلفظه أسهل."

وهو أخطأ في تقديره، لكنه لم يكن يبالي لتعثري في لفظ اسمه. كان مصوراً فوتوغرافياً غادر بولونيا قبل ست سنوات مع صديقه بيوتر شميلنسكي الذي شارك في تنظيم رحلتنا، لخوض الأنهر في زوارق الكاياك في أمريكا الجنوبية. وحين أعلنت الحكومة البولونية في العام ١٩٨١ حل نقابة "التضامن" كان بزداك وشميلنسكي في أمريكا الجنوبية، فاختارا الذهاب الى الولايات المتحدة بدل العودة الى بلادهما.

وكان تيم بيغز الآتي من جنوب افريقيا، جالساً قبالتي وركبتاه مثنيتان تحت لحية صنو لحية أبراهام لنكولن. انه في الثالثة والثلاثين من العمر، ممتلىء العضلات، خبير بقيادة زوارق الكاياك مسافات طويلة. وكان يقضي أمسياته في مطالعة الكتب الدينية وقد تهيأ للاستقرار مع زوجته وانجاب الاولاد. لكنه حسِب أن لديه وقتاً لرحلة واحدة أخرى، خصوصاً مع صديقة ومواطنه الجنوب – الافريقي جيروم تروران أحد أبرز مجذفي الكاياك في العالم.

والى جانب بيغز جلست الدكتورة كايت دوران وهي تجيل نظرها معاينة الارض القاحلة وأسنانها تصطك. وصاحت بصوت علا هدير الشاحنة: "عجباً، لماذا أتيتُ الى هنا؟"

فأجابها بزداك صائحا مثلها: "لأن الحياة هنا أفضل من حياتك المملة في البيت."

كانت دوران طبيبة في لندن أمضت السنة السابقة في اجراء أبحاث في الطب الاستوائي وطب المرتفعات. وحضَّرت عدة طبية خاصة لمعالجة أعضاء الفريق من الاصابات وحمايتهم من الملاريا والكَلَب والطفيليات المعوية ولدغات الحيات وسوى ذلك من الاصابات المخيفة.

وكنت الأمريكي الوحيد في البعثة. ووجدتني تعساً أكاد أتجمد من البرد وقد طغا علي الغثيان بفعل الارتفاع. فهذا المستوى – ٤٥٠٠ متر – هو أعلى من أي نقطة في الولايات المتحدة. ولدى مشاهدتي المناطق الريفية الموحشة من الشاحنة المترجرجة

ارتعبت اذ تبادر الى ذهني أني لم أدرك ما أنا مقدم عليه. وتناهت الي أصوات أفراد البعثة وهم يتكلمون لغات ولهجات متباينة. لقد ضمت بعثتنا تسعة رجال وامرأة واحدة.

من هؤلاء أربعة قدر لهم الوصول الى المحيط.

عصر ذلك النهار نزلنا في واد واجتزنا نهراً ودخلنا ساحة قرية تضم أكواخاً ترابية متداعية. وفي اليوم التالي استأجرنا حميراً وتوجهنا صعوداً في درب مغبرّ عبرناه خلال فترة بعد الظهيرة الحارة. وسجّل مقياس الارتفاع لدينا ٣٨٠٠ متر ثم ٣٩٠٠ ثم ٤٠٠٠.

كان الدرب يرتفع بحدة في جبال الأنديز المتآكلة، فبدأ حملي الثقيل يؤلمني. لكني كنت فخوراً به وبالهوية التي يضفيها عليّ. فقد كان بزداك حاملاً آلات تصوير وأفلاماً لها، ويتم بيغز حاملاً كتبه، وشميلنسكي خرائطه التي يكب عليها كل مساء. وحملت أنا مفكرتي وصوراً من البيت.

ان الطريقة الفضلى للتهيؤ للارتفاع هي شرب مقدار وافر من الماء والصعود ببطء. فعلى ارتفاع ٤٥٠٠ متر يتعرض المرء، اذا فاته التكيف الصحيح، لخطر الاصابة بالاستسقاء الرئوي والدماغي الذي قد يتسبب في الوفاة.

وكنا نحتاج الى أسبوعين لنتكيف جيداً، لكننا كنا متأخرين عن برنامجنا المقرر وعزمنا على بلوغ قمة "الفاصل القارّي"[٢] خلال أيام. فارتقينا الجبل في خط متمعج طويل.

اكفهرّ الجو وتساقط الثلج وعصفت الريح الى حد أنها كانت تعيدني منتصب القامة مهما جاهدت في الانحناء لاتقائها. وفقدت احساسي بوجهي.

شددت عليّ بذلتي المقاومة للريح ورحت أعد خطواتي: واحدة، اثنتان، ثلاث، أربع... ولدى انتهائي الى الخطوة الـ٧٣١ انبسطت الطريق. ورأيت بيوتر شميلنسكي يرسم خطاً في الثلج ويقول لاهثاً: "الآن نجتاز الفاصل القارّي."

وفي لحظات كتب شميلنسكي الى جانب من الخط: "الهادىء"، والى الجانب الآخر: "الأطلسي." فاجتزت الخط وألقيت حملي. وعلى مسافة ٨٠٠ متر الى الشرق ارتفعت قمة مبقعة بشلال جليدي شاحب الزرقة. انه منبع الأمازون.

في وسط الفاصل انتصب ركام من الحجار ارتفع حوالى مترين، في أعلاه خشبتان ربطتا متصالبتين. وبموجب التقاليد، تقدمت وأضفت حجراً الى النصب. ثم استدرت نحو شميلنسكي وقلت له: "كل الرحلة نزول من هنا."

فرد: "نعم، مسافة ٦٨٠٠ كيلومتر."

(٢) Continental Divide

كانت الجداول تتفجر مبقبقة من الجبال متباعدة حوالى ١٠٠ متر، فتجري ولا تلبث أن تغيب في بطن الوادي. وعلى بعد ٨٠٠ متر من مخيمنا تجمعت الجداول في أول مجرى ثابت في الجانب الشرقي من الفاصل القارّي. ولكن مضت ثلاثة أيام قبل أن نبلغ نقطة على نهر الأبوريماك عميقة كفاية لحمل زوارق الكاياك.

مغامرات قاتلة

يجري الأبوريماك شمالا غرباً مخترقاً قلب جبال الأنديز، وهو نهر فتيّ جامح يتدفق من قلب جبال فتية وحشية. إنه بعيد عن الحضارة، وعلى ضفتيه قرى وجسور قليلة. في الكيلومترات الثمانين الاولى يتلوى برفق مخترقاً الأنجاد العالية الجرداء، وبعدها ٥٠٠ كيلومتر ينحدر فيها على نحو شبه عمودي هو أكثر من خمسة أضعاف حدة انحدار نهر كولورادو الامريكي في "غراند كانيون" (الوادي الكبير). وقبل انهياله في حوض الأمازون يشق ممراً يزيد عمقه على ١٢٠٠ متر ويمتد كيلومترات.

في لا أنغوستورا (المكان الضيق) حيث لا يزيد عمق النهر على بضعة أمتار، أنزل شميلنسكي وترووران وبيغز زوارقهم الكاياك في الماء. وكنت أنا وبزداك ضمن فريق ثان نضرب سيراً في الأنحاء المقفرة، فيما اهتمت مجموعة ثالثة للمؤن. كان الدرب القديم منبسطاً وممهّداً أمامنا. وفيما تابعنا سيرنا كانت الدلائل قليلة جداً على وجود الانسان في تلك الاصقاع، والعلامات البشرية التي طالعتنا برزت بغتة كصور فوتوغرافية بعيدة عن واقع البيئة: لامة[٣] وحيدة تتدلى من أذنيها خيوط زاهية، دخان يرتفع من وراء قمة، امرأة من الكيخوا تعتمر قبعة مستديرة سوداء وتسير في الدرب مرتدية سترة مصبوغة بالازرق الصارخ وسط قتامة الطبيعة.

وتحتنا نزولا ازداد شق الابوريماك عمقاً في الارض، وبدأ بحارة الكاياك يلاقون فيه تحديا متعاظما. وعلى امتداد مئات الأمتار انتصبت صخور يزيد ارتفاعها على خمسة امتار غاب فيها النهر كلياً. فحمل البحارة زوارقهم ونقلوها فوق الصخور العائقة. واذ نال منهم التعب في الحمل ازدادت مجازفاتهم وأسباب الخطر عليهم.

ذات ليلة عاد شميلنسكي الى المخيم وأنفه مدمى وركبتاه متورمتان، فقد سقط من زورقه وجُرف حوالى ١٠٠ متر عبر ثلاثة مساقط قاتلة.

وبدا عليه القلق أيضاً، اذ بلغه من أحد المنقبين عن الذهب أن هناك رجلين أوروبيين في زورقي كاياك يتقدماننا ١٤ يوماً وهما في طريقهما الى الأطلسي. وأعلن شميلنسكي أننا لم نأت الى أمريكا الجنوبية لنكون الطاقم الثاني في قهر الأمازون، لذلك علينا أن نزيد سرعتنا. انه سباق!

(٣) اللامة حيوان جنوب - امريكي يشبه الجمل لكنه اصغر منه وليس له حدبة.

وكانت زوارق الكاياك تخوض النهر ببطء، وفي بعض الاحيان لم يجد المجذفون أكثر من ٤٥ متراً من المياه الصالحة للتجذيف يحملون بعدها زوارقهم ثم ينزلونها في النهر ليجدوه مليئاً بالمصافي والدوامات الغادرة وقد ازداد عنفاً. وكانوا أحياناً يعتبرون أنفسهم محظوظين اذا أتيح لهم التقدم كيلومتراً ونصف كيلومتر في اليوم.

وصلنا أخيراً الى كوزكو حيث تقرر أن ننزل طوفاً في النهر نركبه أنا ودوران وبزداك للانضمام الى المغامرة المائية. وتقع كوزكو في واد خصيب، شوارعها مرصوفة بالحصى وجدرانها مبنية بمداميك متداخلة وترتفع حولها جبال رائعة. ان لها تاريخها، أما لنا فهي كانت ملاذاً نأكل فيه وننام ونقلق لما تخبئه لنا المنحدرات الآتية.

استشار شميلنسكي صديقاً اتخذ المدينة مقراً لشركته التي تتعاطى صناعة الاطواف. قال الصديق انه لم يطرق الابوريماك منذ سنتين. فقد اشتد النزاع مع ثوار "الممر الساطع" ولا أحد يعرف في كوزكو ما ينتظره بين جسر كونياك ومستوطنة لويزيانا الباعدة ٣٢٢ كيلومتراً نزولاً.

وفيما كنا ننتظر الدليل الذي سيرشدنا في الكيلومترات الاربعين الاولى، تلقينا أنباء مشجعة ومقلقة في آن. اذ علمنا ان الفريق الاوروبي عدل عن ركوب النهر بسبب الاصابة البالغة التي لحقت بأحد عنصريه، وبلغنا أن ساق الرجُل سحقت بحجر كبير سقط عليه.

لم نتباحث في الأمر. ثم بلغتنا رسالة ثانية تفيد أن دليلنا هرب من كوزكو لأنه لم يشأ ركوب أي قسم من نهر الأبوريماك.

"لا تنظر الى الأسفل!"

بعد اندفاعنا العنيف الى جسر كونياك واقتحام طوفنا أول المساقط المصنّفة "درجة خامسة"، غادرنا المخيم تحت شمس الظهيرة في ثلاثة زوارق كاياك معدّة للمياه الجارفة. وعبرنا أشهر الجسور المعلقة التي بنتها قبائل الانكا. كان الجو حاراً والأرض مقفرة لا يرى فيها سوى لمحات من القمم الصخرية المثقلة بالثلوج.

اتسع مجرى النهر فبلغ حوالى ٤٥ متراً، وارتفعت أمام الطوف أمواج علت حوالى ثلاثة أمتار كأنها جدران خضر. ورأينا أمامنا سحابة دخان وجدنا لدى بلوغها أنها غبار وليست دخاناً. لقد انهالت مئات الأمتار من جدار الوادي في النهر.

وضاق نهر الأبوريماك فجأة على نحو صعقنا فوقفنا واجمين. لقد حُشر مجراه في مضيق لا يتعدى ربع عرضه السابق، ربما ١٢ متراً، مما ركز الريح المعاكسة بقوة شلَّت تقدمنا. فعلى رغم الجهود التي بذلناها في التجذيف بقينا مجمدين في أماكننا،

فاضطررنا الى التخييم هناك. لكننا لم نجد حولنا منبسطاً من الارض صالحا للتخييم، اذ لم نرَ سوى جدران عمودية من الصخر ضاربة في العلاء.

عثرنا أخيراً على كومة صخور بينها فسحات رملية تتسع لخيمة أو كيس نوم. وقبالتنا في النهر كان شلال يسقط ١٥٠ متراً فوق صخور ملساء، أطلق عليه شميلنسكي اسم "شلال الرجاء الاخير." وهو سماه كذلك من باب الفكاهة، ولكن تبين لاحقاً أنه لبس اسمه بجدارة.

كانت أعصابنا متوترة، وانعكس التوتر على عشائنا. بدأ المطر ينهمر بغزارة فهرعنا الى خيمنا. ونمت، لكن صوتاً كقصف الرعد أيقظني. كان ذلك صوت تساقط الحجار المنفلتة من الجدران بفعل المطر.

فكّر بزداك وهو في خيمته: "اذا بقيت هنا فربما سقط علي صخر، واذا خرجت فقد يسقط علي صخر، لكني سأتبلل بلا شك. سأبقى في الداخل."

وتوصل تروران الى قرار مماثل، ونام على جنبه لاعتقاده أن ذلك يحدّ من احتمال اصابة أعضاء جسمه. وحذوت حذوه، واعتمرت خوذتي على سبيل الوقاية. وتوالى انقضاض الصخور حتى مطلع الفجر فلم أذق طعم النوم.

في الصباح تقدمنا جيداً في النهر، فاستعدنا ثقتنا التي فقدناها في الليلة الماضية التي شهدت قصفنا بالصخور. ولكن ما عتم النهر أن انعطف بحدة الى اليسار وانساب في أخدود بلغ من انحداره أن جدرانه بدت كأنها تطبق علينا. كان ذلك عند الظهيرة، لكن نور الشمس لم يبلغ صفحة الماء. وضاق الاخدود في مسقط واحد بلغ عرضه ستة أمتار اندفع عبرها الأبوريماك الحانق متفجراً كبركان ثائر. تلك كانت "هاوية أكوبامبا."

صاح بزداك في أذني: "تسبح في تلك الهاوية فلا تخرج منها الى الأبد!"

كانت جدران المضيق شبه عمودية، ووجدنا أنفسنا في مأزق اذ لم يكن في امكاننا اقتحام المنحدر المائي العنيف ولا نقل الأطواف ولا التسلّق ولا نصب المخيم. فلم يبقَ لنا خيار سوى "ربط" الطوف، وتلك عملية شاقة مهدمة للاعصاب تقوم على ارسال طوف خال نزولا في النهر مسافة ٤٥ متراً كل مرة، أي طول الحبل المربوط اليه. وفيما أمسكت الطوف بحبل قصير في مؤخره، سار البولونيان نزولا فوق جلمود اثر جلمود ومعهما حبل لمقدم الطوف. ثم أرخيت حبلي وركلت الطوف الى الشلال الاول. وما هي الا ثوان حتى كان الزورق يندفع نزولا وهو يتراقص بعنف.

تهيأنا لارسال الطوف في الجزء الثاني من الشلال الثائر. فتسلّق بزداك افريزا ناتئا ممتداً على طول الجدار. وتبعته، لكن الصخر كان زلقاً فلم أجد ممسكاً متيناً، فاذا بي أصاب بما يسميه المتسلقون "أرجل ماكينات الخياطة" التي تعني رجفانا

شبيها بحركة المكبس يستحيل ضبطه. وصاح بي بزداك بصوت علا هدير النهر: "لا تنظر الى أسفل!"

رحنا نتمعّج على امتداد الافريز زاحفين كالديدان حتى وصلنا الى جلمود حيث تسنّى لنا تثبيت أنفسنا محاولين تجاهل النهر الصاخب تحتنا.

أمسك بزداك الحبل وشد مشيراً الى شميلنسكي لارسال الطوف الينا. فلففت ساعديّ حول خصر بزداك وانحنيت الى الوراء لموازنة الثقل، فاستقام الحبل لسبب ما واخذ بزداك يسحب الطوف شبراً شبراً نحونا. ثم أمسكت أنا الحبل وقفز بزداك الى الطوف.

تدفقت مياه النهر الغاضب الى الطوف وضربت بزداك وأوقعته. لكنه نهض وجذّف بالطوف نحو الصخر. وما ان صار على بعد متر ونصف متر حتى قفز منه ببراعة خفيت علي، ونجح في ارسال الطوف المتواثب.

أشار اليّ شميلنسكي بالقفز الى الطوف، لكن الحبل كان حزّ في يديّ ولم أقوَ على تحريرهما. فهز بزداك الحبل وأرخاه فقفزت من علو متر ونصف متر عن الجدار الى الطوف.

ركبنا جميعاً، فجرفتنا المياه الى قلب التيار. فعلا صراخ شميلنسكي محذراً: "الى اليسار، الى اليسار!" انعطفنا الى اليسار فتجاوزنا حفرة بشعة، لكننا رأينا أنفسنا مندفعين الى صخر لم يره أحد، ولو ارتطمنا به لانقلب بنا الزورق.

"الى اليمين، الى اليمين!" تجاوزنا الصخر. ثم: "الى الداخل!" ضربت بمجذافي في العمق فاستدار الزورق يمنة، ولفني جدار من الماء ولم أعد أرى الا بياضاً مزبداً. وضربني الموج بقوة وأوشك الزورق أن ينقلب، فلم تكن لي حيلة الا الضرب بمجذافي في العمق على غير هدى، ثم: "بوم!" وتحررنا من جدار الماء وانطلقنا في اتجاه "ذيل" المسقط المائي والمياه المنبسطة الهادئة وراءه.

كان راكبو الكاياك جذفوا بعيداً الى الأمام وغابوا عن أنظارنا. وتملكنا قلق ممضّ في الطوف، اذ على بعد ١٢٠٠ متر منا بدا النهر كأنه توقف عن الجريان وابتلعه جدار اعترض طريقنا. في العادة يظهر خط أبيض بين النهر والجدار كدليل قاطع على وجود منحدر مائي، وانعدام هذا الخط دليل على أن هناك شلالا.

قال شميلنسكي: "هذا شر ما نخشاه دائما. لا مجال للخلاص منه ولا سبيل الى التراجع. حتى وان يكن هذا شلالا، فالامر الوحيد الذي يمكننا عمله هو الانطلاق الى الأمام."

انطلقنا وكلنا عيون على خط المياه. اقتربنا من نهاية النهر ١٥ مترا ثم ١٢ مترا ثم رسونا الى جانب الجدار. تسلق شميلنسكي الجدار لالقاء نظرة على ما وراءه. ولكن

على ارتفاع أربعة أمتار ونصف متر أفلتت قبضته فسقط في الماء مثيراً رشاشاً عظيماً وانجرفت خوذته الحمراء متواثبة في اتجاه الشلال. فاندفعنا نحوه مجذفين بأقصى طاقتنا وانتشلناه لحظة انحدر الطوف فوق الشلال. ولكن... لم يكن ذلك شلالاً على الاطلاق، بل مسقط طويل هادئ لا صخب فيه، منحدر لكنه مستقيم يجري موجه برفق سلساً متكاسلاً. فيا للحظ!

المتقدم الإعدام

تقدمنا كيلومتراً ونصف كيلومتر فقط في أول يوم لنا في هاوية أكوبامبا، ثم ثلاثة كيلومترات في اليوم الثاني، وفي يومنا الثالث انطلقنا ولا أمل يحدونا في انجاز أفضل.

بعد خمس ساعات من الجهد واختراق أربعة منحدرات عنيفة لم نتجاوز ٧٢٠ متراً. فتوقفنا لتناول الغداء منهكين محطَّمي المعنويات. الى يميننا شرقاً ارتفعت قمة مكسوة بالثلج ذكرتنا بأننا ما زلنا على علو ١٨٠٠ متر شاقة فوق سطح البحر.

استكشفنا النهر أمامنا، فوجدنا أسوأ المساقط التي واجهت أطوافنا الى الآن. كانت هناك أربعة مساقط راعدة كثيفة الزبد لا يقل طول كل منها عن ١٨٠ متراً. فصنَّفها تروران كلا على حدة: "غرفة الرقص،" "مخفوق الحليب،" "المميِّع،" "الرجل الميت."

اتجهنا عكس التيار، ثم استدرنا نحو المجرى فقذفنا النهر في الهواء. وأفاق في ذاكرتي شعور مماثل خالجني أيام المراهقة عندما قفزت بدراجة نارية من جرف صغير.

ضرب الطوف الماء ثم ارتفع واستدار ١٨٠ درجة، فرجعنا الى مسقط "غرفة الرقص." وخلال ذلك تصادم رأسي ورأس شميلنسكي فكدت ان أقع عن الطوف لو لم أتمسك بالشبكة التي تثبت المؤن في قعر الطوف. وما هي الا ثانيتان حتى اندفعنا في قلب مسقط "مخفوقِ الحليب" وكنت لا أزال ممسكاً بالشبكة.

"الى الامام!" صاح شميلنسكي آخذاً وضع التجذيف. تخطينا "المميِّع" لكننا فقدنا السيطرة على الطوف لدى اندفاعنا في "الرجل الميت" اذ ارتددنا عن الجدار الأيسر فاصطدمنا بصخر واستدرنا ٣٦٠ درجة كاملة ثم اصطدمنا بالجدار الأيمن وحلَّقنا فوق أحد الثقوب. فشاهدت للحظة الدوامة البشعة وسط الثقب. وهبطنا نزولاً في مياه هادئة.

جذَّفنا الى جلاميد على الضفة ونزلنا من الطوف وجلسنا في سكوت تام. كنا قطعنا مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر وبدا أننا قد لا نخرج من الهاوية اذ لم نرَ مياهاً

منبسطة بل منحدرات مائية متعاقبة. وخفض شميلنسكي حصصنا الغذائية الهزيلة الى النصف، على أن نملأ قِدر الطهو بالمادة الفائضة لدينا: الماء.

التهمنا زادنا الهزيل فيما الخفافيش تتدافع فوقنا. واشتمل زادنا على ثلاث علب من التشيلي (لحم مطبوخ بالفلفل الاحمر). وعلبة حساء مجفف وماء، ماء، ماء. ثم تجمّعنا على بلاطة من الصوان نراقب النجوم. في رهبة الليل وسكونه، وسط تلك الأصقاع الموحشة النائية، أحسسنا أننا في مكان جليل لم يطأه قبلنا بشري.

قال تروران: "إن للانهر لغتها الخاصة. نحن لسنا في البيرو. نحن هنا في مكان يتكلم بلغة الدوّامات والتيارات والمساقط والبرك. نعم، لم نقطع اليوم سوى مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر، فهل تعرفون مسافة أجمل من هذه؟"

كان فصل الامطار بدأ في أعالي الأنديز وشرع نهر الأبوريماك يتغير يوميا بفعل الروافد فوقنا. فقد يكون في المساء هادئا مسالما، لكنه في الصباح قد يتحول هادرا مهدداً. وهذه التغيرات في "المزاج" أضفت على النهر ميزة كأنما له إرادة ذاتية. انما ما أعطاه خاصة الحياة في النهاية فهو صوته. فكلمة "أبوريماك" تعني "المتكلم الأعظم" بلغة الكيخوا وهذا ما هو فعلاً. انه يهدر.

ظُهر يومنا الخامس في الهاوية تطلعنا الى ما وراء أحد الانحناءات علّنا نجد مياها هادئة، لكننا رأينا المساقط تزداد عرضاً وارتفاعا وشراسة.

عدنا الى التجذيف، ولكن لم يتوقع أحد منا عنف التيار الجاري مباشرة تحت قمة

بيوتر شميلنسكي في شرك منحدرات الابوريماك الشرسة



المسقط التالي الهائل. كنت في الطوف، وفي لحظة خاطفة اذا بالظلمة والسكون يطبقان علي، مددت يدي لأتمسك بالطوف لكن يدي لم تقع الا على المياه القارسة. وحاولت السباحة لكني شعرت كأنما قبضة جبارة تعصرني وتخنق أنفاسي. ثم حاولت أن أتبيّن ضوءاً فشدُدت الى العمق ورحت أنقلب مرة بعد مرة. وفي لحظة هدوء ونقاء فكري أدركت أنني أغرق.

أرخى النهر قبضته عني فجأة فرأيت الضوء، فحاولت بكل قواي السباحة في اتجاهه لكني ابتلعت ماء وشرقته الى رئتي. وعاد النهر وشدّني الى أعماقه. فلفني الظلام واصطدم رأسي بالصخور.

هواء! ضوء!

طفوت على سطح الماء فرأيت جدار المضيق يندفع بقربي، ولمحت تروران في الكاياك عند أسفل المسقط المائي فصاح بي: "اسبح!"

لكن لطمة في ظهري دفعتني الى حضن الماء مجدداً، فدخل الماء رئتيّ عبر أنفي. ثم قفزت فوق شيء صلب فطلعت الى سطح الماء الى جانب تروران.

صاح تروران: "أمسك بوسطي!" فشققت طريقي متلوياً الى مؤخر زورقه ولففت ذراعي حوله بكل ما تبقى لي من قوة خائرة.

في تلك الليلة خامرني شك في ما اذا كان سيقدر لي، أو لأي منا، النجاة من الهاوية التي نتخبط في لججها. أشعلت شمعة ورحت أحدق اليها حتى تلاشى قبسها الاخير. وارتعت حين غمرتني ظلمة النهر فأشعلت الشموع واحدة بعد أخرى. وحين أنطفأت الشمعة الرابعة والاخيرة جلست في الظلمة وعيناي مفتوحتان. وأحسست جسمي يهوي في أعماق لا قرار لها.

"الممر الساطع"

حين دخلنا الوادي الادنى أخيراً شعرت كأننا نجونا من الجحيم. إنما خاب أملنا في اليوم التالي. كان ضوء النهار بدأ يتسرّب الى الوادي، وكنا على أهبة انزال الطوف في النهر في أعلى أحد المنحدرات المائية الكبيرة، حين تناهت الى سمعنا، أنا وشميلنسكي، أصوات أزيز تبعتها طلقات أسلحة نارية خفيفة.

صاح بيغز مشيراً عبر النهر الى ستة رجال فوقنا على بعد بضع مئات من الامتار ينحدرون على جدار الوادي. ركع أحدهم ورفع بندقيته وأطلق رصاصة سقطت في النهر على بعد ٦٠ سنتيمتراً من تروران الجالس في زورقه.

صرخ شميلنسكي: "هيا بنا!"

لم يسبق لي أن شعرت بالامتنان للاندفاع في منحدر مائي كما شعرت آنذاك. في

البدء غمرني ارتباك غامر طغا على الخوف. فأنا لم أتعرض للرصاص سابقاً ولم يحاول أحد قتلي. ومضت لحظات قبل أن استوعب ما جرى فعلا فارتعدت خوفاً، لكننا كنا عندئذ اختفينا في غمار المسقط المائي.

كنا في "المنطقة الحمراء" حيث لجدران الوادي العارية عيون ترى وآذان تسمع. ولشدة اضطرابنا اقتحمنا أحد المنحدرات من دون أن نستكشفه، فانقلب الطوف في "ثقب" وقذفنا نحن الاربعة الى النهر.

رحت أترنّح تحت المياه المتلاطمة. وحين أوشكت على الطلوع الى سطح الماء تساءلت: أتراني سأرمَى برصاصة في رأسي؟

لاح ظل فوقي فأمسكت بالطوف المنقلب وسحبت نفسي تحته، فوجدت بزداك يسعل ويحاول تجفيف مجاريه الهوائية. وسألني بصوت ملح أجش: "أين كايت؟ أين كايت؟"

طلعت رغما عني الى نور النهار.

وما ان قوّمنا الطوف الى الوضع الصحيح حتى هتف شميلنسكي: "أسرعوا!" ورأينا خلفنا، في قلب المنحدر المائي، شيئاً مستديراً يدور في الثقب. كان ذلك رأس كايت. وكان تروران خلفها في المياه الاخف سرعة، فجذف اليها وانتشلها وأسرع بها الينا.

كنا قبلا نسخر من القتال بين الحكومة وثوار "الممر الساطع" ولم يأخذه أحد منا على محمل الجد، جهلا منا وغباوة. كانت المجموعة تعد أشرس التنظيمات الثورية في أمريكا الجنوبية، وهي مسؤولة عن أكثر من ٣٠ الف عملية أسفرت عن مقتل ٦٠٠٠ خلال ست سنوات.

انحدرنا نزولا في النهر بالسرعة القصوى حتى العصر حين اضطررنا الى التوقف لاستكشاف منحدر مائي. تسلّقت وشميلنسكي الضفة ورحنا نعدو بين شجيرات الصبّار. ثم اعتلينا جلموداً ونظرنا الى رفقائنا في زوارق الكاياك فرأيناهم يلوحون باهتياج وإلحاح. ثمة خطب ما.

ركضت الى الطوف. واذ قفزت اليه متخطيا دوران وبزداك هجم رجلان من الغاب، أحدهما يحمل رشاشاً والآخر بندقية قديمة.

بقي حامل الرشاش صامتا فيما راح حامل البندقية يصرخ كمجنون ووضع فوهة بندقيته على رأس بزداك. فتقدم شميلنسكي ماداً يده اشارة الى رغبته في المصافحة، لكن حامل الرشاش صوّب سلاحه في اتجاهه.

صرخ حامل البندقية: "نحن من الممر الساطع!" كانا حافيين وكل منهما يرتدي سروالا عسكريا وسترة رياضية ويعتمر قبعة مموهة. كانا يبدوان كعاملين ريفيين لا



(فوق) نصب المخيم في
هاوية أكوبامبا.
(تحت) حمل زوارق الكاياك
في أعلى نهر الأبوريماك.

كمقاتلين في فرقة عسكرية حسنة التدريب. ثم ظهر من الغاب ١٢ رجلا آخرون.

سأل حامل الرشاش: "هل بلغتكم أخبارنا؟"

أجاب شميلنسكي: "نعم."

تبسم الرجل وقال: "لقد هاجم قائدنا مخيمكم هذا الصباح."

كان شميلنسكي يتكلم الاسبانية بطلاقة وبصوت خفيض. وحاول اقناع المسلحين

بالسماح لنا بالانطلاق، فقال: "نحن لسنا جنوداً."

بدا حامل الرشاش راغباً في الاقتناع. فمشى هو وشميلنسكي وحامل البندقية بعيداً عن مرمى السمع وجلسوا، فيما بقيت أنا وبزداك ودوران في الطوف تحت الحراسة.

بعد لحظات هرع شميلنسكي الى الطوف وأخرج أوراقا تثبت هويته وهوية بزداك على أنهما بولونيان، وهمس لي: "ابق على الطوف، اذا عرفوا أنك أمريكي فسنقع في مأزق كبير." ثم عاد لمتابعة التفاوض.

دام التباحث ساعة كاملة. وأخيراً توجه المتباحثون الى الطوف. كان الثوار يريدون اطلاقنا في مقابل هبة.

قال حامل البندقية: "سمك." فقبل شميلنسكي أن يعطيه خمس علب من مؤونتنا.

"ست علب، "قال حامل البندقية.

"خمس علب،" أجاب شميلنسكي بحدة مذهلة.

– ست.

"خمس. هذا كل ما أعطيك."

بقي شميلنسكي حازماً لا يتزحزح عن موقفه، فكدت أن يغمى علي. فبحسب تفكيري: ما هي الحكمة في أن نقتل بسبب علبة من سمك التنّ؟

وفي النهاية قبل حامل البندقية بخمس علب، وتبسّم. وتبسّم حامل الرشاش. فتنفسنا الصعداء وتبسمنا وتصافحنا جميعا. ثم وثبنا الى التجذيف وانطلقنا مسعورين نحو المسقط التالي من دون أن نلتفت الى الوراء.

وحل الغاب

لفّ أرجاء النهر ضباب رقيق ما لبث أن تبدد، فبانت لنا الهضاب والجبال مكسوة بغابات المطر. لساعة خلت كان الهواء جافا، والآن كثف وعبق الجو برائحة البلسم العطرة الحادة، وراحت الببغاوات تزعق فوقنا. ورأينا كرات بنية شبيهة بجوزات هند ضخمة، فتبين لنا انها قردة تترجح بين الأشجار الباسقة الوارفة والكرمات المتعرشة الملتفة.

ورأينا روافد جديدة تصب في الابوريماك متباعدة حوالى كيلومترين. وارتفعت مياه النهر وتضخم وازدادت سرعة جريانه. لكنه كان يتدفق سلسا عميقا، وانخفض صوته الى وشوشة. وانتصبت على ضفتيه أبراج مراقبة من جذوع الشجر ارتفعت فوق مظلة الغاب الكثيفة الخضراء. كانت ميليشيات القرويين تستخدم هذه الأبراج في حملتها ضد رجال العصابات، لكني كنت أكيداً من أنها تستخدمها أيضا في

مجذفو الكاياك يعبرون تحت جسر معلّق من جسور الانكا مصنوع من العشب المـ...



حماية المساحات الصغيرة المستخلصة من الغاب والمزروعة نبتات الكوكا[٤] التي رأيناها في كل بقعة هناك، تتوهج أوراقها الدهنية في نور الشمس كقطع نقد خضر.

بقيت أمامنا مسافة ٦١٠٠ كيلومتر من النهر، سنجتاز معظمها في زوارق الكاياك. أرعبتني الفكرة، اذ بالمقارنة مع الطوف الثقيل بدا الكاياك مثل حشرة خفيفة لعوب. هنا كان النهر حافلا بدوّامات مزبدة يصل اتساعها الى ١٢ متراً وتعلو دوائرها الخارجية أكثر من متر عن "عيون" قعرها.

كان الخوف من الغرق همي الاكبر. انما كانت لدي هموم آخر. فأخطر المشاكل التي ستواجهني في المسيرة الطويلة الى البحر ستكون التعب والتهاب أوتار معصمي اليدين، وهذا يحتاج الى راحة تامة أو جراحة. كان علي أن أتعلم التجذيف الصحيح باستخدام ساعديّ كنقطتي ارتكاز والدفع بيد واحدة من الخصر الى الامام.

وكثيراً ما رأيتني غارقا في التركيز على هذه الطريقة التقنية الى حد كنت أنسى وجهتي فأجدني مندفعا نحو دوامة أو ضفة أو جلمود. كان تروران يدربني وينهرني مرة بعد مرة: "ادفع، لا تجذب." وتراكمت خيباتي الواحدة تلو الاخرى حتى لم يسعني الا التفكير بيأس: ٦١٠٠ كيلومتر على هذا النحو؟

ما لبثنا أن لوّحنا بأيدينا مودعين نهر الأبوريماك الذي احتضننا طوال شهرين. وانعكست أشعة الشمس الغاربة على جدار الغاب، وتوهجت كل شجرة وكل كرمة بخضارها الفريد.

انتهينا الى منطقة الادغال. ويا للاستقبال الذي حظينا به. كانت الرطوبة في انتظارنا، وتراكم الطين والوحل في كل زاوية وشقّ. وأبى الحطب أن يشتعل والعرق أن يجف والجروح أن تندمل. وتسرّبت رائحة العفن الى مسامنا وأخذت ملابسنا في الاهتراء.

واجتاحتنا جحافل البق والعناكب والصراصير والعث والنحل والدبابير والنمل والقراد والبعوض. كانت تئز وتطن وتدندن وتصول وتجول حول أعيننا وآذاننا وتعضّ أقدامنا. وغرزت خراطيمها المستدقة النهمة في جلودنا التي سرعان ما تورّمت بالقروح. حتى الفراشات المسالمة تجمعت في حشود هائلة وأصبحت مصدر ازعاج، وهبطت على الطوف كبحر من الغيوم الكثيفة المرفرفة.

الى هنا كان تقدمنا مرهونا بالتغلب على عوائق مميتة. وقد شحذت هذه الأخطار هممنا واستحثت تركيزنا. إنما في جو الادغال المشبع بالرطوبة والنتن سيطر علينا الخمول وفترت همتنا وسادنا التوتر، فرحنا نتذمر ونتجادل في تفاهات مثل: من

(٤) الكوكا نبتة يستخرج منها الكوكايين.

سيجلب الحطب، وماذا نطهو للعشاء.

ذات يوم قال لنا شميلنسكي بعد مشاحنات تافهة: "انتبهوا يا شباب، إما أن نتجادل ونكون أفظاظاً وإما أن نتقيد بالمبادىء والانظمة."

كانت هذه قاعدة حملها شميلنسكي من "العالم القديم" وانعكست في العناية الفائقة التي كان يوليها كل عمل يؤديه. فحين كان دوره في الطهو كنا ندهش لأناقته المطبخية الممتازة: أدوات الطعام منضدة في متناول الايدي، الطاسات والملاعق والاكواب مرتبة في صفوف، سكب القهوة، العشاء يغلي في القدر على النار.

كان شميلنسكي يتهيأ كل يوم لركوب النهر وكأنه يتأهب للقتال. كان أول من يستيقظ، فيحزم أمتعته وينزل الى النهر. وبذلته اليومية – ملابس تحتية طويلة وسروال قصير للتجذيف – كانت نظيفة وأنيقة على الدوام اذا قورنت بملابسنا التي بدت كأسمال بالية، مما دفعنا الى الظن أنه خبأ ملابس احتياطية في قعر الطوف.

وفي الصباح اتبع طقساً هو الاكثر إثارة، اذ كان يخرج مرآة صغيرة فيمشط شعره بعناية ويطلي وجهه بمزيج من المستحضرات والمساحيق الواقية من أشعة الشمس، شبيه بالدهان الذي يطلي به محاربو القبائل وجوههم. ثم يتمطى وينفخ صدره ويهاجم النهر كمقاتل. فيمشي مشية حربية ويقبض على المجذاف كأنه رمح لخوض المعركة.

كان النهر في ذروة فيضانه كوحش هائج، مضخماً بمياه موسم الامطار. كان عكراً بنياً كالطين، يندفع هادراً بسرعة ١٩ كيلومتراً في الساعة كهدير الحصى المتساقط من مقلب شاحنة. في الضفة البعيدة كانت كتل ضخمة من التراب تنهال في النهر ومعها أشجار ترتفع ١٥ متراً.

وأقنعتني خبرتي القصيرة في الكاياك في المنحدرات المائية الخطرة بأن من الحماقة أن أحاول التجذيف ستة آلاف كيلومتر في مياه وحش كهذا. وقررت اجتياز المسافة مع بزداك ودوران على متن مركب كبير مسطح القعر ضيقه يبلغ طوله ١٢ متراً، وهو سيحمل مؤن شميلنسكي ويلاقيه حين يتسنى اللقاء. لكني لم أجد طريقة لائقة أعبِّر بها عن جبني، ولذا كتمت خطتي ولم أبح بها لأحد.

بعد ظهر اليوم التالي انفتحت كوى السماء وانهمر مطر غامر أعمى أبصارنا. انه نذير فصل الامطار الذي لا يبعد أكثر من بضعة أسابيع. تحول النهر مرجلا هائجاً يغلي، وازدحمت فيه جذوع الشجر والأطواف المهجورة وسقوف أكواخ القش وكل غريب من حطام الغاب، تتصادم وتتباعد مندفعة في التيار الجارف، أرعبني المشهد

وجال في فكري أنني لو كنت في كاياك وسط ذلك الخضم لسحقت كحشرة.

وتناقص عدد أعضاء بعثتنا، فالتعب والخوف ومشاكل تأشيرات الدخول على جوازات السفر وسوى ذلك من المسؤوليات استحضرت في نفوس رفقائي الافكار ذاتها التي كانت تراودني. فتروران لم يستسغ فكرة التجذيف عبر كل تلك المنبسطات المائية، وكان على أهبة مغادرتنا ليبدأ التدرب للاشتراك في سباق عالمي.

وبقيت أنا وشميلنسكي وبزداك ودوران. كان من المفترض أن أنزل وشميلنسكي في زورقي كاياك فيما يحاول بزداك ودوران السفر على متن مركب تجاري الى مدينة بوكاليا. لكن اللعبة كانت انتهت عند هذا الحد بالنسبة الي. فقد رأيت الجبال والادغال وتحملت من المخاطر والاهوال فوق ما تعيه ذاكرتي، وحان الوقت لكي أتكلم وأفصح عن قصدي.

بدأت: "حسنا يا بيوتر، كنت أفكر."

"فيمَ كنت تفكر؟" رمقني شميلنسكي بنظرة ثاقبة وثبّت عينيه الزرقاوين الجامدتين في عيني كأنه يمسكهما بقبضة من حديد لا خلاص منها. لم يكن في نظرته انفعال أو تأنيب أو استضعاف، بل سبرٌ لأعماق النفس وسؤال خفي: من أي معدن أنت؟

وكان جوابي: معدني الشك والضعف. لقد غمرتني رغبة جامحة في أن أكون في وطني وفي بيتي ومع صديقتي، حاضري مضمون ومستقبلي لامع، وليبقَ الأمازون وشميلنسكي – ذلك الرقيب البولوني المدرب – بعيدين عني ألوف الكيلومترات.

أجبت شميلنسكي: "كنت أفكر في الاثارة التي تنتظرنا، أنا وأنت، ونحن في الكاياك نخوض هذا النهر العظيم مستكشفين غوامضه."

قال: "حسنا يا جو، هذا هو التفكير الصحيح."

"أنا أغني وأنت تكتب"

بدأنا رحلتنا أنا وشميلنسكي مجذفين بضربات قوية. لكن محاولتي تقليده كانت تزويراً. شعرت بألم في معدتي وبأني سأصاب بالانفلونزا.

انحدرنا في نهر يوكايالي الذي سيحملنا مسافة ١٨٠٠ كيلومتر، أي أكثر من ضعفي المسافة التي اجتزناها منذ بلوغنا منبع النهر قبل ثلاثة أشهر. من ثم سنجذف ٦٥٠ كيلومترا الى الحدود البرازيلية، ومنها ٣٢٠٠ كيلومتر الى المحيط الاطلسي.

الجزء الاعلى من نهر يوكايالي مجرى مائي ملتف كالامعاء ولا خرائط له موثوقا بها. وكل سنة تغير الفيضانات مجراه كيلومترات عدة. لكنه أيضا نهر يتسم بالجمال

الرفيع. ففيه تسبح الدلافين ويضرب السمك "الطائر" صفحة الماء. وعلى الضفة ينتصب تمساح كبير على قوائمه ولا يلبث أن ينزلق عن اليابسة ويغيب في الماء لدى اقترابنا.

كان علينا قطع نهر يوكايالي قبل الفيضانات. لذلك وضع شميلنسكي برنامجاً صاعقاً نتقيد به: ١٢ ساعة يومياً في الزوارق، التجذيف ٥٥ دقيقة كل ساعة لسبعة أيام في الاسبوع، ٥٠ ضربة في الدقيقة، ٣٣ الف ضربة في اليوم، مليونان وربع مليون ضربة الى الاطلسي.

بعد ثلاثة أيام أصبت بالتهاب مؤلم في أوتار معصمي، ونزل بي داء الانفلونزا ومضاعفات معدية - معوية واسهال حاد.

ولازمني الانهاك والارق، وكانت الحرارة والرطوبة رهيبتين، والشمس حارقة قاسية لا ترحم، فزاغ بصري وصرت أرى بقعاً وهمية.

كنا في الطوف كأننا عائلة واحدة من خمسة أشخاص، تملأ حياتنا النكات وممازحات الالفة والصداقة. وها قد أصبحنا اثنين فقط، شميلنسكي وأنا. وهنا أريد أن أفيه حقه، فهو أضفى على مغامرتنا رؤية مخالفة تماماً لرؤيتي. فقد بذل كل جهد في سبيل ابقائي على النهر، فحمل جميع أثقالنا وحشر المؤن في مقدم زورقه ومؤخره، وحزمها على ظهر الكاياك وثبتها الى أسفل هيكله برباطات مطاط. فكانت هناك أباريق الماء وعلب الاناناس وقوارير الوقود والموقد والمجاذيف الاحتياطية، حتى بدا زورقه كدكان خردة عائم. ونتيجة ذلك تحتم عليه التجذيف بصعوبة أكثر.

في اليوم الرابع غلبني الخجل والارتباك. فقلت لشميلنسكي: "أعطني شيئاً ما."

قال: "سأعطيك شيئاً يا جويسكي لدى وصولنا الى بوكاليا. سأعطيك أكبر قرن جيلاتي أكلته في حياتك."

كان هو الذي ينتقي مواقع التخييم ويطهو ويتأكد من تناولي الاقراص الواقية من الملاريا. وذات مرة أغمي علي في الكاياك من شدة الحمى، ولما استعدت وعيي وجدته يقطر زورقي وراءه. كان ينشد أغنيات بولونية شعبية، ويتحفني بأعلى صوته عند الفجر. كان صوته ينطلق ملعلعاً من النهر الى أشجار الغاب فيُجفل أسراب الببغاوات ويحمل القردة على الصراخ والولولة.

قال لي ذات عصر: "جو، غنِّ أنت الآن."

قلت: "لا أقدر أن أغني."

فألحَّ: "غنِّ أي شيء يطيب لك."

لم يكن لي بد من الاذعان، فبدأت أغنية: "ترا... لا... لا..."

فقاطعني فوراً: "هاي! أنا أغني، أنت تكتب."

فقدت الحس بالتواريخ وتتبع أيام الأسبوع. كان شميلنسكي يوقظني في الصباح، فأنهض وأتبع مؤخر زورقه المترجح. وفي الليل أنهار محموما. وأخيرا تعافيت من مرضي، ولم أعرف الى الآن نوع ذلك المرض.

في بلدة بولونييزي العامرة بالاكواخ والدجاج والحشرات والوحل، انطلق شميلنسكي يفتش عن فاكهة فيما تمددت أنا على ربوة معشبة تطل على النهر. وحين انقلبت على ظهري رأيت خمس نساء قرويات يحدقن اليّ.

سألتني احداهنّ: "الى آين أنت ذاهب؟"

فأجبتها: "الى البرازيل."

قالت: "عليك آن تطير الى هناك."

النهر – البحر

عزمت على الاحتفاظ بموقف ايجابي من مسعانا باتباع "طريقة شميلنسكي" كما بدت لي بعد روية وتفكير: التقيد بالتعليمات والامانة في التنفيذ سيوصلاننا الى المحيط. وكان هناك عامل آخر لمصلحتي في هذه المرحلة من الرحلة، وهو أننا في بوكالبا أبدلنا زوارق الكاياك المصممة للمنحدرات المائية العنيفة بزوارق كاياك بحرية أكبر. فهذه تحافظ على مسار مستقيم في التيارات القوية، وهي مجهزة بدفّات تحرك بالقدم مما يخفف الاجهاد على معصميّ وساعديَّ المتألمة.

شعرت بالفخر والاعتزاز كقبطان لزورقي الجديد. وعلى مؤخره خطَّ شميلنسكي اسم "إليز" تيمناً بصديقتي في الوطن. وكتب على زورقه اسم "جوانا" تيمنا بزوجته التي سمح لها أخيراً بمغادرة بولونيا وتوقع وصولها الى الولايات المتحدة في غضون بضعة أسابيع.

كانت "إليز" مريحة الى الحد الذي يمكن أن يرجوه المرء اذا تعين عليه الجلوس للتجذيف ١٢ ساعة يوميا. فحجرة القيادة مكشوفة تتيح لي ثني ركبتيّ، وفي متناولي سكين الجيش السويسرية وقارورة الماء ومرهم واق من أشعة الشمس وملابس واقية من المطر ودواء طارد للبعوض وعُدة طوارىء طبية وصندوق مانع للماء يحتوي على أقلام ودفاتر.

وكنت تصورت الأمازون معتما شديد الرطوبة، ولكن على النهر ذاته كان الضوء قويا والشمس ساطعة لفترة أطول من المستحب. ولا تُرى في البعيد جبال أو تلال أو أفق، بل امتداد من الغابات الخضر السرمدية المترامية الى اللانهاية. وليس في مجاهل تلك الأبعاد ما يوحي أمل الافلات من قبضتها.

وبعيداً عن بوكالبا عند ملتقى نهري يوكايالي ومارانيون يبدأ استحقاق ذاك

المجمّع المائي لاسم "الأمازون" وان لم يطلق عليه الاسم بعد، اذ ان عرضه هناك يصل الى ثلاثة كيلومترات. وجذفت طوال ٣٥ دقيقة للوصول الى امتداد رملي مرتفع وسط النهر. وسبقني شميلنسكي الى هناك وراح يعدو جذلا على الرمل الابيض العاجيّ هازاً مجذافه كرمح وهاتفاً: "الأمازون! الأمازون!" ولم يسمع هتافه أحد سواي.

أنعمت النظر لرؤية الضفة البعيدة التي بانت خطاً رفيعاً أخضر فاصلا بين الماء والسماء. ولولا ذلك الشريط الأخضر لحسبتني شاخصاً الى المحيط. ويعرف الأمازون باسم "إل ريو مار" أي النهر - البحر.

وصل دوران وبزداك الى إيكيتوس، المدينة التالية، قبلنا بخمسة أيام. وكانت رحلتهما في النهر حافلة بلعب الورق (الكوتشينة) وموسيقى الديسكو الصاخبة. وهما حملا اليّ رزمة رسائل بريدية هي أول أتصال بي من الولايات المتحدة منذ شهرين ونصف شهر. وجددت دوران تموين عدّتي الطبية وأعطتنا صمغ شجرة قيل انه دواء ممتاز لألم المفاصل والعضلات.

غادرنا ايكيتوس قبل أربعة أيام من عيد الميلاد للعام ١٩٨٥ على أن نلتقي بزداك ودوران ثانية على الحدود البرازيلية. وعلّق شميلنسكي على مقدمي زورقينا شجرتي ميلاد صغيرتين. ومرة غرقت في النوم في زورقي، واستيقظت لاجد شميلنسكي يقطرني مهمهما ترنيمة ميلادية. ووصلنا يوم عيد الميلاد الى تاباتنغا على الجانب البرازيلي من الحدود حيث أخذت أول حمام ساخن منذ خمسة أشهر وتناولنا عشاء فخماً من الحساء والدجاج المشوي والسلطة.

أما عيد رأس السنة فكان مختلفاً، اذ كنا في نهر سوليمويس الذي يتعرج في ولاية أمازوناس القليلة السكان والتي تلقب "الغرب البرازيلي الموحش" تشبيهاً لها بالغرب الامريكي. نصبنا مخيمنا تلك الليلة في بقعة كريهة الرائحة من الطين والصلصال، وطها شميلنسكي طبقاً من التشيلي ثم جلسنا على جذع شجرة.

قال شميلنسكي: "في بولونيا، هذا هو أعظم أيام السنة. الكل يرقصون والاقارب يجتمعون ويحتفلون بعشاء فخم ويفتقدونني. وفي كل يوم رأس سنة منذ ست سنوات يفردون لي صحناً فارغا على المائدة."

قلت: "قد يأتي يوم لا يكون فيه الصحن فارغاً."

فرد: "هذا أمر لا يسعني التفكير فيه. كل عام وأنت بخير يا جو."

بعد ١٢ يوماً في نهر سوليمويس بدت قرية كواري مثل باريس. التقينا دوران وبزداك في فندق "بالاس" النظيف الذي كاد يكون فارغا، فأفرغنا زورقينا وأكلنا دجاجا مشوياً.

لم أكن عاينت شميلنسكي وهو منهك، ولم أدرك أن رد فعله للارهاق يختلف عن رد فعلي. فأنا أنهار كلياً على نحو مخز، فيما يزداد هو عزماً ويدفع نفسه الى المكافحة بجهد أشدّ مما سبق. كان ينام قليلا في النهر ويدرس خرائطه حتى ساعات متقدمة من الليل أو يجهز الزورقين لليوم التالي. وخلال النهار لم ينقطع عن الكلام، وفي فترة ١٢ يوماً استغرقتها رحلتنا من تاباتنغا سمعت منه تفاصيل تاريخ بولونيا منذ عهد السلافيين.

وفي كواري كذلك لم يعرف شميلنسكي الراحة، اذ أمضى يومين في اتصالات هاتفية محاولا جمع مزيد من المال. فهو راهن غاليا على بعثة الأمازون، فترك عمله وصرف مدخراته والتزم أدبيا لستة ممولين للبعثة. كان يتحتّم علينا اكمال الرحلة.

وعندما أبلَغنا أن مجموعة دعت نفسها "لجنة إنقاذ الأمازون" في كاسبر بولاية ويومنغ، جمعت ما يكفي من المال لاكمال الرحلة، تهلّلنا وتعانقنا. وفتش بزداك في مطبخ الفندق فعثر على جهاز راديو ترانزيستور والتقط محطة موسيقية. ورقصنا على سطح الفندق المعتم في أواسط ولاية أمازوناس، الموحشة.

"لا... لا... لا!"

كنت أجذف غارقاً في أفكاري منساباً مع أحلامي غافلا عن الواقع، فاذا بالأمواج تعلو وتزبد ولم أعِ الا وقد دهمتني وعلت فوق رأسي. وتحولت السماء حمراء ثم أرجوانية ثم سوداء كالحة التمعت تحت ظلامها فقاقيع الزبد البيضاء المتراكضة فوق ذرى الأمواج العاتية التي اجتاحت النهر.

تسمّرت بلا حراك وأنا أراقب العاصفة تقترب. التوت رؤوس الاشجار وغابت الضفة وراء جدار من الزبد الأبيض. ثم أحسست كأن قفيراً من النحل لسع وجهي. وعصفت الريح ورحت أكافح بكل قواي لاحتفظ بالمجذاف الذي كاد يفلت من يدي. وانحنت شجرة الميلاد الصغيرة في مقدم الزورق كرفيقاتها الأشجار الجبارة على الضفة.

شددت جسمي كما علمني شميلنسكي، رافعا مجذافي كجسر على الماء. وملت عن الموجة وانزلقت على صفحتها. وحين عبرت الموجة تحتي قوّمت وضعي في غورها ورحت أجذف في اتجاه الضفة، الى أن دفعتني الموجة التالية الى اعتماد التقنية ذاتها، وهكذا دواليك موجة اثر موجة. قد يوحي كلامي أنني كنت ممسكاً بزمام الموقف كبحار محنّك، لكن الواقع هو اني كلما اعتليت إحدى تلك الموجات الكاسحة سمعت صوتي المرتعش يردد بذعر: "لا... لا... لا!"

وجذفت مثابرا الى أن لمحت الضفة، وكانت فرائصي ترتعد لشدة الخوف. ولكن

ما ان رأيت الموج الجارف يتكسّر هادراً على الضفة حتى تملكني الذعر فانكفأت بزورقي وأدرت مقدمه في اتجاه مجرى النهر ورحت أجذف نزولا.

بعد ساعة من التجذيف هدأت العاصفة، فرأيت شميلنسكي وقد انعكست صورته على الافق وهو يلوّح لي بمجذافه.

هتف حين رآني أقترب منه: "هاي، أنت الآن مجذّف عظيم!"

لم اكن لأدعي ذلك، انما شعرت بأنني خضت تجربة قاسية عززت ثقتي بزورقي.
هتف شميلنسكي مشيراً بيده، فالتفت وشاهدت قوسي قزح يضيئان النهر بألوانهما الرائعة لمسافة بعيدة.

يبدأ نهر الأمازون "رسمياً" حيث يلتقي نهرا نيغرو وسوليمويس. ونهر سوليمويس الغني بالطمي قاتم ضارب الى الصفرة، فيما النيغرو أسود كالفحم. وهما يجريان متوازيين مسافة عشرة كيلومترات قبل أن تلتقي مياههما.

ويخترق الأمازون سهلا تغمره الفيضانات حيث النبات على ضفتيه أقل كثافة وارتفاعا مما رأينا سابقا. والعامل الطبيعي في ذلك محدود، والسبب الرئيسي هو الانسان الذي لم يبقِ الا على قلة من الغابات العذراء على امتداد ١٥٠٠ كيلومتر من الضفتين.

ويعود اتلاف "غابات المطر" الى عدة عوامل، لكن العامل الرئيسي حديثا كان مزارع تربية الماشية التي حوّلت غابات المطر مراعي، فعرّت التربة من غطائها الشجري فخف انتاجها. لكن المزارع التي أنشئت هناك قبل العام ١٩٧٨ هُجرت خلال ١٩٨٣، فتحولت ألوف الهكتارات التي غطتها غابات المطر سهولا جرداء قاحلة.

وفيما تابعنا التجذيف بدت الارض شبيهة بفكرة غامضة. وكادت ان تغيب عن ناظري ضفتا النهر الذي اتسع فأصبح عرضه حوالى ثمانية كيلومترات، وتعاظمت الامواج حتى طاول ارتفاعها الرأس. وقد أمضيت معظم وقتي مدفونا في أغوار الموج.

أصبت بالانفلونزا ثانية، ومر علي يومان كابدت فيهما الامرّين من القشعريرة والارتجاف والعرق والصداع الحاد. وكان شميلنسكي خلالهما يجذف الى جانبي ويحدثني طوال النهار. وكنت أسمع صوته لكنني لم أفهم الا بضع كلمات. في هذا الوقت استبدّ بي هاجس التجذيف الى الأطلسي، وكانت للحمى يد في تصميمي لأني بتّ عاجزاً عن التفكير والتركيز.

استقام مجرى النهر - البحر واختفت الجزر التي كانت تعوقه، وكأنه في شهوة اشتياقه الى المحيط اندفع جارفا كل العوائق التي تعترضه. وانكمش عالمنا فلم نعد نرى الا الماء والسماء وشريط الغابات الاخضر الرابط بينهما.

كان نهر الأمازون يتعاظم يوما بعد يوم ويتسع مثل بحر. وبدأنا نشاهد طيور النورس والخرشنة المائية. وإن كنا ما زلنا نبعد حوالى ١٣٠٠ كيلومتر عن الاطلسي الا أننا لاحظنا تغيراً غير مألوف في المدّ، اذ كانت المياه ترتفع وتهبط حوالى ثلاثة أمتار في يوم واحد.

قررنا استعمال المال الذي أمنته لنا "لجنة إنقاذ بعثة الأمازون" فاشترينا الزورق "روبرتو ٢" لكي يتسنى لنا نحن الاربعة الوصول معاً الى الاطلسي. وبلغ طول هذا الزورق ١٥ متراً.

وفيما أبحر "روبرتو ٢" في محاذاة الضفة، كنت وشميلنسكي نجذف في وسط الأمازون حيث يبلغ مجراه أقصى سرعته. وفي المساء كنا نتناول العشاء وننام على الزورق "روبرتو ٢." وقد حرمنا استخدام الزورق بعضاً من شوق المغامرة وبهجتها، لكنّ ذلك كان خسارة يسيرة في مقابل ما نعمنا به من مرح برفقة المصور والطبيبة.

على مصب الأمازون تقوم جزيرة تشطر النهر وتعادل مساحة سويسرا. فيجري سبعة أثمان دفق النهر شمالا حول جزيرة ماراخو، وتجري البقية جنوباً مخترقة متاهات من القنوات والجداول في طريق أطول. ولما كنا بدأنا رحلتنا من منبع النهر، أي من أبعد نقطة فيه، فكان جديراً بنا أن نتتبع أطول مجرى له الى المحيط.

راوحت سرعة المد في ذروته بين ستة كيلومترات وسبعة في الساعة، ولم تكن وجهته واحدة. ففي حين كان يجري معنا في إحدى القنوات، كان يجري عكس



لحظة الانتصار. جو كين (الى اليسار) وبيوتر شميلنسكي يبلغان هدفهما حيث يلتقي نهر الامازون المحيط الاطلسي.

وجهتنا في قناة أخرى، وفي قناة ثالثة نجده ساكناً جامداً.

وأفادتنا خرائطنا اننا صرنا على بعد ٢٥ كيلومتراً من كبرى المدن على نهر الأمازون، لكن غابات المطر عند المصبّ كانت رطبة معتمة خانقة. وعندما هبت عاصفة التجأنا الى قناة لا يزيد عرضها على طول مجذاف، وكانت معتمة يتسرّب اليها النور من فتحات صغيرة في مظلة الغابة. وما ان انعطفنا حول منحنى حتى انتصبت أمامنا ناطحات السحاب في بيليم.

بيليم هو اسم "بيت لحم" في البرتغالية، وهي كانت هدفنا خلال ستة أشهر قطعنا فيها ما يزيد على خمسة آلاف كيلومتر وجذفنا ثلاثة ملايين ضربة في زوارقنا الكاياك. لقد سئلت مئات المرات: "الى أين أنتم ذاهبون؟" فكان جوابي: "الى بيليم!"

كان "روبرتو ٢" في انتظارنا راسياً في الميناء. وهو بدا لنا عظيماً في النهر، الا أنه بدا كقزم الى جانب أصغر قارب للصيد هناك. وبعد العشاء تبادلنا العناق وكلمات الوداع مع أفراد الطاقم.

عند شقّ الفجر أنزلنا زورقينا الكاياك في المياه المنبسطة الرمادية. ورافقنا بزداك ودوران طوال الصباح في زورق آلي صغير، ثم عادا الى بيليم بعدما تمنيا لنا حظاً سعيداً ووعدانا باحتفال عظيم بعد ثلاثة أيام.

انعطفت وشميلنسكي الى خليج ماراخو ثم شرقاً. لم أكن واثقا بقدرتي على خوض عرض البحر، ولكن لم يبقَ لي مجال للتراجع الآن، وكما فعلت على مدى خمسة أشهر، سأمضي بجلد وثبات مجذفا وراء صديقي الطيب.

جذفنا بعيداً الى قلب الخليج للافادة من انحسار المد الى أن غابت عنا اليابسة كلياً. ويذكّر حوض الأمازون — البالغ عرضه ٢٥ كيلومتراً — بشيء في جبال الانديز العالية: إن عظمة اتساعه تبعث على الانقباض. وغالباً ما رأيت عالمي محصوراً كلياً برفيقي البولوني في الزورق أمامي. فقد رآني شميلنسكي في أسوأ حالاتي، مريضاً، وجلا، يائساً، ولم يتخل عني. وانني أرجو أن يكون وجدني رفيقاً طيباً وبي نصف ما أسبغه علي من لطف وعطف ومؤاساة.

لم تخبُ حماسته قط، اذ حين عدنا الى التجذيف انطلق هو في انشاد أغنيات بولونية شعبية بصوت عال مجهداً رئتيه الى أقصى مداهما. وحفظت الكلمات وإن فاتني معناها، فرحت أرافقه في الغناء. فازدادت ثقتي وحلّقت في أجواء التفاؤل. قريباً سأتخلى نهائيا عن زورقي الصغير، وسأعود الى كاليفورنيا في بداية موسم البايسبول، وسأنام — يا للبهجة والنعيم — في مكان واحد لاكثر من ليلتين متتاليتين. وسأكون مع صديقتي التي أحبها.

سرنا مع المد المتراجع، ولفّ خليج ماراخو سديم رقيق ما لبث أن تكثف الى ضباب. لقد كان منبع الأمازون هو أيضا متلفعا بالضباب. وماذا قال البولوني الغريب لدى اجتيازنا خط الفاصل القارّي؟ "كل الرحلة نزول منْ هنا."

انساب زورقانا على صفحة الخليج يهدهدهما الموج الرفيق المتطاول. وما لبثت المياه العكرة أن تحولت خضراء شفافة. وتباطأنا عمداً كي يتسنى لنا الانتشاء حتى الثمالة بسحر انتصارنا. وأخيراً رفعنا مجاذيفنا. وفي غمرة تلك اللحظة التاريخية الرائعة التي توّجت مغامرتنا الفريدة، انحنى شميلنسكي ورفع قبضة من الماء الى شفتيه.

وقال: "ملح!"

جو كين ■

ترجمة الياس عقل



تعارف ربيعي

بعد شرائنا بيتاً قديماً مهجوراً، عملت ليل نهار طوال فصلي الخريف والشتاء لجعله صالحاً للسكن. ولم تكن نظرات الجارة المسنّة تفارقني انّى تحركت، لكنها لم تعر ابتساماتي وتحياتي اي اهتمام. وحل الربيع ونحن ما زلنا غريبتين.

وإذ كنت أجزّ عشب المرجة أمام المنزل للمرة الأولى، رأيت زهوراً بيضاء صغيرة منتثرة بين الاعشاب. فجززت العشب بتأن حولها ولم أمسّها لانها اولى بشائر الربيع. وبعد ساعة من العمل الرتيب اصبحت المرجة حسنة المنظر لولا البقع البيض المنتثرة هنا وهناك. وإذ انتهيت من العمل اوقفت الجزازة تحت الشرفة. فرأيت جارتي المسنة متجهة نحوي وفي يدها ابريق شاي وكُوبان. وبادرتني: "تساءلت طوال اشهر الشتاء اي نوع من الجيران انت. وعندما رايتك تجزين العشب حول هذه الازهار الصغيرة، عرفت أن ليس هناك ما يدعو الى القلق."

ك.ب.

حساب الامهات

قال الصبي لأمّه إنه يواجه صعوبة في حل مسائل الحساب. فأجابته على الفور: "اسأل والدك عندما يعود من العمل، فانا لم اكن يوماً بارعة في مادة الحساب."

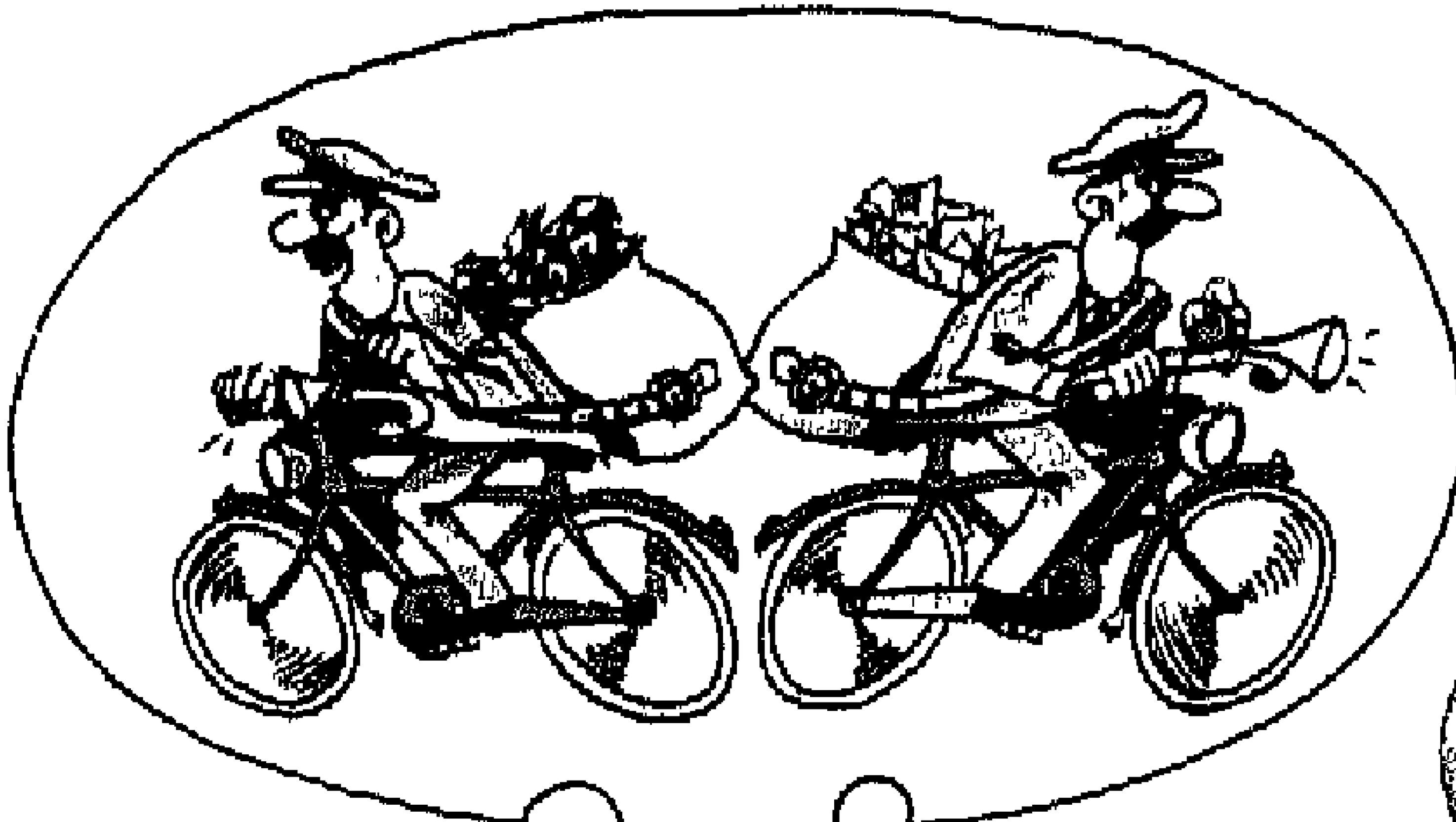
لكنها ما لبثت أن سألته بدافع الفضول: "وما موضوع هذه المسائل؟"

فأجابها: "النسبة المئوية."

فقالت: "آه، استطيع مساعدتك، فهذا ليس حساباً بل تسوُّق."

إ.م

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

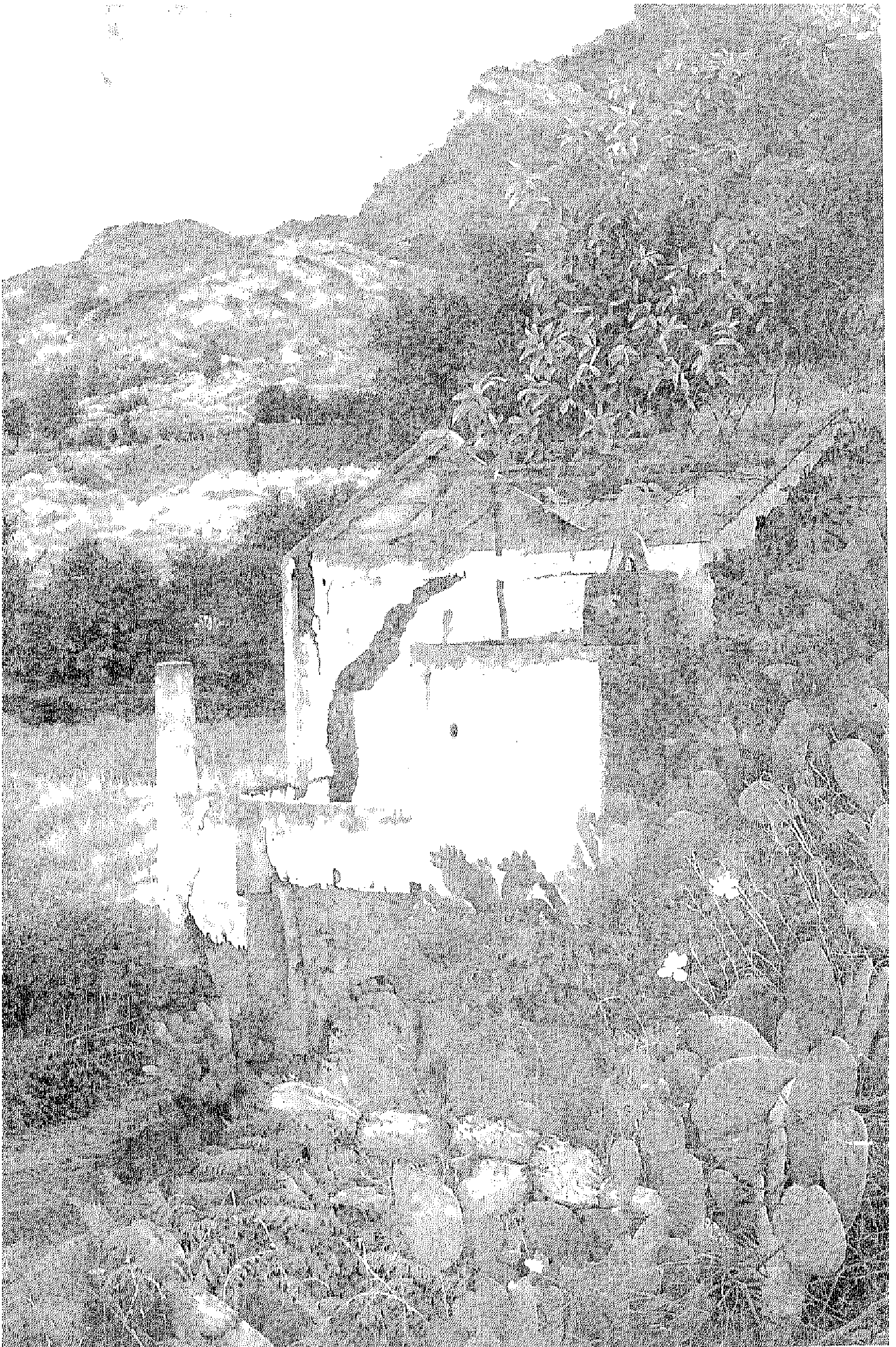
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي مجلة "المختار من ريدرز دايجست". بيروت. شارع المقدسي. بناية التريتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



في الصيف يزهر الصبّار للرسام كانداس يانس.


Bibliotheca Alexandrina
0531384
